

تَجْدِيدُ الْفَنِّ

لِلْخِصَالِ

فِي عِلْمِ الْبَدَنِ

وَالْجَنَانِ

تَأليف

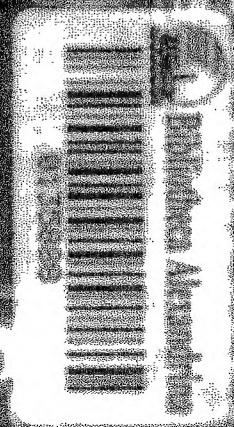
د. محمد علي محمد علي

أستاذ الطب النفسي في جامعة القاهرة



الطبعة الأولى

الطبعة الثانية ١٩٨٤
الطبعة الثالثة ١٩٨٥



بُعْيَةُ الْإِيضَاحِ

لِلدَّخِصِ الْمَفْتِاحِ

فِي عُلُومِ الْبَلَاغَةِ

تَأَلَّفَ

عَبْدُ الْقِيَامِ الصَّغِيرِي

الْأَسْتَاذُ بِكَلِيَّةِ الْلُغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ كَلِيَّاتِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ

طَبْعَةٌ مَشْكُورَةٌ مَرْوُودَةٌ بِفَهَارِسَ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

مِنْ أَوَّلِ الْإِيضَاحِ حَتَّى الْقَصْرِ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي

تَذْوِيهِه : قَدْ وَضَعْنَا الْإِيضَاحَ بِأَعْلَى الصَّفْحَةِ، وَوَضَعْنَا شَرْحَهُ وَبُعْيَةَ الْإِيضَاحِ، بِأَسْفَلِهَا

مَكْتَبَةُ الْأَدَابِ

٤٢ مِيْرَانِ الْأَدْبَارِ - الْقَاهِرَةِ

ت: ٣٩١٩٣٧٧ - ٣٩٠٠٨٦٨

١٤١٢هـ - ١٩٩١م

حقوق الطبع محفوظة لمكتبة الآداب (على حسن)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم للسارح :

أردت قبل الشروع في كتاب « الإيضاح لتلخيص المفتاح » لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني ، بكتابي « بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح » أن أضع هذا التقديم ، لا يبين فيه منزلة كتاب الإيضاح بين كتب البلاغة ، ولماذا أثرته من بينها بشرحى له ؟

والكلام في هذا يرجع بي إلى المدرسة التي ينتمي إليها كتاب الإيضاح من بين مدارس علوم البلاغة ، وهي مدرسة الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي ذهب بالشمرة في هذه العلوم ، حتى عدّوه بحق شيخ البلاغة ، لأنه هو الذي وضع أساسها الصحيح بكتابه — دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة — وكان يسمى مسائل البلاغة علم البيان ، وقد ذكر أن هذا العلم لقي من الضيم ما لقي ، ودخل على الناس من الخلط في معناه ما دخل ، فأراد أن يوفيه حقه ويقرر قواعد تقريراً يليق به ، فوضع فيه هذين الكتابين :

وهو يسميه علم البيان بالمعنى الذي يشمل علوم البلاغة الثلاثة الآتية :

المعاني ، والبيان ، والبديع — لأن البيان هو المطلق الفصيح المعرب عما في الضمير ، والعلوم الثلاثة لها تعلق بالكلام الفصيح تصحيحاً وتحميلاً ، على ما سيأتي من الفرق بينهما في ذلك ، وإذا كان عبد القاهر لم يفصح عن هذا الفرق بين مباحثها ، فقد أشار إليه بتخصيص كتابه — دلائل الإعجاز — لمباحث نظم الكلام من ذكر وحذف وتقديم وتأخير ونحوها ، فإنه لا يتعرض لغيرها فيه إلا نادراً ، وهذه المباحث هي : مباحث علم المعاني ، وبتخصيص كتابه « أسرار البلاغة » لمباحث الدلالة من الحقيقة والمجاز والتشبيه والاستعارة ونحوها ، وهذه المباحث

هي مباحث علم البيان بهما الذي صار إليه أخيراً ، ثم ذكر المحسنات التي اختص بها أخيراً علم البديع وأشار إلى منزلتها من البلاغة من وجوعها إلى التحسين لاغير ، فلا تطالب فيها على سبيل الوجوب كما يطالب ما يتعاقى منها بالنظم والدلالة ، وقد ذهب إلى أن الحسن لا يمكن أن يكون للفظ في ذاته من غير نظر إلى المعنى ، حتى ما يتوهم في بدء الفكرة أن الحسن فيه لا يتمدحى اللفظ والجرس كالتجنيس ، لأنك لا تستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان وقوع معنييهما من العقل هو قديماً حميداً ، ولهذا استنتج قول أبي تمام :

ذهبت بذهبه العبادة فالتوت فيه الظنون أمذهب أم مذهب
لأنه لم يزد على أن اسمك خروفاً مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها
إلا مجهولة منكورة .

وكان أسلوب عبد القاهر في كتابيه أسلوباً بليغاً ممتازاً ، يساعد على تربية ملكة البلاغة ولا يفسدها ، ولا عيب فيه إلا أن يسرف في العبارات المترددة حتى أطنى على تقرير القواعد وعلى ما معنى به من استخلاص أسرارها من الشواهد الشعرية والشعرية ، وهو فيما معنى به من الأمرين الناقد الأديب ، والبليغ الممتاز . وقد طفر بهذا في علم البلاغة حفرة لم يستبق إليها . ولم يأت بعده من سار على هديها حتى لا تقف عند هذا الحد ؛ لأن شمس العلم في عصره كانت آخذة في الأفول ، كما يقول في ذلك :

كبر على المسلم يا خليلي ومن إلى الجمل ميمّل هائم
وعش حاراً تعش سعيداً فالسعد في طالع البهائم
وإذا كان هذا حال عصره فإن حال ما بعده من العصور كان أسوأ ، فتقهقر علم البلاغة بعده ولم يتقدم .

ثم جاء أبو يعقوب السكاكي بعد عبد القاهر ، فلاح ما أشار إليه فيما سبق من الفروق الثلاثة بين مباحث علم البلاغة . فميز بعضها عن بعض تمييزاً تاماً ، وجعل لكل مبحث منها علماً خاصاً ، فسكان من هذه علوم البلاغة الثلاثة السابقة

ثم جازاه في تقرير قواعدها ، وزاد عليه زيادات كثيرة في تقريرها ، وهذا في قسم البيان من كتابه « مفتاح العلوم » وقد جرى على ترتيبه لهذه المباحث من أتى بعده من المتأخرين ، فكان عمدتهم في هذا الترتيب ، ولم يستفيدوا إلا قليلاً ممن كتب قبله أو بعده في علم البلاغة ، ممن لم يحرف فيها على منواله ، ولم يفتح فيها نوره .

ولاشك أن السكاكي بهذا يعد إلى حد ما من تلاميذ مدرسة عبد القاهر ، ولكنه كان ناقداً ولم يكن أديباً ، لأن أسلوبه في كتابه لم يكن أسلوب البليغ الممتاز مثل عبد القاهر ، لأن العجمة كانت غالبية على أسلوبه ، وكان الأسلوب التقريري الذي لا يُعفى إلا بتقرير القواعد غالباً عليه ، فكان في أسلوبه كثير من الغموض والتعقيد وضغف التأليف ، ومثل هذا قد يفيد الناظر فيه علماً ، ولا يفيد أسلوباً بلغة ، بل يفسد فيه ملكة البلاغة ، وبهذا يكون ضرره أكبر من نفعه .

وقد جاء بعد السكاكي عالمان كبيران أراد أن يهذوا في علم البلاغة حذوه ؛ أولهما : بدر الدين ابن مالك ابن النحوى المشهور ، في كتابه « المصباح لتلخيص المفتاح » وثانيهما الخطيب القزويني في كتابه « تلخيص المفتاح » ، والإيضاح لتلخيص المفتاح » وثانيهما كالشرح للأول ، فأما مصباح ابن الناطم فإنه لم يهذب كثيراً من مفتاح السكاكي في علم البلاغة ، لأن ملكة النحو كانت غالبية عليه ، وكان هذا سبباً في إعراض المتأخرين عن كتابه . وأما تلخيص الخطيب القزويني فإنه هذب كثيراً من مفتاح السكاكي ، فقدم في مباحثه وأخّر ، وزاد عليه ما تنجب زيادته من كتب البلاغة . وكان أسلوبه فيه أوضح من أسلوب السكاكي . ولكنه جعله أسلوباً تقريرياً لا يُعفى إلا بجميع القواعد في أوجز لفظ ، حتى أسرف في الإيجاز إسراف عبد القاهر في الإطناب ، وجعل من تلخيصه متنّاً يحتاج إلى شرح وخواشٍ وتقدير ، ولكن عيبه هذا كان موضع تقدير المتأخرين وإعجابهم .

فلما فرغ من تلخيصه شعر هو أيضا بحاجة إلى شرح ، فوضع كتابه الإيضاح كشرح له ، يجرى على ترتيبه في إطناب يختصره أحيانا من كتابي عبد القاهر ، وأحيانا من كتاب السكاكي مع شيء من التهذيب فيه ، ومع كثير من النقد الذي يفعله أحيانا ، ويرمز إليه أحيانا بقوله : وفيه نظر . وبهذا جاء الإيضاح وسطا بين إيجاز التلخيص وإسهاب عبد القاهر . وكان بهذا هو الكتاب الممتاز على غيره من كتب البلاغة القديمة .

ولكنه على هذا لم يرزق من الحظوة عند المتأخرين ما رزق التلخيص ؛ لأنهم شغفوا بالمتون حفظا وشرحا . وقد نظروا إلى التلخيص على أنه متن من المتون ، فشغفوا بحفظه وشرحه . وكان من السابقين إلى شرحه سعد الدين التفتازاني . من علماء المعجم . فوضع له شرحا مطولا سماه « المطول » ، وشرحا مختصرا سماه « المختصر » . وكان سعد الدين من علماء المعجم الذين تأثروا بالسكاكي في طريقته التقريرية ، وفي ضعف أسلوبه لضعف سايقة العربية . بل كان هو وأمثاله ممن أتى بعد السكاكي من علماء المعجم أضعف منه ذوقا أدبيا ، وسليقة عربية . فعصوا في الطريقة التقريرية إلى أن وصلوا إلى نهايتها في البعد عن الذوق الأدبي ، ثم أخذوا ينشرونها هنا وهناك إلى أن غزت علماء العرب . وغزت جميع العلوم من عربية ، إلى دينية . إلى غيرها من العلوم . وصارت عنايتها بتقرير عبارات المتون أكثر من عنايتها بتقرير مسائل العلوم .

ثم تهاافت الميأخرون من علماء البلاغة على شرحه سعد الدين على التلخيص ، يضعون عليها الحاشية بعد الحاشية ، ويضعون على الحاشية التقرير بعد التقرير ، وشغف المدرسون بتلك السكتب في الجامع الأزهر وغيره من الجامعات الإسلامية في الأقطار المختلفة . يعمقون في درسها إلى أقصى حدود العمق ، ويتنقلون في درسها من المتن إلى الحاشية إلى التقرير ، في استقصاء غريب ، وتفنن في الفهم والبحث . ولو أن كل هذا في صميم مسائل البلاغة لكان الحظيب ، ولكن أكثره في بحوث غارجة عن هذه المسائل ، وفي أسلوب ركيك يفسد ملكة البلاغة .

فإذا كانت فيه فائدة قليلة ، فإنها يضيع في هذا الخضم الذي لا فائدة فيه .
وقد تأتى كتاب الإيضاح وطريقته السابقة على المتأخرين من علماء البلاغة فلم يضعوا عليه من الشروح والخواشى والتقارير مثل ما وضعوا على كتاب التلخيص اللهم إلا شرحا ضعيفا للأفسرائى لا يزال مخطوطا بدار الكتب المصرية ، ومن الخير أن يبقى مخطوطا فيها ؛ لأنه يذهب مذهب غيره في الطريقة التقريرية .
ويقال عن طريقة كتاب الإيضاح السابقة ، فيكون ضرره فيها أكثر من نفعه .

ولما كان «التلخيص» كالأصل لكتاب «الإيضاح» . كان هذا فما يدهو قارئه إلى أن يرجع في كثير من مسائله إلى ما وضع على كتاب التلخيص من شروح وخواشى وتقارير . فإذا رجع إليها غرق في ذلك الخضم من البحوث التي لا طائل تحتها .
وضاع به ما يمكنه من كتاب الإيضاح من ذوق أدبي . لأن تلك الشروح والخواشى والتقارير تغطي عليه .

فأرى أن أنأى بقارى كتاب الإيضاح عن تلك الشروح والخواشى والتقارير بوضع تعليقات عليه تشتمل على ما يأتى :

١ - اختيار ما تلزم إضافته إليه . مما هو من صميم مسائل البلاغة من تلك الشروح والخواشى والتقارير . واختيار هذا من ذلك الخضم من المباحكات اللفظية ليس بالامر السهل ؛ لأنه يحتاج إلى فهم صحيح لها ، وإلى ذوق أدبي عيّن الصالح للاختيار من غيره .

٢ - شرح الشواهد النظمية شرحا موجزا ينسبها إلى قائلها ، ويفسر غريبها ويبين ما فيها من فوائد بلاغية . وموضع الشاهد فيها . ويعلم الله كم تعبت في ذلك كله ، ولا سيما في نسبتها إلى قائلها .

٣ - وضع عناوين كل باب من أبوابه لموضوعاته المختلفة ؛ ليسهل الرجوع إليها . ووضع تمرينات آخر كل موضوع منها للاختبار فيها . ولقيت طالب علوم البلاغة إلى أهم ناحية فيها .

٤ - نقد ما يجب نقده من مسائله . ولا سيما المسائل التي ينقلها عن
السكاكي . وفيها من التكاثرات والتعقيدات ما ينأى عن ذوق الادب
والبلاغة .

٥ - صياغة التعليقات في أسلوب لا يكون فيه تعقيد ولا تطويل
مميل . ولا إيجاز مُمِلٌ . حتى تكون ملائمة لذوق موضوعها من علوم
البلاغة وقد سميت ما وضعته من هذه التعليقات : بغية الإيضاح
للمختص المفتاح .

والله أسأل النفع بها . وأن تكون خطوة في هذه العلوم لما بعدها ؟

عبد المتعال الصعيدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة اريضاح :

قال الشيخ الإمام العالم العلامة خطيب الخطباء وفقى المسلمين جلال الدين أبو عبد الله محمد ، ابن قاضي القضاة محمد الدين أبي محمد عبد الرحمن ، ابن إمام الدين أبي حنيفة صهر الفزويني الشافعي ، متبع الله المسلمين بمحبته . وأحسن معةبته :

الحمد لله رب العالمين . وصلاته على محمد وعلى آل محمد أجمعين .
أما بعد . . فهذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها . ترجمته « بالإيضاح » وجعلته على ترتيب مختصر الذي سميت « تلخيص المفتاح » وبسطت فيه القول ليكون كالشرح له . فأوضحت مواضع المشكلة ، وفصلت معانيه المستحكمة وعمدت إلى ما خلا عنه المختصر بما تضمنه « مفتاح العلوم » وإلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله في كتابيه « دلائل الإعجاز » ، وأسرار البلاغة — وإلى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما . فاستخرجت مزبدة ذلك كله . وهديتها ورتبتها حتى استقر كل شيء منها في محله . وأضفت إلى ذلك ما أذكره لآيته فكري ، ولم أجده لغري . فجاء بحمد الله جاءها لا شتات هذا العلم ، وإليه أودع أن يجعله نافعا لمن نظر فيه من أولى الفهم ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

مقدمة

في الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة وانحصار علم البلاغة في علم المعاني والبيان (١)

الخلاف في تفسير الفصاحة والبلاغة :

للناس في تفسير الفصاحة والبلاغة أقوال مختلفة (٢) لم أجد فيما بانق منها ما يصلح

(١) إنما حصر علم البلاغة في علم المعاني والبيان لأن علم البديع يبحث في المحسنات التي تكون بعد رعاية وجوه البلاغة والفصاحة في الكلام. وقد تم الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة على بيان انحصار علم البلاغة في هذه العلوم ؛ لأن معرفة انحصاره فيما تنوق على الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة ، وبهذا كان صنيعه أحسن من السكاكي ؛ لأنه ذكر الكلام على الفصاحة والبلاغة في آخر علم البيان ، (٢) منها قول أكرم بن صبيح : «البلاغة الإيجاز ، وقول أرسطو : «البلاغة حسن الاستعارة ، وقول ابن المقفع : «البلاغة قلة الحصر ، والجرامة على البشر ، وقول بعضهم : «البلاغة تصوير الحق في صورة الباطل ، وتعبير الباطل في صورة الحق ، والأول كقول محمد بن عبد الملك الزيات : «الرحمة خسر في الطبيعة ، وضعف في المنة ، والثاني كقول الجارث بن حازم :

عيشى بحمد لا يضر ك النوك ما لا قيت جداً
والعيشى خير في ظلا ل النوك ممن عاش كذا

وأقوال المتقدمين كثيرة في البلاغة ، والظاهر أن جمهورهم لم يكن يفرق بينهما وبين الفصاحة . وقد نقل عن أفلاطون أن «الفصاحة لا تكون إلا لموجود . والبلاغة تكون لموجود ومفروض ، ولعله يعني بالموجود اللفظ ، والمفروض المعنى ، وقال العاصم بن عدي : «الشجاعة قلب ركين ، والفصاحة لسان رزين ،

لنحريهما به (١) ولا يشين إلى الفرق بين كون الموصوف بهما الكلام وكون الموصوف هما المتكلم ، فالأولى أن نقصر على تلخيص القول فيهما بالاعتبارين ، فنقول :

كل واحدة منهما تقع صفة لمعنيين : أحدهما الكلام ، كما في قولك « قصيدة فصيحة أو بليغة ، ورسالة فصيحة أو بليغة » والثاني المتكلم (٢) كما في قولك

وهو معنى باللسان اللفظ ، وبالزمن ما فيه نخامة وجوالة ، وقال بعضهم : الفصاحة تمام آلة البيان . وهي عنده مقصورة على اللفظ أيضاً ، لأن الآلة - وهي اللسان - تتعلق باللفظ دون المعنى .

(١) لأن هذه الأقوال يتصد منها ذكر أوصاف البلاغة والفصاحة ، ولا يقصد منها حقيقة الحد والرسم ، وقد قصد بعض العلماء بعد هذه الأقوال إلى حقيقة الحد والرسم ، فاقربوا ولم يصلوا إليهما ، ومنهم أبو هلال العسكري في - المنعنتين - فعرف البلاغة بأنها كل ما يُبلغ به المعنى قاب السامع لتذكره في نفسه فتذكره في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن . وذكر أنه اختلف في الفصاحة ، فقيل : إنها مأخوذة من قولهم : أفصح عما في لسانه إذا أظهره ، وعلى هذا ترادف البلاغة . وقيل : إنها تمام آلة البيان ، فلا يكونان مترادفين ، لأن الفصاحة تكون بحيلولة مقصورة على اللفظ ، وكذلك كان السكاكي في المفتاح ، كما سيأتي في كلامه عليهما .

(٢) يرى أبو هلال العسكري أن البلاغة من صفة الكلام لا المتكلم ؛ ولهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى بليغا ، إذ لا يجوز أن يوصف بصفة كان موضوعها الكلام ، وأما تسمية المتكلم بليغا فتوسع ، وحقيقته أن كلامه بليغ ، ثم كثرت استعمال ذلك حتى صار كالحقيقة ، ويرى أيضاً أنه لا يجوز أن يسمى فصيحاً ، لأن الفصاحة تتضمن معنى الآلة وهي اللسان ، هذا ، وقد اعتمد الخطيب في ذلك التقسيم على ما جاء في - حسن التوصل - لابن الشناء الحلبي ، وكذلك اعتمد عليه في كثير من الموضوعات الآتية في العلوم الثلاثة .

د شاعر بليغ أو فصيح ، وكاتب فصيح أو بليغ ، والفصاحة خاصّة تقع صفة
للمفرد فيقال د كلمة فصيحة ، ولا يقال — كلمة بليغة .

(فصاحة المفرد)

أما فصاحة المفرد فهي خلوصة من تنافر الحروف والغربة ومخالفة
القياس اللغوي .

فالتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق
بها (١) كما روى أن أعرابيا سأل عن ناقة فقال د تركتها ترعى الهممخض ، (٢) ومنه
ما هو دون ذلك ، كلفظ د مستشور ، في قول امرئ القيس :

(١) ذكر ابن الأثير أن المألوف في ذلك على الذوق الصحيح ، فما يعمده ثقيلًا
عسر النطق فهو متنافر ، سواء أكان ذلك من قرب مخارج الحروف أم من بعدها
أم من غيرهما ، وذكر ابن سنان النخاجي أن قرب المخارج يكون سببًا في قبح
اللفظ وبعدها يكون سببًا في حسنه ، وذلك غير صحيح ، لأن الكلمتين قد
تركبان من حروف واحدة وتكون إحداها ثنيلة دون الأخرى ، وذلك مثل
(علّم و ملّح) فالأولى خفيفة على اللسان ولا ينجو عنها الذوق بخلاف الثانية مع
اتحاد حروفهما ، وقد تتألف الكلمة من حروف متقاربة ولا ثقل فيها مثل (ذقته
بفمي) فالباء والفاء والميم أحرف شفوية متقاربة ولا ثقل فيها ، ولكنه مع هذا
لا يمكن إنكار ما لخارج الحروف وصفاتها وهيئة تأليفها من الأثر في خفة
الكلمة وثقلها ، وإنما حول على الذوق حونه لأنه لا يجرى على قاعدة معروفة ،
وقد زعم الزوزني أن في قوله تعالى — آية ٦٠ سورة يس (ألم أعهد إليكم يا بني
آدم) ثقلًا قريبًا من النفاي لقرب مخرج الهمزة والعين والهاء ، مع أن الكلمة خفيفة
في الذوق ، وهي سقطة من الوزن .

(٢) قيل إنه اسم شجر ، وقيل : إنه معايضة لا أصل لها . ومثله كل كلمة يجمع
فيها بين العين والحاء أو بين العين والحاء أو بين الجيم والصاد أو بين الجيم والقاف
أو بين الدال والزاى وبحو ذلك ، مثل رعت جشتى والظثن والشصاص ونحوها .

• غداثه مستشورات إلى العلا • (١)

والغرابه أن تكون الكلمة وحشية لا يظفر معناها (٢) فيحتاج في معرفته

(١) هو من قول حنبل بن حجر الكندي المعروف بأمرئ القيس في معانيه :
 وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كقنو النغلة المتشاكل
 غداثه مستشورات إلى العلا تمهل المدارى في مشى ومرسل
 وفرع المرأة شعرها ، والمثن الظهر ، والأثيث الكثير الشعر ، والقنو المنقود ،
 والمتشاكل المتراكم ، والغداث الذوائب ، والمستشورات المرتفعات ، والمدارى
 الأمشاط جمع مدوى ، والمثق المقتول ، والمرسل غير المقتول ، وسبب نقل
 « مستشور » توسط الشين المهموسة الرخوة بين التاء المهموسة الشديدة والزاي
 المهمجرة . ومثل مستشورات « اطلنحتم » في قول أبي تمام :
 قد قلت لمتا اطلنحتم الأمر وانبعثت عشواء تالية غيساً دهاريساً
 وكذلك « سويدواتها » في قول المتن :

إن الكريم بلا كرام منهم مثل القلوب بلا سويدواتها

وقد نشأ ثقلها من طولها ، وهي مفردة أيضاً لأنها مركب إضافي .

(٢) عدم ظهور المعنى ينشأ عن وحشية الكلمة . وهذه وحشيتها كونها غير
 مأنوسة الاستعمال عند العرب الخالص ، فلا يعول في ذلك على غيرهم من المحدثين
 الذين ظهروا بعد فساد اللغة ، ولا يريد على هذا التشابه القرآن وبجمله ، لأن المراد
 عدم ظهور المعنى الموضوع له ، والمعنى الوضعي في التشابه والمحمل ظاهر لا خفاء
 فيه ، وإنما الخفاء في مراد الله تعالى منهما ، وهذا التشابه في القرآن قوله تعالى
 آية ١٠٨ محمد (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) . ومنه في الحديث قوله ﷺ : « دَبَّرَ رَبُّنَا
 كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا » . ومنه في الشعر قوله أبي تمام :

وَهَرَتْ فَأَظْلَمَتْ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهَا وَأَضَاءُ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ ظَلَمَ

فالولة والظلمة والإضاءة ألفاظ ظاهرة المعنى ، ولكن البيت بجماعته يحتاج =

إلى أن ينقر عنها في كتب اللغة المبسوط ، كما روى عن عيسى بن عمر النحوي أنه
يقط عن حمار فاجتمع عليه الناس ، فقال : د ما لكم تكأ كأتم على تكأ كؤكم على
ذي جنة ١٩ أفتر قعرعوا عني ، أي اجتمعتم ، كففسحوا . أو يخرج لها وجه
بعيد (١) كما في قول العجاج :

* وقاحها وممرسنا مسرجا (٢) *

فإنه لم يُعرّف ما أراد بقوله د مسرجا ، حتى اختلف في تخرجه (٣) :

فهمه إلى استنباط ، ومراده أنها ولدت فأظلم ما بينه وبينها من جزعه لولها ،
وظهر له ما خفي عنه من حجبها له .

ولم أرى أن الغرابة وحدها لا تخل بفصاحة الكلمة ، وقد بينت هذا في كتابي
و البلاغة العالية ، وكذلك أرى أن ابتذالها لا يعيبها مادامت معاني الكلام جيدة ،
وهو ما اختاره ابن شرف القهرواني ، وعليه بعض نقاد الإنجليز الذين يرون أن
الابتذال يكون في الفسكرة لا في السكامة .

(١) إنما يلجأ عندهم على تخرجهما على وجه بعيد إذا وقعت من عربي عارف
باللغة ، لأنه لا يصح حمل كلامه على الخطأ ، والحق أن العربي قد يخطئ في لغته ،
وأن الحمل على الخطأ خير من تكاف ذلك التخرج البعيد .

(٢) هو لغبيد ألقه بن روبة التيمى السعدي المعروف بالعجاج من قوله :
أيام أهدته واضحا مفلجا أظرو براقا وطرفا أبرجا
ومقلة وحاجبا وزججا وقاحا وممرسنا مسرجا
والفاحم الشعر الشديد السواد ، والمرسن اسم لعل الرسن وهو أنف البعير
ثم أطلق ، وأريد به الأنف مطلقا على سبيل المجاز المرسل .
وقيل : إن الشاهد لروبة بن العجاج .

(٣) سبب اختلافهم أن مسرجا اسم مفعول من سرج - وصيغة فعل
تأتي للنسبة إلى مصدرها ، كما تقول « كرمته » بمعنى نسبته إلى الكرم ، ولما

ف قيل : هو من قولهم للسيوف **سُرَيْجِيَّةٌ** منسوبة إلى **قَيْن** يقال له **سُرَيْجٌ** ، يريد أنه في الاستواء والدقة كالسيوف **السُرَيْجِيَّة** . وقيل من **السراج** ، يريد أنه في البريق كالسراج . وهذا يقرب (١) من قولهم **دَسْرَجٌ** وجهه ، بكسر الراء : أي **هَمْسٌ** . و**سُرَج** الله وجهه : أي **مَهْجَلَةٌ** وحسنه .
ومخالفة القياس (٢) كما في قول الشاعر :

== كان هذا غير ممكن في **دَسْرَجٍ** ، تكلفوا له أصلاً ينسب إليه ، وهو السيوف **السُرَيْجِيَّة** أو **السراج** . وهذا إلى أن — **مسرجاً** — في قول العجاج بمعنى تشبيهه بالسراج أو السيوف **السُرَيْجِيَّة** ، وهو في أصل وضعه يدل على النسبة إلى أصله ، ولا يستفاد منه التشبيه إلا بتكلف . والحق أن أخذ من **السراج** لا غرابة فيه من جهة الاشتقاق والتشبيه : لأن الاشتقاق من الاسم الجامد قد جاء في كلام الغرب . كما في قول ابن المفسر :
وَبُرُودٌ مَدُتُّرَاتٌ وَتَقَرٌّ وَمُملَاءٌ مِنْ أَهْتَقِ السَّكَنَانِ

فالمراد في ذلك التشبيه ، أي : **برودٌ وتشقيها** .

(١) إنما كان قول العجاج قريباً من هذا الاستعمال ولم يكن منه . لأنه كما جاء في **دَسْرَجٍ** ، استعماله غريب أو **مُولَدٌ** ، والعجاج شاعر إسلامي ، فلا يقال في كونه إنما **مولدٌ** . والحق أن هذا الاستعمال من الغريب لا المولد ، لأن العجاج شاعر إسلامي ، ولكن غرابته لا تكون من غرابة التخريج على وجه بعيد ، وإنما هي من القسم الأول :

ومن الكلمات الغريبة **دَسْرَجِيَّةٌ** ، بمعنى **السوء الحظي** ، وهو **الابتشاك** ، بمعنى الكذب كما في قول الشاعر :

وما أرضى لمُتَعَلِّمَهُ بِحُكْمٍ إِذَا انْتَبَهَتْ نَوَومَهُ ابْتِشَاكاً

(٢) المراد به القياس اللغوي كما سبق ، ومخالفته بأن تكون الكلمة على خلاف ما ينبغي عن الواضع ، وقد خله بعضهم على القياس **السُرَيْجِيَّة** ، وهو خطأ . ==

الحمد لله العلى الأجل * (١)

فإن القياس : د الأجل ، بالإدغام .

وقيل : هي خلوصه عما ذكر ومن الكراهة في السمع : بأن تمتع الكلمة
ويتبرأ من سماعها كما يتبرأ من سماع الأصوات المفكرة . فإن اللفظ من قسّيل
الأصوات ، والأصوات منها ما تستلذ سماعه ، ومنها ما تكره سماعه .

== لأن مخالفة القياس العرف لا تخل دائماً بالفصاحة . إذ توجد كلمات كثيرة
فصيحة على خلافه . وذلك مثل آل وساء ويأبى وعور يمشور . ويدخل في
مخالفة القياس اللغوى كل ما تكره اللغة لأخذ لغوى أو صرفى أو غيرها . وذلك
كالمقراض في قول أبي الشيص :

وجناح مقصوص تحييف ريشته ريب الزمان تحييف المقرض
لأنه لم يسمع في كلامهم إلا مثقلاً لسيبويه . وكالآيم في قول أبي هبادة :
يشفق عليه الريح كل عشية حبيب الغمام بين بكر وأيم
لأنه وضعها مكان الثيب مع أن الآيم هي التي لا زوج لها ولو كانت بكراً .
وكحذف النون من دلسكن ، في قول النجاشي :
فأست بآئيه ولا أستطيعه ، ولاك أسقى إن كان مأوك ذا فضل
أراد دلسكن أسقى .

(٢) هو لأبي النجم للفضل بن قدامة المجمل من قوله في مطلع أرجونته :
الحمد لله العلى الأجل الواهب الفضل الكريم المجزل
والذى ألجأ إلى مك الإدغام ضرورة الشعر ، ولكن ذلك لا يمنع الإخلال
بالفصاحة ، لأن من الضرورات الشعرية ما هو مستقبح ، وقد روى مطلعها :
الحمد لله الواهب المجزل أعطى فلم يبخل ولم يبخل
فلا يكون فيه شاهد لمخالفة القياس ، ومنه قول الشاعر :
مهلأ أأذل قد جربت من خلقتى أنى أجود لأقوام وإن ضللتوا

كافظ د الجرشي ، في قول أبي الطيب :

* كريم الجرشي شريف النسب (١) *

أي كريم النفس ، وفيه نظر (٢) .

ثم علامة كون السكامة فصيحة أن يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم لها كثير (٣) ، أو أكثر من استعمالهم ما معناها (٤) .

فصاحة الكلام

وأما فصاحة الكلام فهي خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والاعتقيد ، مع فصاحتها (٥) .

(١) هو لأحمد بن الحسين الجعفي الكندي المعروف بأبي الطيب المتنبي ، من قوله في مدح سيف الدولة :

مباركك الاسم أغر اللقب كريم الجرشي شريف النسب

وقد أخذ الدسوقي في حاشيته على المختصر ، من قوله « شريف » أن سيف الدولة من بني العباس ، وهو خطأ ظاهر ، لأن سيف الدولة من تغلب :

(٢) وجه النظر أن الكراهة في السمع لا تكون إلا من تنافر حروف الكلمة أو بفراقتها ، فليست شيئاً آخر غيرهما ، والجرشي في بيت المتنبي تدخل في الفراقة .
(٣) هذا إذا لم يكن لها مرادف .

(٤) هذا إذا كان لها مرادف ، ولكن هذا يقتضي نفي الفصاحة عن مرادفها .
مع أن مراتب الفصاحة متفاوتة ، فلا مانع من أن يكون كل منهما فصيحاً ولو كان أحدهما أكثر استعمالاً ، فالأولى الاقتصاد على الشق الأول من هذه العلامة .

(٥) أي مع فصاحة الكلمات لأن فصاحة الكلمة شرط من فصاحة الكلام ، فلو خلا من الثلاثة واشتمل على كلمة غير فصيحة لم يكن فصيحاً ، وذلك كقول أبي الطيب :

مباركك الاسم أغر اللقب كريم الجرشي شريف النسب

كافي قولنا « ضرب غلامه زيدا » فإن رجوع الضمير

إلى المفعول المتأخر لفظاً ممنوع عند الجمهور ؛ لئلا يلزم رجوعه إلى ما هو متأخر
لفظاً ورتبة ، وقيل : يجوز (٢) كقول الشاعر :

جزى ربّه عنى عدىّ بن سحّام

جزاء الكلابِ العاويات ، وقد فُعل (٣)

وأجيب عنه بأن الضمير لمصدر « جزى » أى رب الجزاء ؛ كما فى قوله (٤) تعالى
(اعدّوا هو أقرب للتقوى) أى العدل .

والشأن : منه ما تكون الكلمات بسببه مقناهية فى الشغل على اللسان ،
وهى المنطق بها متتابعة ، كما فى البيت الذى أنشده الجاحظ :

(١) ضعف التأليف هو أن يكون تأليف الكلام على خلاف المشهور من
قواعد النحو ، وإنما قيد الخلاف بالمشهور من القواعد لأن خلاف المجمع عليها
خطأ لا ضعف تأليف .

(٢) هذا مقابل قوله « ممنوع عند الجمهور » فهو قول بعض النحاة أيضا ، وليس
قولا لبعض علماء البلاغة ، لأنهم متفقون على أن ذلك ضعف تأليف .

(٣) هو لزياد بن معاوية « المعروف بالناطقة الديباني » وقيل : إنه لابي الأسود
الدؤلى . وقيل : إنه مولد مهنوع ، وجزاء الكلاب : الضرب بالحجارة ، وجملة
« جزى ربه » دعائية ، يعنى أنه يدعو عليه بذلك وقد حقه الله دعاءه ، ولا يخفى
ما فى هذا من عدم التلاؤم ، والأولى أن يعود ضمير « فعل » إلى عدى ، والمراد
ما فعله معه من الإساءة إليه ، والحق أن هذا البيت ليس للناطقة ، وإنما هو
استنباه بقوله :

جزى الله عبسا عبسا آل بغيض

جزاء الكلابِ العاويات وقد فعل

(٤) آية ٨ سورة المائدة — وهذا قياس مع الفارق ، لأن الضمير فى الآية ظاهر العود
إلى العدل ، أما البيت فضميره ظاهر العود إلى عدى ، ولا داعى إلى تكلف عوده إلى الجزاء =

وقبر حرب بمكان فقير وليس قرب قبر حرب قبر (١)
ومنه ما دون ذلك ، كما في قول أبي تمام :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى وإذا ما لمسه لمته ومحمدى (٢)
فإن في قوله د أمدحه ، ثقلًا ما ، لما بين الحاء والهاء من التنافر (٣).
والتعقيد : ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به (٤). وله سببان :

== ومن ضعف التأليف وقوع ضمير الوصل بعد إلا ، في قول الشاعر :

وما علينا إذا ما كنت جارتنا ألا يجاورنا إلاك ديار
ومنه حذف د أن ، مع بقاء عملها ، كقول طرفة :

ألا أي هذا الزاجرى أحضر الوغى وأن أشبه اللذات هل أنت مغلدى
(١) هو فيما زعموا لبعض الجن ، وكان قد صاح على حرب بن أمية في فلاة
فأت بها ، والفقير : الخالى ، وهو مرفوع صفة لمكان على القطع ، أو خبر المبتدأ
وهو قبر ، والمعنى أنه مع مكانه قصر ، وفي هذا الوجه تكلف .

(٢) هو لحبيب بن أوس الطائى المعروف بـ د أبي تمام ، يمدح به موسى بن
إبراهيم الرافعى ، والورى : الخلق ، ولا يخفى نبوة الشطر الثانى عن المدح ولا سيما
مع د إذا ، المفيدة للتحقق ، وأخذ عليه أيضاً مقابلة المدح باللوم لا الهجاء ، ولعله
أراد أن ينزهه عنه .

(٣) الحق أنه لا تنافر في ذلك لأنه ثقل محتمل ، وقد جاء في قوله تعالى (فسبحه) .
وقيل إن الذى أوجب التنافر في البيت هو التكرير في قوله « أمدحه » مع الجمع
بين الحاء والهاء ، ومع هذا لا يقال إن هذا التعليل يقبل لو كان يتحدث عن تنافر
الحروف ، ولكنه يصدد الحديث عن تنافر الكلمات .

ومن تنافر الكلمات قول الشاعر :

وازور من كان له زائراً وعاف غافى العرف عرفانه

(٤) أى لا الموضوع له كائن الغرابة ، ولا يدخل في التعقيد المتشابه والجملة ؛ لأن

أخذهما ما يرجع إلى اللفظ . وهو أن يخل نظم الكلام (١) ولا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه ، كقول الفرسزدقي :

وما مثله في الناس إلا مثله كما أبو أمه حتى أبو أمه يقاربه

كان حقه أن يقول : وما مثله في الناس حتى يقاربه إلا ملك أبو أمه أبو ، فإنه مدح إبراهيم بن هشام بن إسحاق المخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان فقال : « وما مثله » يعني إبراهيم الممدوح في الناس حتى يقاربه ، أي أحد يشبهه في الفضائل (٢) . إلا « ملكا » يعني هشاماً « أبو أمه » أي أبو أم هشام ، « أبو » أي أبو الممدوح ، فالضمير في « أمه » للملك ، وفي « أبو » للممدوح ، ففصل بين « أبو أمه » وهو مبتدأ و « أبو » وهو خبره بـ « حتى » ، وهو أجنبي ، وكذا فصل بين « حتى » ويقاربه ، وهو نعت « حتى » ،

== عدم ظهور المراد فيهما ليس باختلال النظم أو نحوه مما يأتي ، وقد اختلف في دخول اللغز والمعنى في التعميد ، ف قيل : إنهما منه ، وقيل : إنهما من المحسنات البديعية إن كانت الدلالة فيهما ظاهرة للفظان ، وكل منهما قول يدل ظاهره على خلاف المراد ، ولكن اللغز يكون على طريق السؤال ، كقول الحريري في الميل :

وما ناكح أختين سرّاً وجهرةً وليس عليه في النكاح سبيل

(١) قد يكون اختلاله باجتماع أمور فيه توجب صعوبة الوصول إلى معناه ، وإن كانت جائزة في النحو ، وهذه الأمور كالنقد والتأخير والحذف والإضمار ونحو ذلك ، وبهذا يكون التعميد اللفظي غير ضعف التأليف ، ولكنهما قد يجتمعان في مثال واحد ، كما في بيت الفرزدق ، وينفرد ضعف التأليف في مثل « ضرب غلامه زيدا » ، وينفرد التعميد في مثل « إلا عمراً الناس ضارب زيد » بتقديم المفعول والمستثنى وتأخير المبتدأ ، وهذا جائز في النحو ، والأصل « زيد ضارب الناس إلا عمراً » .

(٢) هو لهام بن غالب التميمي المعروف بالفرزدق ، وقيل إن البيت ليس له .

(٣) فيقاربه في البيت بمعنى يضاهيه ويشبهه ، ويجوز أن يكون من قرب النسب .

وقد تم المستثنى على المستثنى منه ، فهو كما نراه في غاية التعقيد (١) .

فالكلام الخالي من التعقيد اللفظي ما سلم نظمه من الخلل ، فلم يكن فيه ما يضاف
الأصل من تقديم أو تأخير أو إضمار أو غير ذلك إلا وقد قامت عليه قرينة ظاهرة
لفظية أو معنوية ، كما سيأتي ذلك كله وأمثلة اللاحقة به .

والثاني ما يرجع إلى المعنى ، وهو ألا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول
إلى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهر (٢) كقول الجاسس بن الأحنف :
ما طلب بعد الدار عنكم لتقرؤوا وتسكب عيناى الدموع لتجمد (٣)

(١) جملة بعضهم على وجه لا تعقيد فيه ، فجعل الاستثناء من الضمير المستقر في
متعلق الجار والمجرور قبله ، وجعل قوله « حتى » خبر لقوله « أبو أمه » ، وكذلك
قوله « أبو » ، فهو خبر بعد خبر ، وبجملة ذلك صفة لقوله « ملكا » وكذلك جملة
« يقاربه » فهي صفة بعد صفة ، ويكون المعنى « إلا ملكا يقاربه أبو أمه حتى » ،
وهو أبو الممدوح ، ولا يخفى ما في الإخبار بحى من التهافت .

ومن التعقيد اللفظي قول أبي تمام :

ولقد نى الأحشاء من برحائها أن صار بابك جار مازيار

ثانيه في كبد السماء ولم يكن كائنين ثانٍ إذ هما في الغار

يريد أنه لم يكن كثنائي اثنين ، وقيل : إن « ثانيه » خبر ثان لصار ، و « ثان » اسم
« يكن » و « كائنين » خبره ، والأولى جعل « ثانيه » خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هو .

(٢) المعنى الأول : هو المعنى الأصلي ، والمعنى الذي هو لازمه هو المعنى
الجازي أو السكتائي .

(٣) قوله « وتسكب » بالرفع ، ونهجه بالعطف على « بعد » أو على « تقرؤوا »
وهم ، والحق أنه لا شيء في عطفه على « تقرؤوا » ، والسبب في قوله « ما طلب »
لمجرد التأكيد ، ومعنى الشطر الأول أنه يفارقه رجاء أن يغتم في سفره فيعود إليه
فيطول اجتماعه به .

كفى بسكب الدموع عما يوجبها الفراق من الحزن (١) وأصاب ، لأن من شأن
البكاء أن يكون كناية عنه ، كقولهم « أبكاني وأضحكني » أي ساءني وسرني . وكما
قال الخنيسلي :

أبكاني الدهر وما ربما أضحكني الدهر بما يرضي (٢)

ثم طرد ذلك في نقيضه ، فأواد أن يكفى عما يوجبها دوام التلاق من السرور
بالجمود ، لظنه أن الجمود خلوه العين من البكاء مطلقاً من غير اعتبار شيء آخر ،
وأخطأ (٣) لأن الجمود خلوه العين من البكاء في حال إرادة البكاء منها ، فلا يكون
كناية عن المسرة ، وإنما يكون كناية عن البخل ، كما قال الشاعر :

الآن حينئذ لم تجده يوم واسطٍ عليك بجاري دمعيها لجمود (٤)

(١) قيل : إنه لا حاجة إلى الكناية بسكب الدموع عن هذا ، لأنه يجوز أن
يراد به حقيقة .

(٢) هو لحيان بن المعل من شعراء الحماسة ، وقد كنى فيه بالبكاء الدهر له عن
إساءته ، وبأضحاكه له عن سروره .

(٣) أي في نظر علماء البيان ، وإن كان كلامه وجه من الصحة بأن يكون
استعمال جمود العين وهو يدسمها في خلوها من الدموع وقت الحزن مجازاً مرسل
علاقته بالزومية ، ثم استعماله في خلوها من الدموع مطلقاً مجازاً مرسل من استعمال
المقيد في المطلق ، ثم كنى به عن دوام السرور ، وفي ذلك من البعد والتعقيد بكثرة
الوسائل ما يجعله خطأ في نظر علماء البيان .

(٤) هو لأفلاج بن يسار وقيل مرزوق بن يسار المعروف بأبي عطاء الخراساني
في رثاء ابن هبيرة ، وبعده :

عشية قام النائمات ومشتقت جديوب بأيدي ماتم وخدود

وواسط : مدينة بالعراق بناها الحجاج بن يوسف ، وقد قتل ابن هبيرة في معركة
وقعت فيها ، وقد كنى فيه بجمود العين عن بخلها بالدمع في الوقت الذي يجب فيه أن تدمع =

ولو كان الجود يصلح أن يراد به عدم البكاء في حال المسرة لجاز أن يدعى به للرجل فيقال : لا زالت عينك جامدة ، كما يقال : لا أبكي الله عينك ، وذلك بما لا يشك في بطلانه ، ومن ذلك قول أهل اللغة : سنة جاد لا مطر فيها ، وناق جاد لا لبن لها ، فكما لا تجعل السنة والناق جاداً إلا على معنى أن السنة بخيلة بالقطر والناق لا تسخو بالدر ، لا تجعل العين جمدوداً إلا وهناك ما يقتضى إرادة البكاء منها ، وما يجعلها إذا بسكت محسنة موصوفة بأنها قد جادت وإذا لم تبك مسيئة موصوفة بأنها قد ضنّت .

فالكلام الخالي عن التعقيد المعنوي ما كان الانتقال من معناه الأول إلى معناه الثانى الذى هو المراد به ظاهراً ، حتى يختصّل إلى السامع أنه فهمه من حاقّ اللفظ (١) كما سيأتى من الأمثلة المختارة للاستعارة والكفاية .

وقيل : فصاحة الكلام هي خلوصه عما ذكر ، ومن كثرة التكرار وتتابع الإضافات ، كما في قول أبى الطيب :

سبوح لها منها عليها شواهد (٢)

= ومن التعقيد المعنوي قول أبى تمام :

من الحيف لو أن الخلاخل مصيّر لها وشعاً جالت عليها الخلاخل
أراد وصفها بدقة النقص فكفى عنه بأن الخلاخل لو جعلت لها وشعاً جالت عليها ، وهذا لا يدل على مراده ، بل يدل على بلوغها غاية النقص ، لأنه أمكن أن تكون الخلاخل وشعاً لها ، والشواح يضرب لها من العائق إلى الكشف .
(١) حاقّ الشيء : وسطه .

(٢) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتوفى في وصف فرسه :
وتسعدنى في غمرة بعل غمرة سبوح لها منها عليها شواهد
والغمرة : الشدة ، والسبوح : الحزينة ، والشواهد : العلامات ، وهو فاعل قوله ولها ، لاعتماده على الموصوف قبله أو مبتدأ مؤخر . والشاهد في كثرة الضمائر وتكرارها .

وفي قول ابن بابك :

* سماعة جرحاً نحومة الجندل اسجعى (١) *

وفيه نظر ؛ لأن ذلك إن أفضى باللفظ إلى التثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم (٢) ، وإلا فلا يخجل بالفصاحة ، وقد قال النبي ﷺ : « الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق ابن ابراهيم » (٣) .

قال الشيخ عبد القاهر (٤) : قال صاحب (٥) : إياك والإضافات المتداخلة فإنها لا تحسن ، وذكر أنها تستعمل ، في الهجوم ، كقول القائل :
يا علي بن حمزة بن همارة أنت والله ثلجة في خيارة (٦)

(١) هو لعبد الصمد منصور البغدادي المعروف بابن بابك من قوله :

سماعة جرحاً نحومة الجندل اسجعى

فأنت برأى من سمعاد ومسمع

والجرحاء : مؤنث الأجرج وهو المسكان ذو الرمل لا يندبت شيئاً ، ونحومة الشيء : معظيمة ، والجندل : الحجارة ، ومرأى ومسمع : اسماء مكان أى بمكان تراك منه سمعاد وتسمدك . والشاهد في إضافة سماعة إلى جرحاً ، وجرحاً إلى نحومة ، ونحومة إلى الجندل .

(٢) يعنى بالتنافر .

(٣) في الحديث كثرة تكرار وهى ظاهرة ، وفيه تتابع إضافات ، لأن الإضافات تشمل المتداخلة كما في قول ابن بابك ، وغير المتداخلة كما في الحديث ، والمتداخلة هى التى يضاف فيها الأول للثانى ، والثانى للثالث .

(٤) ٧٠ - دلائل الإعجاز - المطبعة العربية .

(٥) هو اسماعيل بن عبيد المعروف بالصاحب لصحبه ابن العميد .

(٦) لا يعرف قائله ، وفي قوله « ثلجة في خيارة » قلب ، والأصل خيارة في ثلجة ، واعترض على الخطيب بأنه سيذكر هذا البيت في الاطراد من أنواع البديع فكيف يعنيه هنا ؟ والحق أنه ليس فيه تتابع إضافات ، وإنما هذا اشتباه نظر =

ثم قال الشيخ : دولا شك في ثقل ذلك في الأكثر ، ولكنه إذا سلم من
الاستكراه ملج ولطف ، وما حسن فيه قول ابن المعتز أيضاً (١) :
وُظِلْتُ تدير الرَّاحَ أيدي جاذِرٍ عَتَقْتُ دَنَائِرَ الوجوه مِلَاحٌ (٢)
وما جاء فيه حسناً جميلاً قول الخالدي يصف غلاماً له :

ويعرفُ الشعرَ مثلَ معرفي وهو على أن يزيد جنته
وصيرفي القريضَ وزانُ ديدن المعاني الدقائق منتقد (٣)

(فصاحة المتكلم) وأما فصاحة المتكلم فهي كماكة يقتضيهما على التعبير عن
المقصود بلفظ نصيح ، فالملاكة قسم من مة قوله الكيف أي هي مة قارة لا تقتضي
قسمة ولا نسبة (٤) ، وهو يختص بذوات الأنفس راسخ في موضوعه .
وقيل ملاكة ، ولم يقتل صفة ليُشعر بأن الفصاحة من الهيئات الراسخة ،

= من عبد القاهر . وقد ترجم يا قوت لعل بن حمزة في الجزء الخامس من
معجم الأدباء .

(١) أي كما حسن فيما ذكره له قبل ذلك ، وهو قوله :

يا مسكة العطاسِ وسخال ونجد الزهار

(٢) هو لعبد الله بن المعتز . والراح : الخمر ، والمآذر : جمع جؤذر
وهو ولد البقرة الوحشية ، والعتاق : جمع عتيق بمعنى كريم ، وإضافة دناير إلى
الوجوه من إضافة المشبه به إلى المشبه ، والشاهد في قوله دعتاق دناير الوجوه .
(٣) هما لابي عثمان سعيد بن هاشم المعروف بالخالدي ، والصيرفي : المحتمل في
الأمور ، والقريض : الشعر ، والمنتقد : في الأصل الخبر بتميز الدرام ، ثم أطلق
على تميز الدرام وغيرها ، والشاهد في قوله دوزان دينار المعاني .

(٤) خرج بهذا القيد مقولة الحكم ، كالعدد ، وكذلك مقولة بالإضافة ،
كالأبوة ، وهذا تعريف فلسفي للكيفية ، وهي صفة وجودية إن اختصت بالذات
الناطقة فهي نفسانية ، فإن رُسِخت بتوالي أمثالها فهي ملاكة ، وهذا التعريف أليق
بعلوم البلاغة .

حق لا يكون المعبر عن مقصوده بلفظ فصيحاً فصيحاً إلا إذا كانت الصفة التي اقترن بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح راسخة فيه ، وقيل د يقتدر بها ، ولم يقل يُعبرُ بها ليشمل حالي النطق وعدمه ، وقيل د بلفظ فصيح ، ليسمى المفرد والمركب .

بلاغة الكلام : وأما بلاغة الكلام فهي مطابقتها لمقتضى الحال (١) مع فصاحته (٢) . ومقتضى الحال مختلف ، فإن مقتضيات (٣) الكلام متفاوتة ، فقام التشكيير ببيان مقام التعريف ، ومقام الإطلاق ببيان مقام التقييد ، ومقام التقديم ببيان مقام التأخير ، ومقام الذكر ببيان مقام الحذف ، ومقام القصر ببيان مقام خلافه ، ومقام النصل ببيان مقام الوصل ، ومقام الإيجاز ببيان مقام الإطناب والمساواة ، وكذا خطاب الذكر ببيان خطاب النقي ، وكذا لكل كلمة

(١) الحال : هو الأمر الداعي للتمكلم إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المراد خصوصية ما ، ومقتضى الحال : هو تلك الخصوصية ، ومطابقة الكلام له بمعنى اشتغاله عليه ، فإذا كان المخاطب ينكر قيام زيد مثلاً ، فإنسكاره حال يدعو المتمكلم إلى أن يحبر بقيامه ، وكذا د إن زيدا قائم ، وتأكيده الخبر هو مقتضى الحال .

(٢) فصاحته تكون بخلافه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد ، على ما سبق في بيان فصاحة الكلام ، وهذا قيد يخرج به كل كلام غير فصيح ، فلا يكون بليغاً وإن كان مطابقاً لمقتضى الحال . ويجب هندی أن يزداد فيها قيد آخر أي مع فصاحته وأصالة ، لأن المعنى إذا لم يكن أصيلاً لم يكن بليغاً ، على نحو ما يأتي في السرقات الشعرية آخر الكتاب ، وهذا يكون الكلام فيها هندی من علم المعاني .

(٣) المقامات : جمع مقام وهو اسم مكان من قام ، والمراد به الحال السابق ؛ وذلك أن البلاء كانوا يلقون خطبتهم وأشعارهم وهم قيام ، فأطلق المقام على الحال الداعي إليها لأنه سبب فيه .

مع صاحبيتها مقام (١) ، إلى غير ذلك ، كما سيأتى تفصيل الجميع .

وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول (٢) بمطابقته للاعتبار المناسب ، وانحطاطه : بعدم مطابقته له ، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب (٣) ، وهذا — أعنى تطبيق الكلام على مقتضى الحال — هو الذى يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم (٤) ، حيث يقول : النَّظْمُ تَأْخِيْتُ (٥) معانى النحو (٦) فيما بين الكلام على حسب الأغراض التى يصاغ لها الكلام .

(١) هذا كالفعل الذى يقترن بالشرط ، فله مع « إن » مقام ليس له مع « إذا » وهكذا . ومن ذلك ما روى أن رجلاً أنشد ابن هرمة قوله :

بِاللهِ رَبِّكَ إِنْ دَخَلْتَ فَقُلْ لَهَا هَذَا ابْنُ هَرْمَةَ قَائِماً بِالْبَابِ

فقال له : ما هكذا قلت ، أكنتُ أتصدق ؟ قال : فقاعداً . قال : أكنتُ أبول ؟ قال : فإذا ؟ قال : واقعاً ، أيتك علة ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى ، ولعل ابن هرمة يعنى من ذلك أن القيام يقتضى الدوام والثبوت بخلاف الوقوف ، تقول : وقف الحاج بعرفة . ولا تقول : قام .

وتحقيق هذا أن الألفاظ المركبة فيها جمال وقبح كالألفاظ المفردة ، حتى إنه قد يحدث أن يتألف الكلام من ألفاظ جميلة في ذاتها قبيحة في تركيبها لفقدها ما يسمى جمال الانسجام ، وهذا هو ما يمزون بقولهم : واسكل كلبة مع صاحبيتها مقام .

(٢) عطف القبول على الحسن ليدل على أن المراد الحسن الذاتى الداخلى في البلاغة لا الحسن العرضى الحاصل بالمحسنات البدعية .

(٣) أى الأمر الذى اعتبره المتكلم مناسباً بحسب السليقة أو بحسب ما عرفه من أساليب البلغاء .

(٤) ٥٥ — دلائل الإعجاز .

(٥) تأخيت الشيء تأخيرته وتبذعته .

(٦) يريد بمعانى النحو الخصوصيات التى هى مقتضى الحال من التقديم والتأخير =

فالبلاغة صفة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى عند التركيب (١) ، وكثيراً ما يسمى ذلك (٢) فصاحة أيضاً ، وهو مراد الشيخ عبد القاهر (٣) بما يكرره في « دلائل الإعجاز » من أن « الفصاحة صفة راجعة إلى المعنى دون اللفظ » كقوله في أثناء فصل منه: « علمت أن الفصاحة والبلاغة وسائر ما يجرى في طريقتهما أو صاف راجعة إلى المعاني ، وإلى ما يبدل عليه بالألفاظ دون الألفاظ أنفسهما » (٤) . وإنما قلنا صراحه ذلك لأنه صريح في مواضع من « دلائل الإعجاز » بأن فضيلة الكلام

== وغيرهما ، والأغراض في قوله « على حسب الأغراض » هي الأحوال الداعية إليها ، أو المعاني الثانوية التي يقصد من الخصوصيات إفادتها ، وقيل : إن عبد القاهر لا يقف في هذا بالنحو عند وظيفته التي قصر أخيراً عليها ، وهي الحكم بالصحة والخطأ في المعاني الأصلية ، بل يجعل له حكماً أيضاً في المعاني الثانوية ، ولهذا عرفه ابن جني بـ « بأنه دلتحاء كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره أيلتحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة » .

(١) أي لا باعتبار أنه لفظ وصوت ، ولا باعتبار الألفاظ المفردة والكلام المجردة ، والمراد بالمعنى الذي تعتبر به البلاغة المعنى الثانوي وهو مدلول الخصوصيات السابقة في علم المعاني ، والمعاني المجازية والكنائية في علم البيان ، أما المعنى الأصلي وهو مجرد ثبوت المسند للمسند إليه فلا تعتبر به البلاغة أصلاً ، وقد تطابق المعاني الثانوية على نفس الخصوصيات .

(٢) أي الوصف المذكور وهو للبلاغة ، وعلى هذا تكون مرادفة للفصاحة .

(٣) فهو يريد بالفصاحة في كلامه البلاغة ، لأن الفصاحة بمعناها السابق ترجع في التنافر والغرابة ومخالفة القياس والتعقيد اللفظي إلى اللفظ وحده ، ولا ترجع إلى المعنى إلا في التعقيد المعنوي ، وكذلك يريد من رجوع الفصاحة بمعنى البلاغة إلى المعنى أنها صفة اللفظ باعتبار المعنى ، ولا يريد أنها لا ترجع إلى اللفظ أصلاً .

(٤) ١٦٩ — دلائل الإعجاز .

اللفظ لا لمعناه ، منها أنه حتى قول من ذهب إلى عكس ذلك (١) فقال : فأنت شرار
لا يقصدكم شعراً حتى يكون قد أودع حكمة أو أدباً ، أو اشتمل على تشبيه غريب
ومعنى نادى (٢) ثم قال : د والامر بالاضد إذا جئنا إلى الحقائق وما عليه المحصلون ،
لأننا لا نرى متقدماً في البلاغة مبرزاً في شأوها إلا وهو يفكر هذا الرأي ، ثم
نقل عن الجاحظ في ذلك كلاماً منه قوله : د والمعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها
العجمي والعربي ، والقروبي والبدوي ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ
وسهولة المخرج ، وصحة الطبع ، وكثرة الماء ، وجودة السبك ، . ثم قال (٣) : د ومعلوم
أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة ، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه
سبيل الشيء الذي يقع التصوير فيه ، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم وأسوار ،
فكما أنه محتمل إذا أردت النظر في صيرغ الخاتم وجودة العمل وردائه أن تنظر
إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل ، كذلك
محتمل إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في وجود
معناه ، وكما لو فضلنا خاتماً على خاتم بأن تكون فضة هذا أجود أو فضة أنفس
لم يكن تفضيلاً له من حيث هو خاتم ، كذلك يذوق إذا فضلنا بيتاً على بيت
من أجل معناه ألا يكون ذلك تفضيلاً له من حيث هو شعر وكلام . وهذا
لفظه ، وهو صريح في أن الكلام من حيث هو كلام لا يوصف بالفضيلة باعتباره
شرف معناه ، ولا شك أن الفصاحة (٤) من صفات الفاضلة ، فلا تكون راجعة
إلى المعنى ، وقد صرح فيما سبق بأنها راجعة إلى المعنى دون اللفظ ، فالجمع بينهما بما
قدمناه يحمل كلامه ، حيث نفى أنها من صفات اللفظ ، على نفي أنها من صفات

(١) عكسه هو أن فضيلة الكلام للمعنى لا اللفظ .

(٢) ١٦٤ - دلائل الإعجاز .

(٣) ١٦٦ - دلائل الإعجاز .

(٤) يريد من الفصاحة ما يرادف البلاغة ، جرياً على مذهب عبد القاهر .

المفردات من غير اعتبار التركيب^(١) ، وحيث أثبت أنها من صفاته على أنها من صفاته باعتبار إفادته المعنى عند التركيب^(٢) .

والبلاغة طرفان : أهلى ، إليه تنتهى ، وهو حد الإعجاز وما يقرب منه^(٣) . وأسفل ، منه تبعدى^(٤) وهو ما إذا غيّر الكلام عنه إلى ما هو دونه التحقق عند البلاغ بأصوات الحيوانات ، وإن كان صحيح الإعراب . وبين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة .

وإذ قد عرفت معنى البلاغة فى الكلام وأقسامها ومرتبتها ، فاعلم أنه يتبعها وجود كثيرة^(٥) غير راجعة إلى مطابقة مقتضى الحال ولا إلى الفصاحة ، توريث الكلام حسنا وتجيلا^(٦) .

(١) أى من غير اعتبار ما يفيد التركيب من المعانى الثانوية .
(٢) فالمعنى الذى أرجع الفصاحة إليه هو المعنى الثانوى باعتبار استنفادته من اللفظ عند التركيب . والمعنى الذى نفي البلاغة عنه هو المعنى الاصلى للفظ المفرد والكلام المجرد عن الخصوصيات .

(٣) حد الإعجاز معتناه ، لأن الحد فى اللغة مقتضى الشيء ، وما يقرب من الإعجاز هو ما دونه من مراتب الإعجاز ، لأن الحق أن القرآن متفاوت الإعجاز وليس كل آياته فى درجة واحدة من البلاغة ، وبهذا يكون قوله « وما يقرب منه » معطوفاً على حد الإعجاز ، وقيل : لأنه معطوف على قوله « وهو » على معنى أن حد الإعجاز هو الطرف الأهلى وما يقرب منه كما قال السكاكى ، ولكن نحل ما هنا عليه لا يخلو من تكلف .

(٤) من العلماء - كالفخر الرازى - من يرى أن هذا ليس من البلاغة ، فيالحق بأصوات الحيوانات أيضاً ، والحق أنه منها لأنه لا بد من اشتماله على خصوصية ما ، فيدخل فى تعريف البلاغة .

(٥) هى المحسنات البديعية الآتية فى علم البديع .

(٦) المراد بالقبول هنا ما يرادف الحسن ، لا القبول بمعنى الصحة ، لعدم توقف صحة الكلام عليها .

بلاغة المتكلم : وأما بلاغة المتكلم فهي ملكة يُقتدر بها على تأليف كلام بليغ .

حصر علوم البلاغة : وقد عُلِمَ بما ذكرنا أمران :
أحدهما : أن كل بليغ — كلاماً كان أو متكلماً — فصيح ، وليس كل فصيح بليغاً (١) .
الثاني : أن البلاغة في الكلام مَرَجِعُهَا إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد (٢) وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره (٣) . والثاني — أعني التمييز — منسب ما يقيين في متن اللغة أو التعريف أو النحو أو يدرك بالحس وهو ما عدا التعقيد المعنوي (٤) ، وما يستتر به عن الأول — أعني الخطأ — هو علم

(١) ما هو فصيح وليس بليغ قول نصيب :
فإن أصلي أصلك وإن تعودى ليجر بعدي وصلك لا أهالي
لأنه نسيب ردي ، ومنه أيضاً قول جميل :
فسلو تركت عقلى معى ما طلبتها ولكن طلبها لما كنت من عقل
زعم أنه يهواها لذهاب عقله ، وأنه لو كان عاقلاً ما طلبها ، وأين هذا من قول بعضهم :

وما سرني ألقى سخيلى من الهوى ولو أن لي من بين شرقي إلى غربي
فإن كانت هذا الحب ذنب إليكم فلا غفر الرحمن ذلك من ذنبي
(٢) هو المعنى الثانوي ، والاحتراز عن الخطأ فيه بمراعاة مقتضى الحال .
(٣) لأن الفصاحة شرط في البلاغة كما سبق ، وتميز ذلك يكون بمعرفة الأمور المخالفة بالفصاحة من التنافر والغرابة ومخالفة القياس وضعف التأليف وغير هذا مما سبق .
(٤) ما عدا التعقيد المعنوي ، هو الغرابة ومخالفة القياس وضعف التأليف والتعقيد اللفظي والتنافر ، والأول يعرف بعلم متن اللغة ، والثاني بالتعريف وغيره لأنه لا يختص به ، والثالث والرابع بالنحو ، والخامس يدرك بالحس والذوق ، وبهنا تتوقف علوم البلاغة على هذه العلوم ، وعلى تربية الحس والذوق بمطالعة كلام العرب ،

المعاني . وما يَحْتَرِزُ به عن الثاني — أعني التعقيد المعنوي — هو علم البيان .
وما يُعْتَرَفُ به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال
وفصاحته هو علم البديع (١) . وكثير من الناس يُسمِّي الجميع علم البيان (٢) ،
وبعضهم يسمي الأول علم المعاني ، والثاني والثالث علم البيان ، والثلاثة :
علم البديع (٣) .

(١) بهذا تنحصر علوم البلاغة في العلوم الثلاثة ، وإنما لم تجعل علوم اللغة
والتصريف والنحو من علوم البلاغة مع توفيق الفصاحة عليها أيضاً ، لأنها مقصود
لأغراض غير الفصاحة ، ومعرفة بعض نواحي الفصاحة منها تأتي بطريق العَرَضِ .
(٢) لأن البيان هو المنطق الفصيح المَعْرِب عما في الضمير ، وهذه العلوم لها
تعلّق بالكلام الفصيح تصحيحاً وتحسيناً .

(٣) لما ابتدأ مباحثها ، أو لأنها يعرف بها أمور ممتدعة بالنسبة إلى تأدية
أصل المراد الذي يعرفه الخاصة والعامة . والظاهر أن الذي يسمى الثلاثة علم البديع
بعض آخر غير من ذهب إلى ما قبله .

تمرينات على الفصاحة والبلاغة

تمرين - ١

- ١ - وازن بين هذين البيتين من جهة الفصاحة :
لا يرفقحُ الناسُ ما أودعت أكنفهمُ
عند الدفاح ولا يوهون ما رقعوا
فلا يبرمُ الأمرُ الذي هو حاله
ولا يميللُ الأمرُ الذي هو مبرمُ
٢ - بيتين ما في هذا البيت مما يخلُ بالفصاحة :

وكشوة كرقيش المشرقة رفسه فاشيا معه يشكونه ومعا شره

تمرين - ٢

- ١ - قال بعض الشعراء :
مخلص البلاد من الغزاة ليلتها فاعاضهاك الله كي لا تحزنتم
وقال آخر :
فكشواكم أمتى ما تى أيدى فكنل فعال كلكتكم معجابه
فبين ما فهما مما يخل بالفصاحة .
٢ - لماذا كان عود الضمير على متأخر لفظاً غير منخل بالفصاحة في قول الشاعر :
جاء الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربّه موسى على قنبر
وكان منخلها في قول الآخر :
ولو أن مجدأ أحلشد الدهر واحدأ من الناس أبقي سجده الدهر مطعما

تمرين - ٣

- قال الأخطل في مدح عبد الملك بن مروان :
وقد جعل الله الخلافة مشهم لا بلج لا عارى الخوان ولا جدى

فأخذ هذا عليه ، فبين ما ترجع إليه هذه المؤاخذه من البلاغة أو الفصاحة .

تمارين — ٤

- ١ — من أى النعقدين قول الشاعر :
أنتى يكون أبا البرايا آدم وأبوك والثقة لأن أنت مسمد
 - ٢ — قال قاض لرجل خاصته امرأة : د أن سالتك ثمن شكرها وشبرك
أخذت تطيلها وتضيقها .
- فبين ما فيه مما يخل بالفصاحة والبلاغة .

تمارين — ٥

- ١ — لماذا لم تعد علوم اللغة والتصريف والدحو من علوم البلاغة مع توقف
الفصاحة عليهما ؟
- ٢ — ما الفرق بين القياس اللغوى والصرفي ؟ وأيها يخل مخالفته بالفصاحة ؟
- ٣ — ما الذى يرجع إلى اللفظ من الفصاحة ؟ وما الذى يرجع منها إلى المعنى ؟

تمارين — ٦

- ١ — واذن بين لفظ وشئ ، من جهة البلاغة فى هذه الآيات :
ومن مالى عينيه من شئ غيره إذا راح نحو الجمرة البيضاء كالدثى
إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة تقاضاه شئ لا يعمل التقاضيا
لو الفلستك الدواؤ أبضت سعيته لوفه شئ عن الدودان
- ٢ — أى الأمرين أنفع : جمع علوم البلاغة تحت اسم واحد ، أم توزيع
مسائلها على علومها الثلاثة ؟

الفن الأول : علم المعاني

تعريف علم المعاني : هو علم يعرف به أحوال اللفظ الذي بها يطابق مقتضى الحال (١). قيل : يعرف ، دون : يعلم ، رعاية لما اعتبره بعض الفضلاء من تخصيص العلم بالكليات والمعرفة بالجزئيات ، كما قال صاحب

(١) المراد بأحوال اللفظ ما يشمل أحوال الجملة وأجزاءها ، فأحوال الجملة : كالفصل ، والوصل ، والإيجاز ، والإطناب ، والمساواة . وأحوال أجزائها : كأحوال المسند إليه ، وأحوال المسند ، وأحوال متعلقات الفعل ، وهذه الأحوال هي التي يقتضيها الحال في اللفظ ، فهي بعينها مقتضى الحال ، وهذا يكون في التعريف تهاوت ظاهر ، ويمكن أن يجاب عنه بأنه نظر إليها أولاً من حيث ذاتها لا من حيث أنها مقتضى حال ، وإنما قيد أحوال اللفظ بما يطابق بها مقتضى الحال لتخرج الأحوال التي ليست بهذه الصفة ، كالإعلال والإدغام والرفع والنصب وغير ذلك مما لا بد منه في تأدية المعنى الأصلي ، وكذلك السنوات البدئية لأنها تكون بعد رعاية المطابقة ، ويخرج أيضاً علم البيان لأنه لا يبحث فيه عن أحوال اللفظ من هذه الجهة . وقد تبحث أبوابه من هذه الجهة فيكون ذلك من علم المعاني ، كما قال الأختل في مدح عبيد الملك ابن مروان :

وقد جعل الله الخلقة منهم
لأبلغ لا حار الخوان ولا جدد
فمكن بهذا من كرمه ، وهو لا يليق في مدح الملوك ، وإنما تمدح الملوك بمثل قول الشاعر :

له مسمى لا ينتهي لكبارها
وهو من الصغرى أجل من الدهر

هذا وبعض الأحوال التي يبحث عنها في علم المعاني قد يبحث عنها في علم النحو كالتذكير والجنس ، ولكن علم النحو يبحث عنها من جهة صحتها وفسادها ، أما علم المعاني فيبحث عنها لبيان الأحوال التي يرجع بعضها على بعض ، فلا تظهر المازية فيها لما إذا احتل الكلام وجهاً غير الوجه الذي جاء عليه فيكون الحال مرجعاً له .

القانون^(١) في تعريف الطب : الطب علم يعرف به أحوال بدن الإنسان . وكما قال الشيخ أبو عمرو^(٢) رحمه الله : والتصريف علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية السكك .

وقال السكاكي^(٣) : علم المعاني هو تشييع خواص^(٤) تراكييب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره^(٥) ليحتز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره . وفيه نظر ، إذ التبع ليس بعلم ولا صادق عليه ، فلا يصح تعريف شيء من العلوم به ، ثم قال . د وأنى تراكييب تراكييب البلاء . ولا شك أن معرفة البليغ من حيث هو بليغ متوقفة على معرفة البلاغة ، وقد عرفها في كتابه^(٦) بقوله : « البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكييب حقها^(٧) وإيراد أنواع التشبيه والجاز والسكناية على وجهها ، (٨) . فإن أراد بالتراكييب في حد البلاغة تراكييب البلاء

(١) هو كتاب في الطب للحسين بن عبد الله المعروف بابن سينا .

(٢) هو عثمان بن عمرو المعروف بابن الحاجب صاحب الشافية - في التصريف .

(٣) ٨٦ - المفتاح . . المطبعة الادبية .

(٤) المراد بها أحوال اللفظ في تعريف الخطيب .

(٥) غير الاستحسان هو الاستهجان ، ويريد بذلك أن تراكييب الكلام لها خواص مستحسنة وخواص مستهجنة وكل منهما يبحث في علم المعاني .

(٦) ٢٠٨ - المفتاح .

(٧) هذا يكون بإيرادها مطابقة لمقتضى الحال .

(٨) بأن تكون خالية من التعقيد المعنوي ، وبهذا يرجع عنده علم البيان إلى البلاغة لا إلى الفصاحة كما ذكر الخطيب في المقدمة ، ولما لم يقيد تعريف البلاغة بفصاحة الكلام ليحتز به عن غير التعقيد أيضاً كما سبق في تعريفها ، لأنه يرى

.. وهو الظاهر - فقد جاء الدور (١) وإن أراد غيرها فلم يبينه ، على أن قوله :
وغيره ، مبهم لم يبين مراده به (٢) .

أبواب علم المعاني

ثم المقصود من علم المعاني منهصر في ثمانية أبواب :
(أولها) : أحوال الإسناد الخبري . (وثانيها) : أحوال المسند إليه .
(وثالثها) : أحوال المسند . (ورابعها) : أحوال متعلقات الفعل .
(وخامسها) : القصر . (وسادسها) : الإنشاء . (وسابعها) : الفصل والوصل .
(وثامنها) : الإيجاز والإطناب والمساواة .
ووجه المنصر أن الكلام إما خبر أو إنشاء ، لأنه إما أن يكون لنسبته خارج (٣)
تطابقه أو لا تطابقه ، أو لا يكون لها خارج ، الأول الخبر ، والثاني الإنشاء ، ثم
الخبر لا بد له من إسناد ومسند إليه ومسند ، وأحوال هذه الثلاثة هي الأبواب
الثلاثة الأولى . ثم المسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلا أو متعللا به أو في
معناه (٤) كاسم الفاعل ونحوه ، وهذا هو الباب الرابع . ثم الإسناد والتعلق كل
واحد منهما إما يكون بقصر أو بغير قصر ، وهذا هو الباب الخامس . والإنشاء
هو الباب السادس . ثم الجملة إذا قرئت بأخرى فتكون الثانية إما معطوفة على
الأولى أو غير معطوفة ، وهذا هو الباب السابع . ولفظ الكلام البليغ إما زائد على
أصل المراد الفائدة أو غير زائد عليه ، وهذا هو الباب الثامن .

-
- == أنها غير لازمة لها ، وسيأتي زيادة بيان لهذا في آخر علم البيان .
- (١) لأن معرفة البلاغة على هذا تتوقف على معرفة البلغاء ، مع أن معرفة
البليغ من حيث هو بليغ متوقفة على معرفة البلاغة .
- (٢) يجاب عنه بأنه سبق بيان مراده به ، فلا شيء عليه فيه ، ومع هذا أرى
أن تعريف السكاكي ركيب العبارة ، وأنه كان الأجدر بالحليب إعماله .
- (٣) المراد بالخارج الواقع ونفس الأمر ولو لم يكن له وجود خارجي .
- (٤) يريد بالمتصل بالفعل : اسم الفاعل واسم المفعول ونحوهما ، ويريد بما في معنى
الفعل : المصدر ؛ لأنه يدل على الحدث كالفعل .

تلميح

انحصار الخبر في الصادق والكاذب : اختاف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب (١) فذهب الجمهور إلى أنه منحصر فيهما ، ثم اختلفوا ، فقال الأكثر منهم : صدقه مطابقة حكمه للواقع ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له ، هذا هو المشهور ، وعليه التعويل .

وقال بعض الناس (٢) : صدقه مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر صواباً كاذباً أو خطأ ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له (٣) واحتجّ بوجهين :

أحدهما أن من اعتقد أمراً فأخبر به ثم ظهر خبره بخلاف الواقع يقال « ما كذب ، ولكنه أخطأ » كما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت في حديث شأبه كذلك : « ما كذب ، ولكنه وهم » . وردّ بأن المنفي تنعشيد الكذب ، لا الكذب ، بدليل تنعشيد الكاذب كالمودى إذا قال « الإسلام باطل » وأصديقه إذا قال « الإسلام حق » ، فقولها « ما كذب » متأول بـ « ما كذب عبداً » .

الثاني قوله (٤) تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَذِبُونَ ﴾ كذبهم في قولهم ﴿ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ وإن كان مطابقاً للواقع ، لأنهم لم يعتقدوه ، وأجيب عنه بوجه : أحدها أن المعنى (٥) نشهد شهادة واطأت فيما قلوبنا السنتنا كما يترجم

(١) مثل هذا لا يصح الاشتغال به في علوم البلاغة ، لأنه لا فائدة فيه .

(٢) هو إبراهيم بن سيار المعروف بالنظام .

(٣) أي لاعتقاده ، وهذا بأن يكون له اعتقاد يخالفه أو لا يكون له اعتقاد

أصلاً ، فيدخل خبر الشاك عند النظام في الكذب ، ويكون من يقول — محمد رسول — وهو شاك فيه ، كاذباً عنده ، وهو صادق عند الجمهور ، وقيل : إن خبر الشاك ليس خبراً ، فهو خارج عن المقسم ، ولكن هذا لا يأتي مع ما سيأتي عن الجاحظ .

(١) آية ١ سورة المنافقون .

(٥) يزيد معنى قولهم ﴿ نشهد إنك لرسول الله ﴾ .

عنه : إن واللام وكون الجملة اسمية (١) في قولهم (إنك لرسول الله) ، فالتكذيب في قولهم (أشهد) وادعائهم فيه المواطأة ، لا في (إنك لرسول الله) . وثانيهما أن التكذيب في أسميتهم إخبارهم بشهادة لأن الإخبار إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة ، وثالثها أن المعنى لسكاذبون في قولهم (إنك لرسول الله) عند أنفسهم ، لا اعتقادهم أنه خبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (٢) .

وأنتكر الملاحظ انحصار الخبر في القسمين ، وزعم أنه ثلاثة أقسام : صادق ، وكاذب ، وغير صادق وكاذب ، لأن الحكم إما مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر له أو عكسه (٣) وإما غير مطابق مع الاعتقاد أو عكسه (٤) . فالأول أى المطابق مع الاعتقاد (٥) هو المصدق . والثالث أى غير المطابق مع الاعتقاد (٦) هو المكاذب ، والثاني والرابع أى المطابق مع عدم الاعتقاد (٧) وغير المطابق مع عدم الاعتقاد (٨) كل منهما ليس به صادق ولا كاذب (٩) . فالصدق عنده مطابقة

(١) لأن كل واحد من الثلاثة يفيد تأكيد الخبر كما سيأتي .

(٢) فيكون الكذب راجعا إلى الواقع في زعمهم كعليه الجمهور ولا إلى الاعتقاد ، وهى هذا يكون التكذيب في المسمود به لا في الشهادة كما في الوجه الثاني .

(٣) أى مع اعتقاد المخبر بأنه مطابق أو عدم اعتقاده بأنه مطابق .

(٤) أى مع الاعتقاد بأنه غير مطابق أو عدم الاعتقاد بأنه غير مطابق .

(٥) بأنه مطابق . (٦) بأنه غير مطابق .

(٧) بأنه مطابق ، وعدم الاعتقاد بهذا تحته صورتان : ألا يكون عنده اعتقاد

أصلا ، وأن يكون عنده اعتقاد بأنه غير مطابق ، والصورة الأولى تأتي في خبر الشاك ، والثانية كقول المنافق « محمد رسول الله » .

(٨) بأنه غير مطابق ، وعدم الاعتقاد بهذا تحته صورتان أيضا : عدم الاعتقاد

أصلا ، والاعتقاد بأنه مطابق ، كقول الكافر — محمد غير رسول .

(٩) هذا يكون بين الصادق والكاذب واسطة عند الملاحظ بخلاف الجمهور والنظام

الحكم للواقع مع اعتقاده ، والكذب عدم مطابقتها مع اعتقاده ، وغيرهما ضربان : مطابقتها مع عدم اعتقاده ، وعدم مطابقتها مع عدم اعتقاده ، واحتج بقوله (١) تعالى : (أَمْسِرْ عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ) فإنهم حصرُوا دعوى النبي ﷺ الرسالة في الافتراء والإخبار حال الجنون ، بمعنى امتناع الخلو (٢) وليس إخباره حال الجنون كذباً ، لجهلهم الافتراء في مقابلته ، ولا صدقاً لأنهم لم يعتقدوا صدقه ، فثبت من الخبر ما ليس بصادق ولا كاذب . وأجيب عنه بأن الافتراء هو الكذب عن عمد ، فهو نوع من الكذب ، فلا يمتنع أن يكون الإخبار حال الجنون كذباً أيضاً ، لجواز أن يكون نوعاً آخر من الكذب ، وهو الكذب لا عن عمد ، فيكون التقسيم للخبر الكاذب لا للخبر مطلقاً ، والمعنى أفترى أم لم يفتر ؟ وعبر عن الثاني بقوله : (أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ، لأن الجنون لا افتراء له (٣) .

تلمية آخر

وهو ما يجب أن يكون على ذكر الطالب لهذا العلم ، قال السكاكي : (٤) . ليس من الواجب في صناعة ، وإن كان المرجع في أصولها وتفاريدها إلى مجرد العقل ، أن يكون الدخيل فيها كالناشيء عليها في استفادة لذوق منها ، فكيف إذا كانت الصناعة مستندة إلى تحركات وضعية ، واعتبارات لافية ، فلا حل الدخيل في صناعة علم المعاني أن يقلد (٥) صاحبه في بعض أحواله إن فاته الذوق هناك ، إلى

(١) آية ٨ — سورة سبأ .

(٢) أي والجمع ؛ لأن قوله « وليس إخباره حال الجنون كذباً » يدل على أنها مانعة جمع أيضاً . ولو كانت مانعة خلو فقط لجاز أن يكون إخباره حال الجنون كذباً ، لأن مانعة الخلو تجوز الجمع ، فلا تلبيت الواسطة بين الصدق والكذب .

(٣) رأي في هذه الخلافات بعد الانتهاء منها أنها خلافات لا طائل تحتها .

(٤) ص ٩٠ المفتح .

(٥) خبر له هندي ألا يقلد في ذلك إلى أن يتربى له الذوق فيذوق بنفسه .

أن بتكامل له على كمال موجبات ذلك الذوق .

وكثيراً ما يشهد الشيخ عبده الفاهر في دلائل الإعجاز ، إلى هذا ، كما ذكر في موضع (١) ما تلخيصه هذا : واعلم أنه لا يصادف القول في هذا الباب موقفاً من السامع ، ولا يجد لديه قبولاً ، حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة ، ومن تحدته نفسه بأن لما تروى إليه من الحسن أصلاً ، فيختلف الحال عليه عند تأمل الكلام ، فيجد الأريحية مارة ، ويعرى منها أخرى ، وإذا عجزت تبهرت ، وإذا نهته لموضع المزية انتبه ، فأما من كان الحالان (٢) عنده على سواء ، وكان لا يتفقد من أمر النظم إلا الصعوبة المطلقة ، وإلا إعراباً ظاهراً ، فليكن عندك بمنزلة من عدم الطبع الذي يدرك به وزن الشعر ، ويميز به مراحفه من سائمه ، في أنك لا تتصدى لتعريفه ، لعلمك أنه قد عدم الأداة التي بها يعرف (٣) . واعلم أن هؤلاء وإن كانوا هم الآفة العظمى في هذا الباب ، فإن من الآفة أيضاً من زعم أنه لا سبيل إلى معرفة العلة في شيء ما تعرف المزية فيه ، ولا يعلم إلا أن له موقفاً من النفس وسخطاً من القبول (٤) ، فهذا يتسوا فيه في حكم القائل الأول (٥) . واعلم أنه ليس إذا لم يكن معرفة الكل وجب ترك النظر في الكل ،

== لأن التقليد مذموم في كل علم ، على أن دعواه أن هذه الصناعة مستندة إلى تحككات وضعية لا تصح في علم المعاني ، وإنما تصح في علم النحو ، كما ذكره ابن الأثير في المثل السائر .

(١) ١٩٠ ، ١٩١ - دلائل الإعجاز .

(٢) يعني الحال التي توجب الأريحية والحال التي تعرى منها .

(٣) هجد الفاهر في هذا يخالف السكاكي في تجويذه التقليد عند تعذر المرددة .

(٤) فلا يعرف لذلك علة وسبباً ، لأنه لا سبيل إلى معرفة ذلك عنده ، وإنما

هو ذوق لا خير .

(٥) هو من كانت الحالان عنده على سواء .

ولأن تعرف العلة في بعض الصور فتجعله شاهداً في غيره أخرى من أن مسد باب المعرفة على نفسك ، وتعودها السكسل والمؤيضي. قال الجاحظ : وكلام كثير جرى على ألسنة الناس وله مضرة شديدة ، وثمرة مزرعة ، فمن أخضر ذلك قولهم : ولم يدع الأول للآخر شيئاً . . فلو أن علماء كل عصر مذكروا هذه الكلمة في أسماعهم تركوا الاستنباط لما لم يثبتوا إليهم عز قباهم ، لرأيت العلم مختلاً .

القول في أحوال الإسناد الخبري

أغراض الخبر : من المعلوم لكل عاقل أن قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب إما بنفس الحكم ، كقولك « زيد قائم » ، لمن لا يعلم أنه قائم ، ويسمى هذا (١) فائدة الخبر ، وإما كون المخبر عالماً بالحكم ، كقولك لمن زيد عنده ولا يعلم أنك تعلم ذلك : « زيد عندك » ، ويسمى هذا (٢) : لازم فائدة الخبر .

(١) اسم الإشارة يعود إلى إفادة المخاطب نفس الحكم ، لأن هذا هو الذي يسمى فائدة الخبر ، وقيل لأنه يعود إلى نفس الحكم ، ورد بأن الحكم ركن من أركان الخبر ، وفائدة الشيء لا تكون جزءاً منه ، وهذه الفائدة هي المقصد الأول من مقاصد الإسناد الخبري .

(٢) أي كون المخبر عالماً بالحكم ، وإنما يسمى هذا لازماً فائدة الخبر ، لأنه يلزم من إفادة المخاطب الحكم إفادته أن عنده علماً أو ظناً به ، ولأزم فائدة الخبر هو المقصد الثاني من الإسناد الخبري .

وللإسناد الخبري مقاصد وأغراض أخرى : منها إظهار التحسر ، كما في قوله تعالى : حكاية عن امرأة هجرته (رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى - ي ٣٦ - آل عمران) ومنها إظهار الفرج ، كما في قول الشاعر :

ههنا سمعتا ذاك الغراء المقدما فما عبقس المحزون حق تبسما

ومنها إظهار الضعف والخشوع : كقول الآخر :

قال السكاكي (١) : « والاولى (٢) بدون هذه (٣) تمتنع ، وهذه بدون الاولى لا تمتنع ، كما هو حكم اللازم المجهول المساواة (٤) أى يمتنع ألا يحصل العلم الثاني من الخبر نفسه عند حصول الاول منه ، لامتناع حصول الثاني قبل حصول الاول ، مع أن سماع الخبر من المخبر كافٍ في حصول الثاني منه (٥) . ولا يمتنع ألا يحصل الاول من الخبر نفسه عند حصول الثاني منه ، لجواز حصول الاول قبل حصول الثاني (٦) وامتناع حصول الحاصل .

وقد ميززل العالم بفائدة الخبر ولازم فائدته منزلة الجاهل لعدم جرية على موجب العلم ، فتبين أنى إليه الخبر كما يلتقى إلى الجاهل بأحدهما (٧) .

== إلهى كعبك العاصى أنا كما مقرأ بالذنوب وقد دعا كما

ومنها توبيخ السامع ، كقول الخامسة :

وأنت الذى أخلفتى ما وعدت وأشمعتى من كان فىك يلوم

والغرض الاول وهو فائدة الخبر يستفاد من ذات الخبر ، وما عداه من الأغراض يدل عليها الخبر دلالة تبعية ، فهى من مستلزمات الكلام ، ولا توصف بأنها حقيقة ولا بجاز ولا كناية .

(١) ٨٨ - المقتات ، (٢) هى فائدة الخبر .

(٣) اسم الإشارة يعود إلى لازم فائدة الخبر ، وقد أنشأه باعتبار كونه فائدة أيضاً ،

(٤) كلزوم الحيوانية للإنسانية ، لأن الحيوانية أعم ، فيلزم من العلم بالإنسانية العلم بالحيوانية ، ولا يلزم من العلم بالحيوانية العلم بالإنسانية .

(٥) لأن من يخبر بشئ لا بد أن يكون عنده علم أو ظن به ، فالمراد العلم الثانى علم المخاطب بأن المخبر عالم بالحكم ، والمراد بالعلم الاول علمه بذلك الحكم .

(٦) بأن يكون المخاطب عالماً بالحكم قبل الإخبار به ، فيحصل بالخبر في هذه الحالة لازم فائدته دونها ؛ لامتناع تحصيل الحاصل ،

(٧) من تنزيل العالم بالفائدة منزلة الجاهل بها فوك الفرزدق لشمس بن عبد الملك ==

قال السكاكي (١) : وإن شئت فقل بكلام (٢) رب العزة ﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاقٍ وابتس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ﴾ كيف تجد صدره يصف أهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد القسَمي ، وآخره ينفيه عنهم حيث لم يعملوا بعلمهم . ونظيره في النفي والإثبات ﴿ وما رميت إذ رميت ﴾ (٣) وقوله (٤) تعالى ﴿ وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم ﴾ فقاتلوا أئمة الكفر باسم لا أيمان لهم لئلا يعلم ينتهون ﴾ هذا لفظه ، وفيه إيهام أن الآية الأولى من أمثلة تنزيل العالم بقاءة الخبر ولازم قاعدته منزلة الجاهل بهما ، وليست منها ، بل هي من أمثلة تنزيل العالم بالحق منزلة الجاهل به لعدم جريه على موجب العلم ، والفرق بينهما ظاهر (٥) .

حين نجاهل معرفة علي بن الحسين رضي الله عنهما :

هذا ابنُ خير عباد الله كلهم هذا التقي التقي الظاهر العليم

هذا ابنُ فاطمة إن كنت جاهله بحمد الله أنبياء الله قد مضوا

ومن تنزيل العالم بلازم الفائدة منزلة الجاهل به قولك لمن يؤذك وهو يعلم أنك مسلم : د الله ربنا ومحمد نبيها ، وقد جعل السكاكي هذا من باب تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، فهو عنده مثل تنزيل غير السائل منزلة السائل ونحوه مما يأتي ، وقيل : إن الخطيب لم يعمل ما هنا من ذلك الباب لأن الخبر لا يختلف في التأكيد وتركه في مخاطبة الجاهل بفائدة الخبر ولازمها ومخاطبة العالم بهما المنزل منزلة الجاهل ، أما تنزيل غير السائل منزلة السائل ونحوه فيختلف في ذلك كما سيأتي ، والخطيب في هذا سهل .

(١) ٩٢ - المفتح ، (٢) آية ١٠٢ سورة البقرة

(٣) آية ١٧ من الأنفال . (٤) آية ١٢ سورة الزوبة

(٥) أجيب عن السكاكي بأن غرضه التنظير لتنزيل العالم بفائدة الخبر ولازمها

أضرب من الخبر : وإذا كان غرض الخبر بخبره إفادة المخاطب أحد الأمرين
فيستغنى أن يقتصر من التركيب على قدر الحاجة .

فإن كان المخاطب تعالى الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر والتردد
فيه ، استغنى (١) عن مؤكّدات الحكم ، كقولك « جاء زيد ، وعمره ذاهب ، فيتمكن
في ذهنه لمصادفته إياه خاليا .

وإن كان متصوّراً لطرفيه متردداً في إسناد أحدهما إلى الآخر طالبا له حسن
تقويته بمؤكّد (٢) كقولك « لزيد عارف ، أو « إن زيدا عارف ، .

== منزلة الجاهل بهما ، وليس غرضه التثليل له ، ولهذا ذكر أيضا قوله تعالى
(وما رميت إذ رميت) وهو من تنزيل الموجود منزلة المعدوم وليس من تنزيل
العالم منزلة الجاهل .

(١) مثله إذا كان المخاطب عالما بالحكم وأراد المخبر إفادته لازم فائدة
الخبر ، أو إظهار التعمس ونحوه ، أو تنزيله منزلة الجاهل ، فيستغنى في ذلك أيضا
عن المؤكّدات .

(٢) أي واحد ليزيل تردده في الإسناد بالتوكيد ، ومثل التردد في الإسناد
التردد في لازم فائدة الخبر ، وحسن التوكيد في ذلك إنما هو بالنظر إلى حال
الإنكار ، وإلا فهو واجب أيضا ، ولا يراد إلا التمييز باللفظ بين الحالين ، وأن
درجة الوجوب في التردد ليس كدرجة الوجوب في الإنكار ، والمراد بالتردد
ما يشمل اللطمان والمتوهم ، وقد ذهب عنه القاهر إلى أنه لا يحسن التأكيد إلا إذا
كان للمخاطب ظن على خلاف حكم المتكلم ، وسيأتي قريبها ما يفيد جواز تعدد
التوكيد في التردد كالإنكار .

ومن التأكيد للتردد في الحكم قوله تعالى (فلنسا أن جساء البشر أنقام
على وجوه فارقت بصيرا ؛ قال ألم أقول لكم) لن أعلم من الله ما لا تعلمون)
هـ ٩٦ س المتكجوت .

وإن كان حاكماً بخلافه وجب توكيده بحسب الإنكار (١) فتقول : ذإني صادق ، لمن ينكر صدقك ولا يبالغ في إنكاره ، وذإني لصادق ، لمن يبالغ في إنكاره ، وعليه قوله (٢) تعالى ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ، إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتِّفَاقِينَ فَكَذَّبُوهمَا فَعَزَّزْنَا بِشَتَاكِهَ فَنفَتَيْنَا إِنْشَاءً إِيَّاكُمْ مَرْسَلُونَ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا كَذَّابُونَ ، قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِيَّاكُمْ لَمْرُسَلُونَ ﴾ حيث قال (٣) في المرة الأولى (إنا إليكم مرسلون) وفي الثانية (إنا إليكم مرسلون) .

ويؤيد ما ذكرناه جواب أبي العباس للكيفي (٤) عن قوله : « إني أجد في كلام العرب حشواً ، يقولون : عبد الله قائم ، وإن عبد الله قائم ، وإن عبد الله لقائم — والمعنى واحداً ، بأن قال : « بل الهماني مختلفة ، فعبد الله قائم لخبرته عن قيامه ، وإن عبد الله قائم بحراب عن سؤال مدائل ، وإن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكرك . »

(١) فيؤتى له بمؤكد واحد أو اثنين أو أكثر على حسب إنكاره في القوة والضعف ، وقيل : لأنه لا يكتفى في الإنكار بمؤكد واحد ، ومثل الإنكار الاستناد في هذا إنكار لازم فائدة الخبر ، ومن هذا قوله تعالى ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ آية ١ من المنافقون — لأنه يفكر عليهم بذلك فأكدوا له .
ومن أدوات التأكيد : إن ، والفسم ، ونونا التوكيد ، ولام الابتداء ، وأما الشرطية ، وحروف التلميح ، وضمير الفصل ، وقد ، وأدوات الاستفتاح ، والجروف الزائدة .

(٢) آية ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ من يس .

(٣) فأكده في المرة الأولى بأن واسمية الجملة . وفي الثانية بهما وبالقسم واللام ، لأنهم بالغوا في الإنكار فقالوا ﴿ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا - آية ﴾ .

(٤) أبو العباس هو محمد بن يزيد المبرد ، والكندي هو يعقوب بن إسحاق الفيلسوف

ويسمى النوع الأول من الخبر ابتدائياً ، والثاني طلبياً ، والثالث إنكارياً ، وإخراج الكلام على هذه الوجوه (١) إخراجاً على مقتضى الظاهر (٢) .

تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر : وكثيراً ما يخرج على خلافه (٣) فينزل غير السائل منزلة السائل إذا قدم إليه ما يلوح له بحكم الخبر ، فيستشعر له استعراف المردد الطالب (٤) كقوله (٥) تعالى ﴿ وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ مُمْسِرُونَ ﴾ وقوله ﴿ وَمَا أَرْسَىٰ نَفْسِي إِلَّا لِنَفْسٍ لَا مَآرَءَ بِالْأَسْوَىٰ ﴾ (٦) وقول بعض العرب :

(١) هي الخلو عن التأكيد في الأول ، وعن التوثيق في الثاني ، ووجوباً في الثالث .

(٢) أي يسمى إخراجاً على مقتضى الظاهر : والمراد به ظاهر الحال . وهو الحال الداعي الذي له ثبوت في الواقع . كخلو المخاطب من الحكم أو ترده أو إنكاره والحال أعم من ظاهر الحال ؛ لأنه يشمل أمرين : أحدهما ما له ثبوت في الواقع ، والثاني ما لا ثبوت له ، كتزويل غير السائل منزلة السائل ونحوه مما سيأتي .

(٣) هذا باب من البلاغة أوقع في النفس من تخريج الكلام على مقتضى الظاهر ، لدقة مسأله ، وحسن موقعه في النفس . وقد قيل : إنه باب الكناية . وقيل : إنه من الاستعارة بالكناية والتخييل . وقيل : إنه من مستبهمات الكلام فلا يوصف بحقيقة ولا بجاز ولا كناية .

(٤) الحال هنا تقديم ما يلوح للمخاطب بالخبر . ومن نكت تنزيل غير السائل منزلة السائل أيضاً الاهتمام بشأن الخبر اسكونه مستبعداً ، والتنبيه على غفلة السامع ، وغير ذلك .

(٥) آية ٣٧ سورة هود . فإن قوله ﴿ وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ يلوح باستحقاقهم العذاب .

(٦) آية ٥٣ سورة يوسف — فإن قوله ﴿ وَمَا أَرْسَىٰ نَفْسِي ﴾ يلوح =

فَغَنَمَهَا وَرَمَى لَكَ الْفَيْدَاءُ إِنْ غَنَمْتَ الْإِبِلَ الْجَدَاءَ (١)

وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة وعوض ، روى عن الأصمعي أنه قال : كان أبو عمرو بن العلاء (٢) وسخيف الأحرار يأتیان بشكراً فيسلمان عليه بغاية الإعظام ، ثم يقولان : يا أبا معاذ ، ما أحدثك ؟ فيخبرهما وينشدهما ويكتبان عنه متواضعين له ، حتى يأتي وقت الزوال ، ثم ينصرفان . فأتياه يوماً ، فقالا : ما هذه القصيدة التي أحدثك في ابن قتيبة ؟ قال : هي التي بلغتكم . قالوا : بلغنا أنك أكثرت فيهما من الغريب . قال : نعم ، إن ابن قتيبة يتباصر بالغريب ، فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرف . قالوا : فأنشدها يا أبا معاذ ، فأنشدها :

يَكْرَهُ صَاحِبِي قَبْلَ الْمَسْجِرِ إِنْ ذَاكَ النِّجَاحُ فِي التَّكْبِيرِ (٣)

حتى فرغ منها ، فقال له خالف : لو قلت يا أبا معاذ مكان ذاك النجاح ،

يقيم نفسها ، ولا يخفى أن هنا توكيدين . وهذا يفيد جواز تعدد التوكيد في المتردد وما ينزل منزلة . فيكون للفرق بينه وبين المكر في الوجوب والاستحسان فقط . وقيل : إن أحد التوكيدين لاستبعاد الخبر في ذاته .

(١) لا يعلم قائله . والضمير في قوله د غنمها ، للإبل أي فغن لها . والجداء بضم الجاء وكسرهما مصدر جد الإبل ، إذا ساقها وغنى لها . والشاهد في أنه حين يقول د غنمها ، ليشتد سيرها يفهم السامع أن غنمها هو الجداء الذي تساق به ، فاستدثر في له نفسه . ومن هذا قول أبي نواس :

عليك باليأس من الناس إِنْ غَنَى نَفْسَكَ فِي الْيَاسِ

(٢) رواية الأغانى : كان خاف بن عمرو بن العلاء وخاف الأحمر... وقد ساق القصة كما هنا .

(٣) هو لبشار بن برد . والحجير من الزوال إلى العصر... أو شدة الحر . والشاهد في أن الشطر الأول يلوح بالثاني ؛ ولهذا أتى به مؤكداً .

« بكرا فالنجاح » ، كان أحسن . فقال بشار : إنما بنيتها أعرابية وحشية (١)
 فقلت « إن ذاك النجاح » كما يقول الأعراب البدويون ، ولو قلت « بكرا
 فالنجاح » ، كان هذا من كلام المؤلدين ولا يشبه ذلك السلام (٢) ولا يدخل
 في معنى القصيدة . قال : فقام خلف فقبّله بين عينيه . فهل كان ما جرى بين
 خلف وبشار بمحض من أبي عمرو بن العلاء وهم من « فحولة » هذا الفن إلا للطف
 المعنى لذلك وخفائه ؟ .

وكذلك يُنزلُ غير المنكر منزلة المنكر (٣) إذا ظهر عليه شيء من أمارات
 الإنكار ؛ كقوله :

جاء شقيق عارضاً رمحاً
 إن بني عمك فيهم رماح (٤)
 فإن جميعه هكذا مُدَّ لا بشجاعتِه قسداً وضع رمحاً عرضاً دليل على إعجاب
 شديد منه واعتقاد أنه لا يقوم إليه من بني عمه أحد ، كأنهم كلهم عزله ليس مع
 أحد منهم رمح .

(١) وحشية : صفة كاشفة لأعرابية ، ولا يريد الوحشية المخلة بالفصاحة .
 (٢) لأنه ليس فيه من دقة الإشارة إلى تنزيل غير السائل منزلة السائل ما في
 قوله « إن ذاك النجاح » ، وإنما فيه تسكير الأمر بالنكير لتأكيد على وجه ظاهره
 لادقة فيه .

(٣) غير المنكر يشمل خالي الذهن من الحكم، والمتردد، والعالم به من خير إنكار
 ولكنه لا يعمل بعلمه ، كقولك للمسلم التارك للصلاة : إن الصلاة واجبة ، وفائدة
 تنزيل المتردد منزلة المنكر : المباغة في تأكيد الخبر له .

(٤) هو لحمل بن فضلة الباهلي ، وبعده :
 هل أحدث الدهر لنا ذلة أم هل رقت أم شقيق سلاح
 وقوله « عارضاً رمحاً » معناه أنه وضعه على عرضة . بأن جعله على فخذه
 بحيث يكون عرضه إلى جهتهم ، وكان هذا من أمارات عدم التصدي للحرب ، =

وكذلك 'ينزل المنكر منزلة غير المنكر' (١) إذا كان معه ما إن تأمله ارتدع عن الإنكار ، كما يقال لمنكر الإسلام : د الإسلام حق ، (٢) . وعليه قوله تعالى في حق القرآن (لا ريب فيه) (٣) .

وعما يتفرع على هذين الاعتبارين (٤) قوله (٥) تعالى : (ثم إنكم بعد ذلك

= والشاهد في قوله د إن بني عمك فيهم رماح ، وهو من تنزيل العالم منزلة المنكر .

(١) المراد بغير المنكر : خال الذهن من الحكم فقط ، لأنه لا فائدة لتنزيل المنكر منزلة المتردد ، وقيل : إن له فائدة في تقليل التوكيد كما سيأتى في قوله تعالى : (ثم إنكم يوم القيامة متبعثون) .

هذا وقد ترك تنزيل السائل منزلة غير السائل وهو أيضا عما يدخل في باب تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، وإنما ينزل السائل منزلة غير السائل إذا لم يكن هناك وجه لتردده .

(٢) أى من غير تأكيد ، واعتراض على هذا بأنه جملة اسمية ، وأجيب بأن الجملة الاسمية إنما تفيد التوكيد إذا اعتبر تحويلها عن الجملة الفعلية ، نحو ' زيد يقوم ' فإنها يمكن اعتبارها محولة عن يقوم زيد .

(٣) آية ٢ من البقرة فإن معناه أن القرآن ليس محل شك ، وهذا ينكره المخاطبون من الكفار ، فكان حقه في الظاهر التأكيد ، ولستهم نزلوا منزلة غير المنكرين ، فترك التأكيد لهم ، وقيل : إن هذا ليس تمثيلا لتنزيل المنكر منزلة غير المنكر بناء على أن المراد نفي الريب نفسه مع أنه واقع منهم تنزيله منزلة عدمه ، فيكون هذا تظهير لتنزيل المنكر منزلة غيره لا تمثيل له ، ويؤيد هذا أن قوله فيما يأتى ' وهكذا اعتبارات النقي ' ظاهر في أنه لم يسبق مثال منه .

(٤) يعنى اعتبار تنزيل غير المنكر منزلة المنكر ، واعتبار تنزيل المنكر منزلة غير المنكر .

(٥) آية ١٥ ، ١٦ سورة الحجر .

لميتون ، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴿ أكد إثبات الموت تأكديدين وإن كان بما لا ينكر ؛ لتزِيلَ المخاطبين منزلة مَنْ يبالغ في إنكار الموت ، لتقاديهم في الغفلة والإعراض عن العمل لما بعده ، ولهذا قيل ﴿ ميتون ﴾ دون تهمنون كما سيأتي الفرق بينهما (١) . وأكّد إثبات البعث تأكيداً واحداً وإن كان مما ينسكب ، لأنه لما كانت أدلته ظاهرة كان جديراً بالآلاء ينكر ، بل إما أن يعترف به أو يتردد فيه ، فنزل المخاطبون منزلة المترددين تنبيها لهم على ظهور أدلته ، وحثاً على النظر فيها ، ولهذا جاء ﴿ تبعثون ﴾ على الأصل (٢) .

هذا كله اعتبارات الإثبات ، وقس عليه اعتبارات النفي ، كقولك « ليس زيد » أو « ما زيد منطقاً » أو « ينطق » ، « والله ليس زيد » أو « ما زيد منطقاً » أو « ينطق » ، وما ينطق أو ما إن ينطق زيد ، وما كان زيد ينطق وما كان زيد لينطق ، ولا ينطق زيد ، وإن ينطق زيد ، والله ما ينطق أو ما إن ينطق زيد (٣) .

(١) أى في الكلام على المسند من أن ذكره قد يكون ليعين كونه اسماً فيستفاد منه الشبوت ، أو كونه فعلاً فيستفاد منه التجدد ، وبهذا يكون ما في الآية من تنزيل العالم منزلة المنكر .

(٢) أى على الفعلية دون الاسمية ؛ لأن المعنى على التجدد ، لا الشبوت ، وبهذا يكون ما في الآية من تنزيل المنكر منزلة المتردد .

(٣) هذا والتأكيد يأتي أيضاً في الإنشاء كما يأتي في الخبر ، كقول الشاعر :
 هملا تمنن بوعد غير مخلقة
 كما عهدتكم في أيام ذى سلم
 ولكن التأكيد لا يأتي في الإنشاء لدفع التردد والإنكار لأنهما لا يأتيان فيه وإنما يأتي لأغراض أخرى من أغراض التأكيد في الخبر ، لأنها لا تفي صريحاً ذكر - : فمنها الدلالة على استبعاد الحكم من الخبر ، كما في قوله تعالى ﴿ ربّ إنّ قومي كذّابون ﴾ آية ١١٧ سورة الشعراء . ومنها الاهتمام بشأن الحكم ، كما في قول أبي بكر =

تمارين على أغراض الخبر وأضرابه

تمرين ١ -

بين الغرض من الخبر فيما يأتي :

- ١ - ذهب الذين يعاشون في أكنافهم وبقيت في سخر كجملد الأجر -
- ٢ - عا البين ما أبقيت عيونها مني فثبت ولم أقض اللبابة من سنس -
- ٣ - قوله تعالى (اقتربت الساعة) وانشق القمر آية ١ - س القمر

تمرين ٢ -

من أي أضراب الخبر ما يأتي :

- ١ - عليك بالياس من الناس إن رفعت نفسك في اليأس -
- ٢ - لقد عظم البعير بغير لب فلم يستغن بالعظم البعير -
- ٣ - ما إن ندمت على سكوتي مرة ولقد ندمت على الكلام كثيراً

تمرين ٣ -

بين ما جرى من أضراب الخبر على مقنض الظاهر أو خلافه فيما يأتي :

== إن البلاء موكّل بالمنطق . ومنها تهيشة التكرة للابتداء بها كما في قول الشاعر :

إن دهرًا يلف شملًا بسعدى لزمان يهيم بالإحسان

ومنها إظهار صدق الرغبة في الحسم وقصد ترويجه ، كما في قوله تعالى : (وإذا لقنوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم) - ي - ١٤
- س البقرة - فلم يؤكدوا في خطاب المؤمنين لعدم رواجه منهم عندهم ، وأكدوا في خطاب إخوانهم لصدق رغبتهم فيهم .

- ١ — ثر جواله جاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على السبيل
- ٢ — قوله تعالى : (إن قارون كان من قوم موسى فبهتى عليهم)
آية ٧٦ من القصص .
- ٣ — قوله تعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)
آية ٦٢ من يونس

تمرين — ٤

بين الغرض من التأكيد فيما يأتي :

- ١ — إن محمداً وإن مرتحلاً وإن في السفيرة إذا مضوا محمداً
- ٢ — قول تعالى : (إن الباطل كان زهوقاً) آية ٨١ من الإسراء
- ٣ — إن البعثات بأرضها يستنصر .
- ٤ — ألا إن أخلاق الفتي كدما إليه فمنهم يبيحون في العميون وسود

فصل

الحقيقة والجاز العقلاني : الإسناد منه حقيقة عقلية ومنه جاز عقلي (١) .
أما الحقيقة فهي إسناد الفعل (٢) أو معناه إلى ما هو له (٣) عند المتكلم في الظاهر (٤)

(١) الحقيقة والجاز العقلاني يأتیان فی الإسناد الإنشائي أيضا ، وقيل لانهما يأتيان في الإسناد الإضافي ونحوه ، كما في قوله (مكر الليل والنهار) آية ٣٣ من سبأ (ذلك هو الضلال البعيد) آية ١٢ — من الحج . وقيل : إن الإضافة قد تكون لمطلق الملازمة ، فتكون في نحوه مكر الليل ، حقيقة عقلية ويسمى الجاز العقلي مجازا حكما ومجازا إسناديا أيضا ، ومن الإسناد ما لا يكون حقيقة ولا مجازا كما سيأتي .

(٢) المراد بالإسناد ما يشمل الإسناد الإيجابي والسلبي .

(٣) الإسناد إلى ما هو له يشمل الإسناد إلى الفاعل وإلى المفعول . ويريد بكونه له إذا كان فاعلا أن معناه قائم به ووصف له وحقه أن يستند إليه ، سواء أكان مخلوقا لله تعالى كما يقول أهل السنة ، أم كان لغیره كما يقول المعتزلة ، والأفعال من هذه الجهة تنقسم إلى أفعال استأثر الله بها مثل الخلق والرزق ، وإلى أفعال لغیره كسبب فيها ، مثل — أحسن وأساء وقام وقعد — وإلى أفعال يراد من إسنادها مجرد الانصاف بها ، مثل — صح ومرض وعظم وتنزه — فالأولى إسنادها إلى الله حقيقة ولا يصح إسنادها إلى غيره إسنادا حقيقيا ، والثانية يصح إسنادها إلى غيره إسنادا حقيقيا ، ومنها ما لا يصح إسنادها إليه تعالى مثل — قام وقعد — والثالثة منها ما يستند إليه تعالى ، مثل — عظم وتنزه — ومنها ما يستند إلى غيره مثل — صح ومرض — هذا والمفعول عليه عند الخطيب هو إسناد الفعل أو معناه ولو في جملة اسمية ، كما سيأتي تحقيقه .

(٤) أي في ظاهر حال المتكلم ، ألا ينصب قرينة تدل على أنه غير ما هو له في اعتقاده كما سيأتي .

والمراد بمعنى الفعل نحو المصدر واسم الفاعل (١) . وقولنا « في الظاهر ، يشمل ما لا يطابق اعتقاده بما يطابق الواقع وما لا يطابقه ، فهي أربعة أضرب : أحدهما ما يطابق الواقع واعتقاده ، كقول المؤمن « أنبت الله البقل ، وشفى الله المريض » .

والثاني ما يطابق الواقع دون اعتقاده ، كقول المعتزلي « لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها منه » (٢) : « خالق الأفعال كلها هو الله تعالى » .

والثالث ما يطابق اعتقاده دون الواقع ، كقول الجاهل « شفى الطيب المريض » معتقداً شفاء المريض من الطيب ، ومنه قوله تعالى « حكاية عن بعض الكفار : (وما يمسكها إلا الدهر) » (٣) ولا يجوز أن يكون مجازاً ، والإنكار عليهم من جهة ظاهر اللفظ ، لما فيه من إيهام الخطأ (٤) بدليل (٥) قوله تعالى : « عقيمته : (وما لهم من علم ، إن هم إلا يظنون) » والمتجوز المخطئ في العبارة لا يوصف بالظن ، وإنما الظن من يعتقد أن الأمر على ما قاله .

والرابع ما لا يطابق شيئاً منهما ، بالأقوال الكاذبة التي يكون القائل عالماً بصحتها دون المخاطب (٦) .

(١) مثلها اسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل والظروف ، لأن المراد بالإسناد ما يشمل الإسناد على جهة المفعولية كما سبق ، فيدخل في ذلك إسناد اسم المفعول كما يدخل فيه إسناد الفعل إلى المفعول .

(٢) لأن الإسناد في قوله حينئذ يكون إلى ما هو له في ظاهر حاله ، ولا يخفى أن الجملة هنا مركبة من مبتدأ وخبر ، ولكن يصدق عليها أن فيها إسناد معنى الفعل لما هو له .

(٣) آية ٢٤ — الجاثية .

(٤) هذا تعليل الإنكار عليهم مع كونه مجازاً فقوله « لها » متعلق بالإنكار .

(٥) متعلق بقوله « ولا يجوز » .

(٦) قيل : إن الأقوال الكاذبة حقيقة عقلية ولو علم المخاطب بحالها ، لأن الفعل =

وأما المجاز فهو إسناد الفعل (١) أو معناه إلى ملابس له (٢) غير ما هو له بتأويل (٣) .

والفعل (٤) ملابس شتى : يلبس الفاعل ، والمفعول به ، والمصدر ، والزمان والمكان ، والسبب (٥) .

فإسناده إلى الفاعل إذا كان مجزيا له حقيقة ، كما مر ، وكذا إلى المفعول إذا كان مجزيا له (٦) . وقولنا ما هو له ، يشملهما .

وإسناده إلى غيرهما (٧) لمضاهاته (٨) لما هو له في ملابسة الفعل مجاز ، كقولهم

== فيها مسند إلى ما هو له بحسب وضع اللغة ، فهو إظهاره من شأنه أن يدل على ذلك وإن تخلفت الدلالة لما نفع اعتقاد الكاذب ، وهذا تنقسم الحقيقة العقلية إلى صادقة وكاذبة .

(١) المراد بالإسناد هنا أيضا ما يشمل الإيجابي والسلبي ، والثاني كقوله تعالى ﴿ فاصبر صبراً ﴾ - ي ١٦ س البقرة - وكذلك ما يشمل إسناد الفعل إلى الفاعل وإلى المفعول ، كما في قولك : أجرى الله الهر .

(٢) يشير بهذا إلى أنه لا بد فيه من العلاقة كسائر المجازات ، فالعلاقة هنا هي الملابس ، أي ملابس العقل للفاعل المجازي من جهة وقوعه عليه أو فيه أو به أو نحو ذلك ،

(٣) أي بقرينة صارفة عن إرادة الظاهر ، لأن التأويل صرف اللفظ عن ظاهر إلى غيره ، فالتبادر في نحو « أفتب الربيع البقل » أن الإسناد فيه إلى ما هو له والقرينة تصرفه عن ظاهره .

(٤) مثله ما في معناه بقرينة التعريف .

(٥) لم يذكر المفعول معه والحال ونحوهما لأن الفعل لا يستند إلى ذلك على سبيل المجاز العقلي . (٦) نحو « فتبت البقل » .

(٧) هذا يشمل إسناد ما هو للفاعل إلى المفعول به ، نحو « عيشة راضية » وإسناد ما هو للمفعول إلى الفاعل ، نحو « سيل مفعم » .

(٨) يريد بالمضاهاة في ذلك علاقة الملابس السابقة ، ولا يريد أن العلاقة ==

في المفعول به (١) عيشة راضية ، رماء دافق (٢) ، وفي عكسه : سيل لعمام (٣) ،
وفي المصدر : شعتر شاعر (٤) وفي الزمان : تتار صائم ، وإليه قائم (٥) ، وفي
المكان : طريق سائر ، ونهر جاز (٦) . وفي السبب : بنى الأمير المدينة - وقال :

== في ذلك المشابهة لأن المشابهة علاقة المجاز بالاستعارة لا المجاز العقلي ، وقيل : إن
العلاقة هنا المشابهة في الملابس ، وهو تكلف ياباه أسلوب المجاز العقلي ، لأنه
لا يلاحظ فيه ذلك أصلا ، هل أن علاقة المشابهة لا تكفي فيها هذه الملابس .

(١) أي في إسناد ما هو للفاعل إلى المفعول به ، والعلاقة فيه الملابس
بالمفعولية .

(٢) منه أيضا قول الشاعر :

دع المكارم لا ترسل إبنيتها واقعد فإنك أنت الطاعم السكاسي
يريد المعلوم المكسور ، والأصل في ذلك : راض صاحبها ، ودافق مأذ ،
وطاعم وكاس : طاعمه وكاسيه .

(٣) منه أيضا قوله تعالى (إنه كان وعده مأثيا) - ي - ٦١ - من مريم أي
آثيا ، والعلاقة فيه الملابس بالفاعلية ، والأصل مفعم واديه ، ومأثي مضمونه .

(٤) منه أيضا قول الشاعر :

سينذكرني قومي إذا سمعوا جدتهم وفي الليلة الظلماء يفترق البدن
والأصل - في ذلك - شعر شاعر صاحبه وسمه صاحب جدتهم ، والعلاقة فيه
الملابس بالمصدرية .

(٥) منه أيضا قوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير) - ي - ٩ - من المدثر
ومعلاقة فيه الملابس بالزمانية ، والأصل صائم الصائم فيه الخ .

(٦) العلاقة فيه الملابس بالمكانية ، والأصل - سائر السائر فيه ... الخ ،

إذا رد عافى القدر من يستعيرها (١)

وقولنا « بنأول » يخرج نحو قول الجاهل « شفى الطبيب المريض ، فإن إسناده
الشفاء إلى الطبيب ليس بنأول ، ولهذا لم يُحتمل » نحو قول الشاعر الحماسي :
أشابه الصغير وأفنى الكبير ركز الغداة ومضى العشي (٢)
على الجواز ما لم يُعلم أو يظن أن قائله لم يُريد ظاهره (٣) ، كما استدل
على أن إسناده « ميتر » إلى جذب الليالي في قول أبي النجم :
قد أصبحت أم الخيار تدعى على ذنباً كته لم أصنع

(١) هو لعرف بن الأحوص من قوله :

فلا تسألني وأسأل عن خلية إذا رد عافى القدر من يستعيرها
وقد نسب في «أساس البلاغة» للكعيت ، والعلاقة في ذلك المبالغة بالسببية ،
والأصل : بنى البناء المدينة بسببه ورد المعير القدر بسببه . وعافى القدر : الموق
الذى يبقى فيها فيكون سبباً في رد المستعير لها ، فإسناده الرد إلى عافى القدر من
الإسناد إلى السبب ، وهذا كناية عن كسب الزمان وكونه يمنع إعادة القدر لتلك
البقية ، وقيل : إن عافى القدر هو الضيف ، والمعنى أن المستعير يراه والقدر منهوبة
له فلا يطلبها ، وقيل : إن البيت لعبيد بن الأبرص . وقيل : إنه لمضرب الأسدى .
(٢) هو لقشتم بن خزيمة المعروف بالصلتان العجيدى ، وقيل : إنه للصلتان
الضفى ، والغداة : أول النهار ، وكرها : وجوعها بعد ذهابها . والعشى أول الليل .
(٣) جاء في قصيدة الصلتان ما يدل على أنه لم يرد بذلك الإسناد ظاهره ،
وهو قوله :

فما شئتنا أنما مسلمون على دين صدقتنا والنبي

من أن رأيت رأس كرام الأصلع ميثق عنه مقنوعاً كن قنزع

تجذب الليالي أبغى أو أسرعى (١)

بجاز بقوله حقيقة :

أفناه قيل الله للشمس اطلعي حتى إذا وارك أفشى فارجمى (٢)

وسمى الإسناد في هذين القسمين من الكلام عقلياً لاستناده إلى العقل دون الوضع ، لأن إسناد الكلمة إلى الكلمة شيء يحصل بقصد المتكلم دون واضح اللغة ، فلا يصح ضرب ، خبراً عن زيد ، واضح اللغة ، بل بمن قصد لإثبات الضرب فعلاً له . وإنما الذي يعود إلى واضح اللغة أن ضرب ، لإثبات الضرب ، لا لإثبات الخروج ، وأنه لإثباته في زمان ماض ، وليس لإثباته في زمان مستقبل ، فأما تعيين من ثبت له فإيها يتعلق بمن أراد ذلك من المخبرين ، ولو كان لغريباً لكان حكماً بأنه بجاز في مثل قولنا خطه أحسن مما وشى الربيع ، من جهة أن الفعل لا يصح إلا من الحى القادر (٣) حكماً بأن اللغة هي التي أوجبت أن يختص بالحى القادر دون الجاد ، وذلك مما لا يشك في بطلانه (٤) .

(١) هو للفضل بن قدامة المعروف بأبي النجم ، والقنزع : الشعر المجمع في نواحي الرأس ، وعن - الثائية بمعنى بعد ، والأصلع الذى سقط شعر مقدم رأسه ، وجملتنا - أبغى أو أسرعى - حال من الليالي على تقدير القول ، أى مقولاً فيها ، ذلك بالنظر إلى اختلاف أحوالها في المسرة والمساءة .

(٢) فقد استند فيه إغناء شعر الرأس إلى الله ، فدل على أن إسماعه قبله إلى الليالي بجاز ، وقيل الله : قوله ، وارك - بمعنى فيبك وسترك .

(٣) أى لا من الربيع .

(٤) يقصد بهذا الرد على قول بعضهم إن الإسناد في هذين القسمين لغوى لا عقلى . وقيل : إن جريئنا على أن المركبات موضوعة فهو لغوى ، وإن لم نجر على هذا فهو عقلى ، وهذا خلاف لا طائل تحته .

وقال السكاكي (١): الحقيقة العقلية هي الكلام المفقود به ما عند المتكلم من الحكم فيه، قال: وإنما قلت «ما عند المتكلم» دون أن أقول «ما عند العقل» (٢) ليتناول كلام الجاهل إذا قال «شفى الطبيب المريض» راثياً شفاء المريض من الطبيب، حيث عرفت منه حقيقة مع أنه غير مفيد لمسا في العقل من الحكم فيه (٣) وفيه نظر؛ لأنه غير «مطرد» صدقه على ما لم يكن المستند فيه فعلاً ولا متصلاً به (٤). كقولنا «الإنسان حيوان» مع أنه لا يسمى حقيقة ولا مجازاً (٥).

(١) ٢١١ — المفتاح.

(٢) أى كما قال عبد القاهر.

(٣) لأن العقل يرى إسناد ذلك إلى الله لا إلى الطبيب.

(٤) المتصل بالفعل هو اسم الفاعل ونحوه.

(٥) الحق أنه لا معنى للاعتراض بهذا على السكاكي، لأنه يرى أن الحقيقة والمجاز العقلين يجران في كل إسناد، ولا يخصهما بما خصه به الخطيب، على أن الخطيب قد ذكر في المجاز العقلي أمثلة مركبة من مبتدأ أو خبر، مثل — نهاره صائم — ولا ينفع في الجواب عنه أن المجاز عنده في إسناد الخبر إلى ضمير المبتدأ لأن هذا الإسناد غير مقصود في الكلام، وإنما المقصود الإسناد إلى المبتدأ، على أنه قد ذكر من أمثلة الحقيقة العقلية فيما سبق — خالق الأفعال كلها هو الله — وهذا الجواب لا يأتي فيه، وقد ذكر عبد القاهر من المجاز العقلي قول الخليل:

«وَرَجَعَ مَا رَجَعَتْ حَقٌّ إِذَا أَذْكَرَتْ» فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالُهُ وَلَادْبَارُهُ

وهذا مبتدأ وخبر، وإنما جعله مجازاً لأن كلا من الإقبال والأدبار لم يعمل على المابقة حمل موافقة وأن كان وصفاً لها. وعبد القاهر حجة في هذا الفن، وقد قيل: أنه مجاز مرسل من إطلاق الصفة وإرادة الموصوف، وقيل: أنه على حذف مضاف تقديره: ذات إقبال، والحق أنه لا داعي إلى هذا التكلف، لأنها قصد المبالغة بالإخبار بالمصدر من غير تأويل أو حذف، ويمكن أن يؤخذ من اقتصار الخطيب على

ولا منعكس لخروج ما يطابق الواقع دون اعتقاد المتكلم وما لا يطابق شيئاً
منهما منه مع كونهما حقيقتين عقليتين كما سبق (١) .

وقال (٢) : « المجاز العقلي هو الكلام المستفاد به خلاف ما عند المتكلم من
الحكم فيه لضرب من التأويل لإفادة للخلاف لا بواسطة وضع ، كقولك « أنبت
الربيع البقل ، وشفى الطبيب المريض ، وكسا الخليفة السكبة » قال : وإنما قلت
« خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه » دون أن أقول « خلاف ما عند العقل »
لئلا يمتنع طرده بما إذا قال الدهري (٣) عن اعتقاد جهل ، أو جاهل غيره « أنبت
الربيع البقل » ، راثياً لإبائه من الربيع ، فإنه لا يسمى كلامه ذلك مجازاً وإن كان
يخلاف العقل في نفس الأمر ، واحتج بيت الحماسة (٤) وقول أبي النجم على ما تقدم .
ثم قال : ولئلا يمتنع عكسه بمثل « كسا الخليفة السكبة » ، وهزم الأمير الجند ،
فليس في العقل امتناع أن يكسو الخليفة نفسه السكبة ، ولأن يهزم الأمير
وحده الجند ، ولا يقدح ذلك في كونهما من المجاز العقلي ، وإنما قلت « لضرب من
التأويل » ليحترز به عن الكذب ، فإنه لا يسمى مجازاً مع كونه كلاماً مفيداً
خلاف ما عند المتكلم ، وإنما قلت « لإفادة للخلاف لا بواسطة وضع » ليحترز به
عن المجاز اللغوي في صورة ، وهي إذا ادعى أن - أثبت - موضوع
لا استعماله في القادر المختار أو « وضع لذلك » (٥) . وفيه نظر ؛ لأننا لا نستطيع بولان

== الاعتراض بمثل - الإنسان حيوان - أن الذي لا يسمى عنده حقيقة ولا مجازاً
هو الذي يكون الخبر فيه جامداً لا فعلاً أو في معناه ، وليكنهم قالوا : إن مذهبه
أعم من ذلك .

(١) لأيهما دخلاً في تعريفه لها بزيادته قيد « في الظاهر » وقد أمهله السكاكي

(٢) ٢٠٨ - المفتاح . (٣) هو من ينسب الأفعال إلى الدهر .

(٤) هو بيت الصلطان العبدى السابق .

(٥) الفرق بين الأمرين أن « أثبت » على الأول موضوع لإخراج النيات ==

طرده بما ذكر ، لخرجه بقوله : لضرب من التأول ، ولا بطلان عكسه بما ذكر ،
إذ المراد بخلاف ما عند العقل خلاف ما في نفس الأمر (١) ، وفي كلام الشيخ
عبد القاهر (٢) إشارة إلى ذلك ، حيث عرّف الحقيقة العقلية بقوله : كل جملة
وخصفتمها على أن الحكم المتفاد بها على ما هو عليه في العقل واقع موقفه ، فإن
قوله : واقع موقفه ، معناه في نفس الأمر ، وهو بيان لما قبله (٣) . وكذا في كلام
الغضنيري ، حيث عرّف المجاز العقلي بقوله : « وأن يستند الفعل إلى شيء
يتلبس بالذي هو في الحقيقة له » ، فإن قوله : في الحقيقة ، معناه في نفس الأمر ،
ونحو : كسا الخيفة السكبة ، إذا كان الإسناد فيه مجازا كذلك . ثم القول
بأن القول موضوع لاستعماله في القادر ضعيف ، وهو معترف بضعفه ، وقد ردّه
في كتابه بوجوه : منها أن وضع القول لاستعماله في القادر قيد لم يُنقل عن واحد
من رواة اللغة ، وترك القيد دليل في الدرف على الإطلاق ، بقوله : لفادة
للخلاف لا بواسطة وضع ، لا حاجة إليه ، وإن ذكر فينبغي ألا يذكر بعد
ذكر الحد على المذهب المختار ، على أن تمثيله بقول الجاهل : أثبت الربيع العقل ،
ينافي هذا الاحتراز (٤) .

== مطابقا ، ولكنه لا يستعمل إلا في القادر المختار ، وعلى الثاني يكون موضوعها
إخراج القادر المختار النبات .

(١) فلا يخرج نحو : هزم الأمير الجند ، لأنه خلاف ما في نفس الأمر ، لأن
الذي هزم الجند جيشه .

(٢) ٤٢٩ — أسرار البلاغة — مطبعة الاستقامة .

(٣) يعني قوله « على ما هو عليه في العقل » وهو جار ومجرور متعلق
بمحذوف خبر « أن » قبله ، وهذا بيان له .

(٤) لأنه لا يفتق ودعوى أن أثبت ، لا يستعمل إلا في القادر المختار ، إذ لو صح
هذا يكون مجاز الحقيقة لإسناد الإنبيات فيه إلى الربيع ، وهو ليس بقادر مختار ، هذا ==

تنبيه

قد تبين بما ذكرنا أن المستسمى بالحقيقة العقلية والمجاز العقلي على ما ذكره السكاكي هو الكلام، لا الإسناد (١). وهذا يوافق ظاهر كلام الشيخ عبد القاهر في مواضع من دلائل الإعجاز (٢)، وعلى ما ذكرناه هو الاستناد لا الكلام، وهذا ظاهر ما نقله الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله عن الشيخ عبد القاهر، وهو قول الزمخشري في الكشف، وقول غيره، وإنما اختلفوا لأن نسبة المستسمى بحقيقة أو مجاز إلى العقل على هذا لفه بلا وساطة شيء، وعلى الأول لاشتراكه على ما ينسب إلى العقل: أعني الإسناد.

أقسام المجاز العقلي: ثم المجاز العقلي باعتبار طرفيه، أعني - المسند والمستند إليه - أربعة أقسام لا غير:

لأنهما إما حقيقة (٣) أو قولنا: أثبت الربيع البقل، وعايه قوله:

* فقامَ البقلُ وتجلَّى سمى (٤) *

وقد أطل الخطيب هنا في الرد على السكاكي بما لا يحتمله علم البلاغة.

(١) قيل إن السكاكي يرى أن المسمى بهما هو الاستناد، لأنه في جميع الباب يقول: إسناد حقيقة وإسناد مجاز، وما في تعريفه لها يمكن حمله على التساهل في العبارة.

(٢) من هذا تعريفه للحقيقة العقلية والمجاز العقلي أنها كل جملة... الخ... كما سبق في تعريفه. ويمكن حمل كلامه في هذا على التساهل أيضاً انصره في عدة مواضع بأنهما وصفان للإسناد.

(٣) أي لغويتان.

(٤) هو لزوم بن العجاج، وقبله:

رباربٌ قد فرجت عن غمى قد كنت ذا هم ورامي نجم =

- وقوله : * وشيب أيام الفراق مفارقة (١) *
وقوله : * ونمت وما ليل المطى بنائم (٢) *

ولما بجازان (٣) أهولنا دأحيا الأرض شباب الزمان ، (٤) .

ولما عتلفان : كهولنا دأ نبت البقل شباب الزمان ، وكهولنا دأحيا الأرض
الربيع ، ، وعليه قول الرجل لصاحبه : دأحيتني رؤيتك ، أى آستفى وسررتنى ،
فقد جعل الحاضل بالرؤية من الأناس والمسرة حياة ، ثم جعل الرؤية فاعلة له ،
ومثله قول أبي الطيب :

وتحسى له المالة الصوارم والقمنا ويقتل ما يحيى التيسم والجلد (٥)

== وقوله — تجلى — بمعنى انكشف ، والشاهد في قوله — نام ليل .

(١) قيل إنه لجرير من قوله :

وشيب أيام الفراق مفارقة وأنشزني نفسى فوق حيث تكون
ولسكنه لا يوجد في ديوانه ، وقوله دأنشون بمعنى دفن ، وقوله دأ تكون ،
مأخوذ من كان النامة ، والمعنى أيام الفراق دفنت نفسه عن مكانها في الجسم وبلغت
بها الحلقة ، والشاهد في قوله دأ وشيب أيام الفراق .

(٢) هو لجرير من قوله :

لقدنمتنى يا أم غيلان فى السرى ونمت وما ليل المطى بنائم
وأم غيلان ابنته ، والسرى السير ليلا ، والشاهد في قوله دأ وما ليل المطى بنائم ،
والمعنى أنه لا يقطع السير بالليل ولا ينام .

(٣) أى لغويان . (٤) فأحيا الأرض بجاز عن خصبها ، وشباب الزمان بجاز
عن الربيع ، وفي اجتماع الجاز اللغوى والمجاز العقلى طرافة تجعل لذلك التقسيم فائدة .
(٥) هو لاحد بن الحسين المعروف بأبي الطيب المتنبي من قصيدة له فى مدح
سيف الدولة ، والصوارم : السيوف الفاطمة ، والقنا : الرماح ، واحداها قناة ،
والجندا : المظلم .

جعل الزيادة والرفق حياءً للمال، وتفريقته في البطء قتلا له، ثم أثبت الإحياء فعلا للصوارم، والقتل فعلا للتبسم، مع أن الفعل لا يصح منهما، ونحوه قولهم: أهلك الناس الدينار والدرهم، مجمعات الفتنة إهلاكاً، ثم أثبت الإهلاك فعلا للدينار والدرهم.

وقوعه في القرآن: وهو في القرآن كثير (١) كقوله (٢) تعالى: ﴿وَلَمَّا أَثَابَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ منسباً الزيادة التي هي فعل الله إلى الآيات لكونها سبباً فيها، وكذا قوله (٣) تعالى: ﴿وَذَرَلَكُمْهُمُ السَّيِّئُ يَغْتَابُكُمْ بِرَبِّكُمْ أَنْزَاكُمْ﴾ ومن هذا الضرب قوله: ﴿يُذْهِبُ بَصِغُ آبْنَاءِ هُتَمٍ﴾ (٤) فالفاعل غيره، ونسب الفعل إليه لسكونه الأمر به، وكقوله: ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمْ هَمْزًا لِيَسْأَلَهُمْ مَا هِيَ﴾ (٥) نسب النزاع الذي هو فعل الله تعالى إلى إبليس، لأن سببه أكل الشجرة، وسبب أكلامه وسوسته ومقاسمته إياها لأنه طمأن الناصحين، وكذا قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلَّتْهُمُ قَوْمُهُمْ دَارَ الْبُتْرِ﴾ (٦) نسب الإحلال الذي هو فعل الله إلى أكابره، لأن سببه كفرهم، وسبب كفرهم أسوأ أكابره إياهم بالكفر، وكقوله (٧) تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَجْعَلُ

(١) يريد بالنص على وجود المجاز العقلي في القرآن الرد على من ينكر وجود المجاز مطلقاً في القرآن، لأنه يوم الكذب، والقرآن منزّه عنه، ورد بأنه لا إلهام مع وجود القرينة.

(٢) آية ٢ سورة الأنفال.

(٣) آية ٢٣ سورة فصلات.

(٤) آية ٤ سورة القصص.

(٥) آية ٢٧ سورة الأعراف.

(٦) آية ٢٨ سورة إبراهيم.

(٧) آية ١٧ سورة الزمل.

الولدان شيئا (ج) نسب الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه ، كقولهم «نهاره» ، صائم ، وكقوله (١) تعالى : (وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْمَارَهَا) .

وهو غير مختص بالخبر (٢) بل يجرى في الإنشاء كقوله (٣) تعالى : (إِذْ قَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا) وقوله : (يَا مُؤَدِّ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا) (٤) وقوله : (فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) (٥) .

تقسيم قرينته : ولا يهد له من قرينة : إما لفظية ، كما سبق في قول أبي النجم ، أو غير لفظية كاستحالة مصدر المسند من المسند إليه المذكور (٦) . أو قيامه به (٧) هفلا ، كقولك «محبك جاءك في إليك» (٨) . أو عادة ، كقولك

(١) آية ٢ سورة الزلزلة فقد نسب فيه الإخراج إلى مكانه وهو الأرض مع أن الله هو المخرج للدقائق وهي الموتى . وقيل إن الإسناد للفعول لأنه على تقدير — من — أى أخرج الله من الأرض .
(٢) مثله الحقيقة العقلية كما سبق .

(٣) آية ٣٦ سورة غافر والشاهد في نسبة البناء لهامان ، وليس هو الذى يفعله ، وإنما يأمر به ، لأنه كان وزيراً لفرعون ، فيكون من الإسناد للسبب . والمجاز العقلي يجرى أيضاً في كل أنواع الإنشاء مع ملائسات الفعل السابقة .

(٤) آية ٣٨ سورة القصص والشاهد في نسبة الإيقاد لهامان لأنه بسببه .
(٥) آية ١١٧ سورة طه والشاهد في نسبة الإخراج لإبليس لأنه بسببه .
(٦) أى في الكلام وهو المسند إليه المجازى ، لأنه هو الذى يذكر في المجاز العقلي .

(٧) هذا معطوف على قوله «مصدر» لأن المصدر الحدث ، والقيام الاتصاف ، والأول مثل — ضرب — والثاني مثل — قرب — وبمبدأ .

(٨) لظهور استحالة قيام المحب بالمحبة ، وهذا إنما يجرى على مذهب المبرد =

دهزم الأمير الجند ، وكسا الخليفة السكةبة ، وبنى الوزير القصر ، . وكصددور
السكلام (١) من الموحدين (٢) في مثل قوله (٣) : « أشاب الصغير . . . البيت .

دقة مسلكه : وأعلم أنه ليس كل شيء يصلح لأن تتعاطى فيه المجاز العقلي
بسهولة ، بل تجدك في كثير من الأمر تحتاج إلى أن تهيب الشيء وتصلحه له بشيء
فتسوخاه في النظم ، كقول من يصف جملاً :

تجوب له الظلماء حين كأنها زجاجة شرب غير ملأى ولا صفر (٤)

يريد أنه يتسدى بفور عينه في الظلماء ، ويمكنه بها أن يخرقها ويغشى فيها ،
ولولاها لكانت الظلماء كاسد الذي لا يجد السائر شيئاً يفرجه به ، ويجعل لنفسه
في سبيله سبيلاً ، فلولا أنه قال « تجوب له » فعلق « له » لما تبين جهة التجوز

== في باء التمدية ، فهي تقضى عنده بمشاركه الفاعل للمفعول في الفعل ، وهي عند
سيبويه بمعنى همزة النقل في نحو « أذهبت زيدا » أي جعلته ذاهباً ، فتكون المحبة
عنده حاملة فقط على المجيء ، وليس في هذا مجاز عقلي .
(١) « عطف على » كاستحالة .

(٢) المراد به الموحدين الكامل بخلاف المعتزلة ، والقريبة هنا حالية ، وإنما لم
يكن هذا من الاستحالة العقلية ، لأن المراد بها الاستحالة الضرورية التي لا خلاف
فيها ، وما هنا محل خلاف بين المؤمن والدهري ، والمعتزلة من الموحدين يقولون
بتأثير الأسباب العادية ، فلا يكون الاستناد إليهما مجازاً عندهم .

(٣) أي الصلتان العبدى فيما سبق .

(٤) لا يعلم قائله ، وقبلة :

تناس طلاب العامرية إذ نأت بأسجج مرقال الضحى قلاق الضفر
إذا ما أحسته الأفاعى تهيزت شواة الأفاعى من مكلمة سمر
والشرب جمع شارب ، والصفر الخالية ، والمجاز في إسناد « تجوب » إلى العين ،
وإنما قيد الزجاجه بكونها غير ملأى ولا صفر؛ لأن العين إنما تشبهها في هذه الحالة .

في جعل الجواب فعلا للمعين كما ينبغي ، لأنه لم يكن حينئذ في الكلام دليل على أن
اهتمامه صاحبها في الظلماء وفضيه فيها بنورها ، وكذلك لو قال دتجوب له الظلماء
عينه ، لم يكن له هذا الموقع ، ولا تقاطع المستمالك من حيث كان يعرجه حينئذ أن
يصف العين بما وصفها به (١) .

الخلاف في استلزامه الحقيقة : واعلم أن الفعل المجنى للفاعل في المجاز العلى
واجب أن يكون له فاعل في التقدير ، إذا أمند إليه صار الإسناد حقيقة ، لما يشهد
بذلك تعريفه بما سبق (٢) ، وذلك قد يكره ظاهراً ، كما في قوله (٣) تعالى : ﴿ فإ
رجعت تجارتهم ﴾ أى فارجعوا في تجارتهم ، وقد يكون خفياً لا يظهر إلا بعد انظار
وتأمل ، كما في قوله « سرتنى رؤيتك » أى سرتنى الله وقت رؤيتك ، كما تقول أصل
الحكم في « أنبت الربيع البقل » أنبت الله البقل وقت الربيع ، وفي « شفى الطبيب
المريض » شفى الله المريض عند علاج الطبيب ، وكما في قوله « أقدمنى بلك حق
لى على فلان » أى أقدمنى نفسى بلك لأجل حق لى على فلان ، أى قدمت لذك ،
ونظيره « محبتك جاءت فى إليك » أى جاءت فى نفسى إليك لمحبتك : أى جئتكم
لمحبتك ، وإنما قلنا : إن الحكم فيما مجاز لأن الفعاين فيهما مستندان إلى الداعى (٤)
والداعى لا يكون فاعلاً ، وكما في قول الشاعر :

(١) لأن تكثيرها هو الذى هيا له وصفها به .

(٢) يرد بهذا عل ما يفيد ظاهراً كلام عبد القاهر من أن الفعل المجنى للفاعل في
المجاز العلى لا يجب أن يكون له فاعل حقيقى ، كما في قوله — سرتنى رؤيتك —
والخلاف في هذا لا شمة له ولا يصح الاشتغال به في علم البلاغة ، ولا يريد عبد القاهر
إلا أن العرف في مثل هذا لم يجر بإسناد الفعل إلى الفاعل الحقيقى ، فلا يقال فيه :
سرتنى الله عند رؤيتك .

(٣) آية ١٦ س البقرة .

(٤) يعنى الداعى إلى الفعل وهو السبب .

وصيّرني هــواك وبـي الحينى ميعزب المثل (١)
أى وصيرنى الله لهواك وحالى هذه ، أى أهلكنى الله ابتلاء بسبب هواك .
وكافى قول الآخر وهو أبو نواس :

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا (٢)

أى يزيدك الله حسنا فى وجهه لما أودعه من دقائق الجمال متى تأملت .
إنكار السكاكى له : وأنكر السكاكى (٣) وجود الجواز العقلى فى الكلام (٤)

(١) هو — كما فى الأغاني لأبى عبد الله محمد بن أبى محمد يحيى بن المبارك الزيندى ،
وقيل : لأنه لابن البواب ، وقيله :

أنتك عائدك بك منى لك لما ضاقت الحيل

وبعدو :

فإن ظفرت بكم نفسى فما لا قيتسه جلال

وإن قتل الهوى رجلا فإني ذلك الرجل

والحين فى الأصل الهلاك ، استعير لما وصل إليه من سوء الحال فى هواه .

(٢) هو للحسن بن هانئ المعروف بأبى نواس . والمراد بالحسن حسن الوجه
وجماله وليس المراد به استحسان الناظر إليه . ورواية الديوان :

وجوهه عندنا تحكى بدارة وجهها القمر

يزيدك وجهها حسنا إذا ما زدته نظرا

وقيل إن البيت لابن المعدل ، وقيله :

لعتبة صفحتا قر يفوق سناها القمر

يريد وجهها .

(٣) ٢١٢ — المفتاح .

(٤) ذهب ابن الحاجب أيضا إلى أن الجواز فى لفظ « أنشئت » مثلا من
قولك « أنشئت الربيع البقل » وهو يوافق السكاكى فى إنكار الجواز العقلى =

وقال : « الذى عندى نظمتُ فى سلك الاستعارة بالسكناء ، بجعل الربيع استعارة بالسكناء عن الفاعل الحقيقى ^(١) بواسطة المبالغة فى التشبيه ، على ما عليه معنى الاستعارة ، كما سيأتى . وجعل نسبة الإنبات إليه قرينة للاستعارة وجعل الأمير المدبر لأسباب هزيمة العدو استعارة بالسكناء عن الجند الهازم ، وجعل نسبة الهزم إليه قرينة للاستعارة . وفيما ذهب إليه نظر ؛ لأنه يستلزم أن يكون المراد بعيشة فى قوله ^(٢) تعالى : (فهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) صاحب العيشة لا العيشة ^(٣) وبما فى قوله : (خَلَقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ) ^(٤) فاعل الدفق لا المني ^(٥)

وذهب الفخر الرازى إلى إنكاره أيضا ، ولكنه يحمل نحوه أنبت الربيع البقل ، على أنه تمثيل يوزد ليتصور معناه وينتقل الذهن منه إلى إنبات الله تعالى ، فلا يحتاج عنده إلى الإسناد ولا فى طرفيه ، وذهب سيديويه إلى أنه من التوسع فى الكلام فيحتاج فيه إلى التأويل فقط ، كما يؤول — فام ليلي — بأنه على تقدير نمت فى ليلي ؛ فجعل المذهب فى ذلك خمسة ، والخلاف بينهم فيها بما لا يصح الاشتغال به فى هذا العلم ، وأقربها إلى أسلوب اللغة جعل التجويز فى الإسناد ، كما ذهب إليه الخطيب ، وهو مذهب عبد القاهر إمام هذا الفن ، لأنه لا تكلف فيه كغيره من المذاهب .

(١) هو الله تعالى ، وإنما لم يصرح به ليدفع عن سوء الأدب فى التشبيه من اللفظ وما كان أغنى السكاكى عن ذلك المذهب الذى يحوج إلى هذا التكلف .

(٢) آية ٢١ س الحاقة .

(٣) وجه اللزوم أن ضمير — راضية — يعود إلى عيشة ، فيلزم أن يكونا بمعنى واحد ، ووجه بطلان اللزوم ما فيه من ظرفية للشئ فى نفسه .

(٤) آية ٣ س الطارق .

(٥) لأن ضمير دافق ، يعود إلى ماء ، فيلزم أن يكونا بمعنى واحد ، ووجه بطلان اللزوم ما فيه من إنبات خلق الإنسان من نفسه ،

لما سيأتى من تفسيره للاستعارة بالكناية (١) . ولا تصح الإضافة في نحو قولهم
 وفلان نهاره صائمٌ وليله قائمٌ ، لأن المراد بالنهار على هذا فلان نفسه ، وإضافة
 الشيء إلى نفسه لا تصح . وألا يكون الأمر بالإيقاد على الطين في إحدى الآيتين (٢)
 وبالبناء فيهما لهامان (٣) مع أن النداء له (٤) . وأن يتوقف جواز التركيب في نحو
 قولهم « أفتت الربيع البقل ، وسرتنى رقيبك » على الإذن الشرعى ، لأن أسماء الله
 تعالى توقيفية ، وكل ذلك منتف ظاهر الانتفاء ، ثم ما ذكره منقوض بنحو
 قولهم « فلان نهاره صائم » فإن الإسناد فيـه مجاز ، ولا يجوز أن
 يكون النهار استعارة بالكناية عن فلان ، لأن ذكر طرفي التشبيه يمتنع من حمل
 الكلام على الاستعارة ، ويوجب حمله على التشبيه ، ولهذا معناه نحو قولهم « رأيت
 بفلان أسداً ، ولقيت منه أسداً » تشبيهاً لا استعارة ، كما صرح السكاكى أيضاً
 بذلك في كتابه (٥) .

تذييله

سبب إيراد الحقيقة والجاز العقليين في علم المعاني : إنما لم نورد الكلام
 في الحقيقة والجاز العقليين في علم البيان كما فعل السكاكى ومن تبعه ، لدخوله

-
- (١) ما سيأتى هو أن منها ما عنده على دعوى أن المستشبه فرد من أفراد المشبه به .
 - (٢) أى السابقتين وهما : (يا هامان ابن لي صرحاً) (فأرقدنلى يا هامان)
 على الطين فاجملنلى صرحاً) آية ٣٦ و ٣٧ سورة غافر .
 - (٣) بل يكون للمعملة الذين تشبه هامان بهم .
 - (٤) فيكون الأمر له لتلا يلزم تعدد المخاطب في كلام واحد .
 - (٥) أجاب أصحاب الحواشى عن السكاكى بأجوبة أعرضنا عنها ؛ لأنه لا يصح
 الظهور بها في علم البلاغة ، والحق أن الجاز العقلى طريقه غير طريق الاستعارة
 بالكناية ، لأنها تقوم على علاقة المشابهة كغيرها من الاستعارات ، بخلافه ،
 فلا يصح حمله عليها .

في تعريف علم المعاني دون تعريف علم البيان (١) .

(١) بيان ذلك أن الحقيقة والمجاز العقليين حالان من أحوال اللفظ ، وأنه يوثق بهما لأحوال تقتضيهما ، لأن ملابسات الفعل السابقة تقتضي الإتيان بالمجاز العقلي عند قصد المبالغة ، وعدمها يقتضي الإتيان بالحقيقة العقلية ، وبهذا يدخلان في تعريف علم المعاني ، وإنما لم يدخل في تعريف علم البيان لأنهما ليسا من أحوال الدلالة ، وقد اعترض على هذا بأن الحقيقة والمجاز اللغويين حالان من أحوال اللفظ أيضا وكل منهما له أحوال تقتضيه كالحقيقة والمجاز العقليين ، وقد ذكرهما الخطيب كغيره في علم البيان ، فإذا أجب بأنهما من أحوال الدلالة فيدخلان في علم البيان ، قيل : إنه يمكن جعل الحقيقة والمجاز العقليين من أحوال الدلالة أيضا ، لأن إثبات البطل أمثلا يمكن أن يدل عليه بقولنا « أثبت الله البطل » ، على طريق الحقيقة ، وبقولنا « أثبت الربيع البطل » ، على طريق المجاز ، وهكذا ، ولسكن هذا يتوقف على دخول دلالة الحقيقة في طرق الدلالة المذكورة في تعريف علم البيان .

تمريبات على الحقيقة والمجاز العقليين

تمرين - ١

بين الحقيقة والمجاز العقليين والأحوال الداعية إليهما فيما يأتي :

- (١) فتعها وسلّهم عنها بحسرة ذمول إذا صام النهار وهجرأ
- (٢) لاني لمن معشر أفي أوائلهم قيل السكة ألا أين الحمامونا
- (٣) إن المنبت لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى .
- (٤) قوله تعالى : (والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون) آية ٦٥ سورة النحل .

تمرين - ٢

بين نوع المبالغة فيما يأتي من المجاز العقلي :

- (١) هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن من ساءته أزمان
- (٢) وكل امرئ يولي الجليل محبب وكل مكان ينبت العز طيب
- (٣) قوله تعالى : (وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً) آية ٦٧ سورة يونس .

تمرين - ٣

- (١) ما وجه من جعل الحقيقة والمجاز العقليين من علم المعاني ؟ ... وما وجه من جعلهما من علم البيان ؟ ... وهل لهذا الخلاف ثمرة في البلاغة ؟
- (٢) بين الخلاف في كون الحقيقة والمجاز العقليين وصفين للشكلام أو للإسناد ، وما هي ثمرة هذا الخلاف في المتصود من علوم البلاغة ؟

القول في أحوال المسند إليه

أغراض الحذف : أما حذفه فإمّا لمجرد الاختصار (١) والاحتراز عن العبث ببناء (٢) على الظاهر ، وإما لذلك مع ضيق المقام (٣) ، وإما لتخجيل (٤) أن تركه تعويلاً على شهادة العقل وفي ذكره تعويلاً على شهادة اللفظ من حيث الظاهر ، وكما بين الشهادتين . وإما لاختيار تذكيره السامع عند القرينة (٥)

(١) الحذف هو حال المسند إليه ، وكذا ما سيأتي من الذكر والتعريف والتذكير والتقديم والتأخير ، ومجرد الاختصار وما عطف عليه هي الأحوال الداعية إلى الحذف ، وهذا يقال في الحذف بما يأتي ، وهذه الأحوال تسمى أغراضاً أيضاً . والاختصار غرض مطّرد في الحذف ، فقارة يكون وحده ، وتارة يكون مع غيره من أغراض الحذف ، وحذف المسند إليه يشمل حذف المبتدأ وحذف الفاعل مع إنابة المفعول عنه .

(٢) بناء : حال من العبث ، أي حال كون العبث مبنياً على الظاهر بأن تكون هناك قرينة تدل على المحذوف ، لأنه لا يصح حذفه من غير قرينة تدل عليه ، وظاهره أن الاختصار والاحتراز عن العبث غرضان لا ينفصل أحدهما عن الآخر . (٣) ضيق المقام قد يكون بسبب شعر أو ضجر أو خوف فوات فرصة أو نحو ذلك .

(٤) إنما قال "تخجيل" لأن الدالة حقيقة عند المحذف هو اللفظ المدلول عليه بالقرينة ، وهذه نسكنة فلسفية أتى بها السكاكي في أغراض الحذف وليست في شيء من البرقة العربية .

(٥) هذا كأن يوردك رجلان سبقت لأحدهما صحبة لك ، فتقول لمن معك : "وفي" ، تريد : الصاحب . وفي .

أو مقدار تنبيهه (١) ، وإما لإيهام أن في تركه تطهيراً له عن لسانك أو تطهيراً
لسانك عنه (٢) ، وإما ليكون لك سبيل إلى الإنكار إن سميت إليه حاجة (٣) ، وإما
لأن الخبر لا يصلح إلا له حقيقة أو ادعاء (٤) وإما لاعتبار آخر مناسب لا يمتد
إلى مثله إلا العقل السليم والطبع المستقيم (٥) .

(١) هذا كان يزورك رجلان أحدهما أقدم صحبة من الآخر ، فتقول لمن معك
و جدير بالإحسان ، تريد الأقدم صحبة جدير بالإحسان ، والفرق بين هذا
وما قبله أن اختيار مقدار التنبيه لا يكون إلا في القرائن الخفية . وهذا الغرض
بقسميه من تكلفتهم أيضاً .

(٢) قيل : إن لفظ إيهام ، هنا لا داعي إليه ، وكذلك لفظ تخيير ،
فيما سبق ، لأن ذلك يقع حقيقة لا تخييراً ولا إيهاماً ، والاول كقولك : خاتم
الأنبياء ، أي محمد ﷺ ، والثاني سيأتي في أمثلة الإيضاح .

(٣) هذا كقولك : فاجر ، تريد رجلاً معروفاً ، فلا تذكره لتقول عند
الحاجة ما أردته .

(٤) الاول كقوله تعالى : (عالم الغيب والشهادة) - آية ٩ من الرعد ،
والثاني كقولك : وهاب الألف ، تريد كريماً لا تذكره ادعاء لتعريفه وشهرته .

(٥) من ذلك تعجيل المسرة أو المساءة كقولك للسائل : دينار . وهذه المحافظة
على وزن أو سجع ، كقولهم : من طابت سريرته محدث سيرته . فلو قيل
وحمد الناس سيرته ، لغات السجع ، وإن أرى أن هذا غرض يراعى من أجل تحسين
بديعي ، فلا يفوت بتركه إلا ذلك المحسن ، ولا يكون مقامه في البلاغة كنهه ،
وقد ذكر بعضهم من أغراض الخلف اتباع الاستعمال الوارد على تركه ، كما في قولهم
« رمية » من غير رام ، أو على ترك لظائره ، كالرفع على المدج أو الذم في النعت
المقطوع ، واعتراض عليه بأن الخلف في ذلك ليس لأغراض بلاغية ، وإنما يرجع
إلى اقتضاء العربية له ، وأجيب بأن هذا الخلف مع وجوبه عربية لا يصار إليه إلا

كقول الشاعر :

قال لي : كيف أنت ؟ قلعةٌ عليلٌ سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلٌ (١)

وقوله :

سأشكر عمراً إن تراخت مني متى أبادى لم تمنن وإن هي جلت فتي غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النمل زلت (٢)

وقوله :

أضأت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه نهمهم سماء كلها انقض كوكبٌ بدا كوكبه تأوى إليه كواكبه (٣)

== الفرض بلاغى يقتضيه ، وهو جواب ظاهر الضم ، لأنه لا معنى لتوقف الحذف على الفرض البلاغى مع وجوبه في ذاته ، إذ لا بد منه وجد هذا الفرض أو لم يوجد . (١) لا يعلم قائله ، والشاهد في قوله « عليل » لأن التقدير أنا عليل . وفي قوله « سهر دائم » ، لأن التقدير حالى سهر دائم ، والحذف فيه للاختصار والاحتراز عن العبث مع ضيق المقام بسبب الضجر والشعر .

(٢) هما لعبد الله بن الزبير الأسدي في مدح عمرو بن عثمان بن عفان ، وقيل إنهما لإبراهيم بن العباس الصولي ، وقيل غير هذا في نسبتها . وأبادى بدل اشتمال من عمرو ، والتمديد أبادى له ، وهى جمع أيدى بمعنى النعم ، وأيدى جمع يد ، وقوله « لم تمنن » معناه لم تقطع أو لم تخلط بمنة ، وقوله « إذا النمل زلت » كناية عن نزول الشر ، وزلت بمعنى زلت ، والشاهد في قوله « فتي » ، لأن التقدير هو فتي ، والحذف فيه للاختصار والاحتراز عن العبث مع ضيق المقام بسبب الشعر . وقد قيل إنه لصون المحذوف عن لسان المادح ، وقيل إنه لادعاء تميته ، وكلاهما ضعيف لأنه صريح باسمه قبله .

(٣) قيل : إنهما لحنظلة بن الشرفي المعروف بأبي الطمجان القينى .

وقول بعض العرب في ابن عم له مومس سألته فنهقه ، وقال : كم أعطيك مالى وأنت تنفقه فيما لا يعينك ، والله لا أعطيك . فتركه حتى اجتمع القوم في ناديم وهو فيهم ، فشكاه إلى القوم وذممه ، فوثب إليه ابن عمه فاطمه ، فأنشأ يقول :
 سريع إلى ابن العم بلطم وجهه وليس إلى داعى الندى بسريع
 حريص على الدنيا مضيق لدينه وليس لما في بيته بمضيق^(١)
 وعليه قوله تعالى : ﴿ مضمٌ بكم عمى ﴾^(٢) وقوله تعالى : ﴿ وما أدراك ما هيه ، نارٌ جاميه ﴾^(٣) ، وأيام القرينة شرط في الجميع^(٤) .

== وقيل : للقيط بن مزرارة ، في مدح د بنى لأم ، من طيء وهو الصحيح وكان في أسير بجهر بن أوس الطائي فأطلقه ، فذبحه بذلك ، والجوزع : خورن فيه بياض وسواد ، والشاهد في قوله د نجوم سماء ، لأن التقدير هم نجوم سماء ، والحذف فيه للاختصار والاحتراز عن العبث مع ضيق المقام بسبب الشعر ، وقيل : لأنه لصون المحذوف عن لسان المادح ، هذا وبعضهم يأخذ على البيت الأول ما فيه من المبالغة التي جاوزت الحد ، وبعضهم يعجب به ويقول : هو أمدح بيت قيل في الجاهلية .
 (١) هما للغير بن عبد الله المعروف بالآقيشير الأسدي . والندى : السكرم ، والشاهد في قوله د سريع إلى ابن العم ، لأن التقدير هو سريع ، والحذف فيه لصون اللسان عن المحذوف مع الاختصار والاحتراز عن العبث .

(٢) آية ١٨ سورة البقرة .

(٣) آية ٩ ، و ١٠ سورة القارعة .

(٤) أى في جميع أغراض الحذف ؛ لأنه لا يصح الحذف إلا معه ، واعتبار البلاغة إنما يكون بعد اعتبار الصحة ، وقد يغنى عن هذا قوله فيما سبق — بناء على الظاهر .

هذا وقد ترك أمثلة حذف المسند إليه الفاعل مع إنابة المفعول عنه . ومن ذلك هذه الأمثلة :

أغراض الذكر : وأما ذكره ، فإمّا لأنه الأصل ولا مقتضى الحذف (١) ، وإمّا للاحتياط لضعف التعويل على القرينة (٢) ، وإمّا للتنبيه على غباوة السامع (٣) ،

سُبقنا إلى الدنيا . فلو عاش أهلها مُمنغنا بها من جيفة وذُءوب
نبتت أن أبا قابوس أوعدي ولا قرار على زار من الأسد
أسرت وما صحت بمثل لدى الوعى ولا فرسى مهتر ولا ربته غمر
لأن كنت قد بلغت عن خيانة لمبلغك الواشى أغش وأكذب

والحذف في الأول للعلم بالحذف ، وفي الثاني للخوف عليه ، وفي الثالث لضيق
المقام ، وفي الرابع لاحتمار المحذوف .

(١) إمّا قدم أغراض الحذف على أغراض الذكر لأن الأولى أهم في البلاغة من
الثانية ، والذكر الذي يبحث عن أغراضه هو الذي يصح الاستغناء عنه لوجود القرينة
فوجودها شرط في الذكر كما هو شرط في الحذف ؛ لأنه مع فقدما يتعين الذكر ،
وإمّا يبحث في هذا العلم عن الأغراض المراجعة كما سبق ، وقد اعترض على هذا
الفرض بأنه مع وجود القرينة يكون مقتضى الحذف موجوداً ، ويكون الأصل
الحذف ، لا الذكر ، وأجيب بأنه يريد لا مقتضى الحذف في قصد المتكلم وإن كان
موجوداً في نفسه . وإني أرى أنه متى وجدت القرينة يتعين الحذف بلاغة ، ولا يصح
الذكر لمثل هذا الفرض ، فالأولى الاختصار على ما بعده . وقيل : إن مراده أن الذكر
هو الأصل عند فقد القرينة ؛ ويكون ما بعده من الأغراض عند وجودها ، ولا يخفى
ضعف هذا الجواب أيضاً .

(٢) هذا عند خفاء القرينة ، كما تقول : من حضر ومن سافر ؟ فيقال :
الذي حضر زيد ، والذي سافر عمرو ، ولا يقال زيد وعمرو ، لأن السامع قد
يجهل تعيين ذلك في السؤال .

(٣) هذا عند ظهور القرينة ، كما تقول : من حضر ؟ . فيقال : والذي حضر زيد .

ولما لزيادة الإيضاح والتقرير (١) ، ولما لإظهار تعظيمه أو إهانتة كما في بعض
الاسامي المحمودة أو المذمومة (٢) ، ولما للتبرك بذكره (٣) ، ولما لاستلزام (٤) ،
ولما لبسط الكلام حيث الإصغاء مطلوب ، كقوله تعالى حكاية عن موسى عليه
السلام (هـ هـ ص) (٥) ولهذا زاد على الجواب (٦) . ولما انحو ذلك (٧) .

(١) نحو قول الشاعر :

وقد علم القبائل من كعد إذا مقبب بأبطهم بغيرنا
بأننا المطعمون إذا قسدرنا وأنا المهلكون إذا ابتلينا
وأنا المانعون لهما أرذنا وأنا النازلون بحيث شينا
وأنا التارصكون إذا سخطنا وأنا الآخذون إذا رضينا

(٢) الأول محمود أمير المؤمنين حاضر ، والثاني نحو «السارق الشيم حاضر»
جوابا لمن سأل عنهما .

(٣) كقولك لمن سألك : هل الله يرضى هذا ؟ : الله يرضاه .

(٤) نحو قول الشاعر :

بالله يا ظبيات الفراع قلن لنا ليلنا منسكن أم ليلنا من البشر
(٥) آية ١٨ سورة طه

(٦) فقال : (أنوكأ هليما وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى)
وكل هذا لأن الكلام مع رب العزة ، وإصغاء الخاطب في مثل هذا مطلوب للتكلم ،
والإصغاء محال على الله تعالى ، ولكن كلامه يحوي على أساليب العربية ، بقطع
النظر عن كونه كلامه .

وقد يطلب بسط الكلام لغرض ذلك من مقامات المدح والثناء والفخر ونحوها
كقول الشاعر :

فعباس يصد الخطب هنا وعباس يهجر من استجارا

(٧) كالسجيل على السامع حتى لا يتأق له الإنكار ، ومنه قول الفرزدق
في علي بن الحسين رضي الله عنهما حين أنكر هشام بن عبد الملك معرفته :
=

قال السكاكي (١) : وإما ليكون الخبر عامّ النسبة إلى كل مسند إليه ، والمراد تخصيصه بمعنى (٢) كقولك « زيدٌ جاء » وهو ذهب ، وخالد في الدار ، وقوله :
الله أنجح ما طلبت به ، والبرُّ خير حقيقة الرحمن (٣)
وقوله :

النفْسُ رغبةٌ إذا رغبتهما وإذا مرّدتُ إلى قليلٍ تنقع (٤)
وفيه نظر ؛ لأنه إن قامت قرينة تدل عليه إن حذف ، فعموم الخبر وإرادة
تخصيصه بمعنى واحد لا يقتضيان ذكره ، وإلا فيكون ذكره واجبا (٥) .

= هذا ابنُ خير عبادِ الله كلهم هذا السَّقِيُّ النقي الطاهر العَلَمُ
هذا ابنُ فاطمة إن كنتَ جاهله بجودته أنبياءُ الله قد مُخْتَمِسُوا
(١) ٩٥ — المفتاح .

(٢) أي ذكر مسند إليه خاصّ مُيسندُ إليه الخبر ، فلا يريد بالتخصيص نصير
الخبر عليه ؛ لأنه لا قصر فيما ذكره من الأمثلة . وقيل : إنه يريد به القصر على
ما سيأتى في تقديم المسند إليه . وردّ بأن هذا خلاف مذهب السكاكي ، لأنه يرى
أن المبتدأ إذا كان اسما ظاهراً لا يفيد القصر كما سيأتى .

(٣) هو لاسرى القيس بن سنج بن محجر ، واختار صاحب الألفاظ أنه
لاسرى القيس بن عابس . وأنجح : أفل تفضيل من وأنجح الله طلبته ، على مذهب
سيبويه في تجويز بنائه من المريد ، وما ، في قوله « ما طلبت به » نكرة
موصوفة ، بمعنى شيء ، والبر : الطاعة ، والحقيقة ما يوضع فيه الزاد ونحوه ،
والرحل : الرحيل .

(٤) هو لحويلد بن خالد المعروف بأبي مذكؤئب الهذلي ، وقوله : رغبتهما :
بمعنى أطمعتها ، ورواية الجهرة : « والنفْسُ » بالواو .

(٥) أجيب عن هذا النظر بأنه لا مانع من أن يكون ذكره لعدم القرينة
وللتخصيص بمعنى معاً ، ولا يخفى ضعف هذا الجواب لما سبق من وجوب القرينة
في الذكر ، كالحذف .

تمارين على الذكر والحذف

تمرين ١ -

لماذا حذف المسند إليه في الأمثلة الآتية :

- ١ - وما المال والامالون إلا ودائع ولا بُدَّ يوماً أن تمتدَّ الودائع
- ٢ - سألوني في سقاي كيف حالي؟ قلتُ : نضوء
- ٣ - ولاني رأيتُ البخل يزدري بأهله فأكرمتُ نفسي أن يُقال بخيلٌ

تمرين ٢ -

لماذا ذكر المسند إليه في الأمثلة الآتية :

- ١ - ولاني لحلة تعتريني مرارة ولاني لثراءك لما لم أعود
- ٢ - قوله تعالى ﴿ فأصبح في المدينة خائفاً يترقب ﴾ فإذا الذي استنصره بالأمس يستنصره قال له موسى إنك لغوى مبين ﴿ آية ١٨ ﴾ القصص .
- ٣ - قوله ﷺ : « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » .

تمرين ٣ -

بين حال المسند إليه في الذكر والحذف والداعي إليهما فيما يأتي :

- ١ - قفَّالٌ مُحْكَمٌ نَفَّاسٌ مُبْرَمَةٌ فتاحٌ مَبْهَمَةٌ حَبَّاسٌ أُرَادِ
- ٢ - قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ﴾ آية ٢٨١ س الإخلاص
- ٣ - إن مُبْتَدَرٌ غَايَةٌ يَوْمًا مُسْكِرَةٌ تلقى السواقة منا والمصلينا
- ٤ - قوله تعالى : ﴿ فصبر جميل والله المستعان ﴾ على ما تصفون ﴿ آية ١٨ ﴾ يوسف

أغراض التعريف

أغراض التعريف : وأما تعريفه فلتتكون الفائدة أتم^(١) لأن احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة في الإعلام به أقوى ، ومتى كان أقرب كانت أضعف .
وُبعدهُ بحسب تخصيص المسند إليه والمسند^(٢) كلما ازداد تخصيصاً ازداد الحكم مُبعداً ، وكلما ازداد صوماً ازداد الحكم قريباً ، وإن شئت فاعتبر حال الحكم في قولنا « شيء ما موجود » وفي قولنا « فلان بن فلان يحفظ الكتاب » والتخصيص كماله بالتعريف .

أغراض التعريف بالإضمار ، ثم التعريف بغيره ، فإن كان بالإضمار : فإما لأن المقام مقام التكلم^(٣) كقول بشار :
أنا المرتعث لا أخفى على أحد
ذرت في الشمس للقاصي والداني^(٤)
وإما لأن المقام مقام الخطاب ، كقول الحماسية :

-
- (١) أى مع اقتضاء المقام له ، ولهذا أثر عليه التذكير في قوله تعالى : ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ﴾ آية ٢٠ من القصص .
 - (٢) المراد بالتخصيص التعيين ، وإلما كان التعيين سبباً في بعد الحكم ، لأن كل واحد يعلم حصول ضرب ما مثلاً من أى إنسان ، ولا يعلم حصول ضرب معين من شخص معين ، فتتكون الفائدة أتم في الحكم على المعين .
 - (٣) لا يخفى أن مقام التكلم يوجب ضمير المتكلم ، ومقام الخطاب يوجب ضمير الخطاب ، ومقام الغيبة يوجب ضمير الغيبة ، ومثل هذا لا يبحث عنه في البلاغة كما سبق ، وإنما هي معان محوكة لا يصح ذكرها في علم البلاغة .
 - (٤) المرتعث المقرط ، لقَّب به لرعشة كان يعقلها وهو صغير في أذنه . وقوله « ذرت » منناه طلعت ، وهو كناية عن شهرته . والشاهد في قوله « أنا » لأن المقام للتكلم ، وقد علمت ما فيه . والحق أن ضمير التكلم يؤتى به في مقام الفخر وبخود لما فيه من الإشعار بالاعتداد بالنفس .

وأنت الذي أخلفني ما وعدتني وأثمتني من كان فيك يلوم^(١)
ولما لأن المقام مقام الغيبة لكون المسند إليه مذكوراً أو في حكم المذكور
القريبة^(٢) كقوله :

من البيض الوجه بنى سنان لو أنك تستهني هم أهدوا
مهم حلو من الشرف المعالي ومن حسب العشرة حيث شاءوا^(٣)
وقوله تعالى : ﴿ اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾^(٤) أى العدل ، وقوله
تعالى : ﴿ ولا يره لكل واحد منهما الشئ ﴾^(٥) أى ولا يره الميت^(٦) .
وأصل الخطاب أن يكون لمعين ، وقد يترك إلى غير معين^(٧) كما تقول

(١) هو لإمامة الختمية مخاطب ابن الدمينه الشاعر ، وكان ينزل بها في شعره ،
ثم تزوجها بعد ذلك ، وقد وردت في أكثر شعره أميمة بتصغير الترخيم .
(٢) بهذا يمتاز مقام ضمير الغيبة عن مقام الاسم الظاهر ، لأنه لا غيبة أيضاً .
(٣) هما لأبي البرج القاسم بن حنبل المرسي ، في زفر بن أبي هاشم بن مسعود ،
وقيلهما :

أرى الخلال بعد أبي حبيب بحجر في جنبهم خفاء
ويبيض الوجه كناية عن السيادة والشرف . والشاهد في ضمائر الغيبة الأربعة
في البيتين .

(٤) آية ٨ سورة المائدة .

(٥) آية ١١ سورة النساء .

(٦) المثالان في الآيتين لعود الضمير على ما هو في حكم المذكور ، والقريبة
في الأول لفظية وفي الثاني حالية .

(٧) فيدل على العموم البدلي بطريق المجاز أو الحقيقة . وقيل : إن ذلك من
الإخراج على خلاف مقتضى الظاهر ، لأن قوله تعالى : ﴿ ولو ترى ﴾ الظاهر فيه
ولو يرى أن كل أحد ، ومثل هذا هو الذي يعد من وجوه البلاغة في هذا الباب =

و فلان لثيم إذا أكرمته أهانك ، وإن أحسنت إليه أساء إليك ، فلا تريد مخاطباً بعينه بل تريد إن أكرّم أو أحسّن إليه ، فتخرجه في صورة الخطاب ليفيد العموم ، أى سوء معاملته غير مختص بواحد دون واحد . وهو في القرآن كثير ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (١) أخرج في صورة الخطاب لئلا يريد العموم للقصد إلى تفضيح حالهم ، وأنها تناهت في الظهور حتى امتنع خفاؤها ، فلا تختص بها رقية راء ، بل كل من يتأتى منه الرقية داخل في هذا الخطاب (٢) .

أغراض التعريف بالعلمية : وإن كان بالعلمية فيما لإحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء باسم مختص به (٣) كقوله (٤) تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وقول الشاعر :

أبو مالك قاصر فقرة على نفسه ومُشيع غناه (٥)

== لما فيه من تلك المزية الظاهرة ، ويمكن أن يعد منها الالتفات الآتي ، واستعمال ضمير الجمع في الواحد ، ونحو ذلك مما لا يدخل في المعاني النحوية للضمائر .

(١) آية ١٢ سورة السجدة .

(٢) منه أيضاً قول الشاعر :

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هواناً بها كانت على الناس أهواناً
وقول الآخر :

إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنت ومالك الدنيا سواء

(٣) هذا أيضاً من استعمال العلم في معناه الأصلي ، فلا يصح أن يعد من وجوه

البلاغة .

(٤) آية ١ سورة الإخلاص وإنما تكون الآية من تعريف المستند إليه بالعلمية

إذا جعل لفظ الجملة مبتدأ ثانياً لا خبراً عن الضمير .

(٥) هو لمالك بن عويمر المعروف بالمتنخل الهذلي من قصيدة له في رثاء أبيه ،

وكان يكنى أبا مالك ، والسكنية علم ، ومعنى قصره فقره على نفسه : أنه لا يسأل ==

وقوله :

الله يعلم ما تركتُ قتالهم حتى علوا فرسى بأشقر مزبد^(١)
ولما لتعظيمه أو لإيمائه ، كافي السكفي والألقاب المحمودة والمذمومة^(٢) .
ولما للسكناية حيث الاسم صالح لها^(٣) . وما ورد صالحاً للسكناية من غير باب المسند
إليه قوله تعالى : ﴿ تَبَتَّ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾^(٤) أى جهنمى .

ولما لإيهام^(٥) استلذاذه أو التبرك به .

ولما لاعتبار آخر مناسب^(٦) .

== أحداً ، ومعنى إشاعه غناه أنه يعطى كل الناس .

(١) هو للحارث بن هشام في الاعتذار عن فراده عن أخيه أبي جهل يوم بدر .
والأشقر لون يأخذ منه الأحمر والأصفر ، ويريد به الدم ، والمزبد الذى له زيد ،
يعتذر بأنه لم يفر إلا بعد أن جرح ، فعلا دمه فرسه .

(٢) كقولك دأبو المعالي حضر ، وأنف الناقة ذهب ، مثل السكفي والألقاب
الأعلام المنقولة من معان محمودة أو مذمومة .

(٣) الفرق بين هذا وما قبله أن ما هناك مجرد إشعار ، وما هنا يقصد فيه المعنى
اللازم وتسمى العلمية . وصالح الاسم للسكناية بالنظر إلى أصله قبل العلمية ، وقيل :
أنه لا يراد بالسكناية هنا معانها الاصطلاحية الآتي في علم البيان ، لأنه لا يمكن
بأبي لهب عن جهنمى باعتبار معناها المستعمل فيه وهو الذات المخصوصة ، وهذا
لا بد منه في السكناية الاصطلاحية .

(٤) آية ١٥ المسد .

(٥) لا معنى لإيهام لفظ إيهام ؛ لأن التبرك والاستلذاذ حاصلان تحقيقاً ،
وذلك كقول الشاعر :

بأنه يا ظبيات الفاع قلن لنا ليلاى منكن أم ليل من البشر

(٦) كالفأول والنظير . نحو : « سعد في دارك ، والسفاح في دار صديقك » ،

أغراض التبريد بالموصولية : وإن كان بالموصولية فيما أعنيه علم
المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة (١) كقولك ، الذي كان معنا أمس
رجل عالم ، وإما لاستمجان التصريح بالاسم ، وإما لزيادة التقرير ، فهو قوله
تعالى : (ورأوته التي هو في بيتها عن نفسه) (٢) فإنه مسموق لنزله يوسف
عليه السلام عن الفحشاء ، والمذكور أدل عليه من امرأة العزيز
وغيره (٣) .

وإما للتفخيم كقوله تعالى : (فنشيم من اليم ما نشيم) (٤) وقول الشاعر :
مضى بها ما مضى من عتل شاربها وفي الإجابة باق يطلب الباقي (٥)

(١) هذا أيضاً معنى لغوى لاسم الموصول ، فلا يصح عدّه في وجوه البلاغة .

(٢) آية ٣١ س يوسف .

(٣) لأنه إذا كان في بيتها وتمكن منها ولم يفعل كان هذا أقوى في نوايته ، والآية
تصلح أيضاً لغرض استمجان التصريح بالاسم لقبح الفعل المنسوب إليها ،
وما عدل فيه عن التصريح بالاسم لاستمجان قول الشاعر :

قلت لرب عندها جالسة في قصرها : هذا الذي أراد من
قلت : فني يشكو الغرام عاشق قالت : لمن ، قالت : لمن قالت لمن

والتكرار في ذلك قبيح يخل بهصاحته وبلاغته .

(٤) آية ١٨ س طه .

(٥) هو لعبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ، وقيل : لأنه لأبي نواس ،
والضمير في قوله : بها ، للخمر ، ومعنى البيت أنه مضى بالخمر قد ركب من
عقل شاربها ، ولا يزال الباقي من الخمر في الإجابة يطلب الباقي من عقله حتى
يذهب به كله .

ومنه في غير هذا الباب قوله تعالى ﴿ فَتَنَشَّاهَا مَا نَفَخَ ﴾ (١) . وببيت الحماسة :
صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للبطل : ابعده (٢)
وقول أبي نواس :
ولقد نزلت مع الفتوة بدلوهم وأسمتُ مسرح الحفظ حيث أساموا
وبلغتُ ما بلغ امرؤ بشبابه فإذا معصرة كل ذلك أنام (٣)
ولما لتبجيه المخاطب على خطأه ، كنول الآخر :
إن الذين تزونهم إخوانكم يشق غليل صدورهم أن تهترعوا (٤)

-
- (١) آية ٤٥ سورة المنافقون . وإنما يكون ما في الآية من غير هذا الباب إذا جعلت « ما » مفعولاً به ، فإذا جعلت فاعلاً كانت منه .
- (٢) هو لدريد بن الصمة ، وإنما لم يكن من هذا الباب لأن « ما » فيه مفعول به ، أي تعاطى الصبا الذي تعاطاه ، ويجوز أن تكون مصدرية ظرفية ، والصبا : الميل إلى الصبوة وهي جهلة الصبيان .
- (٣) هما الحسن بن هانئ المعروف بأبي نواس ، ويقال : « نهى الخلو في البشر » إذا ضرب بها في الماء لتثني ، ويقال : « أمام الماشية » إذا أخرجها إلى المرعى ، والكلام على التمثيل في الموضوعين والإضافة في « مسرح الحفظ » من إضافة الصفة إلى الموصوف ، والمسرح في الأصل ذهاب الماشية إلى المرعى ، والمعصرة ما تحلب بما عصر ، والمراد بها هنا الثروة والنتيجة ، والشاهد في قوله « ما بلغ امرؤ » لأنه مفعول به .
- (٤) هو أعبدة بن الطيب في وعظ بنييه ، وقيل لغيره ، وقوله « تزونهم » بمعنى تظنونهم ، والوارد فيه فاعل لأنه مما يبنى على صورة المجهول ، وهو للماعل ، ويجوز أن يكون من « أرى » المتعدية إلى ثلاثه مفاعيل ، والغليل العطش الشديد أم الحقد . والشاهد في أن المرصود في البيت يفيد من تخطئتهم في ظنهم ما لا يفيد من إن فلاناً وفلاناً .

ولما للإيمان إلى وجه بناء الخبر^(١) نحو : ﴿لن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾^(٢) ثم إنه^(٣) ربما جعل ذريعة إلى التعريض بالتمظيم لشأن الخبر^(٤) كقوله :

لن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول^(٥)
أو لشأن غيره^(٦) نحو : ﴿الذين كذبوا مشعياً كانوا هم الخاسرين﴾^(٧)
قال السكاكي^(٨) : وربما جعل ذريعة إلى تحقيق الخبر ، كقوله :

(١) أى طريق إسناده إلى الموصول من كونه مدحاً أو ذماً أو نحوهما ، بأن يذكر في الصلة ما يناسب ذلك .

(٢) آية ٦٠ سورة غافر :

(٣) الصمير يعود إلى الإيمان إلى وجه بناء الخبر .

(٤) ربما جعل ذريعة أيضاً إلى الإهانة لشأنه ، كقولك د إن الذى لا يحسن الفقه صنف فيه ، أو شأن غيره ، كقولك : إن الذى يتبع الشيطان خاسر .

(٥) هو لهما بن غالب المعروف بالفرزدق يفتخر ببيتته في تميم على جرير ، لأنه كان من ذوى الشرف فيهم ، وليس المراد بالبيت الكعبة كما ذكر الدسوقي في حاشيته على المختصر ، وقوله « سمك » بمعنى رفع . والشاهد فى أن قوله د الذى سمك السماء ، إيماء إلى أن الخبر المبنى عليه من جنس الرفعة والبناء ، وأعز وأطول أى من بيت جرير ، أو من كل عزيز وطويل ، أو من السماء المذكورة قبلاً ، أو بمعنى عزيزة طويلة ، فيسكون أفعال التفضيل على غير بابيه ، وقد حذف د من على الأول للدلالة على قوة الخبر .

(٦) كشميع عليه السلام فى الآية ؛ لأن فيها إيماء إلى الخبر يشعر بتعظيمه ، إذ جعل خسرانهم بسبب تكذيبه ، وفيها إيماء أيضاً إلى أن الخبر من جنس الخسران .

(٧) آية ٩٢ سورة الاعراف .

(٨) ٩٧ — المفتاح .

لأن التي ضربت بيتنا مهاجرة بكوفة الجند قالت ودها قول (١)

وربما مجمل ذريعة إلى التنبيه للمخاطب على خطأ ، كقوله « إن الذين ترونهم ... البيت وفيه نظر ، إذ لا يظهر بين الإيحاء إلى وجه بناء الخبر وتحقيق الخبر فرق (٢) ، فكيف يجعل الأول ذريعة إلى الثاني ، والمسند إليه في البيت الثاني ليس فيه إيحاء إلى وجه بناء الخبر عليه ، بل لا يبعد أن يكون فيه إيحاء إلى بناء نقيضه عليه (٣) ؟

(١) هو لعبد بن الطبيب . وكوفة الجند هي مدينة الكوفة ، وروى أبو زيد « بكوفة الخلد » على أنه موضع ، وقال الأصمعي : لما هو « بكوفة الجند » والأول تصحيف . وقوله « قالت » بمعنى أكلت ، والغول حيوان خرافي وقد يطلق على الداهية . والشاهد في أن ضرب البيت بالكوفة والمهجرة إليها فيه إيحاء إلى أن طريق بناء الخبر أمر من جنس زوال المحبة ، وهو مع هذا يحقق زوال المودة ويقره حتى كأنه دليل عليه .

(٢) فرقى بينهما بأن الإيحاء إشعار بالخبر سواء أكان معه تحقيق له أم لا ، والأول كما في بيت عبدة ، والثاني كما في بيت الفرزدق ، فالإيحاء إلى الخبر أهم من تحقيقه وإفادة الجزم به .

(٣) نقيضه : نفي الأخوة عنهم ، وهذا لا يخرجهم فيما أرى عن كونه فيه إيحاء إلى وجه بناء الخبر ، لأنهم أطلقوا فيه ولم يقدوه بشيء ، ومن هذا الإيحاء قول أبي العلاء :

إن الذي الوحشة في داره تؤنسة الرحمة في لحدِهِ

وربما يقصد بالإيحاء تشويق السامع إلى الخبر ليمكن في نفسه ، كما في قول الشاعر :

والذي حادت البرية فيسه حيوان مستحدث من جناد

ومن أغراض التعريف بالموصولية لإخفاء الأمر عن غير المخاطب . كقول الشاعر :

وأخذت ما جاد الأمير به وقضيت حاجاتي كما أهوى

أعراض التعريف بالإشارة : وإن كان بالإشارة فيما تميزه أكل تمييز لصحة
إحضاره في ذهن السامع بوساطة الإشارة حساً (١) كقوله :
 * هذا أبو الصقر فرداً في محاسنه (٢) *

وقوله :

أرثك قوم إن بنوا أحسنوا البنى وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا (٣)
 وقوله :

وإذا تأمل شخص ضيف مقبل متسرل سريال ليل أغبر
 أو ما إلى الكوماء هذا طارق محترنى الأعداء إن لم متنحري (٤)

(١) هذا أيضاً معنى أصلى لاسم الإشارة ، فلا يصح أن يعد من وجوه البلاغة ،
 وإنما يعد منها أن معنى تميزه أكل تمييز لأن المقام مقام مدح أو نحوه ؛ لأن
 تميزه : كل تمييز يكون أعون على كمال المدح ، وأبعد من التقصير في الاعتناء
 بأمر الممدوح .

(٢) هو علي بن العباس المعروف بابن الرومي في مدح أبي الصقر الشيباني وذير
 المعتمد ، من قوله :

هذا أبو الصقر فرداً في محاسنه من نسل شيبان بين الضال والسلم
 والضال شجر السدر البرى ، والسلم شجر ذو شوك ، وقوله : بين الضال
 والسلم ، كناية عن عزم ، لأن هذه الأشجار بالبادية ، وهي مجهد العرب وعزمهم .
 (٣) هو لجرول بن أوس المعروف بالهـطيشة ، وقوله : بنوا ، يعنى به ما يبنونه
 من المكارم ، والبنى يضم الباء يقال : بنا يبنى بناءً وبنية بكسر الباء في العمران ،
 وبها يبنى بنية يضم الباء في الشرف وقوله : عقدوا ، معناه أبرموا أمراً من أمورهم .
 (٤) قيل : إن البينين لرجل مدح حاتما . وقيل : لأنهما لحسان بن ثابت ،
 وقيل لأنهما لابن المولى محمد بن عبد الله بن مسلم ، وفي مجموعة المعاني أنهما للعلوي
 صاحب الزنج ، وقوله : أو ما ، تخفيف أو ما بمعنى أشار ، والتكوماء : الناقة الضخمة .

وقوله :

ولا يقيمُ على ضميرٍ يراد به إلا الأذنان : غيرُ الخي والوهد
هذا على النخسف مربوط برُمته وذا يشج فلا يرى له أحد (١)
ولما القصد إلى أن السامع غي لا يتميز الشيء عنده إلا بالحس ،
كقول الفرزدق :

أولئك آبائي فجئني بهم
إذا جئتنا يا جريرُ الجاهل (٢)
ولما لبيان حاله في القرب أو البعد أو التوسط (٣) كقولك « هذا زيد وذلك عمرو وذلك بقر » ، وربما جعل القرب ذريعة إلى التحقير (٤) كقوله تعالى :
(وإذا رأكَ الذين كفروا إن يتخذوك إلا هزواً أهذا الذي يذكركم آلهتكم) (٥)
وقوله تعالى : (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب) (٦) وعليه من غير هذا الباب
قوله تعالى : (ماذا أراد الله بهذا مثلاً) (٧) وقوله عائشة رضي الله عنها لعبد الله

(١) هما الجرير بن عبد المسيح الضمير المعروف بالمتأس ، والضمير في « به »
يعود إلى المستثنى منه المتندر وهو واحد ، مثلاً ، والهير الحمار ، والرمة : القطعة من الحبل
البالي ، وقوله « هذا » يعود إلى العير . وقوله « ذا » يعود إلى الوهد .

(٢) هو لهما بن غالب المعروف بالفرزدق ، والتعريض بالغباوة ناشئ من
استعمال اسم الإشارة في آبائه وهم غائبون لموتهم ، والامر في قوله « فجئني » ، للتعجيز .
(٣) هذا أيضاً من المعاني الأصلية لاسم الإشارة .

(٤) قد يجعل أيضاً ذريعة إلى التعظيم ، كقوله تعالى : (إن هذا القرآن يهدي
للى هي أقوم) آية ٩ سورة الإسراء فينزل قربه من ساحة الحضور والخطاب منزلة
قربه المسافة .

(٥) آية ٣٦ س الانبياء .

(٦) آية ٤٦ س العنكبوت .

(٧) آية ٢٦ س البقرة .

ابن عمرو بن العاص : د يا عجباً لابن عمرو هذا ، (١) . وقول الشاعر :

تقول ودققت نحرها بيمينها : أبعلى - هذا بالرحا المتقاعص (٢)

وربما جعل البعد ذريعة إلى التعظيم ، كقوله تعالى : ﴿ ألم ذلك الكتاب ﴾ (٣)

ذهاباً إلى بعد درجته ، ونحوه : ﴿ وتلك الجنة التي أورثتموها ﴾ (٤) ولذا

قالت : ﴿ فذلكن الذي لمتني فيه ﴾ (٥) لم تقل ، فهذا ، وهو حاضر (٦) رفعا

لنزلة في الحسن ، وتمييداً للحد في الافتتان به ، وقد يجعل ذريعة إلى التحقير ،

كما يقال : د ذلك اللعين فدل كذا .

ولما للتبنيء — إذا ذكر قيل المسند إليه مذكور (٧) وعقب بأوصاف — على

أن ما يرد بعد اسم الإشارة فالمدكور جدير باكتسابه من أجل تلك الأوصاف ،

كقول خاتم الطائي :

ولله صعلوك يساور همة ويمضي على الأحداث والدمر مقدما (٨)

-
- (١) تريد بهذا تخطئته في فتواه بنقض النساء ذواتهن في الاغتسال .
- (٢) هو للاندول بن كعب الغنوي ، ويقال له الذهلول أيضاً ، وقيل لغيره ، وكانت امرأته راته يطحن بالرحا لأضيافه فأسكرت عليه ، وبعدة :
- فقلت لها : لا تعجبي وتبيئي - بلاني إذا نفثت على الفوارس
- والمتقاعص الذي يدخل ظهره ويخرج صدره ، ضد الاحدب ، والشاهد في أن
- اسم الإشارة مسند لا مسند إليه .
- (٣) آية ١ ، ٢ سورة البقرة .
- (٤) آية ٧٣ سورة الزخرف .
- (٥) آية ٣٢ سورة يوسف .
- (٦) أي يوسف عليه السلام ،
- (٧) المسند إليه هو اسم الإشارة ، والمذكور هو المشار إليه قبلها .
- (٨) الصعلوك الفقير ، وقوله د يساور ، بمعنى يواكب .

فقى طالعياً باقى لا يرى الخنص ترجهٗ ولا شعبةً إن نالها عدو مغنياً (١)
 إذا ما رأى يوماً مكارمٍ أعرضت تيمم كبراً من ثمرت صيداً (٢)
 يرى وجهه ونبله ويحسبه وإذا مشطب غضب الضريبة عذماً (٣)
 وأحناء سرنج قاتر ولجامه عناد أخى هيجاً وطرفاً مسوياً (٤)
 فذلك إن يهلك الحسنى ثناؤه وإن عاش لم يعدم ضيقاً مذهماً (٥)
 فعند له - كما ترى - خصلاً فاضلة من المضاء على الأحداث مقدماً ، والصبر على
 ألم الجوع ، والألفة من عدو الشبهة مغنياً ، وتيمم كبرى المكرمات ، والتأهب
 للحرب بأدواتها ، ثم عتب ذلك بقوله ، فذلك ، فأفاد أنه جدير بإتصافه بما ذكر
 بعده ، وكذا قوله (٦) تعالى : ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾
 أفاد اسم الإشارة زيادة الدلالة على المقصود من اختصاص المذكورين قبله
 باستحقاق الهدى من ربهم والفلاح .
 وإما لا اعتبار آخر مناسب (٧) .

-
- (١) الخنص : الجوع ، وشعبة : مفعول أول لعدو ، ومغنياً : مفعول ثان .
 (٢) أعرضت بمعنى ظهرت ، وتيمم بمعنى قصد .
 (٣) الجمن : الترس ، وشطاب السيف : الخطوط فى مقته ، وضرب يده : حده ،
 والغضب : القاطع ، والمخضم : القاطع بسرعة .
 (٤) أحناء السرج : جمع حنو وهو اسم لسل من قروبوسيه المقدم والمؤخر .
 والقائر : الجيد الوقوع على الظاهر . وعناد : هدة وهو مفعول د يرى ، الثانى ، وهيجا
 مقصور هيجا وهى الحرب ، والطرف : الجواد الكريم الأصل ، والمسوم : الذى
 يرسل ليرعى أو للإغارة ، أى ويرى طرفاً مسوياً كذلك .
 (٥) الحسنى مصدر كالبحرى أو اسم للإحسان خبر مقدم ، وثناؤه مبتدأ مؤخر
 (٦) آية ه سورة البقرة .
 (٧) كتنزيل الغائب منزلة الحاضر ، والمعقول منزلة المحسوس فى نحو قوله تعالى : =

أغراض التعريف باللام : وإن كان باللام فلما للإشارة إلى معهود (١)
بينك وبين مخاطبك ، كما إذا قال لك قائل : جاءني رجل من قبيلة كذا ، فتقول
وما فعل الرجل ؟ ، وعليه قوله تعالى : (وليس الذكر كالأُنثى) (٢) أى وليس
الذكر الذى طلبت (٣) كالأنثى التى ومُهِبْتُ لها .
ولما لإرادة نفخ الحقيقة (٤) كقولك : الرجل خير من المرأة ، والدينار خير
من الدرهم ، ومنه قول أبي العلاء المعري :
والخل كالماء يُبدي إلى ضئله
مع الصفاء ويخفيها مع الكدر (٥)

(١) تلك عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ) آية ٣٥ سورة الوعد
وقوله : (وَذَلِكُمْ سَطْرُكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ) آية ٢٣ سورة فصلت وقوله :
(ذَلِكُمْ مِمَّا عُلِّمَ رَبِّي) آية ٣٧ سورة يوسف .
(١) أى فى الخارج مذكورا أو غير مذكور ، ولهذا تسمى اللام فيه لام العهد
الخارجى ، وهذا المعنى اللام التعريف وما بعده من المعاني الأصاية لها ، فلا يهيج
ذكرها على نحو ما ذكره الخطيب وغيره .
(٢) آية ٣٦ سورة آل عمران .

(٣) فى قولها قبله : (رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُكَ مَا فِى بَطْنِى محرراً فتقبل منى)
لأن نذر الأولاد لخدمة بيت المقدس كان مقصوداً عندهم على الذكور ، واللام
فى (الذكر) عائدة إلى مذكور بالكناية على هذا الوجه ، واللام فى (الأنثى)
عائدة إلى مذكور صريحاً فى قولها قبله (رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى) وقد تعود
اللام إلى معهود غير مذكور ، كقوله تعالى : (إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)
آية ١٨ سورة الفتح ، وتسمى اللام فيه لام العهد العلوى ، فأقسام لام العهد الخارجى
ثلاثة : صريحى وكنائى وعلوى .

(٤) هذه لام الجنس .
(٥) هو لأحمد بن عبدالله المعروف بأبي العلاء المعري ، والخل الصديق ، وضئله :
ما يضره من المودة وغيرها ، وليس الجسم هنا على خل معهود ، وإنما هو على جنس الخل .

وعليه من غير هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ (١) أى جعلنا ، بدأ كل شيء حي من هذا الجنس الذى هو الماء : لما رمى أنه تعالى خالق الملائكة من ريح خلقها من الماء ، والجن من نار خلقها منه ، وآدم من تراب خلقه منه . ومحموه : ﴿ أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ﴾ (٢) . والمعرف باللام (٣) قد يأتى لواحد (٤) باعتبار عهديته فى الزمن (٥) لمطابقة الحقيقة (٦) كقولك « ادخل السوق » وليس بينك وبين غطاطبك سوق ممدود فى الخارج ، وعليه قول الشاعر :

* ولقد أمرت على اللثيم يسبني (٧) *

(١) آية ٢٠ سورة الأنبياء .

(٢) آية ٨٩ سورة الأنعام .

(٣) بمعنى لام الحقيقة لأنها هى التى يأتى فيها لام العهد الذهبى ، ولام الاستغراق وقيل : لأن لام العهد الذهبى ولام الاستغراق مقابلان للام العهد الخارجى ولام الحقيقة ، وعلى هذا تكون لام الحقيقة هى التى يراد منها الحقيقة بقطع النظر عن الأفراد ، ويقصر عليها اسم لام الجنس .

(٤) أى مبهم بخلاف لام العهد الخارجى فإنها لمعين .

(٥) تسمى اللام فيه لام العهد الذهبى .

(٦) يريد بمطابقته الحقيقة اشتغالها عليه .

(٧) هو أميرة بن جابر الحنفى من قوله :

ولقد أمرت على اللثيم يسبني فمضيت مميتت قلت لا يغني

وتمت حرف عطف لعقبا تاء التأنيث ، وقوله د أمر ، مضارع بمعنى الماضى لاستحضار تلك الصورة العجيبة عنده ، ورواية الكامل وفأجوز ثم أقول لا يغني ، وللشاهد فى لام اللثيم ، لأن المراد منه واحد غير معين .

وهذا يقرب في المعنى من النكرة^(١) ؛ ولذلك يقدر « يسئني » وصفاً للشيء
لا حالاً^(٢)

وقد يفيد الاستغراق ، وذلك إذا امتنع حمله على غير الأفراد وعلى بعضهم
دون بعض^(٣) كقوله تعالى : ﴿ إن الإنسان لفي مُخسر ، إلا الذين آمنوا ﴾^(٤) .
والاستغراق ضربان :

حقيقي^(٥) : كقوله تعالى : ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾^(٦) أى كل غيب وشهادة .
ومعرفي^(٧) كقولنا « جمع الأمير الصاغة » ، إذا جمع صاغة

(١) قال « يقرب » لأن النكرة تدل على واحد غير معين من جملة الحقيقة ،
والمعرف بلام العهد الذهني يدل على نفس الحقيقة في ذاته ولا يدل على الواحد
المبهم إلا بوساطة القرينة ، كالدخول في قولك « ادخل السوق » فهما بالنظر إلى
القرينة سواء وبقطع النظر عنها مختلفان .

(٢) لأن المعرف بلام العهد الذهني في معنى النكرة ، والجل بعدد النكرات
صفات لأحوال ، وليكن « يرَدُّ » على هذا أنهم جعلوه كالنكرة في المعنى فقط ، وأجروا
عليه في اللفظ أحكام المعارف ، على أن تقدير « يسئني » حالاً هو المناسب لقوله
« فضئبه » لأنه ظاهر في أن السب كان منه في حال المرور فقط ولم يكن صفة
لازمة له .

(٣) بأن تقوم قرينة على أنه ليس المقصد الحقيقة من حيث هي ، ولا بعض
الأفراد دون بعض بالاستثناء في الآية ، فتكون اللام لاستغراق جميع الأفراد ،
ولهذا تسمى لام الاستغراق .

(٤) آية ١ ، ٢ سورة العصر .

(٥) هو الذي يتناول كل فرد بحسب وضع اللفظ .

(٦) آية ٧٣ سورة الأنعام .

(٧) هو الذي يتناول كل فرد بحسب العرف العام ، أما العرف الخاص =

بلده أو أطراف مملكته لحسب^(١) ، لا صاغة الدنيا^(٢) .

واستغراق الفرد أشمل من استغراق الجميع^(٣) بدليل أنه لا يصدق^(٤) لا رجل^(٥) في الدار ، في نفى الجنس^(٦) إذا كان فيها رجل أو رجلان ، ويصدق لا رجاء في الدار ، ولا تنافي بين الاستغراق وإفراد اسم الجنس^(٧) لأن الحرف إنما يدخل عليه مجرداً عن الدلالة على الوحدة والتعدد^(٨) ، ولأنه بمعنى كل^(٩) الإفرادى^(١٠) لا كل المجموعى^(١١) ، أى معنى قولنا رجل ، كل فرد من أفراد الرجال لا مجموع الرجال ، ولهذا امتنع وصفه بنعت الجميع^(١٢) ، ولذا حفظه

== كمعرف الشرع فيدخل الاستغراق بحسبه في الاستغراق الحقيقي .

(١) أل في الصاغة ، معرفة لا موصولة ، لأنها إنما تكون موصولة في اسم الفاعل إذا دل على الحدوث .

(٢) هذا صحيح في استغراق النسكرة المنفية ، أما استغراق الماعرف باللام فالفرد والجمع فيه سواء ، ولهذا كان قوله تعالى : (النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) آية ٦ سورة الاحزاب شاملاً لكل مؤمن ، وليس خاصاً بمجموعات المؤمنين .

(٣) بخلاف نفى الوحدة ، نحو لا رجل في الدار ، فإنه يصدق إذا كان فيها رجلان أو أكثر ، ويكون لاستغراق الواحد كما يكون للجميع لاستغراق الجميع دون الأفراد .

(٤) هذا جواب عن اعتراض بعضهم بأن أفراد الاسم ينافي أن تكون الأداة الداخلة عليه للاستغراق ، لأن إفراده يدل على الوحدة ، والاستغراق يدل على التعدد .

(٥) لأنه قصد به الجنس الصالح لهما .

(٦) هو الذى يدل على كل فرد على طريق البديل ، وعلى هذا لا تنافي الدلالة على الوحدة الدلالة على التعدد .

(٧) هذا عند الجمهور ، وقد أجازوه الاختصاص بما يجمع من كلامهم دأهلك ==

على التشاكل بين الصفة والموصوف أيضا .

فالخاص أن المراد باسم الجنس المعرف باللام : إما نفس الحقيقة لا ما يصدق عليه من الأفراد ، وهو تعريف الجنس والحقيقة ، ونحوه تعلقهم الجنس كأسامة ، وإما فرد معين ، وهو العهد الخارجى ، ونحوه التسلم الخاص ، كزيد ، وإما فرد غير معين ، وهو العهد الذهبى ، ونحوه : النسكرة ، كرجل ، وإما كل الأفراد وهو الاستغراق ، ونحوه لفظ « كل » مضافا إلى النسكرة ، كقولنا « كل رجل » .

وقد شككت السكاكى (١) على تعريف الحقيقة والاستغراق بما خرج الجواب عنه بما ذكرنا (٢) ، ثم اختار (٣) بناء على ما حكاه عن بعض أئمة أصول الفقه من كون اللام موضوعة لتعريف العهد لا غير (٤) أن المراد بتعريف الحقيقة تنزيلها منزلة المعهود بوجه من الوجوه الخطابية ، إما لكون الشيء حاضرا في الذهن لكونه

== الناس الذين أخرجوا من الحرم والدرهم البيض . (١) ١١٥ — المفتاح .

(٢) أما تشكيكه في تعريف الحقيقة من حيث هي فبدعى أنه لا فرق بين المراد منها والمراد من أسماء الاجناس النسكرات كرجل وقيام إن قصد منها الدلالة على الحقيقة من حيث هي ، فإن قصد منها الحقيقة باعتبار حضورها في الذهن لم تفرق عن لام العهد الخارجى ، وأما تشكيكه في الاستغراق فبدعى التنافى بينه وبين أفراد الاسم ، وقد أجاب الخطيب عن الأول بما أشار إليه من أن لام الحقيقة تدل على الحقيقة بقيد استحضارها في الذهن ، ولام العهد الخارجى يقصد بها فرد معين ، وبهذا تماز لام الحقيقة عن أسماء الاجناس النسكرات وعن لام العهد الخارجى ، وعن الثانى بدفع التنافى بين الاستغراق وأفراد اسم الجنس .

(٣) أى فى الجواب عن تشكيكه في تعريف الحقيقة .

(٤) أى لا الحقيقة ، فلا تأتى لتعريفها إلا بعد تنزيلها منزلة المعهود بوجه من الوجوه الآتية .

محتاجا إليه على طريق التحقيق أو التهم (١) ، أو لأنه عظيم الخطر معقود الهمم (٢) على أحد الطرفين (٣) ، وإما لأنه لا يغيب عن الحس (٤) على أحد الطرفين لو كان معهودا (٥) . وقال (٦) الحقيقة من حيث هي لا واحدة ولا متعددة ، لتدققها مع الوحدة تارة ومع التعدد أخرى ، وإن كانت لا تنفك في الوجود عن أحدهما ، فهي صالحة للتوحد والتكثر ، فكون الحكم استغراقا أو غير استغراق إلى مقتضى المقام (٧) ، إذا كان خطايا (٨) مثل « المؤمن غير كريم » ، والماجر نهب لئيم » محل المعرف باللام مفردا كان أو جمعا على الاستغراق بجملة إيهام أن القصد إلى فرد دون آخر مع تحقق الحقيقة فيهما ترجيح لأحد المتساويين ، وإذا كان استدلاليا محل على أقل ما يحتمل ، وهو الواحد في المفرد والثلاثة في الجمع (٩) .

(١) كقولهم « الدينار خير من الدرهم » ويمكن أن يكون من هذا في التهم قولهم « إن البغاث بأرضنا يستأمر » .

(٢) كقوله تعالى : ﴿ الذين آتيناكم الكتاب والحكم والنبوة ﴾ آية ٨٩ سورة الأنعام .

(٣) أى طريق التحقيق وطريق التهم .

(٤) كقولك « الأرض مبدولة » في الأول ، وقولك « الطفيلي صغير » في الثاني

(٥) هذه الجملة الشرطية لا توجد في كلام السكاكي .

(٦) أى في الجواب عن تشكيكه في الاستغراق ، وهذا هو الذى أجاب به

الخطيب فيما سبق .

(٧) يعنى أن دلالة اللام على هذا ليست بمقتضى الوضع ، وإنما هي بمقتضى المقام .

(٨) المقام الخطابي هو الذى يكتب فيه بالظن ، والمقام الاستدلالي هو الذى

يطلب فيه اليقين ،

(٩) مثل « حصل الدرهم أو الدراهم » هذا وكل ما ذكره السكاكي والخطيب في

التعريف باللام ليس فيه من البلاغة شيء ، لأنه لا يخرج عما تفيد بمقتضى دلالتها =

أغراض التعريف بالإضافة : وإن كان بالإضافة فإما لأنه ليس للبتكلم إلى

إحضاره في ذهن السامع طريق أخصر منها ، كقوله :

هواي مع الركب^١ اليانين^٢ مصعد جنب^٣ وجيمان^٤ بمكة موق^٥

ولما لإغنائها عن تفصيل متعذر أو مرجوح لجهة (٢) كقوله :

بنو^١ مطر يوم اللقاء كأنهم أسود^٢ لها في غيل خفان^٣ أشبل^٤

وقوله :

قومي هم قتلوا أميم^١ أخى فإذا رميت^٢ يصيبني سهمي^٣

== الوضعية ، وقد حاول السكاكي أن يجعل لذلك وجها من البلاغة ، ولكنه تكلف فيه على عادته .

(١) هو الجعفر بن عساسنة الحارثي ، وكان مسجوناً بمكة في جنابة ، فرأته محبوبته مع ركب من قومها ، فلما دخلت قال فيها ذلك ، وأثر قوله « هواي » على نحو « الذي أهوى أو المهورى » لأن الإضافة أخصر وأنسب بما هو فيه من ضيق الصدر بالحبس ، وكذلك ضيق الشعر ، وقد أطلق المهورى على المهورى مجازاً مرسلًا . واليانين جمع يمان ، وألفه عوض عن ياء النسب . والمصعد اسم فاعل من « أصعد » بمعنى أبعد في السير . والجنب المستتبع من « جنب البعير » إذا قاده إلى جنبه .

(٢) يعني أنه غير متعذر ، ولكنه مرجوح لجهة ، كما سيأتي في الشاهد .

(٣) هو لآبي السمط مروان بن أبي حفصة في مدح معن بن زائدة . وبنو مطر قومه ، بطن من شيبان . والغيل : الشجر المجتمع . وخفان مأسدة قرب السكوفة ، والأشبل أولاد الأسود . والشاهد في قوله « بنو مطر » لإغناء الإضافة فيه عن تفصيل متعذر .

(٤) هو للحارث بن غزلة الجرمي ، وأميم منادى مرخم^١ أميمة ، وكانت تحضه على الأخذ بشار أخيه عن قتله من قومه . والشاهد في قوله « قومي » لإغناء الإضافة فيه عن تفصيل تركه أرجح لجهة هي خوف تزييرهم منه وحقدهم عليه إذا صرح بأسمائهم .

ولما لتضمينها تعظيماً لشأن المضاف إليه ، كقولك «عبدى حضر» فتعظم شأنك . أو لشأن المضاف ، كقولك «عبد الخليفة ركب» فتعظم شأن العبد . أو شأن غيرهما ، كقولك «عبد السلطان عند فلان» فتعظم شأن فلان . أو تهقيراً ، نحو : «ولد الحجام حضر» (١) . ولما لاعتبار آخر مناسب (٢) .

أغراض التنكير

وأما تنكيره فالإفراد (٣) كقوله تعالى : ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة

(١) هذا مثال لإفادتها تهقير المضاف ، ومن إفادتها تهقير المضاف إليه قولك «ضارب بكر حضر» ومن إفادتها تهقير غيرهما قولك «ولد الحجام جليس زيد» ومن إفادتها التعظيم والتهقير قول الشاعر :

أبوك حبيب سارق الضيف بوجه وجدتي يا حجاج فارس شمر

(٢) كالاستعظام في قوله تعالى : ﴿ لا تضار والده بولدها ولا مولود له بولده ﴾ آية ٢٣٣ سورة البقرة . وكضمها لطفاً بجازيا في نحو قول الشاعر :

إذا كوكب الحرقاء لاح يسيرة مسهيل أذاعت غولها في الأقارب
فأضاف الكوكب إلى الحرقاء لأدنى ملائسة ، وهي أنها لا تتذكر كسوة الشتاء إلا وقت طلوعه سحراً ، وهو لا يطلع سحراً إلا في الشتاء . ومسهيل بدل من كوكب . هذا ولا تختص هذه المزايا بالتعريف بالإضافة ، بل تأتي في الإضافة إلى الذكرة ، فتفيد التعظيم في نحو قول امرأة من بني هاجر :

وحرب يضج القوم من نفياها ضجيج الجمل الجلة الدبرات
سيتركها قوم ويصلي بحرثا بنو نسوة للشكل مصطبرات
وتفيد التقليل والتهقير في قول الشاعر :

إذا جاع لم يفرح بأكلة ساعة ولم يبتئس من فقدها وهريساغب
(٣) أى الدلالة على فرد منتشر ، وهذا عام في كل نكرة ، فإذا كانت مفرداً
دلت على واحد ، وإذا كانت مثنى دلت على اثنين ، وإذا كانت جمعا دلت على ثلاثة ، وإذا كانت نوعا دلت على النوعية أى فرد سائر الأنواع ، ولا يخفى

يسمى (١) أى فرد من أشخاص الرجال ، أو النوعية ، كقوله تعالى : ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ (٢) أى نوع من الأغطية غير ما يتعارفه الناس (٣) وهو غطاء التعامى عن آيات الله ، ومن تنكير غير المسند إليه للإفراد قوله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ، ورجلا مسلما لرهبلة ﴾ (٤) والنوعية قوله تعالى ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ﴾ (٥) أى نوع من الحياة مختصرون وهو الحياة الزائدة ، كأنه قيل ولتجدنهم أحرص الناس لمن عاشوا ما عاشوا على أن يزدادوا إلى حياتهم فى الماضى والحاضر حياة فى المستقبل ، فإن الإنسان لا يوصف بالحرص على شيء إلا إذا لم يكن ذلك الشيء موجودا له حال وصفه بالحرص عليه ، وقوله تعالى ﴿ والله خلق كل دابة من ماء ﴾ (٦) يحتمل الإفراد والنوعية أى خلق كل فرد من أفراد الدواب من نطفة معينة ، أو كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع المياه .

أو للتعظيم والتأويل أو للتحقير : أى ارتفاع شأنه أو انحطاطه إلى حد لا يمكن معه أن يعرف ، كقول ابن أبى السمط :

أن هذا معنى أصلى للذكورة لا يصبح ذكره هنا وإنما يعد من البلاغة إذا دل بموتة المقام على نوعية غريبة أو نحو ذلك مما يأتى ، وقد يقتضى المقام المعنى الأصلى للذكورة إذا كان لا يتعلق بتعيينها فرض ، وذلك نحو رجل ، فى الآية ، ومثل هذا قد يندرجها من وجوه البلاغة .

(١) آية ٢٠ سورة القصص . (٢) آية ٧ سورة البقرة .

(٣) لهذا نكرت فى الآية ، ولو عرفت لا تصرف إلى ما يتعارفه الناس منها مع أنه ليس مرادا ، فلما أريد غيره نكرت ليهشوا عندما فيعرفوها ، وإنما كان التأكيد هنا للنوعية لأنه هو الذى يقابل أبصارهم المتعددة بخلاف تنكير الأفراد ، وقيل : إن التأكيد فى الآية للتعظيم .

(٤) آية ٢٩ سورة الزمر . (٥) آية ٩٦ سورة البقرة .

(٦) آية ٤٥ سورة النور .

له حاجب في كل أمر 'يشينه' وليس له عن طالب العرف حاجب (١)
 أي له حاجب أي حاجب ، وليس له حاجب ما .
 أو للتكثير (٢) : كقولهم لمن له لا يزال ، وإن له لغنما ، يريدون المكثرة .
 وحمل الزمخشري التكثير في قوله (٣) تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا عَلَيْهِ ، أَمْ لِلنَّفِيلِ ﴾ (٤)
 كقوله (٥) تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ أي وشيء ما
 من رضوانه أكبر من ذلك كله ، لأن رضاه سبب كل سعادة وفلاح ، ولأن
 العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراه من النعم ، وإنما
 تنها له برضاه ، كما أنه إذا علم بسخطه تنقصت عليه ، ولم يجد لها لذة ، إن عظمت ،
 وقد جاء للتعظيم والتكثير جميعاً ، كقوله (٦) تعالى : ﴿ وَإِنْ يَكُوبُوكَ فَتَكُوبُ كَذَّبَتْ

(١) هو كما في دهر الآداب ، لأبي السمط مروان بن أبي حفصة ، ونسب في
 ديوان المعاني ، لولي ابن أبي السمط ، وهو أبو الطاهر الحان القيني ، وقوله :
 فتي لا يبالي المدحج بنوره إلى بابه ألا تضيء السكواكب
 ومعنى البيت أن مدحجه له حاجب عظيم من نفسه يمنعه عن فعل ما يشينه ، وليس
 له حاجب ما عن طالب الندي ، فالحاجب الأول نفسى والتكثير فيسه للتعظيم ،
 والحاجب الثاني حسى ، والتكثير فيه للتعظيم على سبيل المبالغة في النفي ، وفي قوله
 وليس له عن طالب العرف حاجب ، قلب ، والأصل : وليس لطالب العرف
 حاجب عنه .

(٢) فيفيد أنه كثير إلى حد لا يعرف ، وإنما أفاد التكثير التكثير مع أن الأصل
 فيه الدلالة على الوحدة ؛ لأنه لا تنافي بين الداليتين كما سبق ، والفرق بين التكثير
 والتعظيم أن الأول ينظر فيه إلى الكميات والمقادير ، والثاني ينظر فيه إلى علو الشأن ،
 وبهذا يعرف الفرق بين التقليل والتعظيم .

(٣) آية ١١٢ سورة الأعراف (٤) فيفيد أنه قليل إلى حد لا يعرف :

(٥) آية ٧٣ سورة التوبة (٦) آية ٤ سورة طه :

رسول من قبلك (أى رسول ذو عدد كثير وآيات عظام (١) وأعمار طويلة ونحو ذلك .

والسكاكى (٢) لم يفرق بين التعظيم والتكثير ، ولا بين التهجير والتفجيل ، ثم جعل التكثير فى قولهم « شر أهرّ ذا ناب » للتعظيم ، وفى قوله تعالى : ﴿ واثنين مستهم نفحة من عذاب ربك ﴾ (٣) لخلافه ، وفى كليهما نظر ، أما الاول فلما سيأتى (٤) ، وأما الثانى فلأن خلاف التعظيم مستفاد من البناء للمرة ، ومن نفس الكلمة (٥) لأنها إما من قولهم « نفحت الريح » إذا هبت : أى هبة ، أو من قولهم « نفح الطيب » إذا فاح : أى فوحه ، كما يقال شمة ، واستعماله بهذا المعنى فى الشر استعارة ، إذ أصله أن يستعمل فى الخير ؛ يقال « له نفحة طيبة » أى هبة من الخير . وذهب أيضاً إلى أن قوله (٦) تعالى : ﴿ يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن ﴾ بالتكثير دون عذاب الرحمن بالإضافة إما للتحويل أو لخلافه (٧) والظاهر أنه لخلافه ؛ وإليه ميل الراجحى ، فإنه ذكر أن إبراهيم عليه السلام لم يزل هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه ؛ حيث لم يصرح فيه أن العذاب لاحق لا صق به . ولكنه قال : ﴿ إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن ﴾ فذكر الخوف والمس وتكر العذاب .

وأما التكثير فى قوله (٨) تعالى : ﴿ ولستم فى القصاص حياة ﴾ فيحتمل النوعية

(١) قد يقال : إن الذى فى الآية تفكير رسل ، فيدل على عظمهم لاهل عظم الآيات ، وأجيب بأنه يشير بهذا إلى أنه هو المراد بعظم الرسل ، أو إلى أنه داخل فى عظمهم .

(٢) المفتاح ١٠٣ . (٣) آية ٤٦ سورة الأنبياء .

(٤) من أن تقديم المسند إليه فى ذلك للتخصيص لا للتعظيم ، لأن المعنى ما أهرّ ذا ناب إلا شر .

(٥) لا يخفى أن هذا لا يمنع أن يكون للتكثير دلالة عليه أيضاً ؛ لأن المعنى الواحد قد يجمع فيه دلالتان وثلاث لغرض من الأغراض .

(٦) آية ٤٥ سورة الإسراء (٧) خلاف التحويل هو التهوين ؛

(٨) آية ١٧٩ سورة البقرة .

والعظيم ، أى ولستم فى هذا الجنس من الحكيم الذى هو الفصاح حياء عظيمة ،
لمنعه عما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد متى اقتدروا ، أو نوع من الحياة وهو
الحاصل للقتول والقتال بالارتداع عن القتل للعلم بالافتصاص ، فإن الإنسان
لماذا تم بالقتل تذكر الافتصاص ، فارتدع ، فسلم صاحبه من القتل وهو من
القود ، فتسبب الحياة نفسين .

ومن تنسكهم غير المسند إليه للنوعية : ﴿ وأمطرنا عليهم مطراً ﴾ (١) أى
وأرسلنا عليهم نوعاً من المطر عجيبياً ، يعنى الحجارة ، ألا ترى إلى قوله (٢) تعالى :
(فساء مطرُ المُنذرين) ، وللتحقير (٣) : (إن نظن إلا ظناً) (٤) .

(١) آية ١٧٣ سورة الشعراء

(٢) أى فى الآية نفسها ، لأن قوله « فساء » صريفة تعجب .

(٣) فالمعنى فى الآية إلا ظناً ضعيفاً ، وإنما حمل على هذا ولم يحمل مصدرأ
مؤكدأ ؛ لأن الاستثناء لا يصح فى المصدر المؤكد ، وعلى الأول يكون من المصدر
المبين لنوع فعله .

(٤) آية ٣٢ سورة الجاثية .

هذا ، وقد يأتى التنسكهم لأغراض أخرى :

منها قصد التجاهل فى قوله تعالى : (هل ندرككم على رجل ينبشكم إذا موّقتهم
كل ممزق إنكم لى سخالق جديد) آية ٧ سورة سبأ .

ومنها أن يمنع مانع من التعريف كما فى قول الشاعر :

إذا سمعت مَهْمَدَه يميناً لطول الحمل بدله شمالاً

لم يقل « يمينه » ، لأنه كره أن ينسب ذلك إلى يمين ممدوحه ، فذكرها
ولم يصفها إليه ،

تمارين على التعريف والتنكير

تمرين ١ -

- ١ - قال الله تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ آية ١٥ ، ١٦ سورة المزمل ، فلماذا فكّر رسولاً أولاً وعرفه ثانياً ؟
ومن أى أقسام اللام لام الرسول ؟

تمرين ٢ -

- ١ - قال تعالى : ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴾ آية ٢ سورة الماعون ، فلماذا أتى باسم الإشارة للبعيد ولم يأت بها للتقريب ؟
- ٢ - لماذا أوثّر اسم الموصول على غيره من المعارف في قول الشاعر :
أَعْبَادَ الْمَسِيحِ يَخَافُ مَصْحَبِي وَنَحْنُ حَبِيدُ مَنْ تَخَلَّقَ الْمَسِيحُ

تمرين ٣ -

- ١ - ما الغرض من تنكير المسند إليه في قول الشاعر :
وَفِي السَّمَاءِ نَجُومٌ لَا عِدَادَ لَهَا وَلَيْسَ يَكْفِيهِ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
- ٢ - لماذا عرف المسند إليه بالعلية وبالموصولية في قوله تعالى :
﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رِحَاءٌ بِمُنَافِقِينَ ﴾ آية ٢٩ سورة الفتح .

تمرين ٤ -

- ١ - قال النبي ﷺ : « إِنْ مِنْ الْبَهَانِ لَشَعْرٌ ، وَلَنْ مِنْ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ ، فَلِهَذَا لَتُكْرَ الْمُسْتَدُّ إِلَيْهِ وَلَمْ يَعْرِفْهُ ؟ »
- ٢ - لماذا عرف المسند إليه بالإضافة في قول الشاعر :
أَخُوكَ الَّذِي لَنْ تَدْعُهُ لِمَعْلَمَةٍ مُجِيبِكَ وَإِنْ تَهْضُبْ إِلَى السَّيْفِ يَهْضُبُ

تمارين — ٥

١ — قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾
آية ٥ ، ٦ سورة الشرح . فلماذا عرّف العسر في الموضعين ونكر يعسر فيهما ؟
ومن أى أقسام اللام لام العسر ؟

٢ — ما الغرض من التنكير في قول الشاعر :
شقتك لمنظرك الجيوب عتائل وبكتك بالدمع الهتون غوان

تمارين — ٦

١ — قال الشاعر :
أحيانا لا يردقون بدرهم وبألف ألف تترزق الأموات
فلماذا عرّف المسند إليه الأول بالإضافة والثاني باللام ولم
يمكس فيهما ؟

٢ — بين الغرض من التنكير في قول الشاعر :
ولله منى جانب لا أضيقه وللمو منى والحلاعة جانب
٣ — بين الغرض من التعريف والتنكير في قول المتنبي :
أهم بشيء والليالي كأنها تطاردني عن كونه وأطارد

أغراض الوصف

وأما وصفه فليكون الوصف تفسيراً له كاشفاً عن معناه (١) كقولك : الجسم الطويل المريض العميق محتاج إلى فراغ يشغله ، ونحوه في الكشف قول أوُس :

الالامى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمع (٢)

حكى أن الاصمى سئل عن الالامى ، فأشبهه ولم يزد. وكذلك قوله تعالى :
(إن الإنسان لمخلوق هلوعاً إذا أمسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً) (٣) قال الزمخشري : الملح سرعة الجزع عند مسه المكروه ، وسرعة المنع عند مسه الخير ، من قولهم : ناقة هلوع : سريعة السير . وعن أحمد بن يحيى (٤) قال لى محمد بن عبد الله بن طاهر : ما الملح : ... قلته : قد فسره الله تعالى ، انتهى كلام الزمخشري .

أو لكونه مخصصاً له (٥) نحو : د زيد التاجر عندنا ،

(١) هذا معنى أصلى للوصف ، فلا يصح ذكره في وجوه البلاغة ، وكذلك كونه مخصصاً للوصف .

(٢) هو لأوس بن حجر يرثى فضالة بن كعدة ، وقيله :

أيتها النفس أجهلى جزعا إن الذى تحذرين قد وقعا

إن الذى جمع الشجاعة والنجدة والبر والتقى مجعها

فالالامى بالرفع خبر د إن ، ولهذا قال د ونحوه في الكشف ، لأنه ليس مستقلاً عليه ، وقد روى بالنسب على أنه وصف لاسم د إن ، ويؤيد هذه الرواية إتيان خبر د إن ، بعد هذا في قوله :

أودى فلا تنفع الإشاحة من أمر لم يحاول البدعا

(٣) آية ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ سورة المعارج .

(٤) هو أبو العباس ثعلب ، من أئمة اللغة والنحو .

(٥) التخصيص رفع الاحتمال في المعارف وتقليل الاشتراك في الكرات .

أو لكونه مدحاً له ، كقولنا « جاء زيد العالم » حيث يتعين فيه زيد قبل ذكر العالم ، ونحوه من غيره (١) قوله تعالى : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (٢) وقوله تعالى : (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ) (٣) .

أو لكونه ذمماً له ؛ كقولنا ذهب زيد الفاسق ، حيث يتعين فيه زيد قبل ذكر الفاسق ، ونحوه من غيره قوله تعالى : (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (٤) .

أو لكونه تأكيداً له (٥) كقولك دأب الدابر كان يوماً عظيماً ، .
أو لكونه بياناً له ، كقوله تعالى : (لَا تَتَّخِذُوا لِلْإِنِّينِ ، إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ) (٦) قال الزمخشري : الاسم الحامل لمعنى الإفراد والثانية دالٌّ

(١) نحوه أيضاً من المسند إليه قوله تعالى : (فتبارك الله أحسن الخالقين) وقول خرق أخت طرفة :

لا يبعدن قومي الدين هم سم العمداء وآفة الجوز
النازلون بكل معتك والطيبون معافاة الأرض
(٢) آية ١ سورة الفاتحة .

(٣) آية ٢٤ سورة الحشر .

(٤) آية ٩٨ سورة النحل .

(٥) أى لغوياً لا اصطلاحياً ، ولا بد للوصف المؤكد من حال يقتضيه كإظهار السرور أو الأسف في المثال ، والتأكيد يقصد هنا زائداً على الوصفية بخلافه في التوكيد بالنفس ونحوه مما يأتي .

(٦) آية ٥١ سورة النحل .

وقد ذكرنا هنا فروقا بين الوصف المبين وغيره مما سبق ، وقيل : إن الوصف المبين يمكن جعله من الوصف المؤكد ، وإنما جعل وصفاً ولم يجعل عاطف بيان ، لأن حطف البيان لا يكون مشتقاً ولا مؤولاً به .

على شيئين : على الجانسية والعدد المخصوص . فإذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما والذي يساق له الحديث هو العدد شفيع بما يؤكدته - فدل به على القصد إليه والتمتية به ، ألا ترى أنك لو قلت إنما هو له ولم تؤكد به واحد لم يحسن ، وسخيل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية ، وأما قوله تعالى : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ) (١) فقال السكاكي (٢) شفيع دابة ، بد في الأرض ، و د طائر ، د يطير بجناحيه ، لبيان أن القصد بهما إلى الجانسين (٣) . وقال الزمخشري : د معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة (٤) كأنه قيل : د وما من دابة قط في جميع الأرضين السبع ، وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه .

واعلم أن الجملة قد تقع صفة للنكرة ، وشرطها أن تكون خبرية ؛ لأنها في المعنى حكم على صاحبها كالخبر ، فلم يستقم أن تكون إنشائية مثله ، وقال السكاكي (٥) : لأنه يجب أن يكون المتكلم يعلم تحقق الوصف للموصوف ، لأن الوصف إنما يؤتى به ليستقر به الموصوف بما عده ، وتعيين المتكلم شيئاً من شيء بما لا يعرفه له محال ، فما لا يكون عنده تحققاً للموصوف يمنع أن يحمده وصفه له بحكم عكس التقيض (٦) ، ومضمون الجمل المطلوبة كذلك

(١) آية ٣٨ سورة الأنعام (٢) ١٠١ - المفتاح (٣) أي لا إلى العدد .
(٤) أما أصل التعميم فستفاد من وقوع النكرة في سياق النفي ، والزيادة لدفع احتمال إرادة دواب أرض واحدة أو طيور جو واحد ، وجعل الاستغراق حقيقياً في جميع الدواب والطيور ، ولا يخفى أن كلام السكاكي يقول إلى ذلك أيضاً ، لأنه عند قصد الجلس يكون الاستغراق حقيقياً .

(٥) ١٠٠ و ١٠١ - المفتاح .

(٦) أي لقوله د يجب أن يكون المتكلم يعلم تحقق الوصف للموصوف ، .

لأن الطلب يقتضى مطلوباً غير متحقق لا متنازع طلب الحاصل ، فلا يقع شيء منها صفة لشيء ، والتعليل الأول أهم ، لأن الجملة الإنشائية قد لا تكون طلبية (١) كقولنا : نعم الرجل زيد . وبئس الصاحب هرو ، وربما يقرم بكر ، وكم غلام ملكت ، وعسى أن يحىء بشر ، وما أحسن خالد ، وصيغ للمعقود نحو : بعث واشترى ، فإن هذه كلها إنشائية وليس شيء منها بطلي . ولا متنازع وقوع الإنشائية صفة أو خبراً قيل في قوله :

• جاءوا بمدق هل رأيت الذئب قط • (٢)

تقديره جاءوا بمدق مقول عنده هذا القول ، أى بمدق يعمل رائيه أن يقول لمن يريد وصفه له : هل رأيت الذئب قط ، فهو مثله في اللون لإيراده في خيال الراى لون الذئب لومرقة (٣) وفي مثل قولنا : زيد اضربه أو لا تضربه ، تقديره : مقول في حقه اضربه أو لا تضربه ، (٤)

(١) لا يخفى أن الجملة الإنشائية غير الطلبية كالإنشائية الطلبية فيما ذكره السكاكي ، ولا معنى للتطويل بهذه المباحثات النظمية في هذا العلم ، ولا سيما أن ما ذكره من ذلك الشرط من مسائل علم النحو .

(٢) هو لعبد الله بن روبة التيمى المعروف بالعجاج ، والبيت :
حتى إذا جنّ الظلام واختلط جاءوا بمدق : هل رأيت الذئب قط
والمدق اللبن المخلوط بالماء ، مصدر بمعنى اسم المفعول ، وقوله : جنّ الظلام ، بمعنى أقبل أوله ، واختلاطه إنما يكون بعد ذهاب نور النهار كله ، يصف قوماً أضافوه وأطالوا عليه ثم أتوه بهذا المدق .

(٣) الورقة : سواد في غبرة .

(٤) قد يأتي الوصف لأغراض أخرى ، منها الترخيم في قول الشاعر :

إلهى هبذك العاصى أتماكا مقرأ بالذئوب وقد دعاكا

ومنها قصد الإيهام ، نحو قولك : تصدقت صدقة كبيرة أو صغيرة ، ومنها قصد التعميم ، مثل قولك : أكرم الناس الصغار والكبار .

أغراض التوكيد

وأما توكيده فالتقرير ، كما سيأتى فى باب تقديم الفعل وتأخيره (١) .
أو لدفع توهم التجوُّز أو السهو (٢) كقولك « عرفتُ أنا ، وعرفتُ أنت ،
وعرف زيد زيداً » أو عدم الشمول ، كقولك « عرفنى الرجلان كلاهما ، أو
الرجال كلهم » (٣) . قال السكاكى (٤) ومنه « كل رجل عارف ، وكل إنسان حيوان »
وفيه نظر ؛ لأن كلمة « كل » تارة تقع تأسيساً وذلك إذا أفادت الشمول
من أصله حتى لو لا مكانها لما مُعقل ، وتارة تقع تأكيداً ، وذلك
إذا لم تفده من أصله ، بل تمنع أن يكون اللفظ المقصود له مستعملاً فى غيره .

(١) كقولك « هو يعطى الجزيل » فهو يفيد من تقوية الحكم ما لا يفيد
قولك « يعطى زيد الجزيل » لتكرار الاستناد فى الأول ، ولا يخفى أن هذا ليس
من توكيد المسند إليه فلا معنى لذكره هنا .

(٢) بأن يكون فى الكلام أو المقام ما يؤم ذلك فيؤتى بالتوكيد لدفعه ، وبهذا
يمتاز نظر علم المعانى عن نظر علم النحو إلى التوكيد ، وهذا كما فى قولك « قطع الأمير
نفسه السارق » فإنه لو قيل « قطع الأمير السارق » لنوهم أن القاطع غيره بأمره
على ما جرت به العادة فى ذلك ، أما النحو فيجوز فيه أن يقال « قطع الأمير نفسه
السارق » وقطع الأمير السارق ، بلا نظر إلى هذه الاعتبارات ، وعلى هذا ورد
التوكيد فى قوله : ﴿ ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى ﴾ آية ٥٦ سورة طه
وقوله : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ﴾
آية ٣٠ ، ٣١ سورة الحجر . ففى هذا إشارة إلى فظاعة تكذيب فرعون واستكبار
إبليس اللعين .

(٣) فإنه قيل للتأكيد يحتمل أن أحد الرجلين أو بعض الرجال لم يحصى ، ولكنه
لم يعتد به فأطلق الكل وأريد البعض على سبيل المجاز .

(٤) ١٠١ - المفتاح .

أما الأول فهو أن تكون مضافة إلى نكرة (١) كقوله (٢) تعالى ﴿ كلُّ حَرْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (٣) وقوله ﴿ وكلُّ شَيْءٍ فَصْلَانُهُ تَفْصِيلًا ﴾ وقوله ﴿ وهم من كلِّ حِذْبٍ يُنْزِلُونَ ﴾ (٤) . وأما الثاني فما عدا ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ فسجد الملائكةُ كُلُّهُمْ ﴾ (٥) وهي في قوله د كل رجل عارف ، وكل إنسان حيوان ، من الأول لا الثاني ؛ لأنها لو خذت منهما لم يفهم الشمولة أصلا .

أغراض عطف البيان :

وأما بيانها وتفسيره فلا يضاهيه باسم مختص به (٦) كقوله د قدم صديقك خالد .

- (١) كذلك المضافة إلى معرفة ، كقوله تعالى : ﴿ كلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاَّبِينَ لَأَسْرَائِيلَ ﴾ آية ٩٣ سورة آل عمران .
- (٢) آية ٥٣ سورة المؤمنون .
- (٣) آية ١٢ سورة الإسراء .
- (٤) آية ٩٦ سورة الأنبياء .
- (٥) آية ٣٠ سورة الحجر .

(٦) هذا معنى نحوي لعطف البيان ، وإنما يعد من البلاغة إذا كان للاستدلال به شأن يقتضى العناية بأمره كعظم شأنه أو حقارته ، فيكون عطف البيان لمدحه أو ذمه أو نحو ذلك ، كقوله تعالى ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ﴾ آية ٩٧ سورة المائدة وقوله ﴿ ويسقى من ماء صديد ﴾ آية ١٦ سورة إبراهيم . وقد يكون عطف البيان غير مختص بمتبوعه ، ولكن يحصل الإيضاح والاختصاص بمجموعهما ، كما في قول الشاعر :

والمؤمن العائدات الطير بمسبحها ركبان مكة بين الغيل والستد
ما إن أُنِيعَ بشيء أنت تسكره لذن فلا رفعت سوطا إلى يدي =

أغراض البديل :

وأما الإبدال منه فلزيادة التقرير والإيضاح (١) نحو وجاءني زيد أخوك ،
وجاء القوم أكثرهم ، وسلب عمرو ثوبه ، (٢) ، ومنه في غيره قوله تعالى ﴿اهدنا
الصراط المستقيم﴾ صراط الذين أنعمت عليهم (٣) .

أغراض عطف النسق :

وأما العطف فالتفصيل المسند إليه مع اختصار (٤) نحو وجاء زيد
وعمر وخالده .

فالطير عطف بيان للعائدات ، وكل منهما غير مختص بصاحبه في ذاته ، وإنما
حصل هذا بجموعهما .

(١) يعنى أنه يؤتى به لئلا يزداد الأمرين زيادة على قصده بالحكم وهو المعنى
النحوى للبديل ، أو أن فيه زيادة تقرير على التوابع السابقة ، لأنه على نية تكرار
العامل ، فيكون إسفاده أقوى من غيره .

(٢) لم يأت بمثال لعطف العاطف ، لأنه لا يقع في فصيح الكلام إلا أن يكون
بديل بداء ، وهو أن تذكر المبدل منه عن قصد ثم تذكر البديل بعده فتوم أنك
ظالط لقصد المبالغة والتفنن ، وشرطه أن يراتق فيه من الأدنى إلى الأعلى ،
كما في قول الشاعر :

ألمع برق سرى أم ضوء مصباح أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى

هذا وفي البديل من وجوه البلاغة وجه الإجمال ثم التفصيل والعناية بإثبات
الحكم ، ولا يكون هذا إلا لمقام يقتضيه ، كما في قول الشاعر :

بلغنا السماء مجددنا وسناؤنا وإنا نرجو فوق ذلك مظهرأ

(٣) آية ٦ ، ٧ سورة الفاتحة .

(٤) هذا غير ما يفيد العطف من معناه النحوى كالدلالة على مطلق الجمع =

أو لتفصيل المسند مع الاختصار ، نحو « جاء زيد فعمرو ، أو ثم عمرو ، أو
« جاء القوم حتى خالده » (١) ولا بد في « حتى » من تدرّج ، كما ينبغي
عنه قوله :

وكشعهُ فحق من جند إبليس فارتقى

في الحال حتى صار إبليس من مجنّدي (٢)

أورد السامع عن الخطأ في الحكم إلى العواب (٣) كقوله « جاءني
زيد لا عمرو ، لمن اعتقد أن عمراً جاءك دون زيد ، أو أنهما جاءك جميعاً ،

== في الواو ، ووجه الاختصار في المثال أنه في معنى « جاء زيد وجاء عمرو وجاء
خالده » وقد أشار به إلى أن تفصيل المسند إليه خاص بالواو .

هذا ولا بد لذلك من مقام يقتضيه ، كما في قوله تعالى : ﴿ إن فرعون وهامان
وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ آية ٨ سورة القصص فذكر بالتفصيل فرعون
وهامان لأنهما السبب في الخطأ دون جنودهما .

(١) أشار بهذا إلى أن تفصيل المسند خاص بالفاء وثم وحتى ، لأنها تبين أنه
حصل ترتيب وتعقيب أو ترتيب وتراخ أو ترتيب ذهني ، ووجه الاختصار فيها
أنها تنفي عن « جاء زيد وعمرو بعده بيوم أو سنة أو نحو ذلك » ولا ينبغي أنه يحصل
فيه أيضاً تفصيل المسند إليه ولا كنه غير مقصود منها ، لأنه يكون معلوماً قبلها
فتساق لأجل تفصيل المسند وحده .

(٢) هو الحسن بن هانئ المعروف بأبي نواس . وحتى فيه ليست عاطفة .
ولما يقصد التمثيل به لإفادتها للتدرّج ، وإنما لم تكن عاطفة فيه لأن المشهور
أنها لا تأتي في عطف الجمل ، ولأن الجملة قبلها لا يستقل بها الكلام حتى يصح العطف
عليها عند من يقول بصحة العطف بها في الجمل .

(٣) أي مع الاختصار على ما سبق ، لأن هذا هو الذي يعني به في هذا العلم .

وقولك : د ما جاءني زيد لكن عمرو ، لمن اعتقد أن زيدا جاءك دون عمرو .
 أو لصرف الحكم عن محكوم له إلى آخر ، نحو جاءني زيد بل عمرو ، وما جاءني
 زيد بل عمرو ، (١)
 أو للشك فيه أو التشكيك (٢) نحو جاءني زيد أو عمرو ، أو إما زيد وإما عمرو ،
 أو إما زيد أو عمرو ، .
 أو للإيهام ، كقوله تعالى : ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ (٣) .
 أو للإباحة أو التخيير ، وهو أن يفيد ثبوت الحكم لأحد الشيئين أو الأشياء
 بحسب (٤) ، مثالها قولك : ليدخل الدار زيد أو عمرو ، والفرق بينهما واضح ،
 فإن الإباحة لا تنبع من الإتيان بأحدهما أو بهما جميعاً .

(١) فالعنى فيه على نقل حكم النفي إلى عمرو على ما ذهب إليه المبرد ، وانجهر
 على أن د بل ، تنقل حكم الإثبات لا النفي .

(٢) أى مع الاختصار أيضاً ، والشك من المتكلم ، والتشكيك للسامع ،
 والبلاغة في التشكيك أدل من البلاغة في الشك ، لأن التشكيك يجعل
 وسيلة إلى بلوغ اليقين ووصول الحق إلى المتحالفين على وجه لا يثير غضبهم ،
 لينظروا فيه فيؤدبهم النظر إلى العلم به ، وقد جعل السكاكي من هذا قوله
 تعالى ﴿ وإنا أو إياكم — الآية ﴾ . ولم يجعله للإيهام على السامع كما فعل الخطيب ،
 ومنه أيضاً قول الشاعر :

وقد زعمت ليل بأنى فاجر لنفسى تقاها ، أو عليها فجورها

وقيل : إن د أو ، فيه بمعنى الواو .

(٣) آية ٢٤ سورة سبأ .

(٤) أى من غير قصد إلى تشكيك أو إيهام .

أغراض ضمير الفصل :

وأما توسطُ الفصل بينه وبين المسند فله تخصيصه به (١) كقولك :
زيد هو المنطلق ، أو هو أفضل من عمرو ، أو خير منه ، أو هو يذهب (٢) .

(١) يعني تخصيص المسند إليه بالمسند ، فالباء داخلة على المقصور وما قبلها هو المقصور عليه ، ومن أغراض الفصل أيضاً التأكيد ، وإنما يفيد التأكيد إذا حصل التخصيص بغيره بأن تكون الجملة معرفة الطرفين مثلاً ، كما في قوله تعالى ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ آية ٨٠ سورة الذاريات . وقوله ﴿ فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ﴾ آية ١١٧ سورة المائدة . وقوله ﴿ لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ آية ٢٠ سورة الحجر . وقد يكون لتخصيص المسند بالمسند إليه ، نحو والكرم هو التقوى ، لأنه بمعنى لا كرم إلا بالتقوى .

(٢) الحق أن هذا ليس ضمير فصل ، وإنما يعرب تأكيداً أو مبتدأ ثانياً ، لأنه يشترط في ضمير الفصل أن يكون ما بعده خبراً معرفة أو كالمعرفة في عدم قبول «أل» ، كلفظ خبر ، ويشترط فيها قبله أن يكون مبتدأ ولو باعتبار الأصل ، وأن يكون معرفة ، ويشترط فيه نفسه أن يكون بصيغة المرفوع ، وأن يطابق ما قبله ، فلا يجوز ذلكت هو الفاصل ،

تمرينات على التوابع

تمرين - ١

- (١) بين الغرض من البديل في قول الشاعر :
وكنت كذى رجلين : رجلٌ صريحٌ ورجلٌ رى فيها الزمانُ فُشِلَتْ
- (٢) هل يجوز بلاغةً كما يجوز نحواً أن يجعل عطف البيان بدلاً مطابقاً وبالعكس ، أو أن لكل منهما مقاما خاصاً به ؟
- (٣) بين معنى « أو » ومنزلة بلاغةً في قول الشاعر :
نحن أو أنتم الأولى ألحق الحق سبباً للبهلدين وسحقاً

تمرين - ٢

- (١) من أى أقسام البديل قوله تعالى (ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً) آية ٦٨ ، ٦٩ سورة الفرقان . وأى غرض دعا إليه ؟ وما منزلة في البلاغة ؟
- (٢) أى غرض دعا إلى التوكيد في قول الشاعر :
لكنه شافه أن قيل ذا رجسب يا ليت عدة حول كله رجبا
- (٣) قال تعالى (فله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين) . آية ٣٩ سورة الجاثية . فلماذا عطف في الأول دون الثاني ؟

تمرين - ٣

- (١) قال الله تعالى (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) : آية ٨ سورة القصص . فما فائدة المطف بلاغةً فيه ؟ ولماذا أوردت فيه الواو على غيرها ؟
- (٢) أى غرض دعا إلى المطف بحق في قول الشاعر :
قهرناكم حتى السكاة فأنتم تهابوننا حتى يملينا الأصاغرا
- (٣) ما الغرض من الوصف في قول الشاعر :
ويأوى إلى نسوةٍ عطل وشعثاً مراصين مثل السغال

أغراض التقديم

وأما تقديمه فلمكون ذكره أمم ، إما لأنه الأصل ولا مقتضى للهدول
عنه (١) .

ولما يتمكن الخبر في ذهن السامع ؛ لأن في المبتدأ تشويهاً إليه ، كقوله :
والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جهاد (٢)
وهذا أولى من جملة شأهاً لمكون المسند إليه موصولاً كما فعل
السكاكي (٣) .

ولما لتعجيل المسرة أو المساءة لكونه صالحاً للتفاؤل أو التذلل ، نحو :
في دارك ، والسفاح في دار صديقك .
ولما لإيهام أنه لا يزول عن الخاطر أو أنه يستلذ ، فهو إلى الذكر
أقرب (٤) .

(١) هذا إذا كان المسند إليه مبتدأ أو نحوه لا فاعلاً أو نحوه ، ولا يخفى أن هذه
نكتة ضعيفة لا يعول عليها هنا .

(٢) هو لأحمد بن عبدالله المصروف بأبي العلاء المصروف ، وقوله وحارت ،
بمعنى اختلفت ، من إطلاق المألوم وإرادة الألوم على سبيل المجاز المرسل ، واسم
الموصول مبتدأ وخبره حيوان على تقدير مضاف ، أي معاد حيوان كما يدل عليه
مبدأ القسيمة — ويجوز أن يراد استحداث الحيوان من النطفة فلا يحتاج إلى
تقدير مضاف .

(٣) ٩٨ — المفتاح ، ولا مانع من جملة شأهاً لها معاً ، وبما يدخل في هذا
الفرض أن يكون المسند إليه ضمير شأن أو قصة ، كما في قول الشاعر :

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطش وفنكي
(٤) كقوله جميل :

بليقة ما فيها إذا تبهرت مغاب ولا فيها إذا نسبت أشب

ولما انحو ذلك (١)

قال السكاكي (٢) : « ولما لأن كونه متصفا بالخبر يكون هو المطلوب لا نفس الخبر ، كما إذا قيل لك : كيف الزاهد ؟ فتقول : الزاهد يشرب ويعطرب . ولما لأنه يفيد زيادة تخصيص كقوله :

مق تهز ز بنى قطن تخدم سيوفا في عواتقهم سيوف
جلوس في جهالهم رزان وإن ضيف ألم فهم مخفوف (٣)

والمراد بهم مخفوف ، وفيه نظر ، لأن قوله « لا نفس الخبر » يشعر بتجويز أن يكون المطلوب بالجملة الخبرية نفس الخبر ، وهو باطل (٤) لأن نفس الخبر تصوّر لا تصديق ، والمطلوب بها إنما يكون تصديقا ، وإن أراد

(١) كإظهار تعظيمه في نحوه قوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) آية ٢٩ سورة الفتح ، أو تحقيره في قولك « الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة » .

(٢) ١٠٤ ، ١٠٥ — المفتاح .

(٣) لا يعلم قائلهما ، وقوله « تهز ز » بمعنى تهيجهم للحرب ، وقوله : « تخدم سيوفا » معناه كالسيوف في المضاء ، ورزان جمع رزين ، ومخفوف مصدر خف بمعنى أسرع ، يخدمهم بالخفة في قوله « مق تهز ز الخ » وبالجملة والشرف في قوله « جلوس . . . الخ » وبالكرم في قوله « وإن ضيف ألم ، الخ . وبعد البيتين :

إذا نزلوا حسبتهم بدورا وإن ركبوا فإنهم حنوف

(٤) أجيب عنه في هذا بأنه لا يريد نفس الخبر مجردا عن الحكم حتى يلزمه ذلك ، فهو لا يقصد إلا أنه إذا علم تحقق المسند في الجملة ولم يعلم المسند إليه ندّم على المسند ، وهذا ظاهر لا اعتراض عليه .

بذلك وقوع الخبر مطلقا فغير صحيح أيضا - لما سيأتى (١) أن العبارة عن مثله لا يتوهم من فيها الى ما هو مسند إليه ، كقولك د وقيع القيام ، ثم في مطابقة الشاهد الذى أنشده للتخصيص نظر (٢) لما سيأتى أن ذلك مشروط بسكون الخبر فعليا ، وقوله د والمراد هم خفوف ، تفسير للشئ بإعادة لفظه (٣) .

قال عبد القاهر (٤) : وقد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعل إن ولى حرف النفي (٥) كقولك د ما أنا قلت هذا ، أى لم أقله مع أنه مقول ، فأفاد نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك ، فلا تقول ذلك إلا فى شئ ثبت أنه مقول وأنت تريد نفي كونك قائلا له . ومنه قول الشاعر :

وما أنا أسقمتُ جسمي بهِ ولا أنا أضربتُ في القلب نارا (٦)
إذ المعنى أن هذا السقمت الموجود والضرمت الثابت ما أنا جالبا لهما ،

(١) فى أول الكلام على متعلقات الفعل .

(٢) أجيب عنه فى هذا بأنه لا يريد بالتخصيص هذا المحصر وإنما يريد التخصيص بالذكر ، ولا يخفى أن حمل التخصيص على ذلك بعيد ، على أنه سيأتى أن السكاكى يريد فى هذا ونحوه التخصيص بمعنى المحصر وأنه لا يشترط فيه كون الخبر فعليا .

(٣) لا يخفى أن السكاكى لا يريد بهذا تفسيره ، وإنما يريد بيان محل الشاهد ، وما كان أغنى الخطيب عن الإطالة فى هذه المباحثات اللفظية .

(٤) ٨٤ — دلائل الإعجاز .

(٥) يعنى أنه فى هذه الحالة يفيد قصر نفي الخبر الفعل على المسند إليه وإثباته لغيره على الوجه الذى نفى به من خصوص أو عموم على ما سيأتى فى الأمثلة ، فالإباء داخلة هنا على المقصور ، والمراد بإيلائه حرف النفي لإتيانه بعده ولو كان بينهما فاصل ، فيشمل نحو : ما زيدا أنا ضربت ، وما فى الدار أنا جلست .

(٦) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، وقوله د أضربت ، بمعنى أشعلت ، يعنى نار الحب ، ونحوه قول الشاعر :

فالمقصود إلى نفى كونه فاعلاً لها لا إلى نفيهما ، ولهذا لا يقال د ما أنا قلت ولا
أحد غيري ، لمناقضة منطوق الثاني (١) لمفهوم الأول (٢) بل يقال د ما قلت أنا ولا
أحد غيري ، ولا يقال د ما أنا رأيت أحداً من الناس ، ولا د ما أنا ضربت إلا
زيداً ، بل يقال د ما رأيته أو ما رأيت أنا أحداً من الناس ، وما ضربت أو ما
ضربت أنا إلا زيداً ، لأن المنفى في الأول الرؤية الواقعة على كل واحد من الناس ،
وفي الثاني الضرب الواقع على كل واحد منهم سوى زيد (٣) . وقد سبق أن ما يفيد
التعويض بثبوته لغیر المذكور هو ما نفى عن المذكور ، فيكون الأول مقنعاً
لأن إنساناً غير المتكلم قد ضرب من عدا زيداً منهم ، وكلاهما محال ، وعلى الشيخ
عبد القاهر والسكاكي (٤) امتناع الثاني بأن نقض المنفى بالـ لا يقتضي أن يكون القائل له
قد ضرب زيداً ، وإبلاء الضمير حرف المنفى يقتضي ألا يكون ضربه ، وذلك
تناقض ، وفيه نظر ، وإبلاء الضمير حرف المنفى يقتضي ذلك ، فإن قيل ؛

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله ولكن لشعري فيك من نفسه شعري
وقوله ﷺ : د ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم .

(١) هو د ولا أحد غيري .

(٢) هو د ما أنا قلت ، لأن مفهومه أن غيره قاله ،

(٣) لا يخفى أن هذا ليس هو المنفى في المثالين وإلا كانا من سلب العموم
لأن من عموم السلب ، وإنما المنفى في الأول رؤية أي واحد من الناس وفي الثاني
ضرب أي واحد سوى زيد ، وعلى هذا يكون مفهوم المثالين أن إنساناً غير
المتكلم رأى واحداً من الناس وضرب أي واحد سوى زيد ، وهو صحيح لا شيء
فيه ، وإنما الذي يؤدي إلى ما ذكره الخطيب أن يقال — ما أنا رأيت كل رجل ،
وما أنا ضربت كل رجل إلا زيداً .

(٤) ٨٥ — دلائل الإيجاز ، ١٣٥ — المفتاح .

الاستثناء الذى فيه مفرغ ، وذلك يقتضى ألا يكون ضرب أحدًا من الناس ، وذلك يستلزم ألا يكون ضرب زيداً ، قلنا : إن لزم ذلك (١) فليس للتقديم لجريانه فى غير صورة التقديم أيضاً ، كقولنا : ما ضربت إلا زيداً .

هذا إذا ولى المسند إليه حرف النفى ، وإلا فإن كان معرفة ، كقولك : أنا فعلت ، كان القصد إلى الماعل (٢) وينقسم قسمين :

أحدهما : ما يفيد تخصيصه بالمسند (٣) للرد على من زعم انفراد غيره به أو مشاركته فيه ، كقولك : أنا كتبت فى معنى فلان ، وأنا سمعت فى حاجته ، ولذلك إذا أردت التأكيد قاطعة للواقع فى الوجه الأول : أنا كتبت فى معنى فلان لا غيرى ، ونحو ذلك ، وفى الوجه الثانى : أنا كتبت فى معنى فلان وحدى ، فإن قلت : أنا فعلت هذا وحدى ، فى قوة : أنا فعلته لا غيرى ، فلم يختص كل منهما بوجه من التأكيد دون وجه ؟ قلت : لأن جدوى التأكيد لما كانت إمطة شبيهة خالجت قلب السامع ، وكانت فى الأول أن الفعل مسند من غيرك وفى الثانى أنه صدر منك بشركة الغير أكدت وأعطت الشبهة فى الأول بقولك : لا غيرى ، وفى الثانى بقولك : وحدى ، لأنه محذور ،

(١) الحق أنه لا يلزم لأن إيلاء الضمير حرف النفى إنما يقتضى نفى ما عدا المستثنى ، وما ذكره عبد القاهر والسكاكى إنما هو غفلة منهما .

(٢) أى لا إلى الفعل كما فى النفى .

(٣) يعنى قصر المسند عليه ، ويلزمه أيضاً تقوية الحكم كما فى القسم الثانى ، وليكنها تحصل هنا تبعاً لا قصداً .

ولو عكسنا أحسنه (١) .

ومن البين في ذلك (٢) المثل : « أتلقى بضبط أنا حرشته » (٣) . وعليه قوله تعالى : (ومن أمل المدينة تمسكوا على التماسك لا تعلمهم نحن تعلمهم) (٤) أى لا يعلمهم إلا نحن ولا يطلع على أسرارهم غيرنا ، لا بطانهم للكفر في سويداوات قلوبهم .

الثاني : ما لا يفيد إلا تقوى الحكم وتقرره في ذهن السامع وتمسكه ، كقولك « هو يعطى الجزيل » لا تريد أن غيره لا يعطى الجزيل ولا أن تعرض بإنسان ، ولست تريد أن تقر في ذهن السامع وتحقق أنه يفعل إعطاء الجزيل ، وسبب تقويه هو أن المبتدئ يستدعي أن يستند إليه شيء ، فإذا جاء بعده ما يصلح أن يستند إليه صرفه إلى نفسه ، فينمق بينهما حكم سواء كان خاليا من ضميره ، فهو « زيد غلامك » ، أو متضمنا له ، نحو « أنا عرفت » وأنت عرفت هو عرف أو زيد عرف ، ثم إذا كان متضمنا لضميره صرفه ذلك الضمير إليه ثانيا ، فيكتسب الحكم قوة (٥) .

وبما يدل على أن التقديم (٦) يفيد التأكيذ أن هذا الضرب من الكلام يحى :

(١) يعنى حولت كلا منهما عن موضعه المناسب له ، لأن « لا غيرى » تدل صريحا على نفى مسندوه من غيرك ، أما وحدى فيدل عليه التزاما ، وكذلك « وحدى » يدل صريحا على نفى الشركة ، أما « لا غيرى » فيدل عليه التزاما .

(٢) أى في إقادة التخصيص .

(٣) حرشته بمعنى صده ، والمثل يضرب لمن يخبرك بشيء أنت أعلم به منه .

(٤) آية ١٠١ سورة التوبة .

(٥) علله عبد القاهر بأن تقديم المسند إليه ينه السامع لقصده بالحديث قبل ذكره تحقيقا وتأكيذا له .

(٦) أى في هذا القسم ، وهذا يكون له مقام في الكلام يبين مقام القسم الأول ؛ لأن المقصود منه التخصيص لا التأكيذ كما سبق .

فما سبق فيه إنكار من منكره نحو أن يقول الرجل : ليس لي علم بالذي أقول ،
فأقول : أنت تعلم أن الأمر على ما أقول ، وعليه قوله تعالى ﴿ ويَقُولُونَ - عَلَى اللَّهِ
الْكُذُوبُ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) لأن الكاذب لا سيما في الدين لا يعترف بأنه كاذب ،
فيمتنع أن يعترف بالعلم بأنه كاذب .

وفيما اعترض فيه شك : نحو أن تقول للرجل : كأنك لا تعلم ما صنع فلان ؟ ،
فيقول : أنا أعلم .

وفي تكذيب مدَّعٍ : كقوله تعالى ﴿ وإذا جاءوكمُ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا
بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ﴾ (٢) فإن قولهم ﴿ آمَنَّا ﴾ دعوى منهم أنهم لم يخرجوا
بِالْكُفْرِ كما دخلوا به .

وفيما يقتضى الدليل ألا يكون كقوله تعالى ﴿ والَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ
اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ (٣) فإن مقتضى الدليل ألا يكون ما يتخذ
إلهاً مخلوقاً .

وفيما يستغرب : كقولك : ألا تعجب من فلان يدعى العظيم وهو
يعيا باليسير .

وفي الوعد والضمنان : كقولك للرجل : أنا أكفيك ، أنا أقوم بهذا الأمر ؛
لأن من شأن من تعدد وتضمن له أن يعترضه الشك في إنجاز الوعد والوفاء
بالضمنان ، فهو من أحوج شيء إلى التأكيذ .

وفي المدح والافتخار : لأن من شأن المادح أن يفتح السامعين من الشك
فيما يدَّعُ به ويبعدهم عن الشبهة ، وكذلك المفخر ، أما المدح فكقول الحماسي :

(١) آية ٧٨ سورة آل عمران .

(٢) آية ٦١ سورة المائدة .

(٣) آية ٢٠ سورة النحل .

* هم يفرشون اللبد كل طمرة (١) *

وقول الخامسة :

* هما يلبسان المجد أحسن لبسة (٢) *

وقول الخامسة :

* فهم يضربون السكبش يبرق بيضه (٣) *

وأما الافتخار فكقول طرفة :

* نحن في المشتاة ندهو الجفلى (٤) *

(١) هو للعزل بن عبد الله الليثي من قوله يمدح فتيان بنى هتريك :

هم يفرشون اللبد كل طمرة وأجود سجاج يبد المغاليا
وقبله :

جوى الله فتيان العتيك وإن نأت في الدار عنهم خير ما كان جازيا
والطمرة : الفرس الكريم ، والأجود : القهدير الشعر ، والسجاج : الين الجرى ،
والمغالي : بضم الميم السهم ، وبقعةها جمع مغلى أو مغلاة وهى السهم أيضاً ، يعنى
أنه أسرع منه .

(٢) هو لعمرة الحشمية من قولها في رثاء أبيها :

هما يلبسان المجد أحسن لبسة شحيجان ما استطاعا عليه كلاهما
واللبسة : اسم هيئة من لبس ، والشحيج : الذى لا يفرط فيما في يده . وقيل :
إن البيت لدرهم بنت سيار الجحدرية في رثاء أخويها .

(٣) هو للأخفس بن شهاب التغلبي من قوله :

فهم يضربون السكبش يبرق بيضه على وجهه من الدماء سباب
وروى : هم يضربون ، والسكبش : الشجاج ، والبيض : الأمانة والسباب : الطرائق
جمع سبيلية ، يعنى أنهم يضربونه فيسهل دمه كأنه طرائق حمر .
(٤) هو لعمرو بن العبد المعروف بطرفة .

وبما لا يستقيم المعنى فيه إلا على ما جاء من بناء الفعل على الاسم قوله تعالى :
 ﴿ إِنَّ وَيَسَّى اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَقُولُ الصَّالِحِينَ ﴾ (١) وقوله تعالى
 ﴿ وَقَالُوا أَطِيرٌ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْتَلِ عَلَيْهِ مُبَكَّرَةٌ وَأَصِيلًا ﴾ (٢)
 وقوله تعالى ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِبِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (٣)
 فإنه لا يخفى على من له ذوق أنه لو جرى في ذلك بالفعل غير مبنى
 على الاسم لوجد اللفظ قد نبأ عن المعنى ، والمعنى قد زال عن الحال التي ينبغي
 أن يكون عليها .

وكذا إذا كان الفعل مفعلياً (٤) كقولك « أنت لا تكذب » فإنه أشد لنفي
 الكذب عنه من قولك « لا تكذب » وكذا من قولك « لا تكذب أنت »
 لأنه لتأكيد المحكوم عليه لا الحكم ، وعليه قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ
 بِهِمْ لَا يُشْرَكُونَ ﴾ (٥) فإنه يفيد من التأكيد في نفي الإشراك عنهم ما لا يفيد

نعني في المشتاة ندهو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتفر
 والمشتاة : الشتاة وهو زمن الجذب عندهم ، والجفلى : الدعوة العامة ، والآدب
 الداهى إلى المأدبة ، وقوله « ينتفر » معناه يدعو بعضها ويترك بعضها .

(١) آية ١٩٦ سورة الأعراف .

(٢) آية ٥ سورة الفرقان .

(٣) آية ١٧ سورة النمل .

(٤) أى بحرف نفى مؤخر عن المسند إليه ، فهو يأتى كالمثبت تارة للتخصيص ،
 وتارة لتقوية الحكم ، ومن إتيانه للتخصيص قولك « أنا ما قلت هذا » أى وحدى ،
 تقوله لمن اعتقده أنه لم يقل مصيباً في هذا ولكنه نسبته خطأ إلى غيرك ، وكل الأمثلة
 التي ذكرها الخطيب لإفادة تقوية الحكم .

(٥) آية ٥٩ سورة المؤمنون .

فولنا د والذين لا يشركون بهم ، ولا قولنا د والذين بهم لا يشركون ،
وكذا قوله تعالى ﴿ لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ﴾ (١)
وقوله تعالى ﴿ سميت عليهم الأنبياء يومئذ فهم لا يتساءلون ﴾ (٢)
وقوله تعالى ﴿ إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ﴾ (٣) .

هذا كله إذا بُني الفعل على معرف ، فإن بُني على متكسر أفاد ذلك تخصيص (٤)
الجنس أو الواحد (٥) بالفعل ، كقولك د رجل جاءني ، أي لا امرأة أو لا رجلان ،
وذلك لأن أصل النكرة أن تكون للواحد من الجنس ، فيقع القصد بها تارة
إلى الجنس فقط ، كما إذا كان المخاطب بهذا الكلام قد عرف أن قد آتاك آت ،

(١) آية ٧ سورة يس

(٢) آية ٦٦ سورة القصص

(٣) آية ٥٥ سورة الأنفال

(٤) ظاهر هذا أن بناء الفعل على المنكر لا يفيد تقوية الحكم ، وقد ذكر السعد
أنه قد يفيد ذلك ، كأن يقال د رجل جاءني ، فالعنى أنه جاء ولا بد ، ثم ذكر
أن هذا هو الذي يشعر به كلام عبد القاهر في « دلائل الإعجاز » ولكن رجعت
إلى كلامه فيه فوجدته صريحاً في أنه لا يفيد إلا التخصيص ، لأنه ذكر أنك إذا
قلت د رجل جاءني ، لم يصلح حتى تريد أن تعلم المخاطب أن الذي جاءك رجل
لا امرأة أو لا رجلان ، ويكون كلامك مع من عرف أن قد آتاك آت . فإن لم
ترد ذلك كان الواجب أن تقول د جاءني رجل ، ولا شك أن ما ذكره السعد
لا يصح عربية لعدم صحة الابتداء بالنكرة إلا عند إرادة التخصيص كما سيأتي ،
وإذا لم يصح عربية لم يصح بلاغة .

(٥) هذا إذا كان المنكر مفرداً ، فإذا كان مثني أو جمعاً أفاد تخصيص الجنس أو
المثنى أو الجمع .

ولم يدر جنسه أرجل هو أو امرأة ؟ أو اعتقد أنه امرأة ، وتارة إلى الوحدة فقط ، كما إذا عرف أن قد أتاك من هو من جنس الرجال ، ولم يدر أرجل هو أم رجلان ؟ أو اعتقد أنه رجلان .

واشترط السكاكي (١) في إفاضة التقديم والاختصاص (٢) أمرين : أحدهما أن يجوز تقدير كونه في الأصل مؤخرأ على أن يكون فاعلا في المعنى فقط ، كقولك « أنا قت » ، فإنه يجوز أن «تقدر» أصله «مقت» أنا ، على أن « أنا » تأكيد للفاعل (٣) الذي هو التام في قت ، «تقدر» أنا ، ومجعل مبتدأ .

وثانيهما أن يقدر كونه كذلك ، فإن انتفى الثاني دون الأول كالمثال المذكور إذا أجرى على الظاهر ، وهو أن يقدر الكلام من الأصل مجليا على المبتدأ والخبر ، ولم يقدر تقديم وتأخير ، أو انتفى الأول بأن يكون المبتدأ اسما ظاهرا (٤) فإنه لا يفيد إلا تقوية الحكم .

واستثنى المستكبر (٥) كما في نحو « رجل جاءني » بأن «قدر» أصله « جاءني رجل » لا على أن « رجل » فاعل جاءني ، بل على أنه بدل من الفاعل الذي هو الضمير المستتر في جاءني ، كما قيل في قوله تعالى : (وأسروا النجوى الذين ظلموا) (٦) إن (الذين ظلموا) بدل من الواو في (أسروا)

(١) ١١٩ ، ١٢٠ — المفتاح .

(٢) أما تقوية الحكم فلا خلاف فيها بين السكاكي وعبد القاهر ، لأنها تأتي في جميع صور التقديم وإن لم تكن مقصودة في بعضها كما سبق .

(٣) أي وتأكيده الفاعل في المعنى لا في اللفظ .

(٤) نحو « زيد قام » ، فإنه إذا قدر تأخيره يكون فاعلا في اللفظ والمعنى ، لا في المعنى فقط .

(٥) أي من ذلك الشرط ، فلم يشترطه فيه . (٦) آية ٣ سورة الأنبياء

وفرق بينهما وبين المعرف بأنه لو لم يقدر ذلك فيه انتفى تخصيصه ، إذ لا سبب لتخصيصه سواء ، ولو انتفى تخصيصه لم يقع مبتدأ^(١) بخلاف المعرف لوجود شرط الابتداء فيه وهو التعريف .

ثم قال : « وشرطه^(٢) ألا يمنع من التخصيص مانع^(٣) كقولنا « رجل جاءني ، أي لا امرأة أو لا رجلان ، دون قولهم « شرٌّ أهرَّ ذاك ناب ، أما على التقدير الأول^(٤) فلا مناع أن يراد المفسر شر لا غير^(٥) ، وأما على الثاني^(٦) فليكونه نائياً عن مكان استعماله^(٧) ، وإذا قد صرح الأئمة بتخصيصه حيث أولوه بما أهر ذاك ناب إلا شر ، فالوجه تفضيع شأن الشر بالتنكير كما سبق^(٨) . هذا كلامه ، وهو مخالف لما ذكره الشيخ

- (١) لأنه لا يجوز الابتداء بالنكرة إلا إذا خصصت ، فإذا كان لها مخصص غير ذلك من وصف أو نحوه لم يجب جعل التقديم للتخصيص .
 - (٢) أي شرط تقدير ذلك في المنكر ليفيد التخصيص .
 - (٣) يريد بالمانع انتفاء فائدة التخصيص من رد اعتقاد المخاطب في قيد الحكم مع تسليم أصله .
 - (٤) هو أن يكون لتخصيص الجنس .
 - (٥) لأنه لا يوجد من يتوهم أن الخبر ير السلب حتى يرد عليه بذلك .
 - (٦) هو أن يكون لتخصيص الواحد .
 - (٧) لأنه مثل يقال في مقام الحث على شدة الحزم لدفع هذا الشر لعظمه ، فإذا أريد أن الذي أهوه شر لا شران نافي القصد منه ، لأنه بما يوجب التباهل في دفعه .
 - (٨) من أن التنكير قد يأتي للتعظيم ، وبهذا يجمع بين قولهم بتخصيصه وقوله بعده .
- فقولهم بالتخصيص مبنى على جعل التنكير للتعظيم ، والمعنى شر عظيم أهر ذاك ناب لا شر ضعيف ، فيكون التخصيص في الوصف لا في جنس الشر ، ويكون له فائدة ، وقوله بعده التخصيص مبنى على عدم إرادة ذلك من التنكير ، فيكون التقديم عنده لتقوية الحكم فقط

عبد القاهر (١) لأن ظاهر كلام الشيخ فيما يلي حرف النفي القطعُ بأنه يفيد التخصيص مضمراً كان أو مظهراً، معرّفاً أو منكرأً متى غير شرط، لكنه لم يمثل إلا بالمضمر، وكلام السكاكي صريح في أنه لا يفيد إلا إذا كان مضمراً أو منكرأً بشرط تقدير التأخير في الأصل، فنحو «ما زيد قام» يفيد التخصيص على إطلاق قول الشيخ، ولا يفيد على قول السكاكي، ونحو «ما أنا قت» يفيد على قول الشيخ مطلقاً، وعلى قول السكاكي بشرط، وظاهر كلام الشيخ أن المعرف إذا لم يقع بعد النفي وخبره مثبت أو منفي قد يفيد الاختصاص مضمراً كان أو مظهراً، لكنه لم يمثل

(١) من يرجع إلى كلام السكاكي في «المفتاح» يرى أنه حاكى عبد القاهر فيما يفيد تقديم المسند إليه على الخبر الدللي، فقد رأى في المذكرة أن البناء عليها لا يفيد إلا التخصيص كما يرى عبد القاهر، ولم يخالفه إلا في توجيه ذلك بما لا يؤثر في موافقته له، وقد رأى فيما يلي حرف النفي ما يراه عبد القاهر، فلا يصح عنده مثله «ما أنا رأيت أحداً» ولا «ما أنا رأيت إلا زيدا» وكذلك لا يصح عنده «ما زيدا ضربت ولا أحداً من الناس» ولا «ما أنا ضربت زيدا ولا أحد غيري» فالمضمر والمظهر عنده في ذلك سواء، ولهذا لم يذكر شرط تقدير التأخير فيما يلي حرف النفي، ولا يوجد في كلامه ما يشعر بحمله على الماثبت في هذا الشرط، وقد رأى في المعرف الماثبت أنه يحتمل التخصيص وتقوية الحكم كما يرى عبد القاهر، ولكنه يرى أن البناء على المظهر ليس كالبناء على المضمر في احتمال هذين الاعتبارين على سواء، فهو لا ينفي فيه الاختصاص؛ بل يبعده. ولعل عبد القاهر لم يمثل إلا بالمضمر كما ذكر الخطيب اعتمد اعتبار التخصيص في المظهر، ولعل الخطيب أشار بقوله — لأن ظاهر كلام الشيخ لمخ إل أنه يمكن الجمع بينهما .

فالحق أنه لا خلاف بين عبد القاهر والسكاكي في ذلك كله إلا في التوجيه فقط، والخلاف في التوجيه لا يؤثر في اتفاقهما على ذلك بشيء، وما كان أغنى الخطيب عن التطريل بما طرأ به في هذا الوضع .

إلا بالمضمر ، وكلام السكاكي صريح في أنه لا يفيد إلا المضمر ، فنحو « زيد قام » قد يفيد الاختصاص على إطلاق قول الشيخ ، ولا يفيد عند السكاكي ، ثم فيما استج به لما ذهب إليه نازر ، إذ الفاعل وتأكيده سواء في امتناع التقديم ما دام الفاعل فاعلا والتأكيد تأكيداً ، فتجوز تقديم التأكيذ دون الفاعل تمكيداً ظاهراً ، ثم لا نسلم انتفاء التخصيص في صورة المنكر لو لا تقدير أنه كان في الأصل مؤخرًا فسندهم ، لجواز حصول التخصيص فيما بالتحويل كما ذكر (١) وذير التحويل ، ثم لا نسلم امتناع أن يراد المؤخر شر لا خير ، قال الشيخ عبد القاهر : إنما قدّم شر ، لأن المراد أن يعلم أن الذي أهر ذا ناب هو من جنس الشر لا من جنس الخير (٢) فتجوز مجرى أن تقول « رجل جاءني » تريد أنه رجل لا امرأة ، وقول العلماء إنه إنما صالح لأنه بمعنى « ما أهر ذا ناب إلا شر » ، بيان لذلك ، وهذا صريح في خلاف ما ذكره .

ثم قال السكاكي (٣) : ويقرب من قبوله هو عرف ، في اعتبار « توتوي الحكم » (٤)

(١) أي في قولهم « شر أهر ذا ناب » وغير التحويل كالتحقير والتشكيير والتقليل ، ولكن هذا لا يرد على السكاكي ، لأنه إنما يقدر ذلك في النكرة إذا لم يكن هناك سبب للتخصيص سواء ، نحو « رجل جاءني » ، على إرادة الجنس أو الواحد ، فليس فيه احتمال تحويل ولا غيره .

(٢) ٩٤ — دلائل الإعجاز ، ولكن قد سبق أن التخصيص في مثل هذا لا فائدة فيه ، وقيل : إن السكيب قد يبرز في الدفاع عن أصحابه وهو من جنس الخير ، فيكون على هذا في التخصيص بجنس الشر فائدة ، ولا حاجة مع هذا إلى تسويغ التخصيص فيه بعمل التشكيير للتعظيم كما سبق . (٣) ١١٩ — المفتاح . (٤) ظاهر هذا أنه لا يأتي للتخصيص عنده ، وقيل : إنه يأتي عنده أيضاً للتخصيص . ويدل على هذا ما سيأتي في قوله تعالى : ﴿ وما أنت علينا بعزير ﴾ وما سيأتي له في باب القصر من إفادة « أنا عارف » القصر .

و زيد عارف ، ولما قلت د يقرب ، دون أن أقول د نظيره ، لأنه لما لم يتفاوت
في التكلم والخطاب والغيبة في د أنا عارف ، وأنت عارف ، وهو عارف ، أشبه
الحال عن الضمير ، ولذلك لم يحكم على د عارف ، بأنه جملة ولا عموم معاملة فيها في
البقاء (١) حيث أعرب في نحو د رجل عارف ، رجلا عارفا ، رجل عارف ،
واتبعه في حكم الأفراد ، نحو د زيد عارف أبوه ، يعني اتبع د عارف ، وعرف ،
في الأفراد ، إذا أسند إلى الظاهر مفردا كان أو مشى أو محمرا (٢) .

ثم قال : وما ينبغي التخصيص ما يحكيه قلت كذبه عن قوم شعيب عليه السلام :
(وما أنت علينا بعزير) (٣) أي العزيز علينا يا شعيب رعطك لا أنت (٤)
لكونهم من أهل ديننا ، ولذلك قال عليه السلام في جوابهم : (أرهطى أعز عليكم
من الله) أي من نبي الله ، ولو كان معناه معنى د ما عززت علينا ، لم يكن
مطابقا . وفيه نظير ، لأن قوله : (وما أنت علينا بعزير) من باب د أنا عارف ،
لا من باب د أنا عرفت (٥) ، واتمسك بالجواب ليس بشيء ، لجرأ أن يكون

(١) المراد به عدم ظهور إعرابها ، لأنه لا يلزم البقاء فيها .

(٢) فلا تلحقهما علامة التثنية ولا علامة الجمع .

(٣) آية ٩١ سورة هود .

(٤) فيفيد التخصيص مع تقوية الحكم .

(٥) هذا لا يرد على السكاكي عند من يرى أنه لا فرق عنده بين البابين في احتمال
إفادة التخصيص وتقوية الحكم ، ولكن الحق خلاف ما ذهب إليه السكاكي من
التسوية بين البابين ، بدليل أنه لو كان نحو د زيد عارف ، يفيد تقوية الحكم لما
صح خطاب الذهن به ، وهو خلاف ما سبق عن أبي العباس في جواب السكندري في
باب الإسماعيل المعبري من الفرق بين د عبد الله قائم ، ولن عبد الله قائم وإن
عبد الله لقائم .

عليه السلام فهم كون رهمه أعز عليهم من قولهم : ﴿ ولولا رهمك لرجهناك ﴾
وقال الزمخشري : دل إبلاء ضميره حرف النفي على أن الكلام في الفاعل
لا في الفعل ، كأنه قيل : وما أنت علينا بمنزلة رهمك هم الأعزة علينا ، (١)
وفيه نظر ، لأننا لا نسلم أن إبلاء الضمير حرف النفي إذا لم يكن الخبر فعلياً ، يند
الحصر ، فإن قيل : الكلام واقع فيه وأنهم الأعزة عليهم دونه ، فكيف صح
قوله : ﴿ أرهمي أعز عليكم من الله ﴾ ؟ قلنا : قال السكاكي : معناه : من نبي الله ،
فهو على حذف المضاف ، وأجود منه ما قال الزمخشري : وهو أن تهاونهم
به وهو نبي الله تهاون بالله ، فحين عز عليهم رهمه دونه كان رهمه أعز عليهم
من الله ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ (٢)

(١) فيكون الزمخشري في هذا موافقاً للسكاكي ، ويرى مثله أن نحو « زيد
عارف ، من قبيل « هو عارف ، في إفادة التقوية والتخصيص ،
(٢) آية ٨٠ سورة النساء .

هذا ، وما ورد من الشعر في إفادة التقديم التقوية أو التخصيص قول جرير :

إن العيون التي في طرفها مرضى قتلتها ثم لم يحيين قتلتنا
يصرفني ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أوكانا
وقول بعضهم :

كأنت قناني لا تلين لغامري فألأيتها الإصباح والإمساء
ودعوت ربي بالسلامة جاهداً ليصحتني ، فإذا السلامة داء
وقول الآخر :

لمسعت بكفى كفته أبتغي الغنى ولم أدر أن الجود من كفه ميمدى
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعداني فألتفت ما هتدى

ويجوز أن يقال : لا شك أن همزة الاستفهام هنا ليست على بابها ، بل هي
الإسكار للتوبيخ ، لا فيكون معنى قوله : (أرهطى أعز عليكم من الله) إسكار
أن يكون ما نعوهم من رجه رهطه لانتسابه إليهم دون الله تعالى مع انتسابه إليه
أيضاً ، أى أرهطى أعز عليكم من الله حتى كان امتناعكم من رجه بسبب
انتسابي إليهم بأنهم رهطى ، ولم يكن بسبب انتسابي إلى الله تعالى بأنى رسوله .
والله أعلم .

وما يرى تقديمه (١) كاللازم لفظ « مثل » ، إذا استعمل كناية من غير
تعريض (٢) كما في قولنا « مثلك لا يبخل » ونحوه مما لا يراد بلفظ « مثل » ،
غير ما أضيف إليه ، ولكن أريد أن من كان على الصفة التي هو عليها كان من
مقتضى القياس وموجب العرف أن يفعل ما ذكر أو ألا يفعل (٣) ، ولكنه
المعنى هذا (٤) قال الشاعر :

(١) أى على الخبر الفعلى ، ويلحق بلفظ « مثل » ، ما هو بمعناه كلفظ « شبيهه »
ونظيره ، وإنما كان التقديم فيها كان كاللازم ولم يكن لازماً لأنه لا شيء يوجهه من
جهة القياس ولا من جهة الكناية ، وإنما هو مما يساعد على الغرض المقصود منها ،
وهي حاصلة مع التقديم والتأخير ، فليس هذا اللزوم إلا في استعمال البلغاء .
(٢) أى بغير ما أضيف إليها ، فلو أريد بها غيره لم يلزم تقديمها لأنها تخرج
من الكناية إلى الحقيقة ، كما في قول أبي إسحاق الصابي :

تشابهه دمعى إذ جرى ومدامتى فن مثل ما فى الكأس عيني تسكب
فليس المراد بالتعريض هنا التعريض المسدود من الكناية ؛ وإنما المراد به
معناه الغوى وهو الإشارة على وجه الإجمال .

(٣) هذا يلزمه أنه هو نفسه يفعله أو لا يفعله ، فالكناية في ذلك من إطلاق
اللزوم وإرادته اللازم .

(٤) أى على أنه لا يراد بمثل غير ما أضيفت إليه ،

ولم أقبل مثلك أعفى به سواك يا فردًا بلا مُشبهه (١)
وعليه قوله :

مثلك يثنى الحزنَ عن صوبه ويستردُّ الدمعَ عن غتره (٢)
وكذا قول القبيعي (٣) للحجاج لما توعده بقوله « لا حملك على الأدم
والأشهب : مثل الأمير حمل على الأدم والأشهب » (٤) أى من كان على هذه الصفة
من السلطة وبسطة اليد ، ولم يقمعد أن يجعل أحدا مثله .
وكذلك حكم « غير » إذا سلك به هذا المسلك (٥) فقيل « د غيرى يفعل ذلك ،

(١) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبي الطيب المتنبى ، و « مثلك » فيه مفعول
« أقبل » على حكايته في البيت الآتى بعده لانه جعله في القصيدة .
(٢) هو للمتنبى أيضاً من قصيدة له في الرثاء ، وقوله « يثنى الحزن » بمعنى
يكفه بالعبر والصوب الجملة ، والغرب عرق في العين يجرى منه الدمع ، وفي رواية
« يثنى المزن » وهو السحاب ، وهى خلاف رواية الديوان ، ولا تناسب
مقام الرثاء .

(٣) الصواب ابن القبحرى وهو الغضبان بن القبحرى الشيباني ، وكان ممن
خرج على الحجاج بن يوسف الثقفى .
(٤) الأدم فى كلام الحجاج بمعنى الفيد من الحديد ، وفى كلام الغضبان بمعنى
الفرس الأسود ، وسيأتى هذا فى الكلام على تلقى المخاطب بغير ما يترقب .
(٥) فلم يقصد بها سوى ما أضيف إليها ، فإن قصد بها سوى ما أضيف إليها لم
يلزم تقديمها ، كما فى قول الشاعر :

غيرى جنى وأنا المعائب فيكم فكأننى سبابة المتقدم
ويعطى حكم « غير » فى ذلك ما معناها مثل « سوى وسواء ونحوهما » ومن
ذلك قول ابن سناء الملك :

سوى يهاب الموت أو يرهق الردى وغيرى يهوى أن يعيش هكذا

على معنى « أنى لا أفعله » (١) من غير إرادة التعريض بإنسان (٢). وعليه قوله :

* غيى بأكثر هذا الناس ينخدع (٣) *

فإنه معلوم أنه لم يرد أن يعرض بواحد هناك فيصفه بأنه ينخدع ؛ بل أراد أنه ليس بما ينخدع ، وكذا قول أبي تمام :

وغيى يأكل المعروف مسحتاً ويشحب عذبه بيض الأيادي (٤)

فإنه لم يرد أن يعرض بشاعر سواه فيزعم أن الذى مقرِّف به عذبه الممدوح من أنه هجاء كان من ذلك الشاعر لا منه ، بل أراد أن ينق عن نفسه أن يكون ممن يكفر النعمة ويكؤم لا غير .

واستعمال « مثل وغير » هكذا مركز في الطباع ، وإذا تصفحت الكلام ووجدتهما يقدمان أبداً على الفعل إذا منحى بهما نحو ما ذكرناه ، ولا يستقيم المعنى فيهما إذا لم يقدما ، والسر في ذلك أن تقديمهما يفيد تقوى الحكم كما

(١) هذا أيضاً بطريق الكناية كما في لفظ « مثل » وهو من إطلاق المألوم وإرادة اللازم أيضاً ؛ لأنه إذا كان غيره هو الذى يفعله لزم أنه هو لا يفعله بكم المقابلة ، وإذا كان غيره لا يفعله لزم أنه هو يفعله ، لأنه لا بد له من عمل يقوم به .

(٢) لا يعنى به التعريض الآتى في الكناية ، وإنما يعنى به قصد إنسان غير المخاطب على طريق الحنيئة كما سبق .

(٣) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبي الطيب المتنبى من قوله :

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو حداثوا شجعوا

يريد أنهم جبناء في قتالهم شجعان في حديثهم ، فلا تصدق أقوالهم .

(٤) هو الحبيب بن أوس المعروف بأبي تمام ، والسحت الحرام ، ويعنى بذلك

أنه لا يحمد المعروف فيأكله سحتاً ، وقوله « يشحب » من الشحوب وهو في الأصل تغير اللون ، والأيادي : النعم .

سبق تقريره ، وسيأتى أن المطلوب بالسكناية فى مثل قولنا ، مثلك لا يبخل وغيرك لا يهود ، هو الحكم (١) ، وأن السكناية أبلغ من التصريح فيما 'قصدها' ، فكان تقديمهما أعون للمعنى الذى 'جلبها' لأجله .

قيل (٢) : وقد يقدم (٣) لأنه دالٌّ على العموم (٤) كما تقول د كل إنسان لم يقم ، فيقدم ليفيد فى الفياض عن كل واحد من الناس ، لأن الموجبة المعدولة المهمة (٥) فى قوة السالبة الجزئية المستلزمة فى الحكم عن جملة الأفراد دون كل واحدة منها ، فإذا سوّرت بشكل وجب أن تكون لإفادة العموم لا لتأكيد نفي الحكم عن جملة الأفراد ، لأن التأسيس خير من

(١) لأنه من قسم السكناية التى يطلب بها نسبة .

(٢) ١٣ — المصباح د لبدو الدين بن مالك ، المطبعة الخيرية .

(٣) أى المستند إليه على الخبر الفعل .

(٤) لا يخفى أن دلالة التقديم هنا على العموم دلالة لغوية لا وجه لذكرها هنا ، وإن كانت تدل على دقة العربية فى تركيب كلامها ، وإنما ينظر هنا إلى أن نحو 'د كل إنسان لم يقم' ، يفيد تقريرة حكم العموم ، بخلاف نحو 'د لم يقم إنسان' ، فهو داخل فى تقديم المسند إليه على الخبر الفعل ، وما كان أخفى الخطيب عن الإطالة فى هذا البحث الذى لا صلة له بهذا العلم ، وإنما هو أشبه بعلم المنطق .

(٥) المعدولة هى التى وقع الفى جزءاً من موضوعها أو محمولها ، والمهمة هى التى لم تسور بسور كلى أو جزئى ، والمراد بالموجبة المعدولة المهمة هنا جملة 'إنسان' لم يقم د قبل دخول 'د كل' ، عليها ، فهى فى قوة السالبة الجزئية أى 'د لم يقم بعض الإنسان' ، فكل مفهما يفيد نفي الحكم عن جملة الأفراد لا عن كل واحد منها ،

التأكيد^(١) ولو لم تقدم قمتك « لم يقيم كل إنسان ، كان نفياً للقيام عن جملة الأفراد دون كل واحد منها^(٢) لأن السالبة المهمة^(٣) في قوة السالبة السكينة^(٤) المقتضية سلب الحكم عن كل فرد لورود موضوعها في سياق النفي^(٥) ، فإذا سورت بكل وجب أن تكون لإفانة نفي الحكم عن جملة الأفراد ، لئلا يلزم ترجيح التأكيد على التأسيس . وفيه نظر ، لأن النفي من جملة الأفراد في الصورة الأولى ، أعني المرجحة المعدولة المهمة ، كقولنا « إنسان لم يقيم » وعن كل فرد في الصورة الثانية « أعني السالبة المهمة ، كقولنا « لم يقيم إنسان » ، إنما أفاده الإسناد إلى إنسان ، فإذا أضيف « كل » إلى إنسان ومحوّل الإسناد إليه ، فأفاد في الصورة الأولى نفي الحكم عن جملة الأفراد ، وفي الثانية نفيه عن كل فرد منها ، كان « كل » تأسيساً لا تأكيداً ، لأن التأكيد لفظ يفيد تقوية ما يفيد لفظ آخر ، وما نحن فيه ليس كذلك ، ونحن مسلمنا أنه يسمى تأكيداً^(٦) فقولنا « لم يقيم إنسان »

(١) يريد بالتأسيس إفادة معنى جديد وبأننا كيد خلافة .
(٢) هذا باعتبار الغالب ، وقد يتقدم النفي على « كل » ويكون المعنى على عموم النفي ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ آية ٢٧٦ سورة البقرة وقيل : إن دلالة هذا ونحوه على عموم النفي ليس بأصل الوضع ، وإنما هو بمعونة القرائن .

(٣) هي جملة — ولم يقيم إنسان .
(٤) هي جملة — لا شيء من الإنسان بقاؤه ،
(٥) لأن النكرة في سياق النفي نعم .
(٦) بالأيراد للتأكيد الاصطلاحي ، وإنما يراد به أن « كل » أفادت معنى كان مستفاداً قبلها ، ويقصد الخطيب أنه إذا سلم هذا صح ترجيحه في الصورة الأولى دون الثانية :

إذا كان مفيداً للنفي عن كل فرد كان مفيداً للنفي عن جملة الأفراد لا محالة ،
 فيكون كل في د لم يقيم كل إنسان ، إذا جعل مفيداً للنفي عن جملة الأفراد تأكيداً
 لا تأسيساً ، كما قال في د كل إنسان لم يقيم ، فلا يلزم من جعله للنفي عن كل فرد (١)
 ترجيح التأكيد على التأسيس (٢) . ثم جعله قولنا د لم يقيم إنسان ، سالبة مهمة
 في قوة سالبة كلية مع القول بعموم موضوعها لوروده نسكرة في سياق النفي خطأ ،
 لأن النسكرة في سياق النفي إذا كانت للعموم كانت للقضية التي جمعلت هي موضوعها
 لها سالبة كلية ، فكيف تكون سالبة مهمة (٣) ولو قال د لو لم يكن الكلام
 المشتعل على كلمة « كل » مفيداً لخلاف ما يفيد الخالي عنها لم يكن في الإتيان بها
 فائدة — لثبت مطالبته في الصيغة الثانية دون الأولى ، لحرار أن يقال : فائدته
 فيها الدلالة على نفي الحكم عن جملة الأفراد بالمطابقة (٤) .

(١) أي لا يلزم من جعل « لم يقيم كل إنسان » للعموم السلب مثل د لم يقيم
 كل إنسان .

(٢) إذ لا تأسيس مع هذا أصلاً ، وإنما يلزم ترجيح أحد التأكيدين على
 الآخر بلا مرجح وهو باطل ، ويكون هذا هو التوجيه الصحيح في الصورة
 الثانية لا ما ذكره من لزوم ترجيح التأكيد على التأسيس .

(٣) أجيب عن هذا بأنه جرى على اصطلاح علم المنطق ، لأن هذه القضية
 مخالفة من سلب السلب الكلي ، وهو د لا شيء ، ونحوه ، فتكون مهمة
 لا سالبة كلية .

(٤) لأن قولنا د إنسان لم يقيم ، يدل بالمطابقة على نفي الحكم عن بعض
 الأفراد ، ولا يحتمل المجموع إلا بدلالة الالتزام ، أما د كل إنسان لم يقيم ، فإنه
 إذا جعل لنفي الحكم عن المجموع تكون دلالاته عليه بالمطابقة ،

واعلم أن ما ذكره هذا القائل من كون «كل» في النفي مفيدة للمعوم تارة
وغير مفيدة أخرى مشهور (١)، وقد تعرض له الشيخ عبد الفاهر وغيره .
وقال الشيخ (٢) : «كل» في النفي إن أدخلت في خبره بأن مقدم
عليها لفظاً ، كقول أبي الطيب :

• ما كل ما يتمنى المرء يدركه (٣) •

وقول الآخر :

• ما كل ما رأى الفتى يدعو إلى رشد (٤) •

وقولنا : ما جاء القوم كلهم ، وما جاء كل القوم ، ولم آخذ الدراهم كلها ، ولم
آخذ كل الدراهم ، أو تقدير (٥) بأن «مقدمت» على الفعل المنفي وأعمال فيها ؛
لأن العامل رتبته التقدم على المعمول ، كقولك «كل الدراهم لم آخذ» توجه
النفي (٦) إلى الشمول خاصة دون أصل الفعل ، وأفاد الكلام ثبوته لبعض
أو تعاقبه (٧) ببعض .

(١) فهو مسلم في ذاته ، ولم يرد الخطيب بما سبق لإبطال توجيه ابن مالك
له ، لأنه يرجع في الحقيقة إلى أصل الوضع ، لا إلى تلك التكاليف المنطقية السابقة .
(٢) ١٨٦ — دلائل الإعجاز .

(٣) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبي الطيب المتنبى من قوله :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تأتى الرياح بما لا تشتهي السفن

والمشهور رواية «كل» بالرفع ، وقد جوز ابن حنى نصيبها على الاشتغال .

(٤) هو لإسماعيل بن القاسم المعروف بأبي العتاهية من قوله :

ما كل رأى الفتى يدعو إلى رشد إذا بدا لك رأى مشكل فقف

(٥) معطوف على «لفظاً» (٦) هذا جواب — إن .

(٧) إفادة الثبوت فيما يكون «كل» فيه فاعلاً في المعنى ، وإفادة التعليق

فما يكون فيه مفعولاً في المعنى .

وإن أخرجت من حيزه بأن قدمت عليه لفظاً ولم تكن معمولة للفعل المنفى
توجه النفي إلى أصل الفعل ، وعمّ ما أضيف إليه ، وكل ، كقول النبي ﷺ لما قال
له ذو البدين (١) : « أفسدت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ » : « كل ذلك لم
يكن ، أي لم يكن واحد منهما : لا القصر ولا النسيان ، وقول أبي النجم :
قد أصبحت أم الخيار تدعى على ذنبا كله لم أصنع (٢)
ثم قال : وعلة ذلك أنك إذا بدأت بكل ، كنت قد بنيت النفي عليه
وسلطت السكينة على النفي وأعمتها فيه ، وإعمال معنى السكينة في النفي يقتضي
الاستبعاد شيء عن النفي ، فاعرفه ، هذا لفظه ، وفيه نظر (٣) .

وقيل : إنما كان التقديم مفيداً للعموم دون التأخير لأن صورة التقديم تفهم
سلب المحمول للموضوع (٤) وصورة التأخير تفهم سلب الحكم من غير
تعرض للمحمول بسلب أو إثبات . وفيه نظر أيضا ؛ لاقتضائه ألا تكون
« ليس » في نحو قولنا « ليس كل إنسان كاتباً » مفيدة لنفي كاتب ،

(١) هو الحارث بن عمرو .

(٢) هو للفضل بن قدامة المعروف بابي النجم ، والرواية برفع « كله » على أنه
مبتدأ خبره جملة « لم أصنع » ، والرابط حذف أي لم أصنعه .

(٣) لعل وجه النظر ما قيل إن تمثيلة بما جاء القوم كلهم ليس بجيد ، لأن
« كلهم » هنا ليس مسنداً ولا مسنداً إليه بل هو تأكيد ، واسكن سلب العموم
هنا في الألف واللام في القوم ، ومثله في هذا تمثيلة بـ « أخذ الدراهم كلها » ، ولأن أرى
أن المثالين من باب عموم السلب لا من باب سلب العموم ، و « كل » فيهما تفيد
شمول النفي كما تفيد شمول الإثبات في نحو « جاء القوم كلهم » لأن الغرض من
التوكيد واحد فيهما ، وهو إفادة الشمول في النسبة لإثباتا كانت أو نفيًا .

(٤) المراد بالموضوع لفظ إنسان في قولنا « كل إنسان لم يرق » ، وليس « كل
إنسان قائماً » ، لا لفظ « كل » ، وهذا اصطلاح أهل المنطق ، إنما أفادت صورة
التقديم ذلك لاتصال النفي فيه بالمحمول دون الحكم ، لأنها موجبة مودولة للمحمول .

هذا إن حل كلامه على ظاهره ، وإن "تؤول" بأن مراده أن التقديم يفيد سلب
الحقوق المحمول عن كل فرد ، والتأخير يفيد سلب الحقوق لكل فرد ، اندفع هذا
الاعتراض ، لكن كان مصادرة على المطلوب (١) .

واعلم أن المصنف في المطلوب الحديث وشعر أبي النجم ، وما نقلناه عن
الشيخ عبد القاهر وغيره لبيان السبب ، وثبوت المطلوب لا يتوقف عليه ،
والاحتجاج بالخبر من وجهين : أحدهما أن السؤال بأم عن أحد الأمرين لطلب
التعيين بعد ثبوت أحدهما عند المتكلم على الإيهام ، فجوابه إما بالتعيين أو بنفي
كل واحد منهما (٢) . وثانيهما ما مروى أنه لما قال رسول الله ﷺ : « كل ذلك لم
يكن ، قال له ذو اليمين : « بعض ذلك قد كان » ، والإيجاب الجزئي تقيضه السلب
الشكلي ، ويقول (٣) أبي النجم ما أشار إليه الشيخ عبد القاهر ، وهو أن الشاعر
فصيح ، والتفصيح الشائع في مثل قوله نصب كل (٤) ، وليس فيه ما يكسر له وزنا ،
وسباق كلامه أنه لم يأت بشيء مما ادّعت عليه هذه المرأة ، فلو كان النصب مفيداً

(١) لأن الدليل حينئذ يكون عين المطلوب .

(٢) والجواب لم يحصل بالتعيين ، فتعين أنه ينفي واحد منهما ، وهذا هو
عموم السلب . (٣) معطوف على قوله « بالخبر » فهو متعلق بالاحتجاج مثله .
(٤) لأن في الرفع تهينة العامل للعمل ثم قطعه عنه ، وذلك ضعيف غير فصيح ،
بل ذهب ابن هشام وغيره إلى منعه ، وقد أجازوه سيئويه احتجاجاً بقول الشاعر :
ثلاث كلمين قتلت عمداً

هذا وما جاء فيه تقديم « كل » على النفي وتأخير ما عنه قول دعبل الخزاعي :
فوالله ما أدري بأى سهامها رمته وكل عندنا ليس بالمسكدي
أبا لجيد أم مجرى الوشاح ولاننى لاتهم عيذها مع القاحم الجعد
وقول أبي الأسود :

وما كل ذى لب بمؤتيك نصحه وما كل مؤت نصحه بالبيت =

لذلك والرفع غير مفيد لم يعدل عن النصب إلى الرفع من غير ضرورة .
وما يجب التنبيه له في فصل التقديم أحل ، وهو أن تقديم الشيء على
الشيء (١) ضربان :

تقديم على نية التأخير ، وذلك في شوء أقر مع التقديم على حكمه الذي كان
عليه ، كتقديم الخبر على المبتدأ والمفعول على الفاعل ، كقوله « قاتم زيد ، وضرب
عمرا زيد » فإن « قاتم وعمرا » لم يخرجوا بالتقديم عما كانا عليه من كون هذا
مستنداً ومرفوعاً بذلك ، وكون هذا مفعولاً ومنصوباً من أجله .
وتقديم لا على نية التأخير ، ولكن على أن ينقل الشيء عن حكم إلى حكم ،
ويجوز له إعراب غير إعرابه ، كما في اسمين يحتمل كل منهما أن يجعل مبتدأ
والآخر خبراً له ، ففي « تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا » كقولنا
« زيد المنطلق ، والمنطلق زيد » فإن المنطلق لم يقدم على أن يكون متروكاً على
حكمه الذي كان عليه مع التأخير ، فيكون خبر مبتدأ كما كان بل على أن ينقل عن
كونه خبراً إلى كونه مبتدأ ، وكان القول في تأخير زيد .
أغراض التأخير : وأما تأخيرها فلاقتضاء المقام تقديم المستند (٢) .

== وقول الآخر : إن المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يكرما
(١) هذا تقسيم قد مهد به عبد القاهر في « دلائل الإيجاز » للكلام على
التقديم والتأخير ، وهو عام في تقديم المستند إليه وتقديم المستند وغيرهما ،
وتقديم المستند إليه يكون دائماً من القسم الثاني ، لأن رتبته التقديم فلا يأتي فيه
تقديم على نية التأخير .

(٢) سيأتي في الكلام على المستند بيان أغراض تقديمه ، وذلك كخصيصه
بالمستند إليه في نحو قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ آية ٦ سورة الكافرون
وكالتشويق إلى ذكر المستند في قول الشاعر :
ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها شمس الصنعي وأبو إسحاق والقمر

تمرينات على التقديم والتأخير

تمرين — ١

- ١ — لماذا قدم المسند إليه في قول الشاعر :
أنا لا أختار تقبيل يد قطعها أجل من تلك القبل
- ٢ — لماذا أختار المسند إليه أولاً وقدم ثانياً في قوله تعالى : ﴿ لا فيها غولٌ ولا هم عنها ينزفون ﴾ آية ٤٧ سورة الصافات .

تمرين — ٢

- ١ — أى الأمرين « التخصيص وتقوية الحكم » يقصد من قول الشاعر :
أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسمعت كلباتى كمن به صمم
- ٢ — لماذا أختار المسند إليه أولاً وقدم آخرأ في قول الشاعر :
وكالفار الحية فـن رمادٍ أواخرها وأولها دخان

تمرين — ٣

- ١ — ماذا يدل عليه « سوى » من السكناية أو الحقيقة في قول الشاعر :
وإذا تباع كريمة أو تشتري فسواك بائعها وأنت المشتري
- ١ — ماذا يدل عليه « كل » من سلب العموم أو عموم السلب في قولهم « ما كل سوداء تمر ، وما كل بيضاء شحمة » .

تمرين — ٤

- ١ — لماذا أختار « كل » على النفي في قول الشاعر :
فيالك من ذى حجة جبل دونها وما كل ما يهوى امرؤ وهو نائله
- ٢ — لماذا قدم المسند إليه في قول الشاعر :
خير الصنائع فى الأنام صنعة تنبؤ بحاملها عن الإذلال

تمرين ٥ -

- ١ - لماذا قدمت «سوى وغير» في قوله الشاعر :
سوى بهيمان الأغاريد يطربُّ وغيرى بالذات يلمو ويلعبُّ
- ٢ - لماذا أخرج المسند إليه في قول الشاعر :
إذا نطق السفيه فلا تعجب منه فخير من إجابته السكوت

تمرين ٦ -

- ١ - ما أحسن طريق يختار في إثبات إفادة «كل» ، غموم السلب إذا وقعت قبل النفي ، وسلب الموم إذا وقعت بعده ؟
- ٢ - أي فائدة لتقسيم عبد القاهر التقديم إلى تقديم على نية التأخير وتقديم لا على نية التأخير ؟

تمرين ٧ -

- قال بعض الشعراء :
- أحيائنا لا يميزون بذرهم وبألف ألف موزق الأموات
- ١ - فلماذا أتى بالشعر الأول جملة إسمية خبرها فعلى دون الثاني ؟
 - ٣ - من أي نسي التقديم قوله تعالى : (قال أراغب أنت عن آلهي يا إبراهيم) آية ٤٦ سورة مريم .

تمرين ٨ -

- ١ - لماذا أخرج المسند إليه في قول الشاعر :
ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وإقدام وحرم ونائل
- ١ - لماذا قسم المسند إليه في قول الشاعر :
وما أنا بمن تأسر الخنز لبيته ويملك سمعيه البراج المنقب

تخريج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر

وضع المضمير موضع المظهر :

هذا كله مقتضى الظاهر (١) وقد يُخَرَّج المسند إليه على خلافه ، فيُوضع المضمير موضع المظهر ، كقولهم ابتداء من غير جرّي ذكر لفظاً أو قرينة حال : « نعم رجلاً زيد ، وبئس رجلاً عمر ، مكان « نعم الرجل وبئس الرجل » ، على قول من لا يرى الأصل « زيد نعم رجلاً » ، وعمر وبئس رجلاً » (٢) وقولهم « هو زيد عالم » ، وهي عمر شجاع » (٣) مكان « الشأن زيد عالم » ، والقصة عمرو شجاع ، ليتمكن في ذهن السامع ما يعقبه (٤) ، فإن السامع قد لم يفهم من الضمير معنى بقی مُستظراً لاعتقبي الكلام كيف تمكون ؟ فيتمكن المسموع بعده في ذهنه فضل تمكن ، وهو السر في التزام تقديم ضمير الشأن أو القصة ،

(١) أي مقتضى ظاهر الحال على ما سبق في باب الإسناد الخبري ، واسم الإشارة يعود إلى كل ما سبق من الكلام على أحوال المسند إليه ، وقيل إنه يستثنى منه توجيه الخطاب لغير معين ، لأنه من تخريجه على خلاف مقتضى الظاهر .
(٢) من لا يراه يجعل المخصوص خبر مبتداً محذوف ، فيكون الضمير الفاعل عائداً على معقول مفعول في اللفظ ، وأما الذي يرى أن الأصل « زيد نعم رجلاً » فلا يكون عنده من التخريج على خلاف مقتضى الظاهر ، لأنه يجعل المخصوص مبتداً مؤخرًا ، وما قبله خبراً عنه ، فيكون الضمير الفاعل عائداً على مذكور متقدم رتبة .

(٣) الأولى أن يذكر بدله وهي عند مليحة ، لأن ضمير القصة لا بد معه من أن يكون في الكلام مؤنث غير فضلة أو شبيه بها ، فلا يقال « إنما بنيت عرفة » ، ولا « إنما كان القرآن الكريم معجزة » .

(٤) هذا هو الاعتبار الذي اقتضى تخريج المسند إليه في ذلك على خلاف مقتضى الظاهر . ولسكنه لا يأتي في باب « نعم » ، لأنه لا يعلم أن فيها ضميراً قبل سماع مفسره ، ومثل ضمير « نعم » ، وضمير الشأن في ذلك كل ضمير يتقدم مرجعه حكماً ويتأخر =

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (١) وقال : ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلَحُ الْكَافِرُونَ ﴾
وقال : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ﴾ .

وضع المظهر موضع المضمَر :

وقد يعكس فيوضه المظهر موضع المضمَر ، فإن كان المظهر اسم إشارة
فذلك إما لجمال العناية بتمييزه لاختصاصه بحكم بديع ، كقوله :

كَمَ عَاقِلٌ عَاقِلٌ أَهْيَيْتَ مَذَاهِبُهُ
وَجَاهِلٌ جَاهِلٌ تَلَقَّاهُ مَرْزُوقاً
هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصيّر العالم التحرير زنديقاً (٢)

== لفظاً ورتبة ، كما في قولك « رَبِّهِ قَيٌّ » ، وكما في قوله تعالى : ﴿ وَأَسْرِتْ إِلَى السَّجْوَى
الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ آية ٣ سورة الأنبياء ، وكما قال الشاعر :

جَفَوْنِي وَلَمْ أَجِفْ إِلَّا خِيَلًا إِنِّي
لَغَيْرُ جَمِيلٍ مِنْ خَلِيلٍ مَهْمَلٍ
(١) آية ١ سورة الإخلاص . (٢) آية ١١٧ سورة المؤمنون .

(٣) آية ٤٦ سورة الحج .

(٤) هذا لأحمد بن يحيى المعروف بابن الزاوي ندي ، وكان يرمى بالزندقة ، وقيل
أنه كان من المنتصوفة ، وكل من « عاقل » ، الثانية « وجاهل » ، الثانية صفة للأولى
منهما على معنى كامل العقل وكامل في الجمل ، وليس ذلك من التأكيد اللفظي ؛ لأنه
إنما يكون لدفع توهم سحر أو نحوه وهو غير محتمل هنا ، وقوله « أَدْعَيْتَ مَذَاهِبَهُ »
بمعنى أعجزته طرق معاشه أو أحييت عليه متعددة أو لازمة ، والأوهام يراد بها
العقول من تسمية المحل باسم الحال على المجاز المرسل ، والتحرير من « نحر الأمور
علماً ، ألقها ، والزنديق الذي يهطن للكفر ويظهر الإسلام ، والشاهد في اسم
الإشارة لأنه يعود إلى الحسك السابق عليه ، وهو كون العاقل عروماً والجاهل
مرزوقاً ، فالقام للضمه لأن هذا الحسك فيه محسوق ، واسم الإشارة موضح للمحسوس
والحسك البديع الذي أسند إلى اسم الإشارة هو جعل الأوهام حائرة والعالم
للتحرير زنديقاً .

ولما للثبوت بالسامع : كما إذا كان فاقده البصر أو لم يكن ثمَّ أشار إليه أصلاً (١) ، ولما للدعاء على كمال بلاذته بأنه لا يدرك غير المحسوس بالبصر ، أو على كمال فطائته بأنَّ غير المحسوس بالبصر عنده كالمحسوس عند غيره ، ولما لا دعاء أنه كل ظهوره حتى كأنه محسوس بالبصر . ومنه في غير باب المسند إليه قوله :

تعاليت كي أشجى وما بك علةٌ تريدن قنلى ، قد ظفرتِ بذلك (٢)
ولما لدعوى ذلك (٣) .

ولن كان المظهر غير اسم إشارة فالمدلول إليه عن المضمحل إما لزيادة التأكيد (٤)
كقوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ﴾ (٥) ونظيره من غيره قوله
(وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ﴾ (٦) : ﴿ فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا ﴾ (٧)

(١) كأن يقول لك أعمى : أنشهد أن زيداً ضربنى . فنقول له : نعم ، ذلك الذى فى جانبك ، سواء أكان فى جانبه أم يكن .

(٢) هو كما رواه المبرد لمرة بن عبد الله الهلالى ، وقوله د تعاليت ، بمعنى ادعاه العلل . وقوله ، أشجى بمعنى أحزن ، والشاهد فى وضع اسم الإشارة موضع الضمير لأن الظاهر أن يقال قد ظفرت به أى بالقتل ، والداعى إلى ذلك هو ادعاه كمال ظهوره حتى كأنه محسوس بالبصر .

(٣) كالإشارة إلى بعده ، ويمكن أن يحمل عليه ما فى البيت السابق أيضاً ، بأن يكون مراده به الإشارة إلى بعد قتله لكمال شجاعته .

(٤) هذا إذا كان المقام يقتضى الاعتناء بالمسند إليه .

(٥) آية ٢، ١ سورة الإخلاص .

(٦) آية ١٠٥ سورة الإسراء .

(٧) من آية ٥٩ سورة البقرة .

وقول الأشاهر :

* إن تسألوا الحق نعط الحق سائله (١) *

يدل د نعطيك إياه .

ولما لإدخال الروح في ضمير السامع وتربية المهابة ، وإما لتقوية داعي الأمور (٢) مثالها قول الخلفاء د أمير المؤمنين بأمرك بكذا ، وعليه من غيره :
(فإذا عزمت فتوكل على الله) (٣) .

ولما للاستعطاف ، كقوله :

* إلهي عبدك العاصي أنا كما * (٤)

(١) لعبد الله بن حنمة الضبي من قوله :

إن تسألوا الحق نعط الحق سائله والدروع محبة والسيوف مقروب
والمحبة المشدودة في الحقة ، والمقروب الموضوع في قرابه ، وسيأتي هذا
البيت مع بيت قبله في شواهد الالتفات .

(٢) أي إلى امتثال ما أمر به .

(٣) آية ١٥٩ سورة آل عمران ؛ لأنه لم يقل فيه د فتوكل على د ولكنه من
باب تقوية داعي الأمور إلى الامتثال ، لأن باب لإدخال الروح في ضمير السامع ،
لأن الاطمئنان بالتوكل لا يناسبه الروح من المطمأن إليه .

(٤) هو لإبراهيم بن أدهم من مقطوعة مطلعها :

هجرت الخلق طراً في هواكا وأيتمت العيال ليكي أزاكا
إلى أن يقول :

إلهي عبدك العاصي أنا كما مقرأ بالذنوب وقد دعاكا
فإن تغفر فأنت لذاك أهل وإن تطرد فن يرحم مسواكا
والشاهد في قوله د عبدك ، فلم يقل أنا أيتتك .

ولما لنحو ذلك (١) .

الالتفات :

قال السكاكي (٢) : هذا (٣) غير مختص بالمستند إليه ، ولا بهذا القدر (٤) ، بل النكلم والخطاب والغيبة مطلقا (٥) ينقل كل واحد منها إلى الآخر ، ويسمى هذا النقل الالتفاتا ، عند علماء المعاني (٦) كقول ربعة ابن تمشروم :

(١) كأن يقصد التوصل بالظاهر إلى الوصف ، نحو قوله تعالى : (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم) إلى أن قال : (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي) آية ١٥٨ سورة المائدة ، وكأن يكون المعنى على الإظهار هو المراد ، نحو قول الله تعالى : (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها) آية ٧٧ سورة الكهف ، لأن جهلة (استطعما أهلها) صفة قرية وليس صفة أهل ، لأنه مسوق للتحدث عن القرية وجدارها لا عن أهلها ، وليست أيضا جوابا للإذا ، لأن جوابها قوله بعد : (قال لو شئت لانخذت عليه أجرا) فوضع المظهر موضع المضمرة لأن الصفة جارية على غير من هي له .

(٢) ١٠٦ - المفتاح .

(٣) أي النقل من الحكاية إلى الغيبة .

(٤) أي ولا النقل مطلقا يختص بهذا القدر ، وهو النقل من الحكاية إلى الغيبة ، وإنما أولت عبارته هذا التأويل لما في ظاهره من الالتفات .

(٥) أي في المستند إليه وغيره ، وحيث سبق التعبير بأحدها ثم عبر بالآخر على خلافه أو لم يسبق ، كما سيأتي .

(٦) بعضهم يجعل منه التعبير بالمضارع عن الماضي وعكسه ، والانتقال من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجماعة إلى الآخر منها ،

بانت سعاد فأمسى القلب مغمودا وأخلفتك ابنة الحر المواعيد (١)
 فالتفت كما ترى حيث لم يقل د وأخلفني ، . وقوله :
 تذكرت والذكرى تهيجك زينبا وأصبح باقى وصلها قد تمسكت بها
 وحصل بفعلج فالأبتانر أهلكنا
 وشطت فحلت غمرة فمشتها (٢)

فالتفت في البيتين :

والمشهور عند الجمهور أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة
 بعد التعبير عنه بطريق آخر منها (٣) . وهذا أخص من تفسير السكاكي ،
 لأنه أراد بالنقل أن يعبر بطريق من هذه الطرق عما عجز عنه بغيره أو كان

(١) العمود : الحزن ، وابنة الحر هي سعاد من وضع المظهر موضع المضمر ،
 ويجوز أن يكون الخطاب في قوله د وأخلفتك ، تجريداً لا الالتفاتاً على ما هو
 الخى من الفرق بينهما ، لأن معنى التجريد على المغايرة لأنه يجرد من الشخص
 شخصاً آخر ، ومعنى الالتفات على اتحاد المعنى ، وكذلك يقال في كل ما أشبه
 هذا الخطاب .

(٢) هما الريمة بن مقروم أيضاً ، وقوله د والذكرى تهيجك ، معترض بين الفعل
 ومفعوله وقوله د تقضب ، بمعنى انقطع ، وفالج والأبتانر غمرة مثقب مواضع ، وقوله
 د شطت ، بمعنى بدت ، والالتفات في البيت الأول من التمسك إلى الخطاب ويجوز
 حمله على التجريد كما سبق ، والالتفات في البيت الثاني من الخطاب إلى التمسك .

(٣) يجب فيه أيضاً أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه ظاهر السياق
 وإن كان موافقاً لظاهر المقام ، فلا يعد منه الخطاب الثاني في قوله تعالى : (إياك نعبد
 وإياك نستعين) آية سورة الفاتحة وإنما حصل الالتفات بالأول فقط وجرى الثاني
 على سياقه ، وكذلك لا يعد منه الانتقال من التمسك إلى الغيبة في قول الشاعر :
 =

مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها (١) ، فكل التفتات عندهم التفتات عنده من غير عكس (٢) .

مثال الالتفات من التكلم إلى الخطاب قوله تعالى : (وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون) (٣) .

== نحن اللذون صبحوا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا

لأن الموصول من الاسم الظاهر وهو يدل على الغيبة ، ومقتضى سياقه أن يعود الضمير عليه من الصلة بطريق الغيبة أيضا ، ويعد منه الانتقال من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى : (عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يؤك) آية ١ و ٢ و ٣ سورة عبس وإن كان الخطاب ظاهر المقام ، لأنه خلاف ظاهر السياق .

(١) يعني أولم يعبر عنه بغيره وكان مقتضى الظاهر إلخ . وهذا الشق الثاني هو الذي ينفرد فيه الالتفات عنده السكاكي عن الالتفات عند الجمهور ، كالتفتات من التكلم إلى الخطاب في الشاهدين السابقين لربيعه بن مقروم ، والجمهور يجعلونه من الجبريد لا من الالتفات ، والخطاب في هذا سهل .

(٢) أى لغوى لا منطقي لصحة العكس المنطقي هنا بخلاف اللغوى ، لأنه يؤدي إلى أن يكون كل التفتات عند السكاكي التفتاتا عند الجمهور وهو باطل .

(٣) آية ٢٢ سورة يس . فالسياق يقتضى وإليه أرجع ، وإن كان الخطاب هو ظاهر المقام ، لأن قوله (وما لي لا أعبد) تعريض بالمخاطبين ، والمراد وما لكم لا تعبدون ، . وقيل : إنه لا التفتات في قوله (وإليه ترجعون) لأنه يجوز إرادة المخاطبين فلا يكون في معنى وإليه أرجع ، ، وقيل : إن في قوله (وما لي) التفتاتا ، والحق أنه من التعريض لا من الالتفات . ومن الالتفات من التكلم إلى الخطاب قوله تعالى : (قل إني أصرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين) آية ١٤ سورة الأنعام وهو أظهر من الآية السابقة .

ومن التكلم إلى الغيبة (١) قوله تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لك ربك
والنهر ﴾ . (٢)

ومن الخطاب إلى التكلم قول هاشم بن عبد :
طحا بك قلب في الحسان طروب ، بمعين الشباب كحضر حان مشيب
يسكلفني ليلى وقدر شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب (٣)
ومن الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى : ﴿ حق إذا كنتم في الفلك
وجرين بهم ﴾ .

ومن الغيبة إلى التكلم قوله تعالى : ﴿ والله الذي أرسل الرياح فتشيد
سحابا فسقطناه ﴾ (٤) .
ومن الغيبة إلى الخطاب قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين إياك نعبد ﴾ (٥)
وقول عبد الله بن كريمة :

(١) المراد بالغيبة ما يشمل الاسم الظاهر كما في الآية ، وكان السياق فيها أن
يقال : فصل لنا والنهر .

(٢) آية ١ و ٢ سورة الكوثر ،

(٣) قوله « طحا » بمعنى ذهب وأتلف . وطروب بمعنى أن له طربا ونمططا في
طلبهم ، وقوله « يكلفني » ضميره يعود إلى القلب ، وروى « يكلفني » فيجوز أن
يكون فاعله القلب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، ويجوز أن يكون فاعله
« ليلى » بمعنى أنها تكلفه شدة فراقها . وقوله « شط وليها » بمعنى بعد قربها ،
وقوله « عادت عواد » بمعنى رجعت عوائتي كأنني تحول بيننا إلى ما كانت عليه ،
ويجوز أن تكون « عادت » من المعاداة . والشاهد في قوله « يكلفني » لأن الأصل
« يكلفك » على مقتضى السياق ، أما قوله « طحا بك » فهو الالتفات أو تعريده على ما سبق

(٤) آية ٢٢ سورة يونس ،

(٥) آية ٤ و ٥ سورة الفاتحة ،

(٥) آية ٩ سورة فاطر

ما إن ترى السيد زيدا في نفوسهم^١ كما يراه بنو كوز ومرهوب
إن تسألوا الحق نعط الحق سائله والدرج محقة والسيف مقروب^(١)

وأما قول امرئ القيس :

تطاول ليملك بالأمم ونام الخلق ولم ترق
وبات وبات له ليلة كليلة ذي العاثر الأرم
وذلك من نبأ جاني وخبرته عن أبي الأسود^(٢)
فقال الزمخشري^٣ وفيه ثلاث التفتات ،^(٣) وهذا ظاهر على تفسير السكاكي ،
لأن على تفسيره في كل بيت التفتاة ، لا يقال : الالتفات عنده من خلاف مقتضى
الظاهر ، فلا يكون في البيت الثالث التفتات لوروده على مقتضى الظاهر ،

(١) السيد وزيد وكوز ومرهوب أحياء من ضربة قوم الشاعر ، يريد أن السيد
لا يوجبون لزيد في نفوسهم من الحرمة والنصرة ما يوجبون كوز ومرهوب ،
والضمير في قوله « تسألوا » لزيد وفيه الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، والمحقة
المشدودة في الحقيقة ، والمقروب الموضوع في قرابه ، وبعد البيتين :

ولم أيتهم فإنا معشر ألف لا نطعم الخسف إن السم مشروب

(٢) هي لامرئ القيس حنوج بن حجر ، وقيل : لأنها لامرئ مقيس بن عابس
في رثاء ابن عمه أبي الأسود . والامد اسم موضح ، وقوله « وبات وبات له ليلة »
بات الأولى فيسه تامة ، والثانية يجوز أن تكون ناقصة وأن تكون تامة ،
والعاثر قذى العين ، وأبو الأسود كنية أبيه حجر ملك بن أسد . والخبر الذي خبره
عنه خبر قتلهم له .

(٣) الالتفات الأول في قوله « ليملك » من التسلط إلى الخطاب وكافها مفتوحة
أو مكسورة على ما سيأتي ، وهو الذي يأتي على مذهب السكاكي ، والالتفات الثاني
في قوله « وبات » من الخطاب إلى الغيبة ، والالتفات الثالث في قوله « جاني »
من الغيبة إلى التسلط .

لأننا نمنع انحصار الالتفات عنده في خلاف مقتضى (١) لما مقتضى (٢) ،
وأما على المشهور (٣) فلا التفات في البيت الأول ، وفي الثاني التفات واحدة ، فيتمين
أن يكون في الثالث التفاتان ، فقول : هما في قوله دجاني ، إحداهما باعتبار
الانتقال من الخطاب في البيت الأول ، والآخرى باعتبار الانتقال من الغيبة
في الثاني . وفيه نظر ؛ لأن الانتقال إنما يكون من شيء حاصل ممتثل به ،
وإذ قد حصل الانتقال من الخطاب في البيت الأول إلى الغيبة في الثاني لم يبق
الخطاب حاصلًا ملتبسًا به ، فيكون الانتقال إلى الزكام في الثالث من الغيبة وحدها
لا منها ومن الخطاب جميعاً ؛ فلم يكن في البيت الثالث إلا التفات واحدة . وقيل :
إحداهما في قوله د وذلك ، لأنه التفات من الغيبة إلى الخطاب (٤) والثانية في قوله :
دجاني ، لأنه التفات من الخطاب إلى التكلم ، وهذا أقرب .
واعلم أن الالتفات من محاسن الكلام ، ووجه حسنه على ما ذكر الزمخشري

(١) يعني خلاف مقتضى ظاهر المقام .

(٢) من أن الالتفات عنده ينقسم إلى ما يجري على خلاف ظاهر المقام وإن
لم يجر على خلاف السياق ، وهو يخالف فيه الجمهور ، وإلى ما يجري على خلاف
السياق ، وإن لم يخالف ظاهر المقام ، وهو الذي يوافق فيه الجمهور .

(٣) قد ذكروا أن مذهب السكاكي في الالتفات هو مذهب الزمخشري ، فلا
معنى لتسكاف تحقيق الالتفات الذي ذكره في البيتين على مذهب الجمهور لأن مذهبه
يخالف مذهبهم .

(٤) الالتفات في ذلك ، متكاف ، لأنه لا دليل على أنه يعني بالخطاب
فوقها نفسه ، بل الظاهر أن المعنى بها غير المتكلم ، ولهذا لم ينظر إليها قبل
هذا التسكاف .

هو أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب (١) كان ذلك أحسن نظرية (٢) للنشاط السامع وأكثر إيقاظاً للإصغاء من إجزائه على أسلوب واحد (٣) .

(١) إنما خص بيان محاسن الالتفات بما فيه نقل من أسلوب إلى أسلوب لأنه هو الغالب فيه ، أما الالتفات الذي انفرد به السكاكي فوجه حسنه أن المخاطب إذا سمع خلاف ما يترقب نشط وأصغى إليه ، وقد قيل : إن الالتفات على هذا يكون من المحسنات البديعية ، فلا يصح ذكره هنا لأن حسنه يرجع إلى ما ذكره الزمخشري ، ولا يرجع إلى اقتضاء المقام ، وأجيب بتسليم أنه من المحسنات البديعية ، ولكن هذا لا يمنع من إدخاله في علم المعاني عند اقتضاء المقام لفائدته من طلب مزيد الإصغاء لكون الكلام دعاء أو مدحاً أو نحوهما ، والحق أن مثل هذا يكون شروطا لحسنه ولا يقتضى وجوبه في البلاغة ، فلا يصح أن يعد به من علم المعاني .

(٢) أى تجديد ، تقول : حاربت الشوب ، إذا عملت ما يجعله طرياً كأنه جديد .

(٣) أورد ابن الأثير على ما ذكره الزمخشري من ذلك أنه لو كان صحيحاً لما حسن الالتفات إلا في الكلام الطويل ، مع أنه قد أتى في القرآن حيث لا يمكن أن يقال إن الكلام قد طال ، ثم ذكر أن الالتفات لا يكون إلا لفائدة اقتضته ، وأن تلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب ، ولكننا لا نقصد بهذا ، ولا نضبط بضابط ، وإنما يشار إلى مواضع منها ليعرف عليها ، كما سيأتي في سورة الفاتحة ، ولكنه عاد فذكر أنه لا ينكر أن في الانتقال من أسلوب إلى أسلوب اتساعاً وتفنناً في أساليب الكلام ، مع أنه قد يكون المقصد آخر معنوى هو أصل وأبلغ ، ولا يخفى أن مثل هذا لا يخالفه فيه الزمخشري ؛ لأنه فيما ذكره من ذلك لم يرد إلا بيان وجه عام لحسن الالتفات ، ولا يمنع أن تقتصر مواقعه بلطائف أخرى خاصة .

وقد تختص مواقفه بالطائف (١) كما في سورة الفاتحة (٢) فإن العبد إذا افتتح حمد مولاه الحقيقي بالحمد عن قلب حاضر ونفس ذاكرة لما هو فيه بقوله : ﴿ الحمد لله ﴾ الدال على اختصاصه بالحمد وأنه حقيق به ، وجد من نفسه لا سحالة محركا للإقبال عليه ، فإذا انتقل على نحو الافتتاح إلى قوله ﴿ رب العالمين ﴾ الدال على أنه مالك للعالمين لا يخرج منهم شيء عن ملكوته وربوبيته قوى ذلك المحرك ، ثم إذا انتقل إلى قوله ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ الدال على أنه منهم بأنواع النعم : جلالتها ودقائقها تضاعفت قوة ذلك المحرك ، ثم إذا انتقل إلى خاتمة هذه الصفات العظام وهي قوله ﴿ مالك يوم الدين ﴾ الدال على أنه مالك للأمر كله يوم الجزاء تنهات قوته ، وأوجب الإقبال عليه وخطابه بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات (٣) .

وكما في قوله تعالى : ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ﴾ (٤) لم يقل : واستغفرت لهم ، وعدل عنه إلى طريق الالتفات تفخيماً لشأن رسول الله ﷺ ، وأعطاه لاستغفاره ، وتنديبها على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله يمكن .

وذكر السكاكي (٥) لالنفات امرئ القيس في الأبيات الثلاثة على تفسيره وجوها : أحدها أن يكون قصد تهويل الخطاب واستغظاه ، فنبهه في النفاته الأولى على أن نفسه وقت ورود ذلك النجا عليها ولطف له التكملي ، فأقامها مقام المصاب الذي

(١) قيل : إنه يلزم أن يلتصق ذلك في كل النفات ، وقيل : إنه لا يلزم أن يكون له في كل مقام نكتة خاصة .

(٢) آية ٢ و ٣ و ٤ و ٥ سورة الفاتحة .

(٣) يعني خطابه بقوله : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾

(٤) آية ٦٤ سورة النساء (٥) ١٠٧ - المفتاح .

لا يتسلى بعض التسلى إلا بتفجع الملوك له ، وتحزنهم عليه ، وخاطبها د بتناول
ليملك ، تسليمة (١) ، أو على أنها لفظاعة شأن النبأ أهدت قلماً شهيداً ولم تنصبر فقل
الملوك ، فشك في أنها نفسه ، فأقامها مقام مكروب وخاطبها بذلك تسليمة . وفي
الثاني على أنه صادق التحزن مخاطب أو لا ، وفي الثالث على أنه يريد نفسه .

أو نبه (٢) في الأول على أن النبأ لشدة تركه حائراً فما فطن معه لمقتضى الحال ،
فجربى على لسانه ما كان ألفه من الخطاب الدائر في مجارى أمور السكبار أمراً
ونبياً ، وفي الثاني على أنه بعد الصدمة الأولى أفاق شيئاً فلم يجد المنطق معه ، فبنى
الكلام على الغيبة ، وفي الثالث على ما سبق .

أو نبه (٣) في الأول على أنها حين لم تتنبه ولم تنصبر فاظه ذلك ، فأقامها
مقام المستحق للعتاب ، فخاطبها على سبيل التوبيخ والتعيير بذلك ، وفي الثاني على
أن الحامل على الخطاب والعتاب لما كان هو الغيظ والغضب وسكت عنه الغضب
بالعتاب ولما فيها الوجهة وهو مبدى مدمر قائلاً د وبات وبات له ، وفي الثالث
على ما سبق . هذا كلامه ، ولا يخفى على المنصف ما فيه من التعسف (٤) .

الأسلوب الحكيم : ومن خلاف المقتضى ما سماه السكاكي (٥) الأسلوبية

-
- (١) فكافها مكسورة ، ويصح فتحها نظراً إلى كون النفس يراد بها شخصه .
 - (٢) هذا هو الوجه الثاني ، وكان المناسب لسياقه أن يقول وثانيها .
 - (٣) هذا هو الوجه الثالث .

(٤) لأنه يحمل امرأ الفليس ما لا يمكن أن يكون قد خطر بباله من ذلك ،
ولا يخفى أن كثير آمن اللطائف التي تلمس للإلتفات فيها مثل هذا التعسف ، وأن
ذلك يرجع إلى أنها غير مضبوطة ، لأنها لو كانت مضبوطة لأمكن الرجوع إلى أمر
ظاهر مقرر منها .

(٥) ١٧٥ - المفتاح .

الحكيم (١) وهو تلقى المخاطب (٢) بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد ، أو السائل بغير ما يتطلب (٣) بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهاً على أنه الأولى بحاله أو المهم له .

أما الأول فمقول القبحى (٤) للحجاج لما قال له متوعداً بالقيء ، لاجل ذلك على الأدم : مثل الأمير يحمل على الأدم (٥) والاشهب . فإنه أبرز وعيده في معرض الوعد ، وأراه بألف وجه أن من كان على صفته في السلطان وبسطة اليد يجدير بأن يصفيه لا أن يصفيه (٦) وكذا قوله له لما قال له في الثانية : إنه حديد : : دلان

(١) أكثر العلماء يذكره في علم البديع ، على أن الخطيب سيذكر في علم البديع القول بالموجب ، ويقسمه إلى قسمين ، والقسم الثاني هو الأسلوب الحكيم بعينه ، ولا شك أن مراعاة ذلك مما يورث الكلام حسناً ، ولا يصل تركه إلى إخلال بفصاحة أو بلاغة ، فاللائق به أن يعد في علم البديع . وقد ذكر السعد أنه لما انجز الكلام إلى ذكر خلاف مقتضى الظاهر أورد عدة أقسام منه وإن لم تكن من مباحث المسند إليه ، وهي الأسلوب الحكيم والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي الخ .

(٢) بكسر الطاء أى المتكلم من إضافة المصدر لمفعوله ، وهذا أولى من فتح الطاء لما فيه من التعقيد .

(٣) الفرق بينه وبين ما عطف عليه أن فيه مؤالا ، فهو أخص منه بهذا الاعتبار ، ولكنه أهم منه باعتبار آخر ، وهو أنه لا يشترط فيه حمل كلام سابق على خلاف ظاهره كما يشترط في الأول .

(٤) العوالم ابن القبحى كما سبق في ص ١٣٦ .

(٥) أراد الحجاج بالأدم القيد ، لحمله على غير مراده وهو الفرس الذى غلب سواده على بياضه ، وعطف عليه الاشهب وهو الفرس الذى غلب بياضه على سواده .

(٦) أى جدير بأن يعطى لا أن يقيد ، لأن الإصفاد الإعطاء من الصفد وهو العطاء ، ويقال — صفده يصفده — بمعنى قيده ، ولهذا يسمى القيد صفداً

يكون حديداً خير من أن يكون بليداً» (١) . وعن سلوك هذه الطريقة في جواب
المخاطب عيسى بن مريم من قال مقتضراً :

أمت تشكى عندي من أوله القري وقد رأت الضيفان ينسجون منزلي
فقلت كاني ما سمعت كلامها : هم الضيف جدي في قراهم وعجلى (٢)
وسماه الشيخ عبد القاهر مغالطة (٣) .

وأما الثاني فمكثولة تعالى : (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت
للناس والحج) (٤) قالوا : وما بال أهلال يبدو دقيماً مثل الخيط ، ثم يزايد قليلاً
قليلاً حتى يمتد ويستوى ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا ؟ (٥) ومكثولة تعالى :
(يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فلو الذين الأقربين واليتامى
والمساكين وابن السبيل) (٦) سألوا عن بيان ما ينفقون ، فأجيبوا ببيان المصروف (٧)

(١) أراد المجاز بقوله « أنه حديد » أنه قيد حديد ، فجعله على الحدة ، والمعنى
« لأن يكون العطاء حديداً » .

(٢) لا يعلم قائلهما ، والقري طعام الضيف ، وقوله « يزجون » بمعنى يقصدون
والشاهد في أنه أجابها بغير ما تتطلب من الشكوى ، ولهذا قيل : إن هذا من القسم
الثاني لا الأول ، لأنه ليس فيه نحل كلام على خلاف ظاهره ، وإنما هو من تالي
السائل بغير ما يتطلب للتنبيه على أن الأولى بها الاستعداد لهم لا الشكوى منهم .

(٣) ص ٩٢ — دلائل الإعجاز ، وقيل : إن الأسلوب الحكيم بقسميه يسمى
مغالطة ، لا القسم الأول وحده .

(٤) آية ١٨٩ سورة البقرة .

(٥) فأجابهم ببيان حكمته تنبيهها على أنه هو الأولى بحالهم لا السؤال عن سلبه .

(٦) آية ٢١٥ سورة البقرة .

(٧) للتنبيه على أنه هو المهم لهم .

ومن هذا أيضاً أجوبة موسى لفرعون في قوله تعالى : (قال فرعون وما رب

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي: ومنه التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي (١)
 تبييناً على محقق وقوعه وأن ما هو الواقع كلواقع ، كقوله تعالى : (وَنَفْخُ
 فِي الصُّورِ فَهَاقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) (٢)
 وقوله : (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ
 نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا) (٣) وقوله تعالى : (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ) (٤) وقوله تعالى :
 (وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ) (٥) يدل المتوقع الذي لا مبدئ من وقوعه ، نزلة
 الواقع ، وعن حسبان أن ابنه عبد الرحمن اسمه زُبور وهو طفل جاء إليه يبكي ،
 فقال له : يا بني مالك ؟ قال : : لى معنى مطوَّير كأنه ملتفت في مبردى
 حَبيرة (٦) . فضعه إلى صدره وقال : قد قلت الشعر .

العالين ، قال ربُّ السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ،
 قال إن حوله ألا تستمعون ، قال ربُّكم وربُّ آبائكم الأولين ، قال
 إن رسولكم الذى أُرسل إليكم لجنون ، قال ربُّ المشرق والمغرب
 وما بينهما إن كنتم تعقلون (٧) آية ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨
 سورة الشعراء .

(١) مثله التعبير عن الماضي بلفظ المضارع استحضاراً لصورته العجيبة كقوله
 تعالى : (وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا) آية ٩ سورة فاطر أى
 فأثارت ، ولا يخفى أن النوعين من المجاز المرسل أو الاستعارة ، فلا معنى لذكرهما
 في علم المعاني ، لأنه لا فرق بينهما وبين غيرهما من أنواع المجاز فيما فعلاً به من
 خلاف مقتضى الظاهر .

- (٢) آية ٦٨ سورة الزمر : (٣) آية ٢٧ سورة السجدة .
 (٤) آية ٥٠ سورة الأعراف : (٥) آية ٤٨ سورة الأعراف .
 (٦) طوير تصغير طائر ، والحبرة ضرب من برود الين ، والشاهد في قوله : قد
 قلت للشعر ، لأنه بمعنى متقول .

ومثله التعبير عنه باسم الفاعل ^(١) كقوله تعالى : (وإن الدين لواقع) ^(٢)
وكذا اسم المفعول، كقوله تعالى : (ذلك يومٌ مجهولٌ له الفاسُ وذلك
يومٌ مشهودٌ) ^(٣) .

القلب : ومنه القلب ^(٤) كقول العرب : عرضتُ الفأنة على الخروص ، ^(٥)
وردتْ مطلقاً قومٌ ^(٦) ، وقبله مطلقاً قومٌ ^(٧) منهم السكاكي ^(٨) . والحق أنه إن تضمن

(١) لأن كلا من اسم الفاعل واسم المفعول حقيقة في المتلبس بالفعل في الحال
اتفاقا ، وفي الماضي على قول ضعيف ، فيكون استعماله في المستقبل مجازاً .
(٢) من آية ٦ سورة الذاريات .
(٣) آية ١٠٣ سورة هود .

(٤) هو في الاصطلاح أن يجعل جزء من الكلام مكان آخر يجعل مكانه على
وجه ثبت حكم كل منهما للآخر ، فليس منه نحو — في الدار زيد ، وضرب عمراً
زيد — وهو قسمان : لفظي ومعنوي ، وسياقي بيانهما في أمثله .

(٥) هذا من القلب المعنوي ، لأن المعروض عليه يجب أن يكون ذا شعور
واختيار لأجل أن يميل إلى المعروض أو يحجم عنه ، ولكن لما كان المعتاد في ذلك
أن يؤتى بالمعروض إلى المعروض عليه وكانت الناقصة هي التي يؤتى بها إلى الخروض
نُزل كل منهما منزلة الآخر ، وقيل : إنه لا قلب في ذلك وإنما القلب في عرضت
الخروض على الناقصة ، لأن المعروض عليه هو المستقر .

(٦) لأنه عكس المطلوب وتقيض المقصود ، وقيل : إنه لا يكاد أحد يسميه
مطلقاً لوروده في القرآن وفصيح الكلام ، ولعلمهم بردون القلب اللفظي دون المعنوي
(٧) لأن قلب الكلام بما يحوج إلى التنبيه للأصل ، وذلك بما يورث الكلام
ملاحظة ولطفاً .

(٨) ١١٣ — المفتاح .

اعتباراً لطيفاً (١) مقبول وإلا ود .

أما الأول (٢) فمقبول رغبة :

ومهمه مغيرة أرجاؤه كأن لون أرضه سماؤه (٣)
أى كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه ، فمكس التعطيه للبالغة ، ونحوه قول

أبى تمام يصف قلم الممدوح :

منعاب الأقاصى القاتلات لعابه وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل (٤)

وأما الثانى (٥) فمقبول القطاى :

(١) أى غير تلك الملاحظة التى احتج بها من قبله مطلقاً ، وذلك كالأعتبار السابق فى قوله ، عرضت الناقة على الخروض ، وكالأعتبارات الآتية فى باقى الأمثلة وإنما لم يقبل القلب إلا بهذا لأنه من غيره يكون عدولاً عن مقتضى الظاهر من غير تسكتة يعتد بها . إذ لا يعتد فيه بتلك الملاحظة العامة وحدها ، ولا يخفى أن القلب بتلك الملاحظة يكون من المحسنات البديعية ، فالأبى ذكره فى علم البديع ، لأن تلك الاعتبارات التى يقبل بها فى علم المعانى ليست محدودة ولا مضبوطة ، وهى مع هذا شرط لحسنه ولا توجهه .

(٢) هو المقبول .

(٣) هو لرغبة بن عبد الله بن رغبة ، والمهمه : المفاضة ، والأرجاء جمع رجا وهو الناحية ، والقلب فى هذا معنوى أيضاً ، وهو من التشبيه المقلوب الآتى فى علم البيان ، والاعتبار اللطيف فيه يقصد المبالغة .

(٤) هو لطبيب بن أوس المعروف بأبى تمام ، وأرى الجنى العسل من إضافة الموصوف إلى الصفة ، وقوله - اشتارته - بمعنى جنته ، والأيدى العواسل العارفة بجنتيه ، والأردى صفة للقلم مع الإعداد ، والثانية صفته مع الأصدقاء ، والشاهد فى شطره الأول ، وهو من القلب المعنوى أيضاً ؛ لأنه من التشبيه المقلوب ، والاعتبار اللطيف فيه قصد المبالغة .

(٥) هو الردود .

* كما طيننت بالفدن السباع (١) *

وقول حسان :

* يكون مزاجها عسل وماء (٢) *

وقول معروة بن الورد :

(١) هو لعنيد بن مشيم المعروف بالقطامي من قوله :

فلما أن جرى سمن عليها كما طيننت بالفدن السباع
أمرت بها الرجال ليأخذوها ونحن ننظن أن انتمسكتا

يصف بذلك ناقته ، والقدن القصر ، والسباع : الطين المخروط بالتبن أو الآلة
التي يطحن بها ، يعني أنها صارت ماساء من السمن كالقصر المطين بالسباع ، وفي ذلك
قلب معنوي ؛ فإن حمل السباع على الآلة لم يتضمن اعتباراً لطيفا ، وفيه الشاهد ،
ولأن حمل على الطين فيجوز أن يكون المقصود المبالغة في سمنها ، لأنه يقصد تشبيهها
بالسباع الذي صار لكثرة كآته الأصل ، والقدن هو الفروع ، فيسكون هو أيضا مثله
مع أصله من العظم ونحوه ، ولكنه لا يتجاوز من تكلف ، وروى « كما بطنت بالفدن
السباع » وهو على القلب أيضا ، والمعنى كما بطنت الفدن بالسباع .

(٢) هو لحسان بن ثابت الأنصاري من قوله :

كان سبيته من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء
على أنيابها أو طعمهم غض من التفاح حصصه اجتماع

والسبيته : الخمر المشتراة للشراب ، وبيت رأس : بلد بالشام بين رملة وغزة ،
والغض : الطرى ، وقوله « حصصه » بمعنى أسأله كناية عن إدراكه وقت نصيبه ، شجوه
ريق محبوبته بخمر مزجت بعسل ، والقلب في قوله « يكون مزاجها عسل »
قلب لفظي ؛ لأنه لا قلب في المعنى ، وإنما القلب في اللفظ ، لأنه تكرر ما هو
في موضع المجتهل وعرف الخبر ، والأصل فيهما العكس ، ويروى برفع « مزاجها »
على أن اسم يكون ضمير الشأن ، فلا يكون فيه قلب .

* فديت بنفسه نفسى ومالى (١) *

وقول الآخر :

* ولا يكُ موقف منك الوداع (٢) *

وقد ظهر من هذا أن قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأُسْنَاهَا ﴾ (٣) ليس وارداً على القلب (٤) إذ ليس في تقدير القلب فيه اعتبار لطيف ، وكذا قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ (٥) وكذا قوله (٦) تعالى : ﴿ أَذْهَبُ بِسِكِّتٍ بِيْ

(١) هو من قوله :

فلو أننى شهدتُ أبا سعادٍ غداةَ فداءِ المُهمِّجتهِ - يفوقُ
فديت بنفسه نفسى ومالى وما آلوك - إلا ما أطيقتُ

وقد رواه المرتضى في أماليه وابن الأثير في الاضداد ، للعباس بن مرداس :
يقال : فاق بهمِّجته ولمهمِّجته يفوق ، إذا أشرفت نفسه على الخروج أو خرجت ،
وقوله : وما آلوك ، بمعنى لم أقصِّرْ فيك ، والقلب فيه معنى ، والأصل : فديت
نفسه بنفسى ومالى ، وليس في قلبه اعتبار لطيف لأنه يوم خلاف المراد .

(٢) هو لعُمير بن شبيب المعروف بالقطامي من قوله :

رقى قبل النفر يا ضباعا ولا يكُ موقف منك الوداع
وَألف ضباعا للإطلاق وهو مرخم ضباعة اسم بنت له أو امرأة غيرها ، والقلب
في قوله : ولا يكُ موقف منك الوداع ، انطوى كالقلب في بيت حسان السابق .
(٣) آية ٤ سورة الأعراف .

(٤) يردُّ بهذا على من زعم أن أصله : جاءها بأُسْنَاهَا فَجَاءَهَا ،

(٥) آية ٨ سورة النجم وعلى تقدير القلب فيه يكون أصله : ثم تدلى فدنا .

(٦) آية ٢٨ سورة النمل ، وعلى تقدير القلب فيه يكون أصله : فانظر ماذا

يرجعون ثم قول عنهم .

هذا فالله اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون (فأصل الاول
أردنا إهلاكها لجامها بأسنا أى إهلاكنا ، وأصل الثاني : ثم أراد الدنو من
محمد ﷺ فتدلى فتملأ عليه في الهواء ، ومعنى الثالث : تنج عنهم إلى مكان قريب
تتوارى فيه ليسكون ما يقولونه بسمع منك فانظر ماذا يرجعون فيقال : إنه دخل
عليها من كوة فأتى الكتاب إليها وتوارى في الكوة . وأما قول خدش :

وتشقى الرماح بالضيافة الحمر *

فقد ذكر له سوى القاب (٢) وجوان : أحدهما أن يجمع شقاء الرماح بهم
استمارة من كسرهما بطلعهم بها ، والثاني أن يجهل نفس طعنهم شقاء لها تحملاً
أشأنهم وأنهم ليسوا أهلاً لأن يطلعوا بها ، كما يقال وشقى الخمر بجسم فلان ،
إذا لم يكن أهلاً للبسه .

وقيل في قول قطري بن العجماء :

ثم انصرفوا قد أصيبت ولم أصيب جندع البصيرة قارج الإقدام (٣)

(١) هو لخدش بن زهد من قوله :

وتلمعت خيل لا هراقة بينها وتشقى الرماح بالضيافة الحمر
والهراقة اللين والرفق أو ما يرجى به الصلاح بين القوم ، وعلى هذا يسكون
المراد لا هراقة بين أصحابها ، والضيافة جمع ضيف وهو الضخم التلثم العظيم
الإست ، والحمر : جمع أحمر اللون ، وقيل : هو الذى لا صلاح معه ، وقد روى
وتركب خيل ، .

(٢) على أنه من القاب يسكون أصله وتشقى الضيافة بالرماح ، وليس له
اعتبار لطيف .

(٣) جندع البصيرة بمعنى غير مجرب للأمور ، وقارج الإقدام بمعنى لإقدام
أصحاب السن القديمة ، يقال فلان جندع إذا كان حديث السن ، ونارج إذا
كان قديماً .

لأنه من باب القلب (١) على أن «لم أصب» بمعنى لم أجرح، أى قارح البصيرة
جذع الإقدام (٢) كما يقال «إقدام غرّ ورأى مجرب» ، وأجيب عنه (٣) بأن
«لم أصب» بمعنى لم ألب هذه الصفة بل وجدت بخلافها جذع الإقدام قارح البصيرة،
على أن قوله «جذع البصيرة قارح الإقدام» حال من الضمير المستتر في «لم أصب»
فيكون متعلقاً بأقرب مذكور ، ويؤيد هذا الوجه قوله قبله :

لا يركبني أحد إلى الإحجام يوم الوغى ممتخوفاً للحام (٤)
فلقد أراني للرماح دريئة من عن يميني امرأة وأماي (٥)
حتى خضعت بما تحذر من رمي أكناف سرجى أو عذبان لجامى (٦)
فإن الخضاب بما تحذر من دمه دليل على أنه مجرح ، وأيضاً نحوى كلامه أن
مراده أن يدل على أنه جرح ولم يميت ، لإعلاماً أن الإقدام غير هلك للجرام ، وجئاً
على الشجاعة وبفضى الفرار .

(١) لأنه يقصد التمدح بذلك ، وإنما يتمدح بعكسه لا به .
(٢) على هذا يكون «جذع البصيرة قارح الإقدام» حالين من فاعل ،
انصرفت .

(٣) هذا جواب يجعل كلامه لا قلب فيه ، لأنه قلب غير مقبول لما فيه من
الجهام خلاف المراد ، وقيل أيضاً : إنه يريد تشبيه بصيرته بالجذع في عدم الاختلاط
والنزول من الهول ، وتشبيهه لإقدامه بالقارح في الصبر والاحتياط ، وعلى هذا
لا قلب أيضاً .

(٤) الإحجام : التأخر ، والوغى : الحرب ، والحام : الموت .
(٥) الدريئة حلقة يتعلم عليها الطعن ، شبه نفسه بها ، وهي من الدرء بمعنى
الدفع أو من الدرى بمعنى الغنم ، فتكون درية بالياء المشددة .
(٦) أكناف السرج : جوانبه ، والعذبان سير اللجام .

تمرينات على تخريج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر

تمرين ١ -

بين ما يحتمل الالتفات والتجريد وما يمين الالتفات مما يأتي :
(١) قوله تعالى ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ آية ٣٥ سورة الزمر .

٢ - هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفة الدار بقدر توم

تمرين ٢ -

١ - بين الالتفات في قوله تعالى : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ سبحانه
وتعالى عما يشركون ﴿ - آية ١ سورة الفحل - ومن أى قسم من أقسام
الالتفات هو ؟

٣ - هل يعد من الالتفات أو لا يعد قول الشاعر :

أ أنت الهلالى الذى كنت مرة سمعنا به والأرحمى المقلب ؟

تمرين ٣ -

١ - من أى أنواع خلاف مقتضى الظاهر ما في قول الشاعر :
ومية أجهل الثقلين جيداً وسالفه وأحسنه قذالاً

٢ - هل يقبل القلب أو لا يقبل في قول الشاعر :

راين شيخاً قد تحنى صلبه يمشى فيقعس أو يكب فيعشر

تمرين ٤ -

١ - من أى أنواع خلاف مقتضى الظاهر ما في قول الشاعر :
فرجسى الخمد وانتظري إيابى إذا ما القارظ العنزى آبا

٤ — هل يُعَدُّ من القلب أو لا يُعَدُّ ما في قول الشاعر :
وعذلتُ أهلَ العشق حتى ذقتُهُ فمَجِبَتْ كَيْفَ مَوْتُ من لا يَشْقُ

تمارين — ٥

١ — من أى نوعى الأسلوب الحكيم ما في قول الشاعر :
وقالوا : قد صفتُ منّا قلوبٌ نعم .. صدقوا ولكن عن ودادى

٢ — من أى أنواع الانفات ما في قول الشاعر :
سألتُ نسيمَ أرضك حين وانى وقلتُ : صفتُ الغرامَ ولا نَحاشى

تمارين — ٦

١ — من أى أنواع خلاف مقتضى الظاهر ما في قول الشاعر :
كلوا في بعض بطونكم تعفثوا فإني زمانكم زمنٌ خيصى
٢ — متى يكون من خلاف مقتضى الظاهر ما في قول الشاعر :
نعم امرءاً هَرَمْتُ لم تمرْ نائمةً إلا وكان لمرتاع بها وزراً

تمارين — ٧

١ — بين ما في قوله تعالى : ﴿ قالوا أجدننا لئن قلنا عما وجدنا عليه آباءنا أن يكونَ لكنا الكبرياء في الأرض ﴾ (آية ٧٨ سورة يونس) من الخروج على مقتضى الظاهر .
٢ — بين ما في قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ﴾ (آية ١ الطلاق) من الخروج على مقتضى الظاهر .
٣ — بين ما في قوله تعالى : ﴿ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تجوآ لقومكم بمصر بيوثا واجعلوا بيوتكم قبلة ﴾ آية ٨٧ سورة يونس من الخروج على مقتضى الظاهر .

القول في أحوال المسند

أفراض الحذف : أما تركه فلنحو ما سبق في باب المسند إليه (١) من تغيير
العدول إلى أقوى الدليلين ، ومن اختبار أنبه السامع عند قيام القرينة أو مقدار
أنه ، ومن الاختصار واحتراز عن العبث بناء على الظاهر (٢) إمام مع ضيق
المقام كقوله : * فإني وقية سار بها لغريب (٣) *
أي وقية كذلك (٤) . وكقوله :
نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف (٥)

(١) أي في الكلام على حذفه ، والتعبير بالترك هنا بدل الحذف هناك من
التفنن في العبارة .

(٢) كان الأحسن أن يذكر هذا النقص في أول الأفاضل ليجهل مطرداً
في جميعها كما صنع في حذف المسند إليه .

(٣) هو الضافي بن الحارث البصري من قوله :
ومن يك أسمى بالمدينة رحله فإني وقية سار بها لغريب
وكان عثمان رضي الله عنه حبسه في المدينة لجهالة قوما في شعره ، والرحل : المنزل
والمأوى ، وقية اسم فرسه أو غلامه ، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما بعد الفاء
عليه ، وتقديره : فقد حسنت حاله وساءت على .

(٤) فهو من عطف الجمل ، ولو يتبع جمل وقية ، معطوفاً على محل اسم وإن ،
لاقتناع العطف على محل أنها قبل معنى خبرها ، ولا يصح أن يكون غريب ،
خبراً عن وقية ، والمحذوف خبر وإن ، لاقترانه بلام الابتداء ، وخبر المبتدأ
لا يقرن بها في الفصحى إلا إذا كان منسوخاً ، وضيق المقام في البيت بسبب الشعر
والسجن .

(٥) هو عمرو بن أبري القيس الخزرجي ، أو قيس بن الخطيم ، وقبيلة :
وإلى والبيت المعتم قد يطره بعض الرأي والسرف

أى نحن بما خندنا راضون . وكقول أبى الطيب :
 قالت وقد رأت اصفرادى : من به وتنهدت فأجبتنهما : المتنهده (١)
 أى المتنهده هو المطالب به (٢) دون : المطالب به هو المتنهده - إن منسر
 من المطالب به ، لأن مطلوب السائلة عن هذا الحكم على شخص معين بأنه
 المطالب به ليعين عندها ، لا الحكم على المطالب به بالتميين ، وقيل : معناه من
 فعل به ، فيكون التقدير : فعل به المتنهده (٣) .
 ولما بدون الضيق ، كقوله تعالى : (والله ورسوله أحق أن يرضوه) (٤)
 على وجهه ، أى والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ، ويجوز أن يكون جملة واحدة ،

يخاطب مالك بن العجلان حين رد قضاءه في واقعة الأوس والخزرج ، وأراد
 « والرأى مختلف ، أن يتبع كل منهما رأيه على اختلافهما ؛ لرضا كل منهما برأيه
 وعدم اتقياده لصاحبه ، وضيق المقام هنا بسبب الشر وعدم استعداد المخاطب
 لقبول السلام ، وقد حذف في هذا البيت من الأول دلالة الثاني على حكم
 البيت السابق .

(١) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المنفى : وقد عني اصفراده بما
 يلقاه من سجنها ، وقوله « به » متعلق بحذف تقديره المطالب ، وقوله
 « وتنهدت » يعنى به أنها تنهدت لما رآته من اصفراده .
 (٢) فيكون من حذف المسند لا المسند إليه ، وقد أجاز السكاكي كلا من التقديرين ،
 لأنه إذا جعل « من » مبتدأ على مذهب سيدييه والمخذوف خبر فالأحسن أن يقدر
 - المتنهده هو المطالب به هو المتنهده ، ليطالب الجواب السؤال . وإذا جعل « من »
 خبراً مقدماً فالأحسن أن يقدر - المطالب به هو المتنهده : ليطابق الجواب
 للسؤال أيضاً ،

(٣) هو من حذف المسند أيضاً ولكنه فعل على هذا التقدير .

(٤) آية ٦٢ سورة التوبة .

وتوحيد الضمير لأنه لا افتاوت بين رضا الله ورضا رسوله ، فكانا في حكم
مرضى واحد ، كقولنا : إحسان زيد وإجماله تعشني وجبر مني ، (١) وكقولك
: زيد منطلق وعمره ، أى وعمره كذلك ، وعليه قوله تعالى : (واللّٰقئ يتيسر
من المتحيز من نساءكم إنّ ارنّبتم فعيدنّ ثلاثه أشهر واللّاقئ لم
يحضنن) أى واللّاقئ لم يحضن مثلن ، وقولك : خرجت فإذا زيد (٢) . وقولك
لمن قال : هل لك أحد ؟ إن الناس إلب عليك : إن زيدا وإن عمرا ، أى إن لى
زيداً وإن لى عمرا (٣) . وعليه قوله : (٤)

* إنّ سحلاً وإن ممرّ سحلاً * (٥)

(١) فأفراد الضمير فيه لأن إحسانه وإجماله بمعنى واحد .

(٢) آية ٤ سورة الطلاق .

(٣) أى موجود أو حاضر أو بالباب أو ما أشبه ذلك ، والحذف هنا لا اتباع
الاستعمال مع الاختصار والاحتراز عن العبث ، لأنه يطرد حذف المسند إليه بعد
« إذا » الفجائية ، لأنها تدل على مطلق وجود . وقد توجد معها قرائن تدل على
نوع خصوصية كلفظ الخروج في المثال .

(٤) الحذف فيه أيضاً لا اتباع الاستعمال مع الاختصار والاحتراز عن العبث ،
لأنه يطرد حذف المسند مع تكثير « إن » وتعدد اسمها .

(٥) هو ليمون بن قيس المعروف بالاعشى من قوله :

إنّ سحلاً وإن ممرّ سحلاً وإن في السّفر إذ مضوا متهللاً

سحلاً ومرّ سحلاً مصدران ميجيان بمعنى الحلول والارتحال ، والسفر اسم جمع
بمعنى المسافرين وقد أراد بهم الموقى ، والمهل مصدر بمعنى الإهمال وطول النية ،
والمعنى : إن في غيبة الموقى طولا وبعداً ، لأنهم مضوا مضياً لا رجوع معه إلى الدنيا ،
وروى : إذ مضوا مثلاً ، والحذف هنا لا اتباع الاستعمال وضيق المقام مع
الاختصار والاحتراز عن العبث .

أى إن لنا عملاً في الدنيا وإن لنا مرتجلاً عنها إلى الآخرة . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ
 لَوْ أَنَّمِ الْإِنْسَانُ لَشَافِهٌ لَبِئْسَ مَا تَكُونُ تَكُونُ تَكُونُ مَكْرُوراً
 لقاعدة التأكيدي ، فأضمر « تملك » الأول إضماراً على شريطة التفسير ، وأبدل من
 الضمير المتصل الذى هو الواو ضمير منفصل وهو « أنتم » لسقوط ما يتصل به من
 اللفظ ، فأنتم فاعل الفعل المضمر ، و « تملكون » تفسيرة . قال الزمخشري : هذا
 ما يقتضيه علم الإعراب ، فأما ما يقتضيه علم البيان (٢) فهو أن ﴿ أنتم تملكون ﴾
 فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصون بالشرح المتبالغ (٣) . ونحوه قول
 حاتم : « لو ذات سوار لطمتني » (٤) . وقول المتلمس :

(١) آية ١٠٠ سورة الإسراء :

(٢) يعنى بعلم البيان ما يشمل علم المعاني .

(٣) ردّد هذا على الزمخشري بأن الاختصاص إنما يكون في الجملة الاسمية التي
 يقدم فيها المسند إليه على خبره الفعلي كما سبق ، وما هنا ليس كذلك لأنه من الجملة
 الفعلية ، وبأنه على تسليم ذلك يكون معناه لو اختصتهم بملك تلك الخزائن
 لأمسكتم ، هذا لا يقتضى اختصاصهم بالشرح ، وإنما يقتضى ذلك أن يقال « أنتم
 لو تملكون ذلك لأمسكتم » .

(٤) رواه الأصمعي « لو غير ذات سوار لطمتني » على أن حاتماً مر ببلاد عنزة
 فناده أسير لهم : يا أيها سفانة ، اكلفي الإيسار والقمل ولم يكن مع حاتم شيء
 فساومهم به . ثم قال : أطلقوه واجعلوا يدي في القيد مكانه ، ففعلوا ، ثم جاءته
 امرأة بغير ليقصده فحمره فلطمته ، فقال لها ذلك ، يعنى أنه لا يقتص من النساء .
 وقيل : إن التي ضربته كانت أمة لهم فقال لها « لو ذات سوار لطمتني » يعنى حرة
 من النساء ، وهو أظهر لنا ثبوت الفعل .

* ولو غير إخواني أرادوا نقيصتي (١) *

وذلك لأن الفعل الأول (٢) لما سقط لأجل المفسر برز السلام في صورة المجتهد والخير .

وكقوله تعالى : (أفن زين له سوء عمله فرآه حسناً) (٣) أي كمن لم يزين له سوء عمله ، والمعنى أفن زين له سوء عمله من الفريقين اللذين تقدم ذكرهما « الذين كفروا والذين آمنوا » كمن لم يزين له سوء عمله ، ثم كأن رسول الله ﷺ لما قيل له ذلك قال : لا ، فقل (فإن الله يضل من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وقيل المعنى : أفن زين له سوء عمله ذهب نفسك عليهم حسرات ؟ لخذف الجواب (٤) لدلالة (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) أو : أفن زين له سوء عمله كمن هداه الله ؟ لخذف لدلالة (فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) .

وأما قوله تعالى : (بل سئلت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل) (٥) وقوله تعالى : (سورة أنزلناها) (٦) وقوله : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن

(١) هو الجري بن عبد المسيح المعروف بالمانلس من قوله :

ولو غير إخواني أرادوا نقيصتي جمعات لهم فوق العرائين ميسما

والعرائين جمع عرين وهو الأنف كله أو ما صلب منه ، والميسم : العلامة ،

وهو على تقدير : ولو أراد غير إخواني . الخ .

(٢) في قوله تعالى (لو أنتم تملكون) . وهذا تدليل لإفادة الاختصاص .

(٣) آية ٨ سورة طهر .

(٤) على هذا تكون « من » شرطية .

(٥) آية ١٨ سورة يوسف .

(٦) آية ١ سورة النور .

أمرتهم ليخرجن من قبل لا تقسموا طاعة معروفة (١) فكل منهما يحتمل الأمرين حذف المسند إليه وحذف المسند ، أى فأمرى صبر جميل ، أو فصبر جميل أجلى (٢) وهذه سورة أنزلناها أو أوحينا إليك سورة أنزلناها ، وأمركم أو الذى يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب ، كطاعة الخلفاء من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره ، لا إيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها أو طاعتكم طاعة معروفة ، أى بأنفسها بالقول دون الفعل ، أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الإيمان الكاذبة .

وعما يحتمل الوجهين قوله سبحانه وتعالى : ﴿ولا تقولوا ثلاثة﴾ (٣) قبل : التقدير ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة ، ومرداً بأنه تقرير لثبوت آلهة ، لأن الذى إنما يكون للمعنى المستفاد من الخبر دون معنى المبتدأ ، كما تقول د ليس أمراؤنا ثلاثة ، فإنك تنفى به أن تكون عدة الأمراء ثلاثة دون أن تكون لكم أمراء ، وذلك (٤) إشارتك ، مع أن قوله تعالى بعده : ﴿إنما الله إله واحد﴾ يناقضه ، والوجه أن (ثلاثة) صفة مبتدأ محذوف أو مبتدأ محذوف بميزه ، لا خبر مبتدأ ، والتقدير د ولا تقولوا لنا إن في الوجود آلهة ثلاثة أو ثلاثة آلهة ، (٥) ثم حذف الخبر كما حذف من لا إله إلا الله ، وما من إله إلا الله — ثم حذف الموضوع أو المميز كما يحذفان في غير هذا الموضع ، فيكون النهى عن إثبات الوجود لآلهة ، وهذا ليس فيه تقرير لثبوت إلهين ، مع أن ما بعده أعنى قوله : ﴿إنما الله إله واحد﴾

(١) آية ٥٣ سورة النور .

(٢) أى من الصبر الذى ليس بجميل بأن يكون معه شكاية ، ولكنه مع هذا خير من عدمه ، فيصح تفضيل الصبر الجميل عليه .

(٣) آية ١٧١ سورة النساء .

(٤) أى تقرير ثبوت آلهة .

(٥) التقدير الأول على أنها صفة مبتدأ ، والثانى على أنها مبتدأ محذوف بميزه .

ينفي ذلك ، فيحصل النهى عن الإشرار والتوحيد من غير تفاقض ، ولهذا يصح أن
 يُقبح نفي الاثنين فيقال « ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثة » ولا إلهان ، لأنه كقولنا
 « ليس لنا آلهة ثلاثة ولا إلهان » وهذا صحيح ، ولا يصلح أن يقال على التقدير
 الأول « ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة ولا إلهان » لأنه كقولنا « ليست آلهتنا ثلاثة ولا
 اثنين » وهذا قاصد ، ويجوز أن يقدر « ولا تقولوا الله والمسيح وأمه ثلاثة »
 أى لا تعبدوهما كما تعبدونه ، لقوله تعالى : ﴿ أَقْدَرُ كَفَرِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ
 ثَلَاثَةٍ ﴾ (٢) فيكون المعنى ثلاثة مستوون في الصفة والرتبة ، فإنه قد استقر
 في العرف أنه إذا أريد إلحاق اثنين بواحد في وصف وأنهما شديهان له أن يقال
 « هم ثلاثة » كما يقال إذا أريد إلحاق واحد بآخر وجعله في معناه هما إلهان .

واعلم أن الخلف لا بد له من قرينة ، كوقوع الكلام جواباً عن سؤال : إما
 محتق (٣) كقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (٤) وقوله : ﴿ وَإِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
 فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (٥) وإلهاماً مقدر ، نحو :
 * لِيُبَيِّنَكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِحُصُونِهِ (٦) . *

(١) فيكون من خلف المسند إليه والمعنى صحيح بخلاف التقدير الذي أبطله ،
 وقد أجيب عنه بأن السالبة تحتل نفي موضوعها كما تحتل نفي محمولها وحده ،
 فيكون المعنى عليه محتملاً لنفي الثلاثة والاثنين أيضاً ، ولكن الحمل على هذا نادر .
 (٢) آية ٧٣ سورة المائدة .

(٣) السؤال المحقق هو المذكور في الكلام ، والمقدر بخلافه .

(٤) آية ٢٥ سورة لقمان .

(٥) آية ٦٣ سورة العنكبوت .

(٦) هو الحارث بن ضرار النمشلي أو الحارث بن نهيك من قوله في رثاء
 يزيد بن نهشل :

==

وقراءة من قرأ ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ، رجاله (١)
 وقوله : ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ سَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ﴾ (٣) ببناء الفعل للمفعول (٢) وفضل هذا التركيب على خلافه أعنى نحو
 «ليبك يزيد ضارع» ببناء الفعل للفاعل وأنصب يزيد من وجوه : أحدها أن هذا
 التركيب يفيد إسناد الفعل إلى الداعل مرتين إجمالاً ثم تفصيلاً ، والثاني أن نحو
 «يزيد» فيه ركن الجلة لا فضلة (٤) ، والثالث أن أوله غير مطمع للسامع في ذكر
 الفاعل فيكون ورود ذكره كنى تيسرت له غنيمة من حيث لا يحتسب ، وخلافه
 بخلاف ذلك .

ومن هذا الباب «أعنى الذى قرينته وقوع الكلام جواباً عن سؤال مقدر -
 قوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجَنِّ﴾ (٥) على وجهه (٦) فإن (لله شركاء) إن

== لِيَبْكُ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِنَحْوِهِ وَمِنْهُ تَبَطُّ مِمَّا تَطْيِيعُ الطَّوَائِفُ
 وقوله :

سقى جعدنا أسمى بدوحة ثاوريا من الدلو والجوزاء قاد ورائح
 قوله «ليبك» بالبناء للمفعول ، والضارع الذليل ، والمختبط الذى يأتى إليك
 للمعروف من غير وسيلة ، وقوله «تطيع» بمعنى تذهب وتهلك ، والطوائع
 جمع مطيعة على غير القياس وقياسه مطاوح أو مطيحات ، والشاهد فى حذف فعل
 «ضارع» إذ التقدير ، يبكىه ضارع ، يصفه بأنه كان ماجاً الذليل وعون المحتاج .
 (١) آية ٣٦ سورة النور . (٢) آية ٣ سورة الشورى .
 (٣) فيكون كل من لفظ الجلالة ورجال فى الآيتين فاعلاً لفعل محذوف تقديره
 يوحى ويسبح .

(٤) كونه ركن الجلة يفيد الاعتناء بشأنه ، ويناسب مقام رثائه .
 (٥) آية ١٠٠ سورة الأنعام .
 (٦) هو الوجه الذى سينتقاه عن عهد القاهرة لا الوجهان المذكوران بعده .

مجعلاً مفعولين لجعلوا، فالجن يحتمل وجهين: أحدهما ما ذكره الشيخ عبد القاهر (١) من أن يكون منصوباً محذوف دل عليه سؤال مقدر، كأنه قيل: من جعلوا لله شركاء؟ فقيل: الجن، فيفيد الكلام إنكار الشرك مطلقاً، فيدخل اتخاذ الشريك غير الجن في الإنكار دخول اتخاذ من الجن، والثاني ما ذكره الزمخشري، وهو أن يمتدح (الجن) بدلا منه شركاء، فيفيد إنكار الشريك مطلقاً أيضاً كما مر (٢) وإن جعل (الله) لغوا (٣) كان (شركاء الجن) مفعولين مقدمين ثانياً مفعولين الأول، وفائدة التقديم استعظام أن ميتة تختلج الله شريكاً كما كان أوجنياً أو غيرهما، ولذلك قدم اسم الله على الشركاء، ولو لم يبين الكلام على التقديم. وقيل: وجعلوا الجن شركاء لله، لم يبدل إلا إنكار جعل الجن شركاء، والله أعلم.

ومنه ارتفاع المخصوص في باب «نعم وبلى» على أحد القولين (٤).

أغراض الذكر: وأما ذكره فإما لنحو ما مر في باب المسند إليه من زيادة التقرير وللتعريض بنبأه السامع والامتداد والتعظيم والإسهانة وبسط الكلام (٥).

(١) ١٨٧، ١٨٨ — دلائل الإيجاز.

(٢) لأنه يكون بدل بعض من كل، والتقدير: الجن منهم.

(٣) أي جارا ومجروراً متعلقا بشركاء مقدما عليه.

(٤) هو قول من يجعله مبتدأ محذوف الخبر، فيكون التقدير في قولك «نعم الرجل زيد» زيد المدح، وهو واقع من جواب سؤال مقدر أيضاً، كأنه قيل: من المدح؟ وقيل: إنه خبر مبتدأ محذوف. وقيل: لأنه بدل من الفاعل قبله. فالأقوال أربعة لا اثنان.

(٥) زيادة التقرير كما في قوله تعالى: «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم»، — آية ٩ سورة الزمر، والزهر. بنبأه السامع كما في قولك «محمد نبينا»، في جوابها سؤال =

ولما ليتمين كونه اسماً فيستفاد منه الثبوت (١) أو كونه فعلاً فيستفاد منه التجدد (٢) أو كونه ظرفاً (٣) فيورث احتمال الثبوت والتجدد (٤) ، ولما لنحو ذلك . قال السكاكي (٥) : ولما للتعجيب من المسند إليه بذكره ، كما إذا قلت : زيد يقاوم الأسد ، منع دلالة قرائن الأحوال (٦) ، وفيه نظر ؛ لحصول التعجيب بدون الذكر إذا قامت القرينة (٧) .

-
- == من نبيكم ؟ والاستلذاذ كما في قولك : هي سعاد ، في جواب : هل هذه سعاد ؟ وهكذا ، ولا بد في الذكر من قرينة كما سبق في ذكر المسند إليه .
- (١) أى الدلالة على النسبة من غير تقييد بزمان .
- (٢) أى الدلالة على الحدوث بعد العدم .
- (٣) أو جاراً أو مجروراً .
- (٤) لأن نحو زيد في الدار ، تقديره زيد مستقر أو مستقر في الدار . وهذا وما قبله معان أصلية للاسم والفعل والظرف ، فلم يست في شيء من البلاغة .
- (٥) ١١١ - المفتاح .
- (٦) بأن يكون جواب سائل من يقاوم الأسد ، ؟
- (٧) أجيب عنه بأن القرينة على المسند لأعلى التعجيب ، وإنما يحصل التعجيب بذكره مع الاستغناء عنه .

تمارين على الذكر والحذف

تمرين - ١

١ - لم حذف المسند في قول الشاعر :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال

٢ - لم ذكر المسند بعد د ب ل في قوله تعالى : ﴿ قالوا أأنع فعلت هذا

بأهتفا يا إبراهيم ﴾ قال ب ل فعله كجهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ﴿
آية ٦٢ ، ٦٣ سورة الأنبياء .

تمرين - ٢

١ - لم حذف المسند الأول وأعيد ذكر الثاني في قول الشاعر :

لولا النشقة لجعلت قبرك كهبي وجعلت قولك مسقى وكنابى

٢ - لم حذف المسند في قوله تعالى : ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا

قومك منه يصدون ﴾ آية ٥٧ سورة الزمر .

تمرين - ٣

١ - لم حذف المسند أولاً ثم المسند إليه ثانياً في قول الشاعر :

والناس هذا حطة مان وذا حلم وذاك مكارم الاخلاق

٢ - بين المحذوف والداعى إلى حذفه في قول الشاعر :

والطير أقدمهما الذكرى والناس نامق والوجود

تمرين - ٤

١ - لماذا حذف المسند في قولهم « أمتنعاً وسوء كيلة » ؟

٢ - لماذا أعيد ذكر المسند في قول الخنساء :

أعني مجوداً ولا تجنبدى ألتبكيان لفتنخري الفتى

ألتبكيان الجواد الجميل ألتبكيان الفتى السعيد

أغراض الأفراد

وأما إفراده فليكونه غير سببي مع عدم إفادة تقوي الحكم^(١) كقولك « زيد منطلق ، وقام عمرو ، والمراد بالسببي نحو « زيد أبوه منطلق »^(٢) .
قال السكاكي^(٣) : وأما الحالة المقنضية لإفراده فهي إذا كان فعليا ولم يكن المقصود من نفس التركيب تقوي الحكم ، وأعني بالمسند الفعلي ما يكون مقصودا محكوما به بالشبوت المسند إليه أو بالانتماء عنه ، كقولك « أبو زيد منطلق ، والسببي^(٤) من البئر بسنين » ، وضرب أخو عمرو ، ويشترك بكر إن تعطه ، وفي الدار خالد » إذ تقديره « استقر أو حصل في الدار » على أقوى الاحتمالين^(٥) لتتام الصلة بالظرف ، كقولك « الذي في الدار أخوك »^(٦) وفيه نظر من وجهين :

(١) نحو « زيد قائم » وإنما يكون ذلك عند اقتضاء المقام له بأن يكون المخاطب شاعلي الذهن من الحكم ؛ فلا يوقى له بصورة تقييد تقويته ، وهي صورة تقديم الاسم على الخبر الفعلي كما سبق في المسند إليه ، وإنما اختص إفراده بذلك لأنه إذا كان سببيا أو مفيدا لتقوي كان جملة لا مفردا ،
(٢) فالسببي كل جملة علقت على مبتدأ بعائد لا يكون مسندا إليه في تلك الجملة ، لأنه إذا كان مسندا إليه فيها كان من صورة تقوية الحكم نحو « زيد منطلق » والسببي نسبة إلى السبب وهو ضمير الربط .

(٣) ١١١ — المفتاح ،

(٤) هو مكيال مقداره أربعون أردبا ، وقيل : غير ذلك ،

(٥) الاحتمال الثاني تقديره اسما أى مستقر أو حاصل .

(٦) فإن تقديره - الذي استقر أو حصل في الدار أخوك ، ولا يصح تقديره تحاصل أو مستقر فيه ؛ لأن الصلة لا تتم به ، ولكن تعين هذا في الصلة لا يوجب أوجهيته في غيرها ،

أحدهما أن ما ذكره في تفسير المسند الفعلي يجب أن يسكون تفسيراً للمسند مطابقاً (١)، والظاهر أنه إنما قصد به الاحتراز عن المسند السببي، إذ فسر المسند السببي بعد هذا بما يقابل تفسير المسند الفعلي، ومثله بقولنا «زيد أبوه منطلق أو انطلق»، والبرُّ السكّر منه يستين، فجعل كما ترى أمثلة السببي مقابلة لأمثلة الفعلي مع الاشتراك في أصل المعنى (٢). والناتج أن الظرف الواقع خبراً إذا كان مقدراً بجملة كما اختاره كان قولنا «السكّر من البر يستين»، تقديره «السكّر من البر يستقر يستين»، فيسكون المسند جملة ويحصل تقوى الحكم كما مر، وكذا إذا كان «في الدار خالد»، تقديره «استقر في الدار خالد»، كان المسند جملة أيضاً، لسكون «استقر»، مسنداً إلى ضمير خالد لا إلى خالد على الأصح؛ لعدم اعتماد الظرف على شيء (٣).
أغراض كون المسند فعلاً أو اسماً : وأما كونه فعلاً فالتقيد بأحد الأزمنة الثلاثة على أن يختصر ما يمكن (٤) مع لفظة التجدد (٥).

-
- (١) لأنه يشمل المسند إذا كان فعلاً أو غيره، نحو انطلق زيد، وزيد منطلق، وزيد أبوه منطلق.
- (٢) يعني به المعنى الذي ذكره للفعل، لأنه يشمل كل مسند كما سبق فيدخل فيه السببي، وإذا كان داخل في معنى الفعلي لم تصح المقابلة بين أمثلهما.
- (٣) مقابل الأصح يجعل خالداً فاعلاً لمتعلق الظرف، فلا تكون جملة مركبة من مبتدأ وخبر، وهذا إنما يأتي في الأصح إذا اعتمد الظرف على نفي أو شبهة، نحو — أو في الدار خالد؟
- (٤) نسكت الاختصار في الحقيقة مرجع البلاغة في هذا الغرض، لأن دلالة الفعل على الأزمنة الثلاثة بأصل وضعه، ووجه الاختصار بأن قولك «قام زيد» يفيد مع الاختصار معنى قولك «زيد حصل منه القيام في الزمن الماضي»، ولكن هذا الاختصار لا يكاد يمتاز به بل يفسخ عن غيره، والذي يدخل منه في معنى البلاغة دلالة على الاستمرار التجديدي كما سيأتي.
- (٥) المراد بالتجدد حصول الشيء بعد خروجه، والفعل يدل عليه بأصله

وأما كونه اسماً فلا فائدة عدم التقييد^(١) والنجدد ، ومن البين فيهما قول الشاعر :
لا يآلف الدرهم المضروب مصرمتنا لكن يبرُّ عليها وهو منطق^(٢)
وقوله :

أو كلَّما وردت عكاظ قبيلة^٣ بعثوا إلى عريفهم يتوسَّم^(٤)
لذا معنى الأول على انطلاق ثابت للدرهم مطلقاً من غير اعتبار تجرده وحدوثه ،
ومعنى الثانى على توسُّم وتأمل ونظر بتجديد^(٥) من العريف هناك .

== وضعه أيضاً ، وإنما تعرض لإفادته ذلك لأن من الأسماء ما يشارك الفعل في الدلالة
على أحد الأزمته ، كاسم الفاعل ، فإنه حقيقة في الحال مجاز في الاستقبال .

(١) أى بأحد الأزمته لأنه يدل على الثبوت فقط ، وهى دلالة وضعية لا يصح
عدها من وجوه البلاغة ، وإنما الذى يصح عده دلالة على الدوام بمعونة القرائن
إذا كان المقام يقتضى كمال المدح أو الذم ونحوهما ، وكما سيأتى فى البليغ الآتى .

(٢) هو للمضرب بن جؤبسة ، والمشهور نصب د صرتا ، على أنه مفعول ،
ولكن الأحسن نصب الدرهم ليسكون عدم الإلف من جانب الصرة ، فيدل على
غناهم وإنفاقهم ، أما الأول فيحتمل أن عدم إلف الدرهم صرتهم لفقرهم ، مع أنه
يقصد المدح بغناهم وجردهم ، ولهذا حمل بعضهم الجملة الاسمية وهو منطلق ، على
إفادة الدوام ليسكون المدح أكمل .

(٣) هو لطريف بن تميم العبدي ، وعكاظ سوق بين نخلة والطائف ، والعريف القيم
الذى يقوم بأمر القوم ، يريد أنهم يبعثون إليه عريفهم من أجل شهرته وعظمته ،

(٤) يريد به الدوام التجددى ، والفعل إنما يدل عليه بمعونة القرائن لأن التجدد
الذى يدل الفعل عليه بأصل وضعه هو حصول الشيء بعد عده ، والبلاغة فى الفعل إنما
تكون بدلالته على الدوام التجددى ، وما يقين الفرق فيه بين المستند الفعلى والمستند
الاسمى قوله تعالى : ﴿ الله يستمزيهم ﴾ بعد قوله : ﴿ إنما نحن مستمزون ﴾
آية ١٤ ، ١٥ سورة البقرة لأن دلالة الأول على الاستمرار التجددى ، وهو أبلغ ،

أغراض تقييد الفعل بمفعول ونحوه ، وترك تقييد الفعل : وأما تقييد
الفعل بمفعول ونحوه فلزمية الفائدة (١) كقولك « ضربت ضرباً شديداً ، وضربت
زيداً ، وضربت يوم الجمعة ، وضربت أمامك ، وضربت تأديباً ، وضربت
بالسوط ، وجاست والسارية ، وجاء زيد راكباً ، وطاب زيد نفساً ، وما ضرب
إلا زيد ، وما ضربت إلا زيدا » (٢) .

والمقيد في نحو « كان زيد قائماً ، هو « قائماً ، لا « كان » (٣) .

وأما ترك تقييده فلينال من تربية الفائدة (٤) .

(١) أى تكثيرها ، ولا يخفى أن تقييد الفعل بذلك من أحوال متعلقات الفعل
فلا معنى لذكره هنا ، ولا يخفى أيضاً أن هذا التقييد يرجع إلى أصل معاني تلك
المتعلقات ، فيجب أن يكون اعتبار ذلك هنا عند وجود القرينة التي تغني عن
ذكرها ، كما اعتبر وجود القرينة في ذكر المسند إليه والمنسند ، ومثال ذلك هنا أن
يقال لك : هل تحب هذا ؟ فنقول : أحب هذا .

(٢) الاستثناء في الأول من الفاعل وفي الثاني من المفعول ، وقيد الفعل فيهما
هو المستثنى لأنه في الحقيقة منسوب إلى المستثنى منه المحذوف ، فيكون المستثنى قيدا
فيهما ولأن كان في الأول هو الفاعل في الظاهر .

(٣) لأن « قائماً » هو المسند ، فهو الذي يدل على الحديث المراد إسناده ،
وكان تدل على زمانه ، فكأنك قلت : زيد قائم في الزمان الماضي .

(٤) كنخوف انقضاء فرصة أو ضيق مقام أو نحو ذلك من أغراض الحذف ،
وهذا يرجع اعتبار التقييد وتركه إلى اعتبارى الحذف والذكر ، ومن ترك التقييد
لخوف انقضاء فرصة : قول الصائد لمن معه « حبس الصيد ، فلا يقول في الشرك »
ليبادر إليه قبل فواته بالفرار أو موته قبل ذبحه .

أفراض تشييد الفعل بالشرط : إن وإذا ولو : وأما تقييده (١) بالشرط
فلا عبارات لا تعرف إلا بمعرفة ما بين أدواته من التفصيل ، وقد مبين ذلك في
علم النحو (٢) ولكن لا بد من النظر ههنا في د إن ، وإذا ، ولو .

أما « إن وإذا » فهما للشرط في الاستقبال (٣) لكنهما يفرقان في شيء وهو
أن الأصل في د إن ، ألا يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه (٤) كما تقول لصاحبك
د إن تكرمني أكرمك ، وأنت لا تقطع بأنه يكرمك .

والأصل في د إذا ، أن يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه (٥) كما تقول : إذا
ذلت الشمس آتيتك . ولذلك كان الحكم النادر موقعاً لإن ، لأن النادر غيره مقطوع

(١) أي الفعل مسنداً في الجواز ، فالشرط قيد للحكم الجزاء كالفعل ونحوه ، لأن
قولك د إن جهنمى أكرمك ، بمنزلة أكرمك وقت مجيئك .

(٢) لا يخفى أن تلك الاعتبار اعتبارات نحوية ، وليس في شيء من
اعتبارات البلاغة إلا أن ينظر إلى دلالة أدوات الشرط على تعليق الجواز بالشرط
في أشعر عبارة ، فتكون نظير جروف العطف فيما سبق ، وذلك وجه ضعيف
من وجوه البلاغة .

(٣) أي لتعليق حصول الجزاء بحصول الشرط في الاستقبال ،

(٤) بأن يتردد في وقوعه أو يظن عدم وقوعه ، أما القطع بعدم وقوعه
لاستحالة فلا تستعمل فيه د إن ، إلا لكثرة ما سيأتى في قوله تعالى : ﴿ قل إن كان
للرحمن ولد ﴾ آية ٨١ سورة الزخرف . ومثل د إن ، في دلالتها على ذلك باقي أدوات
الشرط كما ذكره الدسوقي في حاشيته على المختصر .

(٥) مثل القطع في ذلك ظن وقوعه ، ولا يخفى أن الأداتين يدلان على ذلك
بأصل الوضع ، ولكن إشارتها إحداها على الأخرى في موضع يصلح لهما قد يكون
لاعتبارات دقيقة كما سيأتى في أمثلتهما .

به في غالب الامر، وغالب لفظ الماضى مع د إذا ، لسكونه أقرب إلى القطع بالوقوع
نظراً إلى اللفظ (١) قال تعالى (٢) : (فإذَا جاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ
وإنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ) (٣) أتى في جانب
الحسنة بلفظ د إذا ، لأن المراد بالحسنة المطلقة المطابقة التي حصولها مقطوع به .
ولذلك عرفت تعريف الجنس (٤) . وجوز السكاكي (٥) أن يكون تعريفها
للعهد ، وقال : د وهذا أفضى لحق البلاغة ، وفيه نظر (٦) . وأتى في جانب السيئة بلفظ
دإن ، لأن السيئة نادرة بالنسبة إلى الحسنة المطلقة ولذلك فسكت (٧) .
ومنه قوله (٨) تعالى : (ولذا أذنبنا للناس رحمةً فرحوا بها وإنْ
تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَبْغَتْ قَدْ مَتَّ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) (٩) أتى بإذا في جانب

(١) لما كان هذا باللفظ إلى اللفظ لأن الماضى معها ينقل إلى الاستقبال .

(٢) آية ١٣١ سورة الأعراف .

(٣) هذه الاعتبارات أتت في كلام الله تعالى لأنه وارد على أساليب كلام البشر ،
وإن لم يتصور فيه جزم ولا عدمه ، فيراعى فيه ذلك على فرض أنه لمخلوق يجوز
عليه الجزم والتردد .

(٤) يعنى الحقيقة في ضمن فرد مبهم بدليل إسناد المجيء إليها .

(٥) ١٣٠ — المفتاح .

(٦) وجهه أنه ذكر أن المراد الحسنة المطلقة والإطلاق ينافي العهد ، وأجيب عنه
بأنه يريد العهد على مذهبه من تنزيل الحقيقة منزلة المعبود لاعتبارات ، والذي
ينافي الإطلاق العهد الحقيقي الذي يراد فيه فرد معين ، ولما كان ذلك أفضى لحق
البلاغة لأن المعبود أقرب إلى التحقق من الجنس الذي لا عهد فيه ولأن هذا
لا يتخلو من تكلف .

(٧) لأن التشكيك في أصله يفيد التقليل لدلالته على الوحدة ، بخلاف دال ، الجنسية ،

(٨) آية ٣٦ سورة الروم .

الرحمة. وأما تنكيرها لجملته السكاكي (١) للنوعية نظراً إلى لفظ الإضافة. وبجملته للتقليل نظراً إلى لفظ الإضافة، كما قال، أقرب (٢). وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْفِتَاسَ مَضْرَجٌ﴾ (٣) بلفظ «إذا» مع الضمير فللنظر إلى لفظ المس، وإلى تنكير الضمير المفيد في المقام النبوي في القصة في السير من الضر، وإلى الناس المستحقين أن يلحقهم كل ضرر، وللتنبية على أن مساس قدر يسير من الضر لأمثال هؤلاء حق أن يكون في حكم المقطوع به، وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الشُّرُكَاءُ فَتْرٌ دُعَاءٌ عَرِيضٌ﴾ (٤) بعد قوله عن وجهه: ﴿وَإِذَا اتَّعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَتَأَيَّ بِجَانِبِهِ﴾ أى أعرض عن شكر الله وذهب بنفسه وتكبر وتعظم، فالذى تقتضيه البلاغة أن يكون الضمير في (مسه) للمعرض المتكبر، ويكون لفظ (إذا) للتنبية على أن مثله يحق أن يكون ابتلاؤه بالشرك مقطوعاً به.

قال الزعزعى: وللجهل بموقع «إن وإذا» يزعم كثير من الخاصة من الصواب فيغلطون، ألا ترى إلى عبد الرحمن بن حسان (٥) كيف أخطأ بهما الموضع في قوله يخاطب بعض الولاة وقد سأله حاجة فلم يقضها ثم شفع له فيها فقضاه: مَذْمُومٌ وَلَمْ يُحْسَمْ وَأَذْنُكَ حَاجِقٌ تَوَلَّى سِوَاكَ أَجْرَهَا وَاصْطَنَاعَهَا أَبَى لَكَ كَسْبَ الْحَدِّ رَأَى مُقَصِّرٌ. ونفسه أضاع الله بالخير بأعسر إذا هي حشنته على الخير مرة عصاها وإن سميت بشر أطاعها

(١) — المفتاح .

(٢) لأن الإضافة أثرها أضعف من غيرها، وقد اعترض على هذا بأنه يتنافى لما ذكره في الآية السابقة من أن إطلاق الحسنة المفيد للتكثير هو الذى يتناسب «إذا» فلا يكون التقليل هنا في الرحمة مقاسماً لها .

(٣) آية ٣٣ الروم . (٤) آية ٥١ سورة الدخان .

(٥) قيل إن هذه القصة وما فيها من الشعر لسميود بن عبد الرحمن بن حسان ،

فلو عكس لأصاب ، (١) .

وقد تستعمل د إن ، في مقام القطع بوقوع الشرط لكنة :

كالنجاهل لاستدعاء المقام إياه (٢) .

وكعدم جرم المخاطب ، كقولك لمن يكذبك (٣) فيما تنجز : إن صدقت فقل لي

ماذا تفعل ؟ .

وكتنزيله منزلة الجاهل (٤) لعدم جريه على موجب العلم ، كما تقول لمن يؤدي

أباه : د إن كان أبك فلا تؤذه .

والتوبيخ على الشرط وتصوير أن المقام لاشتياله على ما يقلعه عن أصله
لا يصلح إلا لفرضه كما يفرض المحال لفرض (٥) كقوله تعالى : (أفنضربك
عنكم الذكركم صفحا إن كنتم قوما مفسرين) (٦) فيمن قرأ د إن ، بالعكس

(١) يعني بالعكس أن يقول « إن هي حشته ، وإذا هست » ووجه الصواب فيه
أنه هو المناسب لما يقصده من الهماء ، وأجيب عنه بأنه يقصد في « إذا » إثبات حث
نفس الوالي له على الخير وأنه مع ذلك يعصيه ، وهو أبلغ في الذم ، وبأنه يقصد
في د إن ، أنه يجادر إلى الشر بمجرد توهم نفسه له ، وهو أبلغ في الذم أيضا .

(٢) كأن يسأل خادم عن سيده : هل هو في الدار ؟ وهو يعلم أنه فيها ، فيقول
د إن كان فيها أخبرك ، فيتجاهل خوفاً من سيده .

(٣) أي لمن يجوز كذبه ، لأن المقام في عدم جرم المخاطب .

(٤) يعني به الشاك لأنه هو الأصل في استعمال د إن ، والفرق بين هذا وما قبله
أن الشك غير حقيق هنا ، وفيما قبله حقيق .

(٥) كإرخاء العنان لإلزام الخصم .

(٦) آية ه سورة الزخرف . بقراءة : « أن كنتم »

انصد التوبيخ والتجويل في ارتكاب الإسراف ، وتصوير أن الإسراف من العاقل في هذا المقام واجب الانتفاء ، حقيق ألا يكون ثبوته إلا على مجرد الفرض .

وكتغليب غير المتصف بالشرط على المتصف به (١) ، وهى قوله (٢) تعالى :
(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) ، إن ، يحتمل أن يكون للتوبيخ على الريبة لاشتمال المقام على ما يقلعها عن أصلها ، ويحتمل أن يكون لتغليب غير المرتابين من المخاطبين على المرتابين منهم (٣) ، فإنه كان فيهم من يعرف الحق وإنما يفكر عناداً (٤)

(١) يعنى تغليب المشكوك في اتصافه بالشرط على المجزوم باتصافه به ، ولا يعنى تغليب المجزوم بعدم اتصافه به على المجزوم فيه بذلك ، لأن كلا منهما ليس هو المقام الاصلى لها ، والمراد تغليب مقامها الاصلى على غيره .

(٢) آية ١٣ سورة البقرة .

(٣) اعترض على هذا بأن ما هنا جمع بين مراتب يقينا وغير مراتب يقينا ، وكل منهما لا تستعمل فيه « إن » ، فالوجه أن يجعل من تغليب من يشك في ارتيابه كالمتدين على غيرهم . ويمكن أن يجعل من تغليب غير المرتابين على المرتابين على أنه بعد التغليب صار الجميع بمنزلة غير المرتابين ، فصار الشرط قطعى الانتفاء فاستعمل « إن » فيه على سبيل الفرض للتبكيك والإلزام ، ولا يخفى ما في هذا من التكلف .

(٤) هؤلاء هم غير المرتابين .

هذا وكما تستعمل « إن » في مقام القطع بوقوع الشرط لثبته ، تستعمل في مقام القطع بعدم وقوعه لثبته أيضاً ، وذلك كالتبكيك والإلزام الخصم والمبالغة ونحو ذلك ، ومن هذا الاستعمال قوله تعالى : ﴿ مثل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ آية ٨١ سورة الزخرف .

وقد تستعمل « إذا » في مقام الشك لثبته ، كالإشعار بأن الشك في الشرط لا ينبغي أن يكون ، كقولك إن قال : لا أدري هل يفضل عليّ الأمير ؟ إذا تفضل عليك =

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَيْعِ﴾ (١) .
استطرد إلى التغليب: والتغليب باب واسع (٢) يجرى في فنون كثيرة (٣) .
كقوله (٤) تعالى: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِّنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِيْ مِلَّتِنَا﴾ أدخل شعيب عليه السلام في: ﴿لَنَعُودَنَّ فِيْ مِلَّتِنَا﴾
بحكم التغليب إذ لم يكن شعيب في ملتهم أصلاً، ومثله قوله (٥) تعالى: ﴿إِنْ مَّعَدَّتِيَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾ وكقوله (٦) تعالى: ﴿وَكَاثِرٌ مِّنَ الْقَائِلِينَ﴾ مَعَدَّتِ الْآخِيَّ مِنْ

فكيف يكون شكرك ؟ الإشعار بأن الأمير لا يلجئ إلى الشك في تفضله ، وقد تستعمل في ذلك أيضاً للتغليب المنتصف بالشرط على غير المنتصف به ، ولكن استعمال
د إذا ، في مقام الشك نادر ، بخلاف استعمال د إن ، في مقام الجزم .
(١) آية ٥ سورة الحج .

(٢) لا يخفى أن التغليب محدود في الحسنات البديعية ، فلا معنى لذكره هنا ، وهو إعطاء أحد المتصاحبين أو المتشابهين حكم الآخر بجملة موافق له في الهيئة أو المادة . فالأول كقوله تعالى: ﴿وَكَاثِرٌ مِّنَ الْقَائِلِينَ﴾ والثاني كالأبوين للأب والام ، وكالقمرين للقمر والشمس ، وقيل إن التغليب من المجاز المرسل لعلاقة المجاورة ، أو من باب غنوم المجاز ، بأن يراد من (القائلين) مثلاً الذوات المتصفة بالقنوت ، ويصح بهذا أن يلحق التغليب بعلم البيان ، والحق أنه ليس من المجاز ؛ لأن المجاز نقل اللفظ من معنى إلى آخر أما التغليب فهو كالمشاكاة الآتية في البديع ، فإنما ينقل فيه المعنى من لباس إلى لباس لا اللفظ ، وهذا إلى أنه لا علاقة فيه من مجاورة أو غيرها ، لأن علاقة المجاورة تكون بين مدلولي اللفظين لا بين اللفظين .

(٣) أى يجرى في أساليب من الكلام لاعتبارات مختلفة غير محدودة ولا مضبوطة ، وشأنه في ذلك شأن غيره من الحسنات البديعية .

(٤) آية ٨٨ سورة الاعراف . (٥) آية ٨٩ سورة الاعراف .

(٦) آية ١٢ سورة التحريم .

الذكور بحكم التغليب (١) وكفوله تعالى : ﴿ فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ (٢) "عدا إِبْلِيسَ من الملائكة بحكم التغليب ، وكفوله تعالى : ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ ﴾ (٣) بقاء الخطاب) ، مغلب (أنتم) على جانب (قوم) (٤) ومثله ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِتَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٥) فيمن قرأ بالثناء (٦) وكذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٧) غلب المخاطبون في قوله ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ على الغائبين (٨) في اللفظ ، والمعنى على إرادتهما جميعاً ، لأن (لعل) مطلقة بخلقكم لا باعبدوا (٩) ، وهذا من خواص

(١) هذا على أن د من ، تبعيضية ، ويجوز جعلها ابتدائية على أن المراد بالقائتين آباؤها الأولون كإبراهيم وإسحاق ، والأول أبلغ لما في التغليب من الإشعار بأنها بلغت في طاعتها مبلغ أولئك الرجال القائتين حتى "عدت" منهم .

(٢) آية ٣٤ سورة البقرة .

(٣) آية ٥٥ سورة النمل .

(٤) قيل : إن ذلك التفات من الغيبة إلى الخطاب ، وردت بأن الخطاب فيه مسبوق بخطاب مثله ، فلم يجر على خلاف السياق حتى يكون التفاتاً .

(٥) آية ١٢٣ سورة هود .

(٦) غلب فيها خطاب النبي في قوله تعالى قبل ذلك : ﴿ فاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ على من ورد ذكرهم قبله في قوله : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمَلُونَ ﴾ .

(٧) آية ٢١ سورة البقرة .

(٨) في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ . والمخاطبون هم الناس في قوله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ وهم أمة دعوة النبي ﷺ .

(٩) فلو تعلقت به لم يكن ذلك من التغليب ؛ لأنه يراد به المخاطبون وحدهم

التغليب، وكفوله تعالى : (جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّوكُمْ فِيهِ) (١) فإن الخطاب فيه (٢) شامل للعقلاء والأنعام ، فغالب فيه المخاطبون (٣) على الغنم (٤) والعقلاء (٥) على الأنعام (٦) . وقوله تعالى : (يَذُرُّوكُمْ فِيهِ) أى يذئبكم ويكثركم في هذا التدبير ، وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والفتائل ، فجعل هذا التدبير كالمنجع والمعدن للبحث والتكثير ، ولذلك قيل (يذروكم فيه) ولم يقل به ، كافي قوله تعالى : (وَرَبِّكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةً) (٧) .

واعلم أنه لما كانت هاتان السكتان لتعليم أمر بغيره - أعنى الجزاء بالشرط - في الاستقبال (٨) امتنع في كل واحدة من جهتين مما الشبوت وفي أفعالها الماضي ، أعنى أن يكون كلنا الجائزين أو إحداهما اسمية ، أو كلا الفاعلين أو أحدهما ماضيا - ولا يخالف ذلك لفظا (٩) نحو : إن أكرممتى أكرمتك ، وإن أكرممتى

(١) آية ١١ سورة الشورى . (٢) أى في قوله (يذروكم)

(٣) أى في قوله (وجعل لكم) .

(٤) هم الأنعام . (٥) هم المخاطبون .

(٦) لأنه جمع ما لا يقل ؛ فالأصح فيه أفراد الغنم العائد عليه ، ولكنه غالب عليه العقلاء لجمع الضمير .

(٧) آية ١٧٩ سورة البقرة ، فقد جعل القصاص كالمنجع للحياة .

(٨) متعلق بمحذوف تقديره كائنين في الاستقبال ، ولا يتعلق بالمصدر وهو تدبير ، لأنه حاصل في الحال لا في الاستقبال .

(٩) أما في المعنى فالاستقبال باق على حاله ولو قلت : إن أكرممتى الآن فقد أكرممتك أمس ، لأن معناه إن تعمد بإكرامى الآن أعند إكرامك أمس ، وكذلك قوله تعالى : (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ) آية ٤ سورة طه ؛ لأن جواب الشرط فيه محذوف تقديره فاصبر .

أكرمك ، وإن تكرمني أكرمك ، وإن تكرمني فأنت مكرم ، وإن أكرمتني الآن فقد أكرمك أمس ، إلا لنسكتة ما (١) مثل إبراز غير الحاصل في صورة الحاصل : إما لقوة الأسباب المتأخذة في وقوعه ، كقولك : إن اشترينا كذا ، حال انعقاد الأسباب في ذلك . وإما لأن ما هو للوقوع كالواقع ، كقولك : إن مت كان كذا وكذا ، كما سبق ، وإما للتفاوت ، وإما لإظهار الرغبة في وقوعه (٢) نحو : إن ظفرت بحسن العاقبة فهو المرام ، فإن الطالب إذا تباعدت رغبته في حصول أمر يكثر تصويره لياؤه ، فربما ينجس إليه حاصله ، وعليه قوله (٣) تعالى : ﴿ ولا تكبروا فتياكم على البغاء إن أردن تحميئنا ﴾ وقد قوى هذا التخييل عند الطالب حتى إذا وجد حكم الحسن بخلاف حكمه غلطه تارة ، واستخرج له بحمل أخرى ، وعليه قول أبي العلام المعري :

== وقد تستعمل د إن ، في الماضي لفظاً ومعنى بإطراد مع د كان ، كقوله تعالى : ﴿ إن كنت قلته فقد علمته ﴾ آية ١٦ سورة المائدة ، وعلى قلة مع غيرها ، كقول أبي العلام :

فيا وطني إن فاتني بك سابق من الدهر فلينعهم لساكنك البال
وقد تستعمل د إذا ، في الماضي كذلك ، كما في قوله تعالى : ﴿ حتى إذ ساءى بين الصدفين قال أنفذوا ﴾ آية ٩٦ سورة السجدة وهذا استعمال لغوي لهما لا يحتاج إلى نسكتة كاستعمالها في الماضي لفظاً فقط .

(١) المثال الأخير على تقدير د إن تعمد بإكرامى الآن أعتد بإكرامك أمس ، كما سبق .

(٢) التفاؤل للسامع وهو ذكر ما يسره ، والرغبة من المتكلم ، والمثال المذكور صالح لهما .

(٣) آية ٢٣ سورة النور ومعنى لإظهار الرغبة في حقه تعالى لإظهار كمال وضاه ، لتنزهه تعالى عن الرغبة .

ما سرتُ إلا وطيف -ميك يصحبني ممرى أمانى وتأويها هلى أثرى^(١)
يقول : لكثرة ما ناجيت نفسى بك انتقدت فى خيالى ، فأعدك بين يدي
مغاطا للبصر بعلة الظلام إذا لم يدركك ايلا أمانى ، وأعدك خافى إذا لم يتيسر لى
تغليطه حين لا يدركك بين يدي نهاراً .
وإما لنحو ذلك .

قال السكاكى^(٢) : أو للتعريض^(٣) كما فى قوله تعالى : (لئن أشركت
ليحبطن عملك^(٤)) وقوله تعالى : (ولئن اتبعت أهوامى من بعد
ما جاءك من العلم لئن الظالمين^(٥)) وقوله : (فإن زلتم من
بعد ما جاءكم البينات^(٦)) .

ونظيره فى التعريض قوله تعالى : (وما لى لا أعبد^(٧) الذى فطرنى وإليه ترجعون^(٨))

(١) هو لاجد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى ، والطيف : الخيال ،
السرى : السير ليلا ، والتأويب : السير نهاراً مشتق من الأوب ، لأن الغالب أنهم
يسرون ليلا ويؤوبون لى منازلهم نهاراً ، وفى البيت تعقيد ظاهر .
(٢) ١٣٣ — المفتاح .

(٣) معطوف على ما ذكره السكاكى من الأسباب السابقة لإبراز غير الحاصل
فى صورة الحاصل ، وإنما صرح الخطيب باسم السكاكى فى هذا السبب مع أن ما سبق
منقول عنه ، لأن التعريض يحصل فى ذلك . ولو عيّر بالمضارع بدل الماضى ، فلا
يصح نكتة للتعبير بالماضى دونه كالأسباب السابقة ، وأجيب عن السكاكى بأن ذكر
المضارع فى ذلك لا يفيد التعويض لكونه على أصله ، والحق أنه يفيد لأن مبنى
التعريض فيه على نسبة الفعل إلى من لا يصح وقوعه منه ، وهى حاصلة فى المضارع
كالماضى .

(٤) آية ٦٥ سورة الزمر . (٥) آية ١٤٥ سورة البقرة .
(٦) آية ٢٠٩ سورة البقرة (٧) آية ٢٢ سورة يس وإنما كان نظيره ولم
يسكن منه لخلوه عن أداة الشرط .

المراد : وما لكم لا تعبدون الذى فطركم ، والمنجبه عليه (١) (ترجعون) وقوله (٢)
 تعالى : ﴿ اَلَمْ نَخْلُقْ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً اِنْ يَرَوْا الرِّسَالَ بِضُرٍّ لَا تُفَنِّى عَنْهُمْ شِفَاؤُنَا وَلَا يَنْقُذُوكَ ، اِنِى اِذَا لِي ضَلَالٌ مُّبِينٌ ﴾ اذ المراد — اتمنحون من دونه
 آلهة ان يردكم الرحمن بضر لا تغن عنيكم شفاعتهم شيئاً ولا ينقذونكم انكم اذا
 انى ضلال مبين ، ولذلك قيل (٣) (آمنت بربكم) دون ربى واتبعه (فاسمعون) .
 ووجه حسنه (٤) "طالب" اسماع الخاطبين الذين هم اعداء المستمع
 الحق على وجه لا يورثهم مزيد غضب ، وهو ترك التصريح بنسبتهم الى الباطل
 ومواجهتهم بذلك ، ويدين على قبوله (٥) لكونه ادخل فى محاض النصيح لهم ، حيث
 لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه ، ومن هذا التجميل قوله (٦) : ﴿ قُلْ لَا تَسْأَلُونَنَا عَنْ
 اَمْجَرِنَا وَلَا نَسْأَلُكُمْ عَنْ اَعْمَالِنَا ﴾ . فان من حق النطق من حيث الظاهر وقل
 لا تسألون عما عملنا ولا نسأل عما تعملون ، وكذا ما قبله (٧) : ﴿ وَاِنَّا اَوْ اِيَّاكُمْ
 لَعَلَىٰ مُدْهَىٰ اَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ . قال السكاكي رحمه الله (٨) : وهذا النوع من
 الكلام يسمى المنصف .

وبما يقتضيه بما ذكرناه ان الزمخشرى قدور قوله (٩) تعالى : ﴿ اِنْ يَشْفَقُواكُمْ

(١) لانه لولا التعريض لكان المناسب للسياق دواليه ارجع ، وقد سبق التمثيل
 بالآية اللاتغات ، ولا منافاة بينه وبين التعريض .
 (٢) آية ٢٣ ، ٢٤ سورة يس .

(٣) فى قوله تعالى بعد الآيتين السابقتين : ﴿ اِنِى اَمْنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُون ﴾
 (٤) أى حسن هذا التعريض فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا لِي لَا اَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِي ﴾
 وما بعده . أما التعريض فى قوله : ﴿ لَئِنْ اَشْرَكَتْ لِيَحْبِطَنَّ عَمَّاكَ ﴾ فيفيد نسبته
 اليهم على وجه ابلغ من التصريح بنسبته اليهم .

(٥) أى قبول الحق . (٦) آية ٢٥ سورة سبأ .
 (٧) التعمير فى قوله " قبله " يغود الى قوله ﴿ قُلْ لَا تَسْأَلُونَا ﴾ الآية .
 (٨) ١٣٣ — المفتاح . (٩) آية ٢ سورة الممتحنة .

يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ﴿١﴾
 وقال : الماضي ولما كان يجرى في باب الشرط يجرى المضارع في علم الإعراب (١)
 فإن فيه نكتة ، كأنه قيل : وردوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم ، يعني أنهم يريدون
 أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعاً من قتل الأنفس وتزيق الأعراض
 وردكم كفاراً . وردكم كفاراً أسبق المضار عندهم وأولها لعلمهم أن الدين أعز
 عليكم من أرواحكم ، لأنكم بذلوا لها دونه ، والعدو أهم شيء عنده أن يقصد أهو
 شيء عند صاحبه . وهذا كلامه ، وهو حسن دقيق ، لكن في جعل وردوا
 لو تكفرون عطاء على جواب الشرط نظر ، لأن وداخلكم أن يرتدوا كفاراً
 حاصلة وإن لم يظفروا بهم ، فلا يكون في تقييدها بالشرط فائدة : فالأولى أن يجعل
 قوله (وودوا لو تكفرون) عطفاً على الجملة الشرطية كقوله تعالى : (وإن
 يقاتلكم يولوكم الآداب ثم لا ينصرون) (٢) .

لو : وأما د لو ، فهي الشرط في الماضي مع القطع بانقضاء الشرط فيلزم انقضاء
 الجزاء (٣) كأنقضاء الإكرام في قواك د لو جئتني لأكرمك ، ولذلك قيل : هي

(١) لأنه ينقلب فيه من الماضي إلى المستقبل .

(٢) آية ١١١ سورة آل عمران فإن قوله (لا ينصرون) مطلق على
 الجملة الشرطية .

(٣) يعني أن د لو ، موصوفة للدلالة على امتناع الجزاء وعلى أن امتناعه ناشئ
 عن امتناع الشرط ، ولا يريد أن دلالتها على امتناع الشرط بالوضع وعلى امتناع
 الجزاء بالزوم ، فلا يرضى عليه بأن الشرط سبب في الجزاء ، ولا يلزم من انقضاء
 السبب انقضاء المسبب ، لأنه يجوز أن يكون له سبب آخر غيره ، وإذا كان هذا
 معني د لو ، بالوضع فإنه يلزمه أن العلم بامتناع الشرط لأجل العلم بامتناع الجزاء ،
 وهذا يكون لها معنيان : أحدهما ومعني ، وهو الشائع في القرآن والجديد وأشعار
 العرب ، كقول الحماسي :

ولو طار ذو خافير قبلها لطارت وليكنه لم يطر

لا امتناع الشيء لا امتناع غيره (١) ويلزم كون جملتيها فعليتين وكون الفعل ماضياً (٢)
فدخولها على المضارع (٣) في نحو قوله تعالى : ﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنْ
الْأَمْرِ لَعْتَلَّكُمْ ﴾ (٤) لقصد استمرار الفعل فيما مضى وقتاً فوقتاً (٥) ، كما في قول الله (٦)
تعالى : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِكُمْ ﴾ بقصد (٧) قوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾

== وقول أبي العلاء :

ولو دامت الدُّولُ كانتوا كغيرهم رعايا وَاكُنْ ما لهن دوام
وثانيهما عقلي . وهو المعتمد في علم المنطق والشائع في مقام الاستدلال العقلي ،
وعليه قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ هَاطَ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ آية ٢٢ سورة الأنبياء
لأن الفرض منه الاستدلال بامتناع الفساد على امتناع تعدد الآلهة دون العكس .
(١) أى لا امتناع الجزء لا امتناع الشرط ، لأن « لو » في كلامهم إنما تستعمل
في الشرط الذى لا سبب سواه لجرائه ، فإذا حصل حصل ، وإذا انتفى انتفى .
(٢) ذهب المبرد إلى أنها قد تستعمل وضعا في الممتنع قبل ، فلا يلتبس لها فيه
نسكته ، كقول الشاعر :

ولو تلتقى أصدائنا بعد موتنا من دون رمسينا من الأرض سبب
أظن صدى صوتى وإن كنت رمةً صوت صدى ليل يمشى ويضطرب

(٣) هذا هو الذى يدخل في معنى البلاغة من استعمال « لو » ، وغيره استعمال
وضعي لا بلاغي . (٤) آية ٧ سورة الحجرات .
(٥) فيكون المعنى في الآية أن امتناع عنهم بسبب امتناع استمراره على
إطاعتهم . (٦) آية ١٥ سورة البقرة .

(٧) فلم يقل « الله يستهزئ بكم » كما قالوا (نحن مستهزون) لأن المضارع
يقيد استمرار الاستهزاء على سبيل التجدد ، وهو أبلغ من الاستمرار والثبوت الذى
تفيده الجملة الاسمية .

وفي قوله تعالى : ﴿ فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ (١) .

ودخلها عليه في نحو قوله : ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقفون عند ربهم ﴾ (٣) لتزيله منزلة الماضي لصدوره سمعاً لا خلاف في إخباره ، كما نزل ﴿ يود ﴾ منزلة « ودا » في قوله تعالى : ﴿ ربما يود الذين كفروا ﴾ (٤) ويحوز أن « يود » الغرض من لفظ « ترى ويود » إلى استحضار صورة (٥) رؤية المجرمين ناكسي الرؤوس قائمين لما يقولون ، وصورة رؤية الظالمين موقوفين عند ربهم متقابلين بتلك المقالات ، وصورة ودادة الكافرين لو أسلوا كما في قوله تعالى : ﴿ والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسفهاه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها ﴾ (٦) إذ قال ﴿ فتثير سحاباً ﴾ استحضار (٧) لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة ، من إثارة السحاب مستخرآ بين السماء والأرض ،

(١) آية ٧٩ سورة البقرة ، إذ لم يقل « مما كسبوا » كما قال « مما كتبت أيديهم » لأن كسبهم يتجدد ، بخلاف ما كتبه .

(٢) آية ١٢ سورة السجدة (٣) آية ٣١ سورة سبأ

(٤) آية ٢ سورة الحجر ؛ لأن الفعل الواقع بعد « رب » المكفوفة يجب أن يكون ماضياً عند ابن السراج وأبي علي ، والجمهور لا يوجبون ذلك .

(٥) الحق أن هذا لما يكون في حكاية الحال الماضية ، كما في قوله تعالى : ﴿ ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ﴾ آية ١٨ سورة الكهف ولم يثبت في كلامهم حكاية الحال المستقبلة كما هنا ، وقيل : إن ما هنا من حكاية الحال الماضية بعد تنزيل المضارع منزلة الماضي ، وهو تكلف ظاهر .

(٦) آية ٩ سورة طاهر .

(٧) هذا من استحضار الحال الماضية ، فلا يضحج قياس ما سبق عليه .

يبدو في الأول كأنها قطع قطن مندوف ، ثم تتضام متقابلة بين أطوار حتى يعدن
رُكاما . وكقول تأبط شرأ (١) :

ألا من مبلخ فتیان فهم بما لافيت عند رحا بطان (٢)
بأنى قد لقيت الغول تهوى بسهب كالصحنه صحنه (٣)
فقلت لها كلانا نضو أرض آخر سفر نظى لى مكاني (٤)
فشدت شدة فحوى فأهوت لها كفى بمصقول يمانى
فأضربها بلا دهش فخرت صرعا لليدين والجران (٥)
إذ قال د فأضربها ، ليصور لقومه الحالة التي تشجع فيها على ضرب الغول
كأنه يصرهم ليأها ، ويتطلب منهم مشاهدتها ، تهيجها من جرأة على كل هول ،
وثباته عند كل شدة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم
خلقته من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ (٦) إذ قال ﴿ كن فيكون ﴾ دون
« كن فكان » وكذا قوله تعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه
الطير أو تهوى به الرياح في مكان مستحق ﴾ (٧) .

(١) هذا لقب غلب عليه ، واسمه ثابت بن جابر بن سفيان ، وقيل : إن
الأميات لأبي الغول الطهوى .
(٢) فهم : قبيلة تأبط شرأ ، ورعا بطان : موضع .
(٣) قوله د تهوى ، بمعنى تسرع ، والسهب القلاة ، والصحنه صحنه ما استوى
من الأرض .

(٤) النضو : الممزول من كل شيء ، فعل بمعنى مفعول ، كأنه نضى وأخرج
عن لحمه من جذبها .

(٥) صريعاً فصيل بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث ، والجران في
الأصل مقدم عنق الهمير من مذبحه إلى منحوره .

(٦) آية ٥٩ سورة آل عمران (٧) آية ٣١ سورة الحج

تمرينات

على أفراد المسند واسميته وفعليته وتقييده وترك تقييده

تمرين ١ -

١ - بين الداعى إلى فعلية المسند وظرفيته في قوله تعالى : ﴿ يَحْسَبُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُلَاقِيهِ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ آية ٣٩ سورة الرعد .

٢ - لم أتى المتنبي بالمسند فعلا ثم ظرفاً في قوله :

متدبر شرقاً والأرض والغرب كفه وليس لها يوماً من الجود شاغل

تمرين ٢ -

سلام على القبر الذى لا يحيط بنا ونحن نحيطي ترابه ونخطابه

٢ - بين ما يستفاد من اسمية المسند وفعليته في قول الشاعر :

يموتى الثناء مبرز ومقصّر محب الثناء طبيعة الإنسان

تمرين ٣ -

١ - افرق بين الدوام الذى تقيده اسمية المسند بمعونة القرائن، والدوام الذى تقيده فعليته بمعونة القرائن .

٢ - أيهما أحسن في تقدير متعاق الظرف والجار والمجرور؟ وهل يدخل هذا في البلاغة أو لا يدخل؟

تمرين ٤ -

١ - لم يحرك بأن في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سَحَابٌ مُمْسِكٌ ﴾ آية ٢ سورة القمر .

٢ - لم مبرر بإذا في قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾ آية ١ ، ٢ ، ٣ سورة النصر .

أعراض التنكير

وأما تنكيره : فإما لإرادة عدم المحصر والمعهود (١) كقولك ذنيد كاتب، وعمر شاعر ، ، ولما للتنبية على ارتفاع شأنه أو انخفاضه على ما سر في المسند إليه ، كقولهم (٢) تعالى : (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) أي هدى لا يُمكنُفته كدهه (٣) .

أعراض التخصيص بالإضافة والوصف وترك : وأما تخصيصه بالإضافة أو الوصف فلتسكون الفائدة أتم كما مر (٤) ، وأما ترك تخصيصه بهما فظاهر بما سبق (٥)

(١) لأن تعريف المسند إذا كان بأداة عهدية أو بضمير أو اسم إشارة أفاد العهد ، وإذا كان بأداة جنسية أو بموصول أفاد الاستغراق المستلزم للمحصر ، وقد يفيد في هذا غير المحصر كما سيأتي .

(٢) آية ٢ سورة البقرة .

(٣) فالتنكير في ذلك للمعظم ، ومن التنكير التحقير قول قيس بن جريرة يخاطب عمرو بن هند :

غدرت بأمر كُنيت أنت دعوتنا إليه وبئس الشَّيْعةُ الغدرُ بالمعهد
وقد يترك الغدر الفق ، وطعامه إذا هو أمسى ، حليلة من دم الفصد

(٤) من أن زيادة المحصر توجب تمام الفائدة ، وإنما ذكر الإضافة هنا مع الوصف لاتحادهما معه في ذلك الغرض ، وقد ذكر السعد أن جعل معمولات المسند كالحال ونحوه من التقييد وجعل الإضافة والوصف من التخصيص إنما هو مجرد اصطلاح ؛ لأنه لا فرق بينهما في ذلك ، ولا يخفى أن أعراض الإضافة والوصف في المسند إليه تأتي هنا أيضاً . ومن التخصيص بالإضافة قول الشاعر :

حميَ الحديد عليهم فكأنه ومهتان برق أو شعاع شمس

ومن التخصيص بالوصف قول الشاعر :

وكنت امرأ لا أسمعُ الدهر سجة أسب بها إلا كشفت عظامها

(٥) أي في ترك تقييد المسند من أنه يكون لما نفع من تربية الفائدة ، وذلك

غرض التعريف : وأما تعريفه (١) فإفادة السامع إمتا حكماً على أمر معلوم له بطريق من طرق التعريف بأمر آخر معلوم له كذلك (٢) . وإمتا لازم حكم بين أمرين كذلك (٣) . تفسير هذا أنه قد يكون للشيء صفتان من صفات التعريف ويكون السامع عالماً باقتضاه بإحدهما دون الأخرى (٤) . فإذا أردت أن تخبره بأنه متصف بالآخرى فعمد إلى اللفظ الدال على الأولى وتجهله مبتدأ ، وعمد إلى اللفظ الدال على الثانية وتجهله خبراً ، فتفيد السامع ما كان يجمله من اقتضاه بالثانية كما إذا كان السامع أخ يسمى زيد وهو يعرفه بعينه واسمه ، واسكن لا يعرف أنه أخوه ، وأردت أن تعرفه أنه أخوه ، فتقول له زيد أخوك ، سواء عرف أن له أخاً ولم يعرف أن زيداً أخوه أو لم يعرف أن له أخاً أصلاً (٥) ، وإن عرف أن له أخاً

== كقصد الإخفاء عن السامعين ونحو ذلك .

(١) أخوه هنا عن الكلام على التفسير وذكر بينهما للتخصيص بالإضافة والوصف ، ولا يخفى أن أغراض الإضافة من أغراض التعريف ، وأن أغراض الوصف من أغراض التوابع ، وما كان أحسن لو رتب الكلام هنا كما رتبه في باب المسند إليه .

(٢) لا يقال : لأنه يلزم من علم السامع بكل منهما أن يكون هذا إخباراً بمعلوم له ، لأن المراد أنه يعلم كلا منهما ويجهل إسناد أحدهما إلى الآخر ، وإنما جعل الحكم في ذلك على أمر معلوم لوجوب تعريف المسند إليه عند تعريف المسند ، ولهذا حكم بالقلب في قول القاطمى السابق - ولا يك موقف منك الوداع .

(٣) لازم الحكم هو ما سماه في باب الإسناد الخبرى لازم فائدة الخبر ، كأن تقول لمن مدحك أمس في غيبتك : أنت المادح لى أمس .

(٤) هذا لا يمنع عليه بالآخرى في ذاتها كما سبق .

(٥) هذا يتأني ما سبق له من وجوب أن يعرف السامع كلاماً من المسند إليه والمسند بإحدى طرق التعريف ، لأن هذا يلزمه أن يعرف أن له أخاً في الجملة ، فإذا لم يعرف ذلك قيل له زيد أخ منك ، بالتشكيك .

الجملة (١) وأن متعينه عدده قلت د أخوك زيد ، ، أما إذا لم يعرف أن له أخاً أصلاً فلا يقال ذلك ؛ لا متناج الحكم بالمتعين على من لا يعرفه المخاطب أصلاً ، فظهر الفرق بين قولنا د زيد أخوك ، وقولنا أخوك زيد .

وكذا إذا عرف السامع إنساناً يسمى زيداً بعينه واسمه ، وعرف أنه كان من إنسان انطلق ، ولم يعرف أنه كان من زيد أو غيره ، فأردت أن تعرفه أن زيداً هو ذلك المنطلق (٢) فتقول « زيد المنطلق » ، وإن أردت أن تعرفه أن ذلك المنطلق هو زيد قلت : « المنطلق زيد » (٣) .

وكذا إذا عرف السامع إنساناً يسمى زيداً بعينه واسمه ، وهو يعرف معنى جنس المنطلق ، وأردت أن تعرفه أن زيداً متصف به ، فتقول « زيد المنطلق » ، وإن أردت أن تعين عنده جنس المنطلق قلت د المنطلق زيد ، .

لا يقال : « زيد » دال على الذات فهو متعين للابتداء ، تقدم أم تأخر ، والمنطلق دال على أمر نسبي فهو متعين للخبرية ، تقدم أو تأخر ، لأننا نقول : المنطلق لا يعمل مبتدأ إلا بمعنى الشخص الذي له الانطلاق ، وإنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون خبراً . وزيد لا يعمل خبراً إلا بمعنى صاحب اسم زيد ، وإنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون مبتدأ .

(١) أى وكان يعرف زيداً بعينه واسمه .

(٢) على هذا تكون د الـ ، فى المنطلق للعمد الذهني ، أما فيما بعده فهي فية للجنس كما صرح به : ،

(٣) ضابط هذا أن ما يعرف السامع انصاف الذات به فتعنيما يجب تقديره وجعله مسنداً إليه ، وقد اختلف النحويون في إعراب ذلك على أربعة مذاهب : فقيل وهو المشهور : إن الأول هو المبتدأ ، وقيل : إن المبتدأ أعرفهما ، وقيل : إن المبتدأ أخر المعلوم عند السامع منهما ، وقيل : إن كلا منهما يجوز أن يكون مبتدأ وخبراً

ثم لتعريف بلام الجنس (١) قد لا يفيد قصر المعرف على ما حكم عليه به
كقول الخنساء :

إذا قبَّحَ البكاء على قتيلٍ رأيتُ بكاءك الحسنَ الجيلاً (٢)
وقد يفيد قصره (٣) إما تحقيقاً ، كقولك « زيد الأمير » ، إذا لم يكن أمير سواه ،
ولما مبالغة السكّال معناه في المصنوع عليه (٤) كقولك « عمرو الشجاع » ، أى السكّال
في الشجاعة ، فتخرج الكلام في صورة قوم أن الشجاعة لم توجد إلا فيه ، لعدم
الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة السكّال .

(١) أى في المسند ، لأن الكلام فيه . وإن كان التعريف بلام الجنس في المسند
إليه يفيد القصر أيضاً كما سيأتى .

(٢) هو لتماضر بنت عمرو المعروفة بالخنساء ، وثريد بقولها « على قتيل ،
كل قتيل بقرينة المقام ، لأن النكرة في سياق الإثبات لا تعم في أصل الوضع ، ولأن
أدى أنه لا حاجة إلى هذا العموم ، ويكفى أن يراد « إذا قبَّحَ البكاء على أى قتيل ،
وإنما لم يشد تعريف « الحسن » القصر لأن كلامها للرد على من يتوهم قبَّحَ البكاء
على قتيلها كغيره ، والرد عليه يكفى فيه لإخراج البكاء على قتيلها من القبَّحَ إلى
الحسن ، وإنما يصح القصر إذا كان الكلام للرد على من يسلم حسن البكاء على
قتيلها ، ولكفه يدعى أن بكاء غيره حسن أيضاً ، وهذا لا يلائمه أول البيت ،
وفائدة تعريف « الحسن » ادعاء أنه معلوم لا ينكره أحد ، لأن « الك » الجنسية
تفيد هذا كما سبق .

(٣) أى قصره على المسند إليه .

(٤) فالأول قصر تحقيقى والثانى ادعائى ، وتعريف المسند إليه بلام الجنس
يفيد القصر كما سبق ، واسكنه يفيد قصر المسند إليه على المسند ، كقولك « الأمير
زيد » ، والشجاع عمرو وتعريف المسند بالمسند بالعكس كما سبق ، ولهذا لا يتفاوت
المعنى فيهما من جهة القصر .

ثم المقصور قد يكون نفس الجنس مطلقا ، أى من غير اعتبار تقييده بشئ
كأمر ، وقد يكون الجنس باعتباره تقييده بظرف أو غيره ، كقولك « هو الوفاء »
حين لا تظن نفس بنفس خيرا ، فإن المقصور هو الوفاء في هذا الوقت لا الوفاء
مطلقا . وكقول الأعشى :

هو الواهبُ المائة المصطفَى
إما مخاضاً وإما عشاراً (١)

فإنه قصر هبة المائة من الإبل في إحدى الحالتين ، لا هبتها مطلقا ، ولا الهبة
مطلقا . وهذه الوجوه الثلاثة ، أحق العهد والجنس للقصر تحقيقا والجنس للقصر
مبالغة ، تمنع جواز العطف بالقاء ومحوها (٢) على ما حكم عليه بالمعروف بخلاف
المستكثر ، فلا يقال « زيد المنطلق وعمره » ولا « زيد الأمير وعمره » ولا زيد
الشجاع وعمره .

أعراض كون المسند جملة : وأما كونه جملة (٣) فإما لإرادة تقوى الحكم
بنفس التركيب كاسبق (٤) وإما لكونه سببيا ، وقد تقدم بيان ذلك (٥) ، وفعليتها لإفادة

(١) هو لميمون بن قيس المعروف بالأعشى في مدح قيس بن معد يكرب أبي
الأشعث الكندي ، والمخاض : الحوامل من النوق اسم جمع ، والعشار : جمع عشار وهى
من النوق كالتفساء من النساء ، أو التى هضى لثملها عشرة أشهر .

(٢) أى عما يفيد الجمع من حروف العطف كالواو وثم ، وإنما امتنع العطف بذلك
لأنه يناقى القصر .

(٣) هذا يقابل قوله فيما سبق « وأما أفراد » وقد وسط بينهما الأحوال
السابقة لدخولها في حال الأفراد .

(٤) أى في الكلام على الخبر النعلى في تقديم المسند إليه ، نحو « هو يعطى الجزيل »
(٥) أى بيان كونه سببيا عند قوله « وأما أفراد » وقيل : إن كل ما خبره جملة
يفيد التقوى ولو كانت اسمية ، وعلى هذا تكون الجملة السببية مفيدة للتقوى أيضا ،
فيفيد قولك « زيد أبوه » مطلق ، تقوى الحكم بخلاف « أبو زيد منطلق » ولا يرد =

المتجدد (١) ، واسميتها لإفادة الثبوت ، فإن من شأن الفعلية أن تدل على التجدد ، ومن شأن الاسمية أن تدل على الثبوت ، وعليها قول رب العزة : ﴿ وَإِذَا قُلُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا سَلَامًا ، قَالَ سَلَامٌ ﴾ (٣) إذ أصل الأول : نسلم عليكم سلاماً وتقدير الثاني : سلام عليكم ، كأن إبراهيم عليه السلام قصد أن يحبيهم بأحسن ما حيوه به (٤) أخذاً بأدب الله تعالى في قوله (٥) تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا ﴾ وقد ذكر له وجه آخر فيه دقة غير أنه بأصول الفلاسفة أشبه ، وهو أن التسليم دعاء للمسلم عليه بالسلامة من كل نقص ، ولهذا أطلق ، وكال الملائكة لا يتصور فيه التجدد لأن حصوله بالفعل مقارن لوجودهم ، فماسب أن يحبيوا بما يدل على الثبوت دون التجدد ، وكال الإنسان متجدد لأنه بالقوة ومخروجه إلى الفعل بالتدرج ،

= على المحصر في الغرضين أن خبر ضمير الشأن جملة وليس للتقوى ولا للسببية ، لأن جملة الخبر عن ضمير الشأن في حكم المفرد لتفسيرها له ، وقيل : إنها تفيد التقوى لما فيها من البيان بعد الإبهام .

(١) الضمير في قوله : وفعليتها ، يعود إلى الجملة الواقعة مسنداً ، فليس في هذا تكرار مع ما سبق ، لأنه كان في الفعل الواقع مسنداً ، وهو لا مفرد جملة ، وفي هذا إشارة إلى أن الجملة الاسمية إذا كان خبرها فعلياً تفيد التجدد .

(٢) آية ١٤ سورة البقرة ويريد بهذا وما بعده الاستشهاد على إفادة الفعلية للتجدد والاسمية الثبوت بقطع النظر عن أصل الموضوع ، لأن أصله فيهما إذا كانا مسندين ، وهما فيما ذكره من الشواهد ليس كذلك ، والشاهد في قوله (آمنّا) وقوله (إنّا معكم) .

(٣) آية ٦٩ سورة هود .

(٤) لأن الجملة الاسمية في ذلك تفيد الثبوت والدوام بخلاف الفعلية .

(٥) آية ٨٦ سورة النساء .

فناسب أن يُحييا بما يدل على التجدد دون الثبوت ، وفيه نظر (١) وقوله تعالى :
 (سواء عليكم أذعنتموه أم أنتم صامتون) (٢) أى أحدثتم دعاءهم أم
 استعصمتمكم عنه ؟ فإنه كانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعائهم ،
 فقيل : لم يفتقر الحال بين إحداثكم دعاءهم وما أنتم عليه من عادة صمتكم عن
 دعائهم . وقوله (٣) تعالى : (قالوا أجبنا بالحق أم أنت من اللاعبين) أى
 أحدثت عهدنا تعاطى الحق فيما نسمعه منك أم اللعب أى أحوال الصبا بفساد
 مستمرة عليك ؟ وأما قوله (وما هم بمؤمنين) فى جواب (آمنا بالله وباليوم
 الآخر) (٤) فلاخراج ذواتهم من جنس المؤمنين مباينة فى تكذيبهم ، ولهذا
 أطلق قوله : (مؤمنين) وأكد فيه بالباء (٥) ونحوه (يريدون أن يخرجوا من
 النار وما هم بخارجين منها) (٦) .
 وشرطيتها لما مر (٧) وظرفيتها لاحتذار الفعلية ، إذ هى مقدرة بالفعل على الأصح (٨)

(١) وجبه أن إبراهيم لم يكن يعلم وقت السلام أنهم ملائكة ، بدليل قوله : د قال
 سلام قوم متكبرون ، على أن ذلك يقتضى أن يكون رفع د سلام ، فى تحية البشر
 بعضهم لبعض غير بليغ ، ولا يقول بهذا أحد .

(٢) آية ١٩٣ سورة الأعراف .

(٣) آية ٥٥ سورة الأنبياء (٤) آية ٨ سورة البقرة

(٥) فكل هذا كان له أثره فى أنه لم يقل د ولم يؤمنوا ، مع أنه هو المطابق
 لقولهم (آمنا) . (٦) آية ٣٧ سورة المائدة

(٧) أى فى الكلام على تقييد المسند إذا كان فعلا بالشرط ، ولا تكرار فى هذا
 أيضا مع ما سبق ، لأن الكلام هنا فى شرطية الجملة الواقعة مسندا ، وفيما سبق فى
 تقييد الفعل إذا كان مسندا بالشرط .

(٨) كان الأحسن إذ الظرف ، لأن ظاهر عبارته يقتضى أن الجملة الظرفية
 مقدرة باسم الفاعل فى غير الأصح ، ولا يخفى فساده ، وقد سبق توجيه الأصح فى
 الكلام على أفراد المسند .

تمريعات على تعريف المسند وتنكيره وكونه جملة

تمرين - ١

١ - لم نكر المسند في قول الشاعر :

آراؤه وعطاياه ونعمته وعفوه رحمة للناس كلهم

٢ - لم نعرف المسند بالإضافة أولا ونكر ثانيا في قوله تعالى : (محمدٌ

رسولُ الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) آية ٢٩ سورة الفتح .

تمرين - ٢

١ - لم كان المسند جملة اسمية في قوله تعالى : (الله لا إله إلا هو الحي

القيوم) آية ٢ سورة آل عمران .

٢ - لم كان المسند جملة فعلية في قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى)

آية ٥ سورة طه .

تمرين - ٣

١ - لم نكر المسند في قول الشاعر :

لئن صدفت ههنا فرببت أنفوس صواد إلى تلك النفوس الصرادف

ولم جاءت الجملة الأولى فيه فعلية والجملة الثانية اسمية ؟

٢ - بين الغرض من تعريف المسند بأل في قول الشاعر :

ولئن سنام المجده من آل هاشم بنو أم غزوم ، ووالدك العبد

تمارين — ٤

١ — لم نذكر المسند وأضيف في قوله تعالى : (ما كان محمدٌ أباً أحداً من رجالكم) ولكن رسول الله وخاتم النبيين (آية ٤٠ سورة الاحزاب .
— ولم عرف بالإضافة في المعطوف بعد تنكيره في المعطوف عليه ؟

٢ — بين المسند والمسند والمسند إليه في قوله الشاعر :

أبوكم محبابٌ سارقٌ الضَّئيفُ بُردُهُ وجدتي يا حبيبا ج فارسُ شتموا

تمارين — ٥

١ — ما هو الضابط الذي يميز بين المسند والمسند إليه في حال تعريفهما ؟
وما الفرق بين نظر علم المعاني وعلم النحو في هذه الحالة ؟

٢ — لم عرف المسند في قول الشاعر :

كلُّكم ، أنتِ الهمُّ يا كلُّمُ وأنتِ دائي الذي أحسُّكمُ
ولم نذكر في قول الآخر :

خيرُ الصنائع في الأنامِ صنيعةُ تذبو بحمامها عن الإذلالِ
وقول الآخر : —

وكنتم فتي من جند إبليس فارقتي في الحال حتى صار إبليس من جندي

أغراض التأخير والتقديم

أغراض التأخير: وأما تأخيرها فلأن ذكر المسند إليه أهم كما سبق (١).

أغراض التقديم: وأما تقديمه فيما لم تخصصه بالمسند إليه (٢) كقوله (٣) تعالى:

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ وقولك «قائم هو» لمن يقول «زيد» إما قائم أو قاعد، فيرده بين القيام والعود من غير أن يخصه بأحدهما، ومنه قولهم «تيممى أنا» وعليه قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ (٤) أى بخلاف نحو الدنيا فإنها تغتال العقول (٥)، ولهذا يقدم الظرف في قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (٦) لئلا يفيد ثبوت الريب في مآثر كذب الله تعالى (٧). وإما للتنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعم (٨) كقوله:

(١) أى فى الكلام على تقديم المسند إليه، فأغراض تأخير المسند هى ما سبق من أغراض تقديم المسند إليه.

(٢) الباء داخلة على المقصور، فيكون المسند إليه فى ذلك مقصوراً والمسند مقصوراً عليه.

(٣) آية ٦ سورة الكافرون. (٤) آية ٧ سورة الصافات.

(٥) فالمنى أن عدم الغول مقصور على السكون فى نحو الجنة، أو أن الغول مقصور على عدم الحصول فيها، وهذا على ما قيل من اعتبار النفى فى بنائب المسند أو المسند إليه.

(٦) آية ٢ سورة البقرة.

(٧) لأنها المعتبرة فى مقابلة القرآن، والقصر لئلا يكون باعتبار الظاهر الذى يتوهم فيه المشاركة، والمراد أن التقديم يوم ذلك باعتبار الغالب، لأنه قد يكون الاتهام لا للتخصيص، ومن تقديم المسند للتخصيص قول الشاعر:

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللأعداء مال
وقول الآخر:

لك القلم الأعلى الذى بشباته يصاب من الأمر السكى والمفاصل
(٨) لأن النعم لا يتقدم على المنعوت بخلاف الخبر على المجتدا.

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر (١)
وقوله تعالى : (ولَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) (٢) .
إما للتفاؤل (٣) .

وإما للتشويق إلى ذكر المجد إليه ، كقوله :
ثلاثة تشرق الدنيا بهمجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر (٤)
وقوله :
وكلنار الحياة فن رماذٍ أواخرها وأولها دخان (٥)

(١) هو ليكر بن النطاح في مدح أبي دلف العجلي وقيل : إنه لحسان بن ثابت
في مدح النبي ﷺ ، والشاهد في قوله له همم ، لأنه لو عكس لأوهم أن الجار والجرور
صفة والجملة بعده هي الخبر ، مع أن الكلام مسوق لمدحه لا لمدح هممه ، ويصح أن
يكون التقديم لإفادة التخصيص ، وهو أبلغ .

(٢) آية ٢٤ سورة الأعراف .

(٣) كقول ابن الرومي :

سَمِعْتُ اللَّهَ طَلْعَةَ الْمَرْجَانِ كُلُّ يَمِينٍ عَلَى الْأَمِيرِ الْمُهَاجِنِ
وقول الآخر :

سعدت بغرة وجهك الأيام وتزينت ببقائك الأهوام

(٤) هو لمحمد بن وهيب في مدح أبي إسحاق المعتصم ، وإنما لم يجعل ثلاثة
مبتدأ وشمس الضحى وما عطف عليه خبر ، لأنه لا يخبر بمعرفة عن نكرة .

(٥) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبي العلاء المعري ، يعني أن أول الحياة
وأخرها وهو الصبا والشيب ، وليس بشيء ، وأن وسطها وهو الشباب هو
المعتد به وقد شبهها في ذلك بالنار في أسوأها الثلاث :

قال السكاكي رحمه الله (١) : وحق هذا الاعتبار تطويل الكلام في المسند (٢)
والألم يحسن ذلك الحسن .

تنبیه

كثير (٣) بما في هذا الباب والذي قبله غير مختص بالمسند إليه والمسند ، كالذكر
والحذف وغيرهما مما تقدمت أمثله ، والفطين إذا اتقن اعتبار ذلك فيما لا يخفى
عليه في غيرهما (٤) .

(١) ١١٩ — المفتاح .

(٢) كما في بيت ابن وهيب ، وكما في قوله تعالى : ﴿ لَمَّا فِي سَخَابِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَاتِ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ آية ١٩٠ سورة
آل عمران . وقد يكون تقديم المسند لجرد الاهتمام ، كقول الشاعر :

سلامُ الله يا مطرنا عليها وليس عليك يا مطرُ السلامِ

وقد يكون لإظهار التألم ، كقول المتنبي :

ومن نسك الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته مُبدٍ

(٣) أما القليل منه فيختص بالباين ، كضمير الفصل وكون المسند فعلاً ،
والذي لا يختص بهما لا يلزم أن يجري في كل ما عداهما ، كالتعريف ، فإنه لا يجري
في الحال والتعيين .

(٤) أي من المفردات ونحوها ، وسيأتي بيان شيء من هذا في أحوال متعلقات الفعل

تمارين على التقديم والتأخير وغيرهما

تمرين — ١

١ — لماذا قدم المسند في قولهم : « ثلاثة يذهبن الغم والحزن : الماء والحضرة والوجه الحسن » .

٢ — لماذا عبر بإن دون « إذا » في قول الشاعر :
إن دام هذا ولم تحدث له غيرته لم يبيك ميت ولم يفرح بمولود

تمرين — ٢

١ — هل تأخير المسند للتخصيص أو لتقوية الحكم في قول الشاعر :
ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم
٢ — لماذا قدم المسند في قول الشاعر :
ثلاثة ليس لها إياب الوقت والجمال والشباب

تمرين — ٣

هل تقديم المسند للتخصيص أو لجرد الاهتمام في قول الشاعر :
وليس بمعن في المودة شافع إذا لم يكن بين الضلوع شفيح
٢ — لماذا قدم المسند في قوله تعالى : « ولم يكن له كفوا أحد » آية ٤ سورة الإخلاص .

تمرين — ٤

١ — هل تقديم المسند للتخصيص أو لجرد الاهتمام في قوله تعالى : « وإن كذبتك فقل لي عملي ولحكم عمليكم » آية ١٤ سورة يونس .
٢ — لماذا قدم المسند في قول الشاعر :
إذا نطق السفه فلا تجبه بغير من إجابته السكوت

تمرين — ٥

١ — لماذا عبر بإذا دون « إن » في قوله تعالى : « وإذا المؤودة سُئلت ، بأى ذنب قتلت » آية ٨ و ٩ سورة التكاوير .
٢ — كيف صحت التلمية في قوله ﷺ : « اللهم أعز الإسلام بأحبّ العمرين إليك » مع أنها تلمية عمر وعمره ؟ ولماذا أوثرت تلمية الأول على الثاني ؟

القول في أحوال متعلقات الفعل^(١)

حال الفعل مع المفعول والفاعل : حال الفعل مع المفعول كحالهما مع الفاعل (٢) فكما أنك إذا أسندت الفعل إلى الفاعل كان غرضك أن تفيد وقوعه منه ، لا أن تفيد وجوده في نفسه فقط ، كذلك إذا عديته إلى المفعول كان غرضك أن تفيد وقوعه عليه ، لا أن تفيد وجوده في نفسه فقط ، فقد اجتمع الفاعل والمفعول في أن عمل الفعل فيهما إنما كان ليعلم التباسه بهما ، فعمل الرفع في الفاعل ليعلم التباسه به من جهة وقوعه منه ، والنصب في المفعول ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه . أما إذا أريد الاختيار بوقوعه في نفسه من غير إرادة أن يعلم بمن وقع في نفسه (٣) أو على من وقع ، فالعبارة عنه أن يقال : كان ضرباً أو وقع أو وجد ، أو نحو ذلك ، من الفاظ تفيد الوجود المجردة .

أغراض حذف المفعول به : وإذا تقرر هذا فنقول :

الفعل المتعدي إذا أسند إلى فاعله ولم يُذكر له مفعول فهو على ضربين :
 الأول أن يكون الغرض لإثبات المعنى في نفسه للفاعل على الإطلاق أو نفوه عنه كذلك ، وقولنا د على الإطلاق ، من غير اعتبار عمومته وخصوصته .

- (١) يلحق بالفعل ما في معناه كاسم الفاعل واسم المفعول ونحوهما .
- (٢) يريد بهذا أن يعمد للكلام على المفعول به . وقد ذكر في هذا الباب ثلاثة أحوال لمتعلقات الفعل : أولها حذف المفعول به ، ومثله في ذلك باقي المتعلقات من المفعولات والجمال والتمييز وغيرها . وثانيها تقديم المفعول ونحوه من المتعلقات على الفعل . وثالثها تقديم بعض معمولات الفعل على بعض . وقد ترك الكلام على غير هذه الأحوال الثلاثة اكتفاء بما ذكره في التنبيه الواقع في آخر القول في أحوال المسند ، فقد ذكر فيه أن أمرها يجري في غير المسند إليه والمسند كما يجري فيهما .
- (٣) لا داعي إلى لفظ د في نفسه ، هنا ، ولهذا حذفها السعد في شرحه على التلخيص .

ولاً اعتبار تعلقه بمن وقع عليه ، فيكون المتعدي حيثئذ بمنزلة اللازم ، فلا يذكر له مفعول ، لثلاثتهم السامع أن الغرض الإخبار به باعتبار تعلقه بالمفعول (١) ، ولا يتقدر أيضاً لأن المقدّر في حكم المذكور (٢) .

وهذا الضرب قسمان (٣) لأنه إما أن يجعل الفعل مطلقاً كناية (٤) عن الفعل متعلقاً بمفعول مخصوص دلت عليه قرينة ، أو لا (٥) .

الثاني (٦) كقوله تعالى (٧) : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي من يحدث له معنى العلم ومن لا يحدث . قال السكاكي (٨) : ثم إذا كان المقام خطابياً لا استدلالياً (٩) أفاد العموم في

(١) مع أنه في هذا الضرب يقصد إثباته في نفسه من غير اعتبار تعلقه بمفعول ، ولكل منهما مقام خاص به ، فإذا قيل : فلان يعطى : كان هذا لمن يجعل إعطاءه ، وإذا قيل : فلان يعطى الدنانير ، كان هذا لمن يعلم إعطاءه ، ويجعل أنه يعطى الدنانير .

(٢) قيل إنه في هذه الجملة لا يسمى المفعول محذوفاً ، ولكن هذه نظرية نحوية ، أما هنا فيحذف محذوفاً ويبحث عن نسكته ، بدليل أنه لا يبحث عن مثل هذا في اللازم . (٣) جوى عبد القاهر على حصر هذا الضرب في القسم الثاني ، وجعل القسم الأول من الضرب الثاني الآتي ، لأن له عنده مفعولاً مقصوداً محذوفاً لدلالة الحال ونحوه عليه ، ولا يؤثر في ذلك محاولة المتكلم أن ينسبه نفسه لغرض من الأغراض الآتية ، فلا يرى غمض القاهر فيه من الكناية ما يراه الخطيب ، كما يأتي .

(٤) الكناية في هذا من باب إطلاق الملزوم وإرادة اللازم على سبيل الادعاء لأن المقيد لا يكون لازماً للبطلان إلا على هذا التقدير . (٥) يعني أو لا يجعل كذلك .

(٦) أي من الضرب الأول ، وهو الذي لا يجعل الفعل فيه مطلقاً ، كناية عن الفعل ، متعلقاً بمفعول مخصوص . (٧) آية ٩ سورة الزمر .

(٨) ١١٦ و ١٢٣ — المفتاح . (٩) المقام الخطابي هو الذي يستغنى بالظن كالمديح والفخر ونحوهما ، والاستدلال هو الذي يطلب فيه اليقين .

أفراد الفعل بعلة إيهام أن القصد إلى فرد دون فرد آخر مع تحقق الحقيقة فيها
تتكمّل ، ثم جعل قولهم في المبالغة ، فلا يعطى وينفع ، ويصل ويقطع ، محتملا
لذلك (١) ، ولتعميم المفعول كما سيأتى (٢) .

وعده الشيخ عبد القاهر (٣) مما يفيد أصل المعنى على الإطلاق من غير إشعار
بشيء من ذلك (٤) .

والأول (٥) كقول البهتري يمدح المعتز ويعرض بالمستعدين بالله :

شجوة حساده وغيط عداه أن يرى مبصر ويسمع واعى (٦)

أى أن يكون ذا رؤية وذاسمع ، يقول : محاسن الممدوح وآثاره لم تخف
على من له بصر لكثرة واشتارهما ، ويكفى في معرفة أنها سبب لاستحقاقه
الإمامة دون غيره أن يقع عليها بصر ويعيها سمع ، اظهور دلالتها على ذلك اسكل
أحد ، فحساده وأعداؤه يتمنون ألا يكون في الدنيا من له عين يبصر بها وأذن يسمع بها
كى يخفى استحقاقه الإمامة فيجدوا بذلك سبيلا إلى منازعته إياها فجعل كما ترى مطلق
الرؤية كناية عن رؤية محاسنه وآثاره ، ومطلق السماع كناية عن سماع أخباره (٧)

(١) أى لتعميم أفراد الفعل ، فيكون المعنى يفعل كل إعطاء وكل منفع وكل صلة
وكل قطع . (٢) فى قوله تعالى : ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾ آية ٢٥
سورة يونس من الضرب الثانى أى كل أحد ، فيكون المعنى عليه فى ذلك يعطى كل
أحد ... إلخ . (٣) ١٠١ و ١٠٢ — دلائل الإعجاز .

(٤) أى من شمول أفراد الفعل أو المفعول ، وهذا هو المختار ، لأن المفهوم
فيما بين الناس ، وما ذكره السكاكى تكلف لا وجه له . (٥) أى من الضرب
الأول وهو الذى يجعل الفعل فيه مطلقا ، كناية عن الفعل ، متعلقا بمفعول مخصوص .
(٦) هو الوليد بن عبيد المعروف بالبهتري ، والشجوة الحزن ، وهو مصدر بمعنى
اسم الفاعل ليصح حمل الخبر عليه ،

(٧) هذا بادعاء الملازمة بينهما كما سبق ، وفائدة ذلك الإشارة إلى شهرة

وكقول عمرو بن سعد يكرب :

فلو أن قومي أظقتني رماحهم
لأن غرضه أن يثبت أنه كان من الرماح لإجرام وحبيس للألسن عن النطق
بمدحهم والافتخار بهم حتى يلزم منه بطريق الكناية مطلوبه وهو أنها أجزته (٢) .
وكقول طفيل الغنوي لبني جعفر بن كلاب :

جزى الله عنا جعفر آحين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فولت
أبوا أن يملشونا ولو أن أمنا تلاقى الذي لا قوه منا لملت
ثم خلطونا بالنفوس وأجفوا إلى حجرات أدفأت وأظلت (٣)
فإن الأصل د لملتنا وأدفأتنا ، إلا أنه حذف المفعول من هذه
المواضع ليدل على مطاوعة بطريق الكناية (٤) فإن قلت لاشك أن قوله د أظلتنا ،

عاشته مبالغة في مدحه ، ومثل هذا يفوت بالتصريح بالمفعول وترك الكناية
بذلك عنه ، وعلى مذهب عبد القاهر في هذا القسم لا يكون في البيت كناية ، وإنما
يكون قصده من أول الأمر أن يرى مبصر بحاشته ، ولكنه حذفها ادعاء لشهرتها
وأن رؤية البصر لا تقع إلا عليها ، وهو معنى حسن أيضا .

(١) قوله د أجزت ، من الإجراء ، وهو في الأصل شق لسان التفصيل لثلا
موضع ، والمراد أنها حبست لسانه عن مدحهم ، على سبيل الاستعارة ، وإنما حبست
لسانه عن مدحهم لأنها لم تجل في الحرب بلاء حسنا .

(٢) قال عبد القاهر في بيان معناه على مذهبه : إنه يقصد أجزتني ، ولكنه حذف
المفعول لتتوافر العناية على إثبات الفعل للفاعل ، ويوهم أن إجرامها كان عاملا له ولغيره .
(٣) هي لطيف بن عوف الغنوي يمدح بني جعفر ، وقوله د أزلقت ، بمعنى زلت
ولم أقبض ، وعلى هذا يتحدد معناه ومعنى قوله : فزلت ، ويجوز أن يكون المراد ذلق
ما تحبها ، فيتنفيران ، وكلاهما كناية عن سوء حالهم .

(٤) جعل عبد القاهر حذف المفعول في ذلك لتتوافر الغاية على إثبات الفعل للفاعل

— أصله ألجئونا فلأى معنى حذف المفعول منه ؟ قلت : الظاهر أن حذفه مجرد الاختصار ؛ لأن حكمه حكم ما عطف عليه ، وهو قوله دخلطونا (١) .

الضرب الثاني (٢) أن يكون الغرض إفادة تعلقه بمفعول ، فيجب تقديره بحسب القوائين (٣) .

ثم حذفه من اللفظ : إما للبيان بعد الإيهام ، كما في فعل المشيئة إذا لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة (٤) كقوله : لو شئتُ جئتُ ، أو لم أجيء . أى لو شئتُ المجيء أو عدم المجيء ، فإنك متى قلتُ لو شئتُ ، علم السامع أنك علقته المشيئة بشيء ، فيقع في نفسه أن هنا شيئاً تعلقتُ به مشيئتك بأن يكون أو لا يكون ، فإذا قلتُ جئتُ أو لم أجيء ، عرف ذلك الغنى ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَاكُونُوا لَهُمْ عَمَلًا كَمَا كُنْتُمْ أَجْمِينَ ﴾ (٥) وقوله تعالى : ﴿ فَتَأْنِيْشُ اللّٰهُ يَخْتَرُ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴾ (٦) وقوله تعالى : ﴿ مَنْ يَشَأْ يَصْغُرْ ﴾ (٧) وقول طرفة :
فإن شئتُ لم ترقل ، وإن شئتُ أرقلتُ غنافة ملوى من القيد محمد (٨)
وقول البحتري :

(١) جعله عبد الفاهر مثل الحذف في دوافأت وأظلت . وما ذهب إليه الخطيب أقوى وأدق . (٢) أى من الفعل المتعدي الذى لم يذكر له مفعول . (٣) يشير بهذا إلى أن حذف المفعول لا بد فيه من قرينة تدل عليه . (٤) مثله فعل الإرادة والمحبة ونحوهما ، نحو : لو أحب لأعطاكم ، ولا يلزم أن يكون شرطاً كما ذكر في هذه الأمثلة ، ومن محبته غير شرط قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ آية ٢٥٥ سورة البقرة ، ولكن الظاهر أن الحذف في الآية ليس للبيان بعد الإيهام .

(٥) آية ١٤٩ سورة الأنعام . (٦) آية ٢٤ سورة الشورى .

(٧) آية ٣٩ سورة الأنعام .

(٨) هو عمرو بن العبد المعروف بطرفة ، وقوله : لم ترقل ، بمعنى لم تسرع ، والضمير لتأنيته ، والملوى : السوط المفتول ، والقيد : الجلد المشقوق ، والمحصد : المفتول المحكم .

لو شئت - عدت - بلاد نجد عودة - فقلت - بين عقيقه وزروده (١)
وقوله :

لو شئت - لم تفسد سماحة - حاتم - كرمأ ولم تـمـدم مأثر خالد (٢)
فإن كان في تعلق الفعل به غرابة ذكرت المفعول لتقرره في نفس السامع
وتؤنسه به ، يقول الرجل يخبر عن هذه : لو شئت أن أرد على الأمير ردود ،
وإن شئت أن ألقى الخليفة كل يوم لقيته ، وعليه قول الشاعر :

ولو شئت أن أبكي دماً أبكيته عليه ولكن سماحة الصبر أوسع (٣)
فأما قول أبي الحسين علي بن أحمد الجوهري أحد شعراء الصحابة ابن عباد :
فلم يبق مني للشوق غير تفكيرى فلو شئت أن أبكى بكيت تفكيراً
فليس منه ؛ لأنه لم يرد أن يقول : فلو شئت أن أبكى تفكيراً بكيت تفكيراً ،
ولكنه أراد أن يقول : أفناني النحول فلم يبق مني وفي غير خواطر تجمول ،
حتى لو شئت البكاء فريت جفوني وعصرت عيني ليسيل منها دم لم أجده ،
ولخرج منها بدل الدمع الفسكر ، فالمراد بالبكاء في الأول الحقيقي ، وفي الثاني

(١) هو الوليد بن عبيد المعروف بالبجترى ، وقوله : عدت بلاد نجد - بمعنى
عدت إليها ، وعقيق نجد وزروده موضعان به ، وخطابه للسحاب الوارد في قوله
قبل هذا البيت في مطلع القصيدة :

يا عارضاً متلفحاً ببروده يختال بين بروقه وروعده
(٢) هو للججترى أيضاً ، والمراد بحاتم : حاتم الطائي ، وبخالد : خالد بن لصبغ
القفطاني الذي نزل عليه أسرو القيس الشاعر ،

(٣) هو لآبى يعقوب إسحاق بن حسان الحريري د بالراء ، في رثاء أبي الهيثم
حاصر بن عمار الحريري كما في البيان والتبيين ونهاية الأرب ، وهو من قصيدة
له مطلعها :

قضى وطراً منك الحبيب المودع وحل الذي لا يستطاع فيدفع
والشاهد في قوله د ولو شئت أن أبكى دماً ، لأن بكاء الدم غريب .

غير الحقيقة ، فالثاني لا يصلح لأن يكون تفسيراً للأول (١) .

وإما لدفع أن يتوهم السامع في أول الأمر إرادة شيء غير المراد كقول البهتري :

وكم دُمّت عني من تحامل حادث وسورة أيام حزن إلى العظم (٢)

إذ لو قال : حزن اللحم ، لجاز أن يتوهم السامع قبيل ذكر ما بعده أن الحزن كان في بعض اللحم ولم ينته إلى العظم ، فترك ذكر اللحم ليبرىء السامع من هذا الوهم ، ويصور في نفسه من أول الأمر أن الحزن مضى في اللحم حتى لم يردّه إلا العظم (٣) .

وإما لأنه أريد ذكره ثانياً على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه إظهاراً لكمال العناية بوقوعه عليه (٤) كقول البهتري أيضاً :

قد طلبنا فلم نجد لك في السور ددر والمجد والمكارم مثلاً (٥)

أي قصد طلبنا لك مثلاً في السور والمجد والمكارم ، لحذف المثل إذ كان فرضة أن يوقع نفى الوجود على صريح لفظ المثل (٦) ولأجل هذا المعنى بعينه عكس ذو الرمة في قوله :

(١) لهذا ذكر الأول ولم يحذف (٢) هو الوليد بن عبيد المعروف بالبهتري يمدح أبا الصقر الشيباني ، وقوله دمت : بمعنى دفعت ، وكلم خبرية في موضع نصب مفعول به مقدم ، ويميزها من تحامل حادث ، وقيل : إن التقدير كم مرة ، فتسكون د من ، زائدة في الإثبات على قول بعض النحاة ، والسورة : الشدة والصولة . (٣) لاشك أنه يمكن تأدية هذا الغرض بتأخير المفعول ، بأن يقول : حزن إلى العظم اللحم ، ولكن تأخير المفعول لا يجعل لذكره فائدة .

(٤) هذه نكتة الإتيان بصريح اسم المفعول ثانياً ، وأما نكتة حذفه أولاً فهي لزوم التكرار مع ذكره ثانياً . (٥) المثل : الشبيه والظاهر ، والبيت من قصيدة له في مدح المعتز . (٦) إنما كان هذا غرضه لأنه أكد في كمال المديح ، ولو عكس فصرح أولاً وأخبر ثانياً لفات هذا الغرض ؛ لأنه قد يتوهم عود الضمير على غيره .

ولم أمدح لأرضيه بشعري لشيئاً أن يكون أصاب مالا (١)

فإنه أعمل الفعل الأول الذى هو دأمدح ، فى لفظ اللثيم ، والثانى الذى هو دأرضى ، فى ضميره ، إذ كان غرضه إيقاع نفى الممدح على اللثيم صريحاً دون الإرضاء ، ويجوز أن يكون سبب الخذف فى بيت البحتري قصد المبالغة فى التأدب مع الممدوح بترك مواجهته بالتصريح بما يدل على تجويز أن يكون له مثل ، فإن العاقل لا يطلب إلا ما يجوز وجوده (٢) .

ولما القصد إلى التعميم (٣) فى المفعول والامتناع عن أن يقصره السامع على ما يذكر معه دون غيره مع الاختصار ، كما نقول قد كان منك ما يؤلم ، أى ما الشرط فى مثله أن يؤلم كل أحد وكل إنسان (٤) ، وعليه قوله (٥) تعالى : ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾ أى يدعو كل أحد (٦) .

ولما لرعاية الفاصلة (٧) كقوله (٨) سبحانه وتعالى : ﴿ والضُّحى ﴾ ، والليل إذا سجدى ، ما ودَّعك ربك وما قلى ﴾ أى وما فلاك (٩) .

(١) هو لغيلان بن عقبة المعروف بذى الرمة يمدح بلال بن أبى بردة ، وبعده :

ولسكن السكرام لهم ثنائى فلا أجزى إلى ما قيل قالاً

والضمير فى قوله د لأرضيه ، يعود إلى لثيما ، وقوله د أن يكون ، فى تأويل مصلن ، مجرور بلام التعليل المحذوفة . (٢) يجوز أيضاً أن يكون الخذف فيه لقصد البيان بعد الإبهام . (٣) التعميم يؤخذ فى الحقيقة من قرينة المقام ، ولا يؤخذ من الخذف لوجوده مع الذكر ، ولسكن الخذف له فيه تأثير فى الجملة ، لأن تقدير مفعوله خاص فيه دون آخر ترجيح بلا مرجح ، وبهذا يحمل على العموم ، وهذا إلى ما فيه من الاختصار كما ذكره بعد . (٤) بقرينة أن المقام مقام مبالغة .

(٥) آية ٢٥ سورة يونس (٦) الآية تفيد العموم تحقيقاً ، والمثال يفيد مبالغة . (٧) لا يخفى أن هذا يقصد لمحسن بدعى فيكون مطلوباً من أجله ، ويقدر فى البلاغة بقدره (٨) آية ١ و ٢ سورة الضحى .

(٩) سيأتى أنه حذف أيضاً لصونه عن نسبة (قلى) إليه ، وهذا إلى أن ذكره

ولما لاستمجان ذكره ، كما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :

« ما رأيت منه ولا رأى منى ، (١) تعنى العورة .

ولما مجرد الاختصار ، كقولك « أصغيت إليه . . أى أذنى ، وأغضيت عليه :

أى بهى رى ومنه قوله تعالى : (أرنى أنظر إليك) (٢) أى ذاك . وقوله تعالى :

(وهذا الذى بهت الله رسولا) (٣) أى بهته . وقوله تعالى : (فلا تجعلوا لله

أنداداً وأنتم تعلمون) (٤) أى أنه لا يماثل أو ما بينه وبينها من التفاوت أو أنها

لا تفعل كفعله ، كقوله : (هل من شركائكم من يفعل من ذلکم من شيء) (٥)

ويجتمعل أن يكون المقصود نفس الفعل من غير تعميم ، أى وأنتم من أهل العلم

والمعرفة (٦) ثم ما أنتم عليه فى أمر ديانكم من جعل الأصنام لله أنداداً غاية الجمل .

وبما عد السكاكى (٧) المحذف فيه لمجرد الاختصار قوله تعالى : (ولما ورد ماء

مدین وجدته عليه أمة من الناس يسقون ، ووجد من دونهم امرأتين تذودان ،

قال ما خطبكما ؟ . . قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء ، وأبوتنا شيخ كبير .

فنسقى لهما) (٨) والاولى أن يجمل لإثبات المعنى فى نفسه للشيء على الإطلاق كما مر (٩) وهو

ظاهر قول الومشوى ، فإنه قال : ترك المفعول لأن الغرض هو الفعل لا المفعول ،

ألا ترى أنه رجمهما لأنهما كانتا على الذیاد وهم على السقى ، ولم يرجمهما لأن مذكورهما

= فى (ودعك) يعنى عن ذكره فى (قل) فلا يكون حذفه لمجرد ذلك المحسن البديعى .

(١) هو من قولها : دكنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إماء واحد ، فما

رأيت منه ولا رأى منى ، . . (٢) آية ١٤٣ سورة الأعراف .

(٣) آية ٤١ سورة الفرقان . (٤) آية ٢٤ سورة البقرة .

(٥) آية ٤٠ سورة الروم والكاف للتنظير للوجه الآخر وهو أنها لا تفعل كفعله .

(٦) فيكون من القسم الثانى من الضرب الاول . (٧) ١٣٣ — المفتاح .

(٨) آية ٢٣ سورة القصص وعمل الشاهد فيه (يسقون ، تذودان ، نسقى) .

(٩) فيكون من القسم الثانى من الضرب الاول ، وجعله عبد القاهر مما قصد

فيه إلى مفعول خاص ثم حذف لتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل .

غنم ومسقيهم إبل مثلاً ، وكذلك قولهما (لا نسقي حتى يُصدر الرعاء) المقصود
منه السقي لا المسقي .

واعلم أنه قد يشبه الحال في أمر الحذف وعدمه اعدم تحصل معنى الفعل ، كما
في قوله تعالى : (قل ادعُوا الله - أو ادعُوا الرحمن أَيْتَا مَا تَدْعُوا فله الأسماء
الحسنى) (١) فإنه يُظن أن الدعاء فيه بمعنى النداء فلا يقدر في الكلام محذوف ، وليس
بمعناه ؛ لأنه لو كان بمعناه لزم إما الإشراك أو عطف الشيء على نفسه ، لأنه إن كان
مسمى أحدهما غير مسمى الآخر لزم الأول ، وإن كان مسميها واحداً لزم الثاني ،
وكلاهما باطل ، تعالى كلام الله عز وجل عن ذلك ، فالدعاء في الآية بمعنى التسمية التي
تتبع إلى مفعولين ، أى سموه الله أو الرحمن أياً ما سموه فله الأسماء الحسنى (٢)
كما يقال ، فلان يدعى الأمير ، أى يسمى الأمير ، وكما في قراءة من قرأ : (وقالت
اليهودُ عزير ابنُ الله) (٣) بغير تنوين على القول بأن سقوط التنوين لكون الابن
صفة واقعة بين عدين ، كما في قولنا وزيد بن عمرو قائم ، فإنه قد يُظن أن فعل القول
فيه الحكاية الجملية كما هو أصله (٤) فقول : تقدير الكلام - عزير بن الله معبودنا
وهذا باطل ؛ لأن التصديق والتكذيب إنما ينصرفان إلى الإسناد لا إلى وصف ما يقع
في الكلام موصوفاً بصفة ، كما إذا حكيت عن إنسان أنه قال « زيد ابن عمرو سيده »
ثم كذبت فيه ، ولم يكن تكذيبك أن يكون زيد بن عمرو ، ولكن أن
يكون زيد سيده ، فلو كان التقدير ما ذكر لكان الإنكار واجماً إلى أنه معبودهم
وفيه تقرير أن عزيراً ابن الله ، تعالى عن ذلك ، فالقول في الآية بمعنى
المذكر (٥) لأن الغرض الدلالة على أن اليهود قد بلغوا في الرسوخ في الجهل

(١) آية ١١٠ سورة الإسراء . (٢) الحذف فيه لمجرد الاختصار .

(٣) آية ٣٠ سورة التوبة ، وهذا من باب التنظير في اشتباه الحال في أمر
الحذف وعدمه ، لأن ما هنا ليس من حذف المفعول به .

(٤) أى كما هو الأصل في القول لأن الأصل فيه أن يكون الحكاية الجملية .

(٥) أى على قراءة (ابن) بغير تنوين ، وعلى هذا لا يحتاج إلى تقدير محذوف =

والشرك إلى أنهم كانوا يذكرون عزيزاً هذا الذكر ، كما تقول في قوم تريد أن تصفهم
بالنلو في أمر صاحبهم وتعظيمه : لاني أراهم قد اعتقدوا أمراً عظيماً . فهم يقولون
أبدأ ، زيد الأمير ، تريد أنه كذلك يكون ذكرهم له إذا ذكروه .
واعلم أن لحذف التنوين من عزيز في الآية وجهين (١) :
أحدهما أن يكون لمذه من الصرف لعجمته وتعريفه كعازر (٢) .

والثاني أن يكون لانقضاء الساكنين كقراءة (٣) من قرأ : (قل هو الله أحد
الله الصمد) بحذف التنوين من (أحد) وكما حكى عن عمار بن عقول أنه قرأ : (٤)
(ولا الليل سابق النهار) بحذف التنوين من (سابق) ونصب (النهار) ف قيل له :
وما تريد ؟ . . . فقال : (سابق النهار) . فالله على هذين الوجهين كالغنى على
إثبات التنوين ، فعزير مبتدأ وابن الله خبره ، و (وقال) على أصله (٥) . والله أعلم .

== في ذلك أيكون جملة . (١) أي غير الوجه السابق وهو أن حذف تنوينه ليكون
الابن صفة واقعة بين علمين فيحذف تنوين العلم قبله . فتكون الوجوه في ذلك ثلاثة .
(٢) من يصرف عزيزاً مع عجمته وتعريفه يرى أن شفته حارضت ذلك فحذفته .
(٣) آية ١ ، ٢ سورة الإخلاص (٤) آية ٤٠ سورة يس :
(٥) من الدخول على الجملة ، ولا حاجة إلى تأويله بمعنى الذكر ، كما أول به في
الوجه السابق الذي جعل فيه الابن صفة لا خبراً .

هذا والله يكون حذف المفعول لأفراض أخرى : منها إخمافه خوفاً عليه ، ومنها
تعيينه حقيقة أو ادعاء ، ومنها صونه عن اللسان أو صون اللسان عنه . وقد قيل في
قوله تعالى آية ٢ سورة الضحى (ما ودعك ربك وما قلى) أنه يجوز أن يكون حذف
مفعول (قلى) لصونه بإزالة عن التصريح بتعلقه به وإن كان جهة النفي ،
وهذا بخلاف (ودعك) لأنه يدل على الترك فقط ولا يدل على البغض كما يدل عليه
(قلى) ، وقد تقول : نحمد ونشكر ، أي الله ، فتحذفه لتعنيته ، وتقول : لعن الله وأخرى ،
أي الشيطان ، فتحذفه لصون أسانك عنه .

تمارين على الذكر والحذف

تمرين — ١

١ — لماذا حذف المفعول في قوله تعالى : ﴿ لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ﴾ . آية ٢ سورة الكهف .

٢ — من أى ضربى حذف المفعول قول الشاعر :

برّذّ حشائى لى استعطيت بلفظة فلقصد تضرّ إذا تشاء وتنفع

تمرين — ٢

١ — لماذا ذكر الحال في قوله تعالى : ﴿ فتبسم ضاحكاً من قولها ﴾ آية ١٩ سورة النمل .

٢ — من أى ضربى حذف المفعول حذفه أولاً وثانياً في قوله تعالى : ﴿ إنك لا تهدى من أحبب ، ولكن الله يهدى من يشاء ﴾ آية ٥٦ سورة القصص .

تمرين — ٣

١ — لماذا ذكر المفعول المطلق في قوله تعالى : ﴿ لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً ﴾ آية ٢١ سورة الفرقان .

٢ — لماذا حذف وصف المضاف إلى المفعول في قوله تعالى : ﴿ وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ آية ٧٩ سورة الكهف .

٢ — لماذا حذف المفعول في قول الشاعر :

إذا بعدت أبلت وإن قربت شفت فمجرانها يبلى ولقيانها يشفى

تمرين — ٤

١ — من أى ضربى حذف المفعول حذفه في قول الشاعر :

ولإذا المشية أنشبت أظفارها الفيت كل تميمه لا تنفع

٢ — لماذا حذف المفعول في قول الشاعر :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال

أغراض تقديم المتعلقات على الفعل : وأما تقديم مفعوله ونحوه (١) عليه
فرد في الخطأ في التبيين (٢) كقولك زيداً عرفت ، لمن اعتقد أنك عرفت إنساناً وأنه
غير زيد ، وأصاب في الأول دون الثاني ، وتقول لنا كيده وتقريره زيداً عرفت
لا غيره ، ولذلك لا يضح أن يقال ما زيداً ضربت ولا أحداً من الناس ، لتناقض
دلائل الأول والثاني (٣) ولا أن تعقب الفعل المنفي بإثبات ضده ، كقولك ما زيداً
ضربت ولكن أكرمته ، لأن مبنى الكلام ليس على أن الخطأ في الضرب فتدّه
إلى الصواب في الإكرام ، وإنما هو على أن الخطأ في المضروب حين اعتقد أنه
زيد ، فردّه إلى الصواب أن تقول : ولكن عمراً (٤) .

وأما نحو قولك : زيداً عرفته (٥) فإن قدر المفسر المحذوف قبل المنصوب أي
عرفت زيداً عرفته ، فهو من باب التوكيد ، أعني تكرير اللفظ ، وإن قدر بعده أي
زيداً عرفته عرفته ، أفاد التخصيص ، وأما نحو (٦) قوله (٧) تعالى : (وأما هو فدفعناهم)

-
- (١) من كل متعلقات الفعل التي يجوز تقديمها عليه ، وذلك كالظرف والجار
والمحذوف والحال ومحوها . (٢) أو في اعتقاد الشركة ، وذلك كقولك زيداً
عرفت وحده ، كما سبق في تقديم المسند إليه . (٣) يريد بالاول ما زيداً
ضربت ، وبالثاني ما زيداً من الناس ، لأن الثاني يناقض ما يفيد الأول من
ضرب غير زيد من الناس ، وإنما لا يضح أن يقال إذا كان التقديم للتخصيص
لا مجرد الاهتمام . (٤) هذا أيضاً على أن التقديم للتخصيص لا مجرد الاهتمام .
(٥) نحوه كل ما يكون التقديم فيه من باب الاشتغال ، وقد ذهب الزمخشري
إلى أن التقديم فيه للتخصيص مطلقاً ، وإن أرى أنه لا يفيد إلا التوكيد لأنه يفيد
التخصيص من غير الاشتغال ، فالمدلول إليه لا يكون إلا لغرض غير التخصيص .
ولأنه يجب تقدير الفعل قبل الاسم الظاهر ليوافق مفسره في تقديمه على الضمير .
(٦) يريد بهذا تقييد ما ذكره من حكم التقديم في الاشتغال .
(٧) آية ١٧ سورة فصلت .

فينبغي قرأ بالنصب (١) فلا يفيد إلا التخصيص؛ لا امتناع تقدير : أما فهدينا ثمود (٢)
وكذلك إذا قلت «يزيد مررت» أفاد أن سامعك كان يفتقد مرورك بغير زيد ،
فأزلت عنه الخطأ مخصصاً مرورك بزيد دون غيره (٣) .

والتخصيص في غالب الأمر لازم للتقديم ، ولذلك يقال في قوله تعالى : ﴿إياك
نعبدُ وإياك نستعينُ﴾ (٤) معناه نخضعك بالعبادة لا نعبد غيرك ونخضعك بالاستعانة
لا نستعين غيرك . وفي قوله تعالى : ﴿إن كنتم إِيَّاه تعبدون﴾ (٥) معناه إن كنتم
تخصرونه بالعبادة وفي قوله تعالى : ﴿لشكونا شهداء على الناس ويكون الرسولُ
عليكم شهيداً﴾ (٦) أخرت صلة الشهادة في الأول وقدمت في الثاني ، لأن الغرض
في الأول إثبات شهادتهم على الأمم ، وفي الثاني اختصاصهم بكون الرسول شهيداً
عليهم ، وفي قوله تعالى : ﴿إلى الله تحشرون﴾ (٧) معناه إليه لا إلى غيره ،
وفي قوله تعالى : ﴿وأرسلناك للناس رسولا﴾ (٨) معناه لجميع الناس
من العرب والعجم ؛ على أن التعريف للاستغراق ، لا لبقضهم المعين على أنه
للهمد ، أى للعرب ، ولا لمسمى الناس على أنه للجاس ، (ثلاً يلزم من الأول (٩)
اختصاصه بالعرب دون العجم لانحصار الناس في الصنفين ^{١٠} ، ومن

(١) يعنى نصب ﴿ثمود﴾ ؛

(٢) لوجوب الفصل بين أما والفاء ، وإنما التقدير : أما ثمود فهدينا هديناهم وقد
يقال : إن هذا إنما يقتضى امتناع ذكره لا امتناع تقديره ، لأن كثيراً ما يقدريتمنع
ذكره ولا يمنع تقديره ، كالضمير المستتر وجوباً ونحوه ، والحق أن التقديم في ذلك
لإصلاح اللفظ لا للتخصيص ، لأن غير ثمود مثلها في ذلك الحسب .

(٣) مثل تقدير الجار والمجرور في ذلك : تقديم غيره ، كقوله : يوم الجمعة
سرت ، وتأديباضربت ، وماشيا حجت . ومن تقديم الجار والمجرور للتخصيص
قوله تعالى : ﴿إلى ربك يومئذ المساق﴾ آية ٣٠ سورة القيامة .

(٤) آية ٤ سورة الفاتحة . (٥) آية ١٧٢ سورة البقرة . (٦) آية ١٤٣ البقرة

(٧) آية ١٥٨ سورة آل عمران (٨) آية ٧٩ سورة النساء (٩) هو أنه للهمد .

الثاني (١) اختصاصه بالإنس دون الجن لا انحصار من يتصور الإرسال إليهم من أهل الأرض فيهما ، وعلى تقدير الاستغراق لا يلزم شيء من ذلك ، لأن التقديم لما كان مفيداً لثبوت الحكم الالهى — عدم ونفيه عما يقابله كان تقديم (للناس) على (رسولا) مفيداً لنفي كونه رسولا لبعضهم خاصة (٢) ، هو المقابل لجميع الناس ، لا لبعضهم مطلقاً ولا لغير جنس الناس (٣) .

وكذلك يذهب في معنى قوله تعالى (٤) ﴿ وبالأخرة هم يوقنون ﴾ إلى أنه تعريض بأن الآخرة التي عليها أهل الكتاب فيما يقولون ، لأنه لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، وإنه لا تمسهم النار إلا أياماً معدودات ، وإن أهل الجنة لا يتأذون في الجنة إلا بالنسيم والارواح العتيقة والسماج اللذيذ (٥) ، ليست الآخرة (٦) وإبقائهم بمثلها ليدن من الإيقان بالتي هي الآخرة عند الله في شيء ، أى بالآخرة يوقنون لا بنهرها كأهل الكتاب .

ويفيد التقديم في جميع ذلك وراء التخصيص اهتماماً بشأن المقدم ، ولهذا قدر المحذوف في قوله (بسم الله) مؤخراً ، وأورد قوله (٧) تعالى ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ فإن الفعل فيه مقدم ، واجيب بأن تقديم الفعل هناك (٨) أهم لأنها أوفى سورة نزلات ، واجاب السكاكي (٩) بأن (باسم ربك) متعلو بأقرأ

(١) هو أنه للجنس .

- (٢) يعنى قومه من العرب ، لأنهم هم الذين يتوهم أنه أرسل إليهم دون غيرهم ،
 (٣) لأن كلا منهما لا يقابل جميع الناس ، وإنما يقابل الأول تعريف العهد ،
 ويقابل الثاني تعريف الجنس . هذا ويحوز أن يكون (للناس) متعلقاً بقوله (وأرسلناك) فلا يكون فيه تقديم ولا تعين اللام فيه للاستغراق وإن كان هو الظاهر .
 (٤) آية ٤ سورة البقرة (٥) لأنهم ينكرون أن تكون فيها لذائذ جسمية .
 (٦) جملة ليس واسمها ونحوها خبر أن في قوله — بأن الآخرة الخ .
 (٧) آية ١ سورة العلق . (٨) أى في قوله ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾
 (٩) ١٢٧ — المفتاح .

في الثاني (١) ، ومعنى الأول : أفعّل القراءة وأوجدها على نحو ما تقدم في قولهم فلان يعطى وينع ، يعني إذا لم يحمل على العموم (٢) وهو بعيد (٣) .

أغراض تقديم بعض المفعولات على بعض :

وأما تقديم بعض مفعولاته على بعض فهو :

لما لأن أصله التقديم ولا مقتضى للدول عنه (٤) كتقديم الفاعل على المفعول (٥) نحو د ضرب زيد عمرأ ، وتقدم المفعول الأول على الثاني ، نحو : أعطيت زيدا درهما .

ولما لأن ذكره أهم والعناية به أتم (٦) .

(١) في قوله بعده (اقرأ وربك الأكرم) .

(٢) أي العموم في المفعول ، فإن السكاكي يجعله محتملا للعموم في المفعول والعموم في أفراد الفعل ، وعلى هذا يكون (اقرأ) الأول منزلة الإلزام .

(٣) لأنه خلاف ظاهر نظم الآيتين ، ليعد ما بين (اقرأ) الثاني والجاهد والمجروح الذي يبراد تعاقبه به .

هنا ، وقد يأتي التقديم لأغراض أخرى : منها مجرد الاهتمام ، وقصد التبرك ، والالتذاذ ، وموافقة كلام السامع ونحو ذلك ، كقولك د العلم طلبت ، وبهذا اتبع ، ولعل أجيب ، ومن ذلك قوله تعالى : (ووهبنا له إسحاق ويعقوب ، كلا هدينا ، ونوحا هدينا من قبل) آية ٨٤ سورة الأنعام .

(٤) قد سبق أن مثل هذا لا يصح أن يعد في وجوه البلاغة ، لأن الكلام معه لا يفيد معنى ثانوياً يعتمد به .

(٥) تقديم الفاعل على المفعول لا يدخل في تقديم المفعولات ، فذكره هنا استطراد ، وإبيان اختلاف الغرض عند تقديم كل منهما هل الآخر .

(٦) لابد أن يكون هذا الغرض من الأغراض كما سيأتي في الأمثلة ، لأنه لا يكفي كما ذكر عبد القاهر أن يقال قدم للعناية من غير معرفة وجهها ،

فيقدم المفعول على الفاعل إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه من وقع منه ، كما إذا خرج رجل على السلطان وعات في البلاد وكثر منه الأذى فقتل وأردت أن تحبر بقتله ، فتقول « قتل الخارجي » ، إذ ليس للغاس فائدة في أن يعرفوا قاتله ، وإنما الذي يريدون عليه هو وقوع القتل به لينخلعوا من شره .

ويقدم الفاعل على المفعول إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل من وقع منه ، لا وقوعه على من وقع عليه ، كما إذا كان رجل ليس له بأس ولا يقدر عليه أن يقتل ، فقتل رجلاً وأردت أن تحبر بذلك ، فتقول « قتل فلان رجلاً » ، بتقديم القاتل ، لأن الذي يعنى الناس من شأن هذا القتل نذوره وبعده من الظن ، ومعلوم أنه لم يكن نادراً ولا بعيداً من حيث كان واقعاً على من وقع عليه ، بل من سميت كان واقعاً من وقع منه .

وعليه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ (٢) قدم الخطابين (٣) في الأولى دون الثانية ، لأن الخطاب في الأولى للفقراء بدليل قوله تعالى ﴿ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾ فكان رزقهم أهم عندهم من رزق أولادهم ، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم ، والخطاب في الثانية للأغنياء بدليل قوله ﴿ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ ﴾ فإن الخشية إنما تكون مما لم يقع ، فكان رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم لأنه حاصل ، فكان (٤) أهم ، فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم .

وإنما لأن في التأخير إخلالاً ببيان المعنى ، كقوله (٥) تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ

(١) آية ١٥١ سورة الأنعام . (٢) آية ٣١ سورة الإسراء .

(٣) يعنى غيرهم في قوله : « نرزقكم » ، في الأولى ، وقوله « وإياكم » في الثانية ،

(٤) أى رزق أولادهم . (٥) آية ٢٨ سورة غافر .

مؤمن من آل فرعون يسكنهم ليمانته ﴿ فإنه لو آخر ﴾ (من آل فرعون) عن ﴿ يسكنهم ليمانته ﴾ لتوهم أن (من) متعلقة بيسكنهم ، فلم يفهم أن الرجل من آل فرعون (١) أو التناسب كمرعاة الفاصلة ، نحو ﴿ فأوجس في نفسه خيفة موسى ﴾ (٢) .
ولما لا يحتاج آخر مناسب (٣) .

وقسم السكاكي (٤) التقديم للعناية مطلقاً (٥) قسمين :

أحدهما أن يكون أصل ما قدّم في الكلام هو التقديم ولا مقتضى للعدول عنه ، كالمتبدل المرفوع (٦) فإن أصله التقديم على الخبر ، زيد عارف ، وكذا الحال المرفوع فإن أصله التقديم على الحال ؛ نحو « جاء زيد راكباً » وكالفاعل فإن أصله التقديم على معموله ، نحو « عرف زيد عمراً » وكان زيد عارفاً ، وإن زيدا عارف ، وكالفاعل ، فإن أصله التقديم على المفعولات وما يشبهها من الحال والتبعية ، نحو « ضرب زيد الجاني بالسوط يوم الجمعة أمام بكمو ضرباً شديداً تأديباً له مبتلياً من الغضب » وامتناع الإفاء ما به وكالذي يكون في حكم المبتدأ من مفعولي باب علمت (٧) نحو « علمت زيداً منطلقاً » أو في حكم الفاعل من مفعولي باب أعطيت وكسوت (٨) . نحو « أعطيت زيداً

(١) فالتقديم في ذلك لدفع اللبس ، لأن الأصل عند اختلاف النعوت تقديم النعوت المفرد ثم الظرف ثم الجملة . (٢) آية ٦٧ سورة طه ، وقد سبق أن مثل هذا إنما يفوت به محسن بدعي ، فتكون منزلة في البلاغة بقدر الغرض منه ، ويمكن أن يكون تقديم (في نفسه) على (خيفة) لأنه لو آخر عنه لتوهم تعلقه به لا بقوله ﴿ فأوجس ﴾ وهو المقصود (٣) كإفادة التخصيص في نحو « جاء راكباً زيد » كما ذهب إليه ابن الأثير ، وهو خلاف مذهب الجمهور . (٤) ١٢٧ — المفتاح . (٥) أي في المفعولات وغيرها . (٦) أما المنكر فإنه يتقدم عليه الخبر لتسوية الابتداء به ، وكذلك صاحب الحال المنكر . (٧) بابه كل مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر . (٨) بابه كل مفعولين أولهما فاعل في المعنى .

درهما وكسوت غمراً جبة (١) ، وكالمفعول المتعمد إليه بغير واسطة فإن التقديم على المتعمد إلى بواسطة ، نحو وضربت الجاني بالسوط ، وكالتوابع فإن أصلها أن تذكر بعد المتبوعات (٢) .

ثانيهما أن تكون العناية بتقديمه والاعتناء بشأنه لكونه في نفسه نصيب عينك ، والتفات خاطر لك إليه في الزائد ، كما أجرك قد منيت بهجر حبيبك وقيل لك : ما تمنى ؟ . . . تقول دوجه الحبيب أتمنى ، وعليه قوله تعالى : (وجعلوا لله شركاء) أى على القول (٤) بأن (الله شركاء) مفعولا (جعلوا) .

أو لعارض يورثه ذلك (٥) ، كما إذا توهمت أن مخاطبك ملئت الخاطر إليه ينتظر أن تذكره ، فيبرز في معرض أمر يتجدد في شأنه التقاضى ساعة فساعة ، فتى تجد له بحالا الذكر صالحاً أوردته ، نحو قوله (٦) تعالى : (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) قد قدم فيه المجرور لاشتغال ما قبله على سوء معاملة أهل القرية الرسل من إصرارهم على تكذيبهم ، فكان مظنة أن يأتى السامع على بجرى العادة تلك القرية ، ويبقى مهيباً في فكره : أكانت كلها كذلك أم

(١) فبكل من زيد وعمر في حكم الفاعل ، لأن زيدا هو الآخذ ، والدرهم مأخوذ ، وعمر هو اللابس والجبة ملبوسة ،
(٢) فلا تتقدم عليها ولا يتقدم عليها غيرها بعدها ، كالحال في نحو جاء زيد الطويل راكباً .

(٣) آية ١٠٠ سورة الأنعام ،
(٤) هناك قول في هذه الآية : « وجعلوا لله شركاء الجن » بأن « شركاء الجن » هما المفعولان ، والجار والمجرور متعلق بشركاء ، ولا يخفى أن الاستشهاد جار عليه أيضاً ، لأن الشاهد في تقديم « الله » لكونه في نفسه مما يلتفت إليه ،
(٥) معطوف على قوله : لكونه في نفسه . والمقابلة ظاهرة .
(٦) آية ٢٠ سورة يس .

كان فيها قطر دان أم قاص منبت خير ؟ منتظراً لإمام الحديث به ، بخلاف ما في سورة القصص (١) .

أوكا إذا وعدت (٢) ، المستبعد وقوعه من جهتين : أحدهما أدخل في تبعيده من الأخرى ، فإنك حال التفتات خاطرك إلى وقوعه باعتبارهما تجمعه تفاوتا في إنكارك إياه قوة وضعفا بالنسبة ، ولا متناج إنكاره بطون القصد إليه يستتبع تفاوته ذلك تفاوتا في القصد إليه والاعتناء بذكره ، فالخلافة توجب أنك إذا أنكرت تقول في الأول (٣) : شيء حاله في البعد عن الوقوع هذه أمتي يكون . . . لقد وعدت هذا أنا وأبي وجدى : فتقدم المنكر على المرفوع (٤) وفي الثاني : لقد وعدت أنا وأبي وجدى هذا : فتؤخر ، وعليه قوله تعالى (٥) في سورة النمل : (لقد وعدنا نحن وآباؤنا) وقوله تعالى (٦) في سورة المؤمنون : (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) فإن ما قبل الأولى : (إذا كنا تراباً وآباؤنا أنما لخروج) وما قبل الثانية : (إذا متنا وكنا تراباً وعظاما أئنتنا لمبعوثون) فالجهة المنظور فيها منسبك كونهم أنفسهم وآباؤهم تراباً ،

(١) هو قوله تعالى في قصة موسى : وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ، آية ٢٠ سورة القصص . وقد جاء الكلام فيها على أصله من تأخير الجار والمجرور ، لأنه ليس فيها من ذلك ما يقتضى تقديمها في الآية الأولى لتبكيك أولئك القوم بكون البعيد عما شاهدوا ينصح لهم ما لم ينصحوه لأنفسهم .

(٢) معطوف على قوله : كما إذا توهمت . (٣) أى في الحال الأول وهو ما كانت جهته أدخل في تبعيد ذلك ، فتجعل العناية بذكره أهم ، والثاني هو ما كانت جهته أضعف في تبعيد ذلك ، فلا تكون هناك عناية بذكره قبل غيره . (٤) المفكر هو اسم الإشارة هذا ، لأنه هو المستبعد ، والمرفوع هو مؤكد نائب الفاعل أنا ، وما عطف إليه .

(٥) آية ٦٨ سورة النمل

(٦) آية ٨٣ سورة المؤمنون

والجهة المنظور فيها هنا كونهم تراباً وعظاماً ، ولا شبهة أن الأولى أدخل عندهم في تجميع البعث (١) .

أو كما إذا عرفت في التأخير مانعاً (٢) كما في قوله تعالى (٣) في سورة المؤمنون : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالِتْمَاهُ ﴾ أثر ففهم (٤) بفتح الميم المجزور على الوصف (٥) لأنه لو أخر عنه - وأنت تعلم أن تمام الوصف بتمام ما يدخل في صلة الموصول ، وتمامه (وأثر ففهم في الحياة الدنيا) لاحتمال أن يكون من صلة الدنيا ، واشتبه الأمر في القائلين ، أنهم من قومه أم لا . بخلاف قوله تعالى (٦) في موضع آخر منها : ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ فإنه جاء على الأصل (٧) لعدم المانع ، وكان في قوله تعالى (٨) في سورة طه : ﴿ آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ للمحافظة على الفاصلة بخلاف قوله تعالى (٩) في سورة الشعراء : ﴿ رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ .

وفيما ذكره نظر من وجوه :

أحدهما أنه جعل تقديم (لله) على (شركاء) للعناية والاهتمام ، وليس كذلك ، فإن الآية مسوقة للإنكار التوبيخي فيمتنع أن يكون تعلق (جعلوا) بالله منكراً اعتبار تعلقه بشركاء ، إذ لا ينكر أن يكون جالداً ما متعلقاً به ، فيشعر أن يكون إنكار تعلقه به باعتبار تعلقه بشركاء ، وتعلقه بشركاء كذلك منكر باعتبار تعلقه

- (١) لأنهم صاروا فيها إلى تراب ولم يبق لهم فيها عظام ، وقد قيل في سر التقديم والتأخير في الآيتين إن قوله : ﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا ﴾ جاء على أسلوبه ما قبله ﴿ إِذَا كُنَّا تَرَابًا وَآبَاؤُنَا ﴾ فقدم المفعول الثاني لوعده ، كما قدم خبر كان على المفعول على اسمها ، ولا شك أن الخبر كفعول لما . (٢) معطوف على قوله - كما إذا أو عدت (٣) آية ٢٣ سورة المؤمنون (٤) المجزور د قومه ، والوصف د الذين ، (٥) آية ٢٤ سورة المؤمنون .
- (٦) من تقديم الصفة على الحال وهو الجار والمجرور لأنه متأخر الرتبة على التابع .
- (٧) آية ٧٠ سورة طه .
- (٨) آية ٤٨ الشعراء .

بأنه ، فلم يبق فرق بين التلاوة وعكسها (١) وقد علم بهذا أن كل فعل متعد إلى مفعولين لم يكن الاعتناء بذكر أحدهما إلا باعتبار تعلقه بالآخر إذا قدم أحدهما على الآخر لم يصح تعليل تقديمه بالعناية .

وثانيتها أنه جعل التقديم للاحتراز على الإخلال ببيان المعنى والتقديم للرعاية على الفاصلة من القسم الثاني ، وليس منه (٢) .

وثالثها أن تعلق (من قومه) بالدنيا على تقدير تأخير غير مفعول المعنى إلا على وجه بعيد (٣) .

(١) يعنى من هذه الجهة ، فلا ينافى هذا ما سبق له في الكلام على حذف المسند وهو أن تقديم « الله » على « شركاء » لإفادة استعظام أن يتخذ له شريك ملكا كان أو جناً أو غيرهما . ويمكن الجواب عن السكاكي بأنه جعل تقديم « الله » لكونه نصب العين ، وهذا يوجب تقديمه عنده ، وإن كان ماسيةت له الآية من الإنكار النوبي حتى يحصل عند تأخيرها .

(٢) لأن المراد به تقديم ما حقه التأخير ، والجاء والمجرور في قوله : « وقال الملأ من قومه الذين كفروا . . . الآية » حال من الملأ ، واسم الموصول صفة لقومه لا الدال كما ذهب إليه السكاكي . فلا يكون الحال حقه في التأخير عنها ، لأنها ليست صفة لصاحبه ، وكذلك تقديم هارون على موسى في قوله : « آمنا برب هارون وموسى » لأن المتماطين بالواو ليس من حق أحدهما التأخير عن الآخر ، وقد أجيب عن السكاكي بأن تفسيره التقديم للعناية مبنى على أن العناية في القسم الأول ترجع إلى مجرد أن التقديم فيه هو الأصل ، وفي القسم الثاني ترجع إلى الأمور التي ذكرها ، وليس مبنياً على أن التقديم في القسم الأول تقديم ما أصله التقديم ، وفي القسم الثاني تقديم ما حقه التأخير حتى يصح الاحتراز عليه بذلك .

(٣) أجيب عن هذا بأن احتمال ذلك فيه ، ولو كان بعيداً ، يكفي في إثبات ما ذكره السكاكي في نكتة تقديمه ، ولكنه الأوجه من هذا أن يجعل المانع من تأخيرها طول الصفة بالصلة وما عطف عليها ، فلو أخر عنها لطال الفصل بين ضمير « قومه » ومرجعها :

تمريبات على التقديم والتأخير

تمرين - ١

- (١) لماذا قدم الظرف على الفعل في قول الشاعر :
بعد المشيب المنقضى في الذوائب تحاول وصل الغايات الكواكب
- (٢) هل تقديم الجار والمجرور للتخصيص أو لجرد الاهتمام في قول الشاعر :
على الأخلاق مخطئوا الملك وابشروا فليس وراءها للمر ركن

تمرين - ٢

- (١) لماذا قدم المفعول الثاني على نائب الفاعل في قول الشاعر :
أني الحق أن يعطى ثلاثون شاعراً ويمحرم ما دون الرعا شاعر مثل
- (٢) لماذا قدم الجار والمجرور على متعلقه وعلى الفاعل في قوله تعالى : ﴿ قالوا
لن نبرج عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾ آية ٩١ سورة طه .

تمرين - ٣

- (١) ما الغرض من تقديم المفعول على الفعل في قول الشاعر :
صهوة الجود اعتلوا تحسبهم جمع أفلاك على الخيل تنسأى
- (٢) ما الغرض من تقديم الجار والمجرور على الفعل في قول الشاعر :
إذا شئت يوماً أن تسود عشيرة فبالحلم مسد لا بالتمرع والشم

تمرين - ٤

- (١) لماذا قدم المفعول على الفعل في قوله تعالى : ﴿ وربك فكبر وثيابك فطهر ﴾ آية ٣ ، ٤ سورة المدثر .
- (٢) ما الغرض من تقديم بعض المفعولات على بعض في قول الشاعر :
ألفت مقابلة الدنيا إلى رجل ما زال وقفاً عليه الجود والكرم
- (٣) هل تقديم الجار والمجرور للاهتمام أو للتخصيص في قول الشاعر :
بك اقتدت الأيام في حسناتها وشيبتها لولاك هم وتكريب

مباحث الجزء الأول

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٤٢	أغراض الخبر	٣	* تقديم : للشارح
٤٥	أضرب الخبر	٩	* خطبة الإيضاح
٤٧	تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر	١٠	المقدمة في تفسير الفصاحة والبلاغة
٥٢	تمرينات على أغراض الخبر وأضربه	١٠	الخلاف في تفسير الفصاحة والبلاغة
٥٤	فصل : الحقيقة والمجاز العقليان	١٢	فصاحة المفرد
٦٣	تذنيه	١٧	فصاحة الكلام
٦٣	أقسام المجاز العقلي	٢٥	فصاحة المتكلم
٦٥	وقوعه في القرآن	٢٦	بلاغة الكلام
٦٦	تقسيم قرينه	٣١	بلاغة المتكلم
٦٧	دقة مسلكه	٣١	حصر علوم البلاغة
٦٨	الخلاف في استلزامه الحقيقة	٣٣	تمرينات على الفصاحة والبلاغة
٦٩	لائسكار السكاكي له	٣٥	* الفن الأول : علم المعاني .
٧١	تذنيه : في بيان سبب عدم إيراد الحقيقة والمجاز العقليين	٣٥	تعريف علم المعاني
٧٢	تمرينات على الحقيقة والمجاز العقليين	٣٧	أبواب علم المعاني
٧٤	* القول في أحوال المستند إليه العقليين .	٣٨	تذنيه : انحصار الخبر في الصادق والكاذب
٧٤	أغراض الحنف	٤٠	تذنيه آخر
		٤٢	* القول في أحوال الإسناد الخبري

(تابع) مباحث الجزء الأول

الموضوع	ص	الموضوع
۱۴۷ وضع المضمر موضع المظهر		اض الذکر والحذف
۱۴۸ وضع المظهر موضع المضمر		بنات على الذکر والحذف
۱۵۱ الالتفات		اض التعريف ، وأغراض
۱۵۹ الأسلوب الحكيم		ريف بالإضمار
۱۶۲ التعبير عن المستقبل بالنظر الماضي		اض التعريف بالعلبية
۱۶۳ القلب		اض التعريف بالموصولية
۱۶۹ تمرينات على تخريج المسند إليه		اض التعريف بالإشارة
على خلاف مقتضى الظاهر		اض التعريف باللام
۱۷۱ * القول في أحوال المسند		اض التعريف بالإضافة
۱۷۱ أغراض الحذف		اض التذكير
۱۷۹ أغراض الذکر		بنات على التعريف والتذكير
۱۸۱ تمرينات على الذکر والحذف		اض الوصف
۱۸۲ أغراض الإفراد		اض التوكيد
۱۸۳ أغراض كون المسند فعلاً أو اسماً		اض عطف البيان
۱۸۵ أغراض تقييد الفعل بمفعول		اض البديل ، أغراض عطف
وفحوه وترك تقييده		ن
۱۸۱ أغراض تقييد الفعل بالشروط :		ض ضمير الفصل
إن وإذا		نات على التوابع
۱۹۱ استطراد إلى التغليب		ض التقديم
۱۹۶ لو		ض التأخير
۲۰۱ تمرينات على إفراد المسند		ت على التقديم والتأخير
واسميته وفعليته وتقييده وترك		ج المسند إليه على خلاف
تقييده .		ي الظاهر

(تابع) مباحث الجزء الأول

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢١٤	تمرينات على التقديم والتأخير	٢٠٢	أغراض التنكير
٢١٥	القول في أحوال متعلقات الفعل	٢٠٢	أغراض التخصيص بالإضافة أو الوصف وتركه
٢١٥	حال الفعل مع المفعول والفاعل	٢٠٣	غرض التعريف
٢٢٠	أغراض حذف المفعول به	٢٠٦	أغراض كون المسند جملة
٢٢٦	تمرينات على الذكر والحذف	٢٠٩	تمرينات على تعريف المسند وتنكيره وكونه جملة
٢٢٧	أغراض تقديم المتعلقات على الفعل	٢١١	أغراض التأخير أغراض التقديم
٢٣٠	أغراض تقديم بهض المفعولات على بعض	٢١٣	تلخيصه: في بيان عدم اختصاص كثير بما ذكر في هذا الباب والذي قبله بالمسند إليه والمسند
٢٣٧	تمرينات على التقديم والتأخير		

بَغِيَّةُ الْإِيضَاحِ لِتَلْخِيصِ الْمِفْتَاحِ فِي عُلُومِ الْبَلَاغَةِ

تأليف
عبد المتعال الصَّعِيدِي
الأستاذ بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

الجزء الثاني
من القصير في علم المعاني إلى أول علم البيان

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت ٨٦٨ ٠٠ ٣٩٠

الطبعة الحادية عشر

١٤١٦هـ / ١٩٩٦م

حقوق إعادة الطبع محفوظة لمكتبة الآداب (علي حسن)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول فى القصر

أقسام القصر :

القصر حقيقى ، وغير حقيقى^(١) . وكل واحد منهما ضربان :

(١) القصر فى اللغة الحس ، وفى الاصطلاح تخصيص شىء بشىء بطريق مخصوص ، والشىء الأول هو المقصور ، والثانى هو المقصور عليه ، والطريق المخصوص هو أدوات القصر ، والمراد بتخصيص الشىء بالشىء إثبات أحدهما للآخر ونفيه عن غيره ، وبهذا تكون جملة القصر فى قوة جملتين ، ويكون القصر طريقاً من طرق الإيجاز ، ويكون الإيجاز من أهم أغراضه . وقد يصرح فى القصر بالجملتين معاً كما سيأتى فى القصر ولكن ويل وليس . ومن أغراض القصر أيضاً أنه قد يقصد به تمكين الكلام وتقريره فى الذهن لدفع ما فيه من إنكار أو شك ، ولا يخفى أن هذه المزايا إنما هى للقصر بأدواته الآتية ، وبهذا يبطل ما ذهب إليه بعض مؤلفى عصرنا من التعميم فى تعريف القصر ، ليشمل نحو قول الشاعر :

أرونى أمةً بلغتُ منها
بغير العلم أو حدٍّ إيماني

وقوله تعالى : آية ١٠٥ سورة البقرة ﴿ واللّه يختص برحمته من يشاء ﴾ وقولك : « زيد مقصور على الكتابة » مع أن القصر فى الآية والمثال معنى أولى لا ثانوى ، والبيت من الاستثناء فى الإثبات ، وسيأتى .

والقصر الحقيقى هو ما يكون فيه النفى لكل ما عدا المقصور عليه ، كقولك « ما خاتم الرسل إلا محمد » . والقصر غير الحقيقى هو ما يكون فيه النفى لبعض ما عدا المقصور عليه ، كقولك « زيد كاتب لا شاعر » فهو يفيد نفى الشعر فقط لا كل ما عدا الكتابة من أكل وشرب وغيرهما ، القصر غير الحقيقى هو الذى يُسمى القصر الإضافى .

قصر الموصوف على الصفة ، وقصر الصفة على الموصوف^(١) . والمراد الصفة المعنوية^(٢) لا النعت .

والأول من الحقيقي كقولك « ما زيد إلا كاتب » إذا أردت أنه لا يتصف بصفة غير الكتابة ، وهذا لا يكاد يوجد في الكلام ؛ لأنه ما من متصور إلا وتكون له صفات تتعذر الإحاطة بها أو تتعسر^(٣) .

والثاني منه كثير ، كقولنا « ما في الدار إلا زيد »^(٤) . والفرق بينهما ظاهر ؛

(١) قصر الموصوف على الصفة هو ما لا يتجاوز فيه الموصوف صفته وإن جاز أن تكون لموصوف آخر ، وقصر الصفة على الموصوف هو ما لا تتجاوز فيه الصفة موصوفها وإن جاز أن يكون له صفة أخرى .

(٢) هي كل أمر قائم بغيره ، وكذلك يراد بالموصوف كل ما قام به غيره ، وإن كان هو صفة في نفسه ، فيدخل في ذلك نحو « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » من قصر الموصوف على الصفة ، أي ما الصبر إلا الكائن عند هذه الصدمة ، وكذلك قوله تعالى : آية ٣ سورة الزمر ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ وإنما لم يكن المراد بالصفة النعت النحوي ؛ لأنه لا يتأتى قصر بينه وبين موصوفه لخلوهما عن الحكم ، ولا يمكن أن يخرج قصر عن كونه قصر موصوف على صفة أو صفة على موصوف ، سواء أكان قصر مبتدأ على خبر أم كان قصر فاعل على مفعول أم كان غيرهما ، فقصر الفاعل على المفعول معناه في الحقيقة قصر الفعل الصادر من الفاعل على المفعول ، لا قصر ذات الفاعل عليه ، وإذا كان كل من المبتدأ والخبر يدل على ذات نيجو « ما الباب إلا ساج » أول في أحدهما حتى يكون صفة ، فالمراد في هذا المثال قصر الباب على الاتصاف بكونه ساجاً ، وهكذا .

(٣) قد يوجد هذا النوع من القصر في الكلام عند قصد الادعاء والمبالغة في مقام المدح والفخر ونحوهما ، كقوله تعالى : آية ٩٠ سورة المائدة ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ﴾ وقول الشاعر :

هَلِ الْجُودُ إِلَّا أَنْ تَجُودَ بِأَنْفُسٍ عَلَى كُلِّ مَاضِي الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلِ

وقد تكلّفوا هذا المثال - إنما لله تعالى متصف فبكل كمال منزّه عن كل نقص - لقصر الموصوف على الصفة قصرًا تحقيقيًا صادقًا :

(٤) يعنى من البشر ، لأنه هو المقصود في مثل هذا ، وإلا فالدار يوجد فيها متاعها وغيره ، ولكن مثل هذا لا ينظر إليه في ذلك الكلام ، فلا يجعله من القصر الإضافي ، ومن ذلك قول الشاعر :

وَلَا يَنَالُ الْعُلَا إِلَّا فَتَى شَرَفَتْ خِلَالَهُ فَاطَاعَ الدَّهْرُ مَا أَمْرَا

فإن الموصوف في الأول لا يمتنع أن يشاركه غيره في الصفة المذكورة ، وفي الثاني يمتنع ، وقد يقصد به^(١) المبالغة لعدم الاعتداد بغير المذكور فينزل منزلة المعدوم .

والأول من غير الحقيقي : تخصيص أمر بصفة دون أخرى^(٢) أو مكان أخرى ، والثاني منه : تخصيص صفة بأمر دون آخر^(٣) أو مكان آخر . فكل واحد منهما ضربان ، والمخاطب بالأول من ضربى كل (أعنى تخصيص أمر بصفة دون أخرى وتخصيص صفة بأمر دون آخر) من يعتقد الشركة^(٤) ، أى اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة ، وغيرها جميعاً في الأول ، واتصاف ذلك الأمر وغيره جميعاً بتلك الصفة في الثاني ؛ فالمخاطب بقولنا : « ما زيد إلا كاتب » من يعتقد أن زيداً كاتب وشاعر ، ويقولنا « ما شاعر إلا زيد » من يعتقد أن زيداً شاعر لكن يدعى أن عمرأ أيضاً شاعر ، وهذا يسمى قصر أفراد ؛ لقطعه الشركة بين الصفتين في الثبوت للموصوف ، أو بين الموصوف وغيره في الاتصاف بالصفة .

والمخاطب بالثاني من ضربى كل (أعنى تخصيص أمر بصفة مكان أخرى وتخصيص صفة بأمر مكان آخر) أما من يعتقد العكس ، أى اتصاف ذلك الأمر بغير

(١) أى بقصر الصفة على الموصوف ، وهذا يسمى قصراً دعائياً ، أما قصر الموصوف على الصفة فلا يوجد إلا على سبيل الادعاء ، كما سبق ، والمراد المبالغة في كمال الصفة في الموصوف بها ، ومن قصر الصفة على الموصوف قصراً حقيقياً ادعائياً قول الله تعالى آية ٢٨ سورة فاطر : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ لأن غيرهم قد يخشاه أيضاً ولكن لا اعتداد بخشيته ، وكذلك قول الفرزدق :

أنا الذائد الحامى الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

(٢) أى دون صفة أخرى ، والمعنى دون جنسها ، فيشمل الصفة الواحدة ، ويشمل أيضاً ما فوقها بشرط أن يكون على التفصيل ، ليفترق القصر الإضافى عن الحقيقى ، فلا يكون من الإضافى نحو « إنما زيد كاتب لا شاعر ، ولا غير ذلك من الصفات - والياء في التعريف داخله على المقصور عليه .

(٣) أى دون موصوف آخر ، والمعنى دون جنسه ، فيشمل الموصوف الواحد ويشمل أيضاً ما فوق ذلك بشرط أن يكون على التفصيل أيضاً ، فلا يكون من الإضافى نحو « إنما الكاتب زيد لا غيره من الناس » .

(٤) مثل اعتقاد الشركة في ذلك ظنّها وتجويزها مطلقاً ، وكذلك يقال في اعتقاد العكس الآتى ؛ لأن كل هذا يقابل التساوى الآتى في قصر التعيين .

تلك الصفة عوضاً عنها في الأول ، واتصاف غير ذلك الأمر بتلك الصفة عوضاً عنه في الثاني ، وهذا يُسمَّى قصرُ القلب ، لقلبه حكم السامع ، وأما من تساوى الأمران عنده ، أى اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة واتصافه بغيرها في الأول ، واتصافه بها واتصاف غيره بها في الثاني ، وهذا يُسمَّى قصر تعيين ، فالمخاطب بقولنا « ما زيد إلا قائم » من يعتقد أن زيدا قاعد لا قائم ، أو يعلم أنه إما قاعد أو قائم ولا يعلم أنه بماذا يتصف منهما بعينه، وبقولنا « ما قائم إلا زيد » من يعتقد أن عمراً قائم لا زيدا ، أو يعلم أن القائم أحدهما دون كل واحد منهما ، لكن لا يعلم من هو منهما بعينه^(١)

وشرط قصر الموصوف على الصفة إفراداً عدم تنافى الصفتين^(٢) . حتى تكون المنفية في قولنا « ما زيد إلا شاعر » كونه كاتباً أو منجماً أو نحو ذلك ، لا كونه مفحماً لا يقول الشعر ، ليتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما . وشرط قصره قلباً تحقق تنافيهما ، حتى تكون المنفية في قولنا « ما زيد إلا قائم » كونه قاعداً أو جالساً أو نحو ذلك ، لا كونه أسود أو أبيض أو نحو ذلك ليكون إثباتها مشعراً بانتفاء

(١) على هذا يكون قصر التعيين كقصر القلب من الضرب الثاني في القصر الإضافي ، وهو التخصيص بشيء مكان شيء ، وقد جعل السكاكي قصر التعيين من الضرب الأول وهو التخصيص بشيء دون شيء ، فجعله شاملاً لقصر الأفراد وقصر التعيين ، وجعل الضرب الثاني خاصاً بقصر القلب ، والخطب في ذلك سهل .

هذا والمقام الداعي إلى القصر في الأقسام الثلاثة هو الرد على المخاطب في قصر الأفراد والقلب ، وتعيين المبهم عند المخاطب في قصر التعيين ، وإنما لم تجر هذه الأقسام في القصر الحقيقي ؛ لأنه القصر فيه بالنسبة إلى كل ما عدا المقصور عليه على الإطلاق فلا يتصور فيه اعتقاد شركة أو غيرها ، وقد تكلف بعضهم تقسيم الحقيقي إلى ذلك أيضاً ، والقصر الادعائي لا يجرى في الإضافي كما جرى في الحقيقي ؛ لأنه فيما قيل لم يقع في كلام البلغاء ، وإن لم يكن هناك مانع عقلي من إثباته في الإضافي، ويمكن أن يكون من الإضافي الادعائي قول الشاعر :

هل الجود إلا أن تجود بأنفس على كل ماضى الشفرتين صقيل

إذا كان يريد قصر الجود على الجود بالنفس لا الجود بالمال على سبيل المبالغة ، والرد على من يعتقد خلاف ذلك .

(٢) لم يذكر هذا الشرط في قصر الصفة على الموصوف ؛ لأن الموصوفات لا تكون إلا متنافية .

غيرها^(١) . وقصر التعيين أعم ؛ لأن اعتقاد كون الشيء موصوفاً بأحد أمرين معينين على الإطلاق لا يقتضي جواز اتصافه بهما معاً ولا امتناعه ، وبهذا عُلِمَ أن كل ما يصلح أن يكون مثلاً لقصر الأفراد أو قصر القلب يصلح أن يكون مثلاً لقصر التعيين ، من غير عكس^(٢) . وقد أهمل السكاكي^(٣) القصر الحقيقي ، وأدخل قصر التعيين في قصر الأفراد^(٤) ، فلم يشترط في قصر الموصوف أفراداً عدم تنافى الصفتين^(٥) ، ولا في قصره قلباً تحقق تنافيهما^(٦) .

* * *

-
- (١) تكون فائدة القصر مع ذلك ما فيه من التنبيه على رد الخطأ في اعتقاد العكس ؛ لأن ذلك الإشعار لا يستفاد منه هذا التنبيه .
- (٢) أى لغوى ، وهو أن كل ما يصلح أن يكون مثلاً لقصر التعيين يصلح أن يكون مثلاً لقصر الأفراد أو القلب .
- (٣) ص ١٥٦ - المفتاح .
- (٤) لأنه جعله لمن يعتقد الشركة ومن لا يعتقد شيئاً ، وقد سمي ذلك قصر أفراد ، ولم يتعرض لما يدخل فيه مما سماه غيره قصر تعيين ، وهذه كلها اصطلاحات لا مشاحة فيها .
- (٥) للدخول ما يسمى قصر التعيين عند غيره في قصر الأفراد عنده ، وقصر التعيين لا يشترط فيه ذلك .
- (٦) لأنه قد يأتي في نحو « ما زيد إلا شاعر » لمن اعتقد أنه كاتب لا شاعر ، ولا تنافى بين الشعر والكتابة ، وما ذكره الخطيب في تعليل ذلك الشرط مردود بأن أداة القصر فيها ذلك الإشعار ، فلا حاجة إلى إفادته بذلك الشرط .

تمريعات على أقسام القصر

تمرين - ١

(١) هل القصر فى البيت الآتى حقيقى أو إضافى :

قد علمتُ سلمى وجاراتها ما قطر الفارس إلا أنا

(٢) بأى اعتبار ينقسم القصر إلى حقيقى وغير حقيقى ؟ وما هى فائدة هذا التقسيم بلاغة؟ ولماذا أهمله السكاكى ؟

تمرين - ٢

(١) من أى القصرين - قصر الموصوف على الصفة والعكس - قول الشاعر :

وما المرء إلا هالكٌ وابنُ هالكٍ وذو نسب فى الهالكين عريق

(٢) بأى اعتبار ينقسم القصر إلى قصر صفة على موصوف وبالعكس ؟ وما فائدة ذلك بلاغة ؟

تمرين - ٣

(١) هل القصر فى البيت الآتى قصر أفراد أو قصر تعيين :

فإن كان فى لبس الفتى شرفٌ له فما السيفُ إلا غمده والحمائلُ

(٢) بأى اعتبار ينقسم القصر إلى قصر أفراد وقصر قلب وقصر تعيين ؟ وما فائدة ذلك بلاغة ؟ وما هو الحال ومقتضى الحال فى الأقسام الثلاثة ؟

تمرين - ٤

(١) هل من القصر الحقيقى أو الإدعائى قول الشاعر :

وما البأسُ إلا حملُ نفسٍ على السرى وما العجزُ إلا نومةٌ وتشمسُ -

(٢) هل يأتى القصر الادعائى فى القصر الإضافى ؟ وإيهما أبلغ : الحقيقى أم الادعائى ؟

طُرقُ القصر

وللقصر طرق : منها :

١ - العطف^(١) كقولك في قصر الموصوف على صفة إفراداً « زيد شاعر لا كاتب » ، أو « ما زيد كاتباً بل شاعر »^(٢) وقلباً « زيد قائم لا قاعد » ، أو « ما زيد قاعداً بل قائم »^(٣) ، وفي قصر الصفة على الموصوف إفراداً أو قلباً بحسب المقام : « زيد قائم لا عمرو » أو « ما عمرو قائماً بل زيد »^(٤) .

(١) إنما قدم العطف لأنه أقوى دلالةً على القصر للتصريح فيه بالإثبات والنفي ، ويليه النفي والاستثناء ، وإنما ، فالتقديم . وإنما كان التقديم آخرها لأن دلالة على القصر ذوقية : لا وضعية كما يأتي . ولا تنحصر طرق القصر في هذه الطرق التي ذكرها ، لأن منها ضمير المصل وتعریف المسند بالجنسية كما سبق في الكلام عليه في الجزء الأول .

(٢) إنما ذكر « بل » بعد النفي لأنها بعد الإثبات تجعل ما قبلها في حكم المنكوه ، عنه فقط ، فلا تفيد بعده القصر كما تفيد بعد النفي .

(٣) جرى في هذا على مذهبه من اشتراط التنافي بين الصفتين في قصر القلب واشتراط عدمه في قصر الإفراد ، فلا يمكن اجتماعهما في مثال واحد ، والخطب في ذلك سهل .

(٤) إنما جدد قصر الصفة على الموصوف إفراداً أو قلباً في مثال واحد ، لأنه لا يشترط في قصر الإفراد فيه عدم تنافي الاتصافين اتفاقاً ، فلا يتنافى هو وقصر القلب في ذلك ، ويصح اجتماعهما بحسب المقام في مثال واحد ، وإنما لم يذكر مثلاً لقصر التعيين في الموضعين لأن كل ما يصلح مثلاً لقصر الإفراد أو القلب يصلح مثلاً له كما سبق ، وقد ادعى عبد القاهر أن قصر التعيين لا يأتي في طريق العطف ، وذكر عبد القاهر أن « لا » لا تنفي عن الثاني أن يكون قد شارك الأول في الفعل ، بل تنفي عنه أنه قد كان منه دون الأول فهو عنده لقصر القلب دون الإفراد . والحق أن أنواع القصر الثلاثة تأتي كلها فيما ذكر من حروف العطف ، والى القصر الحقيقي يأتي فيها أيضاً ، كما تقول : « محمد خاتم الأنبياء لا غيره » ، وأن « لكن » العاطفة تفيد القصر أيضاً ، نحو : « ما الشاعر أبو تمام والمتنبى لكن البحتري » وقد تأتي لكن للاستدراك كما في قول الشاعر :

إن ابن ورقاء لا تُخشى بواده
لكن وقائعه في الحرب تُتظرُ
لأنها لا تعطف جملة على جملة . وكذلك « بل » قد تأتي للإضراب لا العطف . ولكنهما مع هذا يحملان في إفادة القصر على « بل ولكن » العاطفتين كما ذكره ابن يعقوب لإفادتهما معنى العطف أيضاً . ولا يخفى أن مزية الإيجاز في القصر تتضاءل في طريق العطف .

٢ - النفي والاستثناء :

ومنها النفي والاستثناء^(١) كقولك في قصر الموصوف على الصفة إفراداً « ما زيد إلا شاعر » وقلباً : « ما زيد إلا قائم » وتعييناً كقوله تعالى : ﴿ وما أنزل الرحمنُ من شيء إن أنتم إلا تكذبون ﴾^(٢) أى لستم في دعواكم للرسالة عندنا بين الصدق والكذب^(٣) كما يكون ظاهر حال المدعى إذا ادعى ، بل أنتم عندنا كاذبون فيها . وفى قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين^(٤) « ما قائم » أو « ما من قائم » أو « لا قائم إلا زيد » .

وتحقيق وجه القصر فى الأول^(٥) أنه متى قيل « ما زيد » توجه النفي إلى صفته

= للتصريح فيه بالإثبات والنفي ، فتكون بلاغة القصر فيه أقل منها فى غيره ، وإن كانت فائدة التأكيد فيه أقوى . وما ورد فى الشعر من القصر بالعطف هذه الأبيات :

ليس اليتيم الذى قد مات ، الداء	بل اليتيم يتيم العاد - سم والأدب
إن الجديد بن فى طول اختلافهما	لا يفسدان ولكن يفسد الناس
كان دثــــاراً حلتت يلبونه	عقاب تنوفى لا عقاب القواعل

(١) بخلاف الاستثناء من الإثبات فإنه ليس بقصر عندهم ، وقيل : إنه قصر أيضاً ، لأنك إذا قلت « قام القوم إلا زيدا » قصرت عدم القيام على زيد ، ومن يذهب إلى أنه ليس بقصر يرى أنه قيد مصحح للحكم لا غير . فكانك فى هذا المثال قلت « جاء القوم المغايرون لزيد » ، كما تقول « جاء القوم الصالحون » ، وهذا بخلاف قولك « ما - جاءنى إلا زيد » فإن الغرض منه النفي الإثبات المحققان للقصر . ولهذا يستعمل النفي والاستثناء عند الإنكار بخلاف الاستثناء من ثبات .

(٢) آية ١٥ سورة يس .

(٣) أى مترددين بينهما ، ولهذا كان القصر على الكاذب قصر تعيين ، ولكن هذا لا يصح إلا بتزليل المشركين للرسول منزلة المترددين مبالغة فى إنكارهم لدعواهم وإعراضهم عنها ، والظاهر أن القصر فى ذلك قصر قلب لا تعيين .

(٤) كان عليه أن يكتفى أيضاً فى قصر الموصوف على الصفة بمثال واحد للاعتبارين ، لأن المنفى فى النفي والاستثناء غير مصرح به ، فيجوز فى قولك « ما زيد إلا شاعر » أن يكون لنفى أنه كاتب فيكون قصر أفراد ، وأن يكون لنفى أنه منجم فيكون قصر قلب ، وكذلك القصر فى إنما وفى التقديم الآيين .

(٥) أى قصر الموصوف على الصفة .

لا ذاته ؛ لأن أنفُسَ الذوات يمتنع نفيها وإنما تنفى صفاتها كما بين ذلك فى غير هذا العلم ، وحيث لا نزاع فى طوله وقصره وما شاكل ذلك ، وإنما النزاع فى كونه شاعراً أو كاتباً تناولهما النفى ، فإذا قيل « إلا شاعر » جاء القصر (١) .

وفى الثانى (٢) أنه متى قيل « ما شاعر » فأدخل النفى على الوصف المسلم بثبوته - أعنى الشعر - لغير من الكلام فيهما كزيد وعمرو مثلاً توجه النفى إليهما فإذا قيل « إلا زيد » جاء القصر (٣) .

٣ - إنما :

ومنها إنما ، كقولك فى قصر الموصوف على الصفة إفراداً (٤) « إنما زيد كاتب » .
وقلباً « إنما زيد قائم » وفى قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين « إنما قائم زيد »
والدليل على أنها تفيد القصر كونها متضمنة معنى « ما وإلا » (٥) لقول المفسرين (٦) فى

(١) لتحقق النفى والإثبات المحقق للقصر .

(٢) أى قصر الصفة على الموصوف .

(٣) لتحقق النفى والإثبات كما سبق ، ولا يخفى أن دلالة النفى والإثبات على القصر بالوضع ، فلا يحتاج إلى تكلف ما ذكره فى تحقيق إفادته القصر ، هذا ولا فرق فى إفادة النفى والاستثناء القصر بين أداة وأداة ، ومن ذلك قول الشاعر فى « ما » ، « ولا » ، « وإلا » :

وما الخوف إلا ما تخوفه الفتى ولا الأسن إلا ما رآه الفتى أمناً
وقول الآخر فى « لا وغير » :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهنَّ فلول من قراع الكنايب

(٤) يرى عبد القاهر أن « إنما » لا تستعمل فى الكلام البليغ إلا فى قصر القلب . .
أنها تستعمل فيه وفى غيره ، ومن قصر الأفراد فيها قوله تعالى : آية ٦٠ سورة التوبة ﴿ إِنْ
الصدقات للفقراء . . الآية ﴾ إذ ليس هناك من يعتقد عدم استحقاق الفقراء ونحوهم الصدقة ،
فلا يكون القصر فى ذلك قصر قلب .

(٥) لا يخفى أن دلالة « إنما » على القصر بالوضع ، فلا يحتاج إلى دليل فى دلالتها عليه ،
وإنما جعلها متضمنة معنى « ما وإلا » ولم يجعلها مرادفة لهما ، لما سيأتى من الفرق بينها وبينهما ،
وشرط المترادفين أن يكونا متحدين معنى وإفراداً وتركيباً .

(٦) أى من الذين يحتج بهم فى اللغة كابن عباس ومجاهد ونحوهما من الصحابة

والتابعين .

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾^(١) بالنصب معناه ما حرم عليكم إلا الميته ، وهو المطابق لقراءة الرفع^(٢) لما مرَّ في باب « المنطلق زيد » ، ولقول النحاة^(٣) : « إِنَّمَا » لإثبات ما يذكر بعدها ونفى ما سواه ، ولصحة انفصال الضمير معها^(٤) كقولك « إِنَّمَا يضرب أنا » كما تقول « ما يضرب إلا أنا » قال الفرزدق :
أنا الذائدُ الحامي الذمارَ وإنَّما يُدافعُ عن أحسابهم أنا أو مثلى^(٥)
وقال عمرو بن معديكرب :

قد عنمتُ سَلَمَى وجاراتُها ما قَطَرَ الفارسَ إلا أنا^(٦)
قال السكاكي^(٧) : ويذكرُ لذلك وجه لطيف يُسندُ إلى علي بن عيسى الرَّبَّيْ
وهو أنه لما كانت كلمة « إن » لتأكيد إثبات المسند للمستند إليه ، ثم اتصلت بها « ما »
المؤنَّدة لا النافية - كما يظنه من لا وقوف له على تعلم النحو - ناسبَ أن يُضمَّنَ

(١) آية ١٧٤ سورة البقرة .

(٢) هي قراءة ﴿إِن ما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ وعليها يعين أن تكون « ما » موصولة اسم
إن ؛ لأنَّ إن الذي حرم عليكم الميته ، وهي جملة مُعرِّفة الطرفين فتفيد القصر كما مرَّ في الجزء
الأول في نحو « المنطلق زيد » وهناك قراءة أخرى بالرفع على بناء « حَرَّمَ » للمفعول ، وهي غير
مرادة له ؛ لأنَّ « ما » فيها يصح أن تكون كافة وأن تكون موصولة ، فلا يتم بها الدليل الذي يريده .

(٣) أى الذين أخذوا اللغة من كلام العرب مشافهةً ، وبهذا يحتاج بقولهم .

(٤) فلا يجب فصله - لافاً لابن مالك - بدليل قوله تعالى : آية ٦ سورة يوسف ﴿إِنَّمَا
نُؤْتِيهِمْ وَحَرَزْنَاهُ إِلَى اللَّهِ﴾ والحق أن الضمير إذا كان محصوراً فيه وجب فصله وتأخيره ، وإلا
ي به اتصالاً كما في الآية ؛ لأن الجار والمجرور فيها هو المحصور فيه لا الضمير ، ووجه
الاستدلال بذلك أن وصل الضمير بمكن في إنما ، والانفصال إنما يجوز عند تعذر الاتصال ، ولا
تعذر هنا إلا بكونها في معنى « ما » ، و « إلا » .

(٥) هو لهمام بن غائب المعروف بالفرزدق ، والذائد من الذود وهو الدفع . والذمار : ما
يلزم الشخص حمايته من أهل ودهال ونحوهما ، مأخوذ من الذمر وهو الحث ؛ لأن ما تجب
حمايته كانوا يتذاكرون أى يحث بعضهم بعضاً على حمايته ، والأحساب : جمع حسب وهو ما
يعده الشخص من مفاخر نفسه وآبائه ، والمراد أنه لا يدفع عن أحسابهم إلا هو ، ولهذا فصل
الضمير وأخّره لأنه المحصور فيه .

(٦) قوله « قطر » مضعف ، قطر كنصر بمعنى صرعه صرعة شديدة . والشاهد في فصله
الضمير بعد « إلا » ، وأن « إنما » يفصل الضمير بعدها مثلها .

(٧) ص ١٥٨ - المفتاح .

معنى القصر ؛ لأن القصر ليس إلا تأكيداً على تأكيد^(١) فإن قولك « زيد جاء لا عمرو » لمن يردد المجيء الواقع بينهما يفيد إثباته لزيد فى الابتداء صريحاً وفى الآخر ضمناً .

٤ - التقديم : ومنها التقديم^(٢) كقولك فى قصر الموصوف على الصفة إفراداً : « شاعر هو » لمن يعتقده شاعراً وكاتباً ، وقلباً « قائم هو » لمن يعتقده قاعداً^(٣) ، وفى قصر الصفة على الموصوف إفراداً « أنا كفيت مُهمَّك » بمعنى وحدى ، لمن يعتقد أنك وغيرك كفيتماه مهمه ، وقلباً « أنا كفيت مُهمَّ » بمعنى لا غيرى ، لمن يعتقد أن غيرك كفى مهمه دونك كما تقدم^(٤) .

(١) ردّ هذا بأنه لو كان اجتماعُ تأكيدين يفيد القصر لأفاده نحو « إن ريداً لقائم » واللام باطل ؛ فبطل اللارم .

هذا وقد اختلف فى إفادة « أنما » بفتح الهمزة القصر ، فقليل : إنها تفيد مثل المكسورة الهمزة ، وقد اجتمعا فى قوله تعالى : آية ١١٠ سورة الكهف ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنما إلهمك إلهٌ واحدٌ ﴾ وهو من القصر الإضافى ، والمعنى ما أوحى إلىّ إلا التوحيد أى لا الشرك . ومن القصر بإنما قول الشاعر :

وإنما المرء حديثٌ بعده فكُن حديثاً حسناً لمن وعى

وقول الآخر :

وما لامرئ طول الخلود وإنما يخلده طول الثناء فيخلد

(٢) هو ثلاثة أقسام : أولها تقديم المسند إليه على نحو ما سبق فى بابهِ فى الجزء الأول

كقول المتنبي :

وما أنا أسقمْتُ جسمي به ولا أنا أضرمْتُ فى القلب نار

وثانيها تقديم المسند على نحو ما سبق فى بابهِ فى الجزء الأول ، كقول عمرو بن كلثوم :

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا

وثالثها تقديم بعض القيود على نحو ما سبق فى باب متعلقات الفعل ، كقول الشاعر :

إلى الله أشكو لا إلى الناس أننى أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

وأما تقديم بعض المعمولات على بعض فقد سبق الخلاف فى إفادته القصر بين الجمهور

وابن الأثير فى الجزء الأول .

(٣) المثالان من تقديم الخبر على المبتدأ ، وهو إنما يفيد القصر إذا كان المبتدأ معرفة

نكرة .

(٤) فى الكلام على تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى فى الجزء الأول .

فروق طرق القصر : وهذه الطرق تختلف من وجوه :

الأول : أن دلالة الثلاثة الأولى بالوضع دون الرابع^(١) .

الثاني : أن الأصل في الأول أن يدل على المثبت والمنفى جميعاً بالنص ، فلا يُترك ذلك إلا كراهة الإطناب في مقام الاختصار ، كما إذا قيل : « زيد يعلم النحو والتصريف والعروض والقوافي » ، أو « زيد يعلم النحو وعمرو وبكر وخالد » فتقول فيهما « زيد يعلم النحو لا غير »^(٢) . وفي معناه « ليس إلا » أى لا غير النحو ولا غير زيد . وأما الثلاثة الباقية فتدل بالنص على المثبت دون المنفى^(٣) .

الثالث : أن النفي^(٤) لا يجمع الثاني ؛ لأن شرط المنفى بلا ألا يكون منفياً قبلها بغيرها ، ويجمع الأخيرين ، فقال : « إنما زيد كاتب لا شاعر ، وهو يأتيني لا عمرو » لأن النفي فيهما غير مصرح به^(٥) كما يقال « امتنع زيد عن المجيء لا عمرو » .

(١) فدلالته على القصر بالذوق والبحث في سر التقديم حتى يفهم بالقرائن الحالية أنه للتخصيص لا لغيره من أغراض التقديم ، ولا تُنافى الدلالة الوضعية في الثلاثة الأولى البحث عنها في علم المعاني لأنه لا يُبحث فيه عن دلالتها على القصر وإنما يبحث فيه عن مزايا القصر وأحواله وعن المقامات التي تدعو إليها ولا شك أن هذا من صميم علم المعاني .
(٢) ببناء « غير » على الضم ، وقيل : إنها لا تستعمل كذلك إلا بعد « ليس » وهو مردود بقول الشاعر :

جواباً به تنجو اعتمد فوربنا لعن عمل أسلفت لا غير تُسأل

وقيل : إن « لا » في ذلك لنفي الجنس لا للعطف ، وخبرها محذوف أى لا غيره معلوم و عالم في المثالين ، وتكون مع هذا للقصر حملاً على « لا » العاطفة لأنها بمعناها .
(٣) أى بحسب الأصل ، وقد تحيى على خلافه ، كما تقرأ في التقديم « ما أنا قلت هذا » بالنص على المنفى دون المثبت ، وكما يقال في النفي والاستثناء « ما قام القوم إلا زيد » بالنص على المثبت والمنفى معاً ، والاستثناء المفرغ هو الأصل في القصر .

(٤) يعنى النفي بلا كما يؤخذ من توجيهه له ، ولأن المراد أن طريق القصر بلا - لا يجمع طريق النفي والاستثناء ، وقد جاء ذلك في كلام المولدين كقول الحريري :
لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه على ما تجلّى يومه لا ابن أمسه
أما النفي بغير « لا » فيجمع النفي والاستثناء ولا وجد للفرق بينهما إلا السماع .
(٥) بخلاف الثاني لأنه يصرح فيه بأداة النفي ، وإن لم يصرح فيه بالمنفى .

قال السكاكى^(١) « شرط مجامعته للثالث ألا يكون الوصف مختصاً بالموصوف^(٢) كقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾^(٣) فَإِنَّ كُلَّ عَاقِلٍ يَعْلَمُ أَنَّ الاستجابة لا تكون إلا ممن يسمع . وكذا قولهم « إِنَّمَا يَعَجِّلُ مَنْ يَخْشَى الْفُوتَ ، وقال الشيخ عبد القاهر^(٤) : « لا تحسن مجامعته له فى المختص كما تحسن فى غير المختص ، وهذا أقرب^(٥) ، قيل : ومجامعته له إما مع التقديم كقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ، لست عليهم بمسيطر ﴾^(٦) ، وإما مع التأخير ، كقولك « ما جاءنى زيد وإِنَّمَا جاءنى عمرو » وفى كون نحو هذين مما نحن فيه نظر^(٧) .

الرابع : أن أصل الثانى أن يكون ما استعمل له مما يجهله المخاطب وينكره^(٨) كقولك لصاحبك وقد رأيت شبحاً من بعيد « ما هو إلا زيد » إذا وجدته يعتقد غير زيد ويصرّ على الإنكار ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٩) وقد يُنزّل المعلوم المجهول لاعتبار مناسب فيستعمل له الثانى أفراداً، نحو : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾^(١٠) أى أنه ﷺ مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى

(١) ص ١٥٩ المفتاح .

(٢) أى بالنظر إلى الوصف فى نفسه وإن كان مختصاً بالموصوف بحسب المقام الذى

اقتضى قصره عليه .

(٣) آية ٣٦ سورة الأنعام .

(٤) ص ٢٢٩ - دلائل الإعجاز .

(٥) لأنه لا دليل على امتناع ذلك عند قصد زيادة التأكيد ، هذا والسكاكى يناقض هنا م

سبق له فى الكلام على تقديم المسند إليه ؛ لأنه هنا أجاز التخصيص مع اختصاص الوصف فى

نفسه بالموصوف ، وهناك منعه فى نحو قولهم « شر أهرّ ذا ناب » لأن المهرّ لا يكون إلا شرّاً ،

أى لأن الوصف فى نفسه مختص بالموصوف ؛ فلا فائدة فيه للتخصيص .

(٦) آية ٢١ ، ٢٢ سورة الغاشية .

(٧) لأن النفى فيهما بغير « لا » .

(٨) المراد بذلك أن يكون شأنه مما يجهله المخاطب وينكره ، لا الجهل بالفعل لأن الجهل-

بالفعل شرط فى القصر مطلقاً .

(٩) آية ٦٢ سورة آل عمران .

(١٠) آية ١٤٤ سورة آل عمران .

التبرّى من الهلاك ؛ نزلّ استعظامهم هلاكه منزلة إنكارهم إياه^(١) . ونحوه : ﴿ وما أنت بمسمع من في القبور ، إن أنت إلا نذير ﴾^(٢) فإنه ﷺ كان لشدة حرصه على هداية الناس يكرر دعوة الممتنعين عن الإيمان ولا يرجع عنها ، فكان في معرض من ظنّ أنه يملك مع صفة الإنذار إيجاد الشيء فيما يمتنع قبله إياه ، أو قلباً ، كقوله تعالى حكاية عن بعض الكفار ﴿ إن أنتم إلا بشرٌ مثلنا ﴾^(٣) أى أنتم بشر لا رسل ، نزلوا المخاطبين^(٤) منزلة من ينكر أنه بشر لاعتقاد القائلين^(٥) أن الرسول لا يكون بشراً مع إصرار المخاطبين على دعوى الرسالة . وأما قوله تعالى^(٦) حكاية عن الرسل ﴿ إن نحن إلا بشرٌ مثلكم ولكن الله يُمْنٌ على من يشاء من عباده ﴾ فمن مجازاة الخصم للتبكيك والإلزام والإفحام^(٧) فإن من عادة من ادّعى عليه خصمه الخلاف فى أمر هو

(١) فكانهم يعتقدون الشراكة بين الرسالة والتبرّى من الهلاك ، وبهذا كان القصر على الرسالة قصر أفراد ، والاعتبار المناسب فى ذلك هو الإشعار بعظم ذلك الأمر فى نفوسهم وشدة حرصهم على بقاءه بينهم ، وقيل : إن ذلك قصر قلب ، لأن محطّ القصر هو الجملة الواقعة بعد المستثنى لكونها صفة له ، والمعنى أنه رسول يخلو كما خلت الرسل من قبله ، لا رسول لا يخلو كما هو لازم استعظامهم هلاكه .

(٢) آية ٢٢ ، ٢٣ سورة فاطر . (٣) آية ١٠ سورة إبراهيم .

(٤) هم الرسل لأنهم مخاطبون فى الآية ﴿ قالوا إن أنتم إلا بشرٌ مثلنا ﴾ .

(٥) هم المشركون ، وهذا هو الاعتبار المناسب فى الآية لتتزيل المعلوم فيها عندهم منزلة المجهول ؛ فصفا الرسالة تنافى عندهم صفة البشرية ، ولهذا كان القصر فى كلامهم قصر قلب ، وقد روعى فيه حال المتكلم مع المخاطب على خلاف الأصل فى القصر من مراعاة حال المخاطب فقط ، وقيل : إن ذلك يمكن ألا يكون من تتزيل المعلوم منزلة المجهول ، بأن يجعل قصر أفراد على معنى أن الرسل لم تجتمع لهم الرسالة والبشرية كما يدعون فى زعمهم ، أو قصر قلب على معنى ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا ، أى لا بشر أعلى منا بالرسالة .

(٦) أى بعد قول المشركين السابق - آية ١١ سورة النساء .

(٧) مجازاة الخصم على وجهين : أحدهما اعتراف المجارى بمقدمة فاسدة ليرتب عليها ما يخالف مقصود الخصم ، وثانيهما اعترافه بمقدمة صحيحة ليبين أنها لا تستلزم مقصود الخصم ، وما هنا من الوجه الثانى - القصر فى قول الرسل ﴿ إن نحن إلا بشرٌ مثلكم ﴾ قصر صورى يقصد منه المشاكلة اللفظية لقول المشركين لتكون أقوى فى المجازاة ، ولا يراد منه إلا أصل الإثبات على سبيل التجرد ، وقيل : إنهم يريدون حقيقة القصر ، لأن المشركين يريدون من قصرهم أن الرسل بشر لا ملائكة ، فجاءهم الرسل بتسليم أنهم كذلك ، ويكون المقصود من القصر هذه المجازاة لا الرد عليهم ؛ لأنهم لا ينكرون بشرية الرسل بل هى ثابتة عندهم .

لا يخالف فيه أن يفيد كلامه على وجهه ، كما إذا قال لك من يناظرك « أنت من شأنك كيت وكيت » فتقول « نعم أنا من شأنى كيت وكيت ، ولكن لا يلزمنى من أجل ذلك ما ظننت أنه يلزم » ، فالرسل عليهم السلام كأنهم قالوا : « إن ما قلت من أنا بشر مثلكم هو كما قلت لا ننكره ، ولكن ذلك لا يمنع أن يكون الله تعالى قد من علينا بالرسالة » .

وأصل الثالث أن يكون ما استعمل له مما يعلمه المخاطب ولا ينكره ، على عكس الثانى ، كقولك « إنما هو أخوك » ، وإنما هو صاحبك القديم « لمن يعلم ذلك ويُقر به ، تريد أن ترفقه عليه وتنبه لما يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب^(١) وعليه قول أبى الطيب :

إنما أنت والد والأب القأ طعُ أحنى من واصل الأولاد^(٢)

لم يُرد أن يُعلم كافوراً أنه بمنزلة الوالد ، ولا ذاك مما يحتاج كافر فيه إلى الإعلام ، ولكنه أراد أن يُذكره منه بالأمر المعلوم ليعنى عليه استدعاء ما يوجبه .

وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم لادعاء المتكلم ظهوره فيستعمل له الثالث^(٣) نحو : ﴿ إنما نحن مُصلحون ﴾^(٤) ادعوا أن كونهم مُصلحين ظاهر جلى ، ولذلك جاء ﴿ ألا إنهم هم المُفسدون ﴾^(٥) للرد عليهم مؤكداً بما ترى من جعل الجملة اسمية وتعريف الخبر باللام وتوسيط الفصل^(٦) والتصدير بحرف التنبيه^(٧) ثم بأن .

(١) هذا هو المقصود من « إنما » التعريض به ، وتكون فائدة القصر المبالغة فى الترقيق لما فيه من زيادة التأكيد .

(٢) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المنبئ ، والخطاب لكافور الإخشيدى ، يعنى أنه بمنزلة الولد لمولاه ابن الإخشيد . والأب القاطع هو الذى لا يصل أولاده ، وإنما كان أحنى من الأولاد الواصلين لأبيهم لأن حنو الأب على أولاده أشد من حنو الأولاد على أبيهم بمقتضى الفطرة والطبيعة .

(٣) يقصد من استعماله هنا الرد على المخاطب كغيره من أدوات القصر ولا يقصد منه التعريض كما قصد منه فى أصل استعماله .

(٤) آية ١١ سورة البقرة . (٥) آية ١٢ سورة البقرة .

(٦) هو « هم » .

(٧) هو « ألا » .

ومثله قول الشاعر :

إنما مُصْعَبُ شهابٍ من الله تجلّت عن وجهه الظلماءُ^(١)

ادّعى أن كونه مصعب كما ذهب جليّ معلوم لكل أحد على عادة الشعراء إذا مدحوا أن يدعوا في كل ما يصفون به ممدوحهم الجلاء ، وأنهم قد شُهِرُوا به حتى إنه لا يدفعه أحد كما قال الآخر :

وتعذّلني أفناء سعد عليهم وما قلت إلا بالتي علمتُ سعد^(٢)

وكما قال البحرى :

لا أدعى لأبى العلاء فضيلةً حتى يُسلمها إليه عداه^(٣)

واعلم أن لطريق « إنما » مزية^(٤) على طريق العطف ، وهى أنه يُعقّلُ منها ثبات الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعةً واحدة بخلاف العطف ، وإذا ما استقرت وجدتها أحسن ما تكون موقعاً إذا كان الغرض بها التعريض بأمر هو مقتضى معنى الكلام بعدها^(٥) كما فى قوله تعالى : ﴿ إنما يتذكر أولو

(١) هو لعبد الله بن قيس الرقيّات فى مدح مصعب بن الزبير بن العوام وقوله « تجلت » بمعنى تكشفت ، وهذا من أبلغ المدح ، ولذلك فضله عبد الملك بن مروان على مدحه له بقوله :
يأتليج التاج فرق مفرقه على جبين كأنه الذهبُ

(٢) هو الخطيئة جروال بن أوس فى مدح بغض بن شماس وقومه بنى أنف الناقة وذم الزبرقان بدر وقومه ، وجميعهم يتمون إلى سعد بن مناة ، والأفناء جمع فنن : وهو الجماعة والشاهد فى دعواه أن ما قاله فى حق ممدوحه لا يدفعه أحد من سعد ، وقيل : إن الرواية « أبناء سعد » لأن أفناء الناس أخلاطهم ، ولا يريد الخطيئة ، وكذلك روى « الذى » بدل « التى » والشاهد فى دعواه عليهم بذلك .

(٣) هو للوليد بن عبيد المعروف بالبحرئى من أبيات له فى مدح أبى العلاء صالح بن مخلد وابنه أبى عيسى ، والشاهد فيه كالذى قبله .

(٤) توجد هذه المزية أيضاً فى طريق النفى والاستثناء وطريق التقديم .

(٥) هذا إنما يكون إذا استعملت فى أصلها وهو ما يعلمه المخاطب ولا ينكره كما سبق ، لأنه إذا كان ذلك معلوماً له فلا يهم المتكلم إفادته له ، وإنما يهمه المعنى الآخر الملوّح إليه بالتعريض ، لأنه هو الذى يجهله المخاطب ويصير على إنكاره .
هذا وقد قيل : إن عبد القاهر يرى أن « إنما » يقصد منها دائماً التعريض ولو استعملت =

الألباب ﴿^(١) فإنه تعريض بدم الكفار وأنهم من فرط العناد وغلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذى عقل ، فأنتم في طمعكم منهم أن ينظروا ويتذكروا كمن طمع في ذلك من غير أولى الألباب ، وكذا قوله^(٢) تعالى : ﴿ إنما أنت مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا ﴾ وقوله : ﴿ إنما تنذرُ الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾^(٤) المعنى على أن من لم تكن له هذه الخشية فكأنه ليس له أذن تسمع ، وقلب يعقل ؛ فالإنذار معه كلا إنذار ، قال الشيخ عبد القاهر^(٥) ومثال ذلك من الشعر قوله :

أنا لم أرزق محبتها إنما للعبد ما رزقا^(٥)

فإنه تعريض بأنه قد علم أنه لا مطمع له في وصلها ، فيئس من أن يكون منها إسعاف به . وقوله :

وإنما يعذرُ العشاقَ من عَشَقا^(٦)

يقول : ينبغي للعاشق ألا يُنكر لومَ من يلومه ؛ فإنه لا يعلم كُنه بلوى العاشق ، ولو كان قد ابتلى بالعشق مثله لعرف ما هو فيه فيعذره . وقوله :

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما لنجح الأمور بقوة الأسباب

= في المجهول المنزل منزلة المعلوم ، ولا يقصد منها الرد على المخاطب إذا استعملت هذا الاستعمال ، مع أن عبد القاهر قد ذكر أنها تأتي في كثير منها الكلام والقصد بالخبر بعدها أن تعلم السامع أمراً قد غلط فيه بالحقيقة واحتاج إلى معرفته ، ولكن لا بد مع ذلك من أن يدعى هناك فضل انكشاف وظهور في أن الأمر كالأمر الذي ذكر .

(١) آية ٩ سورة آل عمران .

(٢) آية ٤٥ سورة النازعات .

(٣) آية ٨ سورة فاطر .

(٤) ٢٣٠ دلائل الإعجاز .

(٥) هو للعباس بن الأحنف ، وفي رواية « مودتكم » بدل « محبتها » ، والإضافة في

ذلك من إضافة المصدر إلى فاعله ، وقبل البيت :

كان لي قلبٌ أعيش به فاصطلى بالنار فاحترقا

(٦) هو من قول العباس بن الأحنف أيضاً :

يلوم في الحب من لم يدرِ طعمَ هوى وإنما يعذرُ العشاقَ من عَشَقا

فاليومُ حاجتُنَا إليك وإِنَّمَا ————— يُدْعَى الطَّيِّبُ لساعة الأوصاب^(١)

يقول في البيت الأول : إنه ينبغي أن ألجج في أمرى حين جعلتك السبب إليه ، وفي الثاني : إنا قد طلبنا الأمر من جهته حين استعنا بك فيما عرض لنا من الحاجة وعوّلنا على فضلك ، كما أن من يعول على الطبيب فيما يعرض من السقم كان قد أصاب في فعله .

ثم القصر كما يقع بين المبتدأ والخبر كما ذكرنا^(٢) يقع بين الفعل والفاعل وغيرهما^(٣) ففي طريق النفي والاستثناء يؤخر المقصور عليه مع حروف الاستثناء ، كقولك في قصر الفاعل على المفعول إفراداً أو قلباً بجسب المقام « ما ضرب زيد إلا عمراً »^(٤) وعلى الثاني لا الأول قوله تعالى : ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴾^(٥) لأنه ليس المعنى أنى لم أزد على ما أمرتني به شيئاً ؛ إذ ليس الكلام في أنه زاد شيئاً على ذلك أو نقص منه ، ولكن المعنى أنى لم أترك ما أمرتني به أن أقوله إلى خلافه^(٦) لأنه قاله في مقام اشتمل على معنى أنك يا عيسى تركت ما أمرتك أن تقوله إلى ما أمرك أن لا تقوله ؛ فإنى أمرتك أن تدعو الناس أن

(١) هما كما في - معجم الشعراء - لمحمد بن أحمد العمرواني في عبيد الله بن يحيى ابن خاقان ، وقيل : إنهما للزبير بن بكار ، وقيل : إنهما للباخرزي . والسبب : كل ما يتوصل به إلى غيره ، والأوصاب : جمع وصب وهو المرض .

هذا وإنما ترك الكلام على أصل الطريق الأول والطريق الرابع من جهة استعمالها فيما يجله المخاطب أو يعلمه ؛ لأنهما كما قال صاحب الأطول مستويا النسبة إلى المعلوم والمجهول .

(٢) في التمثيل لأقسام القصر وطرقه ؛ لأن ما ذكره في ذلك من باب المبتدأ والخبر إلا ما ندر .

(٣) مما سيذكره وما يذكره كالتمييز والظرف وسائر المتعلقات إلا المصدر المؤكد والمفعول معه .

(٤) يجوز في هذا ونحوه أن يكون الفعل المسند إلى الفاعل مقصوراً على المفعول ، فيكون من قصر الصفة على الموصوف ، وأن يكون الفاعل مقصوراً على الفعل المتعلق بالمفعول ، فيكون من قصر الموصوف على الصفة ، وكذلك يقال في قصر المفعول على الفاعل ونحوهما .

(٥) آية ١١٧ سورة المائدة .

(٦) بهذا يكون قصر قلب لا إفراد .

يعبدونى ثم أنك دعوتهم إلى أن يعبدوا غيرى ، بدليل قوله تعالى ﴿أأنت قلبت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله﴾ (١) .

وفى قصر المفعول على الفاعل «ما ضرب عمرًا إلا زيد» .

وفى قصر المفعول الأول على الثانى فى نحو (٢) «كسوت وظننت» ، «ما كسوت زيدًا إلا جبة» ، و «ما ظننت زيدًا إلا منطلقًا» .

وفى قصر الثانى على الأول «ما كسوت جبة إلا زيدًا» ، و «ما ظننت منطلقًا إلا زيدًا» . وفى تفسر ذى الحال على الحال (٣) وما جاء زيد راكبًا .

وفى قصر الحال على ذى الحال «ما جاء راكبًا إلا زيد» .

والوجه فى جميع ذلك (٤) أن النفى فى الكلام الناقص - أعنى الاستثناء المفرغ - يتوجه إلى مقدّر هو مستثنى منه عام (٥) مناسب للمستثنى فى جنسه وصفته ، أما توجهه إلى مقدّر هو مستثنى منه فلكون «إلا» للإخراج واستدعاء الإخراج مُخرَجًا منه ، وأما عمومته فليتحقق الإخراج منه ، ولذلك قيل : تأنيث المضمر فى «كانت» على قراءة (٦) أبى جعفر المدنى : ﴿إن كانت إلا صبيحة﴾ بالرفع ، وفى «ترى» مبنيا للمفعول فى قراءة (٧) الحسن ﴿فأصبحوا لا تُرى إلا مساكنهم﴾ برفع مساكنهم ، وفى «بقيت» فى بيت ذى الرمة :

* فما بقيت إلا الضلوعُ الجراشعُ* (٨)

(١) آية ١١٦ سورة المائدة .

(٢) نحو «كسوت» كل فعل ينصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر، ونحو «ظننت» كل فعل ينصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر .

(٣) هو من قصر الموصوف على الصفة ، فيقال فى هذا المثال : إن زيدًا قصر على المجيء بحال الركوب ، وقيل : إن المجيء هو الذى قصر على الركوب ، أما قصر الحال على ذى الحال فهو من قصر الصفة على الموصوف .

(٤) هذا عودٌ إلى ما سبق من توجيه إفادة النفى والاستثناء القصر ، وقد سبق أن دللته على القصر بالوضع ، فلا تحتاج إلى توجيهها بما ذكر .

(٥) لا فرق فى هذا بين القصر الحقيقى والإضافى إلا بأن الإضافى يقدر فيه عام يراد به الخاص الذى يكون القصر بالإضافة إليه .

(٦) آية ٢٥ سورة الأحقاف .

(٧) آية ٢٩ سورة الشعراء .

(٨) هو لغيلان بن عقبة المعروف بذى الرمة من قوله :

طوى النحر والأجزاء ما فى غروضها

فما بقيت إلا الضلوعُ الجراشعُ

للنظر إلى ظاهر اللفظ ، والأصل التذكير لاقتضاء المقام معنى شيء من الأشياء . وأما مناسبتة في جنسه وصفته فظاهرة ؛ لأن المراد بجنسه أن يكون في نحو « ما ضرب زيد إلا عمرًا » أحدًا^(١) ، وفي نحو قولنا وما كسوت زيدًا إلا جبة « لباسًا ، وفي نحو : « ما جاء زيد إلا ركبًا » كائنا على حال من الأحوال ، وفي نحو « ما اخترت رفيقًا إلا منكم ، من جماعة من الجماعات . ومنه قول السيد الحميري :

لو خيّر المنبرُ فرسـانـه ما اختار إلا منكم فارسًا^(٢)

لما سيأتي إن شاء الله تعالى أن أصله : ما اختار فارسًا إلا منكم .

والمراد بصفته كونه فاعلاً أو مفعولاً أو ذا حال أو حالا ، وعلى هذا القياس ، وإذا كان النفي متوجهاً إلى ما وصفناه فإذا أوجب منه شيء جاء القصر^(٣) .

ويجوز تقديم المقصور عليه مع حرف الاستثناء بحالهما على المقصور ، كقولك « ما ضرب إلا عمرًا زيد ، وما ضرب إلا زيد عمرًا ، وما كسوت إلا جبة زيدًا ، وما ظننت إلا زيدًا منطلقًا ، وما جاء إلا ركبًا زيد ، وما جاء إلا زيد ركبًا » . وقولنا « بحالهما » احتراز من إزالة حرف الاستثناء عن مكانه بتأخيرته عن المقصور عليه ، كقولك في الأول « ما ضرب عمرًا إلا زيد » فإنه يختل المعنى^(٤) ، فالضابط

= يصف بذلك ناقتة . وقوله « طوى » بمعنى أضمر ، « والنحر » الدفع والنخس ، لأجرام « جمع جرز وهي الأرض اليابسة التي لا نبات فيها ، و « الغروض » جمع غرض وهو نزام ، والجراشع المنتفخة الغليظة جمع جرّشع .

(١) هو خبر يكون ، وكذلك نظائره مما بعده .

(٢) هو لإسماعيل بن محمد المعروف بالسيد الحميري ، وتقدير الشطر الثاني : « ما اختار فارسًا من جماعة من الجماعات إلا فارسًا منكم » والفارس في الأصل ركب الفرس استعير في البيت لخطيب المنبر ، وإسناد الاختيار إلى المنبر مجاز عقلي ، وكان السفّاح العباسي قد خطب يومًا فأحسن ، فمدحه بذلك .

(٣) لتحقق النفي والإثبات المحققين لمعنى القصر .

(٤) لأنه ينقلب المقصور مقصوراً عليه ، وهو خلاف المراد ، ومن تقديم المقصور عليه مع حرف الاستثناء قول الشاعر :

الناسُ إلْبُ علينا فيك ليس لنا إلا السيوفُ وأطراف القنا زردٌ

أن الاختصاص إنما يقع في الذي يلي إلا^(١) ولكن استعمال هذا النوع أعنى تقديمها قليل ، لاستلزامه قصر الصفة قبل تمامها^(٢) كالضرب الصادر من زيد في « ما ضرب زيد إلا عمرًا » والضرب الواقع على عمرو في « ما ضرب عمرًا إلا زيد » وقيل^(٣) « إذا أُخِّرَ المقصور عليه والمقصور عن « إلا » ، وقُدِّمَ المرفوع كقولنا « ما ضرب إلا عمرو زيدًا » فهو على كلامين ، وزيدًا منصوب بفعل مضمر ، فكأنه قيل « ما ضرب إلا عمرو » أى ما وقع ضرب إلا منه ، ثم قيل : من ضرب ؟ فقيل « زيدًا » أى ضرب زيدًا ، وفيه نظر ؛ لاقتضائه الحصر في الفاعل والمفعول جميعاً^(٤) .

وأما في « إنما » فيؤخر المقصور عليه^(٥) ، تقول « إنما زيد قائم » ، وإنما ضرب زيد ، وإنما ضرب زيد عمرًا ، وإنما ضرب زيد عمرًا يوم الجمعة ، وإنما ضرب زيد عمرًا يوم الجمعة في السوق « أى « ما زيد إلا قائم » ، وما ضرب إلا زيد ، وما ضرب زيد إلا عمرًا ، وما ضرب زيد عمرًا إلا يوم الجمعة ، وما ضرب زيد عمرًا يوم الجمعة إلا في السوق » ، فالواقع أخيرًا هو المقصور عليه أبدًا^(٦) ولذلك تقول ، « إنما هذا لك » ، وإنما لك هذا « أى ما هذا إلا لك » ، وما لك إلا هذا ، حتى إذا

(١) فيكون هو المقصور عليه تأخرًا معًا أو تقدّمًا معًا .

(٢) إنما جاز التقديم مع استلزامه ؛ ذلك لأنه في نية التأخير ، فكأنه مؤخر فعلاً .

(٣) على هذا لا يلزم قصر الصفة قبل تمامها ، ولا يكون في الكلام تقديم وتأخير .

(٤) أجيب عن هذا بأنه إنما يلزم من يُجوز أن يستثنى شيئاً أو أكثر بأداة واحدة دون عطف ، ولعل من قال إن نحو « ما ضرب إلا عمرو زيدًا » على كلامين لا يجوز ذلك ، فلا يقتضى ما ذهب إليه الحصر في الفاعل والمفعول جميعاً ويؤيد هذا أنه لو كان ممن يجوز ذلك لم يحتاج إلى تقدير الفعل ثانيًا ، بدليل أن من لا يجوز ذلك يرى في قوله تعالى : آية ٢٧ سورة هود ﴿ وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ﴾ أنه لم يستثن فيه الموصول والظرف جميعاً بل لا . وإنما الظرف منصوب مضمر تقديره اتبعوك بادي الرأي ، والراجح أن الكلام على التقديم والتأخير وليس على تقدير كلامين لما يظهر فيه من التكلف .

(٥) فلا يجوز تقديمه لئلا يلتبس بالمقصور ، وقد يعرض ما يوجب تقديم المقصور عليه فيتقدم ، كقولك « إنما قمت » قصر فيه المتكلم على القيام ، فقدم الفعل مع أنه هو المقصور عليه لعدم صحة تقديم الفاعل عليه .

(٦) إنما يكون الواقع أخيرًا هو المقصور عليه إذا كان جزءاً مستقلاً في آخر الكلام ولو كان فضلةً ، فالمقصور عليه في قولك « إنما جاء الذى أكرمه يوم الجمعة » هو الموصول مع =

أردت الجمع بين إنما والعطف فقل « إنما هذا لك لا لغيرك ، وإنما لك هذا لا ذاك ، وإنما أخذ زيد لا عمرو ، وإنما زيد يأخذ لا يعطى »^(١) ومن هذا نعثر على الفرق بين قوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾^(٢) وقولنا « إنما يخشى العلماء من عباد الله ﷻ فإن الأول يقتضى قصر خشية الله على العلماء ، والثانى يقتضى قصر خشية العلماء على الله »^(٣) .

=صلته ، وفى قولك « إنما جاءنى رجل عالم » هو الموصوف مع صفته ، وهكذا . وقد اعترض على ذلك بمواضع لا يظهر فيها أن الواقع أخيراً هو المقصور عليه . كقوله ﷺ : ﴿ إنما يأكل آل محمد من هذا المال ليس لهم فيه إلا المأكَل ﴾ أى لا يقع إلا أكلهم منه ، وليس المعنى لا يأكلون إلا منه ، وكقوله تعالى : آية ٩١ سورة المائدة ﴿ إنما يريدُ الشيطانُ أن يوقعَ بينكمُ العداوةَ والبغضاءَ فى الخمرِ والميسرِ ﴾ ويمكن أن يجاب عن هذا بأن هذه المواضع جاءت على خلاف الأصل فى « إنما » لأمن اللبس فيها بقرينة من القرائن ، كقوله فى الحديث « ليس لهم فيها إلا المأكَل » فإنه يدل على أن المراد أنه لا يقع إلا أكلهم منه .

(١) لأنه إذا اجتمع طريق « إنما » وطريق العطف يكون القصر مستفاداً من « إنما » والعطف مؤكداً له ، ولا ينسب القصر إليه لأنه تابع من التوابع ، وعلى هذا يكون المقصور عليه هو الواقع أخيراً قبل العطف ، وقد ذهب بعض مؤلفى عصرنا إلى أن القصر ينسب فى ذلك إلى العطف لأنه الأقوى ، فأجاز أن يقال « إنما محمود شاعر لا على » بتقديم المقصور عليه ، وإنى أرى أن الحجة فى ذلك يجب أن يعتمد فيها على أساليب البلغاء لا على نحو هذا المثال ، على أن كون العطف أقوى من غيره فى الدلالة على القصر لا يذكر مع ما له من رتبة التابع فى الكلام ؛ لأن هذا يجعله تابعاً فى إفادته بلا نزاع .

وقد يجتمع طريق « إنما » وطريق التقديم ، فتقيل : إن الذى يفيد القصر فى هذه الحالة التقديم ، وقيل إن الذى يفيد « إنما » ؛ وهذا كما فى قول الشاعر :

ألا فليمت من شاء بعدك إنما عليك من الأقدار كان حذاريا

وقول الآخر :

أسمياً لم تَرَدّه معرفة وإنما لذة ذكرناها

والمقصور عليه فى ذلك هو المقدم كما هو ظاهر .

(٢) آية ٢٨ سورة فاطر ، وقرئ برفع لفظ الجلالة ونصب العلماء فتكون الخشية مجازاً

بمعنى الإجلال لا بمعنى الخوف ، كما قال الشاعر :

أهابك إجلالاً وما بك قدرة على ولكن ملء عين حبيبها

(٣) هذا والمقصور عليه فى العطف ببل ولكن هو ما بعدهما ، وفى العطف بلا هو

المعطوف عليه قبلها ، وفى التقديم هو المقدم ، وقد يجتمع العطف والتقديم ، كقولك =

واعلم أن حكم « غير »^(١) حكم « إلا » فى إفادة القصيرين ، أى قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف ، وفى امتناع مجامعة « لا- » العاطفة ، تقول فى قصر الموصوف إفراداً « ما زيد غير شاعر » وقلباً « ما زيد غير قائم » ، وفى قصر الصفة بالاعتبارين بحسب المقام : « لا شاعر غير زيد » . ولا تقول : ما زيد غير شاعر لا كاتب ، ولا شاعر غير زيد ولا عمرو .

* * *

=هو يأتينى لا أخويه « فينسب القصر فى ذلك إلى التقديم لأن العطف تابع كما سبق ، وقيل هنا أيضاً : إنه ينسب إلى العطف ، وإنه يجوز على هذا أن يقال « فى الدار سعيد لا محمود » وهو مردود بمثل ما سبق .

(١) مثلها « سوى » ونحوه من أدوات الاستثناء ؛ لأنه لا فرق بينها جميعاً فى إفادة القصر كما سبق ، ومثال ذلك فى « سوى » قول الشاعر :

أترك ليلى ليس بينى وبينها سوى ليلة إنى إذن لصبور

تمرينات على طرق القصر

تمرين - ١

(١) بيّن لماذا أوتر القصر بالعطف على غيره في قوله تعالى : آية ٤٠ سورة الأحزاب ﴿ ما كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ وبين ما فيه من مزايا القصر .

(٢) بين طريق القصر ، والمقصور ، والمقصور عليه في قول الشاعر :

بِئْسَ اجْتَمَعَ الْمَلِكُ الْمُبَدَّدُ شَمْلُهُ وَضُمَّنَ قَوَاصِي سَنَهُ بَعْدَ قَوَاصِي

تمرين - ٢

(١) لماذا أوتر القصر بإنما في قول الشاعر :

وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتُ فإن هُمُ ذهبَ أخلاقهم ذهبوا

(٢) من أى طرق القصر قول الشاعر :

وإن سَنَامَ المجدِ من آل هاشم بنو أم مخزوم ووالدك العبدُ
وما هو المقصور فيه ؟ وما هو المقصور عليه ؟

تمرين - ٣

(١) لماذا لم يفد تعريف المسند بأل القصر في قول الخنساء :

إذا قُبِحَ البكاءُ على قتيلٍ وجدتُ بكاءَكَ الحَسَنَ الجميلاً

(٢) لماذا أوتر القصر بالنفي والاستثناء في قوله تعالى : آية ١٨ سورة العنكبوت ﴿ وإن تكذَّبوا فقد كَذَّبَ أُمُّمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِين ﴾ وبينما في قوله : آية ٢١ سورة الغاشية ﴿ فذكر إنما أنت مذكر ﴾ .

تمرين - ٤

(١) ما هو طريق القصر ؟ وما هو المقصور عليه في قول الشاعر :

- ما افترينا فى وصفه بل وصفنا بعض أخلاقه وذلك يكفى
- (٢) بين كيف اختصت المزايا البلاغية بالقصر بطرقه من العطف وغيره ؟ .

تمرين - ٥

- (١) لماذا قال الله تعالى : آية ١٠٥ سورة البقرة ﴿ والله يختص برحمته من يشاء ﴾ ولم يُفد الاختصاص بطريق من طرقه المعروفة .
- (٢) يأتى التوكيد لدفع التردد فى نحو « إن زيدا شاعر » ، ويأتى قصر التعيين لدفع التردد فى نحو « إنما زيد شاعر » ، فما هو الفرق بين دفع التردد فيهما ؟ .

تمرين - ٦

- (١) لماذا قدم المقصور عليه فى قول الشاعر :
- وما لى إلا آل أحمد شيعه وما لى إلا مذهب الحق مذهب
- (٢) بين موقع المقصور عليه فى جملتيه فى قول الشاعر :
- ما يعتكم مهجتى إلا بوصلكم ولا أسلمها إلا يدا بيد

تمرين - ٧

- (١) هل من قصر الفعل على الفاعل أو من قصر المفعول عليه قول الشاعر :
- فى ليلة لا نرى بها أحداً يحكى علينا إلا كواكبها
- (٢) بين الذى أفاد القصر من التقديم أو العطف فى قول الشاعر :
- للفتى من ماله ما قدمت يدها قبل موته لا ما اقتنى
- (٣) هل من القصر قول الشاعر :
- وكل أخ مفارق أخوه لَحمر أبيض إلا الفرقدان
- (٤) اختلف فى إفادة الاستثناء من الإثبات بالقصر، فبين ما تختاره فى ذلك .



القول فى الإنشاء

أقسام الإنشاء : الإنشاء ضربان : طلب وغير طلب .

الطلب يستعدى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل^(١) وهو المقصود بالنظر ههنا^(٢) . وأنواعه كثيرة :

أنواع الطلب :

التمنى : منها التمنى^(٣) ، واللفظ الموضوع له « ليت » ، ولا يشترط فى التمنى الإمكان ، تقول : « ليت زيدا يجرى » ، وليت الشباب يعود ، قال الشاعر :

(١) إذا استعمل الطلب فيما هو حاصل وجب تأويله ، كتقوله تعالى آية ٣٦ سورة النساء .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ قوله : آية ١ سورة الأحزاب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ فالمنى فيهما على طلب دوام الإيمان والتقوى للترقى فى مراتب الكمال فيهما .

(٢) أما الإنشاء غير الطلبى فلا يقصد بالنظر ها هنا لقلة المباحث البلاغية المتعلقة به ، ولأن أكثر أنواعه فى الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء ، ومن الإنشاء غير الطلبى الترجى ، ويرى كثير من العلماء أنه من الإنشاء الطلبى ، والحق أنه لا طلب فيه بدليل أنه يأتى فى المكروه ، نحو « لعل الحبيب مريض » ولا طلب فى مكروه ، وإنما فيه مجرد ترقب وإشفاق ، ومنه أفعال المدح والذم ، كنعم وبئس ، وأفعال التعجب ، فهى لإنشاء المدح والذم والتعجب ، وقبل إنها أخبار تحتل الصدق والكذب ، ولهذا بُشِّرَ أعرابى ببنت فقيل له : نعمت المولودة ، فقال : والله ما هى بنعمت المولودة . ومنه القسم وصيغ العقود كبعث واشترت ، ومنه « رَبِّ » و « كم » الخبرية ، لدلالتهما على إنشاء التكثير أو التقليل ، وقيل : إنهما خبر لا إنشاء .

(٣) هو طلب المحبوب الذى لا طمع فيه ، بأن يكون غير ممكن أو يكون بعيد الحصول ، فالأول كقول الشاعر :

ليت الكواكب تدنو لى فأنظمها عقود مدح فما أرضى لكم كلمى

والثانى كقول الآخر :

فيا ليت ما بينى وبين أحببى من البعد ما بينى وبين المصائب

* يا ليت أيام اليّا رواجعاً (١) *

وقد يتمنى بـ « هل » (٢) كقول القائل « هل لى من شفيع » فى مكان يعلم أنه لا شفيع له فيه (٣) لإبراز التمنى لكمال العناية به فى صورة الممكن (٤) . وعليه قوله تعالى حكاية عن الكفار : ﴿ فهل لنا من شُفعاء فيشفعوا لنا ﴾ (٥) وقد يتمنى بلو (٦) كقولك « لو تأتيني فتحدثنى » بالنصب (٧) .

قال السكاكى (٨) : وكأن حروف التنديم والتحضيض « هلاً ، وألاً بقلب الهاء همزة ، ولولا ، ولو ما » مأخوذة منهما (٩) مركبتين مع « لا » و « ما » المزيدتين ، لتضمينهما معنى التمنى (١٠) ليتولد منه فى الماضى التنديم ، نحو « هلاً أكرمت زيداً » وفى المضارع التحضيض ، نحو « هلاً تقوم » .

(١) هو من أرجوزة لعبد الله بن رؤية المعروف بالعجاج ، وقد نصب الجزءين بليت على مذهب الكوفيين ، والبصريون على أن خبرها محذوف وتقديره « أقبلن رواجعاً ، أو تكون رواجعاً » .

(٢) استعمالها فى التمنى مجاز بالاستعارة التبعية كما سيأتى فى علم البيان .

(٣) فتحمل على التمنى لأن الاستفهام لا يكون مع الجزم بانتفاء الشيء ، بل مع الجهل به .

(٤) هذا هو الحال الداعى إلى استعمال « هل » فى التمنى .

(٥) آية ٥٣ سورة الأعراف .

(٦) استعمالها فى التمنى مجاز أيضاً ، ونكتة الإشعار بعزة التمنى بإبراره فى صورة ما لم يوجد ؛ لأن « لو » فى أصلها حرف امتناع لامتناع ، ومن ذلك قول مهلهل :

فلو نُشر المقابرُ عن كليب فيخبر بالذئاب أى زير

(٧) أى نصب « تحدث » لأنه إنما يكون بعد الطلب .

(٨) ١٦٦ - المفتاح .

(٩) أى من « هل ولو » اللتين للتمنى . وهذا تكلف من السكاكى ، والنحويون على أنها موضوعة للتحضيض والتنديم من أول الأمر .

(١٠) يريد بتضمينهما ذلك جعلهما دالّين عليه مطابقة لا تضمةً .

وقد يتمنى بـ « لعل » فتعطى حكم ليت^(١) نحو « لعلى أحج فأزورك » بالنصب ، لبعد المرجو عن الحصول^(٢) ، وعليه قراءة عاصم^(٣) فى رواية حفص « لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى » بالنصب .
الاستفهام " ومنها الاستفهام^(٤) .

والألفاظ الموضوعية له : الهمزة ، وهل ، وما ، ومن ، وأى ، وكم ، وكيف ، وأين ، وأنى ، ومتى ، وأيان .

● فالهمزة لطلب التصديق^(٥) كقولك « أقام زيد ؟ وأزيد قائم ؟ » . أو التصور^(٦) كقولك : « أدبى فى الإناء أم عسل ؟ » أو : « فى الحايية دبسك أم فى الزق ؟ » ولهذا لم يفتح « أزيد قام ؟ » و « أعمراً عرفت ؟ »^(٧) .

(١) هو نصب المضارع بالفاء بعدها . وهذا مبنى على مذهب البصريين لأنهم لا ينصبونه بعد الترجى ، واستعمالها فى التمنى مجاز أيضاً ، ومنه قول الشاعر :

أسرب القطا هل من يُعيرُ جناحه لعلى إلى من قد هويتُ أطيرُ

(٢) لا يخفى أن « لعل » لا تدل على بُعد المرجو حتى يشار بها إلى ذلك ، فالأحسن أن

تجعل نكتته إظهار التمنى فى صورة الممكن المتوقع الحصول لشدة الرغبة فيه .

هذا ولا يخفى أن الحروف السابقة بعضها يستعمل فى التمنى حقيقة ، وبعضها يستعمل فيه مجازاً ، وعلى هذا لا يكون هناك محلٌ لذكرها فى علم المعانى ، وما ذكر لذلك من النكت والأعراض شأنه فيها كشأن سائر المجازات .

(٣) آية ٣٦ ، ٣٧ سورة غافر .

(٤) هو طلب حصول صورة الشيء فى الذهن بأدوات مخصوصة ، كالهمزة ونحوها مما

يأتى .

(٥) فى هذه الحال لا يذكر معها معادل، وإذا جاءت (أم) بعدها كانت منقطعة بمعنى

« بل » ، كقول الشاعر :

ولستُ أبالى بُعدَ فقدى مالكا أموتى ناء أم هو الآن واقعُ

(٦) ذكر له مثالين : أحدهم لطلب تعيين المسند إليه ، والثانى لطلب تعيين المسند ، وقد

يكون المطلوب تعيين المفعول أو نحوه من متعلقات الفعل كما سيأتى فى الأمثلة ، ويكون الجواب هنا بتعيين المسئول عنه ، وفى طلب التصديق بنعم ، أو لا .

(٧) لأنه إذا كان التقديم للتخصيص استدعى حصول التصديق بنفس الفعل ويكون المسئول

عنه زيدا بخصوصه وعمراً بخصوصه ، وذلك تصور ، وإذا كان لتقوية الحكم كان المسئول عنه التصديق به ، وكل منهما تصلح له الهمزة ، وهذا بخلاف « هل » كما سيأتى .

المسئول عنه بها هو ما يليها ، فتقول « أضربت زيدا » إذا كان الشك في الفعل نفسه وأردت بالاستفهام أن تعلم وجوده^(١) ، وتقول « أأنت ضربت زيدا ؟ » إذا كان الشك في الفاعل من هو ؟ وتقول « أزيذا ضربت ؟ » إذا كان الشك في المفعول من هو ؟^(٢) .

● و « هل » لطلب التصديق فحسب ، كقولك « هل قام زيد ؟ وهل عمرو قاعد ؟ » ولهذا امتنع « هل زيد قام أم عمرو ؟ »^(٣) وقبح « هل زيدا ضربت ؟ » لما سبق أن التقديم يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل والشك فيما قُدم عليه^(٤) . ولم يقبح « هل زيدا ضربت » لجواز تقدير المحذوف المفسر مقدما كما مر ، وجعل السكاكي^(٥) قُبْحَ نحو « هل رجل عرف » لذلك ، أى لما قبح له « هل زيدا ضربت » ويلزمه ألا يقبح نحو « هل زيد عرف » لامتناع تقدير التقديم والتأخير فيه عنده على ما سبق^(٦) . وعلل غيره^(٧) القبحَ فيهما بأن أصل « هل » أن تكون بمعنى « قد » إلا أنهم تركوا الهمزة قبلها لكثرة وقوعها في الاستفهام .

(١) على هذا تكون إذا وليها الفعل لطلب التصديق ، وقد تقوم في ذلك قرينة على خلافه ؛ كذكر المعادل في نحو « أجاء زيد أم عمرو » ، فيكون المطلوب بها التصور ويكون المسئول عنه غير ما يليها .
(٢) أما إذا وليتها جملة اسمية خبرها ليس فعلا فيكون المطلوب بها التصديق نحو « أريد قائم ؟ » .

هذه أبيات للهمزة في هذه الأحوال :

إذن ألقى الذى لاقاه أمثالى	ألا اصطبار لسلمى لها أم جلد ؟
بسيع رمين الجمر أم بثمان ؟	فوالله ما أدرى وإن كنت داريما
ويُحرم ما دون الرضا شاعر مثلى	أفى ألحق أن يعطى ثلاثون شاعرا
أطنين أجنحة الذباب يضير	فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى

(٣) لأن وقوع المفرد فيه بعد « أم » دليل على أنها متصلة يطلب بها تعيين أحد الشيئين مع العلم بثبوت الحكم ، فلا يصح اجتماعها و « هل » ، ويصح اجتماعها و « أم » المنقطعة لأنها بمعنى « بل » كقول الشاعر :

ألا ليت شعري هل تغيرت الرِّحَا رجا الحرب أم أضحت بفُلج كما هيا

(٤) إنما لم يمتنع لجواز أن يكون « زيدا » مفعول لفعل محذوف ، أو أن يكون تقديمه

(٥) ١٦٧ - المفتاح .

للاهتمام لا للتخصيص .

(٦) في الكلام على تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى ، فيكون التقديم عنده فيه للاهتمام

لا للتخصيص ، ولا يخفى أن كل ما ذكر هنا أحكام نحوية لا يصح ذكرها في هذا العلم .

(٧) هو الزمخشري في المفصل .

و « هل » تخصص المضارع بالاستقبال ، فلا يصح أن يقال « هل تضرب زيداً وهو أخوك »^(١) كما تقول « أنضرب زيداً وهو أخوك » ولهذين^(٢) - أعنى اختصاصها بالتصديق وتخصيصها المضارع بالاستقبال - كان لها مزيد اختصاص بما كونه زمانياً أظهر ، كالفعل^(٣) ، أما الثانى^(٤) فظاهر ، وأما الأول^(٥) فلأن الفعل لا يكون إلا صفة ، والتصديق حكم بالثبوت أو الانتفاء ، والنفى والإثبات إنما يتوجهان إلى الصفات لا الذوات ، ولهذا^(٦) كان قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾^(٧) أدل على طلب الشكر من قولنا : « فهل تشكرون » وقولنا : « فهل أنتم تشكرون »^(٨) لأن إبرازها ما سيتجدد فى معرض الثابت أدل على كمال العناية بحصوله من إبقائه على أصله^(٩) .

(١) أى على أن الضرب واقع فى الحال كما يفهم عرفاً من تقييده بالأخوة لأنها حالية لا مستقبلية .

(٢) لا يخفى أن كون « هل » لها مزيد اختصاص بالفعل يرجع فيه إلى استعمال العرب ، ولا حاجة إلى تكلف تعليله بذلك ؛ لأنه فى الحقيقة لا تأثير له فيه .

(٣) الكاف فى ذلك استقصائية ؛ لأن الفعل وحده هو المقصود بذلك الحكم .

(٤) هو تخصيصها المضارع بالاستقبال ، والمراد أن اقتضاه لاختصاصها بالفعل ظاهر .

(٥) هو اختصاصها بالتصديق .

(٦) أى لكونها لها مزيد اختصاص بالفعل .

(٧) آية ٨٠ سورة الأنبياء .

(٨) مع ما فيه من التأكيد بالتكرير ، لأنه على تقدير « فهل تشكرون » ، ثم حذف الفعل

الأول فانفصل ضميره .

(٩) يمكن أن يؤخذ من هذا أن « هل » لا يعدل بها عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية

إلا لهذه النكتة ، وهذا هو الذى له صلة بعلم المعانى من كل هذه المباحث التى لا صلة لها به ، ومثله فى ذلك ما قيل فى الفرق بين الاستفهام بالهمزة وبهل ، من أن الهمزة لا يستفهم بها حتى يهجر فى النفس إثبات ما يستفهم عنه ، أما « هل » فإنه لا يترجح فيها إثبات ولا نفى ، ويمكنك أن تدرك هذا السؤال بهل فى هذه الآيات :

هل بالطلول لسائل ردُّ	أم هل لها بتكلم عهد
ألا أبلغ الأحلاف عنى رسالة	وذيان هل أقسمت كل مقسم
ليت شعرى هل ثم هل آتينهم	أو يحولن ذاك خم سام

وكذا من قولنا : « أفأنتم شاكرون » وإن كانت صيغته للثبوت ، لأن « هل » أدعى للفعل من الهمزة ، فتركه معها أدل على كمال العناية بحصوله ، ولهذا لا يحسن « هل زيد منطلق » إلا من البليغ^(١) .

هى قسمان : بسيطة ، وهى التى يطلب بها وجود الشئ كقولنا « هل الحركة موجودة ؟ » . ومركبة ، وهى التى يطلب بها وجود شئ لشيء ، كقولنا « هل الحركة دائمة ؟ »^(٢) .

● والألفاظ الباقية لطلب التصور فقط^(٣) .

أما « ما » ففيل : يطلب به إما شرح الاسم^(٤) كقولنا « ما العنقاء ؟ » . وإما ماهية المسمى ، كقولنا « ما الحركة ؟ » . والقسم الأول يتقدم على قسمي « هل » جميعاً ، والثاني يتقدم على « هل » المركبة دون البسيطة ، فالبسيطة فى الترتيب واقعة بين قسمي « ما »^(٥) .

وقال السكاكى^(٦) : يُسأل بما عن الجنس^(٧) تقول « ما عندك ؟ » أى أى أجناس

(١) لأنه هو الذى يراعى دقائق النكت ، ويأتى بالكلام على مقتضى المقام .

(٢) الحق أن هذا التقسيم لا يختص بهل ، لأن الهمزة مثلها فيه ، على أن البحث فيه لا شأن لعلم المعانى به .

(٣) لكنه تصور مشوب بشيء من التصديق ؛ لأن هذا شأن التصور المطلوب فى الاستفهام ، ولهذا يصح الجواب عنه أحياناً بالتصديق ، كقوله تعالى آية ١٤ سورة الصف ﴿ كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله ﴾ .

(٤) أى بيان مدلوله الإجمالى الذى يعرف منه حقيقة .

(٥) فيطلب أولاً شرح الاسم ، ثم وجود المفهوم فى نفسه ، ثم حقيقته ، ثم ما يعرض لها ، وهو الذى يُسأل عنه بهل المركبة ، وقد قال بعضهم : إن هذا الترتيب مستحب لا واجب ؛ لأنه لا مانع مثلاً من طلب وجود المفهوم قبل معرفته .

(٦) ١٦٧ - المفتاح .

(٧) يعنى به الحقيقة الكلية ، فيشمل جميع أقسام ما يقال فى جواب « ما هو » من النوع والجنس والحقيقة الإجمالية والتفصيلية . كما يشمل الجنس من ذوى العلم وغيرهم .

الأشياء عندك^(١) ؟ وجوابه : إنسان أو فرس أو كتاب أو نحو ذلك . كذلك تقول « ما الكلمة ؟ وما الكلام ؟ » وفى التنزيل ﴿ فما خطبكم ﴾^(٢) أى أى أجناس الخطوب خطبكم ؟ وفيه ﴿ ما تعبدون من بعدى ﴾^(٣) أى أى من فى الوجود تؤثرونه للعبادة ؟ أو عن الوصف^(٤) تقول : ما زيد ؟ وما عمرو ؟ وجوابه : الكريم أو الفاضل ونحوهما^(٥) . وسؤال فرعون ﴿ وما رب العالمين ﴾^(٦) إما عن الجنس لاعتقاده لجهله بالله تعالى أن لا موجود مستقلاً بنفسه سوى الأجسام ، وكأنه قال : أى أجناس الأجسام هو ؟ وعلى هذا جواب موسى عليه السلام بالوصف^(٧) للتنبيه على النظر المؤدى إلى معرفته ، ولكن لما لم يطابق السؤال عند فرعون عجب الجتهلة الذين حوله من قول موسى بقوله لهم ﴿ ألا تستمعون ﴾ ثم لما وجده مصرأ على الجواب بالوصف إذ قال فى المرة الثانية ﴿ ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ استهزأ به وجننه بقوله ﴿ إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون ﴾ ، وحين رآهم موسى عليه السلام لم يفتنوا لذلك فى المرتين ، غلظ عليهم فى الثالثة بقوله : ﴿ إن كنتم تعقلون ﴾ . وإما عن الوصف^(٨) طمعاً فى أن يسلك موسى عليه السلام فى الجواب معه مسلك الحاضرين^(٩) ولو كانوا هم المسئولين مكانه ، لشهرته بينهم برب العالمين إلى درجة

(١) فى هذه العبارة تساهل من وجهين : أولهما أن « ما » يسأل بها عن جنس واحد لا عن جمع من الأجناس . فالمراد أى جنس من أجناس الأشياء عندك ؟ وثانيهما أن السؤال بما غير السؤال بأى ، ففى تفسيرها بها تساهل .

(٢) آية ٥٧ سورة الحجر .

(٣) آية ١٢٣ سورة البقرة .

(٤) هذا خلاف ما عليه علماء المنطق؛ لأن الذى يسأل به عن الوصف عندهم هو « أى » ، لعل السكاكى ينظر فى ذلك إلى أصل اللغة ، لأنها لا تمنع أن يسأل بما عن الوصف على سبيل الحقيقة أو المجاز ، والفرق بين مذهب السكاكى فى « ما » وما قيل فيها قبله أنها على ما قبله يطلب بها شرح الاسم ولو كان جزئياً ، ولا يسأل بها عن الوصف ، أما عنده فيسأل بها عن الوصف ولا يطلب بها إلا الكلى .

(٥) الأحسن أن يقال فى الجواب : كريم أو فاضل بالتنكير .

(٦) آية ٢٣ سورة الشعراء والآيات الآتية تقع بعدها فى الترتيب .

(٧) هو قوله تعالى ﴿ قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موفين ﴾ .

(٨) معطوف على قوله « إما » عن الجنس .

(٩) فيجاء بأن فرعون رب العالمين مثلهم .

دعت السحرة إذ عرفوا الحق أن أعقبوا قولهم ﴿ آمناً برب العالمين ﴾^(١) بقولهم : ﴿ رب موسى وهارون ﴾ نفياً لاتهامهم أن يعنوه ، ولجهله^(٢) بحال موسى إذ لم يكن جمعهما قبل ذلك مجلس ، بدليل^(٣) : ﴿ قال أولكو جئتكم بشيء مبين ، قال فأت به إن كنت من الصادقين ﴾^(٤) فحين سمع الجواب تعداه عجباً وجنناً وتفهيق بما تفهيق من قوله : ﴿ لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين ﴾^(٥).

• وأما « من » فقال السكاكى^(٦) هو للسؤال عن الجنس من ذوى العلم^(٧) تقول « من جبريل ؟ بمعنى أبشراً هو أم ملكٌ أم جنى ؟ » وكذا : « من إبليس ؟ ومن فلان ؟ » ومنه قوله تعالى^(٨) حكاية عن فرعون : ﴿ فمن ربكما يا موسى ﴾ أى أملك هو أم بشر أم جنى ؟ مُنْكَراً لأن يكون لهما ربٌّ سواء ، لادعائه الربوبية لنفسه ، ذاهباً فى سؤاله هذا إلى معنى « ألكما رب سوى ؟ » فأجاب موسى عليه السلام بقوله : ﴿ ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ كأنه قال نعم لنا رب سواك هو الصانع الذى إذا سلك الطريق الذى بين بيبيجاده لما أوجد وتقديره إياه على ما قدره ، واتبعت فيه الخريّت الماهر ، وهو العقل الهادى عن الضلال ، لزمك الاعتراف بكونه رباً، وأن لا رب سواه ، وأن العبادة له منى ومنك ومن الخلق أجمع حق لا مدفع له .
وقيل : هو للسؤال عن العارض المُشخص لذى العلم^(٩) ، وهذا أظهر ؛ لأنه

(١) آية ٤٧ ، سورة الشعراء .

(٢) معطوف على قوله « لشهرته بينهم » يعنى جهله بعلو شأن موسى ، والظاهر أنه فر جعل السؤال عن الوصف يكون مراده سؤال موسى عن صفة ربه ، كما أنه فى جعل السؤال عن الجنس كان مراده سؤاله عن جنسه ، وما ذكره السكاكى هنا فى غاية التكلف .

(٣) يستدل بهذا على أنهما لم يجمعهما قبل هذا مجلس .

(٤) آية ٣٠ ، ٣١ سورة الشعراء . (٥) آية ٢٩ سورة الشعراء .

(٦) ١٦٨ - المفتاح .

(٧) أى العقل ، والمراد بالجنس ما يشمل النوع والصنف ، لأنه يطلق عليهما فى اللغة اسم الجنس .

(٨) آية ٤٩ سورة طه .

(٩) أى العقل ، يريد بذلك ما يتعلق به من علمه ووصفه الخاص به ، فإذا قيل : من فلان ؟ ضحّ فى جوابه (زيد) كما ذكره ، وصح أن يجاب بوصف خاص به .

إذا قيل « من فلان ؟ » يجاب بزيد ونحوه مما يفيد التشخيص ، ولا نسلّم صحة الجواب بنحو : بشر أو جنى كما زعم السكاكى^(١) .

• وأما « أى » فللسؤال عما يميز أحد المتشاركين فى أمر يعمهما^(٢) يقول القائل « عندى ثياب » تقول : « أى الثياب هى ؟ » فتطلب منه وصفاً يميزها عندك عما يشاركها فى الثوبية ، وفى التنزيل : ﴿ أى الفريقين خيرٌ مقامًا ﴾^(٣) أى أنحن أو أصحاب محمد عليه السلام ؟^(٤) وفيه : ﴿ أيكم يأتينى بعرضها ﴾^(٥) أى الإنسى أم الجنى ؟ .

• وأما « كم » فللسؤال عن العدد ، إذا قلت « كم درهماً لك ؟ وكم رجلاً رأيت ؟ » فكأنك قلت « أعشرون أو ثلاثون أم كذا كذا ؟ » وتقول : « كم درهمك ؟ وكم مالك ؟ أى كم دانقاً^(٦) أو كم ديناراً ؟ وكم ثوبك ؟ أى كم شبراً أو كم ذراعاً ؟ وكم زيد ماكث ؟ أى كم يوماً أو كم شهراً ؟ وكم رأيتك ؟ أى كم مرة ؟ وكم سرت ؟ أى كم فرسخاً ، أو كم يوماً ؟ قال الله تعالى : ﴿ قال قائلٌ منهم كم لبثتم ﴾^(٧) أى كم يوماً أو كم ساعة ؟ وقال : ﴿ كم لبثتم فى الأرض عدد سنين ﴾^(٨) وقال : ﴿ سأل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ﴾^(٩) ومنه قول الفرزدق :

(١) أما قول الشاعر :

أتوا نارى فقلت متون أنتم فقالوا : الجن ، قلت عموا ظلام

فيحتمل أنه من أسلوب الحكيم ، وذلك أنه سأل عن مشخصهم لظنه أنهم من البشر ، جابوه بذلك لتخطئته فيه ، فلا يكون إذن السؤال بها عن الجنس فى البيت ولكن لا يخفى ما فى حمل ذلك على الأسلوب الحكيم من البعد .

(٢) هو مضمون ما تضاف إليه كالثوبية فى المثال الأول ، فيكون السؤال بها عن الوصف المميز لهما ، ومثل المتشاركين المتشاركين والمتشاركات .

(٣) آية ٩٣ سورة مريم .

(٤) فى هذا تساهل ؛ لأن السؤال عن الوصف المميز لأفضل الفريقين لا عن ذات كل

منهما .

(٥) آية ٣٨ سورة النمل .

(٦) يشير بهذا وما بعده إلى أن الشيء قد يكون واحداً والتمييز لأجزائه ، وإلى أن المميز

قد يحذف للعلم به .

(٨) آية ١١٢ سورة المؤمنون .

(٧) آية ١٩ سورة الكهف .

(٩) آية ٢١١ سورة البقرة .

كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلفت على عشاري^(١)
 فيمن روى بالنصب ، وعلى رواية الرفع تحتمل الاستفهامية والخبرية^(٢).

• وأما « كيف » فللسؤال على الحال ، إذا قيل « كيف زيد ؟ » فجوابه :
 صحيح أو سقيم أو مشغول أو فارغ ونحو ذلك .

• وأما « أين » فللسؤال عن المكان . إذا قيل « أين زيد ؟ » فجوابه في الدار أو
 في المسجد أو في السوق ونحو ذلك .

• وأما « أنى » فتستعمل تارة بمعنى « كيف » قال الله تعالى ﴿ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ
 أَنَّى شِئْتُمْ ﴾^(٣) أى كيف شئتم ، وأخرى بمعنى « من أين »^(٤) قال الله تعالى : ﴿ أَنَّى
 لَكَ هَذَا ﴾^(٥) أى من أين لك هذا .

• وأما « متى ، وأيان » ، فللسؤال عن الزمان إذا قيل « متى جئت » ، أو أيان
 جئت ؟ قيل : يوم الجمعة أو يوم الخميس أو شهر كذا أو سنة كذا ، وعن على بن
 عيسى الربعى : أن « أيان » تستعمل في مواضع التفخيم^(٦) كقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُ
 أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴾^(٧) وقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُوا أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ﴾^(٨).

ثم هذه الألفاظ كثيراً ما تستعمل في معان غير الاستفهام بحسب ما يناسب

(١) هو لهما بن غالب المعروف بالفرردق . والفدعاء : مشتقة من الفدع وهو عوج في
 المفاصل كأنها قد زالت عن مواضعها ، والعشار : جمعُ عشاء وهي النفساء أو الناقة التي مضى
 لحملها عشرة أشهر .

(٢) وعلى رواية الجر تتعين للخبرية ، وقيل : إن « كم » الخبرية تنصب المميز أيضاً .

(٣) آية ٢٣٣ سورة البقرة .

(٤) الفرق بين « أين » و « من أين » وأن : أن « أين » للسؤال عن المكان الذي حل فيه

الشيء ، و « من أين » للسؤال عن المكان الذي برز منه .

(٥) آية ٣٧ سورة آل عمران .

(٦) كذلك تستعمل في الاستبعاد ، وهو الأظهر في الآيتين ؛ لأن السؤال فيهما ممن لا

يؤمن بيوم القيامة ولا بيوم الدين ، فالظاهر في سؤاله الاستبعاد لا التفخيم .

(٧) آية ٦ سورة الحديد .

(٨) آية ١٢ سورة الذاريات .

المقام (١) منها الاستبطاء (٢) نحو « كم دعوتك ؟ » وعليه قوله تعالى : ﴿ حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ ﴾ (٣) .

ومنها التعجب (٤) نحو قوله : ﴿ ما لي لا أرى الهدهد ! ﴾ (٥) .

ومنها التنبيه على الضلال (٦) نحو : ﴿ فأين تذهبون ﴾ (٧) .

ومنها الوعيد (٨) كقولك لمن يسيئ الأدب : « ألم أؤدب فلاناً ؟ » ، إذا كان عالماً بذلك ، وعليه قوله تعالى : ﴿ ألم نهلك الأولين ﴾ (٩) .

(١) لأن دلالتها عليها من قبيل المجاز ، ولكل مجاز مقام يناسبه ، وإرجاع هذه المعاني إلى ما يناسبها من المقام هو الذي يجعل لها صلة المعاني ، وهي صلة ضعيفة كما سبق في نحو ذلك ، وقيل : إن دلالتها على هذه المعاني من الكناية ، وقيل : إنها من مستبعات الكلام .

(٢) دلالتها عليه من إطلاق اسم المسبب وإرادة السبب على سبيل المجاز المرسل ؛ لأن الاستفهام عن عدد الدعاء مثلاً مسبب عن تكرير الدعوة ، وتكريرها مسبب عن الاستبطاء في إجابتها .

(٣) آية ٢١٤ سورة البقرة .

(٤) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم على سبيل المجاز المرسل ؛ لأن سؤال العاقل في الآية عن حال نفسه مثلاً يستلزم جهله به ، وجهله به يستلزم التعجب منه .

(٥) آية ٢٠ سورة النمل .

(٦) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم أيضاً ؛ لأن الاستفهام عن الطريق في الآية مثلاً يستلزم تنبيه المخاطب إليه ، وتنبيهه إليه يستلزم تنبيهه على ضلاله في غفلته عن ذلك الطريق وسلوكه طريقاً واضح الضلالة ، وقيل : إنه يجوز أن يكون اللفظ مستعملاً في الاستفهام ليتوصل به إلى ذلك على طريق الكناية . وقيل : إنه يجوز أن يجعل من مستبعات الكلام ، ولا يخفى أن الحمل على ذلك يجوز في كل هذه المعاني كما سبق .

(٧) آية ٢٦ سورة التكوين .

(٨) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم أيضاً ؛ لأن الاستفهام في المثال ينبيه المخاطب إلى جزاء إساءة الأدب ، وهذا يستلزم وعيده لاتصافه بها .

(٩) آية ١٦ سورة الرسائل .

ومنها الأمر^(١) نحو قوله تعالى^(٢) : ﴿ فهل أنتم مسلمون ﴾ ونحو : ﴿ فهل من مُدَّكَر ﴾^(٣) .

ومنها التقرير^(٤) . ويشترط في الهمزة أن يليها المقرَّر به^(٥) كقولك : أفعلت ؟ إذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه ، وكقولك ، « أأنتَ فعلتَ ؟ » إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل ، وذهب الشيخ عبد القاهر والسكاكي^(٦) وغيرهما إلى أن قوله : ﴿ أأنتَ فعلتَ هذا بالهتتا يا إبراهيم ﴾^(٧) من هذا الضرب قال الشيخ^(٨) : لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان ، ولكن أن يقرَّ بأنه منه كان ، وكيف وقد أشاروا له إلى الفعل في قوله : ﴿ أأنتَ فعلتَ هذا ﴾ وقال عليه السلام : ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ ولو كان التقرير بالفعل في قولهم : ﴿ أأنتَ فعلت ﴾ لكان الجواب « فعلتُ أو لم أفعل »^(٩) وفيه نظر ؛ لجواز أن تكون الهمزة فيه على أصلها^(١٠) ، إذ ليس في السياق ما يدل على أنهم كانوا عالمين بأنه عليه السلام هو الذي كسر الأصنام ، وكقولك « أريداً ضربت ؟ » إذا أردت أن تقرره بأن مضروبه زيد .

(١) دلالتها عليه من باب الإطلاق والتقيد على سبيل المجاز المرسل ، لأن الاستفهام طلب الإقرار بالجواب مع سبق جهل المستفهم ، فاستعمل في مطلق الطلب ، ثم استعمل في الطلب على سبيل الاستعلاء وهو الأمر .

(٢) آية ١٤ سورة هود . (٣) آية ١٥ سورة القمر .

(٤) دلالتها عليه من باب الإطلاق والتقيد أيضاً ، وذلك باستعمال الاستفهام في مطلق طلب الإقرار ، ثم طلب الإقرار من غير سبق جهل .

(٥) بخلاف « هل » فإنها للتقرير بالنسبة ، وبخلاف باقي الأدوات فإنها للتقرير بما يطلب تصويره بها .

(٦) المفتاح ١٧٠ .

(٧) آية ٦٢ سورة الأنبياء .

(٨) ص ٧٨ دلائل الإعجاز .

(٩) أي ولم يكن ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ .

(١٠) من الاستفهام ، وقد أجيب عن هذا النظر بأن قوله قبل كسرهما : ﴿ لا كيداً أصنامكم ﴾ وقولهم : ﴿ سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ فيهما دلالة على علمهم بأنه هو الذي كسرهما ، فلا يصح حمل استفهامهم على حقيقته .

ومنها الإنكار^(١) إمّا للتوبيخ بمعنى - ما كان ينبغي أن يكون^(٢) نحو « أعصيت ربك؟ » أو بمعنى لا ينبغي أن يكون^(٣) كقولك للرجل يضيع الحق « أتُنسى قديم إحسان فلان؟ وكقولك هذا للرجل يركب الخطر : أخرج في هذا الوقت؟ أتذهب في غير الطريق؟ والغرض بذلك تنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل أو يرتدع عن فعل ما هم به . وإما للتكذيب بمعنى « لم يكن » كقوله تعالى : ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ﴾^(٤) وقوله : ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾^(٥) أو بمعنى - لا يكون ، نحو : ﴿ أُنْزِلُكُمْ مَوْتًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾^(٦) وعليه قول امرئ القيس^(٧) :

أَيَقْتَلْنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ
فَيَمَنْ رَوَى « أَيَقْتَلْنِي »^(٨) . وقول الآخر :

أَتُرِكَ أَنْ قَلْتُ دَرَاهِمُ خَالِدٍ رِيَارَتُهُ ؟ إِنْ إِيْذَنَ لِلنِّيمِ^(٩)

والإنكار كالتقرير يشترط أن يلي المنكر الهمزة ، كقوله تعالى : ﴿ أَعِزَّ اللَّهُ دَعْوَةَ الْغَيْرِ ﴾^(١٠) ﴿ أَعِزَّ اللَّهُ أَتَّخَذُ وَلِيًّا ﴾^(١١) ﴿ أَبْشِرْنَا مِنْ وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ ﴾^(١٢) وكقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ﴾^(١٣) أى ليسوا هم المتخيرين للنبوة من يصلح لها ، المتولين لقسم رحمة

-
- (١) دلالتها عليه من إطلاق اسم اللازم وإرادة الملزوم ، لأن إنكار الشيء يستلزم عدم توجه الذهن إليه ، وهذا يستلزم الجهل به والجهل به يستلزم الاستنهام .
(٢) إذا كان الموبخ عليه قد وقع في الماضي .
(٣) إذا كان الموبخ عليه واقعاً في الحال أو بصدد الوقوع في المستقبل .
(٤) آية ٤٠ سورة الإسراء (٥) آية ١٥٣ سورة الصافات (٦) آية ٢٨ سورة هود .
(٧) هو الحنيد بن حُجر المعروف بامرئ القيس ، والمشرقي : السيف المنسوب إلى مشارف الشام ، والمسنونة : السهام المحدودة النصال ، والزرق : الصافية في شحمرة .
(٨) لحل الرواية الأخرى « لَيَقْتَلْنِي » كما في البيت قبله .
(٩) هو لعمار بن عقيل ، « أن قلت » يعبر بـ « أن » وإن « تقتلني » على الأول لأن قلت وهو الأظهر ، والمراد بخالد : خالد بن يزيد بن يزيد الشيباني .
(١٠) آية ٤٠ سورة الأنعام (١١) آية ١٤ سورة الانعام .
(١٢) آية ٢٤ سورة القمر (١٣) آية ٣١ ، ٣٢ سورة الزخرف .

الله التي لا يتولاها إلا هو بياهر قدرته وبالح حكمته ، وعدّ الزمخشري قوله : ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾^(١) وقوله : ﴿ أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى ﴾^(٢) من هذا الضرب ، على أن المعنى : أفأنت تقدر على إكراههم على الإيمان ؟ وأفأنت تقدر على هدايتهم ؟ على سبيل القصر والإجاء أى إنما يقدر على ذلك الله لا أنت . وحمل السكاكى^(٣) تقديم الاسم فى هذه الآيات الثلاث^(٤) على البناء على الابتداء دون تقدير التقديم والتأخير كما مر^(٥) فى نحو « أنا ضربت » فلا يفيد إلا تقوى الإنكار^(٦) .

ومن مجيء الهمزة للإنكار نحو قوله تعالى : ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾^(٧)

وقول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح^(٨)

أى الله كاف عبده ، وأنتم خير من ركب المطايا ، لأن نفى النفي إثبات ، وهذا مراد من قال إن الهمزة فيه للتقرير ، أى للتقرير بما دخله النفي لا للتقرير بالانتفاء^(٩) . وإنكار الفعل مختص بصورة أخرى^(١٠) وهى نحو قولك « أزيداً ضربت أم عمراً ؟ » لمن يدعى أنه ضرب إما زيداً وإما عمراً دون غيرهما ، لأنه إذا لم يتعلق الفعل

(١) آية ٩٩ سورة يونس . (٢) آية ٤٠ سورة الزخرف . (٣) ١٧٠ ، ١٧١ المفتاح .

(٤) هى آية ﴿ أهم يقسمون ﴾ والآيتان بعدها .

(٥) أى فى الكلام على تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى .

(٦) على هذا لا يكون للتخصيص كما ذهب إليه الزمخشري .

(٧) آية ٣٦ سورة الزمر .

(٨) هو من قصيدة له فى مدح عبد الملك بن مروان ، وأندى أفعل تفضيل من الندى ، والراح : واحده راحة وهى باطن الكف ، ويجوز أن يراد بها الكف على سبيل المجاز كما فى البيت ، بشرينة إضافة بطون إليها .

(٩) لأن التقرير فى مثل هذا لا يجب أن يكون بالحكم الذى دخلت الهمزة عليه ، وإنما يكون بما يعرفه المخاطب فيه من إثبات أو نفى ، كقوله تعالى آية ١١٦ سورة المائدة ﴿ أأنت قلت للناس اتخذوني وأسمى إلهين من دون الله ﴾ .

(١٠) هذه الصورة لا يكون الفعل فيها والياً للهمزة كالصور السابقة ، ومع هذا يكون هو المنكر : وهذه الصورة . أبلغ فى نفى الفعل كما سيأتى تقريره .

ما والتقدير أنه لم يتعلق بغيرهما فقد انتفى من أصله لا محالة ، وعليه قوله تعالى : ﴿ قل الذكـرين حرم أم الأثـين أم ما اشتملت عليه أرحام الأثـين ﴾^(١) أخرج اللفظ مُخرجه إذا كان قد ثبت تحريم فى أحد الأشياء ثم أريد معرفة عين المحرم ، مع أن المراد إنكار التحريم من أصله . وكذا قوله ﴿ الله أذن لكم ﴾^(٢) إذ معلوم أن المعنى على إنكار أن يكون قد كان من الله تعالى إذن فيما قالوه ، من غير أن يكون هذا الإذن قد كان من غير الله فأضافوه إلى الله ، إلا أن اللفظ أخرج مُخرجه إذا كان الأمر كذلك ، ليكون أشد لنفى ذلك وإبطاله . فإنه إذا نفى الفعل عما جعل فاعلاً له فى الكلام ولا فاعل له غيره لزم نفيه من أصله .

قال السكاكى رحمه الله^(٣) « وإياك أن يزول عن خاترك التفصيل الذى سبق^(٤) فى نحو : أنا ضربت ، وأنت ضربت ، وهو يضرب - من احتمال الابتداء واحتمال التقديم وتفاوت المعنى فى الوجهين ، فلا تحمل نحو قوله تعالى : ﴿ الله أذن لكم ﴾ على التقديم ، فليس المراد أن الإذن يُنكر من الله دون غيره^(٥) ، ولكن أحمله على الابتداء مراداً منه تقوية حكم الإنكار » وفيه نظر ، لأنه إن أراد أن نحو هذا التركيب - أعنى ما يكون الاسم الذى يلى الهمزة فيه مظهراً لا يفيد توجه الإنكار إلى كونه فاعلاً للفعل الذى بعده فهو ممنوع^(٦) ، وإن أراد أنه يفيد ذلك إن قدر تقديم وتأخير وإلا فلا على ما ذهب إليه فيما سبق ، فهذه الصورة مما منع هو ذلك فيه على ما تقدم^(٧) .

(١) آية ١٤٣ سورة الأنعام .

(٢) آية ٥٩ سورة يونس .

(٣) ١٧١ : المفتاح .

(٤) أى فى الكلام على تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى .

(٥) لأنه بهذا يكون مقيداً للتخصيص ، وليس مراداً .

(٦) لأن المعنى على هذا قطعاً فى المظهر والمضمر .

(٧) لأن البناء فيها على المظهر فلا تحتمل تقدير التقديم والتأخير ، والحق أن السكاكى لا يخالف غيره فى توجه الإنكار فى الآية إلى الفاعل على أن المراد منه إنكار الفعل ، وإنما ينكر أن يكون التقديم فى ذلك للتخصيص ، وهذا موافق لمذهبه السابق فى الفرق بين البناء على المضمر والبناء على المظهر ، وما ذكره فى منع تقدير التقديم هنا لا يمنع أنه ممنوع عنده أيضاً لأن البناء فيه على المظهر .

لا يقال : قد يلى الهمزة غير المنكسر فى غير ما ذكرتم ، كما فى قوله :

* أَيْقَتْنِي والمُشْرِفِي مضاجعي *^(١)

فإن معناه أنه ليس بالذى يجيء منه أن يقتل مثلى^(٢) بدليل قوله :

يَغْطُ غَطِيطَ الْبَكْرِ شُدَّ خَنَاقَهُ لِيَقْتَلْنِي والمرءُ ليس بقتال^(٣)

لأننا نقول : ليس ذلك معناه ، لأنه قال « والمُشْرِفِي مضاجعي » فذكر ما يكون منعاً من الفعل ، والمنع إنما يحتاج إليه مع من يتصور صدور الفعل منه دون من يكون فى نفسه عاجزاً عنه .

ومنها التهكم^(٤) نحو : ﴿ أَصْلَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾^(٥) .

ومنها التحقير^(٦) كقولك : مَنْ هَذَا ؟ وما هذا ؟ .

ومنها التهويل^(٧) كقراءة ابن عباس^(٨) رضي الله عنه : ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ

(١) أنظر ص ٤٦ .

(٢) فيكون لإنكار الفاعل لا الفعل .

(٣) هذا البيت قبل البيت السابق ، والبكر : الفتى من الإبل ، وغطيطه : هديره فى شقشقته ، والخناق : ما يخنق به من حبل ونحوه .

(٤) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللزم ؛ لأن الاستفهام عن الشيء يستلزم الجهل به ، وبفائدته ، والجهل بذلك يستلزم التهكم به .

(٥) آية ٨٧ سورة هود .

(٦) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللزم ؛ لأن الاستفهام عن الشيء يستلزم الجهل به ، والجهل به يستلزم تحقيره ، والفرق بين التحقير والتهكم أن التهكم قد يكون بمن هو عظيم فى نفسه بخلاف التحقير ، ومن التحقير قول الشاعر :

مِنْ أَيْةِ الطَّرِيقِ يَأْتِي نَحْوَكِ الْكُرْمُ أَيْنَ الْمَحَاجِمِ يَا كَافُورَ وَالْجَلْمُ

(٧) دلالتها عليه من إطلاق اسم المسبب وإرادة السبب ؛ لأن الاستفهام عن الشيء ينشأ عن الجهل به ، والجهل به ينشأ عن كونه هائلاً لا يدرك كنهه .

(٨) آية ٣٠ ، ٣١ سورة الدخان .

العذاب المُهين . من فرعون ﴿ بلفظ الاستفهام ، لَمَّا وصف الله تعالى العذاب بأنه مهين لشدته وفظاعة شأنه أراد أن يصور كنهه فقال : ﴿ من فرعون ﴾ أى أتعرفون من هو فى فرط عتوه وتجبره ؟ ما ظنكم بعذاب يكون هو المَعَذَّب به ؟ ثم عرَّف حاله بقوله . ﴿ إنه كان عالياً من المسرفين ﴾ .

ومنها الاستبعاد^(١) نحو : ﴿ أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ﴾ . ثم تولوا عنه وقالوا معلّمٌ مجنون ﴿^(٢) .

ومنها التوبيخ والتعجيب جميعاً^(٣) كقوله تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يُحييكم ثم إليه ترجعون ﴾^(٤) أى كيف تكفرون والحال أنكم عالمون بهذه القصة ؟ أما التوبيخ فلأن هذه الحال تأبى ألا يكون للعاقل علم بالصانع ، وعلمه به يأبى أن يكفر . وصدور الفعل مع الصارف القوى مظنة تعجب ، ونظيره : ﴿ أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ﴾^(٥) .

* * *

(١) دلالتها عليه كدلالتها على الاستبطاء السابق للقرب بين معنييهما ، والفرق بينهما أن الاستبطاء يتوقَّع ما يتعلق به بخلاف الاستبعاد .

(٢) آية ١٣ ، ١٤ سورة الدخان .

(٣) دلالتها عليهما كدلالتها على الإنكار من إطلاق اسم اللارم وإرادة الملزوم ؛ لأنهما يستلزمان إنكار الموبخ عليه والمتعجب منه ، وإنكارهما يستلزم عدم توجه الذهن إليهما ، وهذا يستلزم الجهل بهما ، والجهل بهما يستلزم الاستفهام عنهما .

هذا ولا يخفى أن البحث هنا عن الاستفهام وأدواته كالبحت عن التمنى وأدواته ، فليس له كبير علاقة بعلم المعانى ، ولا وجه للاشتغال به فيه .

(٤) آية ٢٨ سورة البقرة .

(٥) آية ٤٤ سورة البقرة .

تمرينات على التمنى والاستفهام

تمرين - ١

(١) لماذا أثار الشاعر فى التمنى « ليت » على غيرها فى قوله :

ليت الكواكب تدنو لى فأنظّمها

عُقودَ مدحٍ فما أرضى لكم كَلِمى

(٢) لماذا أوثرت « لو » فى التمنى على « ليت » فى قوله تعالى : آية ١٠٢ سورة الشعراء ﴿ فلو أن لنا كرةً فنكون من المؤمنين ﴾ .

تمرين - ٢

(١) بين ما تدل عليه « هل » فى قوله تعالى حكايةً عن أهل النار آية ٤٤ سورة الشورى ﴿ هل إلى مردٍ من سبيل ﴾ ؟ وما الداعى إلى إثارتها على غيرها فيه ؟ .

(٢) بين معنى الاستفهام فى قول الشاعر :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريمةٍ وسدادٍ ثغر

تمرين - ٣

(١) هل الإنكار بالاستفهام فى البيت الآتى للتوبيخ أو للتكذيب ؟ وهل المقصود به الفعل أو غيره ؟ .

أعندى وقد مارستُ كلَّ خفيةٍ يُصدّقُ واشٍ أو يُخيّبُ سائلُ

(٢) بين ما يدلُّ عليه الاستفهام فى قول الشاعر :

فدعِ الوعيدَ فما وعيدك ضائرى أطنينُ أجنحةِ الدُّبابِ يُضيرُ

تمرين - ٤

(١) بين معنى « هل » فى قول الشاعر :

هلِ الدَّهرُ إلا ساعةٌ ثم تنقضى بما كان فيها من بلاءٍ ومن خَفَضِ

(٢) بين معنى « ليت » فى قول الشاعر :

فليتَ لى بهم قوماً إذا ركبوا شنُّوا الإغارةَ فرساناً وركباناً

الأمر

الأمر : ومن أنواع الإنشاء الأمر ، والأظهر أن صيغته من المقترنة باللام نحو : « لِيَحْضُرَ زيد » وغيرها ، نحو « أكرم عمراً » و « وُودَّ بكرًا » موضوعة لطلب الفعل استعلاء ، لتبادُر الذهن عند سماعها إلى ذلك وتوقف ما سواه على القرينة ، قال السكاكي^(١) : ولإطباق أئمة اللغة على إضافتها إلى الأمر بقولهم « صيغة الأمر ومثال الأمر ولام الأمر » وفيه نظر لا يخفى على المتأمل^(٢).

ثم إنها - أعني صيغة الأمر - قد تستعمل في غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام^(٣) كالإباحة^(٤) كقولك في مقام الإذن « جالس الحسن أو ابن سيرين » . ومن أحسن ما جاء فيه قول كثير :

أسيئى بنا أو أحسنى لا مَلُومَةٌ لدينا ولا مَقْلِيَّةٌ إِن تَقَلَّتْ^(٥)

أى لا أنت ملومة ولا مقلية ، ووجه حسنه إظهار الرضا بوقوع الداخل تحت لفظ الأمر حتى كأنه مطلوب ، أى مهما اخترت فى حقى من الإساءة والإحسان فأنا راض به غاية الرضا ، فعاملينى بهما وانظرى هل تتفاوت حالى معك فى الحالين ؟

(١) ١٧١ - المفتاح .

(٢) لأن أئمة اللغة لا يريدون بالأمر فى هذا طلب الفعل استعلاءً ، وإنما يريدون الأمر فى نحو : قم وليقم ، ولو لم يكن على جهة الاستعلاء ، لأنهم يقولون ذلك فى مقابلة الماضى والمضارع .

(٣) استعمالها فى ذلك مجاز إن منعت قرينة من إرادة الأمر وإلا فكناية وتبعية ذلك للمقام هى التى تجعل له صلة بعلم المعانى ، وهى صلة لا تقتضى ذكره فيه كما سبق فى التمنى والاستفهام .

(٤) استعمالها فيها يكون فى مقام يتوهم السامع فيه حظر شئ عليه ، لاشتراكها هى والأمر فى مطلق الإذن ، فهو مجاز مرسل من إطلاق اسم الأخص على الأعم .

(٥) هو لكثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة ، والخطاب لعزة محبوبته ، وملومة : خبر فبتبدأ تقديره لا أنت ملومة ، والمقلية : اسم مفعول من القلى وهو البغض ، وقوله « تقلت » فعل ماض منه مسند إلى ضمير المؤنث المستتر ، وأصله « تقلَّيت » فالتفت من الخطاب إلى الغيبة ، ومفعوله محذوف أى تقلَّتنا .

- والتهديد^(١) كقولك لعبد شتم مولاه وقد أدبته : « اشم مولاك » . وعليه قوله تعالى ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾^(٢) .
- والتعجيز^(٣) كقولك لمن يدعى أمراً تعتقد أنه ليس في وسعه : « افعله » وعليه ﴿ فأتوا بسورة من مثله ﴾^(٤) .
- والتسخير^(٥) نحو : ﴿ كونوا قردة خاسئين ﴾^(٦) .
- والإهانة^(٧) نحو : ﴿ كونوا حجارة أو حديداً ﴾^(٨) وقوله تعالى : ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾^(٩) .
- والتسوية^(١٠) كقوله تعالى : ﴿ أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم ﴾^(١١) وقوله تعالى : ﴿ فاصبروا أو لا تصبروا ﴾^(١٢) .

- (١) تستعمل فيه صيغة الأمر في مقام عدم الرضا بالمأمور به ، واستعمالها فيه مجاز لعلاقة شبه التضاد بينه وبين الأمر .
- (٢) آية ٤٠ سورة فصلت .
- (٣) تستعمل فيه صيغة الأمر في مقام إظهار عجز من يدعى القدرة على ما يعجز عنه ، واستعمالها فيه لعلاقة شبه التضاد أيضاً .
- (٤) آية ٢٣ سورة البقرة .
- (٥) تستعمل فيه صيغة الأمر في مقام انقياد المأمور للأمر من غير قدرة له فيه ، واستعمالها فيه لعلاقة المشابهة بينه وبين الأمر في مطلق الإلزام .
- (٦) آية ٦٥ سورة البقرة .
- (٧) تستعمل فيها صيغة الأمر في مقام عدم الاعتداد بشأن المأمور ، واستعمالها فيها لعلاقة اللزوم ؛ لأن طلب الشيء من غير قصد حصوله لعدم القدرة عليه مع خسته يستلزم إهانة المأمور ، والفرق بين الإهانة والتسخير أن الإهانة لا يحصل فيها المأمور به بخلاف التسخير .
- (٨) آية ٥٠ سورة الإسراء .
- (٩) آية ٤٩ سورة الدخان .
- (١٠) تستعمل فيها صيغة الأمر في مقام توهم رجحان أحد الأمرين على الآخر ، واستعمالها فيه لعلاقة التضاد بينها وبين الأمر ، وقيل : إن صيغة التسوية خبر لا إنشاء .
- (١١) آية ٥٣ سورة التوبة .
- (١٢) آية ١٦ سورة الطور .

والتمنى^(١) كقول امرئ القيس :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي^(٢)

والدعاء : إذا استعملت في طلب الفعل على سبيل التضرع^(٣) نحو : ﴿ رب اغفر لي ولوالدي ﴾^(٤).

والالتماس : إذا استعملت فيه على سبيل التلطف^(٥) كقولك لمن يساويك في الرتبة : « افعل » بدون الاستعلاء .

والاحتقار^(٦) نحو : ﴿ ألقوا ما أنتم ملقون ﴾^(٧).

ثم الأمر : قال السكاكي^(٨) : « حَقُّه الْفَوْرُ ؛ لأنه الظاهر من الطلب ، ولتبادر الفهم عند الأمر بشيء بعد الأمر بخلافه إلى تغيير الأمر الأول دون الجمع وإرادة التراخي ، والحق خلافه لما تبين في أصول الفقه^(٩).

* * *

(١) تستعمل فيه صيغة الأمر في مقام طلب شيء محبوب لا قدرة للطالب عليه ، ممالها فيه لعلاقة التضاد أيضاً .

(٢) هو لحنج بن حُجْر المعروف بامرئ القيس من قوله :

ألا أيها الليل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل

وقوله « انجلي » بمعنى انكشف ، والأمثل : الأفضل ، وإنما طلب انجليء الليل مع هذا لأن

في تغير الزمن راحة على كل حال .

(٣) هو طلب الأدنى من الأعلى ، وقيل : إن استعمال صيغة الأمر فيه حقيقة لا مجاز ،

وكذلك استعمالها في الالتماس .

(٤) آية ٢٨ سورة نوح . (٥) هو الطلب مع المساواة .

(٦) هو قريب من الإهانة أو هما بمعنى واحد .

(٧) آية ٤٣ سورة الشعراء .

(٨) ١٧٢ المفتاح .

(٩) الحق أنه لا معنى لذكر مثل هذا هنا ؛ لأنه من خلط مسائل علم بمسائل علم آخر .

النهى

ومنها النهى ، وله حرف واحد وهو « لا » الجازمة فى قولك « لا تفعل » وهو كالأمر فى الاستعلاء ، وقد يستعمل فى غير طلب الكف أو الترك^(١) كالتهديد^(٢) كقولك لعبد لا يمتثل أمرك « لا تمتثل أمرى » .

واعلم أن هذه الأربعة - أعنى التمنى والاستفهام والأمر والنهى - تشترك فى كونها قرينة دالة على تقدير الشرط بعدها^(٣) كقولك « ليت لى مالا أنفقَه » أى أن أرزقه ، وقولك « أين بيتك أزرُك » أى إن تعرفنيَه ، وقولك : « أكرمنى أكرمك » أى إن تكرمنى ، قال : ﴿ فتهب لى من لدنك ولياً يرثنى ﴾^(٤) بالجزم ، فأما قراءة

(١) يشير بهذا إلى الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة فى أن المطلوب فى النهى الكف أو الترك ، وهو خلاف أصولى لا معنى لذكره هنا .

(٢) استعمال النهى فيه مجاز مرسل علاقته السببية ؛ لأن النهى عن الشيء يترتب عليه التخويف على مخالفته .

وقد يستعمل النهى فى الدعاء ، كقوله تعالى آية ٢٨٦ سورة آل عمران ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ وفى الالتماس : كقول الشاعر :

لا تطويا السر عنى يوم نائبة فإن ذلك ذنب غير مغتفر

وفى التمنى كقول الشاعر :

يا ليلُ طُلْ ، يا نومُ رُكْ يا صبحُ قِفْ لا تَطْلَعْ

وفى الإرشاد ، كقول بشار :

ولا تحسب الشورى عليك غضاضة فإن الخوافى قوةً للقسا—وادم

وذكر النهى فى علم المعانى كذكر التمنى والاستفهام والأمر .

(٣) وجه ذلك أن الحامل على الطلب إما كون المطلوب مقصوداً لذاته أو لغيره لتوقفه عليه ، أى على ذلك المطلوب ، فإذا كان مقصوداً لغيره وذكره بعده : تبادر إلى الذهن أن المطلوب شرط فيه ، فيكون الطلب متضمناً لشرطه ومغنياً عن ذكره ، ولا يخفى أن ذكر هذا فى باب الإيجاز الآتى أليق من ذكره هنا .

(٤) آية ٥ سورة مريم .

الرفع فقد حملها الزمخشري على الوصف^(١) ، وقال السكاكي^(٢) الأولى حملها على الاستئناف دون الوصف لهلاك يحيى قبل زكريا عليهما السلام، وأراد بالاستئناف أن يكون جواب سؤال مقدر تضمنه ما قبله، فكأنه لما قال : ﴿ فهب لى من لدنك ولياً ﴾ قيل : ما تصنع به ؟ فقال (يرثنى) فلم يكن داخلاً فى المطلوب بالدعاء^(٣) . وقولك « لا تشتم يكن خيراً لك » أى إن لا تشتم .

وأما العرض كقولك لمن تراه لا ينزل « ألا تنزل تُصب خيراً أى إن تنزل ، فمؤلّد من الاستفهام^(٤) وليس به ، لأن التقدير أنه لا ينزل فلاستفهام عن عدم النزول طلب للحاصل وهو محال .

وتقدير الشرط فى غير هذه المواضع لقرينة جائز أيضاً ، كقوله تعالى : ﴿ فالله هو الولي ﴾ أى إن أرادوا أولياء بالحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه^(٥) وقوله : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذن لذهب ﴾^(٦) أى لو كان معه إله إذن لذهب .

✱

✱

(١) أى للنكرة قبله

(٢) ١٧٢ الفتح .

(٣) فلا يقدح تخلفه فى دعائه عدم إرثه له مع أنه نبي مستجاب الدعاء . أو قد أجاب عن ذلك من حملها على الوصف بأن المراد بالإرث إرث العلم والنبوة ، وقد حصل ليحيى فورث قبل موته أباه فيهما .

(٤) فهو مثله فى كونه قرينة دالة على شرط ، والترجى فى ذلك أيضاً مثل التمنى ، والدعاء ونحوه مثل الأمر والنهى .

(٥) لأنه من قوله تعالى : آية ٩ سورة البورى ﴿ أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي ﴾ وقيل : إن قوله : ﴿ أم اتخذوا ﴾ إنكار وتوبيخ بمعنى أنه لا ينبغي لهم أن يتخذوا من دونه أولياء لأن الله هو الولي ، فتكون الفاء للتعليل لا للشرط ، وهو ضعيف لأن المألوف فى ذلك أن يقال - والله هو الولي - كما يقال - أنضرب زيداً وهو أخوك ؟ .

(٦) آية ٩١ سورة المطففين . وتمام الآية : ﴿ لذهب كل إله بما خلق ﴾ .

النداء

ومنها النداء^(١) وقد تستعمل صيغته في غير معناه ، كالإغراء في قولك لمن أقبل
يتظلم^(٢) : يا مظلوم .

والاختصاص^(٣) في قولهم « أنا أفعل كذا أيها الرجل »^(٤) ونحن نفعل كذا أيها

(١) هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو وهو « يا » أو إحدى أخواتها ، ودلالة
النداء على الطلب التزامية ؛ لأنه بمقتضى تعريفه في معنى « أدعو » وهو فعل مضارع لا أمر ،
ولكن الدعاء يتضمن طلب الإقبال ، فلهذا جعل النداء من أقسام الطلب ، وقيل : إنه مجرد تنبيه
لا طلب فيه ، وقيل : إنه بمعنى « أقبل » فيدل على الطلب مطابقة لا التزاماً .

(٢) بهذا لا تكون « يا » في ذلك للنداء لأن الإقبال حاصل فلا معنى لطلبه ، بل يكون
المراد بها الإغراء على طلب الأمر الذي ينادى له . واستعمال النداء في الإغراء مجاز مرسل
علاقته بالإطلاق والتقييد .

(٣) استعمال النداء فيه مجاز مرسل علاقته كعلاقة الإغراء ، وهو في الحقيقة صورة نداء
كما سيأتى .

(٤) يريد بالرجل نفسه ، فهو في الحقيقة صورة نداء لا نداء ، ولكن أداة الاختصاص لما
كثر استعمالها مع أدوات النداء نزلت منزلتها ، وقيل إن الاختصاص نداء حقيقي لا مجازي ؛
لأنه لا مانع من نداء الشخص نفسه ، كما قال عمر رضي الله عنه : كل الناس أقره منك يا عمر . فنادى
نفسه : وقد تستعمل صيغة النداء في الاستغاثة ، كقول الشاعر :

يا للرجال ليسوم الأربعة أما ينفك يحدث لى بعد النهى طرباً
وفى التعجب ، كقول الشاعر :

يا لك من قنبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضى واصفرى
وفى التحسر والتوجع ، كقول الشاعر :

أيا منازل سلمى أين سلماك من أجل هذا بكيناها بكيناك
وذكر النداء في علم المعاني كذكر التمني والاستفهام والأمر والنهي ، وبما له صلة وثيقة
منه بعلم المعاني استعمال نداء القريب في البعيد وبالعكس لتنزيل كل منهما منزلة الآخر ، كما
قيل في نداء القريب المنزل منزلة البعيد :

يأيها السادر المزور من صلف مهلاً فإنك بالأيام منخدع
وكما قيل في نداء البعيد المنزل منزلة القريب :

أساكن نعمان الأراك تيقنوا بأنكم في ريع قلبى ساكن

القوم ، واغفر اللهم لنا أيتها العصابة « أى متخصصاً من بين الرجال ، ومتخصصين من بين الأقسام والعصابات .

ثم الخبر قد يقع موقع الإنشاء^(١) إما للتفاؤل أو لإظهار الحرص فى وقوعه كما مر^(٢) والدعاء بصيغة الماضى من البليغ يحتمل الوجهين^(٣) ، أو للاحتراز عن صورة الأمر ، كقول العبد للمولى إذا حوّل عنه وجهه « ينظر المولى إلى ساعة » أو لحمل المخاطب على المطلوب ، بأن يكون المخاطب ممن لا يحب أن يكذب الطالب^(٤) أو لنحو ذلك^(٥).

* * *

(١) استعمال الخبر إذا كان ماضياً فى الطلب مجازاً مرسل علاقته الضدية ، أو استعارة بتشبيه غير الحاصل بالحاصل للتفاؤل أو الحرص على وقوعه ، واستعماله إذا كان مستقبلاً فى الطلب مجازاً أيضاً ، ويجوز أن يكون كناية بجعل حصول الفعل فى المستقبل لازماً لطلبه فى الحال، ثم يطلق اللارم ويراد الملزوم ، وقيل : إنه لا يصح أن يكون كناية ، لأنه عليها يكون خبراً لفظاً ومعنى مع أنه قد جعل إنشاءً بصيغة الخبر .

(٢) فى الكلام على الشرط فى باب المسند .

(٣) يعنى التفاؤل ، وإظهار الحرص فى الوقوع . ومن ذلك قول الشاعر :

إن الثمانين - وبلغتها - قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

(٤) كأن تقول لصاحبك « تأتيني غداً » بدل ائتنى ، لتحمله بلطف على الإتيان ، لأنه إذا

لم يأتك صرت كاذباً وهو لا يحب تكذيبك .

(٥) كالتنبيه على سرعة الامثال فى قولك « أخذت عليكم عهداً لا تختلفون فى أمركم »

مكان (لا تختلفوا) .

وقد يقع الإنشاء موقع الخبر لأغراض : منها الاهتمام بالشئ ، كقوله تعالى : آية ٢٩

سورة الأعراف ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ ومنها الرضا بالواقع

حتى كأنه مطلوب كقوله ﷺ : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » . ومنها

الاحتراز عن مساواة اللاحق بالسابق ، كقوله تعالى : آية ٥٤ سورة هود ﴿ قَالَ إِنِّى أَشْهَدُ اللَّهَ

وَأَشْهَدُوا أَنِّى بَرِّءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ .

ولا يخفى أن مثل هذا يمكن ذكره فى أحوال الإسناد الخبرى .

تنبيه

ما ذكرناه فى الأبواب الخمسة السابقة ليس كله مخصصاً بالخبر ، بل كثير منه حكمُ الإنشاء فيه حكمُ الخبر^(١) يظهر ذلك بأدنى تأمل ، فليعتبره الناظر .

* * *

(١) كالذكر والحذف ونحوهما ، وقليل منه يختلف فيه حكم الإنشاء والخبر كالتأكيد ونحوه ، فإنه لا يكون فى الإنشاء للشك أو الإنكار من المخاطب ، وإنى أرى أن ذلك الكثير هو الذى يعد فى الإنشاء من علم المعانى ، أما الكلام على أنواعه فهو قليل الجدوى فيه ، فالأحسن الاستغناء عن هذا الباب من أبوابه ، وأن يلحق ما ذكره فيه بما يليق به من علم البيان وغيره .

تمرينات على الأمر والنهى والنداء

تمرين - ١

(١) ما يراد بالنهى فى قول الشاعر ؟

لا تحسب المجدَ ثمرًا أنتَ آكلُهُ لن تبلغَ المجدَ حتى تلعقَ الصبرا

(٢) ما يراد بالأمر فى قول الشاعر ؟ :

أرى ما ترين أو بخيلا مُخلِّدا أرينى جوادًا مات هزلًا لعلنى

تمرين - ٢

(١) ما يراد بالنداء فى قول الشاعر ؟ :

يا درةً نُزعتْ من تاج والدها فأصبحتْ حليّةً فى تاج رضوان

(٢) لماذا أتى بنداء القريب فى قول الشاعر ؟ :

أبىُّ لا تبعدْ وليس بخالدٍ حىٌّ ومَن تصبِ المُنونُ بعيدُ

تمرين - ٣

(١) لآى شىء استعمل الأمر باللام فى قوله تعالى : آية ٩ سورة النساء

وليشخس الذين لو تركوا من خلفهم ذريةً ضعاfulًا خافوا عليهم ﴿ ؟

(٢) لماذا أتى بنداء البعيد فى قوله تعالى : آية ٧٧ سورة الزخرف ﴿ ونادوا يا

مالك ليقتضِ علينا ربُّك قالَ إنكم ماكنون ﴿ وما يراد بالأمر فيه ؟

تمرين - ٤

(١) لماذا عبّر بالخبر عن الطلب فى قوله تعالى : آية ٨٤ سورة البقرة ﴿ وإذا

أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ﴿ ؟

(٢) ما يراد بالأمر فى قول الشاعر :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جريرُ المجامعُ

القول فى الوصل والفصل

تعريف الوصل والفصل :

الوصلُ عطفُ بعضُ الجمل على بعض ، والفصل تركه^(١) . وتمييز موضع

(١) جرى الخطيب فى جعل كل من الوصل والفصل خاصاً بالجمل على ما جرى عليه عبد القاهر فى « دلائل الإعجاز » والعلوى « فى الطراز » وابن قيم الجوزية فى « الفوائد » بل الذى جرى عليه علماء البلاغة أن كلا منهما خاص بالعطف بالواو وتركه دون غيره من حروف العطف . وبالجمل التى لا محل لها من الإعراب ؛ لأن دقة الوصل والفصل إنما تظهر فى ذلك ، أما عطف المفرد على المفرد فإنه يأتى للتشريك فى الحكم ، فأمره سهل ، وكذلك الجمل التى لها محل من الإعراب لوقوعها موقع المفرد ، ومثلها العطف بغير الواو لأنه يأتى لمعابه النحوية المعروفة ، وليس كذلك العطف بالواو فى الجمل التى لا محل لها من الإعراب ، لأنك إذا قلت - زيد قائم ، وعمرو قاعد - لم يكن معك حكم تدعى أن الواو أشركت بين الجملتين فيه ، فيشكل فى ذلك أمرها ، وتحتاج إلى اعتبار آخر من الاعتبارات الآتية ، وظاهر كلام عبد القاهر أن واو الوصل يؤتى بها لاعتبارات الوصل فقط ، وأنها تفيد من ذلك غير ما تفيد واو العطف .

وقد ذهب السكاكى إلى أن كلا من الوصل والفصل يأتى فى عطف الجمل والمفردات ، وفى العطف بالواو وغيره من حروف العطف ، وأن الموعول عليه فى ذلك هو الجهة الجامعة ، فمتى وجدت صبح العطف فى الجمل وغيرها ، كما تقول « الشمس والقمر والسماء والأرض والجن والإنس كل ذلك محدث » ومتى فقدت امتنع العطف ، فلا تقول « الشمس ومرارة الأرنب ودين المجوس كلها محدثة » وقد انتصر للسكاكى فى هذا بعض مؤلفى عصرنا ، والحق ما جرى عليه عبد القاهر وغيره ، لأنه إذا كان هناك اشتراك فى الحكم بين المفردات وأردت أن تخبر عنه لم يجر أن يمنعك من ذلك فقد الجهة الجامعة بينها ، وقد يشتبه فى ذلك بما حكى عن نصيب أنه اجتمع بالكميت فأنشده :

أَمْ هَلْ ظَعَائِنُ بِالْعِلْيَاءِ واقعةٌ وإن تكامل فيها الدل والشنبُ

فعقد نصيب واحدة ، فقال الكميت : ماذا نحصى ؟ فقال : خطأك ، فإنك تباعدت فى

القول ، أين الدل من الشنب ؟ ألا قلت كما قال ذو الرمة :

لمياء فى شفتيها حوةٌ لعس وفى اللثا وفى أنيابها بردُ

فالدل يذكر مع الغنج وما أشبهه ، والشنب يذكر مع اللعس وما أشبهه ، ولكن ما ذكره

نصيب يرجع إلى محسن بدعى يسمى مراعاة النظر . وعلم المعانى لا شأن له بالمحسنات

البدعية ، ولهذا لم يعطف ذو الرمة (حوة) على (لعس) مع المناسبة بينهما .

أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة . وهو فن منها عظيم الخطر ، صعب المسلك ، دقيق المأخذ ، لا يعرفه على وجهه ولا يحيط علماً بكنهه إلا من أوتيَ في فهم كلام العرب طبعاً سليماً ، ورزق في إدراك أسرارهِ ذوقاً صحيحاً ، ولهذا قصر بعض علماء البلاغة على معرفة الفصل من الوصل ، وما قصرها عليه لأن الأمر كذلك^(١) ، وإنما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموضه ، وأن أحداً لا يكمل فيه إلا كمل في سائر فنونها ، فوجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ وجه في البيان ، فنقول والله المستعان :

أحوال الوصل والفصل للاشتراك في الحكم :

إذا أتت جملة بعد جملة فالأولى منهما إما أن يكون لها محل من الإعراب أو لا ، وعلى الأولى إن قصد التشريك بينها وبين الثانية في حكم الإعراب عطفتُ عليها^(٢) . وهذا كعطف المفرد على المفرد^(٣) لأن الجملة لا يكون لها محل من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد ، فكما يشترط في كون العطف بالواو ونحوه^(٤) مقبولا في المفرد أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة^(٥) كما

(١) أي لأن الأمر في البلاغة مقصور على معرفة الوصل والفصل ، لأنه لا يقتصر عليها ، بل يشمل الإيجاز ونحوه من فنونها .
(٢) أي وجوباً .

(٣) فإنه واجب عند قصد الشريك ، ولكن يجوز تركه في الأحبار والصفات المتعددة ، وقد بين هذا في علم النحو .

(٤) قيل : إنه يريد بنحو الواو ما يدل على التشريك ، كالفاء ، وثم ، وحتى ، وردَّ بأن هذا الحكم مختص بالواو ؛ لأن لكل من الفاء و ثم وحتى معنى محصلاً غير التشريك ، فإن تحقق هذا المعنى حسن العطف وإن لم توجد جهة جامعة : كما تقول « إن تخرج من المنزل فتمطر السماء تبطل » أما الواو فلا بد فيه من تلك الجهة ، وقيل إنه يريد بنحو الواو ما يأتي بمعناه من حروف العطف ، وذلك نحو « أو » في قول توبة :

وقد زعمت ليلى بأنني فاجسر لئنسى ثقاًها أو عليها فجورها

وربما يؤيد هذا ما سيأتي من تفرقه بين الواو وغيره في عطف الجمل التي لا محل لها من الإعراب .

(٥) المراد بالجهة الجامعة الجامع الآتي بيانه ، واشتراط ذلك في عطف المفرد على المفرد إنما يوافق مذهب السكاكي ، ولا يوافق ما سبق له في تعريف الوصل والفصل من تخصيصها بالجمل :

فى قوله تعالى^(١) : ﴿ يَـٰلِـٔىٓ عِـٰلَمٍ مَّا يَلِـٔى جِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُـٔجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ يشترط فى كون العطف بالواو ونحوه مقبولا فى الجملة ، ذلك كقولك « زيد يكتب ويشعر ، أو يعطى ويمنع » وعليه قوله^(٢) : ﴿ وَاللّٰهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ولهذا عيب على أبى تمام قوله :

لا والذي هو عالم أنالئوى صبر وأن أبا الحسين كريم^(٣) .

إذ لا مناسبة بين كرم أبى الحسين ومرارة النوى ولا تعلّق لأحدهما بالآخر^(٤) .

الفصل لعدم الاشتراك فى الحكم :

وإن لم يقصد ذلك ترك عطفها عليها^(٥) كقوله تعالى^(٦) : ﴿ وَإِذَا سَأَلُوا عَنْ شَيْءٍ مِنْهُمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ الله يستهزئ بهم لم يعطف شئ الله

(١) آية ٢ سورة سبأ ، والجهة الجامعة فيه التقابل بين « ما باج وما يخرج » وبين « ما ينزل وما يعرج » وقد تكون شبه التماثل ، كتقول الشاعر :

ثلاثة تشرق الدينى ————— بيهجها شمس المسمى وآب إسحاق والقمر

ومثل هذا يدخل فى المحسنات البديعية عند من يفرق الوصل والفصل على الجمل

(٢) آية ٢٤٥ سورة البقرة .

(٣) هو الحبيب بن أوس المعروف بابى تمام ، وقوله « لا » نفى لما ادعته محبوبته فى البية

قبله :

زعمت هوائك عفا الغداة كما نفا عنها طلول بالئوى ورسوم

والنوى : الفراق ، والنصير : عصارة شجر مر ، وأبو الحسين : هو محمد بن الهيثم الذى مدحه أبو تمام بهذه القصيدة ، ويصح أن يكون ما فى البيت من عطف المفرد .

(٤) أجيب عن أبى تمام بأن الجامع بين الأمرين شبه التضاد ؛ لأن مرارة النوى تالضد لحلاوة الكرم وهو إلى هذا تحيل للتخلص من انسيب إلى المدح .

(٥) لا يخفى أن ترك العطف لهذا يكون مانع نحوى لا لوجه بلاغى ، فلا يصح أن يعد

من أحوال الفصل الذى هو باب من أبواب البلاغة .

فالتحق أنه لا يصح البحث عن الداعى إلى الفصل فى ذلك من هذه الجهة النحوية

وإنما يبحث عن الداعى إلى الفصل فيه بالنظر إلى جملة « قالوا » أو جملة الشرط وجوابه

كما يأتى فى الفصل لعدم الاشتراك فى القيد وشبه كمال الانقطاع .

(٦) آية ١٤ ، ١٥ سورة البقرة .

يستَهزئ بهم ﴿ على ﴿ إنا معكم ﴾ لأنه لو عطف عليه لكان من مقول المنافقين وليس منه ، وكذا قوله تعالى^(١) :

﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ﴾ ألا إنهم هم المفسدون ﴿ وكذا قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ﴾^(٢) .

الوصل بغير الواو من حروف العطف :

وعلى الثاني إن قصيد بيان ارتباط الثانية بالأولى على معنى بعض حروف العطف سوى الواو عطف عليها بذلك الحرف^(٣) فتقول « دخل زيد فخرج عمرو » إذا أردت أن خروج عمرو كان بعد دخول زيد من غير تهلة ، وتقول « خرجت ثم خرج زيد » إذا أردت أن تخبر أن خروج زيد كان بعد خروجك تهلة ، وتقول « يخطبك زيد ديناراً أو يكسوك حبة » إذا أردت أن تخبر أنه يفعل واحداً منها لا بعينه ، وعليه قوله تعالى^(٤) : ﴿ سننظركم صدقت أم كنت من الكاذبين ﴾ .

الفصل لعلام الاشتراك في القيد :

وإن لم يفصل ذلك ، فإن كان للأول حكم ولم يصد إعطاؤه للثانية تعين الفصل^(٥) كقوله تعالى^(٦) : ﴿ وإذا شئنا إلى شيءنا لنهزمهم قالوا إنا معكم إنما نحن

(١) آية ١١ ، ١٢ سورة البقرة .

(٢) آية ١٣ سورة البقرة .

(٣) أى من غير اشتراك جهة بجماعة ، فلا يشترط ذلك في عطف هذه الحروف المجمل بها لا يشترط في عطفها للمفردات ، وعلى هذا يصبح أن تقول « خرجت من المنزل فأمطرت السماء » من أنه لا يصبح فيه اشتراك بالواو لعدم الجهة الجامعة بـ قيل : إنه يشترط الجهة الجامعة في عطف الجاهل بهذه الحروف ؛ بدليل أن لا يصح أن تقول « جاليتك ملبب » ثم سورة الانطلاق من القرآن ، ثم إن التردد بشبه الأدهى « لا يخفى أن فساد هذا لربس لفقد الجهة الجامعة الآية » لأنه لا يصح من تغير العطف أيضاً ، وهذا لأن كل كلام لا بد فيه من ارتباط ما بين أجزائه ، ثم أتبع بعد ذلك اعتبار الوصل والفصل بالظن إلى الجامع الخاص الآتى وغيره من الامتيازات الآتية .

(٤) آية ٢٧ سورة النمل .

(٥) أى بلاغة لا نحياً ؛ لأن العطف يقتضى التشريك في حكم الإعراب لا في التيقود فإذا قيل « خرجت وابتعدت يوم الجمعة وعمراً » لا يلزم أن يكون خبر يوم الجمعة أيضاً ، ولكن ذلك هو الظاهر من العطف وإن لم يقتضه ، نلونا تعين الفصل بالظن فيما دنا دفعاً لإرادة ذلك الظاهر .

(٦) آية ١٤ ، ١٥ سورة البقرة .

مستهزئون * الله يستهزئ بهم ﴿ لم يعطف ﴿ الله يستهزئ بهم ﴿ على ﴿ قالوا ﴿
 لثلا يشاركه في الاختصاص بالظرف المقدم^(١) وهو قوله: ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم ﴿
 فإن استهزاء الله بهم « وهو أن خذلهم فخلأهم وما سولت لهم أنفسهم مستدرجاً
 إليهم من حيث لا يشعرون « متصل لا ينقطع بكل حال ، خلوا إلى شياطينهم أم لم
 يخلوا إليهم ، وكذلك في الآيتين الأخيرتين^(٢) فإنهم مفسدون في جميع الأحيان قيل
 لهم لا تفسدوا أو لا ، وسفهاء في جميع الأوقات قيل لهم آمنوا أو لا .

أحوال أخرى للفصل :

وإن لم يكن للأول حكم كما سبق ، فإن كان بين الحملتين كمال الانقطاع
 وليس في الفصل إيهام بخلاف المقصود كما سيأتي ، أو كمال الاتصال ، أو كانت
 الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى ، أو بمنزلة المتصلة بها - فكذاك يتعين الفصل^(٣) وأما في
 الصورة الأولى فلأن الواو للجمع والجمع بين الشيئين يقتضي مناسبة بينهما كما مر ،
 وأما في الثانية فلأن العطف فيها بمنزلة عطف الشيء على نفسه مع أن السطف يقتضي
 المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه^(٤) ، وأما في الثانية والرابعة فظاهر مما مر^(٥) .

(١) لأن هذا هو ظاهر العطف وإن لم يقتضه كما سبق ، والمراد باختصاصه بالنظر أنه
 قيد فيه لكونه شرطاً له ، والشرط قيد في الجواب كما هو معلوم .

(٢) هما قوله : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض ﴿ الآية - وقوله : ﴿ وإذا قيل
 لهم آمنوا كما آمن الناس ﴿ الآية ، والمراد أنهما أخيرتان ، باعتبار ترتيبهما فيما ذكره سابقاً ، وإن
 كانتا في الترتيل قبل هذه الآية .

(٣) هذه أربع حالات للفصل : كمال الانقطاع بلا إيهام ، وكمال الاتصال ، وشبه كمال
 الانقطاع ، وشبه كمال الاتصال ، ويضاف إليها الحالة السابقة التي تتناسب فيها الجملتان ويوجد
 في أولاهما حكم لا يقصد إعطاؤه للثانية ، ونسبى التوسط بين الكمالين من وجود المانع من
 العطف فيكون الفصل خمس حالات

(٤) ولا يرد على هذا عطف التفسير لأنه ليس من أسلوب البلغاء ، وإنما هو من أسلوب
 المؤلفين وأشباههم ، وقيل : إن الواو فيه حرف تفسير لا عطف وقد وردت هذه الواو في قول
 الشاعر : وقعدت الأديم لراهنه والذى قولهم كاذباً ومياً

فإن كانت للتفسير فأمراً ظاهرة ، وإن كانت للعطف فذلك حتموا كما سيأتي في باب
 الإيجاز والإطناب والمساواة .

(٥) لأن حكم كل واحدة منهما حكم ما هي بمنزلة من كمال الانقطاع أو الاتصال .

الأول كمال الانقطاع :

وأما كمال الانقطاع فيكون لأمر يرجع إلى الإسناد أو إلى طرفيه :
الأول : أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنى ، كقولهم « لا تدنُ من الأسد يأكلك » ، « وهل تصلح لى كذا أدفعُ إليك الأجرة » بالرفع فيهما .
وقول الشاعر :

وقال رائدهم : أرسوا نزاولها
فكل حثف امرئ يجرى بمقدار^(١)
أو معنى لا لفظاً ، كقولك « مات فلان رحمه الله »^(٢) .
أما قول اليزيدى :

ملكته حيلى ولكنى
ألفاء من زهى ساد على غاربه
وقال : إني فى الهوى كاذب
انتقم الله من الكاذب^(٣)
فعدّه السكاكى^(٤) رحمه الله من هذا الضرب ، وحمله الشيخ عبد القاهر^(٥)
رحمه الله على الاستئناف بتقدير « قلت »^(٦) .

(١) كما نسيه سيبويه إلى الانقطاع خبراً منتهى ولذنه لا يوجد فى ديوانه . والرائد هو من يقدم القوم لطلب الماء ونحوه والمراد به يعرفهم « قالدهم » وقوله « أرسوا » بفتح الهمزة أو ضمها من أرسى أو رسا بمعنى أقيموا ، وقوله « نزاولها » بمعنى نحاواها والضمير للحرب . والخنف : الهلاك ، والمقدار : مشعر بمعنى القادر . ونهى العبارة قلب ، والاصل فحذف كل امرئ ، وقيل : إنه لا قاب فيها لأن السند يتنوع بتدريج أسبابه ، والشاهد فى قوله « أرسوا نزاولها » ، ويجوز أن يكون الفصل فيه أشبه كمال الاتصال ، بل هو كونه الجملة الثانية « نزاولها » مبنية على سؤال مقدر ، والاستشهاد بذلك لما لا محل له من الإعراب منظور فيه إلى ما قبل تسليط القول عليه .

(٢) فإذا اختلفتا لفظاً لا معنى ، لم يكن عندهم من كمال الانقطاع كما سيأتى فى أحوال الوصل .

(٣) هو لبيحى بن المبارك المعروف باليزيدى ، قيل إنه لإبراهيم بن المدثر . والسبيل فى الأصل الرائد أو الرمن والمراد به عهد الود ، والغارب : الكاهل ، والمراد بالقاء عهد الود على تركه نه ، والشاهد فى البيت الثانى بين جملة « قال » وجملة « انتقم » على ما سيأتى .
(٤) ١٤٦ المفتح . (٥) ١٥٥ دلائل الإعجاز .

(٦) أى قلت انتقم الله ، فيكون من شبه كمال الاتصال ، يرجح هذا بأن ما ذهب إليه السكاكى لا يأتى إلا يجعل « انتقم الله من الكاذب » من كلام المحكى عنه وهو بعيد ، ويمكن أن يجاب عنه بأن الفصل عنده أيضاً بين جملة « انتقم الله » وجملة « قال إني فى الهوى كاذب » لا .

الثاني : ألا يكون بين الجملتين جامعٌ كما سيأتى (١) .

= جملة « إني في الهوى كاذب » من غير « قال » ولكنه لا يقدر قلت ، ولا مانع من الجمع بين كونه لكمال الانقطاع والاستئناف .

هذا وإنى أرى أن ترك العطف في هذا الضرب لمانع نحوي ، فلا يصح أن يعدّ من الفصل المعدود من أبواب البلاغة ، على أن سيبويه يبيّز العطف في نحو « هذا زيد ومن عمرو ؟ مع اختلافهما خبراً وإنشاءً ، ومن ذلك قوله تعالى آية ١٧٣ سورة آل عمران : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ .

(١) انتفاء الجامع بين الجملتين قد يكون بسبب انتفائه عن المسند إليه فيهما كقولك « زيد طويل ، وعمرو قصير » إذا لم يكن بينهما جامع من صداقة ونحوها ، وقد يكون بسبب انتفائه عن المسند فيهما ، كقولك « زيد طويل وعمرو نائم » في حال وجود صداقة بينهما ، وهذا ما يريده القوم بكمال الانقطاع في هذا الضرب ، فلا يريدون به إلا انتفاء الجامع الخاص الآتي ، ولا يعنون به أن يتفكك الكلام بحيث لا يكون فيه ارتباط ما يجمع بين أجزائه ، وإذا كان هذا هو ما يريدونه من ذلك فلا معنى لاعتراض بعض مؤلفي عصرنا عليهم في تلك التسمية ، ولا لما ذكره من أنها توهم جوار تفكيك الكلام ، ولا لما بناءه على ذلك من وجوب أن يكون ما يسمونه كمال الانقطاع وشبه كمال الانقطاع وغيرهما وجوه ارتباط واتصال بين الجمل ، ولا ضير بعد هذا في كون الاتصال بالواو أو بتركة « ولست أدري كيف يكون الاتصال بترك الواو ؟ ولا كيف يكون الاختلاف خبراً وإنشاءً مثلاً وجهاً من وجوه الارتباط ؟ ولا أية فائدة للاشتغال بمثل هذا في علم المعاني ؟ وكل ما أتى به لم يغير شيئاً من مواضع الوصل ، ولا شيئاً من مواضع النصل . وهذه أبيات من الشعر يتبين منها كيف يوجد كمال الانقطاع بمعناه الاصطلاحي في الكلام ، وهو مع هذا متسق تتلاقى أجزاؤه في غرض من الأغراض :

سَلِمْتَ وما الديارُ سَلَامَات	على عنتِ البليلى يا دار هند
ولا زالت مَفْوْقَةُ الغسوادى	تُصِيبُ رَبَّكَ مِنْ خَطْأٍ وَعَمَدٍ
على أنى متسى مطرُك	ففضل ما سقاك الغيثُ بعدى
* * *	*

أرى بصري عن كل يوم وليلة
ومن يصحب الأيام تسعين حجة
لعمري لئن أمسيت أمشى مقيّداً
لما كنتُ أمشى مطلق القيّد أكثر
وقد يبلغ من تلاقى الجملتين مع ما بينهما من كمال الانقطاع بمعناه الاصطلاحي أن تكون الثانية منهما مفرعة على الأولى ، وفي هذه الحالة يصح عطف الثانية على الأولى بالفاء ، ويصح الاكتفاء بالإتيان بها بعدها من غير عطف كقول الشاعر :

الشيب كَرُهُ وعسره أن يفارقنى عجب نُسَى على البغضاء مردود

وقد روى بالفاء « فاعجب لنسَى » .

الثانى : كمال الاتصال :

وأما كمال الاتصال فيكون لأمر ثلاثة :

الأول : أن تكون الثانية مؤكدة للأولى ، والمقتضى للتأكيد دفعُ توهم التجوُّز والغلط . وهو قسمان :

أحدهما : أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوى من متبوعه فى إفادة التقرير مع الاختلاف فى المعنى ^(١) كقوله تعالى ^(٢) : ﴿ أَلَمْ ، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ فَإِنْ وَرَأَى ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ فى الآية ورَأَى « نفسه » فى قولك جاءنى الخليفة نفسه ^(٣) ؛ فإنه لما بولغ فى وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصوى من الكمال بجعل المبتدأ « ذلك » وتعريف الخبر باللام ^(٤) كان عند السامع قبل أن يتأمل مَظَنَّةً أن يُرْمَى به جزأً من غير تحقق ^(٥) فأتبعه ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ نفياً لذلك ^(٦) إتباع الخليفة « نفسه » إزالةً لما عسى أن يتوهم السامع أنك فى قولك « جاءنى الخليفة » متجوِّز أو ساه ، وكذا قوله : ﴿ كَانَ لَمْ يَسْمَعَهَا كَأَنَّ فى أذنيه وقرأ ﴾ ^(٧) .

(١) ضابط ذلك أن يختلف مفهوم كل منهما ولكن يلزم من ثبوت معنى إحداهما ثبوت معنى الأخرى ، ومقتضى تنزيله منزلة التأكيد المعنوى أنه ليس منه وإنما هو تأكيد لغوى لا اصطلاحى ، وقيل : إن المراد تنزيله منزلة التأكيد فى المفرد ، فيكون من التأكيد الاصطلاحى .

(٢) آية ١ ، ٢ سورة البقرة .

(٣) هذا إنما يأتى بجعل ﴿ أَلَمْ . طائفة من الحروف أو جملة مستقلة حذف أحد جزءيها ، وجعل ﴿ ذلك الكتاب ﴾ جملة ثانية ، وجعل ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ جملة ثالثة . ويجوز أن يجعل ﴿ ذلك الكتاب لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ جملة واحدة ، وعلى هذا لا شاهد فيه للتأكيد المعنوى بين جملتين .

(٤) لأن « ذلك » إشارة إلى بعد المنزلة ، وتعريف الخبر باللام يقتضى الحصر ، أى ذلك الكتاب لا غيره .

(٥) هذا يقطع النظر عن كونه كلام الله تعالى ؛ لأنه يجرى فى ذلك على أساليب البشر .

(٦) فكأنه قيل : لا ريب فى بلوغه تلك الغاية من الكمال ، وهذا المعنى يخالف معنى ﴿ ذلك الكتاب ﴾ لكنهما متلازمان كما هو ظاهر .

(٧) آية ٧ سورة لقمان .

الثانى سقرر لما أفاده الأول^(١) وكذا قوله : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾^(٢) لأن قوله : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ معناه الثبات على اليهودية ، وقوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ رد للإسلام ودفع له منهم ؛ لأن المستهزئ بالشئ المستخف به منكر له ودافع له لكونه غير معتد به ، ودفع نقيض الشئ تأكيداً لثباته^(٣) ويحتمل الاستئناف^(٤) أى فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أصحاب محمد ؟ .

وثانيهما : أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعه فى اتحاد المعنى^(٥) كقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هَدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(٦) فَإِنَّ ﴿ هَدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ معناه أنه فى الهداية بالغ درجة لا يدرك كنهها حتى كأنه هداية محضبة^(٧) وهذا معنى قوله : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ لأن معناه كما مر الكتاب الكامل ، والمراد بكماله كماله فى الهداية^(٨) ؛ لأن الكتب السماوية بحسبها تتفاوت فى درجات

(١) لأن معنى الجملة الأولى أنه لم يسمعها مصادفة أو قصداً إلى عدم سماعها ، ومعنى الثانية أنه لم يسمعها لفساد سمعه ، والمقصود من التشبيهين فى الجملتين هو عدم التأثر بسماع الآيات . وهذا هو ما يتلزامان فيه مع اختلاف معناهما ، وعلى هذا تكون الجملتان مستأنفتين ، وقد قيل : إن قوله : ﴿ كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا ﴾ حال من قوله قبله ﴿ وَلَىٰ مُسْتَكْبِرًا ﴾ وقواه : ﴿ كَانَ فى أذنيه وقرأ ﴾ حال من قوله : ﴿ لَمْ يَسْمَعْهَا ﴾ وعلى هذا يكون لها محل من الإعراب فلا يكونان مما نحن فيه ، وهما الجملتان اللتان لا محل لهما من الإعراب .

(٢) آية ١٤ سورة البقرة .

(٣) هذا والاستشهاد بذلك لما لا محل له من الإعراب منقول فيه إلى حاله قبل الحكاية ، لأنه فى محل نصب بقوله قبله ﴿ قَالُوا ﴾ .

(٤) فيكون من شبه كمال الاتصال .

(٥) مع هذا قد يختلفان فى اللفظ كما فى الأمثلة التى ذكرها ، وقد يتحدثان فى المعنى واللفظ كما فى قوله تعالى : آية ١٧ سورة الطارق ﴿ فَيَسْأَلُ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ رُؤُودًا ﴾ واستحسن بعضهم قصر التأكيد اللفظي على ما اتحد لفظه ومعناه ، فيكون كل ما اختلف لفظه من التأكيد المعنوي ، والخطب فى ذلك سهل .

(٦) آية ٢ سورة البقرة .

(٧) هذا مأخوذ من تنكير « هدى » وأنه لم يقل هاد ، وهدى على هذا خبر مبتدأ محذوف تقديره « هو » .

(٨) يجوز أن يراد به الكمال الأعم ، فيكون ذلك من التأكيد المعنوي لاختلاف معنى الجملتين .

الكمال . وكذلك قوله تعالى (١) : ﴿سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ فإن معنى قوله : ﴿لا يؤمنون﴾ معنى ما قبله (٢) وكذا ما بعده (٣) تأكيد ثان ؛ لأن عدم التفاوت بين الإنذار وعدمه لا يصح إلا فى حق من ليس له قلب يخلص إليه حق ، وسع تدرك به حجة ، وبصر تثبت به عبرة ، ويجوز أن يكون ﴿لا يؤمنون﴾ خبراً لـ (إن) (٤) فالجمله قبلها اعتراض .

الثانى (٥) : أن تكون الثانية بدلاً من الأولى ، والمقتضى للإبدال كون الأولى غير وافية بتمام المراد بخلاف الثانية ، والمقام يقتضى اعتناء بشأنه لنكتة ، ككونه مطلوباً فى نفسه أو فظيلاً أو عجيباً أو لطيفاً ، وهو ضربان :

أحدهما : أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل البعض من متبوعه (٦) كقوله تعالى (٧) : ﴿أمدِّكم بما تعلمون . أمدِّكم بأنعامٍ وبنين . وجناتٍ وعيون﴾ فإنه مسوقٌ للتنبيه على نعم الله تعالى عند المخاطبين ، وقوله : ﴿أمدِّكم بأنعامٍ وبنين وجناتٍ وعيون﴾ أوفى بتأديته مما قبله (٨) لدلالته عليها بالتفصيل من غير إحالة على

(١) آية ٦ سورة البقرة .

(٢) قيل : إنه غيره ، وهو الظاهر فيكون ذلك من التأكيد المعنوى .

(٣) هو قوله : ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾ والظاهر

أنه تأكيد معنوى .

(٤) فى قوله قبل ذلك ﴿إن الذين كفروا﴾ .

هذا وكما يجب الفصل بين الجملة المؤكدة لأخرى يجب الفصل بين الجملتين المؤكنتين الجملة قبلهما كما سبق فى قوله تعالى : ﴿الم﴾ ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴿وقد تعطف الجملة المؤكدة بالفاء أو ثم ، كقوله تعالى : آية ٣٤ و ٣٥ سورة القيامة ﴿أولئكَ فأولئكَ﴾ ، ثم أولئكَ فأولئكَ وقيل : إن ذلك عطف صورى لا حقيقى ، وقيل : إنه تأسيس لا تأكيد ؛ لأن الجملة الثانية أبلغ فى الإنذار من الأولى .

والحق أن ترك العطف فى الجملة المؤكدة لجملة قبلها مانع نحوى ، فلا يصح أن يعد من

الفصل كما سبق . (٥) أى من الأمور التى يكون بها كمال الاتصال .

(٦) أى فى المفرد ؛ فيكون ذلك بدلاً صطلاحياً على ما سبق فى التأكيد .

(٧) آية ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ سورة الشعراء .

(٨) فنكتته كونه مطلوباً فى نفسه .

عملهم مع كونهم معاندين ، والإمداد بما ذكر من الأنعام وغيرها بعض الإمداد بما يعلمون^(١) ، ويحتمل الاستئناف^(٢) .

وثانيهما : أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشتمال من متبوعه ، كقوله تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ . اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مِهْتَدُونَ ﴾^(٣) فإن المراد به حمل المخاطبين على اتباع الرسل ، وقوله تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مِهْتَدُونَ ﴾ أوفى بتأديته ذلك ؛ لأن معناه : لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم ، وتربحون صحة دينكم ، فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة .

وقول الشاعر :

أقول له : ارحلْ لا تُقيمَنَّ عندنا وإلا فكنْ في السر والجهر مسلماً^(٤)

فإن المراد به كمال إظهار الكراهة لإقامته بسبب خلاف سره العلن ، وقوله « لا تقيمَنَّ عندنا » أوفى بتأديته لدلالته عليه بالمطابقة مع التأكيد^(٥) بخلاف « ارحلْ »^(٦)

(١) يعني أنه بعضه في الظاهر وإن كان المراد منهما واحداً كالمراد من قولك « أكلت الرغيف ثلثه » .

(٢) فيكون من شبه كمال الاتصال ، وردّ بأنه لو كان منه لكان التأكيد مستحسنًا كما سيأتي ، مع أن الجملة الثانية قد أعيدت من غير تأكيد .

(٣) آية ٢٠ و ٢١ سورة يس .

(٤) لا يُعرف قائله ، ويريد بقوله « مسلماً » أن يكون معه كالمسلم في استواء ظاهره وباطنه ، ويجوز أن يكون المراد به مُسلماً ، والاستهاد بقوله « ارحلْ لا تقيمَنَّ » بالنظر إلى حاله قبل حكايته بالقول كما سبق في نظائره .

(٥) كون هذه الدلالة مطابقة منظرٍ فيه إلى العُرف ؛ لأنك إذا قلت لآخر « لا تقم عادي » لم تقصد كفه من الإقامة ، وإنما تقصد إظهار الكراهة لإقامته .

(٦) لأن دلالته عليه بالالتزام ، وهي باعتبار العرف أيضاً ؛ لأن طلب الارتفاع يقتضى عرفاً محبته ، ومحبته تقتضى كراهة ضده وهو الإقامة .

وزان الثانية مع كل واحد من الآية والبيت وزانٌ « حسنهما » فى قولك « أعجبتنى الدار حسنهما » لأن معناها مغاير لمعنى ما قبلها وغير داخل فيه مع ما بينهما من الملازمة^(١).

الثالث^(٢) أن تكون الثانية بياناً للأولى ، وذلك بأن تنزلَ منها منزلة عطف البيان مع متبوعه فى إفادة الإيضاح ، والمقتضى للتبيين أن يكون فى الأول نوع خفاء مع اقتضاء المقام إزالته . كقوله تعالى^(٣) : ﴿ فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ومُلْك لا يَبْلَى ﴾ فصلَ جملة (قال) عمّا قبلها لكونها تفسيراً له وتبييناً^(٤) . ووزانه وزانٌ عمر فى قوله :

أقسم بالله أبو حفص عمر^(٥)

(١) يريد بهذا تحقيق كون ذلك بدل اشتمال لا تأكيداً ولا بدل بعض من كل ، ولكنه لا يمنع إلا أن يكون تأكيداً لفظياً كما هو ظاهر ، ولهذا قيل : إنه يصح أن يكون ما فى البيت تأكيداً معنوياً ، لأن عدم الإقامة مغاير للارتحال بحسب المفهوم ، ولكنه ملازم له فى الوجود . هذا وما نكتة البديل فيه كونه عجيباً قوله تعالى : آية ٨١ ، ٨٢ سورة المؤمنون ﴿ بل قالوا مثل ما قال الأولون : قالوا أنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون ﴾ وما نكتة البديل فيه كونه فظيماً قولك لمن تزنى وتتصدق « أنجمعين بين قبيح وحسن : تزنى وتتصدقين ١٩ » . وما نكتة البديل فيه كونه لطيفاً قولك « زيد جمع أمرين : جمع اللطف والاستقامة » وهذا من البديل المطابق على أنه يأتى هنا أيضاً ، وقد تركه الخطيب لما سيأتى ، وأمر البديل بعد هذا عندى كأمر التأكيد فى أن ترك العطف فيه لمانع نحوى لا لمانع بلاغى ، فلا يصح أن يعدّ من الفصل أيضاً .

(٢) أى من الأمور التى بها يكون كمال الاتصال . (٣) آية ١٢٠ سورة طه .

(٤) أورد على الاستشهاد به أن جملة ﴿ وسوس ﴾ معطوفة على جملة ﴿ قلنا ﴾ تى قوله قبل ذلك ﴿ وإذ قلنا للملائكة ﴾ الآية ، فتكون فى محل جر مثلها ، ولا يصح الاستشهاد بذلك لما معنا من الجمل التى لا محل لها من الإعراب ، وقد سبق أن الاستشهاد بهذا منظور فيه إلى ما قبل تسليط (قالوا) عليه .

(٥) هو لعبد الله بن كُيسية من قوله :

أقسم بالله أبو حفص عمر
ما مسّها من نقب ولا دبر
فاغفر له اللهم إن كان فجر

والنقب : ضعف أسفل الخف ، والدبر : جراحة الظهر، وقوله « فجر » بمعنى حنث .

وأما قوله^(١) : ﴿ ما هذا بشراً إن هذا إلا مَلَكٌ كريم ﴾ فيحتمل التبيين والتأكيد ، أما التبيين فلأنه يمتنع أن يخرج من جنس البشر ولا يدخل في جنس آخر ، فإثبات الملكية له تبيين لذلك الجنس وتعيين ، وأما التأكيد فلأنه إذا كان ملكاً لم يكن بشراً ، ولأنه إذا قيل في العرف لإنسان « ما هذا بشراً » حال تعظيم له وتعجب مما يشاهد منه من حُسْنِ خَلْقٍ أو خَلْقٍ كان الغرض أنه مَلَكٌ بطريق الكناية .

فإن قيل : هَلَّا نزلتم الثانية منزلة الكل من متبوعه في بعض الصور ومنزلة النعت من متبوعه في بعض ؟ قلنا : لأن بدل الكل لا ينفصل عن التأكيد إلا بأن لفظه غير لفظ متبوعه وأنه مقصود بالنسبة دون متبوعه بخلاف التأكيد والنعت لا ينفصلان عن عطف البيان إلا بأنه يدل على بعض أحوال متبوعه لا عليه ، وعطف البيان بالعكس ، وهذه كلها اعتبارات لا يحقق شيء منها فيما نحن بصدد^(٢) .

الثالث : شبه كمال الانقطاع : وأما كون الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى فلكون عطفها عليها مؤهلاً لعطفها على غيرها^(٣) ويسمى الفصل لذلك قطعاً ، مثاله قول الشاعر :

وتظنُّ سلمى أنى أبغى بها بدلاً أراها في الضلال تهيم^(٤) .

= وكان قد أتى عمر فشكا له بُعدَ أهله وضعف ناقته ، وطلب منه أن يستحمله غيرها ، فلم يصدقها وقال : والله ما نيت ، فلما قال ذلك حملة عمر على بغير وزوده وكساه . هذا ولا يخفى أن ترك العطف في عطف البيان لما منع نحوى أيضا ، فلا يصح عده من الفصل كالتأكيد والبديل .

(١) آية ٣١ سورة يوسف .

(٢) أى من الجمل أننى لا محل لها من الإعراب ، وبهذا يستغنى فيها بعطف البيان عن النعت ، وبالتأكيد عن بدل الكل من الكل ، وأما بدل الغلط فلا يقع في فصيح الكلام كما سبق في باب المسند إليه عند الكلام على الإبدال منه ، فلهذا لم يتعرض له هنا أيضاً .

هذا والظاهر من كلام عبد الزاهر أنه يجعل كل كمال الاتصال من باب التأكيد وإن كان قد يشتمل أحيانا على نوع من البيان ، ولعل هذا أسهل من تكلف ما سبق من الفروق بين التوابع في الجمل .

(٣) هذه نكتة الفصل هنا ، يجب بها ترك العطف بلاغة لا نحواً ؛ لأنه لا مانع من العطف من جهة النحو .

(٤) لا يعلم قائله ، وقوله : « أراها » بمعنى أظنها على صورة المبنى للفعول وهو للفاعل ، وقوله : « تهيم » مأخوذ من « هام على وجهه » إذا مشى من غير قصد .

لم يعطف « أراها » على « تظن » لثلاثيهم السامع أنه معطوف على « أبغى » لقربه منه مع أنه ليس بمبراد ، ويحتمل الاستثناف^(١).

وقسم السكاكى^(٢) القطع إلى قسمين : أحدهما القطع للاحتياط ، وهو ما لم يكن لمانع من العطف كما فى هذا البيت . والثانى القطع للوجوب ، وهو ما كان لمانع ، ومثله بقوله تعالى^(٣) : ﴿ الله يستهزى بهم ﴾ قال : لأنه لو عطف لعطف إما على جملة ﴿ قالوا ﴾ وإما على جملة ﴿ إنا معكم ﴾ وكلاهما لا يصح لما مر^(٤) . وكذا قوله : ﴿ ألا إنهم هم المفسدون ﴾ وقوله : ﴿ ألا إنهم هم السفهاء ﴾^(٥) وفيه نظر ؛ لجواز أن يكون المقطوع فى المواضع الثلاثة معطوفاً على الجملة المصدرة بالظرف^(٦) وهذا القسم^(٧) لم يبين امتناعه .

الرابع : شبه كمال الاتصال :

وأما كونها بمنزلة المتصلة بها فلكونها جواباً عن سؤال اقتضته الأولى ، فتتزل منزله فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال^(٨) . وقال السكاكى^(٩) : فينزل ذلك منزلة الواقع^(١٠).

-
- (١) فيكون من شبه كمال الاتصال . (٢) ١٣٦ : المفتاح . (٣) آية ١٥ سورة البقرة .
 (٤) فى الفصل لعدم الاشتراك فى الحكم أو القيد . (٥) آية ١٢ ، ١٣ سورة البقرة .
 (٦) هى جملة الشرط وجوابه . وإذا جاء العطف عليها نحو كان القطع فيه من القسم الأول وهو القطع للاحتياط ، وإذن يكون الفصل لشبه كمال الانقطاع منحصر فى هذا القسم ، أما الفصل فى القسم الثانى فهو للتوسط بين الكمالين مع وجود المانع من العطف كما سبق .
 (٧) أى كون العطف على جملة الشرط وجوابه .
 ومن الفصل لشبه كمال الانقطاع قول الشاعر :
 يقولون إنى أجمل الضيم عندهم أعوذ برى أن يضام نظيرى
 لم يعطف جملة « أعوذ » على جملة « يقولون » لثلاثيهم عطفها على جملة « أحمل » فتكون من مقولهم ، مع أنها ليست منه وإنما هى من مقوله .
 (٨) كما فى قوله تعالى آية ١٠ ، ١١ سورة القارعة ﴿ وما أدراك ما هيه ؟ نار حامية ﴾ وفصل الجواب عن السؤال قيل : إنه لكمال الاتصال ، وقيل : إنه لكمال الانقطاع وهو الظاهر ، لأن جملة السؤال إنشاء وجملة الجواب خبر . (٩) ١٢٧ : المفتاح .
 (١٠) أن ينزل السؤال المقدر منزلة السؤال الواقع ، فيكون من فصل الجواب عن السؤال بخلاف ما ذهب إليه الخطيب .

ثم قال : وتنزيل السؤال بالفحوى^(١) منزلة الواقع لا يُصار إليه إلا لجهات لطيفة: إما لتنبية السامع على موقعه ، أو لإغناؤه أن يسأل ، أو لئلا يُسمع منه شيء أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه ، أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال وترك العاطف ، أو لغير ذلك مما ينخرط في هذا السلك .
ويسمى الفصل لذلك استئنافاً ، وكذا الجملة الثانية أيضاً تسمى استئنافاً .
والاستئناف ثلاثة أضرب :

لأن السؤال الذي تضمنته الجملة الأولى: إما عن سبب الحكم فيها مطلقاً كقوله :

قال لى : كيف أنت ؟ قلتُ : عليلٌ سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلٌ^(٢)
أى ما بالك عليلًا ؟ أو ما سبب علتك ؟ وكقوله :
وقد عرِضْتُ من الدنيا فهل زَهِنِي معط حياتي لغرٍّ بعدُ ما غرضًا
جربتُ دهرى وأهلبه فسما تركت لى التجاربُ فى ود امرئ غرضًا^(٣)
أى لم تقول هذا ويحالك؟ وما الذى اقتضاك أن تطوى عن الحياة إلى هذا الحد كشحك ؟

وإما عن سبب خاص له^(٤) كقوله تعالى^(٥) ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة

(١) هو السؤال المقدر .

(٢) لا يعرف قائله ، وقد سبق فى الكلام على حذف المسند إليه من الجزء الأول ، وإنما يكون من الفصل للاستئناف إذا جعل « سهر » خبر مبتدأ تقديره « حالى سهر » أما إذا جعل خبراً بعد خبر على المبالغة فلا شاهد فيه للفصل ، ولا شاهد فى قوله : « قال لى كيف أنت قلت عليل » للاستئناف للتصريح فيه بالسؤال .

(٣) هما لأحمد بن عبد الله المعروف بابى العلاء المعرى ، وقوله « غرضت » بمعنى ضجرت ، والغر : الغافل ، وقوله « ما غرضنا » ألقه للإطلاق ، والظرف قبله متعلق به ، أى لم يضمجر الحياة بعد ما ضجرت . ومعنى البيت الثانى أن تجربته للناس لم تترك له غرضاً أى حاجة فى ودهم ، وجعلته يسأم الحياة معهم . والشاهد فى فصل « جربت دهرى » عن جملة « وقد غرضت » .

(٤) ضابط هذا وما قبله أن الجملة السابقة أو سياقها إذا لوحا بالاستئناف فالسؤال المقدر عن سبب خاص ، وإلا فهو عن سبب عام ، فقول الشاعر فى البيت السابق « قال لى كيف أنت قلت عليل » لا يدل إلا على وجود علة مستدعية لسبب ما ، وفوله تعالى فى الآية : ﴿ وما أبرئ نفسي ﴾ ينصرف الذهن فيه إلى سبب خاص هو أنها أمارة بالسوء .

(٥) آية ٥٢ سورة يوسف حكاية عن امرأة العزيز .

بالسوء ﴿ كأنه قيل : هل النفس أمارة بالسوء ؟ فقيل : إن النفس لأمارة بالسوء ، وهذا الضرب يقتضى تأكيد الحكم^(١) كما مر فى باب أحوال الإسناد .

وإما عن غيرهما^(٢) كقوله تعالى : ﴿ قالوا سلاماً قال سلام ﴾^(٣) كأنه قيل : فماذا قال إبراهيم عليه السلام ؟ فقيل : قال سلام . ومنه قول الشاعر :
رعمَ العواذلُ أننى فى غمرةٍ صدقوا ولكن غمرتى لا تنجلي^(٤)

فإنه لما أبدى الشكاية من جماعات العذال كان ذلك مما حرك السامع ليسأل أصدقوا فى ذلك أم كذبوا ؟ فأخرج الكلام مخرجه إذا كان ذلك قد قيل له ففصل .
ومثله قول جندب بن عمار :

(١) لأن السؤال فيه عن حكم تصديقى ، أما السؤال العام فهو سؤال عنه ما هو ؟ وذلك تصور لا يأتى فيه شك حتى يؤتى بالتأكيد من أجله ، وقد يؤكد فى السؤال عن السبب العام ويترك التأكيد فى السؤال عن السبب الخاص لإمكان رد التصور إلى التصديق وبالعكس ، ومن ترك التأكيد فى السؤال عن السبب الخاص قول الشاعر :

إذا ما الدهر جرّ على الناس كلاً كله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا : أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

(٢) أى عن شئ آخر له تعلق بالجملة الأولى غير التعلق بالسببية . وهو أيضاً إما عام كما فى المثال الأول .، وإما خاص كما فى المثال الثانى ، وهو يقتضى التأكيد أيضاً كالسؤال عن السبب الخاص ، ومنه قول الشاعر :

فغتها وهى لك الفداء إن غناء الإبل الحداء

فتقدير السؤال فيه : هل غناء الإبل الحداء ؟ لأنه هو الذى تتجه إليه النفس بعد الأمر بالغناء للإبل ، وكذلك قول الشاعر :

يرى البخيل سبيلَ المال واحدةً إن الكريم يرى فى ماله سبلاً

(٣) آية ٦٩ سورة هود .

(٤) لا يعلم قائله . وقوله « رعم » بمعنى قال ؛ لأنه قد يستعمل فى القول مطلقاً كما هنا ، والعواذل جمع عاذل وإن كان صفةً لعاقل ، لأنه جائر سماعاً كفارس وفوارس ، وقيل : إنه جمع عاذلة بمعنى جماعة عاذلة من الذكور ليوافق قوله « صدقوا » وهو الذى جرى عليه الخطيب فى تفسيره للبيت ، والغمرة : الشدة ، وقد ترك التأكيد هنا مع أن السؤال تصديقى لتنزيه ذلك منزلة الظاهر الذى لا يعتره شك .

رغم العواذلُ أنْ ناقةً جُنْدُبَ بجنوب خَبَتِ عُرَيْتٍ وأَجَمَّتْ
كذب العواذلُ لو رأين مُناخنا بالقادسية قلنَ لَجَّ وذلتُ^(١)

وقد زاد هنا أمر الاستئناف تأكيداً بأن وضع الظاهر^(٢) موضع المضمَر من حيث وضعه وضعاً لا يحتاج فيه إلى ما قبله ، وأتى به مكأى ما ليس قبله كلام . ومن الأمثلة قول الوليد :

عرفتُ المنزلَ الخالي عفا من بعد أحوال
عَفَـاه كلُّ حَنّان عَسوفِ الوَيْلِ هَطَّالٍ^(٣)

فإنه لما قال « عفا » وكان العفاء مما لا يحصل للمنزل بنفسه كان مظنة أن يسأل عن الفاعل . ومثله قول أبي الطيب :

وما عفتِ الرياحُ له محلاً عفاه من حَدا بهمُ وساقاً^(٤)

فإنه لما نفى الفعل الموجود عن الرياح كان مظنة أن يسأل عن الفاعل .

وأيضاً من الاستئناف ما يأتي بإعادة اسم ما استؤنف عنه ، كقولك :
« أحسنت إلى زيد ، ريدٌ حقيقٌ بالإحسان » ومنه ما بينى على صفته ، كقولك :
« أحسنت إلى زيد ، صديقك المقديمُ أهلٌ لذلك » وهذا أبلغ لانطوائه على بيان

(١) خبت : من ديار كلب . وقوله : « عريت » بمعنى أزيل عنها رحلها .
وقوله « أجمعت » بمعنى تركت فلم تركب ، وهنا كناية عن قعوده بهذا المكان دون غرضه ،
والقادسية بالعراق ، وقوله : « لجّ وذلت » بمعنى جدّ في السير وانقادت ناقة له .
(٢) أى في جملة الاستئناف ، وهو العواذل في قوله : « كذب العواذل » لأن حقه الإضمار لسبق ذكره .

(٣) هما كما في « الأغاني » للوليد بن يزيد الأموي . وقوله « عفا » بمعنى درس ،
والمراد بأحوال في قوله « من بعد أحوال » الأحوال التي سعد فيه بسكانه من أحبابه . والحنان :
السحاب . وعسوف الويل : شديد المطر .

(٤) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبي الطيب المتنبى ، وقوله « عفت » بمعنى محت ،
وضمير « له » يعود إلى الربيع ، وقوله « حدا » من الحداء وهو غناء الإبل ، والمراد بها الإبل
التي سارت بهم وجعلتهم يهجرونها .

السبب^(١) ، وقد يُحذفُ صدر الاستئناف لقيام قرينة ، كقوله تعالى : ﴿ يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ رجال^(٢) فيمن قرأ ﴿ يَسْبَحُ ﴾ مبنياً للمفعول^(٣) وعليه نحو قولهم : « نعم الرجل أو رجلاً زيد ، وبئس الرجل أو رجلاً عمرو » على القول بأن المخصوص خبر مبتدأ محذوف أى هو زيد ، كأنه لما قيل ذلك فأبهم الفاعل بجعله معهوداً ذهنياً مظهر^(٤) أو مضمراً^(٥) سئل عن تفسيره ف قيل « هو زيد » ثم حذف المبتدأ .

وقد يُحذفُ الاستئناف كله ويقام ما يدلُّ عليه مقامه ، كقول الحماسي :

زعمتم أن إخوتكم قریشُ لهم ألفٌ وليس لكم إلفٌ^(٦)

(١) هو صفة الصداقة التي دعت إلى الإحسان ، أما الأول ففيه بيان سبب لا يشتمل على مثل تلك الصفة .

(٢) آية ٣٦ ، ٣٧ سورة النور .

(٣) فالتقدير يَسْبَحُ فيها رجال ، والفعل المبني للفاعل هو صدر الاستئناف المحذوف ، وعلى قراءته مبنياً للفاعل يكون (رجال) فاعلاً له .

(٤) في « نعم الرجل زيد » ، « وبئس الرجل عمرو » .

(٥) في « نعم رجلاً زيد » ، و « وبئس رجلاً عمرو » وإذا قدر المخصوص في ذلك مبتدأ محذوف الخبر كان ذلك من حذف عجز الاستئناف .

(٦) هو لمساور بن هند العبسي في هجاء بني أسد وتكذيبهم في انتسابهم إلى قریش . والإلف : مصدر « ألف » ، والإلاف مصدر « ألف » ، يريد بذلك إلف قریش رحلتى الشتاء والصيف إلى اليمن والشام ، ويجوز أن يكون الفصل لدفع إيهام العطف على قوله : « أن إخوتكم قریش » فيكون شبه كمال الانقطاع .

هذا وقد يدخل على الاستئناف لأم التعليل أو فاؤه كقول أبي تمام :

لا تنكرى عطلَ الكريم من الغنى فالسيل حربٌ للمكان العالي

وقد تأتى الواو في ذلك بدل الفاء واللام فتكون للاستئناف لا للعطف ، كقول الشاعر :

أرى بصرى عن كل يوم وليلىة يكلُّ وخطوى عن مدى الخطو يقصر
ومن يصحب الأيام تسعين حجةً يُغيرنه والدهر لا يتغير

وقيل : إن الواو في هذا للعطف على محذوف مفعول عما قبله ، كأنه قيل من يقاسى

أحوالى يكن حاله كحالى ومن يصحب الأيام الخ ، والاستئناف من غير أداة أدق وأبلغ من الاستئناف بها واو كانت أو لاماً أو فاء ؛ لأنه يؤدى معناها من غير ذكرها ، ويشير إلى السؤال المقدر مثلها .

حذف الجواب الذى هو « كذبتُم فى زعمكم » وأقام قوله : « لهم إلفٌ وليس لكم إلفٌ » مقامه لدلالته عليه ، ويجوز أن يقدر قوله : « لهم إلفٌ وليس لكم إلفٌ » جواباً لسؤال اقتضاه الجواب المحذوف ، كأنه لما قال المتكلم : كذبتُم ، قالوا : « لم كذبنا ؟ » قال : « لهم إلفٌ وليس لكم إلفٌ » فيكون فى البيت استئناف .
وقد يحذف ولا يقام شىء مقامه^(١) كقوله تعالى^(٢) : ﴿ نعم العبدُ ﴾ أى أيوب ، أو هو لدلالة ما قبل الآية وما بعدها عليه ، ونحوه قوله : ﴿ فنعم الماهدون ﴾^(٣) أى نحن^(٤).

الوصل لدفع الإيهام :

وإن لم يكن بين الجملتين شىء من الأحوال الأربع تعين الوصل ؛ إما لدفع إيهام خلاف المقصود^(٥) ، كقول البلغاء : « لا ، وأيدك الله »^(٦) ، وهذا عكس الفصل للقطع^(٧).

الوصل للتوسط بين الكمالين :

وإما للتوسط بين حالتى كمال الانقطاع وكمال الاتصال ، وهو ضربان :

(١) لوجود قرينة تدل عليه ، لأنه لا بد فى كل حذف من قرينة .

(٢) آية ٣٠ سورة ص .

(٣) آية ٤٨ سورة الذاريات .

(٤) تقديره « هم نحن » على ما سبق .

(٥) الوصل فى ذلك يجب بلاغة لا نحواً ، وهو إنما يكون فى كمال الانقطاع الجملتين عند إيهام الفصل فيه خلاف المقصود ، وقيل : إنه يأتى فى كمال الاتصال أيضاً عند ذلك الإيهام ، كما تقول لمن سألك : « هل تشرب خمرًا ؟ » لا ، وتركت شربه » وقيل : إنه يتعين الفصل فى مثل هذا فيه ويدفع الإيهام بطريق آخر فيقال مثلاً : « لا قد تركت شربه » ، أو يسكت قليلاً بعد « لا » .

(٦) أى ليس الأمر كذلك وأيدك الله ، وقد اختلف فى هذه الواو ، فقيل : إنها عاطفة ،

وقيل : إنها رائدة ، وقيل : إنها استئنافية .

(٧) لأن هذه الصورة من الوصل تقابل ما اشترط فى الفصل لكمال الانقطاع من عدم

تأديته إلى إيهام خلاف المقصود .

أحدهما : أن يتفقا خبراً و إنشاء^(١) ، لفظاً ومعنى ، كقوله تعالى^(٢) : ﴿إِنَّ الْإِبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ وقوله : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ وقوله : ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾^(٤) وقوله تعالى : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾^(٥) والثاني أن يتفقا كذلك معنى لا لفظاً ، كقوله تعالى^(٦) : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلَّهِ عِظْفٌ قَوْلَهُ﴾ وقولوا ﴿عَلَىٰ قَوْلِهِ﴾ : ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ لأنه بمعنى لا تعبدوا . وأما قوله : ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ فتقديره : إما : وتحسنون بمعنى وأحسنوا ، وإما وأحسنوا^(٧) ، وهذا^(٨) أبلغ من صريح الأمر والنهي لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاه فهو يخبر عنه . وأما قوله تعالى^(٩) في سورة البقرة : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فقال الزمخشري فيه : فإن قلت : علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهى يصح عطفه عليه^(١٠) ؟ قلت : المراد ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهى يعطف عليه ، إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين ، فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين^(١١) كما تقول : «ريد يعاقب بالقيد والإرهاق، وبشر عمراً بالعفو والإطلاق» ولك أن تقول : هو معطوف على ﴿فَاتَّقُوا﴾ كما تقول : «يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم ، وبشر يا فلان بني أسد بإحسانى إليهم» هذا كلامه ، وفيه نظر لا

(١) أى مع وجود الجامع الآتى ، وهو شرط فى الضرب الثانى أيضاً ؛ لأن هذه الصورة من الوصل بضربيهما تقابل صورة الفصل فى كمال الانقطاع لعدم وجود الجامع .
(٢) آية ١٣ و ١٤ سورة الانفطار - (٣) آية ٣١ سورة يونس - (٤) آية ١٤٢ سورة النساء .
(٥) آية ٣١ سورة الأعراف - (٦) آية ٨٣ سورة البقرة .
(٧) على التقدير الأول يكون من الضرب الأول ، وعلى التقدير الثانى يكون من الضرب الثانى .
(٨) أى صورة الخبر فى قوله : ﴿لَا تَعْبُدُوا﴾ وفى تقديره « وتحسنون » أبلغ من صريح النهى والأمر أى لا تعبدوا وأحسنوا . (٩) آية ٢٥ سورة البقرة .
(١٠) أى فى قوله قبله ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ .
(١١) هذا هو ما يسمى عطف قصة على قصة أو عطف مضمون كلام على مضمون كلام آخر ، فتعتبر فيه المناسبة بين القصتين ، ولا يمنع اختلافهما فى ذلك كمن عطف إحداهما على الأخرى .

يخفى على المتأمل^(١) . وقال أيضاً في قوله تعالى في سورة الصف ﴿ وبشر المؤمنين ﴾^(٢) : إنه معطوف على ﴿ تؤمنون ﴾^(٣) لأنه بمعنى آمنوا^(٤) ، وفيه أيضاً نظر ، لأن المخاطبين في ﴿ تؤمنون ﴾ هم المؤمنون ، وفي ﴿ بشر ﴾ هو النبي عليه السلام^(٥) ثم قوله ﴿ تؤمنون ﴾ بيان لما قبله^(٦) على سبيل الاستئناف ، فكيف يصح عطف ﴿ بشر المؤمنين ﴾ عليه^(٧) ؟! وذهب السكاكي^(٨) إلى أنهما معطوفان على « قال » مراداً قبل ﴿ يأيتها الناس ﴾^(٩) و﴿ يأيتها الذين آمنوا ﴾^(١٠) لأن إرادة القول بواسطة انصباب الكلام إلى معناه غير عزيزة في القرآن ، وذكر صوراً كثيرة منها قوله تعالى^(١١) : ﴿ وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا ﴾ وقوله : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ﴾^(١٢) وقوله : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأماناً واتخذوا ﴾^(١٣) أى وقلنا أو قائلين^(١٤) والأقرب أن يكون الأمر في الآيتين معطوفاً على مقدّر يدل عليه ما قبله ، وهو في الآية الأولى « فأنذر أو نحوه » ، « أى فأنذرهم وبشر الذين آمنوا » وفي الآية الثانية « فبشر أو نحوه » أى فابشر يا محمد وبشر المؤمنين ، وهذا كما قدر الزمخشري قوله تعالى ، ﴿ واهجرني ملياً ﴾^(١٥) معطوفاً على محذوف يدل عليه قوله : ﴿ لارجمنك ﴾ أى فاحذرني واهجرني ، لأن ﴿ لارجمنك ﴾ تهديد وتقريع .

(١) هذا النظر يرجع إلى تجويزه العطف على قوله : ﴿ فاتقوا ﴾ في الآية قبلها ؛ لأنه لا مناسبة بينهما لاختلاف المخاطب في الأمرين ، ولأن الأمر الأول مقيد بالشرط قبله فلا يصح عطف الثاني عليه لاقتضائه تقييده بما قيد به ، وقد أجيب عن الأول بأن اختلاف المخاطب لا يمنع التناسب لما فيه من التقابل وعن الثاني بأنه لا ضرر في تقييد الأمر الثاني بما قيد به الأول ؛ لأن الأول مقيد بعدم فعلهم ما أمروا به مما لا يمكنهم أن يفعلوه ، وهو الإتيان بسورة من مثل القرآن ، ولا ضرر في تقييد الأمر بالبشارة بذلك .

(٢) آية ١٣ سورة الصف . (٣) أى في الآية قبلها .

(٤) لهذا جزم قوله ﴿ يغفر ﴾ في الآية بعده في جوابه .

(٥) أجيب عن ذلك بما سبق أن اختلاف المخاطب لا يمنع تناسب الجملتين .

(٦) هو قوله : ﴿ يأيتها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ﴾ آية

١٠ سورة الصف .

(٧) أجيب عن ذلك بأن مضمون قوله : ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ مما يصح الاستئناف به أيضاً

عن ذلك . (٨) ١٤١ - المفتاح . (٩) آية ٢١ سورة البقرة . (١٠) آية ١٠ سورة الصف .

(١١) آية ٥٧ سورة البقرة . (١٢) آية ٩٣ سورة البقرة . (١٣) آية ١٢٥ سورة البقرة .

(١٤) المقول : « كلوا » و « خذوا » و « اتخذوا » في الآيات الثلاث .

(١٥) آية ٤٦ سورة مريم .

الجامع بين الجملتين وأقسامه :

والجامع بين الجملتين ، ويجب أن يكون باعتبار المسند إليه في هذه والمسند إليه في هذه ، وباعتبار المسند في هذا ، والمسند في هذه جميعاً^(١) كقولك : « يشعر زيد ويكتب ، ويعطى ويمنع » وقولك : « زيد شاعر » ، « وعمرو كاتب » ، « وزيد طويل » ، « وعمرو قصير » إذا كان بينهما مناسبة كأن يكونا أخوين أو نظيرين ، بخلاف قولنا : « زيد شاعر ، وعمرو كاتب » إذا لم يكن بينهما مناسبة ، وقولنا : « زيد شاعر ، وعمرو طويل » كان بينهما مناسبة أو لا ، وعليه قوله تعالى^(٢) : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ قطع عما قبله لأنه كلام في شأن الذين كفروا ، وما قبله كلام في شأن القرآن^(٣) .

وأما ما يُشعر به ظاهر كلام السكاكي^(٤) في موضع من كتابه أنه يكفي أن يكون الجامع باعتبار المخبر عنه أو الخبر أو قيد من قيودهما فإنه منقوض بما مر^(٥) وبمنحو قولك : هزم الأمير الجند يوم الجمعة ، وخاط زيد ثوبى فيه^(٦) ولعله سهو فإنه صرح في موضع آخر منه^(٧) بامتناع عطف قول القائل « خُفِّ ضيق » على قوله « خاتمي ضيق » مع اتحادهما في الخبر^(٨) .

(١) ظاهر هذا أنه لا يجب أن يكون باعتبار متعلقاتهما ، وقيل : إنه يعتبر ذلك فيهما أيضاً . والحق أنه لا يعتبر فيهما إلا إذا كانت المتعلقات مقصودة بالذات من الجملتين ، كقوله تعالى آية ٤١ سورة غافر ﴿ يَا قَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ . وقول الشاعر :

ظَلَّ يَسْعَى إِلَى الْمَعَالَى بِجَدٍّ وَالْعَلَا لَا يُنَالُ إِلَّا بِكُودٍ
وقول الآخر :

أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عُدِيرُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مَرَادٍ
(٢) آية ٦ سورة البقرة .

(٣) هو قوله ﴿ أَلَمْ ، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . الآيات إلى هذه الآية .

(٤) ١٣٧ - المفتاح .

(٥) من الأمثلة التي امتنع فيها الوصل مع وجود الجامع في المخبر عنه أو الخبر ، وإنما احتج بها مع أنها ليست من كلام من يحتج به من البلغاء لأنها محل اتفاق .

(٦) فالوصل ممنوع فيه أيضاً مع الاتحاد في القيد .
(٧) ١٤٧ - المفتاح .

(٨) قيل : إنه لا سهو من السكاكي في ذلك ؛ لأن الظاهر من كلامه وكلام غيره أن الجامع يكفي فيه التناسب بين الجملتين لا غير ، وهذا التناسب له سبب وله مظنة ، فسيبه اجتماع =

ثم قال^(١): الجامع بين الشينين عقلى ووهمى وخيالى :

أما العقل^(٢) فهو أن يكون بينهما اتحادٌ فى التصور^(٣) أو تماثل^(٤) ؛ فإن العقل بتجريده المثلين عن الشخص فى الخارج يرفع التعدد بينهما ، أو تضاييفٌ كما بين

= الجملتين فى القوة المفكرة بطريق العقل أو الوهم أو الخيال على ما يأتى ، ومظنة حصول الاتحاد بين الطرفين حقيقةً أو بتأويل قريب أو بعيد ، ولكن المظنة غير ملازمة للمظنون ، فقد يحصل التناسب مع الاتحاد فى الطرفين ، كقولك « زيد يعطى ويمنع » وقد يحصل مع الاتحاد فى أحدهما دون الآخر ، كمن يذكر فى مجلسه الحركة والبياض فتقول له « الحركة عرض نقلة ، والبياض لون مفرق للبصر » فالتناسب موجود ولم يحصل إلا باتحاد المسند إليه فى الجامع الخيالى ، وقد يحصل الاتحاد فى الطرفين ولا يحصل التناسب ، كقولك « انظر إلى علم زيد ، وانظر إلى هذا القطع فى ثوبك » وإنما منع السكاكى نحو « خاتمى ضيق ، وخفى ضيق » حيث لم يجمع بينهما ذكر فى مجلس أو نحو ذلك كما صرح به ، ومما يؤيد ذلك قوله تعالى آية ٨٨ سورة يوسف ﴿ مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة ﴾ فالمسندان المس والمجىء ، والمسند إليه فيهما الضر وإخوة يوسف ، وهما مختلفان لا يتحدان فى شيء ، ومع هذا حصل الوصل بوجود التناسب بين المسندين لأن المس سبب فى المجيء .

وقد ذهب السيد إلى أن مجرد الاتحاد أو التناسب فى الغرض الذى تصاغ له الجملة يكفى فى صحة الوصل ولو لم يتحد الطرفان ، وهذا كما يأخذ شخص فى ذكر ما وقع فى يوم من الأفعال « انطلق زيد ، وطاب الطعام ، وصليت الظهر الخ » وإنى أرى أن هذا يصح نحوًا لا بلاغة ؛ لأنه فى تأويل « حصل كذا وكذا » على معنى واو العطف لا واو الوصل ؛ لأن واو الوصل لا يؤتى بها لمثل هذا ، وإنما يؤتى بها للدفع الإيهام أو للدلالة على التناسب البلاغى بين الجملتين . والاتحاد فى الغرض الذى تصاغ له الجملة لا يكفى فى الوصل ؛ لأنه يجب فى حال الفصل أيضًا كما سبق .

(١) ١٢٧ - المفتاح .

(٢) ضابطه أن يكون الجامع بين الشينين فيه حقيقياً . بأن يكون فى الواقع ونفس الأمر .

(٣) بأن يكونا شيئاً واحداً حقيقةً بالشخص والنوع ، كقول الشاعر :

سافر تجد عوصاً عمن تفارقه وانصب فإن لذيد العيش فى النصب

(٤) بأن يتفقا فى الحقيقة وبخلافهما بالشخص مع اشتراكهما فى وصف له نوع اختصاص

بهما من صداقة أو نحوها . كما سبق فى نحو : « زيد شاعر ، وعمرو كاتب » وكتماثل المسند فى قول الشاعر :

فبيكى إن ناوأ شوقاً إليهم وبيكى إن دنوا خوفاً الفراق

العلة والمعلول ، والسبب والمسبب ، والسفل والعلو ، والأقل والأكثر ؛ فإن العقل يأبى ألا يجتمعا فى الذهن^(١) .

وأما الوهمى^(٢) فهو أن يكون بين تصوريهما شبه تماثل ؛ كلون بياض ولون صفرة ، فإن الوهم يبرزهما فى معرض المثلين^(٣) ، ولذلك حسن الجمع بين الثلاثة التى فى قوله :

ثلاثة تشرق الدنيا بهجتهما — شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر^(٤) .

أو تضاد^(٥) كالسواد والبياض ، والهمس والجهارة ، والطيب والنتن ، والحلاوة والحموضة ، والملاسة والخشونة ، وكالتحرك والسكون ، والقيام والقعود ، والذهاب والمجئ ، والإقرار والإنكار ، والإيمان والكفر ، والملتصفات بذلك كالأسود والأبيض ، والمؤمن والكافر . أو شبه تضاد^(٦) كالسماء والأرض ، والسهل والجبل ، والأول والثانى . فإن الوهم ينزل المتضادين والشبهين بهما منزلة المتضايين فيجمع بينهما فى الذهن ، ولذلك نجد الضد أقرب خطوراً بالبال مع الضد .

(١) فالمراد بالتضايين أن يكونا بحيث لا يمكن تعقل كل منهما من غير الآخر ، كما بين المبادأة إلى الفرصة والنهوض فى قول الشاعر :

بادر إلى الفرصة وانهض لما تريد فيها فهى لا تلبث

(٢) ضابطه أن يكون الجمع بين الشيتين فيه اعتبارياً غير محسوس بإحدى الحواس

الظاهرة .

(٣) أما للعقل فيدرك أنهما نوعان متباينان داخلان فى جنس اللون كالبياض والسواد .

(٤) هو لمحمد بن وهيب ، وقد سبق فى الكلام على تقديم المسند فى الجزء الأول .

والبيت فى عطف المفردات ، وقد سبق أنه ليس من الوصل فى رأى الجمهور وإنما هو من مراعاة النظر ، والثلاثة بينهما تماثل فى الإشراق .

(٥) المراد به ما يشمل تقابل الضدين كالسواد والبياض ، وتقابل الإيجاب والسلب ، وتقابل العدم والملكة . والجمع بين ذلك باعتبار الوهم أيضاً ، أما العقل فيدرك كل متقابلين فيه من غير الآخر .

(٦) معطوف على « تضاد » والمراد بشبه التضاد تقابل الشيتين اللذين لا يتنافيان فى ذاتهما ولكن يستلزم كل منهما معنى ينافى ما يستلزمه الآخر ، ومن الوصل للجامع الوهمى قوله تعالى آية ٨٢ سورة التوبة ﴿ فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً ﴾ وقوله تعالى آية ١٣ و ١٤ سورة الانفطار ﴿ إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم ﴾ .

والخيالي^(١) أن يكون بين تصويرهما تقارنٌ في الخيال سابق^(٢) ، وأسبابه مختلفة، ولذلك اختلفت الصور الثابتة في الخيالات ترتيباً ووضوحاً ، فكم صور تتعاقب في خيال وهى فى آخر لا تتراءى ، وكم صورة لا تكاد تلوح فى خيال وهى فى غيره نار على علم .

كما يُحكى أن صاحب سلاح ملك وصائغاً وصاحب بقرٍ ومعلم صبية سافروا ذات يوم ، وواصلوا سير النهار بسير الليل ، فبينما هم فى وحشة الظلام ومقاساة خوف التخيُّب والضلال طلع عليهم البدر بنوره ، فأفاض كل منهم فى الثناء عليه وشبهه بأفضل ما فى خزانة صورهِ ، فشبهه السلاحى بالترس المذهب يرفع عند الملك ، والصائغ بالسيكة من الإبريز تفتت عن وجهها البوتقة ، والبقر بالجن الأبيض يخرج من قلبه طرياً ، والمعلم برغيف أحمر يصل إليه من بيت ذى مروءة .

وكما يُحكى عن وراق يصف حاله : عيشى أضيق من محبرة ، وجسمى أدق من مسطرة ، وجاهى أرق من الزجاج ، وحظى أخفى من شق القدم ، وبدنى أضعف من قصبة ، وطعامى أمر من العفص ، وشرابى أشد سواداً من الجبر ، وسوء الحال لى ألزم من الصمغ .

ولصاحب العلم المعانى^(٣) فضلٌ احتياج إلى التنبه لأنواع الجامع لا سيما الخيالى؛ فإن جمعه على مجرى الإلف والعادة بحسب ما تنعقد الأسباب فى ذلك ، كالجمع بين الإبل والسماء ، والجبال والأرض فى قوله تعالى ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ * وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت ﴿ (٤) ﴾ بالنسبة إلى أهل الوبر ، فإنَّ جُلَّ انتفاعهم فى معاشهم من الإبل فتكون عنايتهم مصروفةً إليها ، وانتفاعهم منها لا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب وذلك بنزول المطر ، فيكثر تقلب وجوههم فى السماء ، ثم لا بد لهم من مأوى يؤويهم وحسن

= وقول الشاعر :

إن كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة ولا تك بالترداد للرأى مفسداً

(١) ضابطه أن يكون الجمع بين الشئين فيه اعتبارياً مسنداً إلى إحدى الحواس الظاهرة .

(٢) أى على الوصل ، فيأتى الوصل باعتباره .

(٣) هذا أيضاً من كلام السكاكى .

(٤) آية ١٧ و ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ سورة الغاشية .

يتحصنون به ، ولا شيء لهم فى ذلك كالجبال ، ثم لا غنى لهم لتعذر طول مكثهم فى منزل عن التنقل من أرض إلى سواها ، فإذا فتش البدوى فى خياله وجد صور هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور ، بخلاف الحضرى ، فإذا تلا قبل الوقوف على ما ذكرنا ظن النسق لجهله معيياً^(١) .

محسنات الوصل :

ومن محسنات الوصل^(٢) تناسب الجملتين فى الاسمية والفعلية ، وفى المضى والمضارعة^(٣) إلا لما منع ، كما إذا أريد بإحدهما التجدد وبالأخرى الثبوت ، كما إذا كان زيد وعمرو قاعدين ثم قام زيد دون عمرو وقلت : « قام زيد ، وعمرو قاعد » كما سبق^(٤) :

(١) من الوصل للجامع الخيالى قول الأرجانى :

فبت من وصلك فى لذة حتى جلا الصبحُ مُحياه
والنجم قد أطبق أجفانه والنوم قد أطلق أسراه
والليل سيفُ الفجر فى فرقه يقتله والديك ينعماه

وقول الشاعر :

أعز مكان فى الدنيا سرجُ سابح وخير جليس فى الزمان كتابُ

(٢) حسن الوصل فى ذلك لا يتنافى أنه واجب بلاغة عند اقتضاء الحال له فإنه إذا كان المقام للثبوت فى الجملتين وجب تناسبهما فى الإسمية ، وإذا كان للتجدد وجب تناسبهما فى الفعلية ؛ لأن ما يجب بلاغة يستند أكثره إلى التحسين ، ولهذا كان كل ما وجب لغة وجب بلاغة من غير عكس ، وقيل : إن ذلك من الحسن البديعى ؛ لأن محله عند قصد النسبة فى الجملتين فى ضمن أى خصوصية كانت ، فيكون التناسب جائزاً لا واجباً .

(٣) من تناسبهما فى الإسمية قول الشاعر :

أسود إذا أبدت الحربُ نابها وفى سائر الدهر الغيوث المواتر

ومن تناسبهما فى المضى قول الشاعر :

أعطيت حتى تركت الريح حاسرة وجئت حتى كأن الغيث لم يجد

ومن تناسبهما فى المضارعة قول الشاعر :

نروح ونغمدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضى

(٤) فى الكلام على إسمية الجملة وفعليتها فى باب المسند ، ومن ذلك قوله تعالى : آية

١٧٨ سورة آل عمران ﴿ ولا يحسن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم =

فروق الجملة الحالية :

ومما يتصل بهذا الباب القول فى الجملة إذا وقعت حالاً منتقلة^(١) فإنها تجيء تارةً بالواو ، وتارةً بغير الواو^(٢) فتقول :

أصل الحال المنتقلة أن تكون بغير واو لوجوه :

الأول : أن إعرابها ليس يتبع^(٣) وما ليس إعرابه يتبع لا يدخله الواو ، وهذه وإن كانت تسمى واو الحال فإن أصلها العطف .

= ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ﴿ وقوله آية ٨٧ سورة البقرة ﴾ ففريقاً كذبتهم وفريقاً تقتلون ﴿ .
ومن محسنات الوصل أيضاً التناسب فى الإطلاق والتقييد ، والتناسب فى الإطلاق كثير ،
أما التناسب فى التقييد فممنه قول الشاعر :

دنوت تواضعاً وعلوت مجداً
فشأنك انحدار وارتفاع
وقول الآخر :

تنام عيني وعين الليل ساهرة ، وتستحيل وصبح الليل لم يحل

(١) يريد بها الحال المؤسسة . وكان الواجب أن يقول مؤسسة بدل المنتقلة لأن الحال تنقسم باعتبار إلى لازمة ومنتقلة ، كقولك « خلق الله الزرافة يديها أطول من رجلها » ، و « جاء زيد يضحك » . وباعتبار آخر إلى مؤسسة ومؤداة ، كقولك « جاء زيد راكباً » و « هو الحق لا ريب فيه » والحال المؤسسة هى التى أصلها أن تكون بغير واو منتقلة كانت أو لازمة ، والحال المؤداة هى التى يمتنع الواو فيها .

(٢) ذكر بعض مؤلفى عصرنا أن الحال يجيء كذلك على مقتضى أحكامه النحوية ، فلا يصح الاشتغال به فى هذا العلم ، والحق أن ذلك قد يجرى على مقتضى مقامات يجب بها بلاغة ما لا يجب نحواً . فكل جملة وقعت حالاً ثم امتنعت من الواقع فهذا كما ذكر عبد القاهر لأنك عمدت إلى الفعل الواقع فى صدرها فضعفتمه إلى الفعل الأول فى إثبات واحد ، كقولك « جاءنى زيد يسرع » فهو بمنزلة قولك « جاءنى زيد مسرعاً ، وهذا بخلاف كل جملة وقعت حالاً ثم اقتضت الواو ، فإنها لا تكون إلا حيث تريد أن تستأنف بها خبراً ، ولا تقصد أن تضمها إلى الفعل الأول فى إثبات واحد . وهذا إنما يكون عند قصد الاهتمام بها أو إزالة شك أو إنكار أو نحو ذلك .

(٣) يريد تبعية عطف النسق لأنها هى التى تقتضى الواو ، بخلاف تبعية غيرها كالنعت .

الثاني : أن الحال في المعنى حُكْمٌ على ذى الحال كالخبر بالنسبة إلى المبتدأ ، إلا أن الفرق بينه وبينها أن الحكم به يحصل بالأصالة لا في ضمن شيء آخر ، والحكم بها إنما يحصل في ضمن غيرها ؛ فإن الركوب مثلا في قولنا « جاء زيد راكباً » محكوم به على زيد لكن لا بالأصالة بل بالتبعية ، بأن وُصِلَ بالمجىء ، وجُعِلَ قيداً له ، بخلافه في قولنا : « زيد راكب » .

الثالث : أنها في الحقيقة وصفٌ لذى الحال ؛ فلا يدخلها الواو كالنعت ، فثبت أن أصلها أن تكون بغير واو ، ولكن النون خُولِفَ الأصل فيها إذا كانت جملة ، لأنه بالنظر من حيث هي جملة^(١) مستقلة بالإفادة ، فتحتاج إلى ما يربطها بما جُعِلَتْ حالا عنه ، وكل واحد من الضمير والواو صالح للربط ، والأصل للضمير^(٢) بدليل الاقتصار عليه في الحال المفردة والخبر والنعت ، وإذا تمهد هذا فنقول : الجملة التي تقع حالا ضربان : خالية عن ضمير ما تقع حالا عنه ، وغير خالية :

أما الأول : فيجب أن تكون بالواو لثلاث تصير منقطعة عن غيره مرتبطة به ، وكل جملة خالية عن ضمير ما يجوز أن يُتَصَبَّ عنه حال يصح أن تقع حالا عنه إذا كانت مع الواو إلا المصدرة بالمضارع المثبت ، كقولك « جاء زيد ويتكلم عمرو » على أن يكون « ويتكلم عمرو » حالا عن زيد ، لما سيأتى أن ارتباط مثلها يجب أن يكون بالضمير وحده .

وأما الثانية : فتارة يجب أن تكون بالواو ، وتارة يمتنع ذلك ، وتارة يترجح أحدهما ، وتارة يستوى الأمران ، والواو غير مُنافٍ للضمير في إفادة الربط^(٣) ، فتعين التنبيه على أسباب الاختلاف ، فنقول :

الجملة إن كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع الواو ، كقوله تعالى^(٤) :

(١) أى لا حال .

(٢) يعنى في نظر البلغاء ، فلا يُعَدَّلُ عنه إلا لئلا تدعو إلى زيادة ارتباط الحال بصاحبها كقصد الاهتمام أو نحوه ، فيؤتى بها عند ذلك جملة مستقلة وتربط بالواو وحدها أو مع الضمير ، أما النحاة فيستوى عندهم الحال المفردة والجملة المرتبطة بالضمير والواو .
(٣) لأنه يجوز الربط بهما معاً ، كقولك : « جاء زيد وهو يضحك » .
(٤) آية ١١٠ سورة الأنعام .

﴿ونذرههم في طغيانهم يعمهون﴾ وقوله ﴿ولا تمنن تستكثر﴾^(١) وقوله : ﴿وسيجنبها الأتقى ؟ الذي يؤتى ماله يتزكى﴾^(٢) لأن أصل الحال المفردة أن تدل على حصول صفة غير ثابتة^(٣) مقارنة لما جعلت قيداً له^(٤) ، والمضارع المثبت كذلك . أما دلالة على حصول صفة غير ثابتة فلأنه فعل مثبت ، والفعل المثبت يدل على التجنيد وعدم الثبوت كما مر^(٥) وأما دلالة على المقارنة فلكونه مضارعاً^(٦) فوجب أن يكون بالضمير وحده كالحال المفردة ، وبهذا امتنع نحو « جاء زيد ويتكلم عمرو » كما مر ، وأما ما جاء من نحو قول بعض العرب « قمت وأصك عينه أو وجهه » وقول عبد الله بن همام السلولي :

فلما خشيت أظافيرهم نجوت وأرهنهم مالكا^(٧)

ف قيل : على حذف المبتدأ ، أى أصك عينه وأنا أرهنهم ، وقيل : الأول شاذ والثاني ضرورة ، وقال الشيخ عبد القاهر^(٨) : ليست الواو فيهما للحال بل هي

(١) آية ٦ سورة المزمل يرفع تستكثر . وقرئ بجزمه على أنه بدل اشتغال لا حال .

(٢) آية ١٧ و ١٨ سورة الليل .

(٣) هذا مبنى على جعله أصل الكلام هنا في الحال المتحركة ، والحق كما سبق أنه في الحال المؤسسة منتقلة كانت أو لازمة .

(٤) ما جعلت قيداً له هو العامل .

(٥) في الكلام على أحوال المسند . ودلالته على الحصول بكونه مثبتاً ، وعلى التجديد بكونه فعلاً ، والمراد بالتجدد حصوله بعد أن لم يكن كما سبق .

(٦) لأن المضارع يدل على الحال فيدل على تلك المقارنة ، وقد ردّ هذا بأن تلك المقارنة معناها مقارنة الحال لزمان عاملها ماضياً كان أو حالاً أو استقبالياً . وهذا غير دلالة المضارع على الحال ، والحق أن هذه النكتة على طولها ومع ورود هذا عليها نكتة نحوية لا يصح ذكرها في هذا العلم وقد سبقت نكتة ذلك بلاغة عن عبد القاهر سن أنك لا تقول « جاءني زيد يسرع » إلا وأنت تريد أن تضم الفعلين في إثبات واحد . ولا تعني بالحال كما تعني بها في قولك « جاءني زيد وهو يسرع » وهذا لا يمنع أن يكون أقوى في الإثبات من قولك « جاءني زيد مسرعاً » .

(٧) الأظافر : جمع أظفار جمع ظفر وهذا كناية عن خوفه من تمكنهم منه . وكان عبيد الله بن زياد توعده فهرب منه إلى الشام ، ومالك هو عريفه الوارد في قوله بعد هذا البيت :

عريقاً مقيماً بدار الهوان أهون على به هالكا

(٨) ١٢٦ . دلائل الإعجاز .

للعطف ، وأصك وأرهن بمعنى صككت ورهنت . ولكن الغرض من إخراجهما على لفظ الحال أن يحكى الحال في أحد الخبرين ويدعا الآخر أصله كما في قوله :

ولقد أمرٌ على اللثيم يسبنى فمضيتُ ثمّت قلت لا يعنينى^(١)

يبين ذلك أن الفاء قد تجيء مكان الواو في مثله ، كما أخبر عبد الله ابن عتيك ، فإنه ذكر دخوله على أبي رافع اليهودى حصنه ثم قال : فانتهيتُ إليه فإذا هو في بيت مظلم لا أدرى أين هو من البيت ، قلت : أبا رافع ، قال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف وأنا دهشٌ . فإن قوله « فأضربه » مضارع عطفه بالفاء على ماضٍ لأنه في المعنى ماضٍ .

إن كان الفعل مضارعاً منفياً فيجوز فيه الأمران من غير ترجيح ، لدلالته على المقارنة لكونه مضارعاً ، وعدم دلالاته على الحصول لكونه منفياً^(٢) أما مجيئه بالواو فكقراءة ابن ذكوان ﴿ فاستقيماً ولا تتبعان ﴾ بتخفيف النون^(٣) وقول بعض العرب : كنت ولا أخشى بالذيب ، وقول مسكين الدارمي :

أكسبته الورقُ البيضُ أباً ولقد كان ولا يدعى لأب^(٤)

وقول مالك بن ربيع وكان قد جنى جنايةً فطلبه مُصعبُ بن الزبير :

(١) هو لعميرة بن جابر ، وقد سبق في الكلام على تعريف المسند إليه باللام في الجزء الأول ، ومحل الشاهد هنا قوله « أمر » بالمضارع مع قوله « مضيت » بالماضى .

(٢) هذه النكتة ضعيفة أيضاً كنكتة المضارع المثبت ، والحق أن المضارع المنفى كالمضارع المثبت في امتناع دخول الواو كما هو مذهب جمهور النحاة ، وقد خالفهم الزمخشري في ذلك ، والجمهور يؤولون ما ورد بالواو من المنفى كتأويل المثبت ، وإذا جرينا على مذهب الزمخشري فنكتته أن حرف النفى أبعد عن الدخول مع الفعل الأول في إثبات واحد .

(٣) آية ٨٨ سورة يونس . أما بتشديدها فهو نهى معطوف على ما قبله ، والحق أن الواو مع التخفيف للعطف أيضاً ؛ لأنه نفى في معنى النهى ، ولا يصح أن تكون لحال لأنها تكون حالاً مؤكدة وقد سبق أنها لا يصح دخول الواو عليها .

(٤) الورق : المال من الدراهم ويجمع على أوراق ، وقد وُصف بالجمع في البيت كما يقال « الدرهم البيض » لتعددته في المعنى . يعنى أنه أكسبه نسباً معروفاً بعد أن كان مجهولاً .

بَغَانِي مُصْعَبٌ وَبَنُو أَبِيهِ فَأَيْنَ أَحِيدٌ عَنْهُمْ لَا أَحِيدُ
أَقَادُوا مِنْ دَمِي وَتَوَعَّلَسُونِي وَكُنْتُ وَمَا يُنْهِنُنِي الْوَعِيدُ^(١)
وَأَمَّا مَجِيئُهُ بِغَيْرِ وَارٍ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى^(٢) : ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾ .
وَقَوْلِ عَكْرِشَةَ الْعَبْسِي :

مَضَوْا لَا يَرِيدُونَ الرِّوَاحَ وَغَالَهُمُ مِنَ الدَّهْرِ أَسْبَابُ جَرِينٍ عَلَى قَدَرِ^(٣)
وَقَوْلِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ :
لَوْ أَنَّ قَوْمًا لَارْتَفَاعَ قَبِيلَةٍ دَخَلُوا السَّمَاءَ دَخَلْتُهَا لَا أُحْجَبُ^(٤)
وَقَوْلِ الْأَعْشَى :

أَتَيْنَا إِصْبَهَانَ فَهَزَلْتَنَا وَكُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ فِي نَعِيمٍ
وَكَانَ سَفَاهَةً مِنِّي وَجْهًا مَسِيرِي لَا أَسِيرُ إِلَى حَمِيمٍ^(٥)

وَأِنْ كَانَ مَاضِيًا لَفُظًا أَوْ مَعْنَى فَكَذَلِكَ يَجُورُ الْأَمْرَانِ مِنْ غَيْرِ تَرْجِيحٍ . أَمَّا
(١) قَوْلُهُ « أَحِيدٌ » بِمَعْنَى أَنْتَحَى وَأَنْجُو مِنْهُمْ ، وَقَوْلُهُ « أَقَادُوا مِنْ دَمِي » بِمَعْنَى قَتَلُوا بَدَلَ
قَتِيلِهِمْ . وَقَوْلُهُ « يُنْهِنُنِي » بِمَعْنَى يَزْجُرْنِي ، وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ :
﴿ وَمَا يُنْهِنُنِي الْوَعِيدُ ﴾

(٢) آيَةُ ٨٤ سُورَةِ الْمَائِدَةِ .

(٣) هُوَ لِأَبِي شَغْبٍ عَكْرِشَةَ الْعَبْسِي مِنْ شَعْرٍ لَهُ فِي رِثَاءِ ابْنِهِ شَغْبٍ ، وَقَبْلَهُ :

سَقَى اللَّهُ أَجْدَادًا وَرِثَانِي تَرَكَتَهَا بِحَاضِرِ قَسْرَيْنِ مِنْ سَبِيلِ الْقَطْرِ

الرِّوَاحُ : الرُّجُوعُ آخِرَ النَّهَارِ وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا مَطْلَقُ الرُّجُوعِ ، وَقَوْلُهُ « غَالَهُمْ » بِمَعْنَى
أَهْلَكَهُمْ ، وَالْقَدَرُ مَصْدَرٌ « قَدَرْتَهُ قَدْرًا » بِمَعْنَى قَدَّرْتَهُ تَقْدِيرًا ، أَيْ جَرَيْنَ عَلَى أَسْبَابٍ مَقْدَرَةٍ .
وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ : « لَا يَرِيدُونَ الرِّوَاحَ » .

(٤) قَوْلُهُ « لَارْتَفَاعَ قَبِيلَةٍ » تَعْلِيلٌ لِقَوْلِهِ « دَخَلُوا السَّمَاءَ » وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ « دَخَلْتُهَا لَا
أُحْجَبُ » .

(٥) هُمَا لَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَعْرُوفِ بِأَعْشَى هَمْدَانَ ، وَكَانَ قَدْ صَحَبَ عِبَادَ ابْنِ
رُقَاءَ إِلَى إِصْبَهَانَ فَلَمْ يَحْمَدْ صَحْبَتَهُ ، وَقَوْلُهُ « هَزَلْتَنَا » بِمَعْنَى أَضْعَفْتَنَا ، وَالْحَمِيمُ : الصَّدِيقُ .
وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ « لَا أَسِيرُ إِلَى حَمِيمٍ » وَهُوَ خَالَ مِنْ بَاءِ الْمُتَكَلِّمِ .

مجيبه بالواو فكقوله تعالى حكاية^(١) : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ﴾
وقوله تعالى : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾^(٢) .

وقول امرئ القيس :

أَيَقْتَلْنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤَادَهَا

كما شعف المهنوءة الرَّجُلُ الطَّالِي^(٣)

وقوله :

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَّتْ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا لَدَى السِّتْرِ إِلَّا لِبَسَةَ الْمُتَفَضِّلِ^(٤) .
وقوله تعالى^(٥) ﴿ قَالَ أَوْحَىٰ إِلَىٰ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ وقوله : ﴿ أَنَّى يَكُونُ
لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ ﴾^(٦) . وقول كعب :
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أَذْنِبْ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ^(٧)
وقوله تعالى^(٨) : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ
قَبْلِكُمْ ﴾ . وقول الشاعر :

(١) آية ٤٠ سورة آل عمران .

(٢) آية ٨ سورة مريم .

(٣) هو لخنديج بن حُجْر المعروف بامرئ القيس ، وقوله « شعفت فؤادها » بمعنى غلب
حبها لى على قلبها وخالطه ، وشعفة القلب : رأسه ، والمهنوءة : المطلية بالقطران . وشعفها
بمعنى طلاها ، والمعنى أن حبها له بلغ ما يبلغ القطران من الناقة المهنوءة ، فإنه يسرى فى جسمها
حتى يوجد طممه فى لحمها ، والشاهد فى قوله « وقد شعفت » .

(٤) هو لامرئ القيس أيضاً ، وقوله « نضت » بمعنى نزع ، والمتفضل الذى يبقى فى
ثوب واحد لينام أو يعمل عملاً ، والشاهد فى قوله « قد نضت » .

(٥) آية ٩٣ سورة الأنعام . وهذه الآية وما بعدها من أمثلة الماضى معنًى ، وهو المضارع
المنفى بلم ولما .

(٦) آية ٢٠ سورة مريم .

(٧) هو لكعب بن زهير ، والوشاة : جمع واش وهو النمام ، والأقاويل : جمع أقوال
وهى جمع قول . والشاهد فى قوله « ولم أذنّب وإن كثرت » .

(٨) آية ٢١٤ سورة البقرة .

بانث قطام ولما يحظّ ذو مَقَّةٍ منها بَوَصْلٍ ولا إنجاز ميعاد (١)
وأما مجيئه بلا واو فكقوله تعالى: ﴿أَوْ جَاؤُكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ (٢) .
وقول الشاعر :

وإني لتعزوني لذاكراك هزّةٌ كما انتفض العصفورُ بللّةُ القطر (٣)
وقوله :
أتيناكمُ قد عمّمكم حذرُ العِدَى فنلتم بنا أماناً و لم تعدموا نصر (٤)
وقوله :

متى أرى الصبحَ قد لاحت مخايلهُ والليلَ قد مزقت عنه السرايل (٥)
وكقوله تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ (٦) .
وقوله : ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ (٧) وقول امرئ
القيس :

فأدركك لم يجهد ولم يثن شأوه (٨) .

- (١) لا يُعرف قائله . وقطام : اسم محبوبته ، والمقة : مصدر وَمَقَّ يَمَقُّ وَمَقًّا ومقة «
بمعنى أحبه . والشاهد في قوله : ولما يحظّ .
(٢) آية ٩٠ سورة النساء .
(٣) هو لعبد الله بن مسلم المعروف بأبي صخر الهذلي ، والهزة : بكسر الهاء اسم الهيئة
من « هزَّ » . والشاهد في قوله « بللّة القطر » .
(٤) لا يُعرف قائله ، والحذر الخوف . وإضافته إلى العدى من إضافة المصدر إلى
المفعول . والعدى الأعداء . والشاهد في قوله « قد عمّمكم » .
(٥) هو لحنديج بن حنديج المرّي ، ومخايل الصبح : طلّاعه ، والسرايل : جمع سرايل
وهو القميص استعيرت لظلام الليل . والشاهد في قوله « قد لاحت ، وقد مزقت » .
(٦) آية ١٧٤ سورة آل عمران .
(٧) آية ٢٥ سورة الأحزاب .
(٨) هو لحنديج بن حنجر المعروف بامرئ القيس من قوله :
فأدركك لم يجهد يثن شأوه . ير كخذروف الوليد المثقب
يصف بذلك فرسه . والشاؤ : الطلق ، والخذروف : الدوارة التي يلعب بها الصبي ،
. والمعنى أنه يدرك طريده بغير مشقة في أول شأوه . والشاهد في قوله « لم يجهد » .

وقول زهير :

كَانَ فُتَاتَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مَنَزَلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبَّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحْطَمْ^(١)

والسبب في أن جاز الأمران فيه إذا كان مثبتاً دلالتُهُ على حصول صفة غير ثابتة لكونه فعلاً ، وعدم دلالتِهِ على المقارنة لكونه ماضياً^(٢) لهذا اشترط أن يكون مع «قد» ظاهرة أو مقدرة حتى تقرّبه إلى الحال فيصح وقوعه حالا ، وظاهرُ هذا يقتضي وجوب الواو في المنفى لانتفاء المعنيين^(٣) لكنه لم يجب فيه بل كان مثله ، أما النفي بلمّا فلأنها للاستغراق^(٤) وأما المنفى بغيرها فإنه لما دل على انتفاء متقدم^(٥) وكان الأصل استمرار ذلك^(٦) حصلت الدلالة على المقارنة عند إطلاقه^(٧) بخلاف المثبت فإن وضع الفعل على إفادة التجدد^(٨) وتحقيق هذا أن استمرار العدم لا يفتقر إلى سبب بخلاف استمرار الوجود كما بين في غير هذا العلم^(٩) .

وإن كانت الجملة اسمية فالمشهور أنه يجور فيها الأمران ، ومجىء الواو أولى . أما الأول^(١١) فلعكس ما ذكرناه في المصدرة بالماضي المثبت^(١٢) ؛ فمجىء الواو كقوله

(١) الفتات اسم لما انفت وتقطع من الشيء ، والعين : الصوف المصبوغ ، والفنا : عنب الثعلب . شبه فتات الصوف المصبوغ الذي زينته به الهوادج بحبّ الفنا في حمرة قبل تحطيمه ؛ لأنه إذا حطم تزول حمرة ، والشاهد في قوله « لم يحطم » .

(٢) هذه النكتة ضعيفة كما سبق ، والحق أن دخول « قد » أو حرف النفي على الماضي أبعد عن دخوله مع الفعل الأول في إثبات واحد .

(٣) هما الدلالة على حصول صفة غير ثابتة ، والدلالة على المقارنة .

(٤) يعنى به امتداد النفي من زمن الانتفاء إلى زمن التكلم .

(٥) أى على زمن التكلم . (٦) أى استمرار الانتفاء .

(٧) بعدم ذكر قرينة تدل على الانقطاع ، كقولك « لم يضرب زيد أمس لكنه ضرب

اليوم » . (٨) أى من غير أن يكون الأصل استمراره .

(٩) بيانه أن استمرار الوجود عبارة عن وجود عقيب وجود ، أو لا بد للوجود الحادث من

سبب ، أما استمرار العدم فهو عدم لا يحتاج إلى وجود سبب بل يكفي مجرد انتفاء سبب الوجود ، ويكون الأصل فيه الاستمرار عند الإطلاق . (١٠) هو جواز الأمرين .

(١١) عكس ذلك هو أن الجملة الاسمية تدل على المقارنة لكونها مستمرة ، ولا تدل على

حصول صفة غير ثابتة لدالتها على الدوام ، وقد سبق بيان ضعف هذه النكتة .

تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾^(١) وقوله : ﴿ ولا تبشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ﴾^(٢) .

وقول امرئ القيس :

أَيَقْتُلْنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زَرْقُ كَأَنِّيَابِ أَغْوَالِ^(٣)
وقوله :

لِيَالِي يَدْعُونِي الْهَوَى فَأَجِيبِهِ وَأَعِينُ مَنْ أَهْوَى إِلَى رَوَانِ^(٤)
وَالْخَلَوُ مِنْهَا كَمَا رَوَاهُ سَبِيوِيهِ « كَلَّمْتُهُ فَوَه إِلَى فِي ، وَرَجَعَ عَوْدَهُ عَلَى بَدْنِهِ »
بِالرَّفْعِ^(٥) . وما أنشدته أبو علي في الإغفال :

وَلَوْلَا حَنَانُ اللَّيْلِ مَا آبَ عَامِرٌ إِلَى جَعْفَرٍ سَرِبَالَهُ لَمْ يَمِزْ^(٦)
وقول الآخر :

مَا بَالُ عَيْنِكَ دَمَعُهَا لَا يَرَقَا^(٧)

وقول الآخر :

ثُمَّ رَاحُوا عَبَقَ الْمَسْكِ بِهِمْ^(٨)

(١) آية ٢٢ سورة البقرة . (٢) آية ١٨٧ سورة البقرة .

(٣) انظر ص ٤٦ ، والشاهد في قوله « والمشرقي مضاجعي » .

(٤) هو لامرئ القيس أيضاً ، والروائي جمع رانية وهن مديجات النظر ، والجار والمجرور قبله متعلق به ، الشاهد في قوله « وأعين من أهوى إلى روان » .

(٥) أما النصب وهو « فاه إلى في ، وعوده إلى بدنه » فيكون الحال فيه مفرداً لا جملة ، لأنه يكون كل من « فاه وعوده » ، هو الحال .

(٦) هو لسلامة بن جندل ، وجنان الليل : ظلمته ، والسريال : القميص وقد استعاره لنفس عامر أو هو كناية . يعني أنه لولا ظلمة الليل لقتل ، والشاهد في قوله : « سرياله لم يمزق » .

(٧) لا يُعلم قائله ، والبال : الحال ، وقوله : « لا يرقا » مأخوذ من : « رقا الدمع أو الدم » جَفَّ وانقطع . والشاهد في قوله « دمعها لا يرقا » .

(٨) هو من قول عمرو بن العبد المعروف بطرفة :

ثُمَّ رَاحُوا عَبَقَ الْمَسْكِ بِهِمْ يُلْحَقُونَ الْأَرْضَ هَدَابَ الْأَزْرَعِ

والعقب : مصدر « عقب » بمعنى فاحت رائحته ، وهداب الأزر : ما استرسل منها إلى الأرض فتكون لها كالحاف وغطاء ، والشاهد في قوله « عقب المسك بهم » . وقبل البيت :

وَأَسَدٌ غِيلَ فِدْنٍ مَا شَرَبُوا وَهَبُوا كُلُّ أُمُونٍ وَطِيرٍ

وأما الثاني^(١) فلعدم دلالة الإسمية على عدم الثبوت مع ظهور الاستئناف فيها لاستقلالها بالفائدة^(٢) فتحسن زيادة رابط ليتأكد الربط .

وقال الشيخ عبد القاهر^(٣) « إن كان المبتدأ ضمير ذى الحال وجب الواو . كقولك « جاء زيد وهو يسرع ، أو وهو مسرع » ولعل السبب فيه أن أصل الفائدة كان يحصل بدون هذا الضمير ، بأن يقال « جاءنى زيد يسرع أو مسرعاً » فالإتيان به يشعر بقصد الاستئناف المنافى للاتصال ، فلا يصلح لأن يستقل بإفادة الربط فتجب الواو » . وقال أيضاً : « إن جعل نحو « على كتفه سيف »^(٤) بتقديم الظرف حالاً عن شيء ، كما فى قولنا « جاء زيد على كتفه سيف » كثر فيها أن تحبىء بغير واو ، كقول بشار :

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها خرَجْتُ مع البازي على سواد^(٥)

يعنى - على بقية من الليل . وقول أبى الصلت عبد الله الثقفى يمدح ابن ذى يزن : واشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً فى رأس غمدان داراً منك محلاً^(٦)

(١) هو كون مجيء الواو أولى .

(٢) المهم فى هذه النكتة هو ظهور قصد الاستئناف فى الجملة الإسمية . أما دلالتها على الثبوت فلا شأن له فى ذلك كما سبق .

(٣) ١٣٣ - دلائل الإعجاز .

(٤) نحوه كل جملة اسمية خبرها جار ومجرور ومتقدم .

(٥) قوله « أنكرتني أو نكرتها » بمعنى كرهتني أو كرهتها ، والبازي : البار وهو ضرب من الصقور ، والشاهد فى قوله « على سواد » ولكن قد يقال : إن خروجه مع البار كناية عن تكبيره ، وعلى هذا تكون جملة « على سواد » حالاً مؤكدة ، وقد سبق أن أصل الكلام فى الحال المؤسسة .

(٦) هو لأبى الصلت عبد الله بن أبى ربيعة الثقفى ، وقيل : إنه لأمية ابنه ، والأقرب أنه لأبيه ، والمرتفع : الواقف الثابت الدائم أو المتكئ ، وداراً : منصوب به على الظرفية ، وغمدان : قصر باليمن يشمل على دور قصور تحملها ملوكه ، ومحلاً : بمعنى كثير حلولها لكرم صاحبها . والشاهد فى قوله « عليك التاج » . والخطاب لسيف بن ذى يزن ، وهو الذى أخرج الحبشة من اليمن .

وقول الآخر :

لقد برت للذل أعــسواد منبرٍ تقوم عليها في يديك قضيب^(١)
ثم قال^(٢) : والوجه أن يقدر الاسم في الأمثلة مرتفعاً بالظرف ، فإنه جائز باتفاق من صاحب الكتاب وأبي الحسن^(٣) لاعتماده على ما قبله^(٤) ثم اختار أن يكون الظرف هنا خاصة تقدير اسم فاعل ، وجوز أيضاً أن يكون في تقدير فعل ماض مع « قد » ، ومنع أن يكون في تقدير فعل مضارع ، ولعله إنما اختار تقديره باسم فاعل لرجوع الحال حيثنذ إلى أصلها في الأفراد ، ولهذا كثر مجيئها بلا واو ، وإنما جوز التقدير بفعل ماض أيضاً لمجيئها بالواو قليلاً ، وإنما منع التقدير بفعل مضارع لأنه لو جاز التقدير به لامتنع مجيئها بالواو^(٥).

ثم قال^(٦) : وربما يحسن مجيء الاسمية بلا واو لدخول حرف على المبتدأ ، كما في قوله :

فقلتُ عسى أن تبصريني كأنما بنى حوالى الأسود الحوارد^(٧)

فإنه لولا دخول « كان » عليه لم يحسن الكلام إلا بالواو ، كقولك : عسى أن تبصريني وبنى حوالى الأسود .

(١) هو لأبى وائلة بن خليفة السدوسي في هجاء عبد الملك بن المهلب . والقضيب السيف أو الغصن المقطوع . والشاهد في قوله « في يديك قضيب » .

(٢) ١٤٤ . دلائل الإعجاز .

(٣) صاحب الكتاب : سيبويه ، وأبو الحسن : هو سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط .

(٤) ما قبله هو صاحب الحال ؛ لأن الظرف يكون على هذا متعلقاً بمحذوف منصوب على الحالية ، فيعتمد على صاحبه اعتماد الصفة على موصوفها .

(٥) الحق أنه يجوز تقديره بالمضارع ؛ لأنه لا فرق بينه وبين المفرد في امتناع الواو .

(٦) ١٤٠ . دلائل الإعجاز .

(٧) هو لهمام بن غالب المعروف بالفرزدق يخاطب امرأة عذلت في اعتنائها بينه ، وقيل : إنه يقول ذلك لامراته حين قالت له : ليس لك ولد ، وإن متَّ ورنك قومك . والحوارد الغضاب جمع حارد ، والشاهد في قوله « كأنما بنى حوالى إلخ » وحوالى من « بنى » .

ثم قال ^(١) : وشبيه بهذا أن تقع حالاً بعقب المفرد فيلطف مكانها ^(٢) بخلاف ما لو أفردت ^(٣) كقول ابن الرومي :

واللهُ يقيقكَ لنا سالماً بُرداك تبجيل وتعظيم ^(٤)

فإنه لو قال « والله يقيقك لنا برداك تبجيل » لم يحسن .

هذا كله إذا لم يكن صاحبها نكرة مقدّمة عليها ، فإن كان كذلك نحو « جاء رجل وعلى كتفه سيف » وجب الواو لثلاث تشبته بالنعت :

وأما نحو قوله تعالى ^(٥) : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتابٌ معلوم ﴾ فقال السكاكي ^(٦) : الوجه فيه عندي هو أن ﴿ ولها كتابٌ معلوم ﴾ حال لقرية لكونها في حكم الموصوف نازلة « وما أهلكنا قرية من القرى » لا وصف ، وحمله على الوصف سهوٌ لا خطأ ، ولا عيب في السهو للإنسان ولا ذام ، والسهو ما يتنبه له صاحبه بأدنى تنبيه ، والخطأ ما لا يتنبه له صاحبه أو يتنبه ولكن بعد تعب . وكأنه عرض بالزمخشري حيث قال في تفسيره ﴿ لها كتاب ﴾ جملة واقعة صفة لقرية ، والقياس

(١) ١٤٠ - دلائل الإعجاز . (٢) أى مكان الاسمى بلا واو .

(٣) يعنى لم تقع عقب مفرد .

(٤) هو لعل بن العباس المعروف بابن الرومي ، والبرد : فى الأصل ثوب مخطط ، وقد ثناه هنا باعتبار لفظ التبجيل والتعظيم وإن كان معناهما واحداً ، وهو يدعو لمدموحه أن يبقى سالماً مشتملاً عليه ذلك اشتمال البرد على لابس . والشاهد فى قوله سالماً برداك تبجيل وتعظيم ؛ لأن الأول « حال مفرد » ، والثانى « جملة اسمية » من غير واو لوقوعها عقبه . هذا والحق أن طريقة عبد القاهر فى الجملة الاسمية تنظر إليها من جهة البلاغة ، أما تجويز الأمرين فيها على الإطلاق فهو مذهب علماء النحو ، ومثل هذا لا يعنى به هنا ، بنى عبد القاهر مجيء الواو وتركها فى الجملة الاسمية على قصد الاستثناف وعدمه كما سبق فى الجملة الفعلية ، ولكن الأصل عنده فى الجملة الاسمية أن تكون مبنية على قصد الاستثناف ، وقد أوجب الواو فيها إذا كانت مبتدأة بضمير ذى الحال ؛ لأنها يقصد منها الاستثناف دائماً ، أما غيرها فيجوز أن تأتى على خلاف الأصل فى الجملة الإسمية ، فتكون فى تأويل المفرد ، نحو « كلمته فوه إلى فى » وكل هذا يجرى على ما يقتضيه حال المخاطب فى الشك والإنكار وغيرهما .

(٥) آية ٤ سورة الحجر (٦) ١٣٥ : المفتاح

ألا يتوسط الواو بينهما كما فى قوله تعالى: ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ﴾^(١) وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف ، كما يقال فى الحال « جاءنى زيد وعليه ثوب » ، « وجاءنى زيد وعليه ثوب » ، ثم قال السكاكى^(٢) :

من عرف السبب فى تقديم الحال إذا أريد إيقاعها عن النكرة تنبه لجوار إيقاعها عن النكرة مع الواو فى مثل « جاءنى رجل وعلى كتفه سيف » ولمزيد جوازه فى قوله عز اسمه ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ﴾^(٣) على ما قدمت .

واعلم أن السكاكى بنى كلامه فى الجملة الواقعة حالاً على أصول مضطربة لا يخفى حالها على القطن ، لا سيما إذا أحاط علماً بما ذكرناه وأتقنه ، فآثرنا الإعراض عن نقل كلامه والتعرض لما فيه من الخلل ، لئلا يطول الكتاب من غير طائل .

* * *

تمرينات على الوصل والفصل

تمرين - ١

(١) لماذا فصل الشاعر بين الجملتين في قوله :

جزى الله الشدائد كل خير عرفتُ بها عدوى من صديقي

(٢) لماذا وصل الشاعر بين الجملتين في قوله :

سافرُ تجدَ عَوْضًا عَمَّنْ تفارقه وانصبَّ فإنْ لذيدَ العيشِ في النَّصبِ

تمرين - ٢

(١) بين موضع الوصل والفصل في قوله تعالى آية ١ ، ٢ سورة الكوثر ﴿ إنا

أعطيناكَ الكوثر ، فصل لربك وانحر ﴾ .

(٢) بين الفصل لكمال الانقطاع ولشبه كمال الاتصال في قوله الشاعر :

قال لي كيف أنت ؟ قلتُ عليلٌ سهرٌ دائمٌ وحُزنٌ طويلٌ

تمرين - ٣

(١) بين سبب الفصل في موضعيه من قوله تعالى آية ٢ سورة الرعد ﴿ يُدَبِّرُ

الأمْرَ يَفْصَلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءُ رَبَّكُمْ تَوَقُّنُونَ ﴾ .

(٢) لأي جامع حصل في قول الشاعر :

ولستُ بهيَّابٍ لِمَنْ لَا يَهَابُنِي ولستُ أرى للمرءِ ما لا يرى ليا

تمرين - ٤

(١) لماذا فصل الشاعر بين الجملتين مع كونهما خبريتين في قوله :

الفقر فيما جاوزَ الكفا مَنْ اتَّقَى اللهَ رجا وخافا

(٢) مر أبو بكر رضي الله عنه برجل في يده ثوب فقال له : أتبيع هذا ؟ فقال : لا

يرحمك الله ، فقال له : لا تقل هكذا : وقل : ويرحمك الله . فأمره بزيادة « واو »

بين لا ، وقوله « يرحمك الله » ليكون وصلاً لا فصلاً ، فما هو السبب في أمر أبى بكر له بالوصل بين الجملتين ؟ وهل الوصل يجب في ذلك بلاغة أو نحواً ؟ وهل الجملة الثانية خبر أو إنشاء ؟ .

تمرين - ٥

(١) لماذا فصل بين الجملتين في قول الشاعر :

قَمِّ لِلْمَعْلَمِ وَفَّهَ التَّبْجِيلَا كَادَ الْمَعْلَمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولَا

(٢) يَبَيِّنُ سببَ الْوَصْلِ وَالْفَصْلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى آيَةَ ١١ ، ١٢ ، ١٣ سورة المزمل ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ، وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهْلَهْمُ قَلِيلًا ، إِنْ لَدَيْنَا أَنْكَالٌ وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

تمرين - ٦

(١) بين موضع الوصل للتناسب في الاسمى والفعلية ، وَلِمَ وَصَلَ بِمَعَ عَدَمِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى آيَةَ ١١ سورة سبأ ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غَدُوهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْغَمْرَ وَمَنْ الْجَنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذْرُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ . وَبَيْنَ لِمَ فَصَّلَ فِيهِ الْحَالُ أَيْضًا ؟ .

(٢) لماذا أتت الجملة الحالية من غير واو في قول الشاعر :

أَلَا لَيْتَ شَعْرَىٰ هَلْ أَبَيَّتْ لَيْلَةً بِمَكَّةَ حَوْلِي إِذْ خَرْتُ وَجَلِيلُ

(٣) لماذا عطف « يذبحون » في قوله تعالى : آيَةَ ٦ سورة إبراهيم ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَذُبُّونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ وَلِمَ يُعْطَفُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى آيَةَ ٤٩ سورة البقرة ﴿ وَإِذْ نُخَيِّنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ ؟ .

* * *

القول فى الإيجاز والإطناب والمساواة

تعريف السكاكى للإيجاز والإطناب والمساواة :

قال السكاكى^(١) : « أما الإيجاز والإطناب فلكونهما نسيبين^(٢) لا يتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق^(٣) والبناء على شىء عرْفى^(٤) مثل جعل كلام الأوساط على مجرى متعارفهم فى التأدية للمعانى فيما بينهم » ولا بد من الاعتراف بذلك^(٥) فى مقيساً عليه^(٦) ولنسمة « متعارف الأوساط » وإنه فى باب البلاغة لا يُحمد منهم ولا يُذمّ .

فالإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط^(٧) ، والإطناب هو أدائه بأكثر من عباراته ، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل^(٨) . ثم قال^(٩) « الاختصار لكونه من الأمور النسبية يُرجع فى بيان

(١) ١٥٠ - المفتاح .

(٢) إنما كانا نسيبين لأن إيجاز الكلام إنما هو بالنسبة إلى كلام أزيد منه ، وإطنابه إنما هو بالنسبة إلى كلام أنقص منه ، وكذلك المساواة نسبية أيضاً .

(٣) يعنى بالتحقيق التعيين ، وإنما لم يتيسر الكلام فيهما إلا بتركه لأنه لما كان ذلك شأنهما لم يمكن تعيين مقدار من الكلام للإيجاز ومقدار منه للإطناب ، فرب كلام موجز يكون مطمئناً بالنسبة إلى كلام آخر وبالعكس .

(٤) أى وإلا بالبناء على شىء عرْفى وهو ما يعرفه أهل العرف فى الجملة ؛ لأن هذا أقرب شىء يُرجع إليه فى مثل ذلك .

(٥) جملة معترضة ، أى ولا بد من الاعتراف بكلام الأوساط لأن أكثر الناس منهم ، وأوساط الناس هم الذين لم يصلوا إلى رتبة البلاغة ولم ينحطوا إلى حال الفهاة ، فيكون كلامهم صحيح الإعراب من غير مراعاة ما يقتضيه الحال فى الكلام .

(٦) أما المقيس فهو الإيجاز والإطناب ، ولا شك أن قياسهما بذلك يعينهما فى الجملة لانضباطه وقلة التفاوت فيه .

(٧) يسمى الإيجاز باسم الإشارة فى بعض كتب البلاغة .

(٨) لم يذكر تعريف المساواة لأنها على ذلك تكون عبارة عن متعارف الأوساط ، وهو يرى أنه لا فضيلة له لأنه لا يحمد ولا يذم ، فما يحصل من البليغ مساوياً له لا يكون بليغاً مثله لعدم اشتماله على نكتة يعتد بها ، وقيل : إن المساواة من البليغ تعد بليغة إذا اقتضاها المقام بأن يكون من يخاطبه من الأوساط ، والحق أنه لا يعتد بمثل ذلك كما سيأتى .

(٩) ١٥٦ - المفتاح .

دعواه^(١) إلى ما سبق تارة ، وإلى كون المقام خليقاً بأبسط مما ذكر أخرى^(٢) . وفيه نظر ؛ لأن كون الشيء نسبياً لا يقتضى ألا يتيسر الكلام فيه إلا بترك التحقيق والبناء على الشيء عرفي^(٣) ثم البناء على متعارف الأوساط والبسط الذى يكون المقصود جديراً به ردّ إلى جهالة^(٤) فكيف يصلح للتعريف ؟

تعريف الخطيب :

والأقرب أن يقال : المقبول من طرق التعبير عن المعنى : هو تأدية الأصل المراد^(٥) بلفظ مساو له^(٦) أو ناقص عنه وافٍ ، أو رائد عليه لفائدة ، والمراد بالمساواة

(١) أى مسماء ، مأخوذ من « دعاه بكذا » بمعنى سماه به .

(٢) هذا عندما يكون أقل مما يقتضيه المقام بحسب الظاهر ، كقوله تعالى آية ٤ سورة مريم ﴿ رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيئاً ﴾ هو إجاز بالقياس إلى ما يقتضيه ظاهر مقام انقراض الشيب من بسط الكلام فيه غاية البسط ، وليس بإيجاز بالقياس إلى متعارف الأوساط فى ذلك ، وهو قولهم « يا رب شخت » بل هو إطناب بالقياس إليه ، وإنما اعتبر فى ذلك أن يكون أقل ما يقتضيه المقام فى الظاهر لأنه إذا كان أقل مما يقتضيه تحقيقاً لم يكن بليغاً .

(٣) يعنى أن يكونه كذلك لا يقتضى تعسر تحقيق معناه ، وأجيب عنه بأنه لا يريد بذلك تعسر بيان معنى الإيجاز والإطناب لأنه بينه بما سبق ، وإنما يريد تعسر تعيين أن هذا القدر إيجاز وذاك إطناب ، وبهذا وجب الرجوع فى بيان معناهما إلى القياس على متعارف الأوساط .

(٤) أجيب عنه بأنه يراد من متعارف الأوساط الكلام الذى تكون فيه الألفاظ على قدر المعانى الأصلية مع صحة الإعراب وعدم مراعاة مقتضى الحال ، ومع هذا لا يكون البناء عليه ردّاً إلى جهالة ، أما المعنى الثانى للإيجاز وهو المبني على البسط المذكور فالظاهر أنه معنى مجازى له ، وليس معنى حقيقياً يراد به ضبط الإيجاز وتمييزه .

(٥) إضافة أصل إلى المراد بيانية ، وأصل المراد هو المعنى الأول الذى يقصد المتكلم به إفادته للمخاطب ولا يتغير بتغير العبارات واعتبار الخصوصيات .

(٦) على هذا تكون المساواة داخلة فى المقبول من طرق التعبير عن المعنى ، وقد قيل : إن هذا يخالف ما سبق عن السكاكى من أنها لا تحمد ولا تذم ، والحق أنه لا خلاف بين السكاكى والخطيب فى ذلك ، لأن ما ذكره السكاكى هو أنها لا تحمد فى باب البلاغة ، وهذا لا ينافى قبولها من أوساط الناس ، ولهذا حكم فيما سبق بأنه لا بد من الاعتراف بكلام هؤلاء الأوساط ، والخطيب معنى بالمقبول من طريق التعبير ما يشمل قبول هذا من الأوساط ، ولا يريد به ما يقبل فى البلاغة فقط .

أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد لا ناقصاً عنه بحذف أو غيره ، كما سيأتى ، ولا رائداً عليه بنحو تكرير أو تتميم أو اعتراض كما سيأتى .

الإخلال : وقولنا « واف » احتراز عن الإخلال ، وهو أن يكون اللفظ قاصراً عن أداء المعنى ، كقول عروة بن الورد :

عجبتُ لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذراً^(١)

فإنه أراد « إذ يقتلون نفوسهم فى السلم » ، وقول الحارث بن حلزة :

والعيشُ خيرٌ فى ظلالِ لِ النَّوْكَ من عاش كذا^(٢)

فإنه أراد « العيش الناعم فى ظلال النوك خير من العيش الشاق فى ظلال العقل » فأحلَّ كما ترى .

التطويل والحشو :

وقولنا « لفائدة » احتراز من شيئين : أحدهما التطويل وهو ألا يتعين الزائد فى الكلام ، كقوله :

وَأَلْفَى قولها كذباً وميناً^(٣)

فإن الكذب والمين واحد .

وثانيهما ما يشتمل على الحشو ، والحشو ما يتعين أنه الزائد ، وهو ضربان : أحدهما ما يفسد المعنى ، كقول أبى الطيب :

(١) يعنى بقتلهم نفوسهم موتهم على فراشهم جبناً عن القتال ، والوغى : الحرب ، وأفعل التفصيل فى قوله « أعذراً » ليس على بابه ، لأنه يريد نفى العذر عنهم فى قتلهم نفوسهم .

(٢) النوك : الحمق ، والكذب : مصدر « كذب » إذا اشتد فى العمل .

(٣) هو لعدى بن زيد العبادى من قوله :

وفاجأها وقد جمعت جموعاً على أبواب حصن مصلتين

وقدّدت الأديم لراشيشه وألفى قولها كذباً وميناً

وقيل : إنه لعدى بن الأبرش ، وقوله « قدّدت » بمعنى قطعت وضميره للزبابة ملكة

تدمر ، والأديم : الجلد ، والراشيشان : عرقان فى باطن الذراع ، والضمير المضاف إليه للزبابة بن

الأبرش ملك الحيرة وقصتهما معروفة . وقد روى « كذباً مبيتاً » فلا يكون فيه تطويل ، وقيل :

إنه لا تطويل فى الرواية الأولى ؛ لأن القصد منه التأكيد ، والمقام يقتضيه .

ولا فضلَ فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب^(١)
ومن ذلك أيضاً قول الشاعر :

أعاذل عاجلُ ما أشتهى أحبُّ من الأكثر الرئث

أراد « عاجل ما أشتهى مع القلة ، أحب من الأكثر البطيء » .

فإن لفظ « الندى » فيه حشو يفسد المعنى ، لأن المعنى أنه لا فضل في الدنيا للشجاعة والصبر والندى لولا الموت ، وهذا الحكم صحيح في الشجاعة^(٢) دون الندى ؛ لأن الشجاع لو علم أنه يخلد في الدنيا لم يخش الهلاك في الإقدام فلم يكن لشجاعته فضل ، بخلاف باذل ماله ، فإنه إذا علم أنه يموت هان عليه بذله ، ولهذا يقول إذا عوتب فيه : كيف لا أبذل ما لا أبقي له ؟ أتئى أثق بالتمتع بهذا المال ؟ وعليه قول طرفه :

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فذرني أبادرها بما ملكت يدي^(٣)
وقول مهيار :

فكل إن أكلت وأطعمت أخاك فلا الزاد يبقى ولا الأكل^(٤)

فلو علم أنه يخلد ثم جاد بماله كان جوده أفضل ، فالشجاعة لولا الموت لم تُحمد ، والندى بالصد ، وأجيب عنه بأن المراد بالندى في البيت بذل النفس لا بذل المال ، كما قال مسلم بن الوليد :

(١) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبي الطيب المتنبي . والندى : الكرم . وشعوب : عَلم جنس للمنية وهي الموت . وقد جر بالكسر لأجل الروى ؛ لأنه مما لا ينصرف فيجر بالفتحة .
(٢) كذلك الصبر لتيقن الصابر زوال المكروه في العادة على تقدير الخلود ، فلا يكون في صبره فضل أيضاً .

(٣) هو لعمر بن العبد المعروف بطفرة وقبله :

ألا أيها اللاتمي أحضر الوغى وأن أحضر اللذات هل أنت مخلدى ؟

والمنية : الموت . وقوله « ذرني أبادرها » بمعنى اتركني أسبقها بالتمتع بمالي قبل أن تحرمني منه ، وهذا هو معنى قول من يعاتب في بذل ماله : كيف لا أبذل إلخ .

(٤) هو لمهيار بن مرزويه النديسي . وقوله « إن أكلت » بمعنى إن قدرت على الأكل ، أو التقدير « فكل وأفضل إن أكلت » .

يجود بالنفس إن ضَنَّ الجَوَادُ بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجودِ
ورُدَّ بأن لفظ « الندى » لا يكاد يُستعمل في بذل النفس ، وإن استعمل فعلى
وجه الإضافة ، فأما مطلقاً فلا يفيد إلا بذل المال .

والثاني ما لا يفسد المعنى كقوله :

ذكرتُ أخسى فعاودنى صداعُ الرأس والوصَبُ^(١)

فإن لفظ (الرأس) فيه حشو لا فائدة فيه ؛ لأن الصداع لا يستعمل إلا في
الرأس ، وليس بفسد للمعنى . وقول رهير :

وأعلمُ عِلْمَ اليوم والأمس قبله ولكنى عن عِلْمٍ ما فى غدٍ عَمِى

فإن قوله « قبله » مستغنى عنه غير مفسد . وقول أبى عدى :

نحن الرؤوس وما الرؤوس إذا سَمَتْ فى المجدِّ للأقوام كالأذنان^(٢)

فإن قوله « للأقوام » حشو لا فائدة فيه مع أنه غير مفسد^(٣) .

وأعلم أنه قد تشبه الحال على الناظر لعدم تحصيل معنى الكلام وحقيقته فيعد
من الزائد على أصل المراد ما ليس منه ، كما مثله بعض الناس^(٤) بقول القائل :

(١) هو لأبى العيال بن أبى عترة الخفاجى من قصيدته في رثاء أخ له ، والصداع : وجع
الرأس ، والجصب : المرض والوجع الدائم . وأخذ عليه أيضاً أن الذاكر لما فات من محبوب
يوصف بألم القلب واحتراقه لا بالصداع .

(٢) هو كما فى « حُسن التوسل » لأبى عدى عبد الله بن عمر بن عبد الله العَبَلَى الأموى
القرشى ، والمراد بالرؤوس أشراف الناس ورؤساؤهم ، والمراد بالأذنان سفلتهم . وكان أبو عدى
من بنى أمية ملوك المسلمين بعد الخلفاء الراشدين .

(٣) هذا وقد قيد ابن مالك قبح الحشو غير المفسد بما ليس فيه بديع ، فإن كان فيه بديع
حسن ، كقول المتنبى :

ونخفوق قلب لو رأيت لهيبه يا جنتى لرأيت فيه جهنما

فقوله « يا جنتى » حشو ولكنه حسن لما فيه من المطابقة لجهنم ، والمطابقة من المحسنات
البديعية .

(٤) منهم ابن قتيبة إذ يقول فى هذه الأبيات : إنها كفارغ بندق ، وليس فيها على ضخامة
لفظها كبير معنى ، فهى عنده من التطويل الذى لا فائدة فيه .

ولمَّا قضينا مِن منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسحُ
وشدَّت على دُهمِ المهاري رحالنا ولم ينظر الغادى الذى هو رائجُ
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح^(١)

يبين أنه ليس منه ما ذكره الشيخ عبد القاهر فى شرحه^(٢) قال : أول ما يتلقاك من محاسن هذا الشعر أنه قال « ولمَّا قضينا من منى كل حاجة » فعبّر عن قضاء جميع المناسك فرائضها وسننها بطريق العموم الذى هو أحد طرق الاختصار . ثم نبه بقوله « ومسح بالأركان من هو ماسح » على طواف الوداع الذى هو آخر الأمر ودليل المسير الذى هو مقصوده من الشعر ، ثم قال « وشدت » البيت ، فوصل بذكر مسح الأركان ما وليه من ذم الركاب وركوب الركبان . ثم دل بلفظ « الأطراف » على الصفة التى تختص بها الرفاق فى السفر من التصبر فى فنون القول وشجون الحديث ، أو ما هو عادة المتظرفين من الإشارة والتلويع والرمز والإيماء^(٣) وأنبا بذلك عن طيب النفوس وقوة النشاط وفضل الاغتباط ، كما توجه ألفه الأصحاب ، وأنسه الأحباب ويليق بحال من وفق لقضاء العبادة الشريفة ورجا حسن الإياب ، وتنسم روائح الأحبة والأوطان ، واستماع التهاني والتحايا من الخلال والإخوان ، ثم ران ذلك كله باستعارة لطيفة حيث قال « وسالت بأعناق المطى الأباطح » فنه بذلك على سرعة السير ووطأة الظهر ، وفى ذلك ما يؤكد ما قبله ؛ لأن الظهور إذا كانت وطيفة وكان سيرها سهلاً سريعاً زاد ذلك فى نشاط الركبان ، فيزداد الحديث طيباً . ثم قال « بأعناق المطى » ولم يقل بالمطى ؛ لأن السرعة والبطء فى سير الإبل يظهران

(١) هى لكثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة ، وقيل : لابن الطثيرة ، وقيل : لعقبة بن كعب بن زهير المعروف بالمضرب ، والأركان : أركان للكعبة ، والدُّهم : السود ، والمهاري . جمع مهريه وهى نوق منسوبة إلى مهرة ، والغادى : السائر فى أول النهار ، والرائح : ضده . والأباطح جمع بطحاء وهى مسيل واسع فيه رمل ودقائق الحصى . وقد ذكر من عدل هذه الأبيات رائدة على أصل المراد أن أصله فيها « ولمَّا رجعنا من منى أخذنا فى الكلام » والزائد على هذا فيها تطويل عنده لا فائدة فيه .

(٢) (٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ أسرار البلاغة .

(٣) فاطراف الحديث جمع طرف وهو مختارها .

غالبًا في أعناقها ، ويتبين إقترهما من هواديهما^(١) وصدورها ، وسائر أجزائها تستند إليها في الحركة ، وتتبعها في الثقل والخفة^(٢) .

* * *

(١) جمع هادية وهي العنق .

(٢) ظاهر كلام عبد القاهر أن الأبيات الثلاثة من الإيجاز ، وقيل : إنها من المساواة ، وكان على الخطيب أن يذكر مقامات الإيجاز والإطناب والمساواة ، لأن هذا من أهم ما يعنى به في علم المعاني ، ومقام الإيجاز هو مقام الحذف السابق في المسند إليه والمسند ومتعلقات الفعل ، ومقام الإطناب هو قصد التأكيد أو زيادة الإيضاح أو بسط الكلام حيث الإصغاء مطلوب أو نحو ذلك . وللإيجاز مواضع ثلاثه كالحكم والأمثال ، وللإطناب مواضع ثلاثه كالمديح والفخر والوعظ ، أما مقام المساواة فهو مقام الإتيان بالأصل حيث لا مقتضى للعدول عنه ، وهذه النكتة لا يعتمد بها في البلاغة كما سبق ، ولهذا كانت المساواة غير محمودة ولا مذمومة .

القسم الأول - المساواة

كقوله تعالى ﴿ ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله ﴾^(١) وقوله : ﴿ وإذا رأيت
الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾^(٢)
وقول النابغة الذبياني :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلْتُ أن المتأى عنك واسع^(٣)

* * *

(١) آية ٤٣ سورة فاطر ، ولا يقدح في عده من المساواة ما فيه من حذف المستثنى منه ؛
لأن اعتبار الحذف في ذلك لرعاية الإعراب ولا يفتقر إليه في تأدية أصل المراد ، حتى إنه لو صرح
به يكون من الحشو ، نعم بقدح في عده من المساواة أنه يقع نذيراً في آية ﴿ استكباراً في الأرض
ومكر السيئ ، ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله ﴾ اللهم إلا أن ينظر في عده من المساواة إليه في
ذاته بقطع النظر عما قبله ، ولكنه إذا نظر إليه في ذاته فهو من القصر الذي سبق أنه نوع من
الإيجاز ، وقد عد العسكري الآية من الإيجاز في كتاب : « الصناعتين » وقد قيل : كيف تقع
المساواة في القرآن وهي لا تصل إلى رتبة البلاغة كما سبق ؟ وأجيب بأن وقوعها في موضع من
القرآن لا يمنع اشتعاله على وجوه أخرى من البلاغة ، ولا يخفى ضعف هذا الجواب ، لأنه
يشترط في المساواة أن تكون خالية من جميع الاعتبارات البلاغية كما سبق في تعريفها ، والحق
أنها نادرة الوقوع في الكلام البليغ ، وإنما تقع في كلام الأوساط كما سبق .

(٢) آية ٦٨ سورة الأنعام .

(٣) هو لزياد بن عمرو المعروف بالنابغة الذبياني ، والخطاب فيه للنعمان ابن المنذر ،
والمتأى : مكان الانتباه وهو البعد ، وإطلاق السعة عليه مجاز مرسل علاقته المجاورة ؛ لأن
الواسع في الحقيقة هو مسافة ما بين المخاطب ومكان البعد الذي لجأ إليه النابغة ، ولا يقدح في
عد البيت من المساواة ما فيه من حذف جواب الشرط ؛ لأنه تقدير إعراب لا يقدح فيها .

ومهما بعد من المساواة قول زهير :

ومهما يكن عند امرئ من خليفة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وقول بعضهم :

إذا أنت لم تُفصّر عن الجهل واخنا أصبت حليماً أو أصابك جاهل

القسم الثانى - الإيجاز

وهو ضربان :

إيجاز القصر :

أحدهما إيجاز القصر^(١) وهو ما ليس بحذف ، كقوله تعالى : ﴿ ولكم فى القصاص حياة ﴾^(٢) فإنه لا حذف فيه^(٣) مع أن معناه كثير يزيد على لفظه ؛ لأن المراد به أن الإنسان إذا علم أنه متى قُتل قُتل كان ذلك داعياً له قوياً إلى ألا يُقدم على القتل ، فارتفع بالقتل الذى هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض ، فكان ارتفاع القتل حياة لهم ، وفضله على ما كان عندهم أوجز كلام فى هذا المعنى ، وهو قولهم : « القتل أنفى للقتل » من وجوه :

أحدهما : أن عدة حروف ما يناظره منه وهو ﴿ فى القصاص حياة ﴾ عشرة فى التلفظ^(٤) وعدة حروفه أربعة عشر .

وثانيها : ما فيه من التصريح بالمطلوب الذى هو الحياة بالنص عليها ، فيكون أجز عن القتل بغير حق لكونه أدعى إلى الاقتصاد .

وثالثها : ما يفيد تنكير (حياة) من التعظيم أو النوعية كما سبق^(٥) .

ورابعها : أطراده ، بخلاف قولهم ؛ فإن القتل الذى ينفى القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره .

(١) بكسر القاف وفتح الصاد ، وإن كان المشهور فتح القاف وسكون الصاد . وكثرة المعانى مع قصر الألفاظ تأتى من كون اللفظ لا يقتصر على دلالة واحدة ، بل تتنوع دلالاته ويدل بالتضمن والالتزام على أكثر مما يدل عليه بالمطابقة .

(٢) آية ١٧٩ سورة البقرة .

(٣) أى لم يحذف فيه شيء مما يؤدى به من أصل المراد ، أما متعلق الجار والمجرور بتقديره لرعاية الإعراب فقط .

(٤) هى الفاء واللام والقاف والصاد والألف والصاد والحاء ، والياء ، والألف ، والتاء ، ولم يضاف التنوين إليها لسقوطه فى الوقف .

(٥) فى الكلام على تنكير المسند إليه فى الجزء الأول .

وخامسها : سلامته من التكرار الذى هو من عيوب الكلام ، بخلاف قولهم .
وسادسها : استغناؤه عن تقدير محذوف ، بخلاف قولهم ؛ فإن تقديره « القتل
أنفى للقتل من تركه »^(١) .

وسابعها : أن القصاص ضد الحياة فالجمع بينهما طباق كما سيأتى^(٢) .
وثامنها : جعل القصاص كالممنوع والمعدن للحياة بإدخال « فى » عليه على ما
تقدم .

ومنه قوله تعالى : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(٣) أى هُدًى للضالين الصائرين إلى
الهدى بعد الضلال^(٤) وحسنه التوصل إلى تسمية الشيء باسم ما يزول إليه^(٥) وإلى
تصدير السورة بذكر أولياء الله تعالى ، وقوله : ﴿ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ ﴾^(٦) أى بما
لا ثبوت له ولا علم لله متعلق بثبوته نفياً للملزوم بنفى اللزم^(٧) وكذلك قوله تعالى
: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾^(٨) أى لا شفاعاة ولا طاعة على أسلوب
قوله :

على لاحب لا يهتدى بمناره^(٩)

(١) قيل : هذا تقدير إعرابى كما فى الآية ، وقيل : إن أفعل التفضيل فيه ليس على باب
فلا يحتاج إلى تقديره ، ولا يخفى ضعف هذا التقدير ، والحق أنه يراد من قولهم أن القتل أنفى
للقتل من كل راجر ، وهذا هو الذى يجب أن يقدر لا ما قدره الخطيب وهو ليس تقدير إعراب ،
وأفعل التفضيل فيه على باب .

(٢) فى علم البديع . (٣) آية ٢ سورة البقرة .

(٤) فلا يراد « المتقون » بالفعل لأنهم مهتدون ، وقد يقال : إن الهدى يقبل الزيادة
والنقصان ؛ فلا مانع من إرادة المتقين بالفعل .

(٥) فيكون مجازاً مرسلأ . (٦) آية ١٨ سورة يونس .

(٧) الملزوم الثبوت واللازم العلم . (٨) آية ١٨ سورة غافر .

(٩) هو لخنديج بن حجر المعروف بامرئ القيس من قوله :

على لاحب لا يهتدى بمناره إذا ساقه العود النباطى جرجرا

واللاحب : الطريق يمشى على جهة ، والمنارة : ما يجعل عليه من علامة ، وقوله «ساقه»
بمعنى شمه ، والعود : الجمل المسن ، والنباطى : الضخم منسوب إلى النبط ، وقوله « جرجر »
بمعنى : رغا وضج ، وإنما يرغو الجمل لمعرفته ببعد الطريق .

أى لا منار ولا اعتداء ، وقوله :

ولا ترى الضبُّ بها ينجحر^(١)

أى لا ضب ولا المنجحر .

ومن أمثلة الإيجاز أيضاً قوله تعالى^(٢) فيما يخاطب به النبى عليه الصلاة والسلام ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ فإنه جمع فيه مكارم الأخلاق ، لأن قوله ﴿ خذ العفو ﴾ أمر بإصلاح قوة الشهوة^(٣) ؛ فإن العفو ضد الجهل ، قال الشاعر :

خذى العفو مَنى تستدبى مودنى^(٤)

أى خذ ما تيسر أخذه وتسهّل ، قوله : ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾ أمر بإصلاح قوة الغضب^(٥) ، أى أعرض عن السفهاء واحلّم عنهم ولا تكافئهم على أفعالهم . هذا ما يرجع إليه منها ، وأما ما يرجع إلى أمته فدلّ عليه بقوله : ﴿ وأمر بالعرف ﴾ أى بالمعروف والجميل من الأفعال ؛ ولهذا قال جعفر الصادق عليه السلام فيما روى عنه : أمر الله نبيه عليه السلام بمكارم الأخلاق ، وليس فى القرآن آية أجمع لها من هذه الآية .

(١) هو لأوس بن حجر :

لا يُفزعُ الأرنبَ أهوالها ولا ترى الضبُّ بها ينجحر

يصف مفارقة بأنها غير مطروقة للناس ، فلا يوجد ما يفزع أرنبها ، أو ينجحر به ضبها أى يدخل حجره ، والشاهد فى البيتين ورود النفى على المقيد وقيد معاً ، وروده على القيد فقط .

(٢) آية ١٩٩ سورة الأعراف .

(٣) هى قوة النفس تبعث على جانب المنافع ، وإصلاحها بجعلها تطلب ما تيسر لا ما

تعسر .

(٤) هو لأسماء بن خارجة الفزارى من قوله :

خذى العفو مَنى تستدبى مودتى ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب

يخاطب بذلك امرأته ، وسورة الشىء : شدته .

(٥) هى قوة النفس تبعث على دفع المضار .

ومنها قول الشريف الرضى :

مالوا إلى شُعب الرجال وأسندوا أيدي الطعان إلى قلوب تخفق^(١)

فإنه لما أراد أن يصف هؤلاء القوم بالشجاعة فى أثناء وصفهم بالغرام عبر عن ذلك بقوله « أيدي الطعان » .

ومنها ما كتب عمرو بن مسعودى عن المأمون الرجل يُعنى به إلى بعض العمال حيث أمره أن يختصر كتابه ما أمكن : « كتابى إليك كتاب واثق بمن كتّبت إليه ، مَعْنَى بمن كتب له ، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله » .

إيجاز الحذف :

والضرب الثانى إيجاز الحذف ، وهو ما يكون بحذف ، والمحذوف إما جزء جملة أو أكثر من جملة .

والأول : إما مضاف ، كقوله تعالى : ﴿ واسأل القرية ﴾^(٢) أى أهلها ، كقوله تعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾^(٣) أى تناولها ؛ لأن الحكم الشرعى إنما يتعلق بالأفعال دون الأجرام ، وقوله تعالى : ﴿ حرّمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾^(٤) أى تناول طيبات أحل لهم تناولها ، وتقدير التناول أولى من تقدير الأكل ليدخل فيه شرب البان الإبل ؛ فإنها من جملة ما حرّم عليهم ، وقوله تعالى : ﴿ وأنعامٌ حرّمت ظهورها ﴾^(٥) ، أى منافع ظهورها وتقدير المنافع أولى من تقدير الركوب لأنهم حرّموا ركوبهم وتحميلها ، وكقوله تعالى : ﴿ لمن كان يرجون الله ﴾^(٦) أى رحمة الله ، وقوله تعالى : ﴿ يخافون ربهم ﴾^(٧) أى عذاب ربهم ، وقد ظهر هذان المضافان فى قوله تعالى : ﴿ ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾^(٨) .

(١) هو لمحمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضى ، وشعب الرجال : خشبها . وميلهم إليها : كناية عن ارتحالهم وركوبهم عليها ، وقوله « تخفق » بمعنى تضطرب لفراق الأحبة .

- | | |
|----------------------------|----------------------------|
| (٢) آية ٨٢ سورة يوسف . | (٣) آية ٣ سورة المائدة . |
| (٤) آية ١٦٠ سورة النساء . | (٥) آية ١٣٨ سورة الأنعام . |
| (٦) آية ٢١ سورة المؤمنون . | (٧) آية ٥٠ سورة النمل . |
| (٨) آية ٥٧ سورة الإسراء . | |

وإما موصوف ، كقوله :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا^(١)

أى أنا ابن رجل جلا^(٢)

وإما صفة ، نحو : ﴿ وكان وراءهم ملكٌ يأخذُ كلَّ سفينة غصباً ﴾^(٣) أى كل سفينة صحيحة أو سالحة أو نحو ذلك بدليل ما قبله^(٤) وقد جاء ذلك مذكوراً فى بعض القراءات ، قال سعيد بن جبير : كان ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ ﴿ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة سالحة غصباً ﴾ . وإما شرط كما سبق^(٥) .

وإما جواب شرط ، وهو ضربان :

أحدهما : أن يحذف لمجرد الاختصار^(٦) كقوله تعالى^(٧) : ﴿ وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون ﴾ أى أعرضوا بدليل^(٨) قوله بعده ﴿ إلا

(١) هو لسُحَيْم بن وَثِيل :

أنا ابنُ جلا وطلاعُ الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى

والثنايا : جمع ثنية وهى الطريق فى أعلى الجبل أو الطريق الصعب منه ، ويعنى بكونه طلاعاً للثنايا أنه ركب لصعاب الأمور ، والمراد بالعمامة عمامة الحرب وهى البيضة ، يعنى أنه متى يضعها على رأسه يعرفوا شجاعته .

(٢) جلا : إما بمعنى انكشف أى منكشف الأمر ، أو بمعنى « كشف الأمور » وهذا مبنى على القول بجور حذف موصوف الجملة مطلقاً ، وقيل : إنه لا يجوز إلا إذا كان بعض اسم مجرور بمن أو فى كقولهم « منا ظعن ومنا أقام » أى فريق ظعن وفريق أقام ، وقيل : إن « جلا » علم لرجل فلا يكون فيه حذف ، وعلى هذا يكون منقولاً عن جملة ، ولهذا لم يصرف .

(٣) آية ٧٩ سورة الكهف .

(٤) هو قوله : ﴿ فأردتُ أن أعيها ﴾ .

(٥) فى آخر باب الإنشاء من هذا الجزء من تقدير الشرط فى جواب التمنى والاستفهام

والامر والنهى .

(٦) هذه نكتة لفظية .

(٧) آية ٤٥ سورة يس .

(٨) قيل : إنه على هذا يكون تقدير الجواب للإعراب كما سبق فى بيت النابغة فيكون من

المساواة مثله ، وأجيب بأن جواب الشرط فى البيت سابق عليه فأغتنى عنه عرقاً ، حتى إن الكوفيين يرون فى مثله أن الجواب هو السابق ، وجواب الشرط فى الآية بخلاف ذلك .

كانوا عنها معرضين ﴿ وكقوله تعالى^(١) : ﴿ ولو أن قرآنًا سُرِّتَ به الجبالُ أو قُطِّعتْ به الأرضُ أو كُلِّمَ به الموتى ﴾ أى لكان هذا القرآن ، وكقوله تعالى^(٢) : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهدٌ من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ﴾ أى أستم ظالمين ؟ بدليل قوله بعده ﴿ إنَّ الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ .

والثانى : أن يحذف للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف^(٣) أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن^(٤) فلا يتصور مطلوبًا أو مكروهًا إلا يجوز أن يكون الأمر أعظم منه ، ولو عُنِ شيء اقتصر عليه وربما خف أمره عنده^(٥) كقوله^(٦) ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا حتى إذا جاءوها وفُتحتْ أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ وقوله : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار ﴾^(٧) ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ﴾^(٨) ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ﴾^(٩) .

قال السكاكى رحمه الله^(١٠) « ولهذا المعنى حُذِفَ الصلة من قولهم : جاء بعد

(١) آية ٣١ سورة الرعد . (٢) آية ١٠ سورة الأحقاف .

(٣) هذه النكتة معنوية . وهى أهم مما قبلها ، والمقام الذى يقتضيها قصد المبالغة فى أمر لكونه مرغوبًا فيه أو مرهوبًا منه .

(٤) هذا فى الحقيقة لازماً لكونه لا يحيط به الوصف ، ولهذا لم يذكر لكل منهما مثالا خاصاً به ، ولكنه عطف « باو » نظراً إلى أن مفهومهما مختلف ، فتارة يقصدهما البليغ معاً ، وتارة يخطر بباله أحدهما فقط .

(٥) قيل : إنهم يقدرونه فى ذلك بما لو صرح به لم تفد هذه النكتة ، كما سيأتى فى نحو قوله تعالى آية ٢٧ سورة الأنعام ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار ﴾ فالتقدير لرأيت أمراً عظيماً ، واجيب بأن هذا تقدير تقريبي ، والجواب الحقيقى شيء مخصوص حذف لإظهار فظاعته .

(٦) آية ٧٣ سورة الزمر ، ويقدر جواب « إذا » بعد قوله ﴿ خالدين ﴾ والتقدير : - لرأوا فيها من النعيم ما لا يحيط به الوصف .

(٧) آية ٢٧ سورة الأنعام .

(٨) آية ٣٠ سورة الأنعام .

(٩) آية ١٢ سورة السجدة . وجواب « لو » فى الآيات الثلاثة : لرأيت أمراً عظيماً أو فظيماً .

(١٠) ١٥٢ - المفتاح .

اللتيا والتي^(١) أى المشار إليه بهما ، وهى المحنة والشدائد قد بلغت شدتها وفضاعة شأنها مبلغاً يبهتُ الواصف معه حتى لا يجيب بينت شفة .

وإما غير ذلك^(٢) كقوله تعالى : ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ﴾^(٣) أى ومن أنفق من بعده وقاتل^(٤) بدليل ما بعده^(٥) .

ومن هذا الضرب قوله تعالى : ﴿ رب إني وهنَ العظمُ مني واشتعل الرأسُ شيباً ﴾^(٦) لأن أصله « يا رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس مني شيباً » وعده السكاكى من القسم الثانى من الإيجاز على ما فسر^(٧) ، ذاهباً إلى أنه وإن اشتمل على بسط فإن انقراض الشباب وإلام المشيب جديران منه ، ثم ذكر فيه لطائف يتوقف بيانها على النظر فى أصل المعنى ومرتبته الأولى ، ثم أفاد أن مرتبته الأولى « يا ربى قد شخت » فإن الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الرأس ، ثم تركت هذه المرتبة لتوحي مزيد التقرير إلى تفصيلها فى « ضعف بدنى وشاب رأسى » ثم ترك التصريح بضعف بدنى إلى الكناية بـ « وهنت عظام بدنى » لما سيأتى أن الكناية أبلغ من التصريح ، ثم لقصد مرتبة رابعة أبلغ فى التقرير بنيت الكناية على المبتدأ^(٨) فحصل « أنا وهنت عظام بدنى » ثم لقصد مرتبة خامسة أبلغ أدخلت « إن » على المبتدأ فحصل « إني وهنت عظام بدنى » ثم لطلب تقرير أن الواهن عظام بدنه قصد مرتبة سادسة ، وهى سلوك طريقى الإجمال والتفصيل ، فحصل « إني وهنت العظام من بدنى » ثم لطلب مزيد اختصاص العظام به قصدت مرتبة سابعة ، وهى ترك

(١) اللتيا تصغير التى ، ويكنى بها عن الداهية الكبيرة ، وبالتى عن الداهية الصغيرة وهو مثل أصله أن رجلاً من جدّيس تزوج امرأة قصيرة فقاسى منها شدائد ، وكان يعبر عنها بالتصغير ، ثم تزوج امرأة طويلة فقاسى منها شدائد أيضاً . فطلقها وقال : بعد اللتيا والتي لا أتزوج أبداً .

(٢) أى من أجزاء الجملة كالمسند إليه والمسند والمفعول ونحو هذا مما سبق فى أبوابه .

(٣) آية ١٠ سورة الحديد .

(٤) فالمحذوف فى ذلك الواو مع ما عطف .

(٥) هو قوله : ﴿ أولئك أعظمُ درجةً من الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا ﴾ .

(٦) آية ٤ سورة مريم .

(٧) هو الذى يكون مقامه خليفاً بأبسط مما ذكر فيه - ١٥٥ ، ١٥٦ : المفتاح .

(٨) لأن ذلك من تقديم المبتدأ على الخبر الفعلى فيفيد تقوية الحكم .

توسيط البدن ، فحصل « إني وهنت العظام منى » ثم لطلب شمول الوهن العظام فرداً فرداً قصدت مرتبة ثامنة ، وهى ترك الجمع إلى الأفراد لصحة حصول وهن المجموع بوهن البعض دون كل فرد^(١) فحصل ما ترى^(٢) وهكذا تركت الحقيقة فى « شاب رأسى » إلى الاستعارة فى « اشتعل شيب رأسى » لما سيأتى أن الاستعارة أبلغ من الحقيقة ، ثم تركت هذه المرتبة إلى تحويل الإسناد إلى الرأس وتفسيره بشيياً لأنها أبلغ من جهات :

إحداهما : إسناد الاشتمال إلى الرأس لإفادة شمول الشيب الرأس ، إذ وزانُ «اشتعل شيب رأسى ، واشتعل رأسى شيياً » وزانُ « اشتعل النار فى بيتى ، واشتعل بيتى ناراً » والفرق بين نير .

وثانيها : الإجمال والتفصيل فى طريقي التمييز .

وثالثها : تنكير ﴿ شيياً ﴾ لإفادة المبالغة ، ثم ترك « اشتعل رأسى شيياً » لتوخي مزيد التقرير إلى « اشتعل الرأس منى شيياً » على نحو : ﴿ وهن العظم منى ﴾ ثم ترك لفظ ﴿ منى ﴾ لقريته عطف ﴿ اشتعل الرأس ﴾ على ﴿ وهن العظم منى ﴾ لمزيد التقرير ، وهو إيهام حوله تأدية مفهومة على العقل دون اللفظ .

ثم قال عقب هذا الكلام :

واعلم أن الذى فتق أكمام هذه الجهات عن أزهير القبول فى القلوب هو مقدمة هاتين الجملتين ، وهى ﴿ رَبِّ ﴾ اختصرت ذلك الاختصار ، بأن حذفت كلمة النداء وهى « يا » وحذفت كلمة المضاف إليه وهى ياء المتكلم ، واقتصر من مجموع الكلمات على كلمة واحدة فحسب وهى المنادى ، والمقدمة لكلام كما لا يخفى على من له قدم صدق فى نهج البلاغة نازلة منزلة الأساس للبناء ، فكما أن البناء الحاذق لا يرى الأساس إلا بقدر ما يُقدَّر من البناء عليه ، كذلك البليغ يصنع بمبدأ كلامه ، فمتى رأيته قد اختصر المبدأ فقد أذنك باختصار ما يورد « انتهى كلامه » .

(١) يعنى أنه لو قيل « وهن العظام منى » لصح مع وهن بعضها ، لأنه يكفى فى وهن المجموع وهن بعضه ، بخلاف ﴿ وهن العظم ﴾ لأن « ال » فيه للاستغراق فلا يخرج منه فرد من الأفراد .

(٢) أى قوله تعالى : ﴿ رَبِّ إني وهن العظم منى ﴾ .

وعليه أن تتنبه لشيء ، وهو أن ما جعله سبباً للعدول عن لفظ العظام إلى لفظ العظم فيه نظر ، لأننا لا نسلم بصحة حصول وهن المجموع بوهن البعض دون كل فرد^(١) فالوجه في ذكر العظم دون سائر ما تركب منه البدن وتوحيده ما ذكره الزمخشري ، قال : إنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه ، وإذا وهن تداعى وتساقطت قوته ، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه ، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن ، ووحدته لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية^(٢) وقصده إلى أن هذا الجنس الذى هو العمود والقوام وأشد ما تركت منه الجسد قد أصابه الوهن ، ولو جمع لكان قصداً إلى معنى آخر ، وهو أنه لم يهن بعض عظامه ولكن كلها ، واعلم أن المراد بشمول الشيب الرأس أن يعم جملة ، حتى لا يبقى منه إلا ما لا يعتد به .

والثاني : « أعنى ما يكون جملة » إما مسببٌ ذكر سببه ، كقوله تعالى^(٣) ﴿ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُطْلِلَ الْبَاطِلَ ﴾ أى فَعَلَ مَا فَعَلَ^(٤) وقوله : ﴿ وما كنتَ بجانبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾^(٥) أى اخترناك ، وقوله : ﴿ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾^(٦) أى كان الكف ومنع التعذيب ، ومنه قول أبى الطيب :

أتى الزمانَ بنوه فى شبيته فسرهم وأتيناها على الهرم^(٦)

أى : فسأنا .

(١) لأنه إذا كانت « أل » فيه للاستغراق فلا فرق بين دخولها على الجمع ودخولها على المفرد ، لما سبق من أنه لا فرق بين استغراق الفرد واستغراق الجمع فى الإثبات .

(٢) بهذا يكون الحكم على حقيقة العظم وإن لزمه الحكم على أفرادها ، والحكم عليها لأجل إفادة ما ذكره الخطيب من أن قصده إلخ ، أما جمع العظام فيجعل الحكم على الأفراد من أول الأمر ، وتفوت به إفادة ذلك .

(٣) آية ٨ سورة الأنفال .

(٤) يجوز تعليق قوله : ﴿ ليحق ﴾ بيقطع من قوله قبله ﴿ يريد الله أن يحق الحق بكلمته ويقطع دابر الكافرين ﴾ فلا يكون فيه حذف .

(٥) آية ٤٦ سورة القصص .

(٦) آية ٢٥ سورة الفتح .

(٧) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، والضمير فى « بنوه » للزمان وأضافهم إليه لإقباله عليهم ، وشبيته : أوله وهو مقبل ، وهرمه : آخره وهو مدبر .

أو بالعكس^(١) كقوله تعالى^(٢) : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم ﴾ أى فامثلتم فتاب عليكم ، وقوله : ﴿ فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت ﴾^(٣) أى فضربه بها فانفجرت ، ويجوز أن يقدر « فإن ضربت بها فقد انفجرت »^(٤) .

أو غير ذلك^(٥) كقوله تعالى^(٦) : ﴿ فنعم الماهدون ﴾ على ما مر^(٧) .
والثالث^(٨) كقوله تعالى^(٩) : ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ﴾ أى فضربوه ببعضها فحيى فقلنا ﴿ كذلك يحيى الله الموتى ﴾ وقوله : ﴿ أنا أنبئكم بتأويله فأسلون ، يوسف ﴾^(١٠) أى فأرسلوني إلى يوسف لاستعبره الرؤيا ، فأرسلوه إليه فاتاه وقال له يا يوسف وقوله : ﴿ اذهب إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً ﴾^(١١) . أى فأتياهم فأبلغناهم الرسالة فكذبوها فدمرناهم ، وقوله : ﴿ فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين ﴾ أن أرسل معنا بنى إسرائيل * قال ألم نربك ﴾^(١٢) . أى فأتياهم فأبلغناهم ذلك ، فلما سمعه قال ﴿ ألم نربك ﴾ ويجوز أن يكون التقدير فأتياهم فأبلغناهم ذلك ، ثم يقدر ، فماذا قال ؟ ، فيقع قوله ﴿ ألم نربك ﴾

(١) عكسه سبب ذكر مسبيه .

(٢) آية ٥٤ سورة البقرة .

(٣) آية ٦٠ سورة البقرة .

(٤) فيكون المحذوف جزء جملة هو الشرط وأداته ، وإنما قدر « قد » فى الجواب لأجل الفاء ، ولكن يلزم على مثل هذا التقدير أن يكون الجواب ماضياً لفظاً ومعنى مع أن الشرط مستقبل فى المعنى . اللهم إلا أن يكون ذلك على معنى فقد حكمتنا بأنها انفجرت .

(٥) أى غير المسبب والسبب . (٦) آية ٤٨ سورة الذاريات .

(٧) فيكون التقدير « هم نحن أو نحن هم » وهذا على القول بأن المخصوص خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر ، بخلاف قول من يجعله مبتدأ والجملة قبله خبره ، فإن المحذوف عليه فى الآية جزء جملة .

(٨) هو ما يكون أكثر من جملة .

(٩) آية ٧٣ سورة البقرة .

(١٠) آية ٤٥ . ٤٦ سورة يوسف .

(١١) آية ٢٦ سورة الفرقان .

(١٢) آية ١٦ ، ١٧ ، ١٨ سورة الشعراء .

استثنافاً ، ونحوه قوله : ﴿ اذهب بكتابتى هذا فألقه إليهم ثم تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون ﴾ * قالت يا أيها الملائكة^(١) أى ففعل ذلك فأخذت الكتاب فقرأته ، ثم كأن سائلاً سأل قال : فماذا قالت ؟ فقيل : ﴿ قالت يا أيها الملائكة ﴾ وأما قوله تعالى^(٢) : ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالوا الحمد لله ﴾ فقال الزمخشري فى تفسيره : هذا موضع الفاء ، كما يقال « أعطيته فشكر ومنعته فصبر ، وعطفه بالواو إشعاراً بأن ما قالاه ما أحدث فيهما العلم ، كأنه قال : فعلمنا به وعلمنا وعرفنا حق النعمة فيه والفضيلة ﴾ وقالوا الحمد لله ﴾ وقال السكاكى^(٣) : يحتمل عندى أنه تعالى أخبر عما صنع بهما وعمّا قالوا ، كأنه قال : نحن فعلنا إيتاء العلم ، وهما فعلا الحمد من غير بيان ترتبه عليه اعتماداً على فهم السامع^(٤) كقولك « قم يدعوك » بدل : قم فإنه يدعوك . واعلم أن الحذف على وجهين : أحدهما : ألاّ يقام شيء مقام المحذوف كما سبق^(٥) . والثانى : أن يقام مقامه ما يدل عليه ، كقوله تعالى^(٦) : ﴿ فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلتُ به إليكم ﴾ ليس الإيلاج هو الجواب لتقدمه على توليهم ، والتقدير « فإن تولوا فلا لوم علىّ لأنى قد أبلغتكم » ، أو فلا عذر لكم عند ربكم لأننى قد أبلغتكم . وقوله : ﴿ وإن يكذبوك فقد كذبت رسلٌ من قبلك ﴾^(٧) أى فلا تحزن واصبر فإنه قد كذبت رسل من قبلك ، وقوله : ﴿ وإن يعودوا فقد مضت سنة لأولين ﴾^(٨) أى فيصيبهم مثل ما أصاب الأولين^(٩) .

وأدلة الحذف^(١٠) كثيرة : منها أن يدل العقل على الحذف والمقصود الأظهر^(١١)

(١) آية ٢٨ ، ٢٩ سورة النمل .

(٢) آية ١٥ سورة النمل .

(٣) ١٥١ : المفتاح .

(٤) على هذا لا يكون فيه حذف .

(٥) فيكفى فيه القرينة الدالة عليه ، والأمثلة السابقة كلها على هذا الوجه .

(٦) آية ٥٧ سورة هود . (٧) آية ٤ سورة فاطر .

(٨) آية ٤٨ سورة الأنفال .

(٩) أى فإنه قد قضت سنتهم ، كما صنع فى الآيتين السابقتين .

(١٠) يعنى الحذف الذى لا يقام فيه شيء مقام المحذوف ، لأنه هو الذى يحتاج إلى ذلك ،

بخلاف الحذف الذى يقام فيه شيء مقام المحذوف ، فإن ما يقام مقامه يدل عليه .

(١١) أى بحسب العرف المقرر فى استعمال الكلام .

على تعيين المحذوف ، كقوله تعالى^(١) : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ ﴾ الآية ، وقوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَاتُكُمْ ﴾ الآية^(٢) فإن العقل يدل على الحذف لما مر^(٣) والمقصود الأظهر يرشدك إلى أن التقدير : حرم عليكم تناول الميتة وحرم عليكم نكاح أمهاتكم ؛ لأن الغرض من هذه الأشياء تناولها ومن النساء نكاحهن .

ومنها أن يدل العقل على الحذف والتعيين ، كقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾^(٤) أى أمر ربك أو عذابه أو بأسه ، وقوله ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾^(٥) أى عذاب الله أو أمره .

ومنها أن يدل العقل على الحذف والعادة على التعيين^(٦) كقوله تعالى^(٧) حكاية عن امرأة العزيز : ﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾ دل العقل على الحذف لأن الإنسان إنما يلام على كسبه ، فيحتمل أن يكون التقدير : فى حبه ، لقوله^(٨) : ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ وأن يكون : فى مراودته ، لقوله : ﴿ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ وأن يكون : فى شأنه وأمره فيشملها ، والعادة دلت على تعيين المراودة لأن الحب المفرط لا يلام الإنسان عليه فى العادة لقهره صاحبه وغلبته ، وإنما يلام على المراودة الداخلة تحت كسبه التى يقدر أن يدفعها عن نفسه .

ومنها أن تدل العادة على الحذف والتعيين ، كقوله تعالى^(٩) : ﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾ مع أنهم كانوا أخبر الناس بالحرب ، فكيف يقولون بأنهم لا يعرفونها ، فلا بد من حذف قدره مجاهد رحمه الله ؛ مكان قتال ، أى إنكم تقاتلون فى موضع

(١) آية ٣ سورة المائدة .

(٢) آية ٢٣ سورة النساء .

(٣) من أن التحريم يتعلق بالأفعال لا بالذوات .

(٤) آية ٢٢ سورة الفجر . (٥) آية ٢١٠ سورة البقرة .

(٦) المراد بالعادة الأمر المقرر فى نفسه من غير نظر إلى دلالة الكلام عليه عرفاً ، كتقرر كون الحب المفرط لا يلام عليه ، وبهذا تفرق دلالة العادة على التعيين عن دلالة المقصود الأظهر عليه .

(٧) آية ٣٢ سورة يوسف .

(٨) آية ٣٠ سورة يوسف وكذلك ما بعده .

(٩) آية ١٦٧ سورة آل عمران .

لا يصلح للقتال ويخشى عليكم منه ، ويدلُّ عليه أنهم أشاروا^(١) على رسول الله ﷺ ألا يخرج من المدينة وأن الحزم البقاء فيها .

ومنها الشروع فى الفعل ، كقول المؤمن « بسم الله الرحمن الرحيم » كما إذا قلت عند الشروع فى القراءة « بسم الله » فإنه يفيد أن المراد « بسم الله أقرأ » ، وكذا عند الشروع فى القيام أو القعود أو أى فعل كان ، فإن المحذوف يقدر ما جعلت التسمية مبدأ له^(٢) .

ومنها اقتران الكلام بالفعل^(٣) فإنه يفيد تقديره ، كقولك لمن أعرس : « بالرفاء والبنين » فإنه يفيد : بالرفاء والبنين أعرست .

* * *

(١) الضمير فى هذا وفيما قبله للمنافقين المتخلفين عن غزوة أحد .
 (٢) الحق أن الشروع فى الفعل يدل على تعيين المحذوف فقط ، والذي يدل على الحذف هو أن الجار والمجرور لا بد لهما من متعلّق ، وهذا يرجع إلى العقل لا إلى الشروع فى الفعل .
 (٣) هو كالشروع فى الفعل يدل على تعيين المحذوف فقط ، والعقل هو الذى يدل على الحذف كما دل عليه فى الشروع الفعل .
 هذا وكل ما ذكره من الأدلة يدخل فى نوع القرائن الحالية ، وهناك أدلة أخرى منها القرائن اللفظية ، وهى أكثر وقوعاً من غيرها ، وقد سبقت أمثلتها فى أقسام الإيجاز بالحذف .
 وهذه أمثلة شعرية لبعض ما سبق من الإيجاز :

أرى بصرى قد خاننى بعد صحبة	وحسبك داء أن تصحَّ وتسلِّما
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها	فليس إلى حسن الثناء سبيل
الأم مدرسة إذا أعددتها	أعددت شعباً طَّاب الأعراق

القسم الثالث : الإطناب

أقسام الإطناب : الإيضاح بعد الإبهام وفروعه : وهو إما بالإيضاح بعد الإبهام ، ليرى المعنى فى صورتين مختلفتين ، أو ليتمكن فى النفس فضلَ تمكن فإن المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال والإبهام ، تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح ، فتوجه إلى ما يرد بعد ذلك ، فإذا ألقى كذلك تمكن فيها فضلَ تمكن ، وكان شعورها به أتم ، أو لتكمل اللذة بالعلم به ، فإن الشيء إذا حصل كمالُ العلم به دفعةً لم يتقدم حصولُ اللذة به أتم ، وإذا حصل الشعور به من وجه تشوقت النفس إلى العلم بالمجهول ، فيحصل لها بسبب المعلوم لذة ، وبسبب حرمانها من الباقي ألم ، ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى ، واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التى لم يتقدمها ألم ، أو لتفخيم الأمر وتعظيمه ، كقوله تعالى^(١) : ﴿ قال ربّ اشرحْ لى صدرى ﴾ ويسرّ لى أمرى ﴿ فإن قوله : ﴿ اشرحْ لى ﴾ يفيد طلب شرح لشيء ما له^(٢) وقوله ﴿ صدرى ﴾ يفيد تفسيره وبيانه^(٣) وكذلك قوله : ﴿ ويسرّ لى أمرى ﴾ والمقام مقتضى للتأكيد ، للإرسال^(٤) المؤذن بتلقى المكاره والشدائد ، وكقوله تعالى^(٥) : ﴿ وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴾ ففى إبهامه^(٦) وتفسيره تفخيم الأمر وتعظيم له .

(١) آية ٢٥ ، ٢٦ سورة طه .

(٢) لأن قوله ﴿ اشرحْ لى ﴾ فى تقدير : اشرح شيئاً لى ، ويجوز تعليق « لى » بأسرَح ، فلا يكون فيه شاهد ، وهو الظاهر .

(٣) لو لم يطنب بهذا لقال « اشرح صدرى » ، والإطناب فى الآية يفيد ما سبق من الأغراض بقطع النظر عن كونه المخاطب به الله .

(٤) أى فى قوله قبله : ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ واللام فى « الإرسال » للتعليل .

(٥) آية ٦٦ سورة الحجر .

(٦) أى إبهام الأمر ، وتفسيره بالمصدر المنسبك من « أن » واسمها وخبرها لأنه عطف بيان

أو بدل ، ولو لم يطنب لقال : « وقضينا إليه أن دابر الخ » .

ومن الإيضاح بعد الإبهام باب « نعم وبئس » علي أحد القولين^(١) إذ لو لم يقصد الإطناب لقليل : « نعم زيد وبئس عمرو »^(٢) ووجه حسنه سوى الإيضاح بعد الإبهام أمران آخران :

أحدهما : إبراز الكلام في معرض الاعتدال نظراً إلى إطنابه من وجه وإلى اختصاره من آخر ، وهو حذف المبتدأ في الجواب^(٣) .

والثاني : إبهام الجمع بين المتنافيين^(٤) .

ومنه التوشيع ، وهو أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين أحدهما معطوف علي الآخر^(٥) كما جاء في الخبر : « يشيب ابن آدم ويشيب فيه خصلتان : الحرص وطول الأمل » ، وقول الشاعر :

سقتني في ليلٍ شبيهٍ بشعرها شبيهةً خديهاً بغير رقيب
فما زلتُ في ليلين : شعري وظلمةٍ وشمسين : من خمر ووجه حبيب^(٦)
وقول البحتري :

لما مشين بذى الأراك تشابهت أعطاف قضباني به وقدود

(١) هو قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف ، ومثله قول من يجعله مبتدأ محذوف الخبر ، أما قول من يجعله مبتدأ والجملة قبله خبره فلا يكون عليه من الإيضاح بعد الإبهام ، لأن المخصوص فيه مقدم في التقدير .

(٢) الصواب « نعم الرجل وبئس الرجل » لأن فاعلهما يجب أن يكون بال أو مضافاً إلى ما فيه « آل » أو ضميراً مفسراً بتمميز .

(٣) لأنها جملة استئنافية واقعة في جواب سؤال مقدر كما سبق في الوصل والفصل .

(٤) هما الإيجاز بحذف المبتدأ والإطناب بالإيضاح بعد الإبهام ، وإنما كان ذلك إبهاماً لأنه لا تنافي بينهما في الحقيقة لعدم اتحادهما من كل وجه .

(٥) تقييد الإتيان بكونه في عجز الكلام وكونه بمثنى غير صحيح ؛ لأن التوشيع قد يأتي في أول الكلام وفي وسطه ، وقد يكون في الجمع ، وهذا والتوشيع مأخوذ من التوشيع وهي الطريقة في البُرد . فكان الشاعر أهمل البيت كله إلا آخره فأتى فيه بطريقة تعد من المحاسن ، ولهذا يعده بعضهم من أنواع البديع .

(٦) هما لعبد الله بن المعتز ، وشبيهة خديها : الخمر في إشراقها ، والرهيب هو الذي يرقبهما ليكدر صفوهما ، والشاهد في قوله : (في ليلين) وفي قوله : (وشمسين) .

فى حَلَّتَى جَبِرٍ وروض فالتقى وشيان : وَشَى رَبَّى ووشَى بُرود
وسفرن فامتلات عيون رافها ورْدان : ورد جنى وورد حدود^(١)

ذكر الخاص بعد العام : وإما بذكر الخاص بعد العام^(٢) للتنبيه على فضله حتى
كأنه ليس من جنسه تنزيلاً للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات كقوله تعالى :
﴿ من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ﴾^(٣) وقوله تعالى : ﴿ ولتكن
منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾^(٤) وقوله :
﴿ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى ﴾^(٥) .

التكرير : وإما بالتكرير ، لنكتة ، كتأكيد الإنذار فى قوله تعالى^(٦) : ﴿ كلا
سوف تعلمون ﴾ ثم كلا سوف تعلمون ﴿ وفى « ثم » دلالة على أن الإنذار الثانى
أبلغ وأشد^(٧) وكزيادة التنبيه على ما ينفى التهمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول فى قوله
تعالى^(٨) : ﴿ وقال الذى آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد . يا قوم إنما هذه .

(١) هى للوليد بن عبيد المعروف بالبحترى ، وذو الأراك موضع ، والأعطاف جمع عطف
وهو الجنب ، والقضبان : الأغصان ، والقُدود : القامات ، قوله « فى حلتى » متعلق بمحذوف
تقديره « مشين » بدليل ما قبله ، والحلة كل ثوب جديد أو الثوب عموماً ، والحبر : ضرب من
برود اليمن ، والوشى : النقش ، والرَبى : جمع ربة وهى ما ارتفع من الأرض ، ووشياها :
نبتها ، والبرود جمع برد وهو ثوب مخطط وقوله « سفرن » بمعنى أظهرن الوجوه معطوف على
مشين المحذوف فى البيت قبله ، والجنى مصدر « جنى الثمر » تناوله من شجرته ، وورد حدود
من إضافة المشبه به للمشبه ، والشاهد فى قوله (وشيان) فى البيت الثانى وفى قوله (وردان)
فى البيت الثالث .

(٢) يجب أن يكون هذا بطريق العطف ، وإلا كان من باب الإيضاح بعد الإبهام .

(٣) آية ٩٨ سورة البقرة . (٤) آية ١٠٤ سورة آل عمران .

(٥) آية ٢٣٨ سورة البقرة .

(٦) آية ٣ و ٤ سورة التكاثر .

(٧) سبق فى الوصل والفصل أن الزمخشري جعله تأسيساً لا تأكيداً ليصح عطفه على ما

قبله ، ولكن هذا لا يمنع أنه مع مغايرته له يفيد تأكيده ؛ لأنه يكفى فيه التكرير فى اللفظ ،
والتغاير بينهما ليس إلا بأن الثانى أبلغ فى الإنذار ، وقد نزل فى ذلك بعد المرتبة منزلة بعد
الزمان ، واستعملت فيه « ثم » للدلالة على التدرج فى الارتقاء .

(٨) آية ٣٨ و ٣٩ سورة غافر .

الحياة الدنيا متاع ﴿ وقد يكرر اللفظ لطول في الكلام كما في قوله تعالى ^(١) : ﴿ ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحو إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ وفي قوله تعالى ^(٢) : ﴿ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتِنُوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ وقد يكرر لتعدد المتعلق ، كما كرهه الله تعالى من ^(٣) قوله : ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ ^(٤) لأنه تعالى ذكر نعمة بعد نعمة وعقب كل نعمة بهذا القول ^(٥) ومعلوم أن الغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى ، فإن قيل : قد عقب بها القول ما ليس بنعمة ، كما في قوله : ﴿ يُرْسَلْ عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ﴾ ^(٦) وقوله : ﴿ هذه جهنم التي يُكذَّبُ بها المجرمون ، يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ ^(٧) قلنا : العذاب وجهنم وإن لم يكونا من آلاء الله تعالى فإن ذكرهما ووصفهما على طريق الزجر عن المعاصي والترغيب في الطاعات من آلائه تعالى ^(٨) . ونحوه قوله : ﴿ ويلٌ يومئذ للمكذبين ﴾ ^(٩) لأنه تعالى ذكر قصصاً مختلفة وأتبع كل قصة بهذا القول ، فصار كأنه قال عقب كل قصة : ويل يومئذ للمكذبين بهذه القصة .

(والإيغال) : وإنما الإيغال ، واختُلف في معناه ، ف قيل : هو ختم البيت بما بيد نكتة يتم المعنى بدونها ، كزيادة المبالغة في قول الخنساء :

وإن صخرًا لتأتُم الهداةُ به كأنه علمٌ في رأسه نارٌ ^(١٠)

-
- (١) آية ١١٩ سورة النحل .
 (٢) آية ١١٠ سورة النحل .
 (٣) من : بيان لما في قوله « كما كره » لأنها اسم موصول .
 (٤) آية ١٣ سورة الرحمن .
 (٥) أى قوله : ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ . (٦) آية ٣٥ سورة الرحمن .
 (٧) آية ٤٣ ، ٤٤ سورة الرحمن .

(٨) يمكن أن يجاب أيضاً بأن الاستفهام في قوله ﴿ فبأى آلاء ﴾ ليس استفهاماً حقيقياً عن نعمة سابقة ، وإنما هو تهديد على جهة نعمة مطلقاً ، فتكون مناسبتة لما قبله من ترهيب أقوى من غيره .

(٩) آية ١٥ سورة المرسلات .

(١٠) هو لتماضر بنت عمرو المعروفة بالخنساء ، وقولها « لتأتُم » بمعنى لتقتدى ، والهداة : الذين يهدون الناس ، وإذا اقتدت الهداة به فاللهتدون بهم من باب أولى . وهذا البيت من قصيدة لها في رثاء أخيها صخر .

لم ترض أن تشبهه بالعلم الذى هو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت
فى رأسه ناراً^(١) وقول ذى الرمة :

قف العيس فى أطلال ميةَ واسأل رسوماً كأخلاق الرداء المسلسل^(٢)
أظن الذين يُجدى عليك سؤالها دموعاً كتبذير الجمان المفصل^(٣)
وكتحقيق التشبيه^(٤) فى قول امرئ القيس :

كان عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب^(٥)
فإنه لما أتى على التشبيه قبل ذكر القافية واحتاج إليها جاء بزيادة حسنة فى قوله
« لم يثقب » لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون . ومثله قول زهير :
كان فتات العهن فى كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم^(٦)
فإن حب الفنا أحمر الظاهر أبيض الباطن ، فهو لا يشبه الصوف الأحمر إلا ما
لم يحطم . وكذا قول امرئ القيس :

(١) فقولها « فى رأسه نار » محل الشاهد ، لأن قوله « كأنه علم » واف بالمقصود ومـ
تمثيل المعقول بالمحسوس ، فزيد عليه ذلك لزيادة المبالغة فى التشبيه .

(٢) هو لعيلان بن عقبة المعروف بذى الرمة ، والعيس : الإبل يخالط بياضها سواد خفيف
جمع أعيس ، والأطلال : جمع طلل وهو الشاخص من الآثار بخلاف الرسوم ، والأخلاق :
جمع خلق وهو البالى ، والمسلسل : الزدىء النسج .

(٣) قوله « يجدى » بمعنى يعطى ويفيد ، وعائد الموصول محذوف والتقدير : يجديه ،
والتبذير : التفريق ، والجمان المفصل : اللؤلؤ المنظم . يعنى أنها لا تحيب سؤاله ، فيكفى لأنه لم
يعلم مكان محبوبته ، وزيادة المبالغة بالوصفين (المسلسل والمفصل) .

(٤) المراد به إثبات التساوى بين الطرفين ، وبهذا يختلف عن زيادة المبالغة فى بيت
الخنساء ؛ لأن الغرض منها بيان علو المشبه به فى وجه الشبه ليعلو المشبه الملحق به .

(٥) هو لحنديج بن حُجر المعروف بامرئ القيس ، والمراد بالوحش الظباء وبقر الوحش
التي يصيدونها ويرمون عيونها حول خبائهم ، والخباء ما كان من وبر أو صوف لا شعر وقام على
على عمودين أو ثلاثة ، وما فوق هذا يقال له بيت ، والأرحل : جمع رحل وهو المنزل
والماوى . والجزع : خرز فيه سواد وياض على شكل دوائر .

(٦) سبق هذا البيت فى ص ١٠٢ من هذا الجزء .

حملتُ رُدِينِيَا كَأَن سَنَانِه سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَصَل بِدُخَانٍ^(١)

كما سيأتى^(٢) .

وقيل : لا يختص بالنظم ، ومثل بقوله تعالى^(٣) ﴿ اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ﴾ .

(التذييل) : وإما بالتذييل وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها^(٤) للتوكيد^(٥) وهو ضربان :

ضرب لا يخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بإفادة المراد وتوقفه على ما قبله ، كقوله تعالى : ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نُجَارَى إِلَّا الكفور ﴾^(٦) إن قلنا : إن المعنى وهل نُجَارَى ذلك الجزاء^(٧) وقال الزمخشري : وفيه وجه آخر وهو أن الجزاء عام لكل مكافأة ، ويستعمل تارة فى معنى العقابة ، وأخرى فى معنى الإثابة ، فلما استعمل فى معنى العقابة فى قوله : ﴿ جزيناهم بما كفروا ﴾ بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل : ﴿ وهل نُجَارَى إِلَّا الكفور ﴾ بمعنى وهل نعاقب^(٨) ، فعلى هذا يكون من 'ضرب الثانى'^(٩) .

(١) هو لُخْدَج بن حُجْر المعروف بامرئ القيس ، والردينى : رُمح منسوب إلى رُدِينَة وهى امرأة كانت تقوِّم الرماح ، وسنا اللهب : ضوءه ، والشاهد فى قوله « لم يتصل بدخان » .

(٢) فى التشبيه من علم البيان .

(٣) آية ٢١ سورة يس فقوله ﴿ وهم مهتدون ﴾ إيغال لأنه يتم المعنى بدونه لاهتداء بالرسل قطعاً ، والغرض منه زيادة الحث على اتباعهم .

(٤) المراد باشمالها على معناها افادتها بفحواها لما هو مقصود من الأولى لا دلالتها عليه بالمطابقة ، إن هذا هو التكرير السابق ، ويشترط فى الجملة الثانية ألا يكون لها محل من الإعراب ، وقيل : إن هذا غير شرط ، والفرق بين التذييل والإيغال : أن التذييل لا يكون إلا بجملة ويقصد منه التوكيد خاصة ، بخلاف الإيغال .

(٥) المراد بالتوكيد هنا معناه اللغوى وهو التقوية ، أما التوكيد فى التكرير السابق فهو بمعناه الاصطلاحي . (٦) آية ١٧ سورة سبأ .

(٧) أى السابق وهو جزاء الاستئصال لوروده فى أهل سبأ الذين استؤصلوا بالعقوبة ، فهو جزاء خاص بخلافه على ما سينقله عن الزمخشري .

(٨) فالجزء بمعنى العقاب عام هنا بخلافه على الوجه الأول .

(٩) لاستقلاله عما قبله . وقيل : إنه على هذا من الضرب الأول أيضاً .

وقول الحماسى :

فدعوا : نزال ، فكنت أول نازل وعلى م أركبـه إذا لم أنزل^(١)

وقول أبى الطيب :

وما حاجة الأظعان حولك فى الدجى إلى قمر ما واجد لك عادمه^(٢)

وقوله أيضاً :

تمسنى الأمانى صـرعى دون مبلغه فما يقول لشيء : ليت ذلك لى^(٣)

وقول ابن نباة السعدى :

لم يبق جودك لى شيئاً أومله تركتنى أصحاب الدنيا بلا أمل^(٤)

قيل : نظر فيه إلى قول أبى الطيب ، وقد أربى عليه فى المدح والأدب مع الممدوح حيث لم يجعله فى حيز من تمنى شيئاً^(٥) .

(١) هو لريعة بن مقروم الضبى ، وقوله « نزال » اسم فعل أمر بمعنى أنزل ، والمراد النزول إلى الحرب ، والتذييل بقوله : « وعلى م الخ » .

(٢) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، و « ما » نافية ، والأظعان جمع ظعينة وهى المرأة فى اليهودج ، والدجى جمع دجية وهى الظلمة ، وعادمة فاقده ، والمعنى أنهم لا يحتجن فى الدجى إلى قمر مع وجودها لأنها تقوم مقامه ، والتذييل بقول : « ما واجد لك عادمه » و « ما » فيه مصدرية ظرفية ، وواجد خبر مقدم ، وعادمه مبتدأ مؤخر .

(٣) الأمانى جمع أمنية وهى ما يتمنى ويطلب ، وصرعى جمع صريع من « صرعه » بمعنى طرحه على الأرض ، وقوله « دون مبلغه » بمعنى دون بلوغها له يعنى أن ممدوحه سيف الدولة لا يحتاج أن يتمنى شيئاً لأنه لا ينقصه شيء . والتذييل بقوله (فما يقول) الخ .

(٤) هو لعبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباة التميمى السعدى . وهذا هو نسبه فى « وفيات الأعيان » وفى « اليتيمة » أنه عبد العزيز بن محمد بن نباة ، ووفيات الأعيان أدق فى باب النسب ، وقوله « أصحاب الدنيا » بمعنى أعيش فيها ، أو هى استعارة بالكناية بتشبيه الدنيا برجل يصاحب .

(٥) فهو لم يجعل لممدوحه أمانى ، أما أبو الطيب فقد جعل لممدوحه أمانى وإن جعلها غير متعذرة عليه ، ويجوز أن تكون الأمانى فى بيته بمعناها المصدرى وأن يكون قوله « دون مبلغه » بمعنى دون بلوغها له ، فلا يكون ممدوحه أيضاً فى حيز من تمنى شيئاً .

وضربٌ يخرجُ مخرجَ المثل ، كقوله تعالى : ﴿وقل جاء الحقُّ وزهقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كانَ زهوقاً﴾^(١) وقول النبياني :

ولستَ بمُستَبقٍ أخاً لا تُلَمُّهُ . على شَعَثِ أيُّ الرجالِ المهذبِ^(٢)
وقول الحُطَيْيَّة :
تزور فتى يعطى على الحمد مالهُ ومن يعطى أثمان المكارم يحمد^(٣)

وقد اجتمع الضربان في قوله تعالى^(٤) : ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلدَ أفإن متَّ فهمُ الخالدون * كل نفس ذائقة الموت﴾ فإن قوله : ﴿أفإن متَّ فهمُ الخالدون﴾ من الأول ، وما بعده^(٥) من الثاني ، وكل منهما تذييل على ما قبله .
وهو أيضاً إما لتأكيد منطوق كلام^(٦) كقوله تعالى : ﴿وقل جاء الحقُّ والآية﴾^(٧) .
وإما لتأكيد مفهومه^(٨) كيبت النابغة^(٩) ؛ فإن صدره دل بمفهومه على نفى الكامل من الرجال ، فحقق ذلك وقرره بعجزه .

(١) آية ٨١ سورة الإسراء .

(٢) هو لزيادة بن عمرو المعروف بالنابغة النبياني يخاطب النعمان بن المنذر ، وقوله « لا تلمه » بمعنى لا تصمه . والشعث : في انتشار شعر الرأس وتغيره فتكثر أوساخه ، والمراد به هنا العيب على سبيل الاستعارة ، والشاهد في قوله « أي الرجال المهذب » وهو استفهام إنكارى .
(٣) هو لجرول بن أوس المعروف بالحطية ، وضمير « تزور » لناقته ، في قوله قبله :
فما رالت العوجاء تجرى ضفورها إليك ابن شماس تروح وتغتدى
ويريد بالحمد الثناء عليه ، وبالمكارم المحامد من الشعراء له ، وهو من قصيدة له في مدح بغض بن عامر بن شماس ، ومطلعها :

آثرتُ أدلاجى على ليل حرةٍ مَضِيم الحشا حُسَانَةَ المتجرّد

(٤) آية ٣٤ ، ٣٥ سورة الأنبياء . (٥) هو ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ .

(٦) المراد بالمنطوق المعنى الذى نطق بلفظه ، بأن تشترك ألفاظ الجملتين مع اختلاف النسبة فيهما حتى لا يكون من التكرير السابق . (٧) آية ٨١ سورة الإسراء .

(٨) المراد بالمفهوم المعنى الذى لم يُنطق بلفظه ، وهذا اصطلاح فى المنطوق والمفهوم غير اصطلاح الأصوليين . (٩) هو قوله السابق :

ولستَ بمُستَبقٍ أخاً لا تلمه على شَعَثِ أيُّ الرجالِ المهذبِ

(التكميل) : وإما بالتكميل ويسمى الاحتراس أيضاً ، وهو أن يؤتى فى كلام يوههم خلاف المقصود بما يدفعه ، وهو ضربان :

ضرب يتوسط الكلام ، كقول طرفه :

فسقى ديارك غيرَ مفسدها صوبُ الربيع وديمةٌ تهْمى^(١)

وقول الآخر :

لو أن عزةً خاصمت شمسَ الضحى فى الحسن عند موفقٍ لقضى لها^(٢)

إذ التقدير : « عند حاكم موفق » ، فقوله « موفق » تكميل^(٣)

وقول ابن المعتز :

صَبَّنا عليها ظالمينَ سـيـاطنا فصارتُ بها أيدٍ سراعٍ وأرجل^(٤)

وضربٌ يقع فى آخر الكلام ، كقوله تعالى : ﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلةً على المؤمنين أعزَّةً على الكافرين ﴾^(٥) فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة

(١) هو لعمر بن العبد المعروف بطرفة ، والخطاب فى قوله « ديارك » لمدوحه وهو قتادة بن مسleme الحنفى ، والصوب : المطر ، والديمة : المطر المسترسل ، وقوله « تهْمى » بمعنى تسيل . والاحتراس فى قوله « غير مفسدها » لأن المطر المسترسل قد يخرب الديار ، ومن أجل هذا عيب قول الشاعر :

ألا يا اسلمى يا دارمى على البلى ولا زال منهلاً بجرائك الفطر

وقيل : إنه لا عيب فيه لأن الدعاء قرينة على إرادة ما لا يضر ، وللشاعر أن يكتفى بذلك فلا يحترس وألاً يكتفى به فيضم إليه الاحتراس .

(٢) هو لكثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة ، وقوله « لقضى لها » بمعنى حكم لها بأنها أحسن من الشمس . (٣) إذ ليس كل من يحاكم إليه موفقاً .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، والضمير فى « عليها » للخيل فى قوله قبله :

وخيل طواها السير حتى كأنها أنابيب سمر من قنأ الخط ذبل

والسياط جمع سوط وصبها عليها استعارة لضربها بها ، والاحتراس فى قوله « ظالمين » لأن ضربها يكون غالباً من تناقل فى السير فدفعه بذلك . وقوله « وأرجل » أى سريعة ، فحدث من الثانى لدلالة الأول على سبيل الاكتفاء .

(٥) آية ٥٤ سورة المائدة .

على المؤمنين لتوهم أن ذلتهم لضعفهم، فلما قيل «أعزة على الكافرين» علم أنها منهم تواضع لهم، ولذا عدى الذل بعلی^(١) لتضمينه معنى العطف ، كأنه قيل: عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع، ويجوز أن تكون التعدية بعلی لأن المعنى أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنتهم^(٢) .

ومنه قول ابن الرومی فیما كتب به إلى صديق له : « إني وليك الذي لا يزال تنقاد إليك مودته عن غير طمع ولا جزع ، وإن كنت لذي الرغبة مطلباً ، ولذي الرهبة مهرباً » .

وكذلك قول الحماسی :

رهنتُ يدي بالعجز عن شكر برّه وما فوق شكري للشكور مزيد^(٣)

وكذا قول كعب بن مسعد الغنوي :

حليمٌ إذا ما الحلمُ زين أهله مع الحلم في عين العدو مهيب^(٤)

فإنه لو اقتصر على وصفه بالحلم لأوهم أن حلمه عن عجز فلم يكن صفة مدح، فقال « إذا ما الحلم زين أهله » فأزال هذا الوهم ، وأما بقية البيت فتأكيد للاروم ما يفهم من قوله « إذا ما الحلم زين أهله » من كونه غير حليم حين لا يكون الحلم

(١) مع أنه يتعدى باللام ، فيقال « ذلَّ له » .

(٢) على هذا لا يكون في « أذلة » تضمين كما في الأول ، وإنما يكون التجوز في استعمال « على » موضع اللام ، للإشارة إلى أن لهم رفعة واستعلاء على غيرهم من المؤمنين ، وأن تذللهم تواضع منهم لا عجز .

(٣) هو من أبيات « الحماسة » ولا يعلم قائله وبعده :

ولو كان مما استطاع استطعته ولكن ما لا استطاع شديد

والرهن بمعنى الحيس . والمراد أنه حبس نفسه من إطلاق الجزء وإرادة الكل . والبر : الإحسان ، والاحتباس في قوله « وما فوق شكري الخ » لأنه دفع به ما يوهم عجزه عن شكره من أنه لم يقم بشيء منه ، فأفاد أن شكره مع هذا ليس للمبالغة في الشكر زيادة فوقه .

(٤) حليم : خبير مبتدأ تقديره هو . وقوله « إذا ما الحلم زين أهله » يريد به أنه لا يحلم إلا في موطن الحلم ، ومهيب خبر ثان ، وما قبله متعلق به . والتقدير : « مهيب مع الحلم ، في عين العدو » والبيت من قصيدة له في رثاء أخيه أبي المغوار . وفيها يقول :

فقلت ادعُ أخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبا المغوار منك قريب

زيناً لأهله ، فإنه من لا يكون حليماً حين لا يحسن الحلم لأهله يكون مهيباً في عين العدو لا محالة ، فعلم أن بقية البيت ليست تكميلاً كما زعم بعض الناس (١) .

ومنه قول الحماسي :

وما ماتَ منّا سيدٌ في فراشه ولا طُلّ منا حيث كان قتيلٌ (٢)

فإنه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل إياهم لأوهم أن ذلك لضعفهم وقتلتهم ، فأزال هذا الوهم بوصفهم بالانتصار من قاتلهم .

وكذا قول أبي الطيب :

أشد من الرياح الهُوج بطشاً وأسرع في الندى منها هبوباً (٣)

فإنه لو اقتصر على وصفه بشدة البطش لأوهم ذلك أنه عنف كله ولا لطفَ عنده ، فأزال هذا الوهم بوصفه بالسماحة ، ولم يتجاوز في ذلك كل صفة الريح التي شبهه بها ، وقوله « وأسرع في الندى منها هبوباً » ، كأنه من قول ابن عباس رضي الله عنه : كان عليه السلام أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان كان كالريح المرسكة (٤) .

(التتميم) : وإما بالتتميم ، وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصو

(١) على هذا تكون من التذليل ، ولعله يعني ببعض الناس صاحب « حسن التوسل » فقد ذكر أنه رأى أن مدحه بالحلم وحده غير كامل ، لأنه إذا لم يعرف منه إلا الحلم طمع فيه عدوه ، فقال « مع الحلم في عين العدو مهيب » .

(٢) هو للسموئل بن عدياء ، وقوله « وما مات منّا سيد في فراشه » كناية عن كونه لم يمت إلا مقتولاً في الحرب ، وقوله « طل » : بمعنى أهدر دمه ولم يقتص له ، وقد كمل حسن ما أتى به في ذلك بقوله « حيث كان » لأنه أبلغ في الشجاعة .

(٣) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبي الطيب المتنبي ، وأشد خبر مبتدأ محذوف تقديره هو أي المدوح ، والهوج : جمع هوجاء وهي الريح التي لا تستوى في هبوبها وتقلع البيوت من شدتها .

والبيت من قصيدة له في مدح علي بن محمد بن سيار ومطلعها :

ضروبُ الناس عشاقُ ضروباً فأعذرهم أشفهمُ حبيباً

(٤) على هذا يكون في البيت اقتباس ، وهو من المحسنات الآتية في علم البديع .

بفضلة تفيد نكتة^(١) كالمبالغة فى قوله تعالى : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾^(٢) أى مع حبه ، والضمير للطعام أى مع اشتهاؤه والحاجة إليه ، ونحوه : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾^(٣) وكذا : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ ﴾^(٤) وعن فضيل بن عياض : « على حب الله^(٥) فلا يكون مما نحن فيه^(٦) » .

وفى قول الشاعر :

إِنِّى عَلَى مَا تَرَيْنَ مِــــنْ كِبَرٍى أَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ تَوَكَّلَ الْكَتْفُ^(٧)

وفى قول زهير :

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاقَةِ هَرَمٍى يَلْقَى السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا^(٨)

(١) المراد بالفضلة المفعول ونحوه لا يتم أصل المعنى بدونه ؛ لأنه هذا لا بد منه فى كل أنواع الإطناب ولا يختص بالتميم ، وبهذا يكون التميم أخص من الإيغال من هذه الناحية لأنه لا يتقيد بها ، ويكون أصم منه من ناحية أنه قد يكون فى غير الآخر بخلاف الإيغال ، ويسمى التميم التمام أيضًا .

(٢) آية ٨ سورة الانسان

(٣) آية ١٧٧ سورة البقرة .

(٤) آية ٩٢ سورة آل عمران .

(٥) فيكون الضمير لله لا للطعام .

(٦) لأن معناه على هذا يدخل فى أصل المراد فلا يكون إطنابًا ، وإنما دخل فى أصل المراد لأن الإنفاق لا يمدح شرعًا إلا إذا كان لله لا لرباء ونحوه ، ولا يرد مثل هذا فى الآية الثالثة ، لأن أصل المعنى يتم عند قوله : ﴿ حَتَّى تُنْفِقُوا ﴾ .

(٧) لا يعلم قائله ، وقوله « أعرف من أين تؤكل الكتف » خبر « إن » وهو كناية عن أنه داهية ؛ لأن الكتف تؤكل من أسفلها ويشق أكلها من أعلاها ، وقوله « على ما ترين من كبر » . تميم يقصد منه المبالغة أيضًا .

(٨) هو من قصيدة له فى مدح هَرَمِ بن سنان ، والشاهد فى قوله « على علاته » والعلات جمع علة ، هى ما ينوبه من قلة ذات يد وعوز ، وعطف الندى على السماحة عطف تفسير ، ومن ينكر عطف التفسير يجعل ذلك حشواً ، وقوله « خُلُقًا » بمعنى الطبع الذى لا تكلف فيه .

بُعَيْدُ الْإِضَاحِ لِلدَّخِصِ الْمَفْتِاحِ

في علوم البلاغة

تأليف

عبد المتعال الصعيدي

الامتياز بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

الجزء الثالث في علم البيان

الطبعة الخامسة : ١٤٠٥ هـ وتمتاز بكثير من الزيادات والتنقيحات .

تنبه — قد وضعنا الإيضاح بأعلى الصفحة ، ووضعنا شرحه « بنية الإيضاح » بأسفلها

ملتمزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعها بالجاميزة ٩١٢٧٧
٤٤ ميدان الأوبرا - ت : ٩٥٠٨٦٨
المطبعة النموذجية
٦ مسكة الشاويح بالحليمة الجديدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفن الثاني علم البيان

تعريف علم البيان : وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد (١) بطرق مختلفة

(١) قيده السعد بأن يكون مدلولاً عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال ، وإنما قيده بهذا لأن اعتبار علم البيان إنما يكون بعد اعتبار علم المعاني ، فلا بد من مراعاة علم المعاني في علم البيان فإذا أنكر شخص كرم زيد مثلاً فأتى له بطريق الكناية — إن زيدا كثير الرماح — فإذا لم تأت بالتأكيد لم يعتد بهذه الكناية ، وقيل المراد جنس المعنى من غير تقييد بشيء ، لأن وظيفة علم البيان غير وظيفة علم المعاني ، فوظيفة الأول ترجع إلى البلاغة ، ووظيفة الثاني ترجع إلى الفصاحة ، وقد سبق في المقدمة أنه لا بد من اعتبار الفصاحة في البلاغة ، فإذا نظر إلى هذا كان الأمر في العليين بعكس ما ذكره السعد فهما ، والحق أن علم البيان لا ينظر في قول امرئ القيس مثلاً :

ألم تسأل الربيع القديم بعسف سفا كأي أنادى إذا أكلم أخرسا

من جهة مطابقته لمقتضى الحال أو عدمها ، وإنما ينظر إليه من جهة فساد التشبيه ، لأنه لا يقال : كنت حجراً فلم يجب فسكأنه كان حجراً وإنما الجيد في ذلك قول كثير :

فقلب لها يا عز كل مصيبة إذا وطئت يوما لها النفس ذلت
كأي أنادى صخرة حين أعرضت من الصم لو تمشى بها الصم زلت

وهذا لا يمنع مراعاة الأحوال والظروف في أبواب علم البيان ، كما أتى القدماء بتشبيهات رغب المحدثون عنها استبشاعاً لها ، كقول امرئ القيس :

في وضوح الدلالة عليه (١).

أقسام الدلالة : ودلالة اللفظ إما على ما وُضِعَ له ، أو على غيره ، والثاني إما داخل في الأول دخول السقف في مفهوم البيت أو الحيوان في مفهوم الإنسان ، أو خارج عنه خروج الحائط عن مفهوم السقف أو الضاحك عن مفهوم الإنسان ، وتسمى الأولى دلالة وضعية ، وكل واحدة من الأخيرتين دلالة عقلية وتختص الأولى بدلالة المطابقة ، والثانية بالتضمن ، والثالثة بدلالة الالتزام . وشرط الثالثة الالتزام . وهو أن يكون حصول

= وتمطو برخص غير تمشن كأنه أساريع ظبي أو مساويك أسنجل
فشبه البنان بالأسروعة وهي دودة تسكون في الرمل ، وقيل ابن المعتز :

أشرن على خوف بأعصان فضة مُقَوِّمة أثمارهم عقيق

وهذا أحب من تشبيه امرئ القيس وإن كان أشد إصابة ولكن يجب أن تقبل من هذا ما لا يمنعه الذوق ، مثل قولهم — أعطى القوس بارها — كما يقال في الإنجائزية الآن لمن يبالغ في كلامه — ينزع في القوس الطويلة — وفي الفرنسية لمن يتوسل إلى غايته بكل وسيلة — يبرى سهاماً من كل خشب .

(١) بأن يكون بعض الطرق واضح الدلالة عليه وبعضها أوضح ، وبهذا يكون الاختلاف بينها في حدود وضوح الدلالة ، لأن علم البيان يقصد منه الاحتراز عن التعقيد المعنوي فلا يطالب فيه إلا بوضوح الدلالة ، وقيل : إنه يريد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة وخفائها ، فحذف الثاني على سبيل الاكتفاء ، وقد رجح هذا بأن المطلوب في علم البيان هو خفاء الدلالة لا وضوحها ، لأنه كلما كثرت خفي الدلالة كانت منزلته أعلى ، ولا شك أن المراد بهذا الخفاء ما يكون بسبب دقة المعنى لا بسبب التعقيد ، واختلاف تلك الطرق في ذلك يكون باعتبار قرب المعنى المجازي وبعده عن المعنى الحقيقي ، وباعتبار اختلاف القرينة المنسوبة في دلالتها على المراد .

١. يُضغ اللفظ له فى الذهن ملزوماً لحصول الخارج فيه (١) ، لكلا يلزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر ، لكون نسبة الخارج إليه حينئذ كنسبة سائر المعانى الخارجية ، ولا يشترط فى هذا اللزوم أن يكون مما يثبت العقل (٢) بل يكفى أن يكون مما يثبت اعتقاد المخاطب إما لعرف عام أو لفهمه (٣) لإمكان الانتقال حينئذ من المفهوم الاصل إلى الخارجى ، وقد وقع فى كلام بعض العلماء (٤) ما يشعر بالخلاف فى اشتراط اللزوم الذهنى ، فى دلالة

= وقد خرج بذلك عن تعريف علم الياف إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى اللفظ والعبارة ، كقولك — زيد أسد . زيد ليث .

ومن الاختلاف طرق الدلالة أن يقال فى الكناية عن الجود — مهزول الفضيل . جبان الكاب كغير الرماد — وفى إرادته بطريق التشبيه — وهو كالبحر فى السخاء ، أو بحر فى السخاء . أو بحر من غير ذكر وجه الشبه — وفى إرادته بطريق الاستعارة — رأيت بحراً فى دارنا . رأيت بحراً طم بأنعامه جميع الأنام .

(١) يعنى بالخارج المعنى الخارجى وهو اللازم ، وقد يكون حصول ذلك فوراً أو بعد التأمل فى القرائن والأمارات .

(٢) هو اللزوم البين المتبر فى علم المنطق ، وإنما لم يعتبر هنا لأن اعتباره يخرج كثيراً من المعانى المجازية عن أن تكون مدلولات التزامية ، ولا يتأتى معه الاختلاف فى وضوح الدلالة ، لأنه لا يمكن فيه انفكاك تعقل اللازم عن تعقل الملزوم فى الذهن أصلاً .

(٣) يعنى بغير العرف العام العرف الخاص ودلالة المقام والتأمل فى القرينة ، ومثال العرف العام لزوم الشجاعة للأسد ، ومثال الخاص لزوم عدم قبول الفجاسة لبلوغ الماء قلتين .

(٤) هو ابن الحاجب .

الالتزام وهو بعيد جداً ، وإن صح فلعل السبب فيه توهم أن المراد باللزوم الذهني اللزوم العقلي (١) ، لإمكان الفهم بدون اللزوم الذهني بهذا المعنى حينئذ كما سبق .
ثم إيراد المعنى الواحد على الوجه المذكور لا يتأتى بالدلالة الوضعية (٢) لأن السامع إن كان عالماً بوضع الالفاظ لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض ، وإلا لم يكن كل واحد منها دالاً ، وإنما يتأتى بالدلالات العقلية ، لجواز أن يكون الشيء لوازم بعضها أوضح لزوماً من بعض (٣) .

(١) هو اللزوم البين المعتبر في علم المنطق .
(٢) أى في دلالتها على معنى واحد بطرق متعددة كما في الالفاظ المترادفة ، وقد يتأتى فيها الاختلاف في الوضوح بالتمقيدات اللفظية ، ولكن هذا ليس من الاختلاف في طرق الدلالة ، واعتراض على ذلك بأنه يلزم عليه خروج التشبيه من علم البيان لأن دلالاته وضعية ، وقد أجاب بعضهم بالتمقيد خروج التشبيه من علم البيان وأنه إنما يذكر فيه من أجل بناء الاستمارة عليه ، والحق أن الإيراد المذكور يأتي في التشبيه أيضاً كما سبق ، فلا يصح إخراجها من علم البيان ، وإنما أتى فيه الإيراد المذكور لأن التشبيه في نحو — زيد كالبدر — له دالتان : إحداهما وضعية في دلالتها على تشبيه وجهه بالبدر في الاستدارة والاستنارة ، والثانية التزامية في دلالتها على أنه غاية في الحسن ، بهذه الثانية يأتي فيه الإيراد المذكور ، وقيل : إن المراد بإتيان ذلك في العقلية ما يشمل إتيانه فيها وحدها أو مع الوضعية ، لأن الدلالة الوضعية فيه إحدى الدلالات المتفاوتة .

(٣) يكون هذا باعتبار قلة الوسائط وكثرتها بين اللازم والملزوم ونحو ذلك مما يختلف به وضوح الدلالة ، وكذلك دلالة التضمن لأنها قد تدل على جزء الشيء أو جزء جزئه ، ودلالتها على الأول كدلالة الحيوان على الجسم أوضح من دلالتها على الثاني كدلالة الإنسان على الجسم .

هذا وإنما ذكر هنا مبحث الدلالة ليرتب عليه بيان أبواب علم البيان ، ولأن علم =

أبواب علم البيان : ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له إن قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع له فهو مجاز ، وإلا فهو كناية ، ثم المجاز منه الاستعارة ، وهي ما تبتقى على التشبيه ، فيتمين التعرض له (١) .

فالمحصر المقصود في التشبيه والمجاز والكناية ، وقدم التشبيه على المجاز لما ذكرنا من ابتناء الاستعارة التي هي مجاز على التشبيه ، وقدم المجاز على الكناية لتزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل (٢) .

القول في التشبيه

تعريف التشبيه : التشبيه الدلالة على مشاركة أمر لآخر في

= البيان ترجع مباحثه إلى دلالة اللفظ ، أما علم المعاني فتراجع مباحثه إلى نظم الكلام وأسلوبه .

(١) هذا ظاهر في أن التشبيه لا يدخل في البيان إلا تبعاً للاستعارة ، وقد سبق بيان الحق في ذلك ، على أن ابن الأثير قد ذكر أن الجمهور على أن التشبيه مجاز ، لأن المتشابهين كما ذكر ابن رشيقي إنما يتشابهان بالمقاربة وعلى الساحة ، وقد نازعه بعضهم في صحة هذا النقل عن الجمهور .

(٢) إنما لم يكن جزءاً حقيقة لأن الكناية ليس معناها مجموع اللازم والملازم ، وإنما هو اللازم مع جواز إرادة الملازم كما سيأتي .

هذا وقد ذكر السعد أن الأولي أن يعرف البيان بأنه علم يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية ثم يشتغل بتفصيل هذه المباحث ، فلا يكون هناك حاجة إلى تفصيل الكلام في الدلالة وما ترتب عليه ، وفي نفس شيء من هذا التعريف ، ويجب أن يعلم أن هذه الأبواب كانت تمتد قديماً من البديع ، وكان يجري عليها حكم أبوابه ، فلا يصح أن يزدحم الكلام بها ، لأنها لا تعطل لذاتها كما سبق ، وإنما تحسن عند اقتضاء المقام لها .

معنى (١)، والمراد بالتشبيه ههنا (٢) ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ولا الاستعارة بالكنية ولا التجريد (٣) فدخل فيه ما يسمى تشبيهاً بلا خلاف، وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه، كقولنا - زيد كالأسد، أو كالأسد - بحذف زيد لقيام قرينة، وما يسمى تشبيهاً على المجاز كما سيأتى (٤) وهو ما حذف فيه أداة التشبيه وكان اسم المشبه به خبراً للمشبه أو في حكم الخبر (٥) كقولنا - زيد أسد - وكقوله تعالى (٦) «صم بكم عمى» أى هم، ونحوه قول من يخاطب الحجاج :

أسد عليّ وفي الحروب نعمة فتخاء تنفر من صغير الصافر (٧)
وكقولنا - رأيت زيدا بجراً

(١) يرد على هذا أنه يشمل نحو : قاتل زيد عمراً، وجاءني زيد وعمراً فالأحسن أن يقال في معناه لغة : إنه مصدر - شبهته بكذا - إذا جمعت بينهما بوصف جامع، وهذا لا يرد عليه ذلك لأن الجمع فيه بصيغة المشاركة وواو العطف لا بذلك الوصف الجامع . (٢) يعنى التشبيه الاصطلاحي

(٣) فهو في الاصطلاح الدلالة على مشاركة أمر لا مرفى معنى بالكاف ونحوها، لا على وجه الاستعارة التحقيقية والاستعارة بالكنية والتجريد، وإنما لم يذكر الاستعارة التخيلية مع الثلاثة لأنها عنده في الإثبات كما سيأتى، فهي خارجة عن جنس التعريف، وخروج التجريد من التشبيه إذا لم يكن على وجه ينبىء عن التشبيه كقولك - لى من فلان صديق حميم - فإذا كانت على وجه ينبىء عنه فالأقرب جعله منه، كقولك - لئن سألت فلانا لتسألن به البحر .

(٤) في تعريف الاستعارة .

(٥) كالحال ونحوه، كقولك - رأيت زيدا بجراً .

(٦) آية - ١٨ - سورة البقرة .

(٧) نسب في الأغاني لعمران بن هبطان، ونسب في حماسة البحتري لأسمامة بن =

تأثير التشبيه : وإذ قد عرفت معنى التشبيه في الاصطلاح ، فاعلم أنه مما اتفق
المقلام على شرف قدره وفخامة أمره في فن البلاغة ، وأن تعقيب المعاني به لاسيما
قسم التمثيل منه يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحا كانت أو ذمّا
أو افتخاراً أو غير ذلك ، وإن أردت تحقيق هذا فانظر إلى قول البحترى :

دانت على أيدي العفاة وشاسع عن كل ندى في الندى وضريب^(١)
كالبدر أنرط في العلو وضوءه للمصبة السارين جدّ قريب^(٢)
أو قول ابن لشككك :

إذا أخو الحسن أضحى فعله سمجاً رأيت صورته من أقباح العُشور^(٣)
وهبه كالشمس في حسن ألم ترنا نقر منها إذا مالت إلى الضّرر^(٤)
أو قول ابن الرومي :

بذل الوعد للأخلاء سمجاً وأبى بفسد ذاك بذل العطاء

= مفيان البجلي ، وفيه - ربداء - بدل فتخاء .

(١) العفاة جمع عاف وهو طالب الفضل أو الرزق ، والند للثيل والنظير ، وعطف
ضريب عليه عطف تفسير .

(٢) السارون السائرون ليلاً ، وقوله - جد قريب - صفة لمخدوف أي قريب ،
جد قريب بمعنى بالغ الغاية في القرب ، وهو مصدر جدّ أي اجتهد وبالغ في أمره ،
شبه هيئة رفعة المدوح مع قرب نغمه للسائلين بهيئة ارتفاع البدر مع قرب ضوئه
والارتفاع به ، والجامع الهيئة الحاصلة من بعد المنال مع قرب النوال .
(٣) السميع القبيح .

(٤) قوله - هبه - بمعنى أحسبه وأعدده ينصب مفعولين ولم يأت منه إلا الأمر ،
وروي - وهبك - : شبه حال من حسنت صورته وقبح فعله فسكره الناس بحال الشمس =

فقدنا كالحلاف يُورقُ العيبَ ن وبأبي الإيمار كل الإباء (١)

أو قول أبي تمام :

وإذا أراد الله نشرَ فضيلة مطويتُ أتاح الله لها لسان حسود (٢)
لولا اشتعالُ النار فيما جاورتُ ما كان يعرفُ طيبُ عرفِ العود (٣)

وقوله أيضاً :

وطولُ مقامِ المرءِ في الحيِّ مُخلقٌ لديباجتيه فاعترِبْ يتجدد (٤)
فإني رأيتُ الشمسَ زِيدَتْ محبةً إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد (٥)
وقس حالك وأنت في البيت الأول ولم تنته إلى الثاني طي حالك وأنت قد انتهيت

= نفر منها إذا اشتد حرها ، والجامع أن كلاً يكره لأذاه وإن حسن منظره ، وابن
لنسكك هو محمد بن محمد بن لنسكك .

(١) الحلاف صنف من الصنفاص وليس به ، سمي خلافاً لأن السيل يأتي به سبيحاً
فيلبت من خلاف أصله ، شبه حال من وعد شخصاً بقضاء حاجة ثم أخلف بحال الحلاف
في ذلك ، والجامع ما في كل من اليأس بعد الطمع .

(٢) قوله — طويت — بمعنى أخفيت ، وقوله — أتاح — بمعنى هيا .

(٣) العرف الرائحة ، والعود ضرب من الطيب يتبخر به ، والمراد تشبيه هبة
الفضيلة منع الحسود بهيمة العود مع النار طي سبيل التذلل ، والجامع ما في كل من ترتب
النفع طي محاولة الضرر .

(٤) المخلوق : الملبى ، والديباجة الوجه والمراد بديباجتيه صفحته ، ولهذا أعاد الضمير
عليهما في — يتجدد — مفرداً . وفي رواية — تتجدد — بالثاء .

(٥) السرمد : الدائم ، والمراد تشبيه هبة المرء في اكتسابه المحبة بالاغتراب بهيمة
الشمس في اكتسابها المحبة بطلوعها وغروبها .

إليه ووقعت عليه ، تعلم بُعد ما بين حالتك في تمسكك المعنى لديك ، وكذا تمهيد الفرق بين أن تقول — الدنيا لا تدوم — وكسكت وأنت تذكر عقيبة ما رؤى عن النبي ﷺ أنه قال : « من في الدنيا ضيف ، وما في يده عارية ، والضيف مرتحل والعارية مؤداة » . أو تشدد قول لبيد :

وما المالُ والأهلون إلا ودائعُ ولا بُدَّ يوماً أن تردَّ الودائع^(١)
وبين أن تقول — أرى قوماً لهم منظر ، وليس لهم خبر — وتقطع الكلام ، وأن تتبعه نحو قول ابن لُكك :

في شجر السرور منهم مثلٌ له رِواءٌ وما له ثمر^(٢)
وانظر في جميع ذلك إلى المعنى في الحالة الثانية كيف يتزايد شرفه عليه في الحالة الأولى .

أسباب تأثير التشبيه : ولذلك أسباب : منها ما يحصل للنفس من الانس باخراجها من خفي إلى جلي . كالانتقال مما يحصل لها بالفكرة إلى ما يعلم بالقطرة ، أو باخراجها مما لم تألفه إلى ما ألفته . كما قيل :

ما الحب إلا للحبيب الأول^(٣)

أو مما تعلمه إلى ما هي به أعلم ، كالانتقال من المقول إلى الخسوس ، فإنك قد تعبر عن المعنى بعبارة تؤديه وتبالغ ، نحو أن تقول وأنت تصف اليوم بالقصر :

(١) يعنى أن ذلك ودائع الله عندنا .

(٢) الرواء المنظر الحسن ، والمراد أنهم مثله في حسن المنظر وقبح الخبر .

(٣) هو من قول أبي تمام :

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول مسنزل
تقل فؤادك ما استطعت من الهوى ما الحُبُّ إلا للحبيب الأول
يريد أن الفؤاد لا يميل إلا للحبيب الأول لإلفه له ، وهذا هو محل الشاهد ،

يوم كأقصر ما يتصور - فلا يجد السامع له من الألس ما يجده لنحو قولهم
أيام كأباهم القطار (١) وقول الشاعر :

ظلمنا عند باب أبي نعيم يوم مثل سالفه الذباب (٢)
وكذا تقول - فلان إذا هم بالشئ لم يزمل عن ذكره ، وقصر خواطره على
إمضاء عزمه فيه ، ولم يشغله عنه شئ - فلا يصادف السامع له أرنجحية ، حتى
إذا قلت :

إذا همم ألقى بين عيذه عزمه (٣)

امتلات نفسه سرورا ، وأدركته هزة لا يمكن دفعها عنه ، ومن الدليل على أن
للإحساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره أنك إذا كنت أنت وصاحب

(١) الأباهم جمع إبهام وهو الإصبع المعروف .

(٢) سالفه الذباب مقدم عنقه ، والمراد أنه مثلها في القصر ، وقد قال ثعلب :
كنا عند ابن الأعرابي فأشدد قول جرير :
ويوم كإبهام القطاة تخاليت ضحاه وطابت - بالمشى أصائله
فوجدنا من تشبيهه قصر النهار بإبهام القطاة ، فقال ابن الأعرابي : أحسن منه -
وهو الذي أخذ منه جرير - قول الآخر :

ويوم عند دار أبي نعيم قصير مثل سالفه الذباب
وقد قال الزجاج : إن هذا نهاية في الإفراط ، وخروج عن حدود التشبيه المصيب
وأشدد في ديوان المعاني لمون بن محمد بن إسحاق الموصلي :

ظلمنا في جوار أبي الجذاب يوم مثل سالفه الذباب
(٣) هو من قول سعد بن ناهب :

إذا همم ألقى بين عيذه عزمه ونكتب عن ذكر العواقب جانبا
والشاهد في تشبيهه العزم بشئ محسوس يلقي أطم العيينين بجامع العناية التامة بكل ،
لكن هذا من الاستعارة بالكناية لحذف المشبه به فيه وإثبات لازمة للمشبه به .

لك يسمى في أمر علي طرف نهر ، وأنت تريد أن تقرر له أنه لا يحصل من معيه علي طائل ، فأدخلت يدك في الماء ثم قلت له - أنظر هل حصل في كفي من الماء شيء ؟ فكَذلك أنت في أمرك - كان لذلك ضرب من التأثير في النفس وتمكين المعنى في القلب زائد علي القول المجرد .

ومنها الاستطراف كما سيأتي (١) .

ومن فضائل التشبيه أنه يأتيك من الشيء الواحد بأشياء عدة (٢) نحو أن يعطيك من الزئبد بإبرائه شبه الجواد والذكي والنجح في الأمور ، وبإصلاحه شبه البخيل والبليد والحياة في السعي ، ومن القمر الكمال عن النقصان ، كما قال أبو تمام :

لهنفي علي تلك الشواهد فيهما لو أمهلت حق لصير شمائل (٣)
لندا سكوتها حجى وصباها حلماً وتلك الأريحية نائل (٤)
ولاعقب النجم المرذُ بديمة ولما ذاك العائل جوداً وإبل (٥)

(١) في بيان الغرض من التشبيه .

(٢) هذا يدخل في سبب من أسباب تأثير التشبيه هو جمعه بين الأمور المتنافرة والمختلفة ، لأنه فيما ذكره يشبه أشياء مختلفة بشيء واحد .

(٣) اللفظ : الحسرة ، والشواهد أمارات الفضائل فيهما ، وكان يرثي ولدين لعبد الله ابن طاهر ماتا في يوم واحد ، والشبائل السجايا .

(٤) الحجى العقل ، والصبا الفتوة ، والأريحية خصلة تجمل صاحبها يرتاح إلى الأفعال الحميدة ، والنائل المطاء ، ويروى - وصباها كرمأ - ولكنه يتكرر مع قوله - نائل .

(٥) المرذ اسم فاعل من أرذ بمعنى أمطر رذاذاً وهو المطر الخفيف ، والديمة المطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق والطل المطر الضعيف ، والجود المطر الغزير ، والوايل المطر الشديد .

إن الهلال إذا رأيت بموه أيقنت أن سيصير بدراً كاملاً (١)

والنقصان عن السكال ، كقول أبي العلاء الممرى :

وإن كنت تبغى العيش فابغى توسطاً فعند التناهى يقصر المتطاول (٢)

توقّ البدر النقص وهنى أهله ويدركها النقصان وهنى كوامل (٣)

وتتفرع من حاقى كاله ونقصه فروع لطيفة ، كقول ابن بابك فى الاستاذ أبي حلي

وقد استوزره وأبا العباس الضبي شجر الدولة بعد وفاة ابن عباد :

وأعرت ثوب الملك شطر كاله والبدر فى شطر المسافة يكتمل (٤)

وقول أبي بكر الخوارزمي :

أراك إذا أنسرت خيمت عندنا مقيماً وإن أعسرت زورت للما

لما أنت إلا البدر إن قلّ ضوءه أغبّ وإن زاد الضياء أقام (٥)

(١) هذا البيت محل الشاهد ، لأنه يشبه ما كانا مبيحيران إليه بحال الهلال فيما

يصير إليه من السكال بعد النقصان .

(٢) التناهى بلوغ النهاية ، والمتطاول اسم فاعل من تطاول بمعنى تمدد .

(٣) هذا البيت محل الشاهد ، لأنه يشبه حال الشخص فى أمنه من النقص عند

التوسط فى العيش وعدم أمنه منه إذا بلغ نهايته بحال البدر فى أمنها من النقص وهى

أهله وإدراكها بعد كاله .

(٤) قوله — أعرت — بمعنى أعطيت ، والشرط النصف ، يعنى بذلك تدبيره

نصف المملكة مع أبي العباس الضبي ، والمراد تشبيه حال الملك فى كاله بذلك بحال البدر

فى كاله عند بلوغه نصف مسافته ، وقيل : المراد تشبيه حال المدوح نفسه فى كاله بتدبير

نصف المملكة ، وابن بابك هو عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك .

(٥) قوله — خيمت — بمعنى أقمت ، وأصل خيم نصب الخيمة أو أقام فيها ، =

المعنى لطيف وإن لم تساعد العبارة على ما يجب ، لأن الإغراب أن يتخلل بين وقتي الحضور وقت يخلو منه ، وإنما يصلح لأن يراد أن القمر إذا نقص نوره لم يوال الطلوع في كل ليلة ، بل يظهر في بعض الليالي دون بعض ، وليس الأمر كذلك لأنه على نقصانه يطلع كل ليلة حتى تكون السّرار .

وكذا ينظر إلى بعده وارتفاعه وقرب ضوئه وشعاعه في نحو ما مضى من بيتي البحتري^(١) وإلى ظهوره في كل مكان ، كما في قول أبي الطيب :

كالبدر من حيث التفت وجدته يهتدى إلى عينيك نوراً ثاقباً^(٢)
إلى غير ذلك^(٣) .

أركان التشبيه : ثم النظر في أركان التشبيه ، وهي أربعة : طرفاه ووجهه ، وأداته ، وفي الغرض منه . وفي تقسيمه بهذه الاعتبارات :

طرفا التشبيه : أما طرفاه فهما إما حسيّان ، كما في تشبيه الخلد بالورد والند

= وقوله — زرت لماما — بمعنى وقتاً بعد وقت ، وذلك لإظهار التعفف عند العير ، ووجه التشبه إطالة المكث عند كثرة النفع وإفلاله عند قلته .

(١) قد سبقا في ص ٧ .

(٢) الثاقب المضيء أو النافذ في كل مكان ، وقوله — كالبدر — يتعلق بالبيت قبله :

هذا الذي أبصرت منه حاضراً مثل الذي أبصرت منه غائباً

(٣) أي بما ينظر فيه إلى حالات القمر ، هذا ومن فضائل التشبيه الكشف عن المعنى للمتصود مع ما يكتب من فضيلة الإيجاز ، كقولك — زيد أسد — تريد أنه متصف بالشجاعة وشهامة النفس وقوة البطش وغير ذلك مما يحمله هذا التشبيه على إيجازه .

والفيل بالجبل في المبصرات ، والصوت الضعيف بالحمس في السموات ، والنسكة بالعنبر
في المشومات ، والريق بالخر في المذوقات ، والجلد الناعم بالحرير في المدوسات (١) .

وإما عقليان ، كما في تشبيه العلم بالحياة (٢)

وإما مختلفان والمقول هو المشبه ، كما في تشبيه المنية بالسبع (٣)

أو بالعكس ، كما في تشبيه السمطر بخلق كريم (٤)

== وقد قال ابن الأثير: إن التشبيه يجمع صفات ثلاثة : المبالغة والبيان والإيجاز .
ويجب أن يراعى في ماسبق أن التشبيه كغيره من أبواب البيان لا يمحى مع فضله إلا عند
اقتضاء المقام له ، وأنه في هذا يتأثر بحال الزمان والمكان ، ويتسع فيه المجال للتنهيد
والتجديد ، وقد كان القدماء يشبهون الحدود بالورود ، فخالفهم المحدثون وشبهوا
الورود بالحدود ، كما في قول بعضهم :

عشية حياتي بورد كأنه - حدود أضيفت بمضمن إلى بعض

(١) هذه أمثلة من الشعر لتشبيه الحسى بالحسى :

الحد ورد والصدع غالية والريق خمر والشعر كالحرير
هززن من القدود لنا رماحا خالين القلوب لها درايا
لها بشر مثل الحرير ومنطق رخم الحواشي لا هراء ولا نزر

(٢) من ذلك قول الشاعر :

تشرق أعراضهم وأوجهم كأنها في تقوسهم شيم

في تشبيه الأعراض بالشم ، أما تشبيه الوجوه بها فمن الحسى بالعقل .

(٣) من ذلك قول الشاعر :

الرأى كالليل مسود جوانبه والليل لا ينجلى إلا بإصباح

(٤) سيأتى في قول صاحب :

والمراد بالحس المدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة ، ندخل فيه
الحيا إلى (١) كما في قوله :

وكانت محسرة الشقيـ ق إذا تصوب أو تصعد
أعلام ياقوت نشر ن طي رماح من زبرجد (٢)
وقوله :

كلنا بأسطـ السيد نجو نيلوفر ند

= أهديت عطراً مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه

وقد تشبه الأرض بذلك أيضاً ، كما في قول الشاعر :

وأرض كأخلاق الكرام قطعها وقد كحل الليل السماك فأبصرها

ومن العلماء من ينكر تشبيه المحسوس بالمقول ، لأن التشبه به يجب أن يكون أظهر
من التشبه ، وقد حمل ما جاء منه على البالغة فيكون من التشبيه للقلوب الآتي ، ومن
العلماء من يستحسنه لما فيه من اللطافة والركة ، هذا وكان من الواجب أن يعنى ببيان
منزلة تلك الأقسام في التشبيه ، لأن سردها من غير بيان ذلك ليس فيه فائدة ، والمقرر
في ذلك أن التشبيه كلما كان أدخل في باب المعنويات كان أكل .

(١) هو المركب الذي توجد أجزاؤه في الخارج دون صورته المركبة ، فتكون
مادته مدركة بالحس دون صورته لعدم وجودها .

(٢) هما لابي بكر أحمد بن محمد بن الحسن الصبتي المعروف بالصبوري ، والشقيق
نبات الأحمر الزهر يسمى شقائق النعمان ، وقد أفرد له ضرورة الشعر ، وقوله - تصوب
أو تصعد - بمعنى مال إلى أسفل وإلى أعلى فد «أو» فيه بمعنى الواو ، والياقوت حجر نفيس
تختلف ألوانه والمراد هنا الأحمر ، والزبرجد حجر نفيس أشهر الأخضر وهو المراد
هنا ، والحيا إلى في ذلك هو التشبه به .

كعبايبس عسجد فضبها من زرجد^(١)
والمراد بالعقل ما عدا ذلك ، فدخل فيه الوهمي ، وهو ما ليس مدركاً بشيء
من الحواس الخمس الظاهرة مع أنه لو أدرك لم يدرك إلا بها^(٢) كما في قول امرئ القيس:
ومسنونة زرق كأنياب أغوال^(٣)
وعليه قوله^(٤) تعالى (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) وكذا ما يدرك
بالوجدان^(٥) كاللذة والألم والشبع والجوع .
وجه التشبيه : وأما وجهه فهو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان تحقيقاً أو تخيلاً ،
والمراد بالتخييل ألا يتمكن وجوده في المشبه به إلا على تأويل^(٦) كما في قول القاضي
التنوخى :

وكان النجوم بين دماها سنن لاح يهن ابتداء^(٧)

(١) هما للسنوبرى أيضاً ، والنيلوفر هو البشني ، وهو نبات ذو رائحة نبت في الماء
الراكد أصله كالجزر وساقه أملس أخضر فإذا ساوى سطح الماء أورد وأزهر وزهره
أحمر مشوب بصفرة ، والدبايبس جمع دبوس وهو عصا في رأسها كالكرة ويسمى
مقمة ، والعسجد الذهب أو جوهر كالدرا والياقوت ، والحياي هو المشبه به أيضاً .
(٢) فعدم إدراكها إنما هو لعدم وجوده ، وبهذا يمتاز عن المعنى الخالص .
(٣) هو من قوله :

أيقننى والشرقى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وقد مضى في الكلام على الإستفهام في باب الإنشاء ، والوهمي في ذلك هو المشبه به .
(٤) آية ٦٥ - سورة ٣٧ - والشاهد في الآية على أن المراد بالشياطين الجن ،
وقيل إن رؤوس الشياطين ثمر شجر منكر الصورة يسمى الأستن .
(٥) هو ما يدرك بالحواس الباطنة من المعاني الجزئية .
(٦) التأويل بمعنى التخيل وهو جملة غير المحقق محققاً ، ولم يقيد السعد ذلك
بالمشبه به بل جملة عاماً في أحد الطرفين أو كليهما .

(٧) الدجى جمع دجية وهي الظلمة ، والضمير المضاف إليه يعود إلى النجوم ، وفي
السطر الثاني قلب والأصل سنن لاحت بين ابتداء ، لأن هذا هو الموافق لوجود
النجوم بين الدجى ، والقاضى التنوخى هو علي بن محمد بن داود بن فهم .

فإن وجه الشبه فيه الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض في جوانب شيء مظلم أسود ، فهي غير موجودة في الشبه به إلا على طريق التخيل ، وذلك أنه لما كانت البدعة والخلالة وكل ما هو جهل يجعل صاحبها في حكم من يمشي في الظلمة ، فلا يهتدي إلى الطريق ولا يفصل الشيء من غيره ، فلا يأمن أن يتردى في مهواة أو يمشي على عدو قاتل أو آفة مهلكة ، شُبِّهَتْ بالظلمة ، ولزم على عكس ذلك أن يشبه السنة والهدى وكل ما هو علم بالنور ، وعابهما قوله (١) تعالى (يخرجهم من الظلمات إلى النور) وشاع ذلك حتى وصف الصنف الأول بالسواد ، كما في قول القائل — شاهدت سواد الكفر من جبين فلان — والصنف الثاني بالبياض ، كما في قول النبي ﷺ « أتيتكم بالخيفية البيضاء » وذلك لتخيل أن الدن ونحوها من الجنس الذي هو إشراق أو أبيضاض في العين ، وأن البدعة ونحوها على خلاف ذلك ، فصار تشبيه النجوم ما بين الدياجي بالدن ما بين الابتداء كتشبيه النجوم في الظلام ببياض الشيب في سواد الشباب ، وبالأنوار (٢) مؤتلفة بين النبات الشديد الخضرة ، فالتأويل فيه أنه تخيل ما ليس بمثلون متلوناً ، ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يتأول بأنه أراد معنى قولهم — إن سواد الظلام يزيد النجوم حسناً — فإنه لما كان وقوف العائل على عوار الباطل يزيد الحق نبلا في نفسه وحسناً في مرآة عقله ، جعل هذا الأصل من المقول مثالا لشاهد البصر هناك ، غير أنه لا يخرج مع هذا عن كونه على خلاف الظاهر ، لأن الظاهر أن يمثل المقول في ذلك بالحسوس (٣) كما فعل البهتري في قوله :

وقد زادها إفراط حسن جوارها خلائق أصفار من المجد خيب (٤)

(١) ي — ٢٥٧ — س ٢

(٢) جمع نور بفتح النون وهو الزهر الأبيض أو الزهر مطلقا .

(٣) المقول هو زيادة حسن الحق ، والحسوس هو زيادة حسن النجوم .

(٤) تقدير البيت وقد زادها جوارها خلائق أصفار من المجد خيب إفراط حسن ،

فإفراط مفعول ل زاد مقدم على فاعله وهو جوارها ، وخلائق مفعول لجوارها ، ومن المجد متعلق بأصفار لأنها بمعنى خالية جمع صفر .

وحسن درارى السكواكب أن ترمى طوالج في داج من الليل غيبه^(١)
ومن التشبيه التخيل قول أبي طالب الرقي :

ولقد ذكرتكَ والظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق^(٢)
فإنه لما كانت أيام السكاره توصف بالسواد توسماً ، فيقال — اسودَّ النهار في عبي
وأظلمت الدنيا على — وكلف الخزل يدعى القسوة على من لم يعشق ، والقاب
القاسى بوصف بالسواد توسماً ، تخيل يوم النوى وفؤاد من لم يعشق شيئين لهما سواد ،
وجملهما أعرف وأشهر من الظلام فشبه بهما . وكذا قول ابن بابك :

وأرض كأخلاق السكرام قطعتها وقد كحلَّ الليل السُّمَّاءَ فأبصر^(٣)
فإن الأخلاق لما كانت توصف بالسُّمة والضيق تشبيهاً لها بالأماكن الواسعة
والضيقة تخيل أخلاق السكرام شيئاً له سمعة وجُمل أصلاً فيها فشبهه الأرض الواسعة
بها وكذا قول المتنوخى :

فانهض بنارٍ إلى غُصم كأنهما في المين ظلم وإنصاف قد اتفقا^(٤)
فإنه لما كان يقال في الحق — إنه منير واضح — فيستعار له صفة الأجسام النيرة ،
وفي الظلم خلاف ذلك ، تخيلهما شيئين لهما إنارة وإظلام فشبه النار والفحم مجتمعين

(١) الدرارى جميع درى وهو السكوكب الثاقب المضيء كالدر ، والداجى المظلم ،
والغيب الشديد السواد ، والمراد تشبيه هيئة وجود خلائق لها مجد بين خلائق خالية
منه بهيئة وجود درارى السكواكب في ليل غيب ، تشبه المعقول في هذا بالمحسوس .

(٢) هو من تشبيه المحسوس بالمعقول ، وأبو طالب الرقي من شعراء اليتيمة .

(٣) السماء الأعزل والرامح نجران نجران ، وخمير أبصر يمود إليه ، يعنى أنه
فتح ، وظهر ، وفي البيت تشبيه محسوس بمعقول ، وابن بابك هو عبد الصمد
ابن منصور .

(٤) هو من قطعة له في وصف البرد . وفيه تشبيه محسوس بمعقول ، وقد سبق

التعريف بالقاضى التنوخى .

بهما مجتمعين وكذا ما كتب به صاحب إلى القاضي أبي الحسن (١) وقد أهدى له صاحب عطر القطر :

يا أيها القاضي الذي نفسى له مع قرب عهد لقائه مشتاقه
أهديت عطراً مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه

فإنه لما كان الثناء يشبهه بالعطر ويشترك فيه ، تخيله شيئاً له رائحة طيبة ، وشبهه العطر به ليوم أنه أصل في الطيب وأحق به منه . وكذا قول الآخر :

كأن انتضاء البدر من تحت غيظه نجاة من البأساء بعد وقوع (٢)

فإنه لما رأى الخلاص من شدة يشبهه بخروج البدر من تحت النجم بانحساره عنه ، قاب التشبيه ليرى أن صورة النجاة من البأساء تكونها مطلوبة فوق كل مطلوب أعرف من صورة انتضاء البدر من تحت غيظه .

وإذا علم أن وجه الشبه هو ما يشترك فيه الطرفان علم فساد جملة في قول القائل — النحو في الكلام كالملح في الطعام — كون القليل مصاحباً والكثير مفسداً ، لأن القلة والكثرة إنما يتصور جريتهما في الملح — وذلك بأن يجعل منه في الطعام القدر المصلح أو أكثر منه — دون النحو ، فإنه إذا كان من حكمه رفع الفاعل ونصب المفعول مثلاً فإن وجد ذلك في الكلام فقد حصل النحوية وانتفى الفساد عنه وصار منتفعاً به في فهم المراد منه ، وإلا لم يحصل وكان فاسداً لا ينتفع به ، فالوجه فيه هو كون الاستعمال مصاحباً والإهمال مفسداً لا اشتراكهما في ذلك .

وما يتصل بهذا ما حكى أن ابن شرف الشقيرواني أنشد ابن رشيق قوله :

غيري جنى وأنا الماغب فيكم فكأنني مبهابة المتندم (٣)

(١) يعني صاحب إسماعيل بن عباد والقاضي علي بن عبد العزيز .
(٢) نسبة ابن المعتز في البديع للملوي الأصفهاني وهو المعروف بابن طباطبا ، والانتضاء الانكشاف ، والنجاة الخلاص ، والبأساء الشدة ، وهو من تشبيه المحسوس بالمعقول أيضاً .

(٣) السبابة إصبع معروف ، يعني أن الشخص يعضها إذا ندم على شيء فاته ولا ذنب لها في ذلك ، وابن رشيق اسمه الحسن ، وابن شرف اسمه محمد .

وقال له : هل سمعت : ١.١.٩ المعنى ؟ فقال ابن رشيقي : سمعته وأخذته أنت وأفسدته ، أما الأخذ فمن النابتة اللُّبِّيَّاتِيَّ حيث يقول :

حلفت فلم أترك لنفسيك ربيّةً وهل يأمن ذو إمّةٍ وهو طامع^(١)
لكشفنخي ذنب امريء وتركته كذبي المرء يسكوى غيره وهو رافع^(٢)
وأما الإنساد فلأن سبابة للتندم أول شيء يتألم منه فلا يكون المعاقب غير الجاني ، وهذا بخلاف بيت النابتة ، فإن المسكوى من الإبل يألم وما به عر النسبّة ، وصاحب المر لا يألم جملة^(٣) .

الوجه الداخل في الطرفين والخارج عنهما : وهو إما غير خارج عن حقيقة الطرفين أو خارج ، والأول إما تمام حقيقتهم كما في تشبيه إنسان بإنسان في كونه إنساناً ، أو جزؤهما ، كما في تشبيه بعض الحيوانات بالعجم بالإنسان في كونه حيواناً ، والثاني صفة إما حقيقية أو إضافية^(٤) ، والحقيقية إما حسية ، وهي الكيفيات الجسمية بما يدرك بالبصر من الألوان والأشكال والمقادير والحركات وما يتصل بها من الحسن والقبح وغير ذلك ، أو بالسمع من الأصوات القوية والضعيفة والتي يسن بين ، أو بالذوق من أنواع الطعوم ، أو بالشم من أنواع الروائح ، أو باللمس من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والملاسة واللين والصلابة والحفة والثقل وما ينضاف إليها ، وإما عقلية كالكيفيات النفسية من الذكاء والتهذيب والمعرفة والعلم

(١) الإمة الدين أو النعمة أي ذو نعمة أسديت إليه ، وقد تضم همزته .
(٢) المر بضم العين وفتحها الجرب ، وقيل : إنه بالفتح الجرب ، وبالضم قروح مثل القوباء ، وهي التي يكوى منها لذلك لا الجرب ، وقد كان العرب يفعلون ذلك قديماً لجهلهم ثم تركوه ، وقيل : إنه مثل لا حقيقة . والرائع اسم فاعل من رتع بالسكان — إذا أقام فيه وأكل وشرب .

(٣) الحق أن هذا النقد يقوم على تعمق في التدقيق لا يحتمله مقام الأدب ، وكلام العرب يقوم كثير منه على التوسع والتجوز .

(٤) الصفة الحقيقية كل هيئة متمكنة في الذات متغيرة فيها ، والصفة الإضافية كل معنى يتعلق بشيئين بحيث يتوقف تمقله على تفعلهما .

والقدرة والكرم والسخاء والغضب والحلم وما جرى مجراها من الذرائع والأخلاق ،
والإضافية كإزالة الحجاب في تشبيه الحجة بالشمس (١) .

الوجه الواحد وغيره الحسى والعقلى : تقسيم آخر باعتبار آخر : وجه الشبه إما
واحد أو غير واحد ، والواحد إما حسى أو عقلى ، وغير الواحد إما بمنزلة الواحد
لكونه مركباً من أمرين أو أمور ، أو متعدد غير مركب ، والمركب إما حسى
أو عقلى ، والمتعدد إما حسى أو عقلى أو مختلف .

والحسى لا يكون طرفاه إلا حسيين ، لامتناع أن يدرك بالحس من غير الحسى
شئ ، والعقلى طرفاه إما عقليان أو حسيان أو مختلفان ، لجواز أن يدرك بالعقل من
الحسى شئ ، ولذلك يقال : التشبيه بالوجه العقلى أعم من التشبيه بالوجه الحسى .

قال الشيخ صاحب المفتاح (٢) : وهما هنا نكتة لا بد من التنبيه لها ، وهى أن
التحقيق في وجه الشبه يأبى أن يكون غير عقلى ، وذلك أنه متى كان حسياً — وقد
عرفت أنه يجب أن يكون موجوداً في الطرفين ، وكل موجود فله تعين — فوجه
الشبه مع الشبه متعين ، فيمتنع أن يكون هو بعينه موجوداً مع الشبه به ، لامتناع
حصول الحسوس العين ههنا مع كونه بعينه هناك بحكم الضرورة ، وبحكم التنبيه على
امتناعه إن شئت ، وهو استلزامه إذا عدت حمرة الخلد دون حمرة الورد أو بالعكس
كون الحمرة معدومة موجودة معاً ، وهكذا في أخواتها ، بل يكون (٣) مثله مع الشبه
به ، لسكن الثلثين لا يكونان شيئاً واحداً ، ووجه الشبه بين الطرفين كما عرفت واحداً ،

(١) فإزالة الحجاب أمر نسبي يتعلق بالمزيل والمزال ، والأول هو الشمس أو الحجة
والثانى هو الحجاب الحسى أو المعنوى .

ولهذا التقسيم فائدة في الفرق بين التشبيه والتثيل عند عبد القاهر ، كما سيأتى
في تقسيم التشبيه إلى تمثيل وغير تمثيل .

(٢) ١٧٩ — المفتاح — المطبعة الأدبية .

(٣) معطوف على قوله — فيمتنع أن يكون هو بعينه موجوداً مع الشبه به ،

فيأتم أن يكون أمراً كلياً مأخوذاً من التلئين بتجريدتهما عن التمين ، لكن ما هذا شأنه فهو عتلى ، ويمتبع أن يقال : فالمراد بوجه الشبه حصول التلئين فى الطرفين (١) فإن التلئين متشابهان فمهما جه تشبيهه ، فإن كان عقلياً كان المرجع فى وجه الشبه العقل فى المآل ، وإن كان حسياً استلزم أن يكون مع التلئين مثلاً آخران ، وكان الكلام فيهما كالسكلام فيما سواهما ويلزم التسلسل — هذا لفظه ، ويمكن أن يقال : المراد بكونه حسياً أن تكون أفرادة مُدركةً بالحس (٢) كالسواد ، فإن أفرادة مدركة بالبصر وإن كان هو نفسه غير مدرك به ولا ينيره من الحواس .

الواحد الحسى : الواحد الحسى كالجرة والخفاء وطيب الرائحة ولذة العلم ولين الملس فى تشبيه الخد بالورد والصوت الضعيف بالهمس والنكهة بالعنبر والريق بالخر والجلد الناعم بالحرير ، كما سبق (٣) .

الواحد العقلى : والواحد العقلى كالعراء عن الفائدة فى تشبيه وجود الشئ العديم النفع بمدمه ، وجهة الإدراك فى تشبيه العلم بالحياة — فيما طرفاه معقولان — والجراءة فى تشبيه الرجل الشجاع بالأسد ، ومطلق الاهتداء فى تشبيه أصحاب النبى ﷺ ورضى عنهم بالنجوم (٤) ، فيما طرفاه محسوسان — والهداية فى تشبيه العلم بالنور (٥) وتحصيل

-
- (١) أى من غير أن يكون هناك وجه مشترك بينهما .
 - (٢) اعترض على هذا بأنه فى الحقيقة اعتراف بأن وجه الشبه عتلى كما قال السكاكى ، وإنى أرى أن هذا البحث كله مما حكة لفظية لا يحتمل مثلها هذا العلم .
 - (٣) فيما طرفاه محسوسان ، ومن ذلك قول الشاعر :
فوجهك كالنار فى ضوئها وقلبي كالنار فى حرها
 - (٤) فى قوله ﷺ « أصحابى كالنجوم بأبهم اقتديتم اهتديتم »
 - (٥) كما قال الشاعر :

شكوت إلى وكيع منوء حفظى فأرشدنى إلى ترك المعاصى
وأخبرنى بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصى

ما بين الزيادة والنقصان في تشبيه العدل بالقسطاس — فيما المشبه فيه معقول والمشبه به محسوس — واستعطابة النفس في تشبيه العطر بخناق كريم^(١) وعدم الخفاء في تشبيه النجوم بالسفن^(٢) فيما المشبه فيه محسوس والمشبه به معقول — قال الشيخ صاحب المفتاح^(٣) : وفي أكثر هذه الأمثلة في معنى وحدتها تسامح^(٤) .

المركب الحسى : والمركب الحسى طرفاه إما مفردان ، كالهَيْئَةُ الحاصلة من الجمرة والشكل السكرى^٥ والمقدار المخصوص في قول ذى الرُّمِيَّة :
وسقط كمين الديك عاورت صاحبي أباهَا وهَيَّأْنَا لِمَوْتِهَا وَكُتِرَ^(٥)
وكالهَيْئَةُ الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار القادِر في الرأى على كيفية مخصصة إلى مقدار مخصوص في قول أحيحة بن الجلاح أو أبي قيس ابن الأسلت :

وقد لاح في الصبح الثَّريَّا كما ترى كمنقود ، لآحِيَّةٍ حين نَوَّرَ^(٦)

(١) أى في قول الشاعر فيما سبق :

أهديت عطرًا مثل طيب ثنائيه فكأنيما أهدى له أخلاقه

(٢) أى في قول الشاعر فيما سبق :

وكان النجوم بين دجاها سننٌ لاح بينهن ابتداء

(٣) ١٨٠ — المفتاح .

(٤) لأن فيه نوع تركيب إضافي ، وهذا كخفاء الصوت ولذة الطعم واستعطابة

النفس ، وأجيب عن ذلك بأن الكلام في مطلق المفرد لا في المفرد المحض .

(٥) السقط النار الساقطة من الزند ، وهي تنزل منه ووسطها أسود وحافتها حمراء

كمين الديك ، وقوله — عاورت — بمعنى ناورت ، وكان من عادتهم عند استخراج

النار أن يأتوا بعودين فيضموا أحدهما أسفل ويسموه أثى ، ثم يفرضوا فيه فرضاً

ويجروا فيه عوداً آخر يسموه أبا ، فإذا طال الزمن ولم تخرج النار تناوبوه ، والوكر

ما تودع فيه النار بعد خروجها ، وذو الرمة هو غيلان بن عقبة بن مسعود .

(٦) الملاحية غيب أبيض في حبه طول . وقوله — نور — بمعنى أدرك نضجه ،

وكاف التشبيه هي التي في قوله — كمنقود — أما الكاف قبلها فبمعنى علي ، وتقييد =

وإما مركبان ، كالهَيْئَةِ الحاصلة من هوى أجرام مشرقة مستطيلة مُناسبة المقدار
متفرقة في جوانب شيء مظلم في قول بشار :

كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبها^(١)

وكالهَيْئَةِ الحاصلة من تفرق أجرام متلاثلة مستديرة صغار المقادير في المرأى على
سطح جسم أزرق صافي الزرقة في قول أبي طالب الرّقْصِيّ :

وكانّ أجرام النجوم لوامعاً دررٌ نثرن على بساط أزرق^(٢)

وإما مختلفان ، كما في تشبيه الشاة السّجّليّ^(٣) بجمار أبتر مشقوق الشفة والحوافر نابت
على رأسه شجرتا غضا ، وكما مر في تشبيه الشقيق والنّيسلوفر^(٤).

ومن بدیع هذا النوع — أعنى المركب الحسى — ما يجيء في الهيئات التي تقع
عليها الحركة ، ويكون على وجهين : أحدهما أن يقرن بالحركة غيرها من أوصاف
الجسم كالشكل واللون ، كما في قوله :

= كل من المشبه والمشبّه به بما قيد به لا ينافي كونه مفرداً ، لأن المراد بالفرد ما ليس
هيئة منترعة من متعدد ، وأبو قيس هو صيني ابن عامر ، والآيات لقب أبيه ، وقيل:
إن البيت لقيس بن الخطيم .

(١) هو لبشار بن برد ، ومثار اسم مفعول من أثاره بمعنى هيجته ، والنقع الغبار ،
وقوله — تهاوى — بمعنى تتناقص أصله تهاوى ، والواو في قوله — وأسبيافنا —
لما واو المية أو عاطفة متضمنة معنى مع ، لأن الواو التي لخالص العطف لا تكون
في المركب ، وإنما تسكون في المتعدد .

(٢) يريد لوامعاً في السماء حتى يكون هناك زرقة في المشبه أيضاً ، وقد حذف
للملم به ، وقد سبق التعريف بأبي طالب الرقي .

(٣) هو الثور الوحشي .

(٤) أنظر ص ١٦

والشمس كالمرآة في كف الأشل (١)

من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة ، وما يحصل من الإشراق بسبب تلك الحركة من التموج والاضطراب ، حتى يرى الشعاع كأنه يهيم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ، ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذي بدا له إلى الانقباض كأنه يجتمع من الجوانب إلى الوسط ، فإن الشمس إذاً أحد الإنسان النظر إليها ليتبين جرمها ، وجدها مؤدية لهذه الهيئة ، وكذا المرأة إذا كانت في يد الأشل .

ومثله قول المهملبي الوزير :

والشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لها حاجب (٢)
كانها بوقصة أحميت يحول فيها ذهب ذائب (٣)

فإن البوقصة إذا أحميت وذاب فيها الذهب تشكل بشكلها في الاستدارة ، وأخذ يتحرك فيها بحملته تلك الحركة المعجبية ، كأنه يهيم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانبها لما في طبيعة من النعومة ، ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض لما بين أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم ، ولذلك لا يقع فيه غليان على الصفة التي تكون في الماء ونحوه مما يتخلله الهواء . وكما في قول الصنوبري :

(١) قيل : إنه من قول عبد الله بن المعتز أو أبي النجم ،

والشمس كالمرآة في كف الأشل لما رأيتها بدت فوق الجبل

وقد ورد في الخزانة - شاهد ٢٩٦ - منسوباً إلى جبار بن حزم ، والمراد بالأشل المرتعش اليد ، لأن المرأة إنما تؤدي هذه الحركة في كفها ، والشلى في الأصل ييس اليد أو ذهابها وقد يطلق على ارتعاشها ، وهو يشبه الشمس بذلك عند طلوعها .

(٢) المراد بالحاجب الصحاب لأنه يمنع الشمس من الإشراق .

(٣) البوقصة ما يذيب فيه الصائغ الذهب والفضة ، والمهلب الوزير هو الحسن بن محمد ، ينتهي نسبه إلى المهلب بن أبي صفرة .

كأنَّ في غُدْرانها حواجباً ظَلَّتْ تَمَطُّ (١)

أراد ما يبدو في صفحة الماء من أشكال كأَنصاف دوائر صغار ، ثمَّ تمتد اعداداً ينقص من انحناؤها فينقلها من التقوس إلى الاستواء ، وذلك أشبه شيء بالحواجب إذا امتدت ، لأنَّ للعاجب كما لا يخفى تقويساً ومده ينقص من تقويسه .

والوجه الثاني أن تجرد هيئة الحركة عن كل وصف غيرها للجسم ، فهناك أيضاً لا بد من اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة^(٢) له ، كأن يتحرك بمضه إلى اليمين وبمضه إلى الشمال وبمضه إلى العلو وبمضه إلى السفلى ، لحركة الرِّجْلِ والدُّوْلَاب والسَّهْم لا تركيب فيها لاتحاد الحركة ، وحركة المصحف في قول ابن المعتز :

وكانَ التبرق مصحفٌ قارٍ فانطباعاً مرّةً وانفتاحاً (٣)

فيها تركيب لأنه يتحرك في الحالتين إلى جهتين (٣) في كل حالة إلى جهة .

وكما كان التفاوت في الجهات التي تتحرك أبعاد الجسم إليها أشد كان التركيب في هيئة المتحرك أكثر ، ومن لطيف ذلك قول^(٤) الأعشى (٤) يصف السفينة في لبحر وتقاذف الأمواج بها :

تقص السفين بجانبيه كما يشزو الرياح خلاله كرم (٥)

(١) الغدران الأنهار ، وقوله — تمط — بمعنى تمد ، يصف أرضاً بأن أهارها تمب عليها الرياح فيظهر على صفحاتها أشكال كأنها حواجب لها تقوس واه داد ، والصنوبرى هو أبو بكر أحمد بن محمد السابق .

(٢) هو لبعده الله بن المعتز ، وقار مخفف قارىء قلبت^(٦) همزته ياء ثم أعل إعلال قاض ، والفاء في قوله — فانطباعاً — للتفريع ، وتحرك للمصحف في حالة الانطباق إلى جهة العلو وفي حالة الانفتاح إلى جهة السفلى ، ووجه الشبه تقارن هذه الحركات مع تسكررها .

(٣) جهة العلو في حالة الانطباق وجهة السفلى في حالة الانفتاح .

(٤) هو الأعشى الكبير ميسون بن قيس .

(٥) قوله — نقص — بمعنى ثب ، والسفين اسم جنس واحده سفينة ، وكرم

فاعل خلا ، وقيل إنه بكسر الخاء والأصل خلال السكرم ، فيكون في البيت قلب .

قال الشيخ عبد القاهر (١) : الرياح الفصيل ، والسكرع ماء السماء ، شبه السليمة في انحدارها وارتفاعها بحركات الفصيل في زوّه ، فإنه يكون له حينئذ حركات متفاوتة نصير لها أعضاؤه في جهات مختلفة ، ويكون هناك تسفل وتصلب على غير ترتيب وبحيث يدخل أحدهما في الآخر ، فلا يتبينه الطرف مرتفعاً حتى يراه متسفلاً ، وذلك أشبه شيء بحال السفينة وهيئة حركتها حين تتدافعها الأمواج . ومنه قول الآخر :

حَفَّتْ بِسُرْوِ كَالْقِيَانِ تَلَحَّفَتْ مُخْفَضُ الْحَرِيرِ عَلَى قِوَامٍ مُعْتَدِلٍ
فَسَكَتَهَا وَالرَّيْحُ جَاءَ يَمِيلُهَا تَبْنَى التَّمَانِقُ ثُمَّ يَنْمُهَا الْحُجْلُ (٢)

فإن فيه تفصيلاً دقيقاً ، وذلك أنه راعى الحركتين : حركة التهيؤ للدنو والعناق ، وحركة الرجوع إلى أصل الافتراق ، وأدى ما يسكون في الثانية من سرعة زائدة تأدية لطيفة ، لأن حركة الشجرة المتدلة في حال رجوعها إلى اعتدالها أسرع لا محالة من حركتها في حال خروجها عن مكانها من الاعتدال ، وكذلك حركة من يدركه الحجل فيرتدع أسرع من حركة من يهيم بالدنو ، لأن إزعاج الخوف أقوى أبداً من إزعاج الرجاء .

ومما مذهبه السهل الممتنع من هذا الضرب قول امرئ القيس :

مَكْرُثٌ مَفْرُثٌ مُقْبِلٌ مَسْدُورٌ مَعَا كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّاهُ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ (٣)

يقول : إن هذا الفرس لفرط ما فيه من لين الرأس وسرعة الانحراف ترى كفه في الحال التي ترى فيها لبيه ، فهو كجلمود صخر دفعه السيل من مكان عال ، فإن الحجر

(١) ٢١ — أسرار البلاغة — مطبعة الاعتقاة .

(٢) هما للأخيطال الأهوازي الملقب ببرقوفا ، وقيل إنهما لأحمد بن سليمان بن وهب .
وقيل : إنهما لابن المعتز ، والضمير في حفت لروضة يصفها ، والقِيَانُ جمع قينة وهي الجارية وهن يشبهن في اعتدال القد بالسرو ، وقد يشبه السروهن في ذلك فيكون من التشبيه القلوب ، وقوله — تلحفت — بمعنى اتخذت لحافاً ، والحجل الحياء .
(٣) السكر سريع السكر يقال — كر الفارس على العدو — بمعنى حمل واتفق ، والمفر السريع الفرّ ، وعلى : بمعنى فوق .

بطبعه يطلب جهة السفلى لأنها مركزه ، فكيف إذا أعانته قوة دفع السيل من عل ، فهو لسرعة قلبه يرى أحد وجهيه حين يرى الآخر .

وكما يقع التركيب في هيئة الحركة قد يقع في هيئة السكون ، فمن لطيف ذلك قول أبي الطيب في صفة السكب :

يقمى جلوس البدوى المصطفى (١)

إنما لطف من حيث كان لسكل عضو من السكب في إقعائه موقع خاص ، وللمجموع صورة خاصة مؤلفة من تلك المواقع .

ومنه البيت الثانى من قول الآخر في صفة مصلوب :

كأنه عاشق قد مدّ صفحته يوم الوداع إلى توديع مرتحل
أو قائم من ناس فيه لوثته مواصل لثمطيه من السكب (٢)

والتمصيل فيه أنه شبه بالتمطى إذا واصل تمطيه مع التعرض لسيبه وهو اللوثة والسكب فيه ، فنظر إلى هذه الجهات الثلاث (٣) ولو اقتصر على أنه كالمطى كان قريب التناول ، لأن هذا القدر يقع في نفس الرأى للمصلوب ابتداء لأنه من باب الجملة .
وشبه بهذا القول قول الآخر :

(١) هو من قوله :

يقمى جلوس البدوى المصطفى بأربع مجدولة لم تجدل
وقوله — يقمى — بمعنى يجاس على الشيء ، والمصطفى المستدفع ، والمجدولة المحكمة الخلق ، وقوله — لم تجدل — بمعنى لم تجمع كما يكون في غير صورة الإقعاء ، يقال — جدل الشعر — بمعنى صفره ، ووجه التشبه هو الهيئة الحاصلة من وقوع كل عضو منهما في موقع خاص .

(٢) هما للأخطل الأهوازى الملقب بـ"يرقوفا" ، والصفحة باطن السكب ، واللوثة الاسترخاء ، وهذا مثال لهيئة السكون المضاف إليها غيرها من أوصاف الجسم .
(٣) هى التمطى ، ومواصلته ، والتعرض لسيبه .

لم أر صفًا مثل صف الزُّطِّ . تسمين منهم صُلبوا في خَطِّ^(١)
 من كل عالٍ جذعُهُ بالشطِّ كأنه في جذعه المُشْتَطِّ
 أخو ناسٍ جدُّه في التعلُّي قد خامر النومُ ولم يَظْطِ^(٢)

والفرق بين هذا والأول^(١) أن الأول صريح في الاستمرار على الهيئة والاستدامة
 لها دون بلوغ الصفة غاية ما يمكن أن يكون عليها، والثاني بالعكس .
 قال الشيخ عبد القاهر^(٢) : وشبهه بالأول في الاستقصاء قول ابن الرومي
 في المصلوب أيضا :

كأن له في الجو حبلا يبوعه إذا ما انتفض حبلٌ أتيج له حبلٌ^(٣)

فقوله : إذا ما انتفض حبلٌ أتيج له حبلٌ — كقوله — مواصل لتعطيه من السكسل —
 في التنبية على استدامة الشبه ، لأنه إذا كان لا يزال يبيع حبلا لم يقبض بابه ولم يرسل
 يده ، وفي ذلك بقاء شبه المصلوب على الاتصال .

الركب العقلي : والركب العقلي كالمنظر المُطْمَع مع الشمع خبر المؤيس الذي
 هو على عكس ما قدّر في قوله^(٤) تعالى ﴿والذين كفروا أعدّ لهم كبراً كبيراً يئسبهُ﴾

(١) الأبيات لدعبل بن علي الخزاعي ، والزط طائفة من الهند صلب منهم هذا العدد
 في خط مؤلف من أشجار عالية الجذوع ، وكانوا قد خرجوا على المعتصم فشردهم ،
 ويصفون بالنّور أو بالنّجر ، فقوله — من كل عالٍ — صفة لخط ، — وقوله —
 جذعه — فاعل عالٍ ، وقوله — بالشط — صفة له ، والضمير في قوله — كأنه —
 للواحد من المصلوبين ، والمشتط الخارج في طوله عن الحد ، وقوله — خامر — بمعنى
 خالط أي خالطه النوم ، وقوله — لم يَظْطِ — بمعنى لم ينخر ويتردد نفسه صاعداً إلى حلقه
 حتى ينام منه من حوله .

(٢) يعني بهذا قول دعبل وبالأول قول الأخطال (٣) ٢١٦ — أسرار البلاغة .

(٤) هو لبي ابن العباس المعروف بابن الرومي وقوله «تبوعه» يقيسه بالباع ، وقوله

«بـ» بمعنى هي . (٥) آية ٣٩ سورة ٢٤

الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه (١) شبه ما يعمل من لا يقرن الإيمان المستبّر بالأعمال التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب في العاقبة أمه ويلقى خلاف ما قدّر بسراب يراه الكافر بالساهرة (٢) وقد غلبه غشاى يوم القيامة فيحسبه ماء ، فيأتيه فلا يجد ما رجاه ، ويجد زبانية الله عنده فيأخذونه فيعتلون (٣) إلى جهنم فيسقونه الحميم والنساق ، فهو كما ترى منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض ، وذلك أنه روعى من الكافر فعل مخصوص وهو حسابان الأعمال نافمة له ، وأن تكون للأعمال صورة مخصوصة وهي صورة الأعمال الصالحة التي وعد الله تعالى بالثواب عليها بشرط الإيمان به وبرسوله عليهم السلام ، وأنها لا تفيدهم في العاقبة شيئاً ، وأنهم ياتون فيها عكس ما أملوه وهو العذاب الأليم ، وكذا في جانب المشبه به (٤) .

وكجرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه ، كما في قوله (٥) تعالى ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ فإنه أيضاً منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض ، وذلك أنه روعى من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل ، وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً وهي الأسفار التي هي أوعية العلوم ، وأن الحمار جاهل بما فيها ، وكذا في جانب المشبه .

دقيقة في الوجه للركب : واعلم أنه قد تقع بعد أداة التشبيه أمور يُظن أن المقصود أمرٌ مُنتزعٌ من بعضها ، فيقع الخطأ لكونه أمراً منتزِعاً من جميعها ، سبحانه :

(١) الساهرة : الأرض البيضاء المستوية ، سميت بذلك لأن السراب يجري فيها ، من قولهم — عين ساهرة — جارية الماء .

(٢) يقودونه بمنف وغلظة ، وهو أن يؤخذ بتليبب الرجل فيجرى إلى حبس أو قتل .

(٣) فالجامع كون الشيء على صفة توهم نفعه وهو في الباطن غير نافع بل ضار .

(٤) آية - ٥ - سورة - ٦٢

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامةً خلفاً رأوها أقشمت وتجلت (١).

فإنه ربما يظن أن الشطر الأول منه تشبيه مستقل بنفسه لا حاجة به إلى الثاني ، على أن المقصود به ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجة إليه (٢) ولكن التأمل يظهر أن منزى الشاعر في التشبيه أن يثبت ابتداء مطمعاً متصلاً بانهاء مؤيس ، وذلك يتوقف على البيت كله . فإن قيل : هذا يقضى أن يكون بعض التشبيهات المجتمعة كة وإنما - زيد يصفو ويكدر - تشبيهاً واحداً (٣) لأن الاختصار على أحد الخبرين يبطل الغرض من الكلام ، لأن الغرض منه وصف المُنْجَب عنه بأنه يجمع بين الصفتين ، وأن إحداها لا تقوم ، قلنا : الفرق بينهما أن الغرض في البيت أن يثبت ابتداء مطمع متصل بانهاء مؤيس كما مر ، ويكون الشيء ابتداء لآخر زائد على الجمع بينهما ، وليس في قولنا - يصفو ويكدر - أكثر من الجمع بين الصفتين ، ونظير البيت قولنا - يصفو ثم يكدر لإفادة ، ثم الترتيب للمتضى ربط أحد الوصفين بالآخر ، وقد ظهر مما ذكرنا أن

(١) قبله :

لقد أطمعنى بالوصال تبسماً وبعد رجائي أعرضت وتوات
وقوله - أبرقت - بمعنى تحسنت وتعرضت لهم ، فما بعده منصوب بنزع الخافض ،
والغمامة السحابة ، وقوله - أقشمت وتجلت - بمعنى تفرقت وانكشفت ، وقد نسب
بعضهم البيت إلى كثير ، ولكنه لا يوجد في نائيته .

(٢) فيكون وجه الشبه غير مركب مع أنه مركب . وبهذا يعلم أن الغرض من
التمقيب بقوله - واعلم أنه قد تقع الخ - التنبيه على هذا الاشتباه بين الوجه المركب
وغير المركب .

(٣) أى مركباً وبهذا لا يكون هناك فرق بين التشبيهات المجتمعة أى المتعددة
والتشبيه المركب مع ظهور الفرق بينهما ، لأن التشبيه المركب وجه واحد وإن كان
متزعا من متعدد ، والمراد في المثال تشبيهه في حال رضاه بالماء الصافي ، وفي حال غضبه
بالماء الكدر ، وهذا استعارة لا تشبيه ، فهو يقصد من التشبيه في هذا ما هو أعم
من الاصطلاحى ، لأن الاستعارة كالتشبيه تكون مفردة ومركبة ومتعددة أيضاً .

التشبيهات المجتمعة تفارق التشبيه المركب في مثل ما ذكرنا بأمرين أحدهما أنه لا يجب فيها ترتيب ، والثاني أنه إذا حذف بعضها لا يتغير حال الباقي في إفادة ما كان يفيد قبل الحذف ، فإذا قلنا - زيد كالأسد بأسا والبحر جودا والسيف مضاء - لا يجب أن يكون لهذه التشبيهات نسق مخصوص ، بل لو قدم التشبيه بالبحر أو التشبيه بالسيف جاز ، ولو أسقط واحد من الثلاثة لم يتغير حال غيره في إفادة معناه (١) .

التمدد الحسى : والتمدد الحسى كاللون والطعم والرائحة في تشبيه فاكهة بأخرى .

التمدد العقلى : والتمدد العقلى كحجة النظر وكال الحذر وإخفاء الفساد في تشبيه طائر بالذئب .

التمدد المختلف : والتمدد المختلف كحسن الطلعة ونباهة الشأن في تشبيه إنسان بالشمس .

واعلم أن الطريق في اكتساب وجه الشبه أن يُميز عما عداه ، فإذا أردت أن تشبه جسما بحسم في هيئة حركة وجب أن تطلب الوفاق بين الهيئة والهيئة مجردتين عن الجسم وسائر أوصافه من اللون وغيره ، كما فعل ابن المعتز في تشبيه البرق (٢) فإنه لم ينظر إلى شيء من أوصافه سوى الهيئة التي تجدها العين من انبساط يعقبه انقباض .

أداة التشبيه : وأما أدواته فالكاف في نحو قولك - زيد كالأسد - وكان (٣)

(١) من وجوه الفرق أيضا بين التشبيه التمدد والركب أن التمدد يعطف فيه كل تشبيه على الآخر عطف المستقل على المستقل ، أما المركب فإنه في الغالب يذكر فيه أحد أجزائه على وجه التبع للآخر ، كأن يكون في صفته أو صلاته أو حالا منه أو معطوفا عليه بإفاء أو ثم ، فإذا توسطته الواو كانت للمعية أو عاطفة متضمنة لها أو للحال .

(٢) أنظر ص ٢٥ .

(٣) قد تستعمل - كأن - لإفادة الظن إذا كان خبرها مشتقا فلا تفيد التشبيه ، =

في نحو قولك - زيد كأنه أسد - ومثل في نحو قولك - زيد مثل الأسد - وما في معنى مثل كلفظة نحو وما يشتق من لفظه مثل وشبه ونحوها^(١) .
والأصل في الكاف ونحوها^(٢) أت يليها المشبه به^(٣) وقد يليها مفرد لا يتأتى التشبيه به^(٤) .

= كقولك - كأن زيداً أخوك ، وكأنه قائم - وقد تفيد التشبيه الضمني ، كافي قول الشاعر :

كأنّ دنانيراً على قسائمهم وإن كان قد شفى الوجوه لقاء
فإنه لا تكون الدنانير على قسائمهم إلا إذا كانت تشبهها .

(١) كالشقيق ، مثل المضاهاة والمقاربة والموازنة والمعادلة والمحاكاة ، ومن ذلك قول الشاعر :

وصيغ شقائق النعمان يحكي يواقيتاً نظمن على اقتران

وقول الآخر :

تشابه دمعى إذ جرى ومداق ثمن مثل ما في الكأس عيني تسكب
(٢) نحو الكاف كل ما يدخل على المفرد كلفظ مشابه ومماثل ، أما غير الكاف ونحوها وهو ما يدخل على الجملة أو يكون جملة بنفسه فالأصل فيه أن يدخل على المشبه ، كلفظ كأن مما يدخل على الجملة ، وكلفظ يشابه مما يكون جملة بنفسه ، والمشبه في نحو - زيد يشابه عمراً - هو الضمير العائد على زيد لا زيد .

(٣) إما لفظاً نحو - زيد كأسد - أو تقديراً نحو قوله تعالى (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يعملون أصابعهم في آذانهم من الصّواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين) ي - ١٩ - س - ٢ - تقديره أو كمثل ذوى صيب ، بدليل قوله بعده (يعملون) .

(٤) لكن لا بد أن يكون له اتصال بالمشبه به كالماء في الآية ، فإنه بمض ما تنزع منه هيئة المشبه به

وذلك إذا كان التشبيه به مركباً ، كقوله (١) تعالى ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح ﴾ إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحّل لتقديره (٢) بل المراد تشبيه حالها في فسادها وبهجتها وما يتبعها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارفاً ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن وأما قوله (٣) عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصاراً لله ﴾ كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله ﴿ فليس منه ، لأن المعنى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم ﴿ من أنصارى إلى الله ﴾ (٤)

وقد يذكر فعل (٥) ينبىء عن التشبيه ، كعلت في قولك — علبت زيدا أسداً — ونحوه (٦) هذا إذا قرب التشبيه ، فإن بعد أدنى تباعد قيل — خلته وحسبته ونحوها (٧)

(١) آية ٤٥ - س - ١٨

(٢) بأن يقدر كنبات ماء ، لأن المعتبر هو الهيئة الحاصلة من مضمون الكلام المذكور بعد السكاف ، فيكون تقدير ذلك تمحلاً .

(٣) ي - ١٤ - س - ٦١

(٤) فهو مما يلي التشبيه به الأداة تقديراً

(٥) يعنى فعلا غير الأفعال السابقة للوضوعة من أصلها للدلالة على التشبيه ، فأداة التشبيه هنا مقدرة والفعل إنما يدل على قرب التشبيه أو بعده ، ومن ذلك قول أبي نواس في تشبيه الحبيب :

فإذا ما اعترضته العيب — من مح حيث استدارا

خلته في جنبات الـ — ككأس واوات صفارا

أى كواوات صفيرة

(٦) من كل ما يفيد اليقين

(٧) من كل ما يفيد الظن

الفرض من التشبيه : وأما الفرض من التشبيه فيعود في الأغلب إلى المشبه ، وقد يعود إلى المشبه به .

ما يعود إلى المشبه من أغراض التشبيه : أما الأول فيرجع إلى وجوه مختلفة : منها بيان أن وجود المشبه ممكن ، وذلك في كل أمر غريب يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه ، كما في قول أبي الطيب :

فإنَّ تفق الأنام وأنت منهم فإنَّ المسك بغض دم الغزال (١)

أراد أنه فاق الأنام في الأوصاف الفاضلة إلى حد بطل معه أن يكون واحدا منهم ، بل صار نوعا آخر برأسه أشرف من الإنسان ، وهذا - أعنى أن يتناهى بعض أفراد النوع في الفضائل إلى أن يصير كأنه ليس منها - أمر غريب يفتقر من يدعيه إلى إثبات جواز وجوده على الجملة ، حتى يحمى إثبات وجوده في المدح ، فقال - فإن المسك بغض دم الغزال - أى ولا يمدُّ في الدماء لما فيه من الأوصاف الشريفة التي لا يوجد منها شيء في الدم ، وخلوه من الأوصاف التي لها كان الدم دماً ، فأبان أن لما ادعاه أصلا في الوجود على الجملة

ومنها بيان حاله ، كما في تشبيه ثوب بثوب آخر في السواد إذا علم لو كانت المشبه به دون المشبه (٢)

ومنها بيان مقدار حاله في القوة والضعف والزيادة والنقصان ، كما في قوله :

(١) الغاء في قوله - فإن المسك - للتعليل ، والجواب محذوف تقديره فلا غروا في ذلك ، والتشبيه في البيت بمعنى معنويا وضمينيا ومكنيا عنه ، لأنه ذكر في الكلام لازم التشبيه وهو وجه الشبه - فوقان الأصل - وأريد الملزوم وهو التشبيه ، ومن ذلك قول ابن الرومي :

قالوا أبو الصقر من شيطان قلت لهم كلا لعمرى ولكن منه شيطان

كم من أب قد علا بابن ذرعى شرف كما علا برسول الله عدنان

(٢) مما جاء لبيان حال المشبه قول الشاعر :

كأن سهيلا والنجوم وراءه صفوف صلاة قام فيها إمامها

مداد مثل خافية الغراب (١)

وعليه قول الآخر :

فأصبحت من ليلى الشدة كقباض على الماء خاتته فروج الأصابع (٢)

أى بلغت فى بوار سعي في الوصول إليها وأن أمتّع بها أقصى النايات، حتى لم أحظ منها بما قل ولا بما كثر .

ومنها تقرير حاله فى نفس السامع ، كما فى تشبيهه من لا يحصل من سعيه على طائل بن يرقم على الماء (٣) . وعليه قوله (٤) عز وجل ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ ﴾ فإنه يبين ما لم تجر به المادة بما جرت به المادة (٥)

(١) هو من قول الحسن بن وهب :

مداد مثل خافية الغراب وأقلام كرهفة الحداد

والخافية إحدى ريشات عشر فى مقدم الجناح يقال لها خواف ، والرهفة المدقة ، والحداد جمع حديد وهو القاطع يعنى السيوف القواطع ، وروى الحراب بدل الحداد جمع حربة وهى آلة قصيرة محدة ، وربما استعملت للرمح ، وروى لأبى تمام :
مداد مثل خافية الغراب وقرطاس كقرقاي السحاب

(٢) قيل : إنه للجنون ، والفروج جمع فرج وهو الحلل بين الشيتين ؛ وقيل : إن التشبيه فى البيت يقصد منه تقرير حال المشبه ، وروى الشطر الأخير — على الماء لا يدري بما هو قابض .

(٣) من قول الشاعر :

إذا أنا عاتبت الملول كأنما أخطأ بأفلاحي على الماء أرفقنا

(٤) د — ١٧١ — س ٧

(٥) قيل : إن هذا يفيد أنه لبيان حال المشبه أو لبيان إمكانه لا لتقرير حاله فى نفس السامع كما ذكر

وهذه الوجوه تقتضى أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتم وهو به أشهر (١) ولهذا
ضعيف قول الباحثي :

على باب قنسرين والليل لا طخ جوائبه من ظلمة بمـداد (٢)
فإنه رُبَّ مداد فاقد اللون والليل بالسواد وشده أحق وأحرى، ولهذا قال ابن الرومي :
حبر أبي حفص لعاب الليل يسيل للاخوان أيَّ سيل (٣)

(١) يريد بكونه أتم أن يكون أقوى وأكمل وبكونه أشهر أنه يكون أعرف ،
واقضاء تلك الوجوه للأعرافية ظاهر لأن الشبه به كالبيان المعروف للشبه ، فيجب أن
يكون أعرف بوجه الشبه ، لأن التعريف إنما يكون بالأوضح ، أما اقتضاؤها للاتمية
فإنما يظهر في غرض التقرير دون غيره ولا سيما بيان المقدار ، لأنه يقتضى أن يكون
المشبه به على حد مقدار المشبه لا أزيد ولا أنقص ، ومن التشبيه ما يكون المشبه
فيه أتم من المشبه به ، كقوله تعالى : (الله نور السموات والأرض مثل أنوره
كشمسها فيها مصباح) ي - ٣٥ - س - ٢٤ - لأن الفرض منه بيان الحال لا تقريره ،
ومن ذلك قول أبي تمام في أحمد بن المعتصم :

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحسن في ذكاء إياس
وقد أخذ عليه أن الأمير أكبر من أن يشبه في ذلك بالثلاثة فقال :
لا تذكروا ضربى له من مدونه مثلاً شروداً في النسيدي والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنسيدي والباس
والحق أن اقتضاء التشبيه للأعرافية لا يختص بهذه الوجوه الأربعة كما هو ظاهر من تعليله.

(٢) الجار والمجرور في أول البيت متعلق بقوله قبله :

وما بلغ النوم السامح لذة سوى أرقى في جنبها وسهادى
وقنسرين كورة مشهورة بالهام قرب حاب ، والشاهد في قوله - من ظلمة بمـداد -
إذ بين فيه المشبه به شبه والتقدير بمـداد من ظلمة .

(٣) هو لعل بن العباس المعروف بابن الرومي من قوله في مدح عمر بن حفص الوراق
وكان الأدباء يستهجدون منه حبراً .

فبالغ في وصف الجبر بالسواد حين شبهه بالليل ، فكأنه (١) نظر إلى قول السامة في الشيء الأسود هو كالتقس (٢) ثم تركه للقافية إلى المداد .

ومنها تزيينه للترغيب فيه ، كما في تشبيه وجه أسود بمقلة الظبي .

ومنها تشويهه للتنفير عنه ، كما في تشبيه وجه مجدور بسلحضة جامدة قد تقرتها الديكة ، وقد أشار إلى هذين الغرضين ابن الرومي في قوله :

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وإن تعب قلت ذا قيء الزناير (٣)

ومنها استطرافه (٤) كما في تشبيه لحم فيه حجر موقد ييجر من المسك موجه الذهب لإبرازه في صورة المتنوع عادة ، وللاستطراف وجه آخر وهو أن يكون المشبه به نادر الحضور إما مطلقاً كما مر (٥) وإما عند حضور المشبه ، كما في قوله :

ولازوردية ترهو بزرقها بين الرياض ملي محر اليواقيت

كأنها فوق قامت ضمسن بها أوائل النار في أطراف كبريت (٦)

فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها في الدهن نادرة صورة يجر من المسك موجه الذهب ، وإنما النادر حضورها عند حضور صورة البنفسج فإذا أخضر مع صفة الشبه استطرف لمشاهدة عناق بين صورتين لا تتراعى ناراها ونما يؤيد هذا ما يحكي أن جريراً قال : أنشدني هدى :

عرف الديار توها فاعتداده

جبر أبي حفص لعاب الليل كأنه ألوان دهم الحيل

يسيل للاخوان أي سيل بغير وزن وبغير كيل

والمراد بلعاب الليل ظلمته ، ودهم الحيل سوادها .

(١) الضمير للبحر ، (٢) أي الجبر .

(٣) المجاج الريق ترمي به من فك ، ومجاج النحل العسل ، والزناير تجمع زنبور وهو ذباب أليم اللسع من النحل وغيره .

(٤) أي جملة طريفا بعيداً جداً ويجوز أن يكون بالظاء أي جملة طريفا تخيلاً .

(٥) في تشبيه لحم فيه حجر موقد ييجر من المسك موجه الذهب فهو مستطرف من ناحية امتناعه في الخارج ومن ناحية ندرة حضوره في الدهن .

(٦) هما لعبد الله بن المعتز وقيل لنيره واللازوردية البنفسج وهي نسبة تشبيهية إلى حجر يسمى اللازورد ، والمراد تشبيه أزهارها ، وقوله — ترهو — بمعنى تتكبر ، وقوله =

فلما بلغ إلى قوله :

ترجى أغن كأن إبرة روقه

رحمته وقلت : قد وقع ، ما عساه يقول وهو أعرابي جالس جاف ؟ فلما قال :

قلم أصاب من الدواة مدادها (١)

استعادت الرحمة حسداً . فهل كانت رحمته في الأولى والحسد في الثانية إلا لأنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له في أول الفكر شبهة ، وحين آتته صادقة قد ظهر بأقرب صفة من أبعد موصوف .

وذكر الشيخ عبد القاهر رحمه الله للاستطراف في تشبيه البنفسج بنار الكبريت وجهاً آخر (٢) وهو أنه أراك شيئاً لنبات غصن يرف وأوراق رطبة من لهب نار في جسم مستول عليه اليبس ، ومبنى الطباع وموضوع الجيلة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يشهد ظهوره منه وخرج من موضع ليس بمعدن له كانت صباغة النفوس به أكثر ، وكان الشنف به أجدر .

ما يعود إلى المشبه به من أغراض التشبيه : وأما الثاني فيكون في الغالب إيهام أن المشبه به آثم من المشبه في وجه الشبه ، وذلك في التشبيه المقلوب ، وهو أن يكون الأمر بالعكس (٣) كقول محمد بن وهيب .

== حمر اليواقيت — من إضافة الصفة إلى الموصوف ، وإنما جعل التشبيه بأوائل النار في أطراف كبريت لأنها في أعلاها تكون حمراء صافية لا زرقاء .
(١) هذا البيت من قصيدة لعدي بن الرُّفَّاع مطلعها :

عرف الديار توهاً فاعتادها من بمدما شمل البلى أبشلاها

والأبلاد قطع الأرض عامرة أو غامرة وقيل هي الآثار ، وقوله - ترجى - بمعنى تسوق والضمير للظلية ، والأغن الذي في صوته غنة وهو ولدها ، ويقال طير أغن أى يتكلم من قبل خياشيمه ، والروق القرن وإبرته طرفه ، ورواية الكامل أن عبداً كان ينشد القصيدة أمام الوليد بن عبد الملك وجريير حاضر . (٢) ١٤٧ - أمرار البلاغة .
(٣) بأن يجعل فيه المشبه مشبهاً به قصداً إلى ادعاء أنه أكل منه في وجه الشبه ، وهذا لا يدخل فيه تشبيه المحسوس بالمعقول كما قيل فيما سبق ، لأن كلا من المشبه والمشبه به فيه كذلك في الحقيقة ولا قاب فيها .

وبدا الصبح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح^(١)

فإنه قصد إيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح في الوضوح والضياء، وأعلم أن هذا وإن كان في الظاهر يشبه قولهم - لا أدري أوجه أنور أم الصبح، وعرته أضوأ أم البدر؟ وقولهم إذا أفرطوا - نور الصباح يخفى في ضوء وجهه، أو نور الشمس مسروق من نور جبينه - ونحو ذلك من وجوه المبالغة، فإن في الأول خلابة وشيئا من السحر ليس في الثاني، وهو أنه كأنه يستكثر للصباح أن يشبهه بوجه الخليفة، ويوم أنه احتشد له واجتهد في تشبيهه بفخيم به أمره، فيوقع المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر، ويفيدكها من غير أن يظهر ادعائه لها، لأنه وضع كلامه وضع من يهيس على أصل متفق عليه، لا يشفق من خلاف مخالف وتهكم متهمك، والمآلى إذا وردت على النفس هذا المورد كان لها نوع من السرور عجب، فكانت كالنعمه التي لا يكدرها العنسة، وكالفنمية من حيث لا يمتسب، وفي قوله - حين يمتدح فائدة شريفة، وهى الدلالة على اتصاف المدوح بما لا يوجد إلا فيمن هو كامل في الكرم، من معرفة حق المادح على ما احتشمه له، من تزيينه وماقصده من تفخيم شأنه في عيون الناس، بالإصغاء إليه والارتياح له والدلالة بالبشر والطلاقة على حسن موقعه عنده ومنه قوله^(٢) تعالى حكاية عن مستحل الربا: إنما البيع مثل الربا فإن مقتضى الظاهر أن يقال: إنما الربا مثل البيع - إذ الكلام في الربا لا في البيع، فخالقوا لجمعهم الربا في الحل أقوى حالا من البيع وأعرف به.

ومنه قوله^(٣) عز وجل (أفمن يخلق كن لا يخلق) فإن مقتضى الظاهر العكس، لأن الخطاب للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله سبحانه وتعالى فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق، فغولف في خطابهم لأنهم بالغوا في عبادتها وغلوها

(١) الفرة في الأصل البياض في جبهة الفرس، وقد استعيرت لبياض الصبغ والمراد تشبيه وجه الخليفة بها، ولهذا كان التشبيه مقلوبا.

(٢) د - ١٧٥ - س - ٣

(٣) د - ١٧ - س - ١٦

حتى صارت عندهم أصلاً في العبادة^(١) والخلق مدبحاته وتعالى فرعاً ، لجاء الإنكار على وفق ذلك ، وقال السكاكي^(٢) عندي أن المراد بمن لا يخلق على العالم القادر من الخلق^(٣) تعريضاً بإنكار تشبيه الأصنام بالله عز وجل ، وقوله (أفلا تذكرون) تنبيه توبيخ عليه ، ونحوه^(٤) قوله تعالى (أرأيت من اتخذ إلهه^(٥)) بدل أرأيت من اتخذ هواه إله .

وقد يكون الغرض العائد إلى المشبه به بيان الاهتمام به ، كتشبيه الجائع وجهاً كالبدن في الإشراق والاستدارة بالرغيف إظهاراً للاهتمام بشأن الرغيف لا غير ، وهذا^(٦) يسمى إظهار المطلوب ، قال السكاكي^(٧) ولا يحسن المصير إليه إلا في مقام الطمع في تمني المطلوب ، كما يحكي عن صاحب أن قاضي سجستان دخل عليه فوجده صاحب متفتناً ، فأخذ يمدحه حتى قال :

وعالم يُعرف بالشجزي^(٨)

(١) اعترض على هذا بأنه يخالف قولهم (ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فيكون الأحسن في توجيه ذلك أنهم حين جعلوا مثل الله في العبادة قد جعلوا الله تعالى من جلس الخلق وشبهها به ، فأنكر ذلك بقوله (أفمن يخلق كمن لا يخلق) على هذا لا يكون من التشبيه القلوب ، ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن الشرك مختلف المذاهب ، فيجوز أن يكون من المشركين من يعبد الأصنام لا لتقربه إلى الله زلفى .

(٢) ١٨٤ - الفتح .

(٣) لأن من موضوعه للناقل ، وغير السكاكي يحملها على الأوثان تشبيهاً لها بالعائل لمبادتهم لها والفرق بين القولين أن إنكار تشبيه الأصنام بالله يكون مستفاداً من ذلك على سبيل التعريض عند السكاكي وعلى سبيل التصريح عند غيره .

(٤) أي نحو (أفمن يخلق كمن لا يخلق) .

(٥) - ن - ٤٣ - م - ٢٥

(٦) يعني بيان الاهتمام بالمشبه به .

(٧) ١٨٥ - الفتح

(٨) نسبة غير قياسية إلى سجستان ، وهو أبو الحسن عمر السجزي ،

وأشار للندماء أن ينظموا على أسلوبه ، فملوا واحدا بعد واحد إلى أن انتهت
النوبة إلى شريف في البيـن ، فقال :

أشـهى إلى النفس من الخـبـر (١)

فأمر الصاحب أن تُقدّم له مائدة

هذا (٢) كاه إذا أريد إلحاق الناقص في وجه الشبه حقيقة أو ادعاء (٣) بالزائد ، فإن
أريد مجرد الجمع بين شيئين في أمر (٤) فالأحسن ترك التشبيه إلى الحكم بالتشابه (٥)
ليكون كل واحد من الطرفين مشبها ومشبها به احترازا من ترجيح أحد المتساويين
على الآخر ، كقول أبي إسحاق الصابي :

تشابه دمعى إذ جرى ومـدامى

فمن مثل ما فى الكأـس عيى كسـب (٦)

(١) اعترض على التمثيل بهذا التشبيه بأنه أفعال تفضل لا تشبيه ، وأجيب عنه بأنه
لا يقصد به التمثيل للتشبيه بل لإظهار المطلوب مطلقا ، وقد قيل : إن أفعال التفضل كله
من التشبيه وهو بعيد .

(٢) اسم الإشارة يعود إلى ما مضى عليه الكلام فى التشبيه من جعل أحد الطرفين
مشبها والآخر مشبها به على التعمين وما تفرع على ذلك من الكلام .

(٣) هذا فى التشبيه المقابول لأنه يدعى فيه ذلك

(٤) هذا إما لأن المقام يقتضى المبالغة فى ادعاء التساوى ، وإما لأن الغرض إفادة
أصل الاشتراك ، فيكون المقصود إفادة التساوى ادعاء أو حقيقة .

(٥) مثله الحكم بالتساوى ونحوه ، وليس من ذلك نحو — شابه زيد عمرا —
إن كان من صيغ المشاركة ، لأن صيغة — تفاعل — تدل على إسناد الفعل ابتداء
لأثنين .

أما صيغة — فاعل — فتدل على الإخبار بوقوع الفعل من الفاعل على المفعول ،
ولا يفهم منها وقوعه من المفعول على الفاعل إلا بالالتزام .

(٦) المدامة الخمر سميت بذلك لأنه لا شراب يستطاع إدامة شربه غيرها .

فوالله ما أدري أباخمر أمسببت
جفوني أم من مبرقي كنت أشرب (١)

وكقول الآخر :

رقّ الزجاج وراقت الخمر فتشابهها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر
ويجوز التشبيه أيضاً (٢) كتشبيه غرة الفرس بالصبح وتشبيه الصبح بغرة الفرس ،
مقاً أريد ظهور منير في مظلم أكثر منه (٤) وتشبيه الشمس بالمرآة المجلوة أو الدينار
الخارج من السكة ، كما قال :

وكان الشمس المسيرة دينا رجلتها حدائد الضراب (٥)
وتشبيه المرآة المجلوة أو الدينار الخارج من السكة بالشمس ، مقاً أريد استدارة
متألىء ، متضمن لخصوص في اللون ، وإن عظم التفاوت بين بياض الصبح وبياض النرة
ونور الشمس ونور المرآة والدينار وبين الجرمين ، فإنه ليس شيء من ذلك بمنظور
إليه في التشبيه ، وعلي هذا ورد تشبيه الصبح في الظلام بعلم أبيض على ديباج أسود
في قول ابن المعتز :

(١) العبارة اللمع . والتساوي في قوله — تشابه دمعى ومدامق — ادعائى إذا
كان المراد تشابههما في الخمر ، ويجوز أن يكون المراد أنهما تشابهها في الصفاء وأبو
إسحاق الصابي هو إبراهيم بن هلال .

(٢) هما للصاحب إسماعيل بن عباد ، والقدح الكأس والمراد تشابههما في الصفاء ،
وقوله — فكأنما حمر النخ — لتأكيد ادعاء التساوي ، وكأنما فيه للشك لا للتشبيه ، لأن
التقدير فكأنما خمر موجود .

(٣) لأنه يجوز مع قصد التساوي أن يجعل أحد الطرفين مشبهاً للعرض من
الأغراض كأن يكون الكلام فيه ، فيقدم لهذا العرض وتدخل أداة التشبيه على الطرف
الآخر فيكون مشبهاً به .

(٤) فلا يكون هناك قصد إلى المبالغة في وصف غرة الفرس بالضياء لأنه مع هذا
يكون ذلك من التشبيه الذي يراد به إلحاق الناقص بالكمال .

(٥) هو لعبد الله بن المعتز ، والمراد بحدائد الضراب آلات السك .

والليل كالحلقة السوداء لاح به من الصباح طراز غير مرقوم^(١)
فإنه تشبيه حسن مقبول وإن كان التفاوت في المقدار بين الصبح والطارز في الامتداد
والانبساط شديداً .

أقسام التشبيه باعتبار طرفيه — تشبيه المفرد بالمفرد : وأما تقسيم التشبيه فباعتبار
طرفيه أربعة أقسام : الأول تشبيه المفرد بالمفرد ، وهو ما طرافه مفردان : إما غير
مقيدين ، كتشبيه الخد بالورد ونحوه ، وعليه قوله^(٢) تعالى ﴿هن لباس لكم﴾
وأنتنم لباس لهسن ﴿فإن قلت : ما وجه الشبه في الآية ؟ قلت : جملة الزمخشرى
حسباً ، فإنه قال : لما كان الرجل والمرأة يمتنعان ويشمل كل واحد منهما على صاحبه
في عنقه تشبيه باللباس المشتمل عليه ، قال الجعدي :

إذا ما الضجيج ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباساً^(٣) .

وقيل : شُبّه كل واحد منهما باللباس للآخر ، لأنه يصورونه من الوقوع في فضيحة
الفاحشة كاللباس الساتر للورة^(٤)

وإما مقيدان^(٥) كقوله لمن لم يحصل من معيه على شيء — هو كالتأبض على الماء ،

(١) الحلقة كل ثوب جديد أو الثوب مطلقاً ، والطارز علم الثوب ، والرقوم
المخطط .

(٢) ى - ١٨٧ - س - ٢

(٣) هو للنابذة الجعدي ، والضجيج المضاجع من ضجع بمعنى وضع جنبه على الأرض
وتمدد ، وقوله — ثنى عطفها — بمعنى رد جنبها إليه .

(٤) على هذا يكون وجه الشبه عقلياً .

(٥) أى بجار وجرور أو مفعول أو نحوها بشرط أن يكون القيد معتبراً
في التشبيه ، وبهذا لا يكون من ذلك قوله تعالى ﴿هن لباس لكم﴾ لأن الجار والجرور
غير معتبر في تشبيههن باللباس ، والفرق بين الطرف المقيد والطرف المركب أن المركب
يكون كل واحد من أجزائه جزءاً من الطرف ، أما المقيد فقيدته شرط في الطرف
لا جزء منه ، وإنى أرى أن مثل هذا لا يصح مراعاته في علم البيان ، والاحسن إدخال
المقيد في المركب .

وكالراقم في الماء - فإن المشبه هو الساعى لا مطلقاً بل مقيداً بكون سعيه كذلك .
والمشبه به هو القابض أو الراقم لا مطلقاً بل مقيداً بكون قبضه على الماء أو رقبه فيه ،
لأن وجه التشبه فيهما هو التسوية بين الفعل وعدمه في عدم الفائدة ، والقبض على
الماء والرقم فيه كذلك ، لأن فائدة قبض اليد على الشيء أن يحصل فيها ، فإذا كان مما
لا يتماسك فقبضها عليه وعدمه سواء ، وكذلك القصد بالرقم في الشيء أن يبقى أثره
فيه ، فإذا لم يفعل فيما لا يقبله كان فعله كعدمه ، فالتقيد في هاتين الصورتين هو الجار
والمحذور ، ونحوها قولهم - هو كمن يجمع سيفين في غمد (١) وقولهم - كمتبني
الصيد في عريسة الأسد (٢) وقد يكون حالاً ، كقولهم - هو كالخادى وليس له
بمير (٣) .

وعما طرفاه مقيدان قول الشاعر :

إني وتزييني بمدحى معشراً كملتق دُرّاً على خنزير (٤)

فإن التشبه فيه هو التكام بقيد اتصافه بتزيينه بمدحه معشراً ، فتملّق التزيين
أعنى قوله - بمدحى - داخل في التشبه ، والتشبه به من يعلق درّاً بقيد أن يكون تعليقه
إياه على خنزير ، فالتشبه مأخوذ من مجموع المصدر وما في صانته ، وهو أن كل واحد
منهما يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر ، لأن الشيء غير قابل للتزيين ، فالواو في قوله

(١) يضرب مثلاً للمستحيل

(٢) يضرب مثلاً لمن يطلب الشيء من غير موضعه

(٣) يضرب مثلاً للرجل ينتفع بما لا يملك

(٤) هو لعل بن العباس المعروف بابن الرومي ، والواو في قوله - إني وتزييني -

للمعية وما بعدها مفعول معه كما ذهب إليه الخطيب في تحقيق التشبيه في البيت ، وقيل :
لأنه يجوز أن تكون عاطفة مع إفادتها المعية ، لأنه ليس من شرط العاطفة ألا تقيد
هذا المعنى ، وعلى كونها عاطفة يكون الطرف مركباً لا مقيداً

- وتزييني - بمعنى مع ، إذ لا يمكن أن يقال إنى كذا وإن تزييني كذا^(١) لأنه ليس معنا شيئان يكون أحدهما خبرا عن ضمير المتكلم والآخر عن تزييني ، لا يقال : تقديره إنى كهلقي درا علي خنزير وإن تزييني بمدحى معشرا كتمليق در علي خنزير . لأنه لا يُتصور أن يشبه المتكلم نفسه من حيث هو هو بمعلق درا علي خنزير ، بل لا بُدَّ أن يكون يشبه نفسه باعتبار تزيينه بمدحه معشرا .

وإما مختلفان والمقيد هو المشبه به ، كقوله :

والشمس كالمرآة في كَفِّ الأشل^(٢)

فإن المشبه هو الشمس علي الإطلاق ، والمشبه به هو المرآة لاعلى الإطلاق بل بقيد كونها في يد الأشل .

أو على عكس ذلك ، كتشبيه المرآة في كف الأشل بالشمس .

تشبيه المركب بالمركب : الثاني تشبيه المركب بالمركب ، وهو ما طرفاه كثرتان مجتمعتان ، كما في قول البحتري :

ترى أحججاله يصعدن فيه صُعود البرق في النسيم الجهام^(٣)

لا يريد به تشبيه بياض الأحجججول على الانفراد بالبرق بل مقصوده الهيئة الخاصة الحاصلة من مخالطة أحد اللونين^(٤) بالآخر ، وكذلك المقصود في بيت بشار^(٥) ولذلك وجب الحكم بأن أسيافنا في حكم الصلة للمصدر^(٦) ونصب الأسياف لا يمنع من تقدير

«١» يريد بهذا أن يثبت أن الواو ليست عاطفة ، وقد عرفت أن إفادتها للعية لا يمنع أن تكون للعطف .

«٢» أنظر ص ٢٧

«٣» الأحجال جمع حجل وهو البياض في رجل الفرس ويجمع أيضا على حجلول ، والجهام السحاب الذي لا ماء فيه ، يشبه الفرس أثناء عدوه بذلك .

«٤» البياض والسواد .

«٥» أنظر ص ٢٦

«٦» هو - مثار - لأنه مصدر ميمي .

الاتصال لأن الواو فيها بمعنى مع (١) كقولهم - لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها -
ومما يلعب على ذلك أن قوله - تهاوى كواكب - جملة وقعت صفة الليل ، فإن الكواكب
مذكورة على سبيل التبع لليل ، ولو كانت مستبعدة بشأنها لقال - ليل وكواكب .
وأما بيت امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطباً وبأساً

لدى وكورها العناب والحشف البالى (٢)

فهو على خلاف هذا ، فإن أحد الشيتين فيه في الطرفين معطوف على الآخر ، أما في
طرف المشبه به فبيّن ، وأما في طرف المشبه فلائذ الجمع (٣) في المنفق كالمطف في
الختاف ، فاجتماع شيتين أو أشياء في لفظ تشبيه أو جمع لا يوجب أن أحدهما أو أحدها
في حكم التابع للآخر ، كما يكون ذلك إذا جرى الثاني صفة للأول أو حالا منه أو ما أشبه
ذلك ، وقد صرح بالمطف فيما أجراه بياناً له من قوله - رطباً وبأساً (٤) .

وهذا القسم ضربان : أحدهما ما لا يصح تشبيهه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابله
من الطرف الآخر ، كقوله :

غدا والصبح تحت اللؤلؤ باد كطرف أشهب مئاق الجلال (٥)

١» يجوز جر الأضياف عطفاً على قوله - رؤوسنا .

٢» يصف عقاباً بكثرة الصيد ، والوكر عش الطائر ، والعناب شجر حبه كحب
الزيتون أحمر ، والحشف أردأ الثمر ، شبه الرطب من القلوب بالعناب ، واليابس
بالحشف البالى .

٣» يبنى الجمع في قوله - قلوب .

٤» فالتشبيه في البيت ليس من تشبيه المركب بالمركب ، وإنما هو من التشبيه
التمدد الطرف كما سنأتى .

٥» هو لمبدأ الله بن المعتز ، والضمير في قوله - غداً - يرجع إلى الساقى
في قوله قبلة :

وساق يحمل المنديل منه يمكن حمل السيف الطوال .

فإن الجلال فيه في مقابلة الليل ولو شبه به لم يكن شيئاً . وكقول الآخر :
 كأنما المريخُ والمشتريُ قدأماهُ في شامخ الرُفعةِ
 منصرفٌ بالليل عن دعوة قدأسرجتُ قدأماهُ شمسه (١)

فإن المريخ في مقابلة المنصرف عن الدعوة ، ولو قيل : كأن المريخ منصرف بالليل
 عن دعوة كان خلطاً من القول (٢) .

والثاني ما يصح تشبيه كل جزء من أجزاء أحد طرفيه بما يقابله من أجزاء الطرف
 الآخر غير أن الحال تتغير ومثاله قوله :

وكانت أجرام النجوم لوامعاً دُررٌ مُثرنٌ علي بساط أزرق (٣)
 فإنه لو قيل : كأن النجوم درر وكان السماء بساط أزرق كان تشبيهاً صحيحاً ،
 لكن أين يقع من التشبيه الذي يريك الهيئة التي تملأ القلوب سروراً وعجباً من
 طلوع النجوم مؤتلفة متفقة في أديم السماء وهي زرقاء زرقها الصافية .
 تشبيه المفرد بالركب : الثالث تشبيه المفرد بالركب ، كما مر من تشبيه الشاة
 السجلى والشقيق والنيلوفر (٤) .

والبادي الظاهر ، والطرف القرم الكريم ، والأشهب الأبيض ، والجلال جمع جلّ
 وهو للدابة كالثوب للإنسان ، والمراد أنه أدير عن ظهره حتى تكشف أكثر جسده ،
 لا أنه رمى به جملة حتى انفصل منه لأنه مع هذا لا يأتي ذلك التشبيه ، لأن المراد تشبيه
 هيئة حاصلة من اختلاط بياض بسواد ، وقد أخذ ابن المعتز ذلك من قول ذي الرمة
 في وصف الصبح :

وقد لاح للشارى الذى كمل السرى علي أخريات الليل فتقُ مُشترٍ
 كمثل الحصان الانبط البطن قائماً تمايل عنه الجللُ واللوفُ أشقر
 « ١ » هما لمي بن محمد المعروف بالقاضي التنوخي ، والمريخ من النجوم السيارة
 وهو أقربها إلى الشمس ، والمشتري من النجوم السيارة أيضاً .

« ٢ » الخلف الردى من القول .

« ٣ » أنظر ص ١٦

« ٤ » أنظر ص ١٦ ، ١٧

تشبيهه الرب بالفرد : الرابع تشبيه المركب بالفرد ، كقول أبي تمام :

يا صاحبي تقصياً نظريتكما مترباً وجُوه الأرض كيف تصور^(١)
 ترين نهاراً ممسماً قد شابه زهر الربا فكأنما هو مقمر^(٢)
 يعنى أن النبات من شدة خضرته مع كثرتة وتكاثفه قد صار لونه إلى الاسوداد ،
 فنقص من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر .

للتشبيه الملفوف والفروق : وأيضاً إن تعدد طرفاه فهو إما ملفوف أو مفروق ،
 فالملفوف ما أتى فيه بالمشبهين ثم بالمشبه بهما ، كقول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنّاب والحشف البالى^(٣)
 وغير الملفوف بخلاف ذلك^(٤) كقول المرقش الأكبر :

النشمر مسك والوجه دنا نير وأطراف الأكف غنم^(٥)
 ومنه قول أبي الطيب :

« ١ » قوله - تقصياً نظريتكما - بمعنى أبلغاه أقصاه ، وقوله - تصور - أصله تتصور -
 أصله تصور بمعنى تشكل ، والمراد تريها قائليْن ذلك على وجه التعجب ، فالاستفهام
 مقول لقول محذوف .

« ٢ » النهار المشمس الذى لا غيم فيه ، وقوله - شابه - بمعنى خالطه : والربا جمع
 ربوة وهى الأرض المرتفعة ، ومقمر صفة لمحذوف تقديره ليل مقمر ، وإنى أرى أنه
 لا حاجة إلى تقدير هذا المحذوف ، والمراد أن نبات الربا مع زهره قد خالط النهار
 المشمس ، لأن خضرة النبات داخلة أيضاً فى ذلك التشبيه .

« ٣ » أنظر ص ٥٢

« ٤ » هو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم بمشبه ومشبه به أو بأكثر من ذلك .

« ٥ » النشمر الرائحة الطيبة أو الرائحة غموماً ، والغم شجر له ثمرة حمراء يشبه بها
 البنان الخضوب ، وقد قيل : إن مثل هذا فى الحقيقة تشبيهات متعددة ، وليس تشبيهاً
 واحداً متعدد الطرفين ، ومثله كل ما يقال له تشبيه مفروق ، ويمكن أن يجاب عن ذلك
 بأن مثل هذه التشبيهات تكون متعلقة بشئ واحد كالنسوة فى هذا البيت ، فيمكن
 جعلها تشبيهاً واحداً من هذه الجهة .

بدت قرأ ومالت مخوط بان وفاحت عنبراً ورنت غزالاً (١)
تشبيه التسوية والجمع : وإن تعدد طرفه الأول أغنى التشبه دون الثاني مسمى تشبيه
التسوية ، كقول الآخر :

صُدغ الحبيب وحلى كلاهما كالليالى
وثغره فى صفاء وأدغمى كاللآلى (٢)

وإن تعدد طرفه الثاني أغنى التشبه به دون الأول سمي تشبيه الجمع ، كقول
البحرئى :

كأنما يسيم عن ملؤلؤ ممتصير أو برد أو أقالح (٣)
ومثله قول امرئ القيس :

كأن السدام وصوب النمام وريح الحزامى ونشر الشطرنج (٤)
يعلى به برد أنيابها إذا طرب الطائر المستعرج (٥)

(١) الحوط النعمن الناعم ، والبان شجر معتدل القوام ليس ورقة كورق الصفصاف
وقوله — رنت — بمعنى نظرت ، والمراد أنها بدت بوجه كة مر ، ومالت بقوام
كمخوط بان ، وفاحت برائحة كعنبر ونظرت بعين كعين غزال .

(٢) الصدغ ما بين الأذن والعين ، ويطلق على الشعر المتدلى من الرأس على هذا
الموضع وهو المراد هنا ، والشعر القم أو مقدم الأسنان ، والثاني هو المراد هنا ، وتشبيه
أدمعه بذلك يدل على كثرتها ، لأنه إذا كثرت ماء المنيع صفا عما فيه من السكر .

(٣) المنضد للمنظم ، والبرد حب النمام ، والأقالح جمع أقحوان وهو ورد له نور
أوراقه فى شكلها أشبه شئ بالأسنان ، والتشبه محذوف تقديره كأنما يسيم عن ثغر
كلؤلؤ ، وهذا امتعارة لا تشبيه .

(٤) اللدام الخمر ، وصوب النمام منظره ، والحزامى نبت زهره من أطيب الزهر ،
والقطر عود يتبخر به .

(٥) قوله — يعلى به — بمعنى يسقى مرة بعد مرة والضمير فى — به — للمذكور
من اللدام وما عطف عليه والجملة حال منه ، وقوله — برد أنيابها — خبر كأن ، =

إلا أن فيه شوباً من القصد إلى هيئة الاجتماع^(١)

أقسام التشبيه باعتبار وجهه : وأما باعتبار وجهه فله ثلاث تسميات : تمثيل وغير تمثيل ، ومجمل ومفصل ، وقريب وبعيد .

التمثيل : التمثيل ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور^(٢) ، وقيد السكاكي بكونه غير حقيقي^(٣) ومثّل بـ صور مثّل بها غيره أيضاً ، منها قول ابن المعتز :

اصبر على مضض الحسو د فإن صبرك فائتة
فالتأثر تأكل نفوسا إن لم تجد مأثراً^(٤)

فإن تشبيه الحسود المتروك بمقاولته مع تطلبة إليها لينال بها نفثة مصدور بالنار التي

= والطائر المستعجر هو الديك الذي يصوت بالسكر ، يغنى أنها طيبة الفم في الوقت الذي تتغير فيه الأنواء بعد النوم ، والمراد تشبيه برد أنيابها بالمدام وما عطف عليه ، فالمتعدد هو التشبيه به ، واسكنه قاب التشبيه للبلاغة ، وقيل : إن — برد نائب فاعل يمل ، طي معنى أنه يظن أن برد أنيابها مزج بالنعيم وما عطف عليه لأنه يشبهها ، فيسكون تشبيهها ضمناً .

هذا واللف والتفريق والتسوية والجمع في تلك الأقسام الأربعة من الحسنات البدئية ، وبهذا تظهر تلك الأقسام في ذلك الشكل البديع .

(١) فيكون بهذا قريباً من التشبيه المركب .

(٢) يعني أن يكون وجهه مركباً مطلقاً ، وهذا هو مذهب الخطيب والجمهور ، فلا فرق عندهم بين الوجه الحقيقي وغيره .

(٣) أي مع كونه مركباً ، وهو عند عبد القاهر ما كان وجهه غير حقيقي ولو كان مفرداً ، وعند الزحمرى يرادف التشبيه ، والمراد بالحقيقي الحسى كالحجرة والعقل^١ الفريزي كالشجاعة ونحوها من الفرائز ، ولا بُدَّ عند عبد القاهر من التأول في التمثيل كما وضعه في أسرار البلاغة ، فلا يكفي فيه مجرد كونه غير حقيقي .

(٤) هما لعبد الله بن المعتز ، والمضض مصدر مضّ من الشيء بمعنى شق عليه وآله ، والتشبيه في البيتين ضمناً .

لا تمتد بالخطب في أمر غير حقيقى (٢) منترع من متعدد ، وهو إسراع الفناء لا تقطاع ما فيه مدد البقاء .

ومنها قول صالح بن عبد القدوس :

وإنَّ من أدبته في الصبا كالشود يسقى الماء في غرسه .
حتى تراه موتقاً ناضراً بعد الذى أبصرت من ييسه (٢)

فإن تشبيه المؤدب في صباه بالعود المسقى أو أن غرسه فيما يلزم كل واحد من كون المؤدب في صباه مهذب الأخلاق حميد الفعل لتأديبه المصادف وقته وكون العود المسقى أو أن غرسه موتقاً بأوراقه ونضرت له لسقيه المصادف وقته من تمام الميل (٢) وكال الاستحسان بعد خلاف ذلك .

ومنها قوله (٤) تعالى ﴿ مثلهم كمثل الذى استوفد نارا فلهما أضاعت ما حوله ﴾ ذهب الله بنورهم وتركهم في مظلمات لا ييسرون في تشبيه حال المناقين بحال الموصوف بصلة الموصول في الآية في أمر غير حقيقى منترع من متعدد ، وهو الطمع في حصول مطلوب لمباشرة أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والحاجة لانقلاب الأسباب .
غير التمثيل : وغير التمثيل ما كان بخلاف ذلك . كما سبق في الأمثلة المذكورة (٥)
المجمل : والمجمل ما لم يذكر وجهه ، فمنه ما هو ظاهر يفهمه كل أحد حتى العامة ،

(١) في نسخة شروح التلخيص - في أمر حقيقى - وكذلك فيما سياتى ، ولعله فهم من قوله - غير حقيقى - أنه يريد به ما كان وهماً كما توهمه بعض عبارات المفتاح ، فاعترض عليه بذلك .

(٢) المونق تخفيف مؤنق ، يقال - أنقأ - إذا كان حسناً معجباً ، وفي رواية موزقاً ، والناضر اسم فاعل من - نضر - بمعنى نعم وجسن وكان جميلاً .

(٣) هذا بيان لما في قوله - فيما يلزم كل واحد - ومن قوله - من كون المؤدب إلخ - بيان لكل واحد ، وعبرة السكاكي في ذلك أوضح من هذه العبارة .

(٤) آية ١٧ - سورة ٢

(٥) أى للتشبيه قبل التمثيل .

كقولنا — زيد أسد — إذ لا يخفى على أحد أن المراد به التشبيه في الشجاعة دون غيرها .

ومنه ما هو خفى لا يدركه إلا من له ذهن يرتفع عن طبقة العامة ، كقول موصف (١) بنى المثلث للحجاج لما سأله عنهم وأن أيهم أنجده : كانوا كالحلقة المفرغة (٢) لا يدرى أين طرفاها . أى لتناسب أصولهم وفروعهم في الشرف يتمتع تعيين بعضهم فاضلا وبعضهم أفضل منهم كما أن الحلقة المفرغة لتناسب أجزائها يتمتع تعيين بعضها طرفا وبعضها وسطا (٣) هكذا نسبته الشيخ عبد القاهر إلى من وصف بنى المثلث (٤) ونسبه الشيخ جابر الله العلامة (٥) إلى الأنبارية ، قيل : هي فاطمة بنت الحرث نسب سالت عن بذها أيهم أفضل ؟ فقالت : معمارة لا بل فلان ، لا بل فلان ، ثم قالت : تسكتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل (٦) هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها .

وأيضا منه ما لم يذكر فيه وصف المشبه ولا وصف المشبه به (٧) كالثال الأول (٨) ومنه ما ذكر فيه وصف المشبه به وحده كالثال الثانى (٩) ونحوه قول زياد الأعجم :

(١) هو كعب الأشقرى .

(٢) أى الذى أذيب معدنها وأفرع في قالب .

(٣) ما ذكره من الأمرين يتضمن رجه الشبه وليس به ، لأن الأول يختص بالمشبه والثانى يختص بالمشبه به ، وإنما وجه الشبه هو الأمر السلكى الخالى عن التفاوت ، ولا شك أن الانتقال من تناسب أجزاء الحلقة إلى تناسبهم في الشرف غاية في الدقة ، فالوجه بين الطرفين لا يدركه إلا الخاصة ، أما العامة فيتبادر إليهم تناسبهم في الصورة .

(٤) ١٠٦ — أسرار البلاغة .

(٥) هو الزمخشري ، وعلى هذا يكون كعب الأشقرى قد أخذه منها .

(٦) أى في قولها — أيهم — يجوز أن تكون استفهامية عقلت — أعلم — عن العمل في معموليها ، وأن تكون موصولة في محل نصب مفعول أول ، وأفضل خبر مبتدأ محذوف والجملة صلة ، والمفعول الثانى محذوف تقديره كائنات منهم .

(٧) يعنى وصفهما الذى يكون فيه إيماء إلى وجه الشبه لا ، هلاق وصف .

(٨) هو — زيد أسد .

(٩) هم — هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها ، . . .

وإنما وما يُلحق لنا إن تهجوتنا لك البحرهما تُلحق في البحر يشرق (١)
وكذا قول النابغة الذبياني :

فإنك شمس والسيوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب (٢)
ومنه ما ذكر فيه وصف كل واحد منهما ، كقول أبي تمام :

صدفت عنه ولم تصدف مواهبه عني وعوده ظني فسلم يجب (٣)

كالنيت إن جته وإفك ريقه وإن ترحلت عنه لج في الطلب (٤)

المفصل : والمفصل ما ذكر وجهه (٥) ، كقول ابن الرومي :

يا شبيه البدر في الحسنة وفي بعدي المنال (٦)

جذ فقد تنفجر الصخر مرة بالماء الزلال (٧)

وقول أبي بكر الخالدي :

يا شبيه البدر حسناً وضياءً ومنالاً

(١) فالمشبه به البحر والجملة بعده جال منه فهي صفة له ، وجه الشبه عدم ظهور الأثر في كل منهما ، وفي وصف البحر بذلك إشارة إليه ، وفي رواية — مهما يُلحق .
(٢) هو لزياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبياني ، والخطاب فيه للثيمان بن المنذر ، والمشبه به فيه الشمس والكواكب ، ونجمة — إذا طلعت لم يبد منها كوكب — صفة تأتي عن وجه الشبه .

(٣) قوله — صدفت — بمعنى أعرضت ، والمواهب الهبات .

(٤) قوله — وإفك — بمعنى أفاك ، وريقه أوله أو أفضله ، وقوله — لج — بمعنى ألج . وصفة المشبه به يتضمنها البيت الثاني ، وفيهما إشارة إلى وجه الشبه وهو الإفاضة في حال الإعراض وفي حال الطلب .

(٥) أي بنفسه أو بما يستقبله كما سيأتي .

(٦) هما لعل بن العباس المعروف بابن الرومي ، والمنال مصدر ميمي بمعنى التناول أو اسم مكان ؛ يعني بذلك بعد وصاله وأنه كالبدن في بعد مناله .

(٧) قوله — جذ — يعني بالوصال ، والماء الزلال هو المذهب الصافي الذي يفر نريماً في الخلق ؛

وحببه النصف ليناً وقواماً واعتدالاً
أنت مثل الثورد لونا ونسيماً وبلالاً^(١)
زارنا حتى إذا ما سرنا بالقرب زالا

وقد يتسامح بذكر ما يستتبعه مكانه^(٢) كقولهم في وصف الألفاظ إذا وجدوها لا تثقل على اللسان لتنافر حروفها أو تكرارها ، ولا تكون غريبة وحشية تستكره لكونها غير مألوفاً ، ولا عما تبعد دلالتها على معانيها - هي كالعسل في الحلاوة ، وكالماء في السلاسة ، وكالنسيم في الرقة - وقولهم في الحجة إذا كانت معلومة الأجزاء يقينية التأليف بيئته الاستمرار للعطوب - هي كالشمس في الظهور - والجامع في الحقيقة لازم الحلاوة وهو ميل الطبع ، ولأزم السلاسة والرقة وهو إضافة النفس نشاطاً وروحاً^(٣) ولأزم الظهور وهو إزالة الحجاب^(٤) فإن شأن النفس مع الألفاظ الموصوفة بتلك الصفات كشأنها مع العسل الذي يلذ طعمه فتشبه النفس له ، ويميل الطبع إليه ويحب وروده عليه ، أو كشأنها مع الماء الذي يسوغ في الحلق ، ومع النسيم الذي يسرى في البدن فيتخلل المسالك اللطيفة منه ، فيفيدان النفس نشاطاً وروحاً ، وشأنها مع الشبهة التي تمنع القلب إدراك ما هي شبهة فيه كشأنها مع الحجاب الحسي الذي يمنع أن يرى ما يكون من وزائه ، ولذلك توصف بأنها اعترضت دون الذي يروم القلب إدراكه .

قال الشيخ صاحب المفتاح^(٥) : ولما نحن بهذا لا يقع إلا حيث يكون التشبيه

(١) البلال بثلاث الباء الشدوة ، ويروى - ملالا - فيكون من إطلاق المألوم وإرادة اللازم وهو سرعة الزوال والمفارقة وأبو بكر الخالدي هو محمد بن هاشم .

(٢) ذهب السبكي إلى أن المذكور هو وجه الشبه ولا داعي إلى ذلك التأول لأنه إذا لم يكن موجوداً في المشبه حقيقة فهو موجود بالتخيل ، ولكن هذا التأول لا بد منه عند عبد القاهر ، لأنه هو المعمول عليه عنده في الفرق بين التمثيل والتشبيه .

(٣) أي راحة .

(٤) أي المانع حسياً كان أو عقلياً ، وإنما كان وجه الشبه لازم ذلك لأنه هو المشترك بين الطرفين .

(٥) ص ١٨٢ - المفتاح .

في وصف اعتباري كالذي نحن فيه (١) وأقول : يشبه أن يكون تركهم التحقيق في وجه التشبيه على ما سبق التنبيه عليه من تساعهم هذا (٢) انتهى كلامه .

القريب المبتذل : والقريب المبتذل ، وهو ما يستقل فيه . من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر ، لظهور وجه في بادء الرأي ، وسبب ظهوره أمران :

الأول كون الشبه أمراً جملياً (٣) فإن الجملة أسبق أبدأ إلى النفس من التفصيل ، ألا ترى أن الرؤية لا تصل في أول أمرها إلى الوصف على التفصيل لكن على الجملة ثم على التفصيل ، ولذلك قيل - النظرة الأولى حمقاء ، وفلان لم ينعم النظر - وكذا سائر الحواس ، فإنه يُدرك من تفاصيل الصوت والذوق في المرة الثانية ما لم يدرك في الأولى فمن يروم التفصيل كمن يتتبع الشيء من بين جملة يريد تمييزه بما اختلط به ، ومن يروم الإجمال كمن يريد أخذ الشيء مجزأ ، وكذا حكم ما يدرك بالعقل ، ترى الجمل أبدأ تسبق إلى الذهن ، والتفاصيل متعذرة فيها لا تحضر إلا بعد إعمال الرؤية .

والثاني كونه قليل التفصيل مع غابة حضور المشبه به الذهن إما عند حضور المشبه لقرب المناسبة بينهما ، كتشبيه العنبة الكثيرة السوداء بالإجاصة (٤) في الشكل وفي المقدار والحجرة الصغيرة بالكوز كذلك ، وإما مطلقاً لتكرره على الحس ، كما مر من تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة في الامتدادة والاستتارة ، فإن قرب المناسبة والتكرار كل واحد منهما يعارض التفصيل لاقتضائه سرعة الانتقال .

(١) هو كل من ميل الطبع وإفادة النفس نشاطاً وروحاً وإزالة الحجاب ،

(٢) يعني بذلك أن ما سبق من تقسيمهم وجه الشبه إلى حسي وعقلي وهو في التحقيق عنده لا يكون إلا عقلياً مبني على هذا التسامح ، لأنهم لما جعلوا منزوم وجه الشبه من وجه الشبه جاز أن يكون وجه الشبه حسياً ، لأن منزوم العقلي قد يكون حسياً .

(٣) بأن يكون أمراً واحداً لا تركيب فيه ، كتشبيه الحد بالورد في الحجرة ، أو يكون مركباً لم ينظر إلى أجزائه ، كتشبيه رجل بالفرس في الحيوانيسة . والقرب والابتذال وكذا البعد والغربة يرجع كل منها فيما ذكر إلى أمور ذاتية لا تتأثر بكثرة الاستعمال أو قلته ، فالقريب قريب وإن قل استعماله ، والبعيد بعيد وإن كثر استعماله ؛

(٤) الإجاصة واحدة الإجاص ، وهو شجر ثمره لذيذ حلو .

البعيد الغريب : والبعيد الغريب ، وهو مالا ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فسكر لحفاء وجهه في بادئ الرأي ، وسبب خفائه أمران :

أحدهما كونه كثير التفصيل كما سبق من تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل (١) فإن ما ذكرناه من الهيئة (٢) لا يقوم في نفس الرائي لمرآة الدائمة الاضطراب إلا أن يستأنف تأملا ، ويكون في نظرة متمهلا .

والثاني ندور حضور المشبه به في الذهون إما عند حضور المشبه لبعده المناسبة بينهما ، كما تقدم من تشبيه البنفسج بنار السكبريت (٣) وإما مطلقاً لكونه هماً أو مركباً خيالياً أو مركباً عقلياً ، كما مضى من تشبيه نصال السهام بأنياب الأغوال (٤) وتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت منشورة على رماح من الزبرجد (٥) وتشبيهه مثل أجبار اليهود بمثل الحمار يحمل أسفاراً (٦) فإن كلا سبب لندرة حضور المشبه في الذهن . أو لقلة تذكره على الحس ، كما مر من تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل (٧) فإنه ربما يقضى الرجل دهره ولا يتفق له أن يرى مرآة في يد الأشل ، فالغربة في هذا التشبيه من وجهين (٨) .

والمراد بالتفصيل أن يُنظر في أكثر من وصف واحد لشيء أو أكثر ، وذلك يقع على وجوه كثيرة ، والأغاب الاعرف منها وجهان :

أحدهما أن تأخذ بعضاً (٩) وتدع بعضاً ، كما فعل امرؤ القيس في قوله :

(١) أنظر ص ٢٧ .

(٢) يعني وجه المشبه فيه .

(٣) انظر ص ٤٢

(٤) انظر ص ١٧ ، وهو مثال للوهى .

(٥) انظر ص ١٦ ، وهو مثال للمركب الخيالي .

(٦) انظر ص ٣٣ ، وهو مثال للمركب العقلي .

(٧) انظر ص ٢٧

(٨) هما كثرة التفصيل وندرة الحضور في الذهن .

(٩) أى من الأوصاف .

حملت رُدينيًا كأنَّ سنانهُ سنا لهب لم يتصل بدُّخان (١)

ففصل السنا عن الدخان وأثبتته مفرداً (٢).

والثاني أن يعتبر الجميع ، كما فعل الآخر في قوله :

وقد لاح في الشريتا كما ترى كمنفقودٍ مُملاً حية حين نوراً (٣)

فإنه اعتبر من الأنجم الشكل والمقدار واللون واجتماعها على المسافة المخصوصة في القرب ، ثم اعتبر مثل ذلك في العنقود المنور من الملاحية .

وكما كان التركيب من أمور أكثر كان التشبيه أبعد وأبلغ ، كقوله (٤) تعالى (إنما مثل الحياة الدُّنيا كماء أنزلناه من السماء فاخترط به نبات الأرض ممَّا يأكل النَّاسُ والْأَنْعَامُ حتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَطْنَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَنَاهَا أَمَرْنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَعَجَلْنَاَهَا حَصِيداً كَأَنَّ لَمْ تَنْسَ بِالْأَمْسِ) فإنها عشر جمل إذا فصلت (٥) وهي وإن دخل بعضها في بعض حتى صارت كلها كأنها جملة واحدة ، فإن ذلك لا يمنع من أن تشير إليها واحدة واحدة ، ثم إن الشبه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض ، حتى لو حذف منها جملة أخل ذلك بالغزى من التشبيه .

ومن تمام القول في هذه الآية ونحوها أن الجملة إذا وقعت في جانب المشبه به تكون على وجوه : أحدها أن تلي نسكرة فتسكون صفة لها ، كما في هذه الآية ، وعليه قول النبي ﷺ « الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة (٦) » والثاني أن تلي معرفة هي اسم

(١) قد سبق هذا البيت في الكلام على الإيثار من الإطناب في الجزء الثاني .

(٢) فزاد السنا بهذا تألقاً وضياء

(٣) انظر ص ٢٦

(٤) آية ٢٤ سورة ١٠

(٥) وتفصيلها — أنزلناه . فاخترط . ممَّا يأكل ، حتى إذا أخذت . وازيدت وطن ،

أنهم قادرون . أنها . فجعلناها . كأن لم تنس .

(٦) الإبل في اللغثة اسم جمع لا واحد له من لفظه ، والراحلة الناقة السكوية ،

فالناس كهذه الإبل لا يكاد يوجد في كل مائة منهم رجل كريم ، ويجوز رفع مائة على أنه مبتدأ ، أي مائة منها ، فتسكون جملة مستأنفة .

موصول فتكون صلة له ، كقوله (١) تعالى (مثلهم كمثل الذي استوتفد نارا) .
الآية ، والثالث أن تلى معرفة ليست باسم موصول فتقع استثناء (٢) كقوله (٣) عز وعلا
(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً) .

ومن أبلغ الاستقصاء في التفصيل وعجيبه قول ابن المعتز :

كأننا وضوء الصبح يستعمل الدجى . نظير غرابا ذا قوادم جون (٤)

شبه ظلام الليل حين يظهر فيه ضوء الصبح بأشخاص الغربان ، ثم شرط أن يكون
قوادم ريشها بيضاء ، لأن تلك الفرق من الظلمة تقع في حواشيها من حيث يلي مضطرب
الصبح وعموده لمع نور (٥) يتخيل منها في العين كشكل قوادم بيض ، وتتمام التدقيق
في هذا التشبيه أن جعل ضوء الصبح لقوة ظهوره ودفعه لظلام الليل كأنه يحفز الدجى
ويستعملها ولا يرضى منها بأن تتمهل في حركتها ، ثم لما راعى ذلك في التشبيه ابتداء
راعاه آخر حيث قال — نظير غراباً — ولم يقل — غراب يطير ونحوه — لأن الطائر إذا
كان واقفاً في مكان فأزعج وأطير منه أو كان قد حبس في يد أو قفص فأرسل كان ذلك
لا محالة أسرع لطيرانه ، وأدعى له أن يستمر على الطيران حتى يصير إلى حيث لا تراه
العيون ، بخلاف ما إذا طار على اختيار فإنه حينئذ يجوز ألا يسرع في طيرانه ، وأن
يصير إلى مكان قريب من مكانه الأول .

وكذا قول أبي نواس في صفة منقار البازي :

(١) آية ١٧ سورة ٢

(٢) لأن قوله (كمثل العنكبوت) يشير إلى سؤال تقديره ما مثله ؟ فيكون قوله
(اتخذت بيتاً) جوابه .

(٣) آية ٤١ سورة ٢٩

(٤) هو لسبب الله بن المعتز ، والدجى جمع دجية وهي الظلمة والقوادم أوائل ريش
الطائر ، والجون جمع جون وهو الأبيض أو الأسود والمراد هنا الأبيض .

(٥) لمع نور فاعل — تقع — ومعظم الصبح فاعل — يلي — يعني أن هذه اللمع
تكون قبل ظهور معظم الصبح ، وفي بعض النسخ — تلى — ففاعله يعود على الفرق ،
ومعظم الصبح مفعوله .

كمعطفة الجيم بكف أعسر (١)

غير خاف أن الجيم خطان : أولها الذى هو مبدؤه وهو الأعلى ، والثانى الذى يذهب إلى اليسار ، وإذا لم يوصل بها (٢) فلها تعريق (٣) والنقار إنما يشبه الخط الأعلى فقط ، فلهذا قال - كمطفة الجيم - ولم يقل كالجيم ، ثم دقق بأن جمعها بكف أعسر، لأن جيم الأعسر يقال إنه أشبه بالنقار من جيم اليمين (٤) ثم أراد أن يؤكد أن الشبه مقصور على الخط الأعلى من الجيم ، فقال :

يقول من فيها بعقل فكترا

لو زادها عيناً إلى فاء ورا فأتصلت بالجيم صارت جعفر (٥)

(١) قبله :

كأن عينيه إذا ما أثارا فصارت قيصاً من عقيق أحمر

في هامة غلياء تهدي منشرا

وقوله - أثار - بمعنى أدرك ثأره ، وقوله - قيصاً - بمعنى شقاً ، والهامة رأس كل شيء وتطلق على الجثة ، والغلياء القوة ، ويروى - علياء - وقوله - تهدي - بمعنى تتقدم ، والمنسر كمنجلس ومنبر متقار الطير الجارح ، ومعطفة الجيم خطها الأعلى ، والأعسر الذى يعمل بشماله .

(٢) معنى إذا لم يوصل بها حرف آخر بأن كانت مفردة أو آخر كلمة .

(٣) التعريق هو أن يمتط بالخط الأسفل إلى اليمين على هيئة قوس كما هو الشأن دائماً في الجيم المفردة .

(٤) لأن الحركة في جيم الأعسر أكثر انحرافاً .

(٥) رامقصور راء ، وفاعل - اتصلت - يعود إلى اليمين ، وقوله - صارت جعفرأ - معنى صارت كلمة جعفر ، ولو أنه اقتصر على ما قبل قوله - يقول من فيها بعقل فكترا - لكان أجود وأرشق وأدخل في مذاهب الفصحاء ، لأنه لا يجهل أحد أن الجيم إذا أضيفت إليها اليمين والفاء والراء كصير جعفرأ ، ثم إن هذا لا يدخل في صفة البازي ، وقد اعتذر له بأنه أراد أنها تشبه الجيم لا تغادره من شبهها شيئاً ، حتى إنها لو زيدت عليها هذه الأحرف صارت جعفرأ لشدة شبهها بها .

فأبان أنه لم يَدْخل التعريق في التشبيه لأن الوصل يستقطه أصلاً، ولا الخط^(١) الأسفل وإن كان لا بد منه مع الوصل ، لأنه قال — فاتصات بالجيم — أى بالمطفة المذكورة ولم يقتصر على قوله — لو زادها عينا إلى فاء ورا — ولأجل هذا التدقيق قال — يقول من فيها بعقل فـكـرا — فنبه على أن بالمشبه حاجة إلى فضل فـكـر ، وأن يكون فـكـره فـكـر من يراجع عقله .

وإذ قد تحققت ما ذكرنا من التفصيل علمت أن قول امرئ القيس في وصف السنان^(٢) أعلى طبقة من قول الآخر :

ميتابعُ لا يبتغي غـيـرَهُ بأبيض كالقبس الملتهب^(٣)

لحلّو الثاني عن التفضيل الذي تضمنه الأول ، وهو قصر التشبيه على مجرد السنا تصويره مقطوعاً عن الدخان ، ومعلوم أن هذا لا يقع في الخطر أوّل وهلة ، بل لا بد فيه من أن يتثبت وينظر في حال كل من الفرع والأصل ، حتى يقع في النفس أن في الأصل شيئاً يقدح في حقيقة التشبيه وهو الدخان الذي يملأ رأس الشعلة .

وكذا قوله :

وكان أجرامَ النجوم لوامعاً دُرّ ثرن على بساط أزرق^(٤)
أفضل من قول ذي الرمة :

كأنها فضة قد مسها ذهب^(٥)

(١) فلو كان الخط الأسفل داخلاً في التشبيه لم يقل ذلك ، لأن المطفة مع ذلك الخط لا تحتاج في اتصالها بغيرها إلى واسطة .

(٢) انظر ص ٦٥ .

(٣) هو لعنتره العيسى ، والضمير في قوله — يتابع — لورد بن حابس ، وفي قوله — غيره — لنضلة الأسدى ، وكان لورد نأر عنده ، والقبس الملتهب هو النار الموقدة فالشبه به واحد في البيتين .

(٤) انظر ص ٢٦ .

(٥) هو من قوله :

لأن الأول مما يشدر وجوده دون الثاني ، فإن الناس أبدا يرون في الصياغات فضة قد موّعتْ بذهب ، ولا يكاد يتفق أن يوجد درر قد نثرن علي بساط أزرق .

وكذا بيت بشار^(١) أعلى طبقة من قول أبي الطيب :

يزورُ الأعادي في سماء عجاجة أَسْنَتُهُ في جانبها السكواكب^(٢)

وكذا من قول الآخر :

تبني سُنابكها من فوق رؤسهم سَقْفًا كَوَاكِبُهُ البَيْضُ المَبَاتِيرُ^(٣)

لأن كل واحد منهما وإن راعى التفصيل في التشبيه فإنه اقتصر على أن أراك لعمان الأسنّة والسيوف في أثناء العجاجة ، بخلاف بشار فإنه لم يقتصر على ذلك ، بل عبر عن هيئة السيوف وقد مُلّتْ من أغمادها وهي تملو وترسب وتجيء وتذهب ، وهذه الزيادة زادت التفصيل تفصيلا ، لأنها لا تقع في النفس إلا بالنظر إلى أكثر من جهة واحدة ، وذلك أن للسيوف عند احتدام الحرب واختلاف الأيدي بها في القرب اضطرابا شديدا وحركات سريعة ، ثم لتلك الحركات جهات مختلفة تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض ، ثم هي باختلاف هذه الأمور تتلاقى ويصدم بعضها بعضا ، ثم أشكلها مستطيلة ، فنبتت على هذه الدقائق بكامة واحدة وهي قوله - تهاوى - لأن

= كحلأ في برج صفراء في نعيم كأنها فضة قد مسها ذهب

والبرج أن يكون بياض المين محذقا بالسواد كله لا يغيب من سوادها شيء ، أو نجل المين وسمتها ، والنعيم البياض الخالص ، والمراد أن صفرتها يشوبها بياض خالص وهو محمود عندهم .

(١) أنظر ص ٢٦

(٢) المحاجة النبار ، والأسنّة جمع سنان وهو نصل الرمح .

(٣) هو لسكثوم بن عمرو المَنَابِي ، وفي أسرار البلاغة أنه لعمرو بن كاثوم ، ولعله تحريف من الناسخ ، والسُنابك جمع سُنْبِك وهو طرف الخنجر ، وقوله - سَقْفًا - بمعنى غبار كالسقف فهو استعارة ، والبيض المَبَاتِير هي السيوف القواطع ، والمَبَاتِير جمع مبتار صيغة مبالغة من - بتر - بمعنى قطع .

السكر والكرب إذا نهوت اختلفت جهات حركتها ثم كان لها في التهاوى توقع وتداخل،
ثم استطلت أشكالها .

وكذا قول الآخر في الآذريون :

مدهان من ذهب فيها بقايا عاليه (١)

أعلى وأفضل من قوله فيه :

ككأس عقيق في قراراتها مسك (٢)

لأن السواد الذى فى باطن الآذريونة الموضوعة بإزائه الغالبة والمسك فيه أمران :
أحدهما أنه ليس بشامل لها ، والثانى أنه لم يستدر فى قعرها بل ارتفع منه حتى أخذ
شيئاً من سمكها من كل الجهات ، وله فى منقطه هيئة تشبه آثار الغالية فى جوانب
الدهن إذا كانت بقية بقيت عن الأصابع ، وقوله فى قراراتها مسك - يبين الأمر الأول
ويؤمّن من دخول النقص عليه كما كان يدخل لو قال - فيها مسك - ولم يشترط أن
يكون فى القرارة ، وأما الثانى فلا يدل عليه كما يدل قوله - بقايا غالية - لأن من شأن
المسك والشئ اليابس إذا حصل فى شئ مستدير له قعر أن يستدير فى القعر ولا يرتفع
فى الجوانب الارتفاع الذى فى سواد الآذريونة ، بخلاف الغالية فإنها رطبة ، ثم تؤخذ

(١) هو لمبد الله بن المعتز ، وقد جاء قبله :

سقياً لروضات لنا من كل نور حاله

عيون آذريونها للشمس فيها كاليه

والنور الزهر ، والآذريون ورد له أوراق حمر فى وسطه سواد له نبوءة وارتفاع
وقد يكون أصفر ، وهو معرب آذرجون أى لون النار ، وكالية اسم فاعل من - كلاً -
ومعنى كلاًتها للشمس أنها تدور معها حيث دارت ، والمدهان جمع مدهن وهو حق
الدهن ، والغالية أخلاط من الطيب .

(٢) هو من قول عبد الله بن المعتز أيضاً :

وطاف بها ساق أديب بمنزل كخنجر عيار صناعته الفتك

وحمل آذريونة فوق أذنه ككأس عقيق فى قراراتها مسك

بالأصابع فلا بد في البقية منها أن ترتفع عن القرارة ذلك الارتفاع ، ثم هي لنموها
ترقى فتسكون كالصبيغ الذي لا يظهر له جرم وذلك أصدق للشبه .

التشبيه البعيد هو التشبيه البليغ : والبليغ من التشبيه ما كان من هذا النوع
- أعنى البعيد - لغرابته (١) ولأن الشيء إذا نيل بعد الطاب له والاشتياق إليه كان نياله
أحلى ، ومرقعه من النفس اللطف والمسرعة أولى ، ولهذا ضرب المثل لكل ما لطف
موقعه ببرد الماء على الظمأ ، كما قال :

وهنَّ ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذى الغائصة الصادي (٢)

لا يقال : عدم الظهور ضرب من التعميد والتعقيد مذموم ، لأننا نقول : التعميد كما
سبق له سببان : سوء ترتيب الالفاظ واختلال الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني
الذى هو المراد باللفظ، والمراد بعدم الظهور في التشبيه ما كان سببه لطف المعنى ودنائه أو
ترتيب بعض المعاني على بعض ، كما يشعر بذلك قولنا (٣) في بادىء الرأى ، فإن المعانى الشريفة
لا بدَّ فيها من غالب الأمر من بناء ثانٍ على أول وردَّ نالٍ إلى سابق ، كما في قول البحتري

== والمبزل ما يصفى به الشراب وهو شبه حلقة الضرع فى الدن ونحوه يسيل الشراب
منه ، والعيار الكثير التجول والطواف أو الذى يتردد بلا عمل ، ووجه الشبه بين المبزل
والحنجر الاعوجاج فيهما ، وقد روى - وجول آذريونة - يعنى أنه أدار هذا الورد
فوق أذنه ، وهذه عادة الفرس يحملون الورد فوق آذانهم ، والعقيق خرز أحمر .

(١) يريد بهذا أن البليغ من التشبيه هو هذا النوع ، وهذه التسمية مأخوذة من
البلاغة بمعنى اللطف والحسن لا من البلاغة بمعنى المطابقة لمقتضى الحال ، لأن التشبيه
لا يتفاوت هذا التفاوت من هذه الناحية ، وهذه طريقة بعض علماء البيان في التشبيه
البليغ ، والمشهور أنه هو التشبيه المحذوف الأداة .

(٢) هو لعمير بن شبيب القطامي ، وقوله - ينبذن - بمعنى يرمين ويطرحن ومن
تبعيضية ، والثلة الحرقه ، والصادى الشديد العطس ، ومواقع مفعول يصبن .

(٣) أى في تعريف البعيد الغريب فيما سبق .

— فان على أيدي العفاة — البديع (١) فإنك تحتاج في تعريف معنى البيت الأول إلى معرفة وجه المجاز في كونه دانياً وشاعراً ، ثم تعود إلى ما يعرض البيت الثاني عليك من حال البدر ، ثم تقابل إحدى الصورتين بالأخرى ، وتنظر كيف شرط في العلو الإفراط ليشاكل قوله — شاسع — لأن الشسوع هو الشديد من البعد ، ثم نقابله بتأيشا كله من مراعاة التماهي في القرب ، فقال — جد قريب — فهذا ونحوه هو المراد بالحاجة إلى الفسك ، وهل شيء أحلى من الفسك إذا سادف نهجاً قوياً إلى المراد ، قال الجاحظ في أثناء نصل يذكر فيه ما في الفسك من الفضيلة : وأين تقع لذة الهيممة بالمهوعة ولذة السبع بطاع الدم وأكل اللحم من سرور الظفر بالأعداء ، ومن انفتاح باب العلم بعد إذمان قرعه .

تحول القريب إلى بعيد : وقد يتصرف في القريب المبتدل بما يخرج منه
الابتدال إلى العراة ، وهو على وجوه : منها أن يكون كقوله :

لم نلق هذا الوجه شمس نهارنا إلا بوجه ليس فيه حياء (٢)

وقوله :

فردت علينا الشمس والليل راغم^٣ بشمس لهم من جانب الخدر تطلع
فوالله ما أدري الأحلام نائم^٤ ألت بنا أم كان في الركب يوشع (٢)

(١) انظر ص ٨

(٢) هو لابي الطيب في مدح هارون بن عبد العزيز ، والتشبيه فيه ضمني ، لأن وجه الممدوح إذا كان أعظم من الشمس في الضياء لزم اشتراكهما في أصله ، فيثبت التشبيه ضمناً ، وكأنه قال هذا الوجه كالشمس في أصل الحسن فقط .

(٣) هما لابي تمام ، والراغم اسم فاعل من — رغم — كفرح وكرم بمعنى ذل وإعما حصل هذا الليل لزاوله بطوعها ، والضمير في — لهم — للخليط في البيت قبلها وهو يطلق على الواحد والجمع ، والخدر الشتر الذي يمد لأجارية أو ما يفرد لها من السكن أو كل ما يتوارى به ، وقوله — ألت — بمعنى نزلت ، وهو يشير بقوله — أم كان في الركب يوشع — إلى قصة يوشع مع الشمس ، وسيأتي تفصيلها في الكلام على التلخيص في علم البديع ، والشاهد في قوله — بشمس لهم — لأن تقديره بحارية لهم كالشمس ، وهذا استعارة لا تشبيه .

فإن تشبيهه وجوه الحسان بالشمس مبتذل ، لكن كل واحد من حديث الحياء في
الأول والتشكيك مع ذكر يوشع عليه السلام في الثاني أخرجه من الابتذال إلى الثرابة .
وشبيه بالأول قول الآخر :

إنَّ السحاب لتستحي إذا نظرتُ . إلى نذاك فقاسته بما فيها (١)
ومنها أن يكون كقوله :

عزمائه مثلُ النجوم ثواقباً لو لم يكن للثاقبات أقول (٢)
وقوله :

مها الوحش إلا أن هاتا أو انس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل (٣)
وقوله :

يكادُ يحكيك صوب الغيث منسكباً لو كان طائق الحياء يطر الذهبا
والبدر لو لم ينب والشمس لو نثقت والاسند لو لم تصد والبحر لو عذبا (٤)
وهذا يسمى التشبيه المشروط (٥)

(١) هو للحسن بن هانيء المعروف بأبي نواس ، والندي الكرم ، ورواية الديوان
- نداه - وما في السحاب هو المطر ، يعني أنها تستحي إذا شبت نذاك بمطارها لأنه
أعظم منه ، وفي هذا تشبيه ضمنى أيضاً .

(٢) هو لمحمد بن إبراهيم المعروف برشيد الدين الوطواط ، والثواب الزوائد ،
والأقول الغروب .

(٣) هو لأبي تمام ، والمها يقرب الوحش واحده مهاة ، واسم الإشارة - هاتا - يعود
إلى النسوة المشبهات ، والقنا الرماح واحده قناة ، والخط اسم بلد تصنع فيها ، والذوابل
النجافة ، واسم الإشارة - تلك - يعني أن قدودهن تفضلها بالطراوة والنضارة .

(٤) هما لاحمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان الهمداني ، والغيث المطر وصوبه
عطاؤه ، والحيا الوجه ، وطلق الوجه ضاحكه .

(٥) إنما سمي هذا الوجه بذلك لما فيه من الشرط ، والثرابة فيه ناشئة من كونه
مشروطا ، والشرط قد يكون في التشبه أو للشبه به أو فيهما .

ومنها أن يكون كقوله :

في طلعة البدر شيء من محاسنها وللقضيب نصيبٌ من ثنيتها (١)

وقول ابن بابك :

ألا يارياض الحزن من أ برق الحمى نسيمك مسروقٌ ووصفك مُنتحل (٢)
حكيت أباسعد فثشرُك ثشرُه ولكن له صدقُ الهوى ولك الملل (٣)

وقد يخرج من الابتذال بالجمع بين عدة تشبيهات ، كقوله :

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضدٍ أو بردٍ أو أقالح (٤)

كما يزداد بذلك لطفاً وغبابة ، كقوله :

له أَيْطالا طَبْسِي وساقا نعامية وإرخاءُ سرْحانٍ وتقريبُ تنفل (٥)
أقسام التشبيه باعتبار أداته : المؤكد : وأما باعتبار أداته فلما مؤكِّدٌ أو مرسلٌ ،

(١) هو للبحترى ، والمحاسن جمعٌ مُحسِّن على غير قياس لأنه لا واحد له من لفظه ،
والقضيب النصف ، والغبابة في التشبيهين ناشئة من قاب التشبيه فيهما ، ويريد بثنيها
تماماً وتبخترها .

(٢) الحزن الأرض الغليظة ، وأ برق الحمى موضع ، ونسيمها رائحتها ، ووصفها
نضارتها وبهجتها ، والمنتحل اسم مفعول من - انتحل كذا - بمعنى ادعاه لنفسه وهو
لغيره . وابن بابك هو عبد الصمد بن منصور .

(٣) النشر الرائحة ، وصدق الهوى ثباته ، والملل الشأم يريد به سرعة زوال نضرتها
من إطلاق السبب وإرادة السبب ، والغبابة فيه ناشئة من قلب التشبيه أيضاً ، وأوسعد
هو علي بن محمد بن خلف الهمداني .

(٤) انظر ص ٥١

(٥) هو لامرئ القيس في وصف فرسه ، وأَيْطالا الطَّبْسِي خاضعته ، والسرْحان
الذئب ، وإرخاءه جريه في سهولة ، والتنفل ولد الثعلب ، وتقريبه عدوه ، وإنما زاد
التشبيه هنا لطفاً لتمدد الشبه والشبه به فيه ، أما التشبيه قبله فلم يتمدد فيه إلا
الشبه به .

والمؤكد ما حذفت أداته ، كقوله (١٩) تعالى (وهي تمر مرة السحاب) وقوله (بأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً) (٢٠) وقول الحماسي :

همُ البحور عطاءً حين تسألهم وفي اللقاء إذا تلقى بهمُ بهمُ (٢١)
إلى غير ذلك كما سبق (٢٢) ومنه نحو قول الشاعر :
والريحُ تعبثُ بالنصون وقد جرى ذهبُ الأصيل طي لجين الماء (٢٣)
وقول الآخر يصف القمر لآخر الشهر قبل السرار :
كأنما أدمُ الإظلام حين نجى من أشهب الصبح ألقى نعل حافره (٢٤)

(١) آية ٨٨ سورة ٢٧

(٢) آية ٤٥ ، ٤٦ سورة ٣٣

(٣) هو لزياد بن حمل ، والهم واحد همة وهو الشجاع الذي لا يدري كيف يؤتى لاستبهار شأنه .

(٣) في أمثلة التشبيه من أول باب إلى هنا ، فقد ورد فيها كثير من التشبيه المؤكد .

(٥) هو لابراهيم بن أبي الفتح المعروف بابن خفاجة الأندلسي ، والأصيل ما بين البصر والغرب ، واللجين الفضة ، وقد جرى التشبيه المؤكد هنا على طريقة مخالفة لما سبق من أمثلة ، وهي إضافة المشبه به إلى المشبه في قوله — لجين الماء — أما قوله — ذهب الأصيل — فهو استعارة لا تشبيه .

(٦) هو لعبد الجبار بن حمد يس الصقلي ، والأدم الفرس الأسود ، والأشهب الفرس الأبيض ، والمراد تشبيه الليل بالفرس الأدم والصبح بالفرس الأشهب والقمر قبل السرار بالنعل الذي يكون في رجل الفرس لمشايمته له في الدقة والانطاف ، وقد جرى في التشبيهين الأولين على إضافة المشبه به إلى المشبه أيضاً ، أما قوله — نعل حافره — فهو استعارة لحذف المشبه فيه .

وقول الشريف الرضى :

أرسي النسيم بواديكم ولا برحت
ولا يزال جنين النبت ترضعه
حوامل المزن في أجداثكم تضع
على قبوركم التعراضة الهمع^(١)

المرسل : والمرسل ما ذكرت أداته ، كقوله (٢) تعالى (مثل الذي
استودع ناراً) وقوله (٣) عز وجل (عرضها كعرض السماء والأرض) وقول
امرىء القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنه
وقول البحتري :

وإذا الأسنه خالطتها خلثها
إلى غير ذلك كما تقدم^(٦)
فيها خيال كواكب في الماء^(٥)

(١) هما لى بن موسى المعروف بالشريف الرضى ؛ وقوله — أرسي — بمعنى ثبت
وهي جملة دعائية ، والمزن السحاب ذو الماء ، والأجداث القبور ، والمراضة السحاب
المريض ، والهمع الماطر ، والشاهد في قوله — حوامل المزن ، وجنين النبت — فهو
من إضافة المشبه به إلى المشبه على حد لجين الماء .

(٢) آية ١٧ سورة ٢

(٣) آية ٢١ سورة ٥٧

(٤) قوله — تعطو — بمعنى تتناول ، والرخص اللين وصف لإصبعها ، والشثن
الغليظ ، والأساريح جمع أسروع وهو دود يكون في البقل والأماكن النديّة تشبه
به أنامل النساء في عهدهم ، وظي اسم موضع ، والإسجل شجر له غصون يستاك بها .
(٥) الضمير في — خالطتها — يعود إلى الدروع ، وفي — خلثها للأسنه ،
والأسنه الرماح ، يريد تشبيه الرماح إذا خالطت الدروع بخيال الكواكب حين يبدو
في الماء ، لأن الأسنه تكون لامعة كالسكاكب والدروع تكون صافية كالماء .
(٦) في أمثلة التشبيه فيها مضى إلى أول الباب ، لأن فيها كثيراً من أمثلة التشبيه
المرسل .

أقسام التشبيه باعتبار الغرض : المقبول : وأما باعتبار الغرض فإما مقبول أو مردود
 — المقبول الوافي بإفادة الغرض ، كأن يكون المشبه به أعرف شيء بوجه الشبه (١) إذا
 كان الغرض بيان حال المشبه من جهة وجه الشبه أو بيان المقدار ، ثم الطرفان في
 الثاني (٢) إن تساويا في وجه الشبه فالتشبيه كامل في القبول ، وإلا فكلاهما كان المشبه به
 أسلم من الزيادة والنقصان كان أقرب إلى السكالم . أو كأن يكون المشبه به أتم شيء (٣)
 في وجه الشبه إذا قصد إلحاق الناقص بالسكالم ، أو كأن يكون المشبه به مسلم الحكم
 معروفاً عند المخاطب في وجه الشبه إذا كان الغرض بيان إمكان الوجود .
المردود : والمردود بخلاف ذلك ، أي القاصر عن إفادة الغرض (٤) .

(١) الحق أنه لا يشترط إلا أن يكون المشبه به أعرف الطرفين بذلك ، ويكفي أن
 يكون أعرفهما به عند السامع وإن لم يكن كذلك عند غيره ، ولا يشترط في وجه
 الشبه أن يكون صفة ظاهرة في المشبه به كما ذهب إليه بعضهم ، لأنه يصح أن يكون صفة
 خفية ولكن يجب بيانها في التشبيه ، كقولك — رأيت رجلاً كالأسد في البسج — .
 (٢) أي بيان المقدار .

(٣) الحق أنه لا يشترط أيضاً إلا أن يكون المشبه به أتم الطرفين فقط في ذلك .
 (٤) من التشبيه المردود قول الفرزدق :
 يمشون في حلق الحديد عليهم جرب الجبال بها السكحيل المشعل
 شبه الرجال في دروع الزرد بالجبال الجرب ، وهو مردود لأنه إن أراد السواد فلا
 مقارنة بينهما في اللون لأن لون حديد الدروع أبيض ، وإن أراد شيئاً آخر فهو غير
 واضح مع ما فيه من السخف .
 ومن ذلك قول الآخر في وصف السهام :

كسأها رطيب الرئيش فاعتدلت له قداح كعناق الظباء الفوارق
 لأن ما هذا حاله لا ملائمة بين الطرفين فيه .
 وقد قيل : إن جماعة جعلوا الابتذال مما يزد به التشبيه ، فيكون التشبيه القريب
 للبتذل من المردود ، والحق أنه تشبيه مقبول وإن لم يبلغ مرتبة التشبيه البعيد الغريب .

خاتمة

مراتب التشبيه : قد سبق أن أركان التشبيه أربعة . المشبه ، والمشبّه به ، وأداة التشبيه ، ووجهه . فالحاصل من مراتب التشبيه في القوة والضعف في المبالغة باعتبار ذكر أركانه كلها أو بعضها ثمان : إحداها ذكر الأربعة ، كقولك — زيد كالأسد في الشجاعة — ولا قوة لهذه المرتبة (١) وثانيتها ترك المشبه كقولك — كالأسد في الشجاعة — أي زيد ، وهي كالأولى في عدم القوة (٢) وثالثتها ترك كلمة التشبيه ، كقولك — زيد أسد في الشجاعة — وفيها نوع قوة (٣) ورابعها ترك المشبه وكلمة التشبيه ، كقولك — أسد في الشجاعة — أي زيد ، وهي كالثالثة في القوة وخامستها ترك وجه المشبه — كقولك زيد كالأسد — وفيها نوع قوة لعموم وجه المشبه من حيث الظاهر وسادستها ترك المشبه ووجه التشبيه ، كقولك — كالأسد — أي زيد ، وهي كالخامسة . وسابعها ترك كلمة التشبيه ووجهه ، كقولك — زيد أسد — وهي أقوى الجميع ، وثامتها إفراد المشبه به بالذكر ، كقولك — أسد — أي زيد ، وهي كالسابعة (٤) .

- (١) لعدم المبالغة فيها بذكر الأداة وتخصيص وجه المشبه .
 - (٢) لأن حذف المشبه لا تأثير له في إفادة المبالغة التي تملو بها مرتبة التشبيه .
 - (٣) لأن حذف الأداة يفيد أن المشبه عين المشبه به ادّعاء ، لأن الخبر عين مبتدأ في المعنى .
 - (٤) هذا وللتشبيه مراتب أيضا باعتبار أدواته ، فنحو — كأن زيد أسد — أبلغ من نحو — زيد كالأسد — لأن كأن تفيد الظن مع التشبيه ، والظن قريب من العلم يفيد شدة المشابهة .
- وكذلك له مراتب باعتبار أقسامه السابقة من كون وجه المشبه فيه مقردا ، أو مركبا حسيا أو عقليا إلى غير ذلك من أقسامه ، ولو أنه رتب الكلام في التشبيه على بيان تلك المراتب ومجمل تلك الأقسام تابعة لها لسكانت الفائدة أتم ، لأن عنايته بالتقسيم لذاته جعلته يستقصى فيه إلى ذلك الحد المأمور ، ويميل بيان تلك المراتب مع أنه هو الأهم .

واعلم أن الشبه (١) قد يُنتزع من نفس التضاد لاشتراك الضدين فيه ، ثم ينزل منزلة التناسب (٢) بواسطة تمليح أو تهكم (٣) فيقال للجنيات — ما أشبهه بالأسد ، والبيخيل هو حاتم

(١) يعنى به وجه التشبيه .

(٢) كان الأحسن تقديم هذا علي ما قبله ، لأن الذى يحصل أولاً تنزيل التضاد منزلة التناسب ، ثم ينتزع الشبه منه بعد هذا التنزيل ، والمراد بالتضاد مطابق التقابل .
(٣) التمليح هو الإتيان بما فيه ملاحظة وظرافة ، والتهكم الاستهزاء ، والنسبة بينهما المموم والخصوص الوجهى ، وقيل : إن التمليح إيراد القبيح في صورة شيء ملبس للامتطراف . وبما جاء من ذلك قول أبى نواس :

أصبح الحسن منك يا أحسن الأمّة يحكى سماجة ابن حبش
وقول عمرو بن معد يكرب :

أتوعدنى كأنك ذو رعين بأنقم عيشة أو ذو نواس
فلا تقهر بملكك كل ملك يصير لئله بعد الشمس

تمارين على التشبيه

تمرين - ١

- ١ - من أى قسم من أقسام التشبيه باعتبار الطرفين قول الشاعر :
نحطُّنَا الأيامُ حقَّ كأننا زجاجٌ ولكن لا يعاد لنا منك
- ٢ - بين التشبيه الضمى فى قول الشاعر :
إنَّ السلاحَ جميعُ الناسِ تحمله وليس كلُّ ذوات الخلب السُّبع

تمرين - ٢

- ١ - من أى قسم من أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه قول الشاعر :
أيهجرنى قـومى عفا الله عنهم إلى لفةٍ لم تصل بلغات
سرت لوتة الإفرنج فيها كما سرى لعب الأفاعى فى مسيل فرات
- ٢ - ما الفرق بين التشبيه المؤكد والتشبيه البليغ عند الخطيب وعند غيره ؟

تمرين - ٣

- ١ - من أى أقسام التشبيه باعتبار الأداة قول الشاعر :
وتراكضوا خيل الشباب وبادروا أن تستردُّ فأنهن عوارى
- ٢ - ما هو الغرض من التشبيه فى قول الشاعر :
ويا وطنى إقيتك بعد يأس كأنى قد لقيت بك الشبابا

تمرين - ٤

- ١ - لماذا فضل عبد الملك بن مروان قول ابن قيس الرُّفَياتِ فى مصعب بن الزبير :
إنما مصعبٌ شهابٌ من الأ .. تجلت عن وجه الظلماء

على قوله فيه :

يأتلق التّساج فوق منشرة على جبين كأنّه الذهب
(٢) لماذا قبح التشبيه في قول أبي نواس في وصف الحر :

وإذا ما المساء واقعها أظهرت شكلاً من الغزل
لؤلؤات يتحدّرن بها كأنحدار الذّر من جبل

تمرين - ٥

أى التشبيهين أبلغ في هذين البيتين :

يا شبيه البدر حسناً وضياء ومنالاً
في ظلمة البدر شئ من محاسنها وللفضيب نصيب من تشبها
(٢) ما الفرق بين التشبيه والتشليل ؟ وأيهما أعلى منزلة في التشبيه ؟

تمرين - ٦

بين أركان التشبيه وأقسامه باعتبارها فيما يأتي :

- (١) والنفس كالطفل إن تهمل شبّ على حب الرضاع وإن تفطمه ينقطع
- (٢) الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق
- (٣) والبدر في أفق السماء كمادة يضاء لاحت في ثياب حداد
- (٤) أبا بل رأى العين أم هذه مصر فإني أرى فيها عيوناً هي السحر
- (٥) ومكثف الأيام ضدّ طباعها متطلب في الماء جذوة نار

تمرين - ٧

وازن بين التشبيه في هذين البيتين :

- (١) ألا إنما ليلى عصا خيزرانة متى غمزوها بالأحف تلين
- (٢) إذا قامت لحاجتها تشدّت كأنّ عظامها من خيزران

القول في الحقيقة والمجاز

وقد يقيدان باللغوئين (١)

تعريف الحقيقة : الحقيقة الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح به
التخاطب (٢) فقولنا - المستعملة - احتراز عما لم يستعمل ، فإن الكلمة قبل الاستعمال
لا تسمى حقيقة ، وقولنا - فيما وضعت له - احتراز عن شيئين : أحدهما ما استعمل
في غير ما وضعت له غلطا ، كما إذا أردت أن تقول لصاحبك - خذ هذا الكتاب -
مشيراً إلى كتاب بين يديك ، فنلظت فقلت - خذ هذا القوس - والثاني أحد
قسمي المجاز - وهو ما استعمل فيما لم يكن موضوعاً له لا في اصطلاح به التخاطب
ولا في غيره ، كلفظة الأسد في الرجل الشجاع ، وقولنا - في اصطلاح به التخاطب -
احتراز عن القسم الآخر من المجاز ، وهو ما استعمل فيما وضع له لا في اصطلاح به
التخاطب ، كلفظ الصلاة يستعمله المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازاً (٣) .
تعريف الوضع : والوضع تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنسبة (٤) فقولنا - بنفسه -

(١) إنما يقيدان بذلك ليخرج عنهما الحقيقة والمجاز العقلاني ، وقد سبق في باب
الإسناد الجبري من علم الماني ، وبهذا يكون المراد باللغوي منهما ما قابل العقلي فيدخل
فيه الشرعي والعرفي الآتيان .

(٢) الأحسن أن يذكر في التعريف اللفظ بدل الكلمة ليشمل الحقيقة المركبة أيضاً ،
كقوله - الصدق حسن - باعتبار الهيئة التركيبية لا باعتبار الإسناد ، وقيل : إن
المركب لا يطلق عليه حقيقة لغوية .

(٣) لأنها في عرف الشرع حقيقة في الأقوال والأفعال المفتحة بالتكبير الختمة
بالتسليم ، أما في عرف اللغة فهي حقيقة في الدعاء لا مجاز ، وقد سكت عن خروج السكناية
من تعريف الحقيقة للخلاف في خروجها منه ، فقد قيل : إنها مستعملة في غير ما وضعت له
فتكون مجازاً . وقيل : إنها مستعملة فيما وضعت له فتكون حقيقة . وقيل : إنها
ليست بحقيقة ولا مجاز .

(٤) أي بغير وساطة قرينة ، وبهذا يدخل فيه وضع الحروف لأن معانيها تفهم
منها بغير قرينة وإن كانت غير مستقلة بنفسها .

احتراز من تعيين اللفظ للدلالة على معنى بقرينة — أعنى المجاز — فإن ذلك التعيين لا يسمى وضعاً ، ودخل المشترك في الحد لأن عدم دلالة على أحد معنييه بلاقريئة لارض — أعنى الاشتراك — لا ينافي تعيينه للدلالة عليه بنفسه (١) وذهب السكاكي إلى أن المشترك كالقرء بمعنى معناه الحقيقي هو مالا يتجاوز معنييه كالطهر والحيض غير مجموع بينهما (٢) قال : فهذا ما يدل عليه بنفسه ما دام منتسباً إلى الوضعين ، أما إذا خصصته بواحد إما صريحاً مثل أن تقول — القرء بمعنى الطهر — وإما استلزاماً مثل أن تقول — القرء لا بمعنى الحيض — فإنه حينئذ ينتصب دليلاً دالاً بنفسه على الطهر بالتعيين كما كان الوضع عيشته بإزائه بنفسه ، ثم قال في موضع آخر (٣) : وأما ما يظن بالمشترك من الاحتياج إلى القرينة في دلالة على ما هو معناه فقد عرفت أن ما شأ هذا الظن عدم تحصيل معنى المشترك الدائر بين الوضعين — وفيما ذكره نظر ، لأننا لا نسلم أن معناه الحقيقي ذلك ، وما الدليل على أنه عند الإطلاق يدل عليه ؟ ثم قوله — إذا قيل القرء بمعنى الطهر أولاً بمعنى الحيض فهو دال بنفسه على الطهر بالتعيين — فهو ظاهر ، فإن القرينة كما تكون معنوية تسكون لفظية ، وكل من قوله — بمعنى الطهر — وقوله — لا بمعنى — الحيض — قرينة (٤) .

(١) فقرينة المشترك إنما هي لتعيين المراد منه ، ولا يحتاج فهم أحد المعنيين منه على الإطلاق إلى قرينة ، أما قرينة المجاز فيحتاج إليها في نفس الدلالة على المعنى المجازي .
(٢) ١٩١ — المفتاح ، ويريد بذلك أن المشترك عند الإطلاق صالح لكل من المعنيين ، فهو عند الإطلاق يدل بنفسه على معناه الذي هو أحدهما لا بعينه ، وحينئذ لا يكون هناك خلاف بينه وبين الخطيب في معنى المشترك ، ولا يكون هناك وجه لاعتراض الخطيب عليه بما يأتي .

(٣) ١٩٢ — المفتاح

(٤) هذا الاعتراض ساقط لأن السكاكي لا يريد إلا أن ذلك ليس قرينة لدلالة اللفظ على المعنى ، بل لتعيين دلالة على أحد معنييه كما سبق ، وما كان أعنى الخطيب عن الاشتغال بهذه الماحكات اللفظية .

إنكار الوضع : وقيل : دلالة اللفظ على منناه لذاته^(١) وهو ظاهر الفساد لاقتضائه أن يمتنع نقله إلى المجاز وجعله علماً ووضعه للمضادين كالجوف للأسود والأبيض ، فإن ما بالذات لا يزول بالنفي ، ولاختلاف اللغات باختلاف الأمم وتأوله السكاكي رحمه الله^(٢) على أنه تنبيه على ما عاينه أئمة علمي الاشتقاق والتصريف ، من أن الحروف في أنفسها خواصاً بها تختلف كالجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط بينها وغير ذلك مستدعية أن العالم بها إذا أخذ في تعيين شيء منها لمعنى لا يهمل التناسب بينهما قضاء لحق الحكمة^(٣) كالقصم بالفاء الذي هو حرف رخو لكسر الشيء من غير أن يبين^(٤) والقصم بالقاف الذي هو حرف شديد لكسر الشيء حق يبين ، وأن للتركيبات^(٥) كالفعلان والفعلى بالتحريك كالزوان والحيدى وفعل مثل شرمف وغير ذلك خواصاً أيضاً^(٦) فيلزم فيها ما يلزم في الحروف ، وفي ذلك نوع تأثير لا ينفسر السكك في اختصاصها بالمعاني .

تعريف المجاز وأقسامه : للفرد : والمجاز مفرد ومركب . أما المفرد فهو السكامة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته ، فقولنا — المستعملة — احتراز عما لم يستعمل ، لأن السكامة قبل الاستعمال

(١) أي لا بالوضع ، وهو قول عباد الصيغرى من المعتزلة .

(٢) ١٩٠ — المفتاح .

(٣) لأن الواضع حكيم وحينئذ لا يكون في هذا القول إنكار للوضع ، ولكن هذا إنما يظهر في بعض الألفاظ دون جميعها لتعذر ، والحق أن هذا التأويل خلاف ما صح نقله عن عباد من أنه يقصد ظاهر ما روى عنه ، وكان بعض أتباعه يدعى أنه يعرف جميع المسميات من أسمائها ، فقل له : ما مسمى — آذغ — وهو من لغة البربر ؟ فقال : أجد فيها ييساً شديداً وأراه اسم الحجر . فظن أنه اسمه في تلك اللغة .

(٤) ينقل .

(٥) منطوف على قوله — من أن للحروف .

(٦) فالفعلان والفعلى يدلان على ما فيه حركة ، وفعل تدل على أفعال الطبائع

والسجايا .

لا تسمى مجازاً كما لا تسمى حقيقة ، وقولنا ... في اصطلاح به التخاطب ... ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازاً فإنه وإن كان مستعملاً فيما وضع له في الجملة (١) فليس يستعمل فيما وضع له في الاصطلاح الذي به وقع التخاطب ، وقولنا ... على وجه يصحح ... احتراز عن الفاظ كما سبق (٢) وقولنا ... مع قرينة عدم إرادته ... احتراز عن السكناية كما تقدم (٣) .

والحقيقة لغوية وشرعية وعرفية خاصة أو عامة ، لأن واضعها إن كان واضح اللغة فلمتوية ، وإن كان الشارع فشرعية ، وإلا فعرفية والعرفية إن تعين صاحبها نسبت إليه ، كقولنا كلامية ونحوية ، وإلا بقيت مطابقة ، مثال اللغوية لفظ أسد إذا استعمله المخاطب بعرف اللغة في السبع المخصوص ، ومثال الشرعية لفظ صلاة إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في العبادة المخصوصة ، ومثال العرفية الخاصة لفظ فعل إذا استعمله المخاطب بعرف النحو في السكامة المخصوصة ، ومثال العرفية العامة لفظ دابة إذا استعمله المخاطب بالعرف العام في ذى الأربع (٤)

(١) لأنها موضوعة في اللغة للدعاء ، فاستعملها فيه استعمال فيما وضع له في الجملة (٢) أى في تعريف الحقيقة ، فهو خارج عن التعريفين ولا يقال له حقيقة ولا مجازة وإنما خرج بذلك عن تعريف المجاز لأن الوجه الذي يصح به استعمال الكلمة في غير ما وضعت له هو وجود العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي مع ملاحظتهم ، والفاظ لا يكون عن ملاحظة علاقة .

(٣) أى في حصر أبواب علم البيان ، لأن قرينة السكناية لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي ، وأما نحو قولهم - القلم أحد اللسانين - مما قبل إنه من باب الجمع بين الحقيقة والمجاز فذهب علماء البيان فيه أنه من باب عموم المجاز ، والمعنى عليه القلم أحد اللسانين ، ولا شك في أن هذا إطلاق مجازي .

(٤) هي في اللغة اسم لكل ما يدب على الأرض من ذى الأربع ونحوه ، والمراد ذو الأربع العهود وهو الحمار والبغل والفرس ، فلا يدخل في استعماله العرفي الشاة ونحوها من ذى الأربع .

وكذلك المجاز المفرد لنوى وشرعى وعرفى ، مثال اللنوى لفظ أسد إذا استعمله الخاطب بعرف اللغة فى الرجل الشجاع ، ومثال الشرعى لفظ صلاة إذا استعمله الخاطب بعرف الشرع فى الداء ، ومثال العرف الخاص لفظ فعل إذا استعمله الخاطب بعرف النحو فى الحدث ، ومثال العرفى العام لفظ دابة إذا استعمله الخاطب بالعرف العام فى الشاة (١) والحقيقة إما فاعل بمعنى مفعول من قولك - حققتُ الشيء أحققه - إذا أثبتته ، أو فاعل بمعنى فاعل من قولك - حقَّ الشيء يحقُّ إذا ثبت - أى المثبتة أو الثابتة فى موضعها الأصل ، فأما التاء فقال صاحب المفتاح (٢) : هى عندى للتأنيث فى الوجهين ، لتقدير لفظ الحقيقة قبل التسمية صفة مؤنث غير مجرأة على الموصوف وهو الكلمة (٣) وفيه نظر (٤) وقيل : هى لنقل اللفظ من الوصفية إلى الإسمية الصرفة ، كما قيل فى أكلة ونطيحة إن التاء فىهما لنقلهما من الوصفية إلى الإسمية (٥) لذلك لا يوصف بهما فلا يقال شاة أكلة أو نطيحة .

والمجاز قيل مفعول من - جاز المسكان يجوز - إذا تمداه ، أى تعدت موضعها الأصلي (٦) وفيه نظر (٧) والظاهر أنه من قولهم - جعلت كذا مجازاً إلى حاجق -

(١) لأنه فى العرف العام موضوع للحمار والبغل والفرس فقط كما سبق .

(٢) ١٩٢ - المفتاح

(٣) إنما قيدها بهذا لئلا يمتنع إلحاق التاء بها إذا كانت من فاعل بمعنى مفعول ، كما قال ابن مالك :

ومن فاعل كقتيل إن تبع موصوفه غالباً التاء تمتنع

(٤) لأنه يجوز أن يقال هذا اللفظ حقيقة ، ولو كانت التاء للتأنيث لم يجوز

(٥) لأنهما قبل التاء وصف لكل مأكول ومنطوح من الإبل والبقر والغنم ثم

كثر استعمالها فى الغنم ، فجعلت التاء فىهما للنقل من الوصفية للإسمية

(٦) الضمير فى - تعدت - للمجاز باعتبار أنه كلة ، فهى على هذا مجاز بمعنى

جائزة من إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل ، أو بمعنى مجوزتها من إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول .

(٧) لأن استعمال المصدر المسمى بمعنى اسم الفاعل أو المفعول مجاز فلا يصار

إليه مع إمكان غيره .

أى طريقاً له^(١) على أن ، متى جاز الدسكان منسكبه على مافسر ، الجوهري وغيره ، فإن
الحجاز طريق إلى تصور معناه ، واعتبار التناسب في التسمية باعتبار المعنى في
الوصف^(٢) كتسمية إنسان له حمرة بأحمر ووصفه بأحمر ، فإن الأول لترجيح الاسم على
غيره حال وضعه له ، والثاني لصحة إطلاقه ، فلا يصح نقض الأول بوجود المعنى في
غير المسمى كما يلزم به بعض الضعفاء .

تقسيم الفرد إلى مرسل واستعارة : والحجاز ضربان : مرسل واستعارة ، لأن
العلاقة المصححة إن كان تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو استعارة ، وإلا فهو
مرسل ، وكثيراً ما تطلق الاستعارة على امتثال اسم المشبه به في المشبه^(٣) فيسمى
المشبه به مستعاراً منه ، والمشبه مستعاراً له ، واللفظ مستعاراً^(٤) ، وفي الأول لا يشتق
منه لسكونه اسماً للفظ لا للحدث^(٥) .

المرسل وعلاقته — علاقة السببية والحجورة : الضرب الأول المرسل ، وهو

(١) على هذا يكون في الأصل اسم مكان لا مصدراً ميميا ، ولا يحتاج في إطلاقه
على الكامة إلى تأويل كالسابق .

(٢) يريد بهذا أن يدفع الاعتراض على ما اختاره في لفظ الحجاز بأنه يؤدي إلى
صحة تسمية الحقيقة مجازاً ، لأنها طريق إلى تصور معناها أيضاً ، وقد دفعه بأن ذلك
ليبين علة تسمية الحجاز باسمه لا لوصفه به ، وعلة التسمية لا توجب التسمية بخلاف
علة الوصف .

(٣) هذا يقابل إطلاقها على الكلمة بحكم أنها قسم من الحجاز ، والحق أن هذا
الإطلاق غير خاص بها ، لأن الحجاز كما يطلق على الكلمة يطلق على استعمالها .

(٤) يعني لفظ المشبه به ، أما المستعار منه فهو معناه لا لفظه .

(٥) فلا يشتق منه مستعار منه ولا مستعار له ولا مستعار ، وهذا يكون للمعنى
الثاني هو الأنسب ، لأنه يؤدي إلى معرفة هذه المشتقات التي تدور كثيراً في الكلام
على الاستعارة .

ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له 'ملازمة' غير التشبيهية^(١) كاليد إذا استعملت في النعمة ، لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة ومنها تصل إلى المقصود بها^(٢) ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى المراد لها^(٣) فلا يقال — اسعت اليد

(١) الذي يعتبر من العلاقة في المجاز مطلقاً نوعها لا شخصها كما ذهب إليه بعض الشديدين في استعمال المجاز ، فإذا عرفنا أن العرب استعملوا لفظاً في سبب معناه أو مشابهه جاز لنا أن نستعمل لفظاً آخر غير الذي استعملوه لمثل هذه العلاقة ، ولا يجب أن تقتصر على اللفظ الذي استعملوه خاصة ، وقيل : إن المجازات النغوية المفردة يجب إقرارها حيث وردت ، ولا يجوز التصرف فيها إلا بتوقيف وإذن من جهة اللغة ، فلا يقال في مجاز الحذف مثلاً - سل الدار — كما قيل (واسأل القرية) آية — ٨٢ — س ١٢ — ولا يستعار لفظ الأسد للرجل إلا بجر كما استعمل للرجل الشجاع ، وهكذا ، أما غير المجازات المفردة فيجوز فيها ذلك ، فيصح أن تقول — تكاثرت أشواقى ، وأسقمى فقدك — كما ورد من قولهم أخذت الأرض وأنبتت الأرض والحق أنه لا فرق في ذلك بين المجازات المفردة وغيرها ، وأنه يجوز القياس في المجاز مطلقاً ، وأن ما يقبل من المجاز يقبل من العرب وغيرهم ، وأن ما يقبل منه لا يقبل من القرينين أيضاً ، لأن العرب نصيب في ذلك وتحظى كالحديثين ، وقد أخذ على امرئ القيس قوله :

وهراً تصيد قلوب الرجال وأفلت منها ابن عمس وحُجْر
لأن لفظه — هر — واستعارة الصيد منها مضحكة هجينة ، ولو أن أباه صجراً من فارات بينه ما أسف على إبلاته منها هذا الأسف ، وأين قوله من قول زهير :
ليثٌ بشرٌ يصطاد الرجال إذا ما كذب اللئيم عن أقرانه صدقا
لا على أن امرأ القيس أتى بالخطأ على جهته ، ولكن للكلام قرآنٌ تحسنه وقرآنٌ تقبحه كذكر الصيد في البيتين .

(٢) هذا مثال لعلاقة السببية ، وتكون بإطلاق اسم السبب على المسبب ، وكذلك ما يأتي من استعمال اليد في القدرة والإصبع والسوط في أثرهما .

(٣) ليسكون قرينة على إرادتها من اليد ، وقد اعترض على هذا بأن القرينة شرط في كل مجاز فلا حاجة إلى تقييد هذا النوع بها ، وبأن القرينة قد توجد في ذلك من غير إشارة إلى المولى للنعمة ، كقولك — رأيت يداً همت بالوجود — ونحو ذلك .

في البلدة أو اقلية يدأ - كما يقال - اتهمت الذمة في البلاد ، أو اقلية نعمة - وإنما يقال - جلست يده عندي ، وكثرت أيدي لهي - ونحو ذلك .

ونظير هذا قولهم في صفة راعي الإبل - إن له عليها إصبعاً^(١) أرادوا أن يقولوا - له عليها أثرٌ حذق - فدلوا عليه بإصبع ، لأنه ما من حذق في عمل يد إلا وهو مستفاد من حسن تصريف الأصابع واللفظ في رفعها ووضعها كما في الخط والنشر ، وعلى ذلك قيل في تفسير قوله^(٢) تعالى (بلى قادرين على أن نسوي بنانه) أي نجعلها كخف البعير فلا يتمكن من الأعمال اللطيفة ، فأرادوا بالأصبع الأثر الحسن حيث يقصد الإشارة إلى حذق في الصنعة لا مطلقاً حتى يقال^(٣) رأيت أصابع نادر ، وله إصبع حسنة وإصبع قبيحة - على معنى أثر حسن وأثر قبيح ، ونحو ذلك .

وينظر إلى هذا قولهم - ضربته سوطاً - لأنهم عبروا عن الضربة الواحدة بالسوط بإسم السوط فجعلوا أثر السوط سوطاً . وتفسيرهم له بقولهم - المعنى ضربته ضربة بالسوط - بيان لما كان الكلام عليه في أصله .

ونظير قولنا - له على يد - قول النبي ﷺ لأزواجه « أسرعكن لحوقاً وروى - لحاقاً - بي أطولكن يدأ » وقوله - أطولكن نظير ترشيح الاستمارة ولا بأس أن يسمى ترشيح الحجاز ، والمعنى^(٤) بسط اليد بالمعطاء ، وقيل قوله - أطولكن - من العطاء ول معنى الفضل ، يقال - فلان على فلان طولاً - أي فضل ، فاليد على هذين الوجهين^(٥) بمعنى النعمة ، ويحتمل أن يريد أطولكن يدأ بالمعطاء أي أمدٌ كن ، فحذف قوله بالمعطاء لعدم^(٦) .

(١) من هذا قول الشاعر :

ضعيفُ العصا بادي العروق ترى له عليها إذا ما أنجذب الناسُ إصبعها

(٢) آية ٤ سورة ٧٥

(٣) هذا تفریع على المنفى فهو مما لا يصح أن يقال في ذلك .

(٤) أي معنى المعنى الحجازي .

(٥) أي على أن يكون - أطولكن - بمعنى بسط اليد بالمعطاء أو من التطول بمعنى

الفضل .

(٦) على هذا الوجه تكون اليد في الحديث حقيقة لا مجاز .

وكاليد أيضاً إذا استعملت في القدرة ، لأن أكثر ما يظهر سلطانها في اليد ،
وبها يكون البطش والضرب والقطع والأخذ والدفع والوضع والرفع وغير ذلك من
الأفعال التي تنبئ عن وجوه القدرة ومكانها ، وأما اليد في قول النبي ﷺ « المؤمنون
تمكفأ دماؤهم ، ويسمى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » فهو استعارة (١)
والعنى أن مثلهم مع كثرتهم في وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة ، فكما
لا يتصور أن يخذل بعض أجزاء اليد بمضاً وأن تختلف بها الجهة في التصرف ، كذلك
سبيل المؤمنين في تعاضدهم على المشركين لأن كلمة التوحيد جامعة لهم .

وكالرواية السَّزَّادَة مع كونها للبعير الحامل لها لجملة إياها (٢) وكالصحف في البعير مع
كونه لمتاع البيت لجملة إياه ، وكالسما في الغيث ، كقوله - أصابتنا السماء - لكونه
من جهة الظلة ، وكالإكاف في قول الشاعر :

يأكلن كل ليلة إكافاً (٣)

« ١ » يريد بها التشبيه توسعاً لذكر الطرفين في قوله - وهم يد - وقيل : إن المعنى
وهم عون على من سواهم فيكون مجازاً .

« ٢ » مأخوذة من روى الماء حملها وتأوها للبالغة ، وهذا مثال لعلاقة المجاورة ،
والمزادة سقاء من ثلاثة جلود تجمع أطرافها ليكثر ما تحمله من الماء . وكذلك
العلاقة في إطلاق الحفص على البعير ، في إطلاق السماء على الغيث ، وقد يجعل هذا من
علاقة السببية ، والحفص اسم لمتاع البيت الحقيق . ولا يكاد يطلق إلا على البعير المهزول .
« ٣ » هو من قول أبي مخزبة الوليد بن حنيفة يمدح طلحة الطلحات :

ياطلح ياأبي مجدك الإخلافاً والبخل لا يعترف اعترافاً
إن لنا أحمره عجافاً يأكلن كل ليلة إكافاً

والأحمر جمع حمار ، والمعجاف الهزيلة جمع عجفاء على غير قياس ، والإكاف
البرذعة أطلق على العلف للمجاورة لأنه يحمل عليه ، أو للسببية لأن ثمنه سبب
في الحصول عليه .

أى غلفاً بشن الإكاف (١) .

علاقة الجزئية : وهذا الضرب من الجار يقع على وحوء كثيرة غير ما ذكرنا (٢) منها تسمية الشيء باسم جزئه (٣) كالعين في الربيعة (٤) لتكون الجارحة المخصوصة هي المقصود في كون الرجل ربيعة ، إذ ما عداها لا يفتى شيئاً مع فقدتها فصارت كأنها الشخص كله (٥) وعليه قوله (٦) تعالى ﴿ قَمِ السَّيْلَ إِلَّا عَلِيلاً ﴾ أى صلّ ، ونحوه (٧) ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً ﴾ أى لا تصلّ ، وقول النبي عليه السلام « من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » أى من صدقته (٨) .

علاقة السكلية : ومنها عكس ذلك (٩) نحو ﴿ يَجْمَلُونَ أَسْوَابَهُمْ

(١) فهو على حذف مضاف ، ويجوز أن يكون مجازاً عن ثمنه ، ثم صار مجازاً عن العلف ، فيكون مجازاً على مجاز .

(٢) أى من علاقة السببية والمجازة ، وظاهر هذا أنه لا يذكر فيها يائى علاقة منهما مع أنه سيذكر فيه علاقة السببية .

(٣) هذه تسمى علاقة الجزئية .

(٤) تطلق الربيعة على الرقيب والجالسوس ، من ربأ القوم استطاع حركاتهم وتأوها للبالغة .

(٥) لأنه يجب في كل جزء يطلق على كله أن يكون له من بين الأجزاء مزيد اختصاص بالمعنى الذى يقصد بكله ، فلا يجوز إطلاق اليد ونحوها على الربيعة .

(٦) آية ٢ سورة ٧٣ .

(٧) آية ١٠٨ سورة ٩ .

(٨) من ذلك أيضاً قول الشاعر :

وكنّت إذا كفّ أمتك عديمةً تربجسى نوالاً من سحابك باثت

وقول الآخر :

وإن حلفت لا ينقض النأى عهداً فليس الخضوب البنات يمين

(٩) هو تسمية الجزء باسم كله ، وهذه تسمى علاقة السكلية ، أما استعمال السكلى

في جزئية فهو حقيقة ، كقولك - جاءنى إنسان - تريد زيدا .

في آذانهم (١) أى أناملهم ، وعليه قولهم - قطعت السارق - وإنما قطعت يده (٢)
 : علاقة السببية أيضاً : ومنها تسمية المشييب باسم السبب ، كقولهم - رعيناً
 الغيث - أى النابت الذي سببه الغيث ، وعليه قوله (٣) عز وجل (فمن اعتدى عليكم
 فاعفوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) سعى جزاء الاعتداء اعتداءً لأنه مسبب
 عن الاعتداء ، وقوله (٤) تعالى (وتبأوا أخباركم) تجوز بالبلاء عن العرفان لأنه
 مسبب عنه ، كأنه قيل - ونعرف أخباركم - وعليه قول عمرو بن كثوم :

ألا لا يجهلن أحدنا علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا (٥)
 : الجهل الأول حقيقة والثاني مجاز عبر به عن مكافأة الجهل (٦) وكذا قوله (٧) تعالى
 (وجزاء سيئة سيئة مثلها) تجوز باللفظ السيئة (٨) عن الاقتصاص لأنه مسبب
 عنها ، وقيل : إن عبر بها عما ساء أى أحرز لم يكن مجازاً ، لأن الاقتصاص يحزن
 في الحقيقة كالجنابة وكذا قوله (٩) تعالى (ومكرموا ومكرهوا) تجوز باللفظ
 المكر عن عقوبته لأنه سببها ، قيل : ويحتمل أن يكون مكر الله حقيقة ، لأن المكر
 التدبير فيما يضر الخصم ، وهذا يحقق من الله تعالى استدراجه إياهم بنعمه مع ما أعد
 لهم من نقمه .

« ١ » آية ١٩ سورة ٢

« ٢ » من ذلك أيضاً قول الشاعر :

تسبل على حد الظبابة نفوسنا - وايسر على غير الظبابة تسبل

« ٣ » آية ١٩٤ سورة ٢

« ٤ » آية ٣١ سورة ٤٧

« ٥ » قال الزوزنى في شرحه : أى لا يسفهن أحد علينا فنسفه عليهم فوق سفههم

أى نجازيهم بسفههم جزاء يربو عليه .

« ٦ » ومكافأة الجهل ليست جهلاً وإن كانت فوقه .

« ٧ » آية ٤٠ سورة ٤٣

« ٨ » يعنى لفظها الثاني لا الأول .

« ٩ » آية ٥٤ سورة ٣

علامة السببية : ومنها تسمية السبب باسم السبب كقولهم - أمطرت السماء نباتاً - وعليه قولهم - كما تدين تدين - أى كما تفعل تجازى (١) وكذا لفظ الأسمنة فى قوله يصف غيثاً :

أقبل فى المستن من ربابه أسمنة الآبال فى سحابه (٢)

وكذا تفسير إنزال أزواج الأنعام فى قوله (٣) تعالى : ﴿ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ﴾ بإنزال الماء على وجهه (٤) لأنها لا تعيش إلا بالنبات ، والنبات لا يقوم إلا بالماء ، وقد أنزل الماء فكانته أنزلها ، ويؤيده ما ورد أن كل ما فى الأرض من السماء ينزله الله تعالى إلى الصخرة ثم يقسمه ، قيل : وهذا (٥) معنى قوله (٦) تعالى : ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً ففلسكه ينابيع فى الأرض ، وقيل : معناه وقضى لكم ، لأن قضايه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب فى اللوح كل كائن يكون ، وقيل : خلقها فى الجزء ثم أنزلها ، وكذا قوله (٧) تعالى : ﴿ وينزل من

« ١ » فالجاز فى قولهم - تدين .

« ٢ » المستن موضع جريان الفيث من قولهم - استن الفرس - إذا جرى على سنده فى جهة واحدة ، وقوله - من ربابه - متعلق بأقبل ، والرباب السحاب الأبيض ، والآبال الجمال جمع إبل ، وأسمنتها جمع سنام وهو الحذبة المعروفة فى ظهرها ، والشاهد فى إطلاقها على المطر لأنه سبب فى نموها ، ويجوز حمل ذلك على المجاز العقلى فيسكون المراد من الأسمنة حقيقتها .

« ٣ » ي - ٦ - س ٢٩

« ٤ » هو أن المراد بالإنزال الحركة من أعلى إلى أسفل ، وسيدكر مقابل لهذا الوجه فى قوله - وقيل : معناه وقضى لكم إلخ .

« ٥ » أى التفسير بما سبق .

« ٦ » ي - ٢١ - س ٣٩

(٧) ي - ١٢ - س ٤٠

السماء رزقاً ﴿١﴾ أى مطراً هو سبب الرزق ، وقوله (١) تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي
بُطُونِهِمْ نَاراً ﴾ وقولهم - فلان أكل اللحم - أى اللدنة التى هى مسببة عن اللحم (٢) قال :

أَكَلْتُ دَمًا إِنَّ لَمْ أَرُعْكَ بَضْرَمَةً بَعِيدَةً مَهْوَى الْقَرْطِ طَيِّبَةً النَّشْرَ (٣)

وقوله (٤) تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ أى أردت القراءة بقرينة
الباء (٥) مع استفادة السنة بتقديم الـتعاذة ، وقوله (٦) تعالى ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ ﴾
أى أراد بقرينة ﴿ فَقَالَ رَبِّ ﴾ وقوله (٧) تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ أى
أردنا إهلاكها بقرينة ﴿ حَفَّاهَا بِأَسْنَأَ ﴾ وكذلك قوله تعالى ﴿ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ
قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ بقرينة ﴿ أَفَلَمْ يَكْفُرُوا ﴾ وفيه دلالة واضحة على الوعيد بالإهلاك

«١» ى - ١٠ - س - ٤

«٢» لا يخفى أنه حيثئذ يكون من تسمية السبب باسم السبب ، فيكون ذكره هنا
فى غير محله .

«٣» هو لأعرابي تزوج امرأة فلم توافقه ، فقيل له : إن سمى دمشق سريعة فى موت
النساء . فحملها إليها وقال قبل هذا البيت :

دمشق خذنيها واعلمي أن ليلة تمر بمودى نمشها ليلة القدر

وقوله - أكلت دما - أجراه مجرى اليقين ، فكأنه يريد أن يقتل له قتيلا
وليعجز عن ثأره فيرضى بدميته ، وقيل : إنهم كانوا فى مبنى الجذب يصدون نوقهم
ويشربون دما . فدعا على نفسه بذلك . وقوله - أركع - بهنى أفرعك ، وقوله -
بعيدة مهوى القوط - كناية عن طول العنق ، والشر الرائحة .

«٤» ى - ٩٨ - س - ١٦

«٥» فى قوله (فاستمذ) لأنها للترتيب .

«٦» ى - ٤٥ - ص ١١

«٧» ى - ٤ - س - ٧

«٨» ى - ٦ - س - ٢١

إذ لا يقع الإنكار في ﴿أنهم يؤمنون﴾ في الحزب إلا بتقدير -- ونحن على أن نهلّسكم (٢).

علاقة اعتبار ما كان : ومنها تسمية الشيء باسمه كما كان عليه (٣) كقوله (٤) ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ وجل (وَأَتُوا الِيتَامَى أَمْوَالَهُمْ) أى الذين كانوا يتامى ، إذ لا يُتِمُّ بعد البلوغ ، وقوله (إِنَّهُ مِنْ بَآئِ رِبِّهِمْ جُحُوماً) (٥) سماه مجزوما باعتبار ما كان عليه في الدنيا من الإجمام .

علاقته اعتبار ما يكون : ومنها تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه (٦) كقوله (٧) تعالى ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خُمُرًا﴾ .

علاقة الحالية : ومنها تسمية الحال باسم عمله (٨) كقوله (٩) تعالى ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أى أهل ناديه .

علاقة الحالية : ومنها عكس ذلك (١٠) نحو ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْشِزَتْ وَجُوهُهُمْ

(١) لأن الاستفهام فيه إنكارى .

(٢) أى ونحن على إرادة إهلاكهم . وإنما وجب هذا التقدير على ذلك لأن إنكار إيمانهم لا يكون بعد هلاكهم ، وقيل : إن للمنى أهلكتناها بالفعل لعدم إيمانها بما اقترحت من الآيات ، فلا نعطى هؤلاء ما افترضوا لأنهم لا يؤمنون به أيضاً .

(٣) هذه تسمى علاقة اعتبار ما كان .

(٤) آية ٢ سورة ٤ .

(٥) آية ٧٤ سورة ٢٠ .

(٦) هذه تسمى علاقة اعتبار ما يكون ، فالمراد في الآية إني أرى أعصر عبأ يؤول إلى أن يكون خمرأ ، فسماء خمرأ باعتبار ما يؤول إليه .

(٧) آية ٣٦ سورة ١٢ .

(٨) هذه تسمى علاقة الحالية .

(٩) آية ١٨ سورة ٩٦ .

(١٠) أى تسمية المثل باسم الحال ، وهذه تسمى علاقة الحالية ، ومن علاقة

الحالية قول الشاعر :

=

ففي رحمة الله (١) أى في الجنة .

علاقة الآلية : ومنها تسمية الشيء باسم آله (٢) كقوله (٣) تعالى (وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ) أى بلغة قومه ، وقوله (٤) تعالى (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) أى ذكر أجمعين وثناء حسناً .

وكذا غير ذلك مما يبين معنى اللفظ وما هو موضوع له تعلق سوى التشبيه (٥)
قال صاحب المفتاح (٦) وللتعلق بين الصارف عن فعل الشيء والداعى إلى تركه (٧)
بمحتمل عندي أن يكون المراد بمنك في قوله (٨) تعالى (ما منكم إلا تسجد إذ

= إن العدو وإن تقادم عهدُه فالحق قد باقٍ في الصدور منيَّبُ

ومن علاقة الحالية قول الآخر :

الميتا على معنٍ وقولا لقبره سقتك النوادي مرّ بما بعد مرابع

(١) آية ١٠٧ سورة ٣

(٢) هذه تسمى علاقة الآلية ، والفرق بين الآلة والسبب أن الآلة هي ما به يفعل الشيء ، أما السبب فما به وجود الشيء ، فاللسان في الآية يقال إنه آلة اللغة ، ولا يقال إنه سببها ، وهكذا .

(٣) آية ٤ سورة ١٤

(٤) آية ٨٤ سورة ٢٦

(٥) من ذلك علاقة اللزوم وعلاقة الإطلاق والتقييد وعلاقة العموم والخصوص وغير ذلك من العلاقات ، وقد تكون العلاقة الضدية ، كما في تسمية الصحراء المهلكة مغارة وتسمية الجريح واللدنيغ سليما ، ومن ذلك قول الشاعر :

يشكو إذا شدّ له حزامه شكوى سامٍ ذربتُ كلامه

(٦) ١٩٦ — المفتاح .

(٧) التعلق بينهما هو تعلق الضدية ، لأن الصارف هو المانع والداعى هو السبب وكل من المانع والسبب يضاد الآخر ، وطى هذا يكون إطلاق — منك — على — ذلك — علاقته الضدية .

(٨) آية ١٢ سورة ٧

أمره بك كدعائك ، و - لا - غير صلبة قرينة الجواز (١) وكذا (ما منك إذ رأيتهم
صلىوا) الآية تتبع (٢) وقال الراغب رحمه الله : قال بعض المفسرين : إن معنى
ما منك ما حماك وجعلك في منهية منى في ترك السجود أى في معاقبة تركه ، وقد
استبعد ذلك بعضهم بأن قال : لو كان كذا لم يكن يجب بأن يقول (أنا خير منه)
فإن ذلك ليس بجواب السؤال على ذلك الوجه ، وإنما هو جواب من قيل له : ما منك
أن تسجد ؟ ويمكن أن يقال في جواب ذلك : إن إبليس لما كان ألزم ما لم يجد سبيلا
إلى الجواب عنه - إذ لم يكن له من كالى يحرسه ويحميه - عدل عما كان جوابا ، كما
يفعل الأخوذ بكتظمه في المناظرة - انتهى كلامه (٣).

المرسل الخالى عن الفائدة والفيد : وقسم الشيخ صاحب المفتاح (٤) الجواز المرسل
إلى خال عن الفائدة وفيد ، وجعل الخالى عن الفائدة ما استعمل في أهم مما هو
موضوع له ، كالمرسل في قول العجّاج :
وفا حمّا ومرّ منّا مسرجا (٥)

فإنه مستعمل في الأنف لا بقيد كونه المرسوم (٦) مع كونه موضوعاً له بهذا القيد

(١) يعنى أن - لا - على هذا تكون غير زائدة ، وتكون قرينة على أن المراد
يمنعك دعائك .

(٢) آية ٩٢ سورة ٢٠

(٣) الأظهر عندي أن يكون تقدير الآية ما منك في ألا تسجد ، أى في تركك
السجود ، فتكون الآية على تقدير في لا من . وعلى هذا يبقى منك على ظاهره ،
وتكون - لا - أصلية لا زائدة . والمعنى ما سبب امتناعك في تركك السجود .

(٤) ١٩٤ - المفتاح .

(٥) قد سبق هذا البيت في الكلام على القراءة في الكلمة من المقدمة في الجزء
الأول

(٦) المرسوم اسم مفعول من - رسن الدابة - بمعنى جعل رأسها في الرسن
وهو الحبل المعروف .

لا مطلقاً ، وكالمشعر (١) في نحو قولنا - فلان غليظ المشاعر - إذا قامت قرينة على أن المراد هو الشفة لا غير ، وقال : سُمِّيَ هذا الضرب غير مفيد لقيامه مقام أحد المترادفين من نحو - لَيْثٌ وأسد وحبر - ومنع - عند المصير إلى المراد منه (٢) - أراد بالمفيد ما عدا الحالى عن الفائدة والاستعارة كما مر .

والشيخ عبد القاهر رحمه الله (٣) جعل الحالى عن الفائدة ما استعمل في شيء بقيد مع كونه موضوعاً لتلك الشيء بقيد آخر من غير قصد التشبيه ، ومثله يبهض ما مثله الشيخ صاحب المفتاح ؛ ونحو مصرحاً بأن الشفة والأنف موضوعان للمعزوين المخصرين من الإنسان (٤) فإن قصد التشبيه صار اللفظ استعارة (٥) كتولهم في مواضع الدم - غليظ المشعر - فإنه بمنزلة أن يقال - كأن شفته في الغلظ مشعر البعير - وعليه قول الفرزدق :

فلو كنت ضبياً عرفت قرايقى ولكن زنجبى غليظ المشاعر (٦)
أى ولكنت زنجبى كأنه جل لا يهتدى لشرفى .

(١) فهو موضوع لشفة البعير لا مطلقاً .

(٢) فيكون استعماله كاستعمال الحقيقة في خلوها عن مزية البلاغة .

(٣) ٣٦ : أسرار البلاغة .

(٤) أما السكاكى فيجعلهما موضوعين لهذين العزوين من الإنسان وغيره ، وهذا يكون استعمال المرسن والمشعر فيهما من استعمال المقيّد في المطلق عند السكاكى ، ومن استعمال المقيّد في مقيد آخر من جاسه عند عبد القاهر ، والمخطب في ذلك سهل ، ويمكن جعل الحالى عن الفائدة بحيث يشمل كلا من الاستعمالين .

(٥) وإذا صار استعارة كان مفيداً ، لأن المجاز غير المقيّد خاص بالمرسل .

(٦) هو لهما بن غالب المعروف بالفرزدق يخاطب أيوب بن عيسى الضبى ، وكان قد حبسه فقال ذلك بهجوه وإطعن في نسبه من جهة أمه بنت يسار وإلى عبد الله بن كرز وقد روى - ولكن زنجبى - على حذف الخبر أى لا يعرف قرايقى ، أو ولكن بك زنجبى أى يشبهك ، وقد حذف على الأول اسم لسكر وهو قليل ، وصواب الرواية - غليظاً مشاعراً .

وكذا قول الحطيئة يخاطب الزبيرقان :

قروا جارك العيمان لما جهوته^(١) وقلص عن برد الشراب مشافره^(٢)
فإنه وإن عني نفسه بالجار جاز أن يقصد إلى وصف نفسه بنوع من سوء الحال ليزيد
في التهم بالزبيرقان ، ويؤكد ما قصده من رميه بإضاعة الضيف وإسلامه للضر والبؤس
وكذا قول الآخر :

سأمنعها أو صوف أجعل أمرها إلى ملك أظلاله لم تشق^(٣)
الاستعمارة التصريحية : الضرب الثاني من الحجاز الاستعمارة ، وهي ما كانت علاقته
تشبيهه بمعناه بما وضع له^(٤) وقد تُسفيد بالتحقيقية^(٥) لتحقّق معناها^(٦) حساً أو

(١) هو لجرول بن أوس المعروف بالحطيئة ، وقوله — قروا — بمعنى أضافوا ،
لأن القرى طعم الضيف ، والعيان العطشان إلى اللبن ، وقوله — قلص — بمعنى انتقبض
وانكش من تأثير البرد ، يعني أنه لم يجد عنده إلا الماء .

(٢) هو لعمان بن قيس بن عاصم ، وقيل للأخطل ، والأظلاف جمع ظلف وهو
لما اجتر من الحيوان كالظفر للإنسان ، وهذا في حد التشبيه والاستعمارة أيضاً ، لأن
المعنى على أن الأظلاف لمن تزيا بالملك عن مشابهة ، كأنه قال : أجعل أمرها إلى ملك
لا إلى عبد جاف مشق الأظلاف .

(٣) المراد بمعناه المعنى المجازي ، وهي مدلول التشبيه . وإنما اكتفى بهذا القدر
في تعريف الاستعمارة التصريحية مع أنه يشمل الاستعمارة المسكنية والتخييلية عند غيره ،
لأن — ما — في التعريف واقعة على لفظ ، وكل من المسكنية والتخييلية عنده ليس
بلفظ كما سيأتي ، فهما خارجان عن جنس التعريف عنده ، والتصريحية يحذف فيها لفظ
المشبه ويستمار له لفظ المشبه به .

(٤) لتمييز هذا عن المسكنية والتخييلية ، لأن كلا منهما عنده ليس باللفظ فلا
يكون محقق المعنى ، وعلى مذهب غيره تكون المسكنية من النحقيقية ، وسيأتي تفصيل
خلافهم في ذلك .

(٥) يعني به المعنى المجازي كما سبق ، والمراد بالحسي هنا الحقيقي فلا يدخل فيه الخيالي =

عقلا ، أى التى تتناول أمراً معلوماً يمكن أن يُنصّر عليه ويشار إليه إشارة حسية
أو رمزية ، فيقال : إن اللفظ نُقل من معناه الأصلي فجعل اسماً له على سبيل الإغارة للبالغة
فى التشبيه .

أما الحسى فنقولك — رأيت أسداً — وأنت تريد رجلاً شجاعاً ، وعليه قول زهير :
لدى أسد شاكى السلاح مقذف (١)

أى لدى رجل شجاع
ومن لطيف هذا الضرب ما يقع التشبيه فيه فى الحركات ، كقول أبى دلالة يصف
بناته :

أرى الشهباء تعجن إذ غدونا برجلها وتخبز باليدين (٢)
شبهته حركة رجلها حيث لم تثبتا على موضع تعتمد بهما عليه وهوتا زاهبتين نحو
يديها بحركة يدي العاجن ، فإنهما لا تثبتان فى موضع ، بل تزلان إلى قدام لرخاوة
العجين ، وشبه حركة يديها بحركة يد الحاز فإنه يثنى يده نحو بطنه ويحدث فيها ضرباً

بل يدخل فى الوهمى ويكون من قسم الاستمارة التخيلية ، والمراد بالعقل ما يشمل
الوجدانى كما سيأتى فى قوله تعالى (فأذاقها الله لباس السجود والخوف) آية ١١٢
سورة ١٦

(١) هو من قول زهير بن أبى سلمى فى معلقته :
فشد فلم يفرغ بيوتاً كثيرة لدى حيث ألفت رحلها أم قشعم
لدى أسد شاكى السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقسم
والضمير فى قوله — فشد — لحصين بن ضميم ، وأم قشعم كناية المنية ، وشاكى
السلاح تامة وقوية من الشوكة وهى القوة وفيه قلب مكافئ ، والمقذف الذى يرمى به
كثيراً فى الوقائع أو الذى قذف باللحم ، واللبد الشعر المجتمع بين كتفى الأسد ،
(٢) هو لزيد بن الجون المعروف بأبى دلالة ، وقوله — غدونا — بمعنى دخلنا
الغداة وهى أول النهار ، وهو يصف بناته بالرداءة ، ورواية كتاب أسرار البلاغة
— باليمين — بدل اليمين .

من التقويس ، كما تجدد في يد الالهة إذا اضطربت في سيرها ولم تقو على ضبط يدها وأن ترمى بها إلى قدام ، وأن تشد اعتمادها حتى تثبت في الموضع الذي تقع عليه فلا تزل عنه ولا تنثنى .

وأما العقلي فكقولك — أبديت نوراً — وأنت تريد حجة ، فإن الحجة بما يدرك بالعقل من غير وساطة حس ، إذ المفهوم من الألفاظ هو الذي ينور القلب ويكشف عن الحق لا الألفاظ أنفسها ، وعليه قوله (١) عز وجل ﴿ إلهدنا الصراط المستقيم ﴾ أي الدين الحق ، وأما قوله (٢) تعالى : ﴿ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ﴾ فعلى ظاهر قول الشيخ جاز الله العلامة (٣) استمارة عقلية ، لأنه قال : شُبِّهَ باللباس لاشتغالها على اللباس ما غشى الإنسان والتبس به من بعض الحوادث . وعلى ظاهر قول الشيخ صاحب المفتاح : حسية ، لأنه جعل اللباس استمارة لما يلبسه الإنسان عند جوعه وخوفه من امتناع اللون وراثته الهيئية (٤) .

فالاستمارة ما تضمن تشبيه معناه بما وضع له (٥) والمراد بمعناه ما عني به أي ما استعمل فيه (٦) فلم يتناول ما استعمل فيما وضع له وإن تضمن التشبيه به ، نحو — زيد أسد ، ورأيت أسداً —

(١) آية ٦ سورة ١

(٢) آية ١١٢ سورة ١٦

(٣) هو الرعشوى ، وإنما جعل ذلك ظاهرة لا صريحة لأنه جعل التشبيه ما غشى الإنسان من بعض الحوادث ، فيجوز أن يكون مراده ما يحصل من الجوع والخوف من الضرر ويجوز أن يكون مراده ما يحصل من امتناع اللون وراثته الهيئية كما ذهب إليه السكاكي ، وقد شبه ما يلبس الإنسان من ذلك بمظلم مكروه وأسند إليه الإذافة ، ويجوز أن يكون — لباس الجوع والخوف — من إضافته التشبيه به إلى التشبيه .

(٤) ٣٠١ — المفتاح

(٥) إنما أعاد تعريف الاستمارة ليرتب عليه الفرق بينها وبين التشبيه المحذوف الأداة .

(٦) هو المعنى المجازي للرجل الشجاع في قولك « رأيت أسداً يحارب » .

ونحو — رأيت به أسداً (١) لاستحالة تشبيه الشيء بنفسه (٢) على أن المراد بقولنا — ما تضمن — مجاز تضمن ، بقرينة تقسيم المجاز إلى الاستعارة وغيرها ، والمجاز لا يكون مستعملاً فيها وضع له .

يُفترق بين الاستعارة والتشبيه المؤكد : وما هنا شيء لابد من التنبية عليه ، وهو أنه إذا أُجبرى في الكلام لفظ دلت القرينة (٣) على تشبيه شيء بمعنى آخر فيكون ذلك على وجهين :

أحدهما ألا يكون المشبه مذكوراً ولا مُقَدَّراً ، كقولك — عنت لناظية — وأنت تريد امرأة ، — لقيت أسداً — وأنت تريد رجلاً شجاعاً ، ولا خلاف أن هذا ليس بتشبيه وأن الاسم فيه استعارة .

والثاني أن يكون المشبه مذكوراً أو مقدرراً (٤) فاسم المشبه به إن كان خبراً أو في حكم الخبر كخبر — كان وإن والمفعول الثاني لباب علمت والحال — فالأصح أنه يسمى تشبيهاً وأن الاسم فيه لا يسمى استعارة ، لأن الاسم إذا وقع هذه الوقائع فالكلام موضوع لإثبات معناه لما يعتمد عليه أو نفيه عنه ، فإذا قلت — زيد أسد — فقد وضعت كلامك في الظاهر لإثبات معنى الأسد لزيد ، وإذا امتنع إثبات ذلك له على الحقيقة كان لإثبات شبه من الأسد له ، فيكون اجتلابه لإثبات التشبيه ، فيكون خليقاً بأن يسمى تشبيهاً إذ كان إنما جاء ليفيده ، بخلاف الحالة الأولى ، فإن الاسم فيها لم يجتلب لإثبات معناه لشيء ، كما إذا قلت — جاءني أسد ، ورأيت أسداً — فإن الكلام في ذلك موضوع لإثبات الحياء وإنما من الأسد والرؤية واقعة منك عليه ، لا لإثبات معنى الأسد لشيء ، فلم يكن

(١) هذا المثل يفتقر عن سابقه بأنه من التجريد الذي يأتي عن التشبيه .
(٢) لأن المعنى المستعمل فيه اللفظ هنا هو المعنى الموضوع له لا المعنى المجازي ،
نحو تناوله تعريف الاستعارة لزوم تشبيه الشيء بنفسه لانحداد المعنى الاستعمالي والمعنى الموضوع فيه .

(٣) المراد بالقرينة هنا السياق لا قرينة المجاز لأنه سيدخل فيه التشبيه المؤكد .

(٤) كقوله تعالى (نصم بكم نصم) آية ١٨ سورة ٢ أي عم صم الخ .

ذكر المشبه به لإثبات التشبيه ، وصار قصد التشبيه مكنوناً في الضمير ، لا يعلم إلا بعد الرجوع إلى شيء من النظر . ووجه آخر في كون التشبيه مكنوناً في الضمير ، وهو أنه إذا لم يكن المشبه مذكوراً أجاز أن يتوهم السامع في ظاهر الحال أن المراد بإسم المشبه به ما هو موضوع له ، فلا يعلم قصد التشبيه فيه إلا بعد شيء من التأمل ، بخلاف الحالة الثانية ، فإنه يمتنع ذلك فيه مع كون المشبه مذكوراً أو مقدراً .

ومن الناس (١) من ذهب إلى أن الاسم في الحالة الثانية استعارة لإجرائه على المشبه مع حذف كلمة التشبيه (٢) وهذا الخلاف لفظي راجع إلى الكشف عن معنى الاستعارة والتشبيه في الاصطلاح (٣) وما اخترناه هو الأقرب لما أوضحناه من المناسبة ، وهو اختيار المحققين كالفاصي أبي الحسن الجرجاني والشيخ عبد القادر والشيخ جبار الله العلامة والشيخ صاحب المفتاح (٤) رحمهم الله ، غير أن الشيخ عبد القاهر ذل : بعد تقرير ما ذكرناه (٥) فإن أبيت إلا أن تطلق اسم الاستعارة على هذا القسم . فإن حسن دخول أدوات التشبيه لا يحسن إطلاقه . وذلك كأن يكون اسم المشبه به معرفة ، كقولك - زيد الأسد ، وهو شمس النهار - فإنه يحسن أن يقال - زيد كالأسد ، وخلته شمس النهار - وإ ، حسن دخول بعضها دون بعض هان الخطب في إطلاقه ، وذلك كأن يكون نكرة غير موصوفة ، كقولك - زيد أسد - فإنه لا يحسن أن يقال زيد

(١) كآبي هلال النكري والآمدى والحفاجي

(٢) أي أدوات

(٣) فإذا عرفت الاستعارة بما تضمن تشبيه معناه بما وضع له لم يدخل فيها الاسم في الحالة الثانية ، وإذا عرفت بأنها ما بني التشبيه فيها على حذف الأداة ودعوى الاتحاد دخل فيها الاسم في الحالة الثانية ، لأن هذا المعنى يشمل ، وكذلك يقال نظير هذا في تعريف التشبيه . وما كان أغنى علماء البيان عن التطويل في مثل هذا الخلاف اللفظي .

(٤) ٨٩ مفتاح

(٥) ٣٧٣ - أسرار البلاغة

كأسد^(١) ويحسن أن يقال - كأن زيدا أسد ، ووجدته أسدا^(٢) . وإن لم يحسن دخول شيء منها إلا بتغيير لصورة الكلام كان إطلاقه أقرب ، لنموض تقدير أداة التشبيه فيه ، وذلك بأن يكون نكرة موصوفة بما لا يلائم المشبه به ، كقوله - فلان بدر يسكن الأرض ، وهو شمس لا تنيب - وكقوله :

شمس تآلق والفراق غروبها . عنا وبدر الصدود كسوفه^(٣)

فإنه لا يحسن دخول الكف ونحوه في شيء من هذه الأمثلة ونحوها إلا بتغيير صورته^(٤) كقوله - هو كالبدر إلا أنه يسكن الأرض ، وكالشمس إلا أنه لا ينيب ، وكالشمس المتألقة إلا أن الفراق غروبها ، والبدر إلا أن الصدود كسوفه - وقد يكون في الصفات والمسلات التي تجيء في هذا النحو ما يحيل تقدير أداة التشبيه فيه فيقرب إطلاقه أكثر ، وذلك مثل قول أبي الطيب :

(١) لأن معناه تشبيه زيد بفرد من أفراد الأسد ، وهذا غير مقصود في تشبيهه به ، وإنما المقصود تشبيهه بحقيقة الأسد وجلسه ، ولهذا يحسن في حال التعريف دخول الأداة ليكون المقصود التشبيه لادعوى الاتحاد أبعدها حينئذ ، ويحسن في حال التنكير عدم دخولها ليكون المقصود أنه فرد من أفراد الأسد لا تشبيهه بفرد منه .
(٢) لأن - كأن ونحوها - ليست نعتاً في التشبيه كالكف ، وهذه كلها فروق متكافة ، ولهذا كان الحق أن كل هذا من التشبيه بلا فرق بين كون اسم المشبه به معرفة أو نكرة .

(٣) هو للبحر في مدح الفتح بن خاقان ، وقوله - تآلق - أصله تتألق بمعنى تلمع ، والصدود الإعراض ، والكسوف قد يطلق على احتجاب القمر كما يطلق على احتجاب الشمس .

(٤) اعترض عليه بأنه يجوز في ذلك أن يقال هو - كبدر يسكن الأرض - من غير تغيير ، ويكون المشبه خيالاً كما سبق في تشبيهه غم فيه جمر موقد ينجر من المسك موجه الذهب ، ويمكن أن يجاب عنه بأن عبد القاهر لم يدع إلا أنه لا يحسن دخول الأداة إلا مع التغيير ولم يمنع جواز دخولها بغير تغيير .

١٠: أَسَدٌ دَمُ الْأَسَدِ الْهَزْبُ خَضَابُهُ . مَوْتُ فَرِيصٍ مَوْتُ نَذْرُهُ (١) .
فإنه لا سبيل إلى أن يقال - المعنى هو كالأسد وكالموت لما في ذلك من التناقض ،
لأن تشبيهه بجنس السبع المعروف دليل أنه دونه أو مثله ، وجعل دم الهزب الذي هو
أقوى الجدر خضاب يده دليل أنه فوقه ، وكذلك لا يصح أن يشبه بالموت المعروف
ثم يجعل الموت يخاف منه (٢) . وكذا قول البحتري :

وبدر أضاء الأرض شرقاً ومنرباً . وموضع رجلٍ منه أسود مظلم (٣)

إن رُجع فيه إلى التشبيه الساذج - حتى يكون المعنى هو كالبدن - لمزم أن
يكون قد جعل البدن المعروف موصوفاً بما ليس فيه (٤) ، فظهر أنه إنما أراد أن يثبت
من المذموم بدرأ له هذه الصفة العجيبة التي لم تعرف للبدن ، فهو مبني على تحيل
أنه زاد في جنس البدن واحداً له تلك الصفة ، فالكلام موضوع لإثبات الشبه بينهما
ولكن لإثبات تلك الصفة ، فهو كقولك - زيد رجل كيت وكيت - لم تقصد
إثبات كونه رجلاً لكن لإثبات كونه متصفاً بما ذكرت ، فإذا لم يكن اسم المشبه به

(١) أسد خبر مبتدأ محذوف أي هو أسد ، يعني ممدوحه شعاع بن محمد الطائي ،
والهزب الشديد الصلب ، والخضاب الحناء ، والفريص واحد فريضة وهي لمة بين
البدني والكتف أو بين الجنب والكتف .

(٢) قد يقال إنه يجوز أن يقال ذلك بعد التصريح بالأداة في الموضعين على أنه
إضراب عما يقيد التشبيه من أنه أنقص من المشبه به ، ويمكن أن يجاب عن ذلك
بأن عبد القاهر لا يدعي الاستحالة العقلية حتى يمتنع معها هذا التقدير أو نحوه .

(٣) البيت معطوف على قوله قبله في مدح الفتح بن خاقان :

وما منع الفتح بن خاقان نيله . ولكنها الأقدار تعطي وتحرم

سحابه خطائي جوده وهو مسيل . وبحر عدائي فيضه وهو مقم
ورحلي بالجم ، وروي - رحلي - بالحاء : وهو ما يحمل على ظهر البعير كالنرج ،
وهذا كناية عن جرمانه منه مع عموم نفعه للناس .

(٤) هو عدم إضاءة موضع رجله .

في البيت مجتلباً لإثبات الشبه تبين أنه خارج عن الأصل الذي تقدم (١) من ~~م~~ون
الاسم مجتلباً لإثبات الشبه ، فالسكلام فيه مبنى على أن كون المدوح بدمراً أمر قد استقر
وثبت ، وإنما العمل في إثبات الصفة الغريبة (٢) .

وكما يمنع دخول السكاف في هذا ونحوه (٣) ، يمنع دخول - كأن - ونحوه
- تحسب - لاقتضائهما (٤) ، أن يكون الخبر والمفعول الثاني أمراً ثابتاً في الجملة (٥) ، إلا أن
كونه متعلقاً بالاسم والمفعول الأول مشكوك فيه كقولنا - كأن زيداً منطلق -
أو خلاف الظاهر ، كقولنا - كأن زيداً أسداً - والنكرة بما نحن فيه غير
ثابتة (٦) فدخل - كأن - ونحسب - عليها كلقيا على المجهول وأيضاً هذا الجنس إذا
فليت عن سره وحدت محموله أنك تدعى حدوث شيء هو من الجلسر المذكور

(١) أى في الوجه الأول من الوجهين اللذين فرق بهما بين الاستعارة والتشبيه
للتؤكد .

(٢) اعترض عليه بأن كل هذا لا يمنع أن يقال - هو كبر - بهذه الصفة - على نحو
ما سبق في تشبيه الفهم ، وقد عرفت أن عبد القاهر لا يدعى الاستعارة التي يمنع
مهما مثل هذا التقدير . ولكنك قد عرفت أن الحق أن كل هذا تشبيه لا استعارة .
(٣) اسم الإشارة عائد إلى ما يقترن بالصفات والصلوات التي تحيل تقدير أداة
التشبيه .

(٤) أى كأن ونحسب .

(٥) معنى بهذا كونه معروفاً غير مجهول .

(٦) إنما اقتضت - كأن - في المثال الأول الشك وفي الثاني خلاف الظاهر لأن
خبرها في الأول مشتق دون الثاني .

(٧) يريد بما نحن فيه ما يقترن بالصفات والمالات السابقة ، وبمبنى بكونها غير
ثابتة أنها غير معلومة .

إلا أنه اختص بصفة عربية لم يتوهم جوازها على ذلك الجنس (١) ، فلم يكن لتقدير التشبيه فيه معنى (٢) .

التجريد ليس استعارة ولا تشبيها : وإن لم يكن اسم المشبه به خبراً للمشبه ولا في حكم الخبر (٣) كقولهم - رأيت بفلان أسداً ، ولقيت منه أسداً - يسمى تجريداً ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى (٤) ولم يسم استعارة ، لأنه إنما يتصور الحكم على الاسم بالاستعارة إذا جرى بوجه على ما يدعى أنه مستعار له إما باستعماله فيه أو بإثبات معناه له (٥) والاسم في مثل هذا غير جارٍ على المشبه بوجه ، ولأنه يحىء على هذه الطريقة (٦) ما لا يتصور فيه التشبيه فيظن أنه استعارة (٧) كقوله (٨) تعالى : ﴿ لهم فيها دار الخلد ﴾ إذ ليس المعنى على تشبيه جهنم بدار الخلد إذ هي نفسها دار الخلد (٩) وقول الشاعر :

يا خير من ركب المطى ولا يشرب كأساً بكف من بخلا (١٠)
فإنه لا يتصور فيه التشبيه ، وإنما المعنى أنه ليس ببخيل .

(١) فكأنك في بيت البحترى مثلاً تقول ما كنا نتوهم أن هنا بداراً يضيء شرقاً وغرباً دون موضع رجلى .

(٢) لأنه خارج على قاعدة التشبيه ، لأنك في بيت البحترى مثلاً كأنك تقول - أشبهه بيدر حدث مخالفاً للبذور ما كان يعرف - وليس لمثل هذا معنى ، ولا يخفى أن عبد القاهر يتكلف هذا كله مجازاة لمن يأبى إلا أن يطلق على ذلك القسم اسم الاستعارة ، فهو عنده في الحقيقة من التشبيه .

(٣) هذا معطوف على قوله فيها سبق في ص - ١٠٧ - فاسم المشبه به إن كان خبراً

أو في حكم الخبر - فهو مقبل له (٤) في علم البديع

(٥) يعنى باستعماله فيه نحو قولك - رأيت أسداً يحارب - ويعنى بإثباته له نحو قولك

زيد أسد - على القول بأنه استعارة (٦) يعنى طريقة التجريد .

(٧) الفاء في قوله - فيظن - للتفريع على تنفي لا على النفي

(٨) آية ٢٨ سورة ٤١

(٩) فلا يكون من التشبيه لأن مبناه على المفارقة بين المشبه والمشبه به ، فلا يصح تشبيه الشيء بنفسه .

(١٠) سيأتي هذا البيت في الكلام على المعجريد في علم البديع .

ولا يسمى (١) تشبيها أيضا ، لأن اسم الشبه به لم يختل فيه لإثبات التشبيه كما سبق ،
وعده الشيخ صاحب المفتاح تشبيها (٢) والخلاف أيضا لفظي (٣) .
الاستعارة مجاز لغوي لا عقلي : والدليل على أن الاستعارة مجاز لغوي كونها
موضوعه التشبه به لا للشبه ولا الأمر أعمّ منهما ، كالأسد فإنه موضوع للسمع المخصوص
للا رجل الشجاع ولا للشجاع مطلقا ، لأنه لو كان موضوعا لاحدهما لكان استعماله في
الرجل الشجاع من جهة التحقيق لا من جهة التشبيه ، وأيضا لو كان موضوعا للشجاع
مطلقا لكان وصفا لا اسم جنس .

وقيل : الاستعارة مجاز عقلي بمعنى أن التصرف فيها في أمر عقلي لا لغوي (٤) لأنها
لا تطلق على الشبه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس الشبه به ، لأن نقل الاسم وحده لو كان
استعارة لكانت الأعلام المنقولة - كزيد ويشكر - استعارة ، ولما كانت الاستعارة
أبلغ من الحقيقة لأنه لا بلاغة في إطلاق الاسم المجرد عناريا عن معناه ، ولما صح أن
يقال لمن قال - رأيت أسدا - معنى زيدا إنه جملة أسدا ، كما لا يقال لمن سمي ولده
أسدا إنه جملة أسدا ، لأن - جعل - إذا تمدى إلى مفعولين كان بمعنى صير فأفاد
إثبات صفة للشئ ، فلا تقول - جعلته أميرا - إلا على معنى أنك أثبت له صفة الإمارة ،

(١) أي ما قيل إنه تجريد ،

(٢) ١٨٩ - المفتاح - ويجب أن يقيد ذلك بما يمكن أن يُعد تشبيها ، فلا يدخل
فيه نحو (لهم فيها دار الخلد)

(٣) لأنه ينبغي على تقييد تعريف التشبيه بما لا يكون على سبيل التجريد وعدم
تقييده بذلك ، والأقرب كما سبق في تعريف التشبيه أن يعد منه ما ينجم عن التشبيه
من التجريد ، ويكون من التشبيه المؤكد .

(٤) هذا أيضا خلاف لفظي كالخلاف السابق في التشبيه المؤكد أنه استعارة
أولا ، ولا معنى للاشتغال بمثل ذلك في علم البيان ، ويريد بقوله - بمعنى أن
التصرف الخ - أن المجاز العقلي هذا غير المجاز العقلي السابق في باب الإسناد الخبري
من علم المعاني .

وعليه قوله (١) تعالى : ﴿ وَجْهَ لَوْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّمَا هُمْ أَتَمُّونَ صِفَةَ الْإِنْسَانِ ، واعتقدوا وجودها فهم ، وعن هذا الاعتقاد صدر عنهم للملائكة إطلاق اسم الإناث عليهم ، لا أنهم أطلقوه من غير اعتقاد ثبوت معناه لهم ، بدليل قوله تعالى ﴿ أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ ﴾

وإذا كان نقل الاسم تبعاً لنقل المعنى كان الاسم مستعملاً فيها وُضع له . ولهذا صرح التعجب في قول ابن العميد :

قامت تظللني من الشمس نفس أعزُّ على من نفسى
قامت تطلني ومن عجب شمس تطلني من الشمس (٢)

والتهى عنه في قول الآخر :

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زرَّ أزراره على القمر (٣)
وقوله :

ترى الثياب من السكتان تلمحها نور من البدر أحياناً فيسلبها
فكيف تشكر أن تبلى معاجرها والبدر في كل وقت طالع فيها (٤)

() آية ١٩ سورة ٤٣

(٢) هـا لابي الفضل محمد بن الحسين بن العميد يصف غلاماً حبيلاً قام على رأسه يظلمه من الشمس ، وإنما أنت الضمير في - قامت - لإسناده إلى نفس

(٣) هو لآب الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن طباطبا العلوي الحراساني ، والبلى الفساد ، والغلالة ثوب صغير يلاقى البدن يلبس تحت ثوب أوسع منه ، وقوله - زر - بمعنى شبد ، والاستمارة في إطلاق القمر على محبوبه ، ولا ينافي الاستمارة ذكر المشبه في البيت ، لأن الذي يناهها ذكره على وجه ينفي عن التشبيه بأن يكون المشبه به خيراً عن المشبه أو نحوه مما سبق ، وحجته - فد زر الخ - مسوقة للتعليل . لأنهم يزعمون أن ثياب السكتان يسرع اليها البلى عند بروزها للقمر كما سيأتي في البيتين بعده .

(٤) هـا لآبى المطاع ذى القرنين بن ناصر الدولة الحمداني ، وقوله - يلبسها - بمعنى يملأها . والمعاجر جمع معجر وهو ثوب تشده المرأة على رأسها ، والاستمارة في إطلاق البدر على صاحبة المعاجر ،

والجواب عنه أن ادعاء دخول الشبه في جنس المشبه به لا يخرج اللفظ عن كونه مستعملاً في غير ما وضع له ، وأما التمجيد والنهي عنه فيما ذكر فلبناء الاستمارة على تناسي التشبيه قضاء لحق المبالغة .

التوفيق بين الادعاء في الاستمارة والقربة المانعة : فإن قيل إصرار التسكلم على ادعاء الأسدية للرجل يناقض إقصيه قربة مانعة من أن يراد به السبع المخصوص ، قلنا : لا منافاة ، ووجه التوفيق هو ما ذكره السكاكي^(١) وهو أن تبني دعوى الأسدية للرجل على ادعاء أن أفراد جنس الأسد قسمان بطريق التأويل : متعارف وهو الذي له غاية الجراءة ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة^(٢) ، وغير متعارف وهو الذي له تلك الجراءة وتلك القوة لا مع تلك الصورة بل مع صورة أخرى^(٣) على نحو ما ارتكب التنبئ هذا الادعاء في عهد نفسه وجماعته من جنس الجن وعده جماله من جنس الطير للتبني حين قال :

نحن قومٌ مئجّن في زى ناس فوق طير لها شخصُ الجبال^(٤)
مستشهداً لدعواه هاتيك^(٥) بالخيالات العرفية . وأن مخصص^(٦) القربة بنفسها

(١) ١٩٨ - المفتاح

(٢) هي صورة الحيوان المفترس .

(٣) هي صورة الأسد غير المفترس .

(٤) دوله - ملجن - جار وجرور أى من الجن ، والاستمارة في إطلاق الطير على الجبال . أما قوله - نحن قوم مئجّن - فتشبيهه لاستمارة ، وقيل : إن في البيت قلباً . والأصل نحن قوم من الإنس في زى الجن فوق جمال لها شخص الطير ، والحق أنه لا باب وأنه يريد المبالغة .

(٥) يعنى دعواه الأسدية للرجل ، فقوله - مستشهداً - حال من فعل تبني في قول السكاكي - وهو أن تبني دعوى الأسدية الخ . وعبارته في المفتاح - مستشهداً لدعواه هاتيك بالخيالات العرفية والتأويلات المناسبة ، من نحو حكمهم إذا رأوا أسداً هرب من دئب أنه ليس بأسد ، وإذا رأوا إنساناً لا يقاومه أحد أنه ليس بإنسان وإنما هو أسد .

(٦) معطوف على قوله « أن تبني دعوى الأسدية » .

المتعارف الذي يسبق إلى الفهم (١) ليتبين الآخر (٢) .

ومن البناء على هذا التنويع (٣) قوله :

نحية بينهم ضرب وجيع (٤)

وقولهم — عتابك السيف — وقوله (٥) تعالى ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ،

إِلَّا مَنْ أَىٰ اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ومنه قوله :

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا الميس (٦)

(١) هو صورة الحيوان المفترس .

(٢) هو صورة الأسد غير المفترس، وحينئذ لا يكون هناك منافاة بين الإصرار على

دعوى الأسدية ونصب القرينة على عدم إرادتها، لأن ما يبصره عاين غير ما تمنع إرادته .

(٣) يعنى تنويع الشيء إلى متعارف وغير متعارف .

(٤) هو من قول عمرو بن معد يكرب :

وخيل قد كلفت لها بخيل نحية بينهم ضرب وجيع

والمراد بالخيال أصحابها على طريق المجاز الرسل ، وقوله — دلفت — بمعنى نهضت ،

والشاهد في جملة النحية نوعا آخر غير المتعارف فيها وهو الضرب الوجيع ، ووصف

الضرب بالوجيع عجز ، ويجوز أن يكون بمعنى موجع ، وقد قيل : إن هذا من التشبيه

المقلوب على معنى أن ضربهم الوجيع كتحية لهم ، والحق أنه من باب التنويع ، وهو

ادعاء أن مسمى اللفظ نوعان : متعارف وغير متعارف على طريق التخييل بأن ينزل

ما يقع في موقع شيء بدلا عن منزلته . فالقصد نفي ما صدر به ، يعنى لا نحية بينهم ،

والتشبيه لا يفيد هذا المعنى ، بل بمكسه ويفسده .

(٥) آية ٨٨ ، ٨٩ سورة ٢٦

(٦) هو لجرا المود عامر بن الحارث النميري ، واليعافير جمع ينفور وهو ولد

البقرة . والعيس جمع أعيس وهي الإبل التي يخالط بياضها صفرة ، والشاهد في جملة

لأن أنيس نوعا غير متعارف وهو اليعافير والعيس ، وقد اعترض على هذا بأنه استثناء

منقطع لا يقدر فيه دخول المستثنى في المستثنى منه ، وكذلك الآية قبله ، فلا يدخلان

في ذلك التنويع ، ورواه الديوان :

بسبأ ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا الميس

الفرق بين الاستمارة والكذب :- وإذا قد عرفت معنى الاستمارة وأنها محال لنوى ، فاعلم أن الاستمارة تعارق الكذب من وجهين : بناء الدعوى فيها على التأويل (١) ونصب القرينة على أن المراد بها خلاف ظاهرها . فإن الكذب يتبرأ من التأويل ، ولا ينصب دليلاً خلاف زعمه .

الاستمارة لا تدخل في الإعلام . وأنها لا تدخل في الإعلام (٢) لما سبق من أنها تعتمد إدخال المشبه في جنس المشبه به والملمسية تنافي الجنسية ، وأيضاً لأن العلم لا يدل إلا على تعيين شيء من غير إ شمار بأنه إنسان أو فرس أو غيرها ، فلا اشتراك بين معناه وغيره إلا في مجرد التبيين ونحوه من الموارد العامة التي لا يكفي شيء منها جامعاً في الاستمارة ، اللهم إلا إذا تضمن نوع وصية لسبب خارج ، كمتضمن اسم حاتم الجواد ومادر البخيل وما جرى مجراها (٣) .

قرينة الاستمارة : وقرينة الاستمارة إما معنى واحد ، كقولك — رأيت أسداً برى — أو أكثر (٤) كقول بعض العرب :

فإن تعافوا العذل والإيمان فإن في أيماننا نيراناً (٥)

(١) يعني بالتأويل التجاوز واعتبار العلاقة والكذب ليس فيه هذا التأويل ، فهو يدخل في تعريف الحقيقة .

(٢) المراد الإعلام الشخصية ، لأن الإعلام الجنسية فيها عموم كآباء الأجناس فتصح الاستمارة فيها ، وهذا كقولك — رأيت أسماً له ليد يحارب .

(٣) فإذا قلت عند رؤيتك جواداً مثلاً — رأيت اليوم حاملاً — كنت كأنك جعلت حاملاً موضوعاً للجواد وجعلت من رأيت فرداً منه ، وعلى هذا تكون الاستمارة أصلية لأنها لم تجر في مشتق بالفعل ، وقيل إنها تبعية .

(٤) هذا مبني على الراجح من جواز تعدد قرينة الاستمارة ، وقيل : إنها لا تكون إلا واحدة وما عداها رشيح أو تجريد كما سيأتي .

(٥) قوله — تعافوا — بمعنى تسكروها ، والإيمان يراد به الإسلام .

أي جنيوةً تطلع كأنها شغل نيران ، كما قال الآخر :
 ناهضتهم والبارقات حكايتها شغل على أيديهم تطلب (١)

ف قوله - تماثوا - باعتبار كل واحد من تعلقه بالمدل وتعلقه بالإيمان قرينة لذلك (٢)
 لدلالته على أن جوابه أنهم يحاربون ويُقتلون على الطاعة بالسيف ، أو ثمان
 مربوط بعضها ببعض (٣) كما في قول البحتري :

وصاعقة من نصله تنكفي بها على أروئى الأقران خمس سحاب (٤)

عني خمس سحاب أنامل المدوح ، فذكر أن هناك صاعقة ، ثم قال - من نصله -
 فيبين أنها من نصل سيفه . ثم قال - على أروئى الأقران - ثم قال - خمس -
 فذكر عدد أصابع اليد ، فبان من مجموع ذلك غرضه (٥) .

(١) هو للبحتري في مدح إسحاق بن إبراهيم ، والتاء في - ناهضتهم - لحطاب
 بمدوحه ، والبارقات السيوف ، وقوله - تطلب - بمعنى تتوقد ، والشاهد في جملة
 السيوف شعلا كما جعلها الأول نيراناً ، وإن كان ما هنا تشبيهاً وما هناك استعارة .
 (٢) الأولى أن يجعل كل من المدل والإيمان باعتبار تعلق تماثوا به هو القرينة ،
 لأن القرينة المتعددة لا تكون إلا لفظية والتعلق معنوي .

(٣) فيكون مجموعها قرينة واحدة ، وهذا يخالف ما قرينته معنى واحد أو أكثر .
 (٤) يروي - وصاعقة - بالجر على أهاواو رب ، ويروي بالرفع على أنه مبتدأ خبره
 جملة تنكفي ، والنصل حد السيف شبهه بالصاعقة لأن من بيانية ، وقوله - تنكفي -
 بمعنى تطلب ، والأقران جمع قرن وهو النظير المكافئ ، وقد ضمن مدحه بالشجاعة
 مدحه بالسخط إذ جملة في عموم المعطاء كالسحاب ، وهذا من الاستتباع الآتي في علم
 البديع .

(٥) ولا يكفي فيه بعضه ، واعتراض على هذا بأنه لو استقط لفظ الخمس أو غيره
 لكفي الباقي في بيان غرضه ، وقد قسم السكاكي قرينة الاستعارة إلى القسمين الأولين
 فقط ، وإن أرى أن هذا التقسيم ليس له كبير فائدة .

تقسيمات الاستمارة : ثم الاستمارة تنقسم باعتبار الطرفين ، وباعتبار الجامع ، وباعتبار الثلاثة ، وباعتبار اللفظ ، وباعتبار أمر خارج عن ذلك كله .

أقسام الاستمارة باعتبار الطرفين : أما باعتبار الطرفين فهي قسمان : لآف اجتماعهما في شيء إما ممكن أو ممتنع ، واسم الأولى وفاقية ، والثانية عنادية .

الوفاقية : أما الوفاقية فكقولها (١) تعالى ﴿أحييناه﴾ في قوله ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه﴾ فإن المراد بأحييناه هديناه أى أو من كان ضالاً فهديناه والهداية والحياة لا شك في جواز اجتماعهما في شيء (٢)

العنادية : وأما العنادية فمنها ما كان وضع التشبيه فيه على ترك الاعتداد بالصفة وإن كانت موجودة ، فحلوها بما هو ثمرتها والمقصود منها وما إذا خات منه لم تستحق الشرف ، كاستمارة اسم الممدوم للوجود إذا لم تحصل منه فائدة من الفوائد المطلوبة من مثله ، فيكون مشاركاً للممدوم في ذلك (٣) أو اسم الموجود للممدوم إذا كانت الآثار المطلوبة من مثله موجودة حال عدمه ، فيكون مشاركاً للوجود في ذلك . أو اسم الميت للحي الجاهل ، لأنه عدم فائدة الحياة والمقصود بها أعنى العلم ، فيكون مشاركاً للميت في ذلك ، ولذلك جعل النوم موتاً لآف النائم لا يشعر بما يحضرته كما لا يشعر الميت ، أو للحي العاجز ، لأن المعجز كالجهل يحبط من

(١) آية ١٢٢ سورة ٦

(٢) أما استمارة ميتاً للضال فمن العنادية الآتية . لآف الميت لا يوصف بالضلال إلا باعتبار ما كان لاقتضائه الحياة ، ومن الوفاقية استمارة الحياة لبقاء الذكر في قول الشاعر :

ولقد سموتُ بهمَّتِي وَسَمَاءُهَا طَلَبِي الْمَسْكَرَمَ بِالْفَعَالِ الْأَفْضَلِ
لَأَنَالَ مَكْرَمَةَ الْحَيَاةِ وَرَبَّمَا عَثَرَ الزَّمَانَ بِدَى لَدَهَاءِ الْإِحْوَالِ

(٣) من هذا قول أبي تمام :

أَشْبَهْتُ عُسْبَةَ يَعْوَى كِي أَشَاعَهُ إِيَّاهُ أَكْبَرَانِيَّ اسْتَأْسَدَ الْأَسَدُ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الدَّهْرَ يُمِهُلُنِي حَقِّي أَرَى أَحَدًا يَهْجُوهُ لَا أَحَدُ

قدر الحى^(١)

ثم الضدان إن كانا قابلين للشدة والضعف كأن استعارة اسم الأشد للأضعف أولى^(٢) وكل من كان أقل علماً وأضعف قوة كان أولى بأن يستعار له اسم الميت ، ولما كان الإدراك أقدم من الفعل في كونه خاصة للحيوان كان الأقل علماً أولى باسم الميت أو الجماد من الأقل قوة ، وكذا في جانب الإشد ، فكل من كان أكثر علماً كان أولى بأن يقال له إنه حى ، وكذا من كان أشرف علماً ، وعليه قوله^(٣) تعالى : ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مُبْتَلًى فَآخِيزِينَ﴾ فإن العلم بوحدة الله تعالى وما أنزله على نبيه ﷺ أشرف العلوم .

المنادبة التهكمية والتلحيفية ومنها ما استعمل في ضد معناه أو تقيضه بنزول التضاد أو التناقض^(٤) منزلة التناسب بواسطة بهم أو تلميح^(٥) على ما سبق في التشبيه مكفوله^(٦) تعالى ﴿فبشرهم بمذاب اليم﴾ ويخص هذا النوع باسم التهكمية أو

(١) قد يستعار اسم الميت لمن أسقمه الحب ، كقول المتنبي :

فلم أر بدراً ضاحكاً قبل وجهها ولم تر قبلى ميتاً يتكلم

(٢) أى من استعارته للضعيف ، لأن بعد الأضعف من الأشد أكثر فتكون البالغة فيه أظهر .

(٣) آية ١٢٢ سورة ٦ والشاهد هنا في استعارة (أخيناه)

(٤) التضاد هو تقابل الأمرين الوجوديين اللذين لا يجتمعان وقد يرتفعان كالبيض والسود ، والتناقض تقابل الأمرين اللذين لا يجتمعان ولا يرتفعان وأحدهما وجودى والآخر عدمى كحيوان ولا حيوان .

(٥) قد سبق تعريف التهمك والتلميح في ص ٨١

(٦) آية ٢١ سورة ٣ — فقد استعيرت فيه البشارة وهى الإخبار بما يسر للانداد وهو ضدها بإدخاله في جنسها على سبيل التهمك . ثم اشتق من البشارة بشسر بمعنى أنذر .

التمحيصية (١).

أقسام الاستمارة باعتبار الجامع : ما يدخل جامعها في مفهوم الطرين :

وأما باعتبار الجامع فهي قسمان أحدهما ما يكون الجامع فيه داخلا في مفهوم الطرين (٢)
كاستمارة الطيرار لاعدو ، كما في قول امرأة من بني الحارث ثعلبة :
لو يشا طار به ذو مينة لاحق الأطلال نهدي ذو مفضل (٣)
وكما جاء في الخبر « كلما سمع هيمة طار إليها (٤) » فإن الطيرار والعدو يشتركان
في أمر داخل في مفهومهما وهو قطع المسافة بسرعة (٥) ولكن الطيران أسرع من العدو
وتحويها قول بعض العرب :

فطرت بمشطي في يسمات دواخي الأيئد يخبطان الشريحا (٦)

(١) منه قول الشاعر :

سليان ميمون النسيبة حازم ولكنه وقف عليه الهزائم

وقول أبي تمام :

أنبشت عتبة يعوى كي أشاتمه الله أكبر أني استأسد الأسد

وفي رواية — النقد بدل الأسد ، وهو جلد من الفم قبيح

(٢) بأن يكون جنسا أو فصلا لمفهومهما .

(٣) قوله — يشا — أصله يشاء والضمير فيه لمن تربيته ، والبيعة للنشاط ، والأطلال
جمع إطلال وهو الخاصرة ولاحقها ضامرها ، والنهد القوي ، والحصل جمع خصلة وهي
الشعر المتجمع ، تنى أنه لو شاء لأنجاه ذلك الفرس ، وقد نسب العيف في الشواهد
الكبرى هذا البيت لمقدمة .

(٤) هو من قوله ﷺ « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه ، كلما سمع هيمة طار
إليها » الحديث ، والهيمة الصيحة .

(٥) لا يخفى أن السرعة في الطيران لازمة له وليست داخلة في مفهومه

(٦) هو لمضر بن ربيعة الغنمسي . وللنصل السيف ، واليممات النوق
الطبوعة على العمل ، والأيدي مخفف الأيدي ، والسريح السير الذي يشد على أرجلها .

يقول: إنه قام بسيفه مبسراً إلى نرق فقتلهم ودميت أيديهم شيطان السيور
الشدودة على أرجلهم . وكاستعارة الفيض لا تبسط الفجر في قوله :

كالفجر فاض على نجوم الغيب (١)

فإن الفيض موضوع لحركة الماء على وجه مخصوص ، وذلك أن يفارق مكانه دفعة
فيبسط ، والفجر انبساط شبيه بذلك ، وكاستعارة التقطيع لتفريق الجماعة وإبعاد بعضهم
عن بعض في قوله (٢) تعالى ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ آمَاجٍ ﴾ فإن القطع موضوع لإزالة
الاتصال بين الأجسام التي بعضها ملتزم ببعض ، فالجامع بينهما إزالة الاجتماع التي
هي داخلية في مفهومها ، وهي في القطع أشد . وكاستعارة الخياطة لسرد الدرع في
قول القطامي :

لم تلق قوماً هم شر لاخوتهم منّا عشيّة يجري بالدم الوادي
تقريهم لهذميّاتٍ نقدٌ بها ما كان خاط عليهم كلُّ زراد (٣)

فإن الخياطة تضم خرق القميص والسرد يضم حلق الدرع ، فالجامع بينهما الضم
الذي هو داخل في مفهومهما ، وهو في الأول أشد ، وكاستعارة النثر لإسقاط المنزعين
وتفريقهم في قول أبي الطيب :

(١) هو من قول البحتري :

يتراكون على الأمسة في الوغى كالفجر فاض على نجوم الغيب

وقوله يتراكون بمعنى يجتمعون بكثرة وازدياد والامسة الرماح ، والوغى
الحرب ، والغيب الخلة . وإنما جعلهم كالفجر بالنظر إلى ما عليهم من الدروع اللامعة .

(٢) آية ١٦٨ سورة ٧ .

(٣) ما لمير بن شبيب المعروف بالقطامي ، وضمير الغيب في تقريهم —

لاخوتهم في البيت قبله وكانوا أعداءهم ، والقرى في الأصل طعام الضيف فاستير لضميرهم
باللهذميّات على سبيل الاستعارة التكمية ، واللهذميّات جمع لضمير وهو الضيف القاطن
والنسبة فيها للمبالغة ، والزراد صانع الزرد وهو الدرع ، وإسناد الجري إلى الوادي
مجاز عقلي .

نثرتهم فوق الأحياب نثرة - كما نثر فوق العروس الدارهم^(١)
 لأن النثر أن يجمع أشياء في كف أو وعاء ثم يقع فهل تتفرق معه دفعة من غير
 ترتيب ونظام ، وقد استماره لما يتضمن التفرق على الوجه المخصوص ، وهو ما اتفق من
 سافط للنهزمين في الحرب دفعة من غير ترتيب ونظام ، ونسبه إلى المدح لانه سببه^(٢)
 ما يخرج جامعها عن مفهوم الطرفين : والثاني ما يكون الجامع فيه غير داخل
 في مفهوم الطرفين ، كقولك - رأيت شمساً - وتريد إنساناً يتהל وجهه ، فالجامع
 بينهما التلاؤ وهو غير داخل في مفهومهما^(٣)
 الاستعارة العامية والخاصية : وتنقسم باعتبار الجامع أيضاً إلى عامية وخاصية^(٤)
 فالعامية المبتدلة لظهور الجامع فيها ، كقولك - رأيت أسداً ووردت بحرأ - والخاصية
 الغريبة التي لا يظهر بها إلا من ارتفع عن طبقة العامة ، كما سيأتي في الاستعارات الواردة
 في التنزيل : وكقول مطيش الغنوي :
 وجعلت سكوري فوق ناجية يـ يقتات شحم سنامها الرحل^(٥)

(١) الخطاب في - نثرهم - لسيف الدولة ، والأحياب جبل ببلاد الروم .
 (٢) فهو مجاز عقلي .
 (٣) من ذلك أيضاً قول الشاعر :
 في الحد إن عزم الخليط رحيلاً مطر تزد به الحدود عولاً
 وقول الآخر :

أثمرت أغصان راحته لجناسه الحسن هضاباً
 وإنى أرى أنه ليس لتقسيم الاستعارة بهذا الاعتبار كبير فائدة .
 (٤) الخاصية أبلغ من العامية ، والقبول منهما ما لا يبعد جداً حتى لا ينيب عن
 الفهم ، وما لا يقرب جداً فيستبرد ، ولشكل منهما مقامات تليق به .
 (٥) هو لطيف بن عوف الغنوي ، والسكور رحل البعير ، والناجية الناقة السريمة ،
 وإنما أفاد اقتيات الشحم الغرابة لأن فيه تخييل أن ذلك حقيقة .

وموضع اللطف والغربة منه أنه استعار الاقتيات لإذهاب الرجل شحم السنام ،
مع أن الشحم مما يقتات . وقول ابن المعتز :

حق إذا ما عرف الصيد انصاراً وأذن الصبح لنا في الإبصار (١)

لما كان تندر الإبصار منها من الليل جعل إمكانه عند ظهور الصبح إذناً منه ،
وقول الآخر :

بمرض تنوفة للريح فيه نسيم لا يروغ في التراب (٢)

وقوله :

يناجي الإخلاف من تحت مطاسله فتختصم الآمال واليأس في صدرى (٣)

ثم الغربة قد تكون في الشبه نفسه (٤) . كما في تشبيه هيئة العنان في موقعه من
قربوس السرج بهيئة الثوب في موقعه من ركبة الخنجر في قول يزيد بن مسلمة
ابن عبد الملك يصف فرساً له بأنه مؤدب :

(١) هو لعبد الله بن المعتز ، والصار تخفيف الضارى وهو التعمود للصيد فاعل
مؤخر والصيد مفعول مقدم ، يعنى أنه عرف ما يصيده بذهاب الظلمة ، وفي رواية
— حق إذا ما عرف الصيد انصار — أى انضم وانجمع أو مال ، يصف بذلك بارى الصيد .
(٢) هو لسنوار بن المضرب السعدي ، وقيل : إنه لجعدر بن مالك الحنفي ،
ويروى الشطر الثاني — نسيم لا يروغ التراب وإن — وقبله :

سقى الله الجمامة من بلاد نواخها كأرواح الغواني

والتنوفة الصحراء أو الأرض الواسعة ، وعرضها جانبا . ويروى — فيها — بدل
به والشاهد في استمارة الروع وهو الفزع لإثارة الريح للتراب بجناح التحريك ، ولا
شك أن معرفة هذا الجامع فيها إنما يدركها الخاصة :

(٣) هو لعبد الله بن المعتز ، والإخلاف عدم الوفاء ، والعمل التأخير في إجابة
مطلوب ، والشاهد في استمارة المناجاة وهي المسارة بالحديث للخطور في الدهن .

(٤) يعنى بالشبه التشبيه أى في التشبيه نفسه لا في الجامع ، بأن يكون تشبيها نادراً
يعد ما بين الطرفين ، كما في البيت ، فإن أحدهما من وادى القمود والآخر من وادى
الركوب مع ما في ذلك من كثرة التفصيل .

وإذا احتبى قربوسه بمنانه علك الشكيم إلى انصراف الزائر (١)

وقد نحصل بتصرف في العامية ، كما في قول الآخر :

وسالت بأعناق الملى الأباطح (٢)

أراد أنها سارت سيرا حثيثا في غاية السرعة ، وكانت سرعة في لين وسلاسة حتى كأنها كانت سيولا وقعت في تلك الأباطح فجرت بها .

ومثلها في الحسن وعلو الطبقة في هذه اللفظة بينها قول ابن المعتز :

سالت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كالذنانير (٣)

أراد أنه مطاع في الحى ، وأنهم يسرعون إلى نصرته ، وأنه لا يدعوهم لخطب إلا أتوه وكثروا عليه وازدحموا حواليه حتى يجدهم كالسيول تجيء من هنا وهناك ، وتنصب من هذا السيل وذلك ، حتى ينصب بها الوادى ويطنفح منها ، وهذا شبه معروف ظاهر ولكن حسن التصرف فيه أفاد اللطف والفرابة ، وذلك أن : أسند الفعل إلى الأباطح والشعاب (٤) دون الملى أو أعناقها والأنصار أو وجوههم ، حتى أفاد أنه امتلأت

(١) الحق أنه لمحمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك ، والقربوس المبرج وقيل مقدمه حقيقة أو مجازا ، والمانان سير اللجام ، وقوله ، علك — بمعنى مضغ ، والشكيم الحديدية المعترضة في فم الفرس ، يصف فرسه بأنه مؤدب إذا نزل عنه وقف مكانه إلى هودته ، فهو يبنى بالزائر نفسه على الالتفات ، والشاهد في استمارة الاحتباء وهو جمع الرجل ظهره وساقيه بثوب ونحوه لإيقاع العنان بالقربوس ، ويجوز رفع — قربوسه — على أنه فاعل احتبى .

(٢) هو من ثلاثة أبيات سبقت في الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة في الجزء الثانى ، والشاهد في استمارة سيل السيول في الأباطح لسير الإبل بسرعة في لين وسلاسة .

(٣) هو لمبد الله بن المعتز ، والشعاب جمع شعب وهو الطريق في الجبل والناحية ، والحى القوم أو مكانهم ، ووجه الشبه في قوله — بوجوه كالذنانير — الاستدارة والإشراق .

(٤) هذا مجاز عظمى من إسناد الحال للمحل .

الاباطح من الإبل والشعاب من الرجال على ما تقدم (١) في قوله (٢) تعالى ﴿ واشتعل الرأس شنباً ﴾ وفي كل واحد منهما شيء غير الذي في الآخر يؤكد أمر الدقة والغرابة ، أما الذي في الأول فهو أنه أدخل الاعناق في السير ، فإن السرعة والبطم في سير الإبل يظهران غالباً في أعناقها على ما مر ، وأما الذي في الثاني فهو أنه قال — عليه — فمدعى الفعل إلى ضمير الممدوح بهي ، فأكد مقصوده من كونه مطاعاً في الحى . -

وكما في قوله :

فرعاء إن نهضت لحاجتها عجل القضيبي وإبطاً الدعصى (٣)
إذ وصف القضيبي بالمعجلة والدعصى بالبطم (٤)

وقد تحصل الغرابة بالجمع بين عدة استعارات لإلحاق الشكل بالشكل ، كقول امرئ القيس :

فقلت له لما تمطى بصلبسه وأردف أعجازاً وناه بكلـكـل (٥)
أراد وصف الليل بالطول فاستعار له صلباً يتمطى به ، إذ كان كل ذى صلب يزيد في طوله عند تمطيه شيء ، وبالع فـي ذلك بأن جعل له أعجازاً أردف بعضها بمضاً ،

(١) في الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة في الجزء الثاني من أنه أثر ذلك على — اشتعل شيب الرأس — ليفيد عمومته للرأس .

(٢) آية ٤ سورة ١٩

(٣) الفرعاء الطويلة ، والقضيبي النصب استعير لقامتها ، والدعصى كثيب الرمل المجتمع ، استعير لردفها .

(٤) فغرايتها نشأت من المجاز العقلى أيضاً مع ما فيها من الطباق بين — عجل وإبطاً (٥) قوله — تمطى — بمعنى تمدد ، والصلب عظم في الظهر ذو فقار يمتد من الكاهل إلى أسفل الظهر ، والأعجاز جمع عجز وهو مؤخر الشيء أو الجسم . والكلكل مستعار لمقدمه ، والأعجاز مستعارة للأجزاء الأخيرة منه ، وهذه هي الاستعارات التي جمع بينها وجعل من مجموعها استعارة واحدة .

ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره والضغط لمُكابده ، فاستعار له كالكلاب ينوء به
أى يثقل به . وقال الشيخ عبد القاهر (١) لما جعل الليل صلباً قد تغطى به ، ثنى ذلك
فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصلب ، وثلاث فجعل له كالكلاب قد ناء به ، فاستوفى له
جملة أركان الشخص ، وراعى ما يراه الناظر من سواده إذا نظر قدمه وإذا نظر خلفه
وإذا رفع البصر ومده فى عرض الجو (٢) .

أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع : وأما باعتبار الثلاثة — أعنى الطرفين
والجامع — فستة أقسام : استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى ، أو بوجه عقلى ،
أو بما بعضه حسى وبعضه عقلى ، واستعارة معقول لمعقول ، واستعارة محسوس لمعقول ،
واستعارة معقول لمحسوس ، كل ذلك بوجه عقلى لما مر (٣) .

استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى : أما استعارة محسوس لمحسوس بوجه
حسى فكقوله (٤) تعالى ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا ﴾ فإن
الاستعارة منه ولد البقرة ، والاستعارة له الحيوان الذى خلقه الله تعالى من حلى القبط
الذى سبكتها نار السامرى عند إلقائه فيها التربة التى أخذها من موطىء حيزوم فرس
جبريل عليه السلام ، والجامع لهما الشكل (٥) والجميع حسى (٦) وكقوله تعالى ﴿ وَتَرَكْنَا
بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ (٧) فإن الاستعارة منه حركة الماء على الوجه الخصوص ،
والاستعارة له حركة الإنسان والجن أو يأجوج ومأجوج ، وهما حسيان ، والجامع لهما

(١) ٥٤ — دلائل الإعجاز — المطبعة العربية .

(٢) ٢٢١ مقابل هذا بالكلب والأعجاز والصلب على الترتيب .

(٣) فى الكلام على وجه الشبه من استحالة قيام الحسى بالعقل .

(٤) آية ٨٨ سورة ٢٠

(٥) أى مع الحوار .

(٦) الحق أن ما فى الآية تشبيه لا استعارة ، لأن جسدأ بدل من — عجلأ —

فيسكون التقدير فأخرج لهم مثل عجل جسدأ له خوار .

(٧) آية ١٠٠ سورة ١٨

ما يشاهد من شدة الحركة والاضطراب ، وأما قوله (١) تعالى ﴿ واشتعل الرأس شيئا ﴾ فليس مما نحن فيه وإن عدّ منه ، لأن فيه تشبيهين : تشبيه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته ، وتشبيه انتشاره في الشعر باشتعالها في سرعة الانبساط مع تعذر تلافيه ، والاول استعارة بالكناية والجامع في الثاني عقل (٢) وكلامنا في غيرها (٣) .

استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلى : وأما استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلى فكقوله (٤) تعالى ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ﴾ فإن المستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها ، والمستعار له إزالة الضوء عن مكان الليل وملقى ظلّه ، وهما حسيان ، والجامع لهما ما يقل من ترتب أمر على آخر (٥) ، وقيل : المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل ، وليس بسديد لأنه لو كان ذلك لتأبى — فإذا هم مبصرون — ونحوه ولم يقل ﴿ فإذا هم مظلمون ﴾ أى داخلون في الظلام (٦)

(١) آية ٤ سورة ١٩

(٢) قيل : إنه مركب من حسي وعقلى ، لأن سرعة الانبساط حسية وتعذر التلافي عقلى .

(٣) أى فى غير الاستعارة بالكناية وفى غير الوجه العقلى ، لأن الكلام فى استعارة المحسوس للمحسوس استعارة تصريحية بوجه حسي ، وهو يقصد السكاكى بهذا الاعتراض ، والحق أنه لا يرد عليه لأنه جعل هذه الأقسام للاستعارة مطلقاً ولم يخصها بالتصريحية حتى يعترض عليه بذلك .

(٤) آية ٣٧ سورة ٣٦

(٥) الحق أن هذا الترتب حسي لثقله بأمور محسوسة ، وإنما يكون الترتب عقلياً فى مثل ترتب النتيجة على العلم بالمقدمات .

(٦) أجب عن ذلك بأن المراد بظهور النهار من ظلمة الليل زواله وبقاء الظلمة ، فيكون المعنى فى الوجهين واحداً ، وإن كان مبنى الأول على أن النهار ظرف للظلمة ، ومبنى الثانى على أن الظلمة ظرف للنور .

قيل : ومنه قوله (١) تعالى ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ فإن المستعار منه المرأة ، والمستعار له الريح والجامع المنع من ظهور النتيجة والأثر ، فالعارفان حسيان والجامع عقلي ، وفيه نظر ، لأن العقيم صفة للمرأة لا اسم لها ، وكذلك جعلت صفة للريح لا اسما (٢) ، والحق أن المستعار منه ما في المرأة من الصفة التي تمنع من الحمل (٣) والمستعار له ما في الريح من الصفة التي تمنع من إنشاء مطر وإفلاح شجر والجامع ما ذكر (٤) .

استمارة محسوس للمحسوس بوجه مختلف : وأما استمارة محسوس لمحسوس بما يفضيه حسي وبفضه عقلي فسكقولك — رأيت شمسا — وأنت تريد إنساناً شبيهاً بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشأن ، وأهمل السكاكي هذا القسم (٥) .

(١١) آية ٤١ سورة ٥١

(١٢) يريد بهذا أن العقيم هو المستعار منه وهو صفة فهو عقلي لا حسي .
(١٣) هي صفة العقيم ، ثم اشتق منها عقيم بعد استعارتها لصفة الريح .
(١٤) على هذا يكون ما في الآية من استمارة المعنوي للمعقول استمارة تصريحية تبعية ، وقد أجب عن أصل النظر بأن من يجعل المستعار منه المرأة والمستعار له الريح يذهب إل أن ذلك استمارة بالسكنائية ، ويجعل العقيم قرينة لهذه الاستمارة ، ورد بأن استمارة المرأة للريح معناها ادعاء أن الريح فرد من أفراد النساء وهذا غير مقصود ، لأن ثبوت ذلك للريح لا يفيد أنها عقيم ، وذلك لأن العقيم ليس صفة للنساء مطلقاً ولا غالباً .

ومن استمارة المحسوس للمحسوس بوجه عقلي قول الشاعر :
قولا لِدُودَانِ عَيْدِ الْمَصَا ما غرَّكمُ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ
ومنها أيضاً ما جاء في المثل : إن البغاث بأرضنا يستنسر .
(٥) من استمارة المحسوس للمحسوس بوجه مختلف قول الشاعر في رثاء ولده له :
وهلال أيامٍ مضى لم يستدر بدراً ولم يمهل لوقت سرار
عجل الكسوف عليه قبل أوانه فمحا قبل مظنة الإبدار

استعارة معقول لمعقول : وأما استعارة معقول لمعقول فمذكورة (١) تعالى ﴿من﴾
بعثنا من مرقدنا ﴿فإن المستعار منه الرقاد (٢) والمستعار له الموت ، والجامع لهما
عدم ظهور الأفعال (٣) والجميع على (٤) .

استعارة محسوس لمعقول : وأما استعارة محسوس لمعقول فمذكورة (٥) تعالى
﴿فأصنع بما تؤمر﴾ فإن المستعار منه صدى الزجاجه وهو كسرهما ، وهو حسي (٦)
والستعار له تبليغ الرسالة (٧) والجامع لهما التأثير ، وهما عقليان ، كأنه قيل : ابن الأمر
إبانه لا تنمحي كما لا يلتئم صدى الزجاجه . وكقوله (٨) تعالى ﴿ضربت عليهم الذلّة﴾
جعلت الذلة محيطه بهم مشتتة عليهم ، فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه ،
أو ملصقة بهم حتى لزمهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط ، فيلزمه ،

(١) آية ٥٢ سورة ٣٦

(٢) ظاهر هذا أن مرقدنا في الآية مصدر ميمي ، ويجوز أن يكون اسم مكان
فيكون المستعار منه الرقاد أيضاً ، يشق منه اسم المكان بعد استعارته للموت .
(٣) أو البعث ، وقد رجّح بأنه في النوم أظهر وأقوى لكونه مما لا شبهة فيه
لأحد ، وعدم ظهوره أفعال بالعكس ، والجامع لا بد أن يكون أقوى في المستعار منه .
(٤) من استعارة المعقول للمعقول قول الشاعر :

وإذا تباع كريمة أو تشتري فسواك بائنها وأنت المشتري

شبه الترك بالبيع والحصول بالاشتراء بجامع الحرمان في الأول والتحقق في الثاني ،
ثم استعار المشبه به للمشبه فيهما واشتق منه تباع بمعنى ترك وتشتري بمعنى تحصل عليها .

(٥) آية ٤ سورة ١٥

(٦) لتعلقه بحسي .

(٧) اعترض على هذا بأنه حسي يدرك بالسمع ، فالأولى أن يجعل المستعار له إظهار
الدين لأنه لا يلزم أن يكون بطريق حسي .

(٨) آية ١١٢ سورة ٣

فالمستعار منه إنما ضرب القبة على الشخص وإما ضرب العين على الحائط ، وكلاهما
حسى ، والمستعار له حالهم مع الدالة ، والجامع الإحاطة أو اللزوم ، وهما عقليان (١) .
استعارة معقول المحسوس : وأما استعارة معقول المحسوس فكقوله (٢) تعالى
(إِنَّمَا لَنَا طغى الماء) فإن المستعار له كثرة الماء وهو حسى ، والمستعار منه
التكبر ، والجامع الاستعلاء المفرط ، وهما عقليان (٣) .

أقسام الاستعارة باعتبار المستعار : الأصلية والتبعية : وأما باعتبار اللفظ (٤)
فقسمان : لأنه إن كان اسم جنس فأصله كأسد ومتل (٥) وإلا فتبعية ، كالأفعال والصفات
المشتقة منها والحروف ، لأن الاستعارة تعتمد التشبيه والنشبية يعتمد كون المشبه
موصوفاً (٦) وإنما يصلح للموصوفية الحقائق (٧) كما فى قولك — جسم أبيض وبياض
صافٍ — دون معانى الأفعال والصفات المشتقة منها والحروف (٨) . فإن قلت : فقد قيل فى

(١) يجوز جعل ذلك من المكنية بتشبيهه الدالة بالقبة ، ومن استعارة المحسوس
للمعقول قول أبى تمام :
ويصعد حتى يظن الجهل بأن له حاجة فى السماء
(٢) آية ١١ سورة ٩ .

(٣) من استعارة المعقول للمعسوس قوله تعالى ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح
صرصر عاتية ﴾ آية ٦ سورة ٩٦ — وقوله أيضاً ﴿ نكاد تميز من الفیض كذا الذى
فیهما قوج سألهم خزنها ألم يأتكم نذیر ﴾ آية ٨ سورة ٦٧
(٤) يعنى لفظ المشبه به ، وقد ذكرنا أن هذا التقسيم يجرى فى المكنية أيضاً .
(٥) يشير بالمثالين إلى أن اسم الجنس قد يكون ذات كأسد ، وقد يكون
اسم معنى كقتل .

(٦) أى بوجه الشبه بحيث يصلح الحكم به عليه ، وكذلك يقتضى التشبيه مثل
هذا فى المشبه به ، ولو ذكر هذا المكان أسبب باستدلاله .
(٧) يبنى بها الأمور المقررة الثابتة فى نفسها من الجواهر والأعراض كأسد وقتل
ونحوها .

(٨) لأن الأفعال والمشتقات غير مقررة ، والحروف غير ثابتة فى نفسها .

نحو - شجاع باسل ، وجواد فيئاض ، وعالم لخير - إن باسلاً وصف لشجاع وفياضاً
وصف لجواد ونحيراً وصوب لعالماً (١) قلت : ذلك متأول بأن الثواني لا تقع صفات إلا
لما يكون موصوفاً بالأول (٢) .

فالتشبيه في الأفعال والصفات المشتقة منها للماني مصادرها (٣) ، وفي الحروف لمتعلقات
معانيها ، كالبحرور (٤) في قولنا - زيد في نعمة ورفاة - فيقدر التشبيه في
قولنا - نطق الحال بكذا ، والحال ناطقة بكذا - للدلالة بمعنى النطق (٥)

(١) فقد وصفت الصفات المشتقة الثلاث بهذه الصفات كما وصف الجسم والبياض
بما سبق ، فلا يكون هناك فرق بينهما في ذلك .
(٢) فقولك - شجاع باسل - مثلاً إنما هو على تقدير - زيد شجاع باسل - فكل
منهما في الحقيقة صفة لزيد .
(٣) أي المحققة أو المقدرة كما في الأفعال التي لا مصادر لها .

(٤) هذه طريقة الخطيب في إجراء الاستعارة التبعية في الحروف ، فهي
تابعة عنده للتشبيه في متعلقاتها من مجروراتها ونحوها وتعلقها بها بمعنى ارتباطها بها ،
وليس هو التعلق النحوي المعروف ، وعلى هذا يقال في المثال المذكور : شبهت النعمة
على زيد بدار مشتملة عليه ، ثم استعمل في النعمة لفظ - في - كما يستعمل في
الدار ونحوها ، والجمهور على أن متعلقات الحروف هي معانيها السككية ، فيجوز
التشبيه فيها أولاً ثم تنبى عليه الاستعارة فيها ، وعلى هذا يقال في المثال المذكور :
شبهت ملابس النعمة لصاحبها بملابسة الظرف للمظروف ، ثم استعمل للمشبّه اللفظ
الموضوح للمشبّه به وهو - في - وبعض الجمهور لا يكتفي بإجراء التشبيه في متعلقات
الحروف بل يوجب إجراءه في جزئياتها بعدها ، وبهذا يجعل الاستعارة في جزئياتها
دونها ، والخطيب في ذلك سهل وطريقة الخطيب أظهر .

(٥) ثم يستعار النطق للدلالة ثم يشتق من النطق - نطقت أو ناطقة - بمعنى -
دلت أو دالة - والجامع إيصال المعنى إلى الذهن ، وهكذا كل الاستعارات في الأفعال
والمشتقات فتكون الاستعارة فيها تابعة للاستعارة في مصادرها ، ولا خلاف هنا بينهم
في ذلك

وعليه في التهنئة قوله (١) تعالى ﴿نُبَشِّرُهُمْ بِمَذَابِ آلِهِمْ﴾ بدل فأُنذِرُهُمْ ، وقوله (٢) تعالى ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ بدل السفيه النوى ، وفي لام التعليل (٣) كقوله (٤) تعالى ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ للمداوة والحزن الحاصلين بعد الالتقاط بالملة الغائية للالتقاط (٥)

ومما يتصل بهذا أن - يا - حرف وضع في أصله لنداء البعيد استعمل في مناداة القريب لتشبيهه بالبعيد باعتبار أمر راجع إليه أو إلى المُنادي ، أما الأول فكقولك لمن سها وغفل وإن قرب - يا فلان - وأما الثاني فكقول الداعي في جُؤاره - يا رب - يا الله - وهو أقرب إليه من جبل الوريد ، فإنه استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلّني وما يقرب به إلى رضوان الله تعالى ومنازل المقربين هضما لنفسه وإقراراً عليها بالتفريط في جنب الله تعالى ، مع فرط التهاك على استجابة دعوته والأذن (٦) لندائه وإتهاله .

واعلم أن مدار (٧) قرينة التسمية في الأفعال والصنات المشتقة منها على نسبتها إلى الفاعل ، كما مر في قولك - نطقت الحال - أو إلى المفعول ، كقول ابن المعتز :

(١) آية ٢١ سورة ٣

(٢) آية ٨٧ سورة ١١

(٣) عطف على قوله - في قولنا نطقت الحال إلخ

(٤) آية ٨ سورة ٢٨

(٥) هذا على طريقته السابقة ، وأما على طريقة الجمهور فيقال - شبه ترتب المداوة والحزن على الالتقاط بترتب علته الغائية كالحبة والتبني عليه ، ثم استعير للمشبه اللفظ الموضوع للمشبه به ، وهو لام التعليل .

(٦) أي الاستماع .

(٧) يعني بهذا أن الأكثر في قرينتها أن تكون على ما سيذكره ، وقد تكون قرينتها حالية ، كقوله تعالى ﴿أَوْ مِنْ كَانُ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ آية ٢٢ سورة ٦ وقوله ﴿وَنَادَوْا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رِبِّكَ قَالِ إِنَّكُمْ مَا كُنتُمْ﴾ آية ٧٧ سورة ٤٣

مجمع الحق لنسب في إمامه قتل البخل وأحيا السباحا (١)
وقول كعب بن زهير :

صبحنا الحزرجية مرهفات أباد ذوى أرومتها ذووها (٢)
والفرق بينهما أن الثاني مفعول ثان دون الأول . ونظير الثاني قوله :
نقريهم لهذميئات نقده بها ما كان خاط عليهم كل زراد (٣)
أو إلى المفعولين : الأول والثاني ، كقول الحريري :
وأقرى المسامح إمّا نطقنت بياناً يقود الحرون الشموسا (٤)

(١) هو لعبد الله بن المعتز يمدح به والده المعتز بالله ، شبه إزالة البخل بالقتل وإذاعة السباح بالإحياء ، ثم استعير القتل لإزالة البخل واشتق منه - قتل بمعنى أزال ، واستعير الإحياء لإذاعة السباح واشتق منه - أحيا - بمعنى أذاع ، وقريته ذلك نسبة - قتل - إلى البخل ونسبة - أحيا - إلى السباح .

(٢) الحزرجية هم الحزرج من الأنصار ، والمرهفات السيوف المرفقة ، والأرومة الأصل والضمير المضاف إليه يعود إلى الحزرجية ، والضمير في - ذووها - يعود إلى مرهفات ، وفي رواية - أبان ذوى أرومتها ذووها - فيكون المراد السيوف التي كتب عليها صانعوها أسماء أصحابها كما هي عادة ملوكهم ، والشاهد في قوله - صبحنا الخ - لأنه في الأصل بمعنى التحية بالسلام صباحا ، فاستعير لضربهم بالمرهفات على سبيل التهكم ، والقريئة نسبة - صبحنا - إلى مرهفات .

(٣) انظر ص ١٢٥ ، والشاهد في قوله - نقريهم لهذميئات - وهي استعارة تهكمية أيضا .

(٤) هو للقسام بن علي المعروف بالحريري ، وقوله - أقرى - مأخوذ من القرى وهو طعام الضيف ، وروى - وأقر - على أنه فعل أمر ، والحرون والشموس بمعنى واحد وهو الذي لا ينقاد ، والشاهد في قوله - وأقرى المسامح - استعير القرى لإلقاء البيان في الآذان بقريئة نسبته إلى مفعوليه .

أو إلى المجرور كقوله (١) تعالى ﴿فَنَبِّئْهُمْ بِمَذَابِ الْيَمِينِ﴾ قال السكاكبي (٢) : إلى
الجميع كقول الآخر :

تقرى الرياحُ رياضَ الحزنِ مزهرةً

إذا سرى النسيمُ في الأجفانِ إيقاظاً (٣)

وفيه نظر (٤) .

أقسام الاستعارة باعتبار الخارج : المطلقة : وأما باعتبار الخارج فثلاثة أقسام :
أحدها المطلقة ، وهي التي لم تقترن بصفة ولا تفرع كلام (٥) والمراد المعنوية
لا اللمت .

المجردة : وثانيها المجردة ، وهي التي قرنت بما يلائم المستعار له (٦) كقول كثير :

(١) آية ٢١ سورة ٣

(٢) ٢٠٤ - المفتاح

(٣) الحزن الأرض الغليظة ، وإيقاظاً مفعول ثانٍ لتقرى . استعار القرى لإحداث
الرياح الإيقاظ في الرياض بقرينة نسبته إلى الفاعل والمفعولين والمجرور جميعاً ، والمعنى أنها
تهزها عند هبوبها عليها إذا نامت أجفان الناس .

(٤) لأن المجرور وهو الأجفان لا يدخل في القرينة لتعلقه مع جارٍه بقوله -
سرى - لا بقوله - تقرى .

(٥) يعني أنها لم تقترن بصفة ولا تفرع يلائم المستعار له أو المستعار منه لا مطابق
صفة وتفرع ، والفرق بين الصفة والتفرع أن الملائم إن كان من بقية جملة الاستعارة
فهو صفة ، وإن كان كلاماً مستقلاً عنها فهو تفرع ، ومن الاستعارة المطلقة قول
الشاعر :

فرعاءً إن نهضتْ لحاجتها عجلَ الغضبُ وأبدأ الدعصُ

(٦) يعني أنها قرنت بصفة أو تفرع يلائم ، ولا بد أن يكون ذلك زائداً على
قرينتها ، لأن القرينة من جملة الاستعارة وهي مما يلائم المستعار له ، فإذا لم يكن فيها
مما يلائمها إلا القرينة فهي مطلقة ، والأول أولى بالقرينة وما بعده تجريد .

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكاً غلقت لضحكته رقاب المال (١)
 فإنه استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلتقي
 عليه ، ووصفه بالنمر الذي هو وصف المعروف لا الرداء (٢) فنظر إلى المستعار له ،
 وعليه قوله (٣) تعالى ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ حيث قال ﴿ أَذَاقَهَا ﴾
 ولم يقل كساها ، فإن المراد بالإذاقة إصابتهم بما استعير له اللباس (٤) كأنه قال : فأصابها
 الله بلباس الجوع والخوف (٥) قال الزمخشري : الإذاقة جرت عندهم مجرى
 الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمسُّ الناس منها ، فيقولون — ذاق
 فلان البؤس والضر ، وأذاقه العذاب — شبه ما يدرك من أثر الضر والألم بما يدرك
 من طعم المرِّ والبشع (٦) فإن قيل الترشيح أبلغ من التجريد فهلاً قيل — فكساها
 الله لباس الجوع والخوف — قلنا : الإضافة لأن الإدراك بالتذوق يستلزم الإدراك باللمس
 من غير عكس ، فكأن في الإضافة إشاراً بشدة الإصابة بخلاف الكسوة ، فإن قيل :
 لم لم يقل — فأذاقها الله طعم الجوع والخوف ؟ قلنا : لأن الطعم وإن لاعم الإذاقة فهو
 مفوت لما يفيد لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عمَّا أثرها جميع البدن
 عموم الملابس .

(١) هو لكثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة ، والنمر الكثير وهو إما
 مأخوذ من — غمر الماء — إذا كثر ، أو من قولهم — ثوب غامر — أى واسع ، فيكون
 تجريداً على الأول وترشيحاً على الثانى ، وقوله — غلقت الخ — بمعنى — كنت من أيدي
 السائلين ، يقال — غلق الرهن فى يد المرتين — إذا لم يقدر الرهن على انفكاكه . وقوله
 — تبسم ضاحكاً — قرينة الاستعارة . وفى رقاب المال استعارة بالسكنية .

(٢) هذا على أنه مأخوذ من — غمر الماء — كما سبق ، لأن المعروف يوصف
 بالكثير دون الرداء .

(٣) آية ١١٢ سورة ١٦

(٤) يريد بما استعير له اللباس ما يفتشى الإنسان من بعض الحوادث كالأذاب ونحوه

(٥) على هذا تكون الإذاقة تجريداً .

(٦) يجوز أن يشبه ما يفتشى الإنسان من ذلك بمعلوم مر على طريق الاستعارة
 بالسكنية .

للرشحة : وثالثها الرشحة . وهي التي قُرئت بما يلائم الاستثمار منه^(١) كقوله :

يتازعني ردائي عهد غمرو رؤيتك يا أخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكته يميني ودونك فاعتجر منه بشر^(٢)

فإنه استثمار الرداء للسيف لنحو ما سبق، ووصفه بالاعتجار الذي هو وصف الرداء فنظر إلى الاستثمار منه ، وعليه قوله^(٣) تعالى ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم ﴾ فإنه استثمار الاشتراء للاختيار وقفاً بالربح والتجارة اللذين هما من متعلقات الاشتراء ، فنظر إلى الاستثمار منه .

وقد يجتمع التجريد والترشيح ، كما في قول زهير :

لدي أسدٍ شاكي السلاح مقذف له لبدٌ أظلم لم تُقاسم^(٤)

والترشيح أبلغ من التجريد^(٥) لاشتراكه على تحقيق المبالغة ، ولهذا كان مبناه على

(١) هذا قد يكون صفة وقد يكون تفريراً كما سبق في المجردة ، ولا بد أن يكون في الاستمارة بالسكنانية الآتية زائداً على قرينتها ، لأن الأقسام الثلاثة تأتي فيها كما تأتي في الاستمارة التصريحية .

(٢) رويد مصدر نائب عن فعله بمعنى أمهل ، والشطر النصف وقوله - اعتجر - أمر من الاعتجار وهو الاهتمام ، ويقال - اعتجرت المرأة - إذا لبست المشجر وهو ثوب تشده على رأسها والراد بالشطر الذي ملكته يمينه قاسم السيف والشطر الآخر صدره ، يعني أنه ميعضبه على رأسه بعنبر سيفه

(٣) آية ١٦ سورة ٢

(٤) أنظر ص ١٠٥ ، والاستمارة في قوله - أسد - وشاكي السلاح تجريد ، ومقذف تجريد إن كان بمعنى مقذف في الحروف وإلا فليس بتجريد ولا ترشيح ، وما بعده إلى آخر البيت ترشيح .

(٥) هو أيضاً أبلغ من الإطلاق ، ومن الجمع بين التجريد والترشيح لأنه في حكم الإطلاق ، والإطلاق وما في حكمه أبلغ من التجريد .

تناسى التشبيه (١) حق إنه يوضع السكلام في علو المنزلة وضعه في علو المكان ،
كما قال أبو تمام :

ويصمدُ حق يظن الجَهولُ إنَّ له حاجةً في السماء (٢)

فلولا أن قصده أن يتناسى التشبيه ويصمم على إنكاره فيجمله صاعداً في السماء
من حيث المسافة المسكانية لما كان لهذا السكلام وجه ، وكما قال ابن الرومي :
يا آل نوبخت لا عدمتكم ولا تبدلت بمدكم بدلا (٣)
إن صحَّ علمُ النجوم كان لكم حقاً إذا ما سواكم انتحالا (٤)
كم عالم فيكم وليس بأن قاس ولكن بأن رقى فعلا (٥)

(١) أى على كمال تناسيه لأن الاستمارة كلها مبنية على تناسيه لا الترشيح وحده
ولو جعل الترشيح مبنيًا على تناسي الاستمارة لكان أولى .

(٢) هو في رثاء خالد بن يزيد الشيباني ، وقوله :

فقد مات جدك جد الملوك ونجم أبيك حديث الضياء

فما زال يقرع تلك العسلا مع النجم مراديا بالعباء

شبه ارتقاء منزلته بالصعود الحسى ، ثم اشتق من الصعود بمعنى ترتقى منزلته ،
والجهول مبالغة في الجاهل ، ولو ترك المبالغة في ذلك لكان أليق بما يقصد من
المبالغة في المدح ، ولعله يعنى أن الجهول هو الذى يظن ذلك ، أما غيره فيعرف أنه
لا حاجة فيها لكمال غناء .

(٣) الأبيات لملى بن العباس المعروف بابن الرومي في مدح أبي سهل النوبختي ،
ولآل نوبخت شهرة بالفلك والنجوم والحكمة ، وكان جدهم نوبخت منجبا للمنصور .

(٤) قوله — انتحل بمعنى ادعى لنفسه شيئا هو لغيره .

(٥) يعنى بقوله — قاس — أخذ علم النجوم بطريق القياس والمضاهاة والتخمين
وقوله — فعل — معطوف على رقى ، والشاهد في قوله — رقى — وما بعده من قوله
— أعلاكم في السماء الخ — فقد استمار فيه العلو الحسى للارتفاع في الجهد ، ثم تناسى
التشبيه وبنى عليه أنهم أخذوا علم النجوم عن السكواكب بالشافهة .

... إعلالكم في السماء مجتدكم فليستم تجهلوف ما جهلا
شافهم البدر بالسؤال عن الأمر إلى أن بلشتم زحلا^(١)
وكما قال بشار :

أتتني الشمس زائرة ولم تك تبرح الفلكا^(٢)

وكما قال أبو الطيب :

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشُّموس وليس فيها المشرق^(٣)
وكما قال غيره :

ولم أرقبى من مشى البدر نحوه ولا رجلاً قامت تماثقه الأسد^(٤)

ومن هذا الفن^(٥) ما سبق من التعجب والتمجيد عنه^(٦) غير أن مذهب التعجب على عكس مذهب الهوى عنه فإن مذهبه إثبات وصف بمنع ثبوته للمستعار منه^(٧)

(١) زحل أعلى الكواكب السيارة .

(٢) هو لبشار بن برد ، وقوله - تبرح - بمعنى تفارق ، وقد استعار الشمس لمحبوبته ثم تناسى التشبيه في غاية قوله - ولم تك تبرح الفلكا .

(٣) يعنى بقوله - كبرت قوله الله أكبر تعجباً ، والشاهد في أنه استعار الشموس لمدوحه ثم تناسى التشبيه فتعجب من طلوعها من ديارهم بالمغرب مع أنها إنما تطلع من المشرق .

(٤) الحق أن هذا البيت لأبي الطيب أيضاً لا لغيره كما ذكر الخطيب ، وهو من قصيدة له في مدح محمد بن سيار النخعي ، ورواية الديوان البحر بدل البدر ، وقوله : فلما رأني مقبلاً هز نفسه إلى حسام كل صفح له حد والشاهد في أنه استعار البدر والأسد لمدوحه ، ثم تناسى التشبيه فذكر أنه لم يرقبه من مشى البدر إليه وعانقه الأسد .

(٥) يريد بهذا الفن أسلوب البناء على تناسى التشبيه .

(٦) انظر ص ١١٥

(٧) كإثبات التظليل للشجس في البيتين السابقين هنالك .

ومذهب النبی عنه إنبات خاصة من خواص المستعار منه (١) .
 وإذا جاز البناء على المشبه به (٢) مع الاعتراف بالمشبه — كما في قول العباس
 ابن الأحنف :

هي الشمسُ مسكنُها في السماء فمزَّ الفؤادَ عزاءً جميلاً (٣)
 فلو تشبَّطتِ إليها الصُّدود ولئن تشبَّطتِ إليك الزُّدود
 وقول سعيد بن حميد :

قلبُ زوري فأرسلتُ أنا آتيك سحره (٤)
 قلتُ فالليلُ كان أخس في وأدني مسره
 فأجابتُ بحجةٍ زادت القلبَ حسره
 أنا شمسٌ وإنما تطلع الشمسُ بكـره (٥)
 فلأن يجوز مع جرده في الاستعارة أولى .

(١) كإنبات بلى السخلة للقمر في البيت السابق هناك ، فإنه من خواصه فلا يصح
 التعميم منه .

(٢) المراد بالبناء على المشبه به ذكر ما يلائمه ، وبالاقرار بالمشبه ذكره وعدم
 ادعاء دخوله في المشبه به ، والقصود من هذا زيادة تقرير ما سبق من البناء على تناسي
 التشبيه .

(٣) قوله — فمز — بمعنى اجمعه على المزاء وهو الصبر ، والمزاء الجميل هو الذي
 لا قلق معه ، يعني أنها إذا كانت كذلك فلا فائدة في طلبها ، والشاهد في أنه شبه بحبوبيته
 بالشمس ثم بنى على هذا ما يلائم المشبه به وهو أن مسكنها في السماء الخ .
 (٤) السحرة هي السَّحَر الأعلى ويكون قبيل الصبح .

(٥) البكرة أول النهار وهي ملابسة للسحرة التي وعدته بأنها تأتيه فيها ، ويجوز
 أن يكون مرادها أنها تبتدىء الذهاب إليه سحرة وتنتهي إليه بكرة ، والشاهد في أنها
 شبت نفسها بالشمس ثم بنت على هذا ما يلائم المشبه به وهي أنها إنما تطلع بكرة .

ومن هذا الباب (١) قول الفرزدق :

أبي أحمد النيشين صمصمة الذي متى تخفاف الجوزاء والدلو يطر
أجار بنات الوائدین ومن یجر على الموت فاعلم أنه غير مخفر (٢)

ادعى لأبيه اسم النيش ادعاء من سلم له ذلك ، ومن لا يخطر بباله أنه تناول له
من طريق التشبيه . وكذا قول عدی بن الرقاع يصف حمارين وحشيین :

يتماوران من الغبار ملاءة بيضاء محكمة هما نسجاها (٣)
تطوى إذا و مكاناً عزناً وإذا السنايك أسهلت نشرها (٤)

المجاز المركب أو التمثيل :

وأما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شبيه بمفناه الأصلي تشبيه

(١) أي باب البناء على التشبيه به مع الاعتراف بالتشبيه .

(٢) هما لهما بن غالب المعزوف بالفرزدق ، وأحمد النيشين أحقهما بالجند وهو
خبز أبي ، وصمصمة بدل أو بيان وهو جد الفرزدق ، والجوزاء والدلو برجان في السماء
يكثر فيهما المطر ، وكان العرب إذا وافق سقوط النجم مطرا نسبوه إليه ، وقالوا :
سقيننا بالنجم . وإذا أخطأهم المطر قالوا : أخطأنا النجم . والوايدون اسم فاعل من
الوَاد وهو ما كانوا يفعلونه من قتل بناتهم خوف المار أو الفقر ، وكان صمصمة جد
الفرزدق يشترين ويحمين من الموت ، والمخفر اسم فاعل من أخفر بمعنى أزال الخفارة
وهي اسم من خفره بمعنى منعه وحماه ، والشاهد في قوله — أبي أحمد النيشين —
لأنه يتضمن تشبيهه بالنيش ، وقد بنى على ذلك ما يلائم التشبيه به وهو أنه يطر إذا
أخلفت الجوزاء والدلو .

(٣) قوله . . . بتماوران — يتناولان .

(٤) قوله — تطوى — بمعنى تلف فتزول عنهما ، والمكان المحزن هو الذي تناظ
أرضه فلا يكون فيها غبار ، والسنايك جمع سنبك وهو طرف الحافر ، وقوله
— أسهلت بمعنى وردت المكان السهل ، والشاهد في أنه شبه الغبار بالملاءة وهي ثوب
معروف ، ثم بنى على ذلك ما يلائمها من النسيج والطوى والنشر .

التشبيـل (١) للمبالغة في التشبيه (٢) أى تشبيه إحدى صورتين منزعيتين من أمرين أو أمور بالأخرى (٣) ثم تدخل المشبهة في جنس التشبيه بها مبالغة في التشبيه ، فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه ، كما كتب به الوليد بن يزيد (٤) لمّا بويـع إلى مروان بن محمد وقد بلغه أنه متوقف في البيعة له : أما بعد فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى (٥) فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت ، والسلام - شبه

(١) هذا يفيد أن المجاز المركب لا يسكون في المجاز المرسل كما يكون في الاستعارة ، والحق أنه يكون في المرسل أيضاً ، ومن ذلك استعمال الخبر في الإنشاء وبالعكس ، والعلامة فيهما الضدية أو اللزوم ، كقول الشاعر :

ألا يا أسلمى يادارحى على البلى ولا زال مشهلاً بجرحائك القطر
وقول الآخر :

ومن ذا الذى مرضى سجاياها كلشها كفى المرء نبلاً أن تعدّ معايه
(٢) يشير بهذا إلى اتحاد الغاية في المجاز المفرد والمركب وهى المبالغة في التشبيه ، ولا يقصد به الاحتراز عن شيء .

(٣) إنما فسر التعريف بهذا لدفع ما يوهمه قوله فيه - تشبيه التشبيـل - من أت طرقي المجاز المركب قد يكونان مفردين ، لأن تشبيه التشبيـل ما كانت وجهه منزعاً من متعدد ولو كان طرفاه مفردين ، كقول الشاعر :

وقد لاح في الصبح الرّيشان رأى كمنقود ملاّحبة حين نوراً
فإذا قيل فيه على طريق الاستعارة - رأيت عنقود ملاحية في السماء - كان هذا مجازاً مفرداً لا مركباً وإن كان أصله تشبيه تمثيل ، ولا وجه عندي للتفريق في هذا بين التشبيه والاستعارة .

(٤) ذكر الجاحظ في البيان والبيتين أن هذا كان مع يزيد ابن الوليد وهو الظاهر من تاريخ مروان منهما .

(٥) لم يرضوا هنا أن تجرى هذه العبارة على ظاهرها وهو أنه يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً أخرى ، لأنهم فهموا ذلك على أنه يقدم رجلاً إلى الأمام ويؤخر أخرى إلى الخلف ، وهذا لا يفعله المتردد ، فتقديرها عندهم أنه يقدم رجلاً تارة ويؤخرها تارة أخرى ، وهذا عندي تقدير فاسد لأن المتردد لا يفعله أيضاً ، والحق هو التقدير الأول الذى يفيد ظاهر العبارة ، ولا يراد فيه بتأخير الأخرى إرجاعها إلى الوراء ، وإنما يراد بذلك أنه يؤخرها عن الأولى فلا يقدمها معها .

صورة تردده في اللبابة بصورة تردد من قام ليذهب في أحمر، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً ، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى^(١) ، وكما يقال لمن يعمل في غير مسعمل — أراك تنفع في غير فحس^(٢) وتخط على الماء — والمعنى أنك في فعلك كمن يفعل ذلك . وكما يقال لمن يعمل الحيلة حتى يبدل صاحبه إلى ما كان يمتنع منه — ما زال يقتل منه في الذروة والغارب حتى بلغ منه ما أراد — والمعنى أنه لم يزل يرفق بصاحبه رفقا يشبه حاله فيه حال من يحس إلى البعير الصعب فيحكه ، ويقتل الشعر في ذروته وغاربه^(٣) حتى يسكن ويستأنس . وهذا في المعنى نظير قولهم — فلان يقرّد فلاناً — أى يتلطف به فعثل من ينزع القراد^(٤) من البعير ليلتذ بذلك فيسكن ويثبت في مكانه حتى يتمكن من أخذه . وكذا قوله^(٥) تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتقدموا بيشن يدي الله ورسوله ﴾ فإنه لما كان التقدم بين يدي الرجل خارجاً عن صفة المتابع له صار النهي عن التقدم متعلقاً باليدين مثلاً للنهي عن ترك الاتباع . وكذا قوله^(٦) تعالى ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ﴾ إذ المعنى والله أعلم أن مثل الأرض في تصرفها تحت أمر الله تعالى وقدرته مثل الشيء يكون في قبضة الآخذ له منا والجامع يده عليه . وكذا قوله^(٧) تعالى ﴿ والسموات مطويات بيمينه ﴾ أى يخلق فيها صفة الطي حتى ترى كالكتاب المطوى بيمين الواحد منا ، وخص اليمين ليسكون أعلى وأخف للمثل ، لأنها أشرف اليدين وأقواها والتي لا غناء للأخرى دونها ، فلا يهش إنسان شيء إلا بدأ بيمينه فبدأها لئله ، ومتى قصد جبل الشيء في جهة العناية جعل في اليد اليمنى ، ومتى قصد خلاف ذلك جعل في اليسرى ، كما قال ابن ميادة :

(١) ثم استعير اللفظ الدال على التشبه به للتشبه على طريق الاستعارة التصريحية التمثيلية ، وهكذا يقال في سائر الأمثلة .

(٢) أى تنفع نارا في غير فحس ، وهو بفتح الحاء الجهر الطافى .

(٣) الذروة أعلى السنام ، والغارب ما بين السنام والعنق ، وقد يطلق على الذروة .

(٤) هو ذؤوبة كالفعل تتعلق بالبعير ونحوه .

(٥) آية ١ سورة ٤٩

(٦) آية ٦٧ سورة ٣٩

(٧) آية ٦٧ سورة ٣٩

ألم تَكُ في يَمَنِ يَدِيكَ جَعَلْتَنِي فلا تَجْعَلْنِي بَعْدَهَا فِي شِمَالِكَ (١)

أى كُنت مُكْرَمًا عِنْدَكَ فلا تَجْعَلْنِي مُهَانًا ، وَكُنت فِي الْمَكَانِ الشَّرِيفِ مِنْكَ فلا تَحْطِئَنِي فِي الْمَنْزِلِ الْوَضِيعِ . وَكَذَا إِذَا قُلْتَ لِلْمَخْلُوقِ — الْأَمْرُ بِيَدِكَ — أَرَدْتَ الْمَذَلَّ أَى الْأَمْرَ كَالشَّيْءِ يَحْصُلُ فِي يَدِكَ فَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْكَ ، وَكَذَا قَوْلُهُ (٢) تَعَالَى (وَمَا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ) قَالَ الزَّخَّشَرِيُّ : كَأَنَّ الْغَضَبَ كَانَ يَفْرِيقُ عَلَى مَا فَعَلَ وَيَقُولُ لَهُ : قُلْ لِقَوْمِكَ كَذَا وَالسُّقُ الْإِلَواحُ وَجَرَّ بِرَأْسِ أَخِيكَ إِلَيْكَ ، فَتَرَكَ الْإِطَاقَ بِذَلِكَ وَقَطَعَ الْإِغْرَاءَ (٣) وَلَمْ يَسْتَحْسِنْ هَذِهِ السَّكْمَةَ وَلَمْ يَسْتَفْصِحْهَا كُلَّ ذِي طَبِيعٍ سَلِيمٍ وَذَوْقٍ صَحِيحٍ إِلَّا لَذَلِكَ ، وَلَآئِنَّهُ مِنْ قَبِيلِ شَعْبِ الْبِلَاغَةِ (٤) وَإِلَّا فَمَا لِقِرَاءَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةٍ (٥) وَلَمَا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ (٦) لَا تَجِدُ النَّفْسَ عِنْدَهَا شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْهَزَةِ : وَطَرْمًا مِنْ تِلْكَ الرُّوعَةِ (٧) وَمَا قَوْلُهُمْ — اعْتَصَمْتُ بِجَبَلِهِ — فَهَالِ الزَّخَّشَرِيُّ أَيْضًا : يَنْجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَمْثِيلًا لِاسْتِظْهَارِهِ بِهِ وَوُثُوقَهُ بِحِمَايَتِهِ بِامْتِسَاكِ الْمَتَدَلَّى مِنْ مَكَانٍ مَرْتَفِعٍ بِجَبَلٍ وَثِيقٍ بِأَمْنٍ انْقِطَاعِهِ ، وَأَنْ يَكُونَ الْحَبْلُ اسْتِمَارَةً لِمَهْدٍ وَالْإِعْتِصَامُ لَوُثُوقِهِ بِالْمَهْدِ أَوْ تَرْشِيحًا لَاسْتِمَارَةِ الْحَبْلِ بِمَا يَنَاسِبُهُ (٨) . وَكَذَا قَوْلُ الشَّيْخِ :

(١) هُوَ الرَّمْشُاحُ بْنُ مِيَادَةَ ، وَالِاسْتِفْهَامُ فِي قَوْلِهِ — أَلَمْ تَكُ لِلتَّقْرِيرِ ، وَالشَّاهِدُ فِي تَشْبِيهِهِ صُورَةَ إِكْرَامِهِ لَهُ بِصُورَةِ مَنْ يَجْعَلُ الشَّيْءَ فِي يَمِينِهِ لِإِكْرَامِهِ وَفِي تَشْبِيهِهِ صُورَةَ إِهَانَتِهِ لَهُ بِصُورَةِ مَنْ يَجْعَلُ الشَّيْءَ فِي شِمَالِهِ لِإِهَانَتِهِ .

(٢) آيَةُ ١٥٤ سُورَةِ ٧

(٣) فَشَبَّهَتْ الْحَالَةَ الْوَاضِعَةَ عَنِ الْغَضَبِ بِالْحَالَةِ الْوَاضِعَةِ عَنِ الْإِغْرَاءِ مُنْفَرِدًا ، وَاسْتَعَارَتْ الْحَالَةَ الثَّانِيَةَ لِلْأَوَّلَى عَلَى طَرِيقِ التَّمْثِيلِ وَيَجُوزُ إِجْرَاءُ الِاسْتِمَارَةِ فِي — سَكَتَ — بِتَشْبِيهِهِ سَكُونِ الْغَضَبِ بِالسَّكُوتِ ، أَوْ فِي الْغَضَبِ بِتَشْبِيهِهِ بِإِنْسَانٍ يَسْكُتُ ، فَتَسْكُونُ تَضَرُّعِيَّةٌ تَبَعِيَّةٌ أَوْ مَكْنِيَّةٌ .

(٤) يَعْنِي أَنَّ حَسْنَ هَذِهِ السَّكْمَةِ إِنَّمَا آتَى مِنْ كَوْنِهَا عَلَى طَرِيقِ التَّمْثِيلِ وَمِنْ كَوْنِ التَّمْثِيلِ مِنْ فُرُوعِ الْبِلَاغَةِ ، لِأَنَّهُ مِنَ الِاسْتِمَارَةِ وَهِيَ أَبْلَغُ مِنَ الْحَقِيقَةِ .

(٥) فَالسَّبَبُ فِي هَذَا هُوَ خُلُوقُهَا مِنَ التَّمْثِيلِ ، لِأَنَّ إِسْنَادَ السَّكُونِ إِلَى الْغَضَبِ لَا تَمْثِيلَ فِيهِ .

(٦) يَعْنِي أَنَّ الْإِعْتِصَامَ عَلَى أَنَّ الْحَبْلَ اسْتِمَارَةٌ لِلْمَهْدِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ اسْتِمَارَةً لِلَوُثُوقِ أَوْ تَرْشِيحًا لَاسْتِمَارَةِ الْحَبْلِ لِلْمَهْدِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْمَجَازِ الْمَفْرُودِ لَا الْمَرْكَبِ .

إذا ما راية رُفعتُ للجِدِّ تلقّاها عرابةٌ باليمين^(١)

الشبه فيه مأخوذ من مجموع التلقى واليمين على حد قولهم — تلقيته بكلتا اليدين —
ولهذا لا تصلح حيث يقصد التجوز فيها وحدها ، فلا يقال — هو عظيم اليمين —
بمعنى عظيم القدرة ، ولا — عرفت يمينك على هذا — بمعنى عرفت قدرتك عليه .
ومثله قول الآخر :

هوّنْ عليك فإتْ الأمور بكفَّ الإله مقاديرها^(٢)

وكذا ما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « إن أحدكم إذا تصدق بالثمرة
من الطَّيِّب — ولا يقبل الله إلا الطيب — جعل الله ذلك في كفه فيرَّبُّها كما
يربِّي أحدكم فلهو^(٣) حتى يبلغ بالثمرة مثل أمحد » والمعنى فيهما^(٤) على اتزاع
الشبه من المجموع .

وكل هذا^(٥) يسمى التمثيل على سبيل الاستمارة ، وقد يسمى التمثيل مطلقاً ، ومتى
فشا استعماله كذلك^(٦) .

« ١ » هو للشهاخ بن ضرار يمدح به عرابة الأوسى المذكور في قوله قبله :

رأيت عرابة الأوسى يسو إلى الخيبرات منقطع القرن

استعيرت هيئة تلقى الشيء باليمين لهيئة اقتداره على نيل المجد ١٠

« ٢ » هو للأعور الشنسى واسمه بشر بن منقذ ، والمقادير جمع مقدار الأمر أى
مبلغه أو تقديره بخير أو شر ، والشاهد في قوله — بكفَّ الإله مقاديرها —
فإنه تمثيل أيضاً .

« ٣ » الفاء الجحش والمهر فطما أو بلغنا السنّة ، وقد استعير في ذلك وضع الشيء
في السكف وتنميته لإجزال الله الثواب للمتصدق .

« ٤ » أى في البيت والحديث .

« ٥ » أى ما سبق من أمثلة المجاز المركب .

« ٦ » الجار والمجرور متعلق بمنحذوف حال أى فشا استعماله باقياً على هيئته في حال
مورده من غير تغيير .

سمى مثلاً ، ولذلك لا يُسمَّى الأمثال (١)

ومما يُبنى على التمثيل نحو قوله (٢) تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾
معناه لمن كان له قلب ناظر فيها يبنى أن يُنظر فيه واعٍ لما يجب وعيه ، ولكن
عُدل عن هذه العبارة ونحوها إلى ما عليه التلاوة (٣) بقصد البناء على التمثيل ليقيد
ضرباً من التخيل ، وذلك أنه لما كان الإنسان حين لا ينتفع بقلبه فلا ينظر فيها
يبنى أن ينظر فيه ولا يفهم ولا يعي جعل كأنه قد عدم القلب جملة ، كما جعل من
لا ينتفع بسمعه وبصره فلا يفكر فيها يؤيدان إليه بمنزلة العادم لهما ، ولزم على هذا
الأمثال يقال — فلان له قلب — إلا إذا كان ينتفع بقلبه فينظر فيها يبنى أن ينظر فيه
وعي ما يجب وعيه ، فكان في قوله تعالى ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ تخيل أن من لم ينتفع
بقلبه كالعادم للقلب جملة ، بخلاف نحو قولنا — لمن كان له قلب ناظر فيها يبنى أن ينظر
فيه واعٍ لما يجب وعيه (٤) وفي نظم الآية فائدة أخرى شريفة وهي تقليد اللفظ مع
تكثير المعنى . ونقل الشيخ عبد القاهر (٥) عن بعض المفسرين أنه قال : المراد بالقلب
العقل . ثم شدّد عليه التكثير في هذا التفسير ، وقال : وإن كان المرجع فيما ذكرناه عند

(١) لأنها تستعمل على سبيل الاستعارة فيجب أن يبقى لفظها على حاله من غير
تغيير ، وتجري الاستعارة فيها بأن تشبه صورة مضرها بصورة موردها ثم يستمر
لفظها لها ، وعلى هذا يكون كل مثل استعارة ولا عكس ، ومن أمثالهم — أحشأ
وسوء كيلة — يُضرب لمن يُظلم من جهتين ، وتشبه فيه هيئة من يظلم من جهتين
بههيئة رجل اشترى من آخر حشفاً يتطيف في الكيل فقال له — أحشأ وسوء كيلة —
ثم استمر اللفظ الحال على التشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التخييلية .

(٢) آية ٣٧ سورة ٥٠

(٣) بالاختصار على قوله ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ دون وصفه بما ذكر .

(٤) فهو لا يفيد قد القلب من أصله ولا يخيله ، لأن الفقد فيه ينصب على القيد

دون القيد وهو القلب .

(٥) ٤٠٩ — أسرار البلاغة

التحصيل إلى ما ذكره ، ولكن ذهب عليه أن الكلام مبنى على تخيل أن من لا ينتفع بقلبه فلا ينظر ولا يعنى بمنزلة من عدم قلبه جملة (١) كما تقول في قول الرجل 'إذا قال - قد غاب عني قلبي أو ليس يحضر في قلبي - إنه يريد أن يخيل إلى السامع أنه غاب عنه قلبه بجملة ، دون أن يريد الإخبار أن عقله لم يكن هناك ، وإن كان المرجع عند التحصيل إلى ذلك ، وكذا إذا قال - لم أكن ههنا ، يريد غفلة عن الشيء ، فهو يضع كلامه على التخيل - هذا معنى كلام الشيخ ، وهو حق لأن المراد بالآية الحث على النظر والتفريع على تركه ، فإن أراد هذا المفسر بتفسيره أن المعنى لمن كان له عقل مطلقاً فهو ظاهر الفساد (٢) وإن أراد أن المعنى لمن كان له عقل ينتفع به وبعمله فيما خلق له من النظر فتفسير القلب بالعقل ثم تقييد العقل بما قيده عرى من الفائدة لصحة وصف القلب بذلك (٣) بدليل قوله تعالى (٤) ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ .

واعلم أن المثل السائر لهما كان فيه غرابة استعمير لفظه المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة (٥) وهو في القرآن كثير كقوله (٦) تعالى ﴿مِثْلَهُمْ﴾ كمثل الذي استموت قد نارا ﴿ أى حالهم العجيبة الشأ كحال الذي استموت قد نارا . وكقوله (٧) تعالى ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ أى الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة

(١) فيفيد نفي العقل وآلته في الجسم وهي القلب الذي هو محل الإدراك في عرف الناس ، أما حمله على العقل فيفيد نفيه وحده دون آلته ، والأول أبلغ . .
(٢) لأن المقصودين بذلك في الآية ومن على شاكلتهم كانت لهم عقول ، ومع هذا لم يكن في ذلك ذكرى لهم

(٣) والكلام إذا أمكن حمله على ظاهره لم يجوز المدول عنه إلا لفائدة .

(٤) آية ١٧٩ سورة ٧ .

(٥) استعارة لفظ المثل لذلك استعارة تصريحية مفردة وليست من التمثيل وقد توجد مع هذا ضمن تمثيل كما في الآية الأولى ، وإنما ذكر هنا استعارة لفظ المثل لمناسبة الكلام على استعارته فيما سبق ، على أنه مع هذا لم يخرج عن كونه كلاماً في الاستعارة .

(٦) آية ١٧ سورة ٢

(٧) آية ٦٠ سورة ١٦

وكقوله^(١) تعالى ﴿مثلهم في التوراة﴾ أي صفتهم وشأنهم التمتع بجنتهم^(٢)
وكقوله^(٣) تعالى ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ أي فيما قصصنا عليك من
المجائب قصة الجنة العجيبة ، ثم أخذ في بيان عجزها^(٤) إلى ذلك غير .

﴿فصل﴾

الاستعارة المكنية والتخييلية : قد يضر التشبيه في النفس فلا يصح بثوبه
من أركانه سوى لفظ المشبه ويدل^(٥) عليه بأن يثبت للمشبه أمر يختص^(٦) بالمشبه به
من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً أجرى عليه اسم ذلك الأمر^(٧) فيسمى
التشبيه استعارة بالكناية أو مكنيا منها ، وإنشأت ذلك الأمر للمشبه استعارة

(١) آية ٢٩ سورة ٤٨

(٢) هو ما بينه بقوله ﴿كزرج أخرج شطاءً فأزره فاستلظ فاستوى
على سؤقه﴾ يعجب الزرع لينظ بهم الكفار الآية .

(٣) آية ٥ سورة ٤٧

(٤) أي في قوله بعد هذا ﴿فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن
لم يتغير طعمه﴾ الآية ، هذا وكل كلام الخطيب في هذا الفصل يدور على الاستعارة
التصريحية ، أما الاستعارة المكنية والتخييلية فسيذكرها في الفصل الآتي ، ولا شك
أن ما مضى من الأقسام والأحكام لا يختص كله بالاستعارة التصريحية ، ولهذا جعل
غيره تلك الأقسام للاستعارة من غير تقييد بتصريحية أو غيرها .

(٥) أي على ذلك التشبيه المضر في النفس ، ويمتاز هذا التشبيه على التشبيه
الاصطلاحي بما يمتاز به الاستعارة من البالغة في التشبيه .

(٦) يعني بهذا ألا يكون في المشبه أمر حس أو عقلي يطلق عليه اسم الأمر المختص
بالمشبه به ، وهذا على مذهبه في أن قرينه المكنية لا تكون إلا تخيلية ، وسيأتي
بيان الخلاف في ذلك .

تخييلية (١) . والعلم (٢) في ذلك قول ليد :

وغداة ربح قد كشفت قرّة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها (٣)

فإنه جعل الشمال يداً ، ومعلوم أنه ليس هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً تجرى اليد عليه ، كإجراء الأسد على الرجل الشجاع والصراط على ملة الإسلام فيها سبق (٤) ولكن لما شبه الشمال لتعريفها القرّة على حكم طبيعتها في التعريف بالإنسان المعروف لما زمامه بيده أثبت لها يداً على سبيل التخييل مبالغة في تشبيهها به ، وحكم الزمام

(١) على هذا يكون الاستعارتان عنده امرين منويين غير داخلين في تعريف المجاز ، وقد أفردهما في هذا الفصل ليستوفي المعاني التي يطلق عليها اسم الاستعارة بطريق الاشتراك اللفظي ، والمذاهب في الاستعارتين ثلاثة : مذهب الخطيب السابق . ومذهب القدماء ، وهو أن المكنية هي اسم الشبه به المستعار في النفس للمشبه ، وأن التخييلية هي إثبات لازم الشبه به للمشبه . ومذهب السكاكي ، وهو أن المكنية هي لفظ المشبه المستعمل في المشبه به ادعاء ، وأن التخييلية هي اسم لازم المشبه به المستعار للصورة الوهمية التي أثبتت للمشبه والمكنية على مذهب القدماء والسكاكي داخله في المجاز اللفظي ، وكذلك التخييلية على مذهب السكاكي ، وقد قيل : إن التخييلية على مذهب القدماء والخطيب داخله في المجاز العقلي ، ولا يخفى أن هذا إنما يصح عند الخطيب إذا كان لازم المشبه به فلا أو في معناه ، كتولك — نطقت الحال بكذا — بخلاف نحو — أنشبت النية أظفارها بفلان — على أنه قد سبق أن المجاز العقلي لا يقوم على أساس التشبيه ، والتخييلية عند القدماء والخطيب تقوم على أساسه ، لأنها إثبات لازم المشبه به للمشبه ، فلا توجد إلا ومعه تشبيه قطعا . وإنى أرى هذا الخلاف قليل الثمرة ، لأن الأمر فيه يرجع إلى توجيه الاستعارتين فقط وكلها توجيهات محتملة .

(٢) أي المثال المشهور شهرة العلم .

(٣) هو للبيد بن ربيعة العامري ، والواو في قوله — وغداة — واو رب ، والقرّة البرد ، والشمال أبرد الرياح ، يفتخر بأنه يمنع عادة البرد عن الناس بإطعامهم وإيقاد النار لهم ، لأن ذلك وقت الجذب عندهم .
(٤) في الاستعارة التحقيقية وهي التعريفية .

في استعارته للقرة (١) حكم اليد في استعارتها للشمال ، لجعل للقرة زمناً ليكون آمناً
إثباتها مصروفة كما جعل للشمال يداً ليكون أبلغ في إثباتها مصروفة ، وفي المبالغة حقها
من الطرفين ، فالضمير في - أصبحت وزمامها - للقرة وهو قول الزمخشري ،
والشيخ عبد القاهر جملة للتداه (٢) والأول أظهر .

واعلم أن الأمر المختص بالمشبه به مثبت للمشبه منه ما لا يكل وجه الشبه في المشبه
به بدونه ، كما في قول أبي ذؤيب الهذلي :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل نيمة لاتفع (٣)

فإنه شبه المنية بالسبع في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تمزقة بين تقاع
وضرار ولا رقعة لرحوم ولا بقيا على ذي فضيلة ، فأثبت للمنية الأظفار التي لا يكل
ذلك في السبع بدونها تحقيقاً للمبالغة في التشبيه (٤) .

ومنه ما به يكون قوام وجه الشبه في المشبه به ، كما في قول الآخر .

ولئن نعلقت بشكر برءك مفصحا فلسان حالي بالشكاة أنطق (٥)

فإنه شبه الحال الدالة على القصور بإنسان متكلم في الدلالة ، فأثبت لها اللسان القوي

(١) أي بعد تشبيهها بالمطية وحذف المشبه به ، ففي هذا استمارة مكنية وتخيلية
أيضا .

(٢) ٥٢ - أسرار البلاغة .

(٣) المنية الموت ، وقوله - أنشبت - بمعنى علقت ، وقوله - ألفت - بمعنى
وجدت ، والنيمة خرزة يحملونها معاذة من العين والجن ، وأبو ذؤيب هو جويهر
ابن خالد .

(٤) إنما كانت الأظفار مكلة لذلك لأنه يمكن حصوله بالانياب ونحوها .

(٥) هو لعمد بن عبد الله العتي ، والبر المعروف ، وقوله - فلسان حالي - الخ -
قائم مقام جواب الشرط ، وتقديره فإن لسان مقال لا يكون أقوى من لسان حالي ،
وهذا لأن ضره أكثر من بره .

به فوام الدلالة في الإنسان (١) :

وأما قول زهير :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعزى أفراس الصبا ورواحله (٢)

فيحتمل أن يكون استعارة تخيلية وأن يكون استعارة حقيقية ، أما التخيل فأن يكون أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه أو أن الحبة من الجهل والنسي وأعرض عن مآوده فتعطلت آلاته كأي أمر وطنت النفس علي تركه ، فإنه تهمل آلاته فتعطل ، فشبه الصبا بجهة المسير كالبحر والتجارة فضى منها الوطر فأهملت آلاتها فتعطلت (٣) فأثبت له الأفراس والرواحل (٤) فالصبا علي هذا من الصبوة بمعنى الميل إلى الجهل والفتوة لا بمعنى الفتاة (٥) وأما التحقيق فأن يكون أراد بالأفراس والرواحل دواعي النفوس وشهواتها والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات ، أو الأسباب التي قالها تتأخذ في اتباع النسي إلا أواف الصبا (٦) .

(١) يجوز أن يكون قوله — لسان حال — من إضافة المشبه به إلى المشبه فيكون تشبيها لا استعارة .

(٢) هو زهير بن أبي سلمى ، وقوله — صحا — هو في الأصل بمعنى الإفاقة من سكر ونحوه ، وهو مستعار هنا للسوا وزوال العشق ، وقوله — أقصر — بمعنى امتنع عن قدرة وفي العبارة قلب والأصل وأقصر عن باطله ، ويجوز أن يكون معناه مطلق الامتناع فلا يكون في العبارة قلب ، والرواحل جمع راحلة وهي القوى من الإبل علي الاحمال والاسفار .

(٣) هذا التشبيه استعارة مكنية .

(٤) إثبات ذلك له استعارة تخيلية .

(٥) المراد بالفتوة استيفاء اللذات وبالفتاة زمن الشباب .

(٦) هذه الأسباب كالمال والأعوان ، والتحقيق علي إرادتها حتى وعلى إرادة دواعي النفوس عقلية ، والاستعارة عليهما تحقيقية نصريحية ، والصبا فيهما من الصبا بمعنى الفتاة لا من الصبوة ، لأنها هي الدواعي المرادة من الأفراس فلا تصح إضافته إليها ، وعلي هذا لا يكون في ذلك استعارة مكنية ولا تخيلية لأنهما متلازمان =

﴿ فصل ﴾

اعتراضات على السكاكي : إعلم أن كلام السكاكي في هذا الباب — أعنى باب الحقيقة والمجاز والفصل الذى يليه — مخالف لمواضع مما ذكرنا ، فلا بد من التعرض لها وتبيان ما فيها .

اعتراض عليه فى تعريف الحقيقة والمجاز : منها أنه عرف الحقيقة اللغوية بالكلمة المستعملة فيما هى موضوعه له من غير تأويل فى الوضع (١) وقال : إنها ذكرت هذا القيد يعنى قوله — من غير تأويل فى الوضع — ليحترز به عن الاستعارة ، ففى الاستعارة تمدد الكلمة مستعملة فيما هى موضوعه له على أصح القولين (٢) ولا نسبها حقيقة ، بل نسبها مجازاً لغوياً ، لبناء دعوى الستار موضوعاً للمستعار له على ضرب من التأويل كما مر (٣) .

عند الخطيب ، وقد جوز الزحشرى أن تكون قرينة المكنية استعارة تحقيقية ، كما فى قوله تعالى ﴿ الذين ينقضون عهد الله ﴾ ٢٨ - ٢٩ - فقد شبه العهد بالحلل على طريق الاستعارة المكنية ، ثم استعير النقص وهو قرينتها لإبطال العهد على طريق الاستعارة التحقيقية التصريحية ، وعلى هذا يصح اجتماع المكنية والتصريحية فى أفراس الصبا .

هذا ولا يفوتنى فى هذا الفصل أن أشير إلى أن عبد القاهر فى شرح بيت لبيد « وغداة ريح - البيت » لم يذكر إلا إثبات اليد للشمال تخييل ، ولم يتعرض بعده لاستعارة بالكناية ولا غيرها ، وإنى أرى أن تقدير التخييل فى ذلك ونحوه يعنى عن تقدير الاستعارة المكنية .

(١) ١٩١ - المفتاح

(٢) هو القول بأنها مجاز لغوى ، فيجب عليه الاحتراز عنها لكونها مستعملة فى غير معناها الحقيقى وأما على القول بأنها مجاز عقلى فلفظها يكون مستعملاً فى معناه الحقيقى ، فلا يصح الاحتراز عنها ، وعلى هذا يكون قوله تعالى أصح القولين — متملقاً بقوله ليحترز أو باستعارة ، وكان الأولى ذكره بعدها كما جاء فى التلخيص .

(٣) يريد بالتأويل دعوى دخول المشبه فى جلس المشبه به .

ثم عرف المجاز اللغوي بالكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها^(١) مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع^(٢) وقال : قولي — بالتحقيق — احتراز "ألا" نخرج الاستعارة^(٣) التي هي من باب المجاز نظراً إلى دعوى استعمالها فيما هي موضوعة له على ما مر ، وقوله — استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها — بمنزلة قولنا في تعريف المجاز — في اصطلاح به التخاطب — على ما مر ، وقوله — مع قرينة النح — احتراز عن الكناية كما تقدم .

وفيهما نظر ، لأن لفظ الوضع وما يشتق منه إذا أُطلق لا يفهم منه الوضع بتأويل ، وإنما يفهم منه الوضع بالتحقيق لما سبق من تفسير الوضع ، فلا حاجة إلى تقييد الوضع في تعريف الحقيقة بعدم التأويل وفي تعريف المجاز بالتحقيق ، اللهم إلا أن يراد زيادة البيان لاتمهم الحد ، ثم تقييد الوضع باصطلاح التخاطب ونحوه إذا كان لا بد منه في تعريف المجاز ليدخل فيه نحو — لفظ الصلاة — إذا استعمالها المتخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازاً ، فلا بد منه في تعريف الحقيقة أيضاً ليخرج نحو هذا اللفظ منه كما سبق ، وقد أهمله في تعريفها ، لا يقال . قوله في تعريفها — من غير تأويل في الوضع — أغنى عن هذا القيد ، فإن استعمال اللفظ فيما وضع له في غير اصطلاح التخاطب إنما يكون بتأويل في وضعه ، لأن التأويل^(٤) في الوضع يكون في الاستعارة على أحد القولين^(٥)

(١) فإذا كانت الحقيقة لغوية تكون الكلمة مستعملة في غير معناها اللغوي فتكون مجازاً لدوياً ، وإذا كانت شرعية تكون الكلمة مستعملة في غير معناها الشرعي فتكون مجازاً شرعياً ، وهكذا .

(٢) ١٩٢ - للفتاح .

(٣) هذه العبارة فاسدة لأن الاحتراز بذلك عن خروج الاستعارة لا عن عدم خروجها ، فقوله بالتحقيق — قيد للإدخال لا للإخراج ، ويجوز تقدير اللام أي لئلا نخرج فتصبح العبارة :

(٤) تمثيل للنفي في قوله — لا ينال النح .

(٥) هو القول بأنها مجاز لغوي ، والتأويل عليه بمعنى دعوى دخول الشبه

في جنس الشبه به .

دون سائر أقسام المجاز^(١) ولذلك قال - وإنما ذكرت هذا القيد ليحتج به عن الاستعارة . ثم تعريفه للمجاز يدخل فيه النلط كما تقدم^(٢) .

الاعتراض عليه في جعل التمثيل من المجاز المفرد : ومنها أنه قسم المجاز إلى الاستعارة وغيرها^(٣) وعرف الاستعارة بأن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مُدْعِياً دخول التشبيه في جنس التشبيه^(٤) وقسم الاستعارة إلى المصريح بها والمكشوف عنها ، وعنى بالمصريح بها أن يكون المذكور من طرفي التشبيه هو التشبيه^(٥) وجعلها ثلاثة أصرب : تحقيقية وتخيلية ومحتملة للتحقيق والتخييل^(٦) وفسر التحقيقية بما مر^(٧) وعدَّ التمثيل على سبيل الاستعارة منها . وفيه نظر ، لأن التمثيل على سبيل الاستعارة لا يكون إلا مركباً كما سبق ، فكيف يكون قسماً من المجاز المفرد ؟ ولو لم يقيد الاستعارة بالإنفراد وعرفها بالمجاز الذي أريد به ما شبهه بمعناه الأصلي مبالغة في التشبيه دخل كل من التحقيقية والتمثيلي في تعريف الاستعارة^(٨) .

(١) فالذي يخرج به عن تعريف الحقيقة هو الاستعارة دون غيرها من أقسام المجاز، فلا يَدَّ حيلُثذ من ذلك القيد منه .

(٢) لأنه لم يذكر فيه قيد - على وجه يصح - وهو الذي يخرج به النلط كما سبق في تعريف الخطيب للمجاز .

(٣) ١٩٤ - المفتاح .

(٤) ١٩٦ - المفتاح .

(٥) ١٩٨ - المفتاح .

(٦) يعنى بالمحتملة للتحقيق والتخييل نحو ما سبق من بيت زهير في ص ١٥٦

(٧) في ص ١٠٤

(٨) أى ولم يمتز على ذلك ، وقد أجيب عن ذلك الاعتراض بأن القسم قد يكون أعم من مقسمه ، كما في تقسيم الأبيض إلى حيوان وغيره .

الاعتراض عليه في تعريف التخيلية : ومنها أنه فسر التخيلية بما استعمل في صورة وهمية قد رت 'مشابهة' لصورة محقة هي معناه ، كما فسر الأظفار في قول المزدلي (١) فإنه لما شبه النية بالسبع في الاغتيال على ما تقدم أخذ الوهم في تصويرها بصورته واختراع مثل ما يلائم صورته ويتم به شكله لها من الهيئات والجوارح ، وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتياله للنفس به. فاخترع للنية صورة مشابهة لصورة الأظفار المحقة فأطلق عليها اسمها (٢) وفيه نظر ، لأن تفسير التخيلية بما ذكره بعيد لما فيه من التعسف (٣) وأيضاً فظاهر تفسير غيره لها بقولهم — جعل الشيء للشيء كجعل لبيد (٤) للشمال يداً — بخالفه ، لاقتضاء تفسيره أن يجعل للشمال صورة متوهمة مثل صورة اليد لأن يجعل لها يداً ، بإطلاق اسم اليد على تفسيره استعارة ، وعلى تفسيره غير حقيقة والاستعارة إثباتها للشمال ، كما قلنا في المجاز العقلي الذي فيه المسند حقيقة لنوعية (٥) وأيضاً فيلزمه أن يقول بمنزلة ذلك — أعني بإثبات صورة متوهمة — في ترشيح الاستعارة (٦) لأن كل واحدة من التخيلية والترشيح فيه إثبات بعض لوازم المشبه به المختصة به للمشبه ، غير أن التعبير عن المشبه في التخيلية بالفظه الموضوع له وفي الترشيح بغير لفظه (٧) وهذا

«١» قد سبق في ص ١٥٥ .

«٢» ٢٠٠ — الفتح

«٣» باشتاله على تلك الاعتبارات الكثيرة من تقدير الصورة الخيالية ، ثم تشبيهها بالمحقة ، ثم استعارة لفظها لها ، وهي اعتبارات لا دليل في الكلام عليها ولا تدعو حاجة إليها .

«٤» أنظر ص ١٥٥

«٥» نحو — أتيت الزبيح البقل .

«٦» كما في قولك — رأيت أسداً يحارب له لبيد — فهو يعني ترشيح الاستعارة

التصريحية .

«٧» هو لفظ المشبه به كما هو شأن الاستعارة التصريحية .

لا يفيد فرقا ، والقول بهذا يقتضى أن يكون الترشيح ضرباً من التخيلية وليس كذلك (١) وأيضاً فتفسيره للتخيلية أعم من أن تكون تابعة للاستمارة بالسكنانية كما في بيت الهذلى (٢) أو غير تابعة بأن يُستخيل ابتداء صورة وهمية مشابهة لصورة محقة فيستمار لها اسم الصورة المحقة ، والثانية بعيدة جداً ، ويدل على إرادته دخول الثانية في تفسير التخيلية أنه قال : حسنُها بحسب حسن المكنى عنها متى كانت تابعة لها ، كما في قولك — فلان بين أنياب النية ومخالبها — وقلما تحسن الحسن البليغ غير تابعة لها ، ولذلك استشهدتُ في قول الطائي :

لا تسقنى ماء الملام فإننى صب قد استعذبت ماء بكائى (٣)

فإن قيل : لِم لا يجوز أن يريد يغير التابعة للمكنى عنها التابعة لغير المكنى عنها ؟ قلنا : غير المكنى عنها هي المصريح بها ، فتكون التابعة لها ترشيح الاستمارة ، وهو من أحسن

« ١ » لأن التخييل خاص بالمسكنية والترشيح خاص بالتصريحية والمجاز المرسل ، ويمكن أن يحاجب عن هذا بأن الترشيح للمبالغة في الاستمارة والتخييل لحصولها ، ولا شك أن ما يقوى الشيء الحاصل يجدر به أن يسمى ترشيحاً ، وأن ما لا تعلم الاستمارة إلا به يجدر به أن يسمى استمارة ، وقد قيل : إن الترشيح يأتي في المسكنية أيضاً ، كقولك — أظفار النية نثبت بفلان فافتسته — فالافتراس ترشيح في هذه الاستمارة وهي ممكنة لا تصريحية .

« ٢ » قد سبق في ص ١٥٥

« ٣ » ٢٠٦ — المفتاح

« ٤ » هو لأبي تمام ، واللام اللوم والعتاب ، والصب الماشق وذو الولع الشديد ، وقوله — استعذبت — من استعذب الشيء بمعنى وجده عذبا ، والشاهد في قوله — ماء الملام — لأنه تخيلية غير تابعة للمسكنية ، وسيوجه الخطيب بعدد . وقد حكى أن رجلا جاء أبا تمام بقصعة وقال : أعطنى قليلا من ماء الملام . فقال أبو تمام : لا أعطيك حتى تأتبنى بريشة من جناح النمل . فأغرم الرجل ، والحق أنه ليس جعل الجناح للذل كجمل الماء للاملام ، لأن الطائر إذا وهن بسط جناحه وخفضه وألقى نفسه على الأرض ، وبهذا حسن جعل الجناح للذل لما بينهما من المناسبة .

وجوه البلاغة ، فكيف يصح استهجانها ؟ وأما قول أبي تمام فليس له فيه دليل ، لجواز أن يكون أبو تمام شبه الملام بظرف الشراب لاشتراكه على ما يكرهه الملام ، كما أن الظرف قد يشمل على ما يكرهه الشارب لبشاعته أو مرارته ، فتكون التخيلية في قوله تابعة للمعنى عنها ، أو بالماء نفسه^(١) لأن اللوم قد 'يسكن' حرارة الغرام كما أن الماء يسكن غليل الأوام ، فيكون تشبيهاً على حد — لجين الماء — فيما مر^(٢) لا استعارة ، والاستهجان على الوجهين^(٣) لأنه كان ينبغي له أن يشبهه بظرف شراب مكروه أو شراب مكروه^(٤) ولهذا لم يستهجن نحو قولهم — أغلظت لفلان القول ، وجرعته منه كأساً مرة ، أو سقيته أمراً من العلقم^(٥) .

الاعتراض عليه في تعريف المكنية : ومنها أنه عني بالاستعارة المكنى عنها أن يكون المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه^(٦) على أن المراد بالمنية في قول الهذلي^(٧) السبعُ بادعاء السبعية لها وإنكار أن تكون شيئاً غير السبع بقريضة إضافة الأظفار إليها^(٨) وفيه نظر ، للقطع بأن المراد بالمنية في البيت هو الموت لا الحيوان المفترس ،

(١) مطوف على قوله — بظرف الشراب .

(٢) انظر ص ٧٧

(٣) يعني أن قول أبي تمام مستهجن على هذين الوجهين أيضاً ، وهما أن يكون تخيلية تابعة للمكنية وأن يكون تشبيهاً لا استعارة .

(٤) أي لا بظرف شراب مطلقاً ، كما في الوجه الأول ، ولا بالماء كما في الوجه الثاني ، لأن الملام مكروه فيجوز في استعارة شيء له أو تشبيهه به أن يكون مكروهاً ، لوجوب المناسبة بين الطرفين في الاستعارة والتشبيه .

(٥) لأنه شبه فيه القول المكروه بظرف شراب مكروه أو بمشروب مكروه .

(٦) في هذه العبارة كساحل ، لأن المكنية عند السكاكي هي لفظ المشبه لا كونه هو المذكور من طرفي التشبيه .

(٧) قد سبق في ص ١٥٥

(٨) ٢٠١ — المفتاح .

فهو مستعمل فيها هو موضوع له على التحقيق ، وكذا كل ما هو نحوه ، ولا شيء من الاستعارات مستعملا كذلك ، وأما ما ذكره في تفسير قوله — من أنا ندعى ههنا أن اسم المنية اسمٌ للسبع مُرادفٌ للفظ السبع بارتكاب تأويل ، وهو أن تدخل المنية في جنس السبع للبالغة في التشبيه ، ثم نذهب على سبيل التخيل إلى أن الواضع كيف يصح منه أن يضع اسمين للحقيقة واحدة ولا يكونان مترادفين ، فيتبها لنا بهذا الطريق دعوى السبعية للمنية مع التصريح^(١) بلفظ المنية — فلا يفيد ، لأن ذلك لا يقتضى كون اسم المنية غير مستعمل فيها هو موضوع له على التحقيق من غير تأويل ، فيدخل في تعريفه للحقيقة ويخرج من تعريفه للمجاز^(٢) وكأنه لما رأى علماء البيان يطلقون لفظ الاستعارة على نحو ما نحن فيه^(٣) وعلى أحد نوعي المجاز اللغوي الذي هو اللفظ المستعمل فيما شُبِّهَ بمعناه الأصلي^(٤) ويقولون : الاستعارة تنافي ذكر طرفي التشبيه — ظن أن مرادهم بلفظ الاستعارة عند الإطلاق وفي قولهم استعارة بالكناية معنى واحد^(٥) فبنى على ذلك ما تقدم^(٦) .

الاعتراض عليه في رد التبعية إلى الكناية : ومنها أنه قال في آخر فصل الاستعارة التبعية : هذا ما أمكن من تلخيص كلام الأصحاب في هذا الفصل ، ولو أنهم جعلوا قسم الاستعارة التبعية من قسم الاستعارة بالكناية ، بأن قلبوا فجعلوا

(١) يعنى أن التصريح بلفظها ينافي دعوى دخولها في جنس السبع ، لأن الذي يناسبه عدم التصريح بها وإطلاق لفظ السبع عليها ، ولكن بعد تخيل تلك المرادفة تزول تلك المنافة لأن لفظ المنية يصير كلفظ السبع .

(٢) لأن ادعاء السبعية لا يخرجها عن حقيقتها كما هو شأن الادعاء في كل شيء ، وحينئذ يكون لفظها لا يزال مستعملا في حقيقته مع ذلك الادعاء .

(٣) هو الاستعارة المسكنية .

(٤) هو الاستعارة التصريحية .

(٥) هو اللفظ المستعمل في غير معناه الأصلي لملاقة التشبيه .

(٦) من تعريفه الاستعارة بالكناية بأنها لفظ التشبيه المستعمل في المشبه به بادعاء دخوله فيه .

في قولهم — نطق الحال بكذا — الحال التي ذكرها عندهم قرينة الاستعارة بالتصريح^(١) استعارة بالكناية عن التكلم بوساطة المبالغة في التشبيه على مقتضى المقام وجعلوا نسبة النطق إليه قرينة الاستعارة ، كما تراهم في قوله :

وإذا المنية أنشبت أظفارها^(٢)

يحملون النية استعارة بالكناية عن السبع ، ويحملون إثبات الأظفار لقرينة الاستعارة وهكذا لو جعلوا البخل^(٣) استعارة بالكناية عن حي أبطأ حياته سيف أو غير سيف فالتحق بالدم ، وجعلوا نسبة القتل إليه قرينة الاستعارة ، ولو جعلوا أيضاً الأسمه ميات^(٤) استعارة بالكناية عن المعلومات اللطيفة الشبهة على سبيل التهمك ، وجعلوا نسبة لفظ القرى إليها قرينة الاستعارة — لكان أقرب إلى الضبط^(٥) . هذا لفظه^(٦) وفيه نظر ، لأن التبعية التي جعلها قرينة لقرينتها التي جعلها استعارة بالكناية ، كنطقت في قولنا — نطق الحال بكذا — لا يجوز أن يقدرها حقيقة حينئذ ، لأنه لو قدرها حقيقة لم تكن استعارة تخيلية لأن الاستعارة التخيلية عنده مجاز كما مر ، ولو لم تكن تخيلية لم تكن الاستعارة بالكناية مستلزمة للتخيلية ، واللازم باطل بالاتفاق^(٧) فيتمين أن يقدرها مجازاً ، وإذا قدرها مجازاً لزمه أن يقدرها من قبيل الاستعارة لتكون العلاقة بين المعنيين هي المشابهة ، فلا يكون ما ذهب إليه مغنيا عن قسمة الاستعارة إلى

(١) هي الاستعارة التصريحية التبعية في — نطق .

(٢) قدم سبق هذا البيت في ص ١٥٥ .

(٣) أي في البيت السابق في ص ١٣٨ .

(٤) أي في البيت السابق في ص ١٣٨ .

(٥) يعنى بالضبط أن تكون أقسام الاستعارة قليلة غير منتشرة :

(٦) ٢٠٤ — المفتاح

(٧) دعوى الاتفاق في هذا غير صحيحة ، لأن الزغشري كما سبق يجوز أن تكون قرينة المسكنية استعارة تحقيقية ، والسكاكي أيضاً لم يرد عنه نص قاطع في استلزام المسكنية للتخييلية ، بل اضطرب في هذا كلامه هنا وفي المجاز العقلي .

أصلية وتبعية ، ولكن إستفاد مما ذكر ردُّ التركيب في التبعية (١) إلى تركيب الاستعارة بالكناية على ما فسرناها (٢) وتصور التبعية حقيقة واستعارة تخيلية ، لما سبق أن التخييلية على ما فسرناها (٣) حقيقة لا مجاز .

فصل

شروط حسن الاستعارة : وإذا قد عرفت معنى الاستعارة التحقيقية والاستعارة التخيلية والاستعارة بالكناية والتمثيل على سبيل الاستعارة ، فاعلم أن لحسنها شروطاً إن لم تصادفها عريت عن الحسن ، وربما تكتسب قبجاً ، وهي في كل من التحقيقية والتمثيل (٤) رعاية ما سبق ذكره من جهات حسن التشبيه (٥) وألا يُشتم من جهة اللفظ.

(١) يعنى بالتبعية التصريحية التبعية في نحو نطقت من قولهم — نطقت الحال بكذا — ويعنى بالتركيب فيها تركيبها مع قرينتها وهي الحال ، ويعنى برد ذلك إلى تركيب الاستعارة بالكناية أن يجعل استعارة بالكناية وقرينة لها .

(٢) من أنها التشبيهية المضمرة في النفس .

(٣) من أنها إثبات لازم المشبه به للمشبه ، ومراده من كل هذا على تعقيد أنه الشكافي لو كان يرى في المسكنية والتخييلية ما يراه الخطيب لأمكنه رد التبعية إليهما ولم يرد عليه ذلك الاعتراض لأن التخييلية على قول الخطيب حقيقة لا مجاز ، ولكن يبقى أن رد التبعية إلى المسكنية إنما يمكن فيما قرينتها لفظية لا حالية كما في قوله تعالى ﴿ لعلمكم تتقون ﴾ آية ٢١ سورة ٢

(٤) يريد بالتحقيقية الاستعارة التصريحية والتمثيل المجاز المركب على ما سبق له .
(٥) هو أن يكون وجه الشبه ظاهر الشمول للطرفين وإثباتاً بإفادة باعلاق عليه من النرض ونحو ذلك ، وإنما اعتبر في ذلك ظهور الشمول لأن أصله شرط في صحة التشبيه لا في حسنه ، ومن الاستعارة القبيحة لفقد ذلك الشرط قول الشاعر :

وذات هدْم عارٍ نواشرها مُتصِّمَت بالماء تولُّبا جدعاً =

رائحة^(١) ولذلك يُوصى فيه أن يكون الشبه بين طرفيها جلياً بنفسه أو معرفي
أو غيره^(٢) وإلا صار تممية وإناراً لا استمارة وتمثيلاً ، كما إذا قيل - رأيت أسداً -
وأريد إنساناً أبخر ، وكما إذا قيل - رأيت إبلا مائة لا تجد فيها راحلة - وأريد
الناس^(٣) أو قيل - رأيت عوداً مستقيماً وإن الفرس - وأريد إنساناً مؤدباً في
صباه ، وبهذا ظهر أنهما لا يجيئان في كل ما يجيء فيه التشبيه

سمى الصبي تولباً وهو وله الحمار ، فهي استمارة بعيدة فاحشة .

(١) هذا يكون بذكر المشبه على وجه لا ينبىء عن التشبيه ، فلا تبطل به الاستمارة
ولكنها تكون قبيحة ، كما في قول الشاعر :

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زرّ أزراره على القمر

فإنه ذكر فيه ضمير المشبه وهو المحبوب على وجه لا ينبىء عن التشبيه ، وإنما قيد
شم ذلك بأن يكون من جهة اللفظ لأن الاستمارة يشم منها ذلك في المعنى قطعاً .
ويجب أن يراعى في الاستمارة مناسبتها لحال الزمان والمكان ، ولهذا يقول العرب إذا
فسد ما بين الصديقين - ببس الثرى ما بين الصديقين - ويقول غيرهم - جمد الثلج بين
الصديقين - فیراعى كل منهما حال مكانهما .

(٢) جلاؤه بنفسه كما في تشبيه القدر بالفضن في الاعتدال ، لأنه يدرك بالحس ،
وجلاؤه بالعرف كما في تشبيه الرجل الشجاع بالأسد ، لأن الأسد معروف بالشجاعة
وإنما كان هذا الشرط مترتباً على ما قبله لأنه إذا لم تشم رائحة التشبيه من جهة اللفظ
كان في ذلك نوع خفاء فيه ، فلا يصح أن يضم إليه خفاء وجه الشبه ، ولكن
استحسان جلاء الشبه يجب أن يكون بحيث لا يصير به إلى حد الابتذال ، لما سبق من
تفضيل الشبه الغريب على المبتذل .

(٣) هذا المثال مأخوذ من حديث سبق في ص ٦٦ ، ولكن الخفاء فيه من جهة
عدم ذكر القرينة لا من جهة خفاء الشبه .

وبما يتصل بهذا^(١) أنه إذا قوى الشبه بين الطرفين بحيث صار الفرع كأنه الأصل لم يحسن التشبيه وتعين الاستعارة^(٢) ، وذلك كالنور إذا شُبَّهَ العلم به والظلمة إذا شُبَّهَتْ بها ، فإنه لذلك يقول الرجل إذا فهم للسألة — حصل في قلبي نور — ولا يقول كأن نوراً حصل في بطني^(٣) ويقول لمن أوقعه في شبهة — أوفستني في ظلمة — ولا يقول كأنك أوفستني في ظلمة .

وكذا السكينة عنها حسنها برعاية جهات حسن التشبيه^(٤) وأما التخيلية فحسنها بحسب حسن السكينة عنها ، لما يَدَّنا أنها لا تكون إلا تابعة لها .

(١) أى المذكور من أنه إذا خفي الشبه لم يحسن الاستعارة ، والاتصال بينهما على وجه التقابل ، وقيل أيضاً : إن هذا كالاكتفاء من الشرط الأول لعدم حسن التشبيه فيها سيذكره مع حسن الاستعارة فيه .

(٢) يعنى بتعينها استحسناتها ، لأن التشبيه يجوز في هذا مع حسن الاستعارة فيه .

(٣) مثل هذا قد يقبل ، وإنما الذى لا يقبل أن يقال — حصل في قلبي علم كالنور وكذا ما بعده .

(٤) مما استهجن من أجل هذا قول أبي نواس :

بجَّ صوتُ المالِ ممَّا منك يشكو ويصبحُ

لأنه لا مناسبة بين طرفي الاستعارة ، وهو يريد أن المال يتظلم من إهانتة له بالتمزيق والمطاء ، فالمنى حسن والتعبير عنه قبيح ، والمقبول في ذلك قول مسلم بن الوليد :

تظلمُ المالُ والأعداءُ من يده لا زال للمال والأعداءُ ظلاماً

وإنما لم يشترط في السكينة ألا يشم رائحة التشبيه لفظاً لأن من لوازمها ذكر لازم المشبه به فيشم به رائحة التشبيه لفظاً .

فصل

المجاز بالحذف والزيادة : واعلم أن الكلمة كما توصفُ بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلي كما مضى ، توصف به أيضاً لنقلها عن إعرابها الأصلي إلى غيره لحذف لفظ أو زيادة لفظ ، أما الحذف فكقوله (١) تعالى ﴿ وَاَسْأَلُ الْقَرْيَةَ ﴾ أى أهل القرية (٢) فأعراب القرية فى الأصل هو الجر ، فحذف المضاف وأعطى المضاف إليه إعرابه ، ونحوه قوله (٣) تعالى ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ أى أمر ربك (٤) وكذا قولهم — بنو فلان يطؤون الطريق — أى أهل الطريق .

وأما الزيادة فكقوله (٥) تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ على القول بزيادة الكاف (٦) أى ليس مثله شيء ، فأعراب (مثله) فى الأصل هو النصب فزيدت الكاف فصار جرّاً . فإن كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغيير الإعراب — كما فى قوله (٧) تعالى ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ إذ أصله أو كمثل ذوى صيب ، فحذف — ذوى — للدلالة (يحملون أصابعهم فى آذانهم) عليه . وحذف مثل لما دل عليه عطفه على قوله (كمثل الذى

(١) آية ٨٢ سورة ١٢

(٢) لأن السؤال إنما يتوجه إليهم ، وإذا جعلت القرية مجازاً عن أهلها كان مجازاً مرسلًا من إطلاق اسم المحل على الحال .

(٣) آية ٢٢ سورة ٨٩

(٤) لأن المجيء مستحيل عليه تعالى بخلاف أمره ، لأنه يجوز إسناد المجيء إلى الأمر على سبيل المجاز العقلي ، بل قيل : إنه صار فى مثل هذا حقيقة عرفية ، كقولهم — جاء أمر السلطان — ونحوه .

(٥) آية ١١ سورة ٤٢

(٦) قيل : إنها أصلية لأن لفظ مثل قد يبنى به غما يضاف إليه ، كقولهم — مثلك لا يبيخل .

(٧) آية ١٧ سورة ٢

استوفد ناراً (١) إذ لا يخفى أن التشبيه ليس بين صفة المنافقين العجيبة الشأن وذوات ذوى صيب (٢) ، وكقوله (فبا رحمة من الله لنت لهم (٣)) وقوله (لئلا يسلم أهل الكتاب (٤)) فلا توصف الكلمة بالمجاز .

إنكار المجاز بالحذف والزيادة : وقد بالغ الشيخ عبد القاهر في النكير على من أطلق القول بوصف الكلمة بالمجاز للحذف أو الزيادة (٥)

(١) وإنما هو بين صفة المنافقين العجيبة أى مثلهم ومثل ذوى صيب .
(٢) آية ١٥٩ سورة ٣ ، وقد قسم الغزالي المجاز إلى أربعة عشر قسمًا ، وجعل هذا من قسم الزيادة في الكلام بغير فائدة ، وقد رد عليه ابن الأثير بأنه لا مجاز فيه ، وبأن — ما — ليست بزيادة ، لأنها لتفخيم الأمر ، وهي محض التصاحح .
(٣) آية ٢٩ سورة ٥٧ .

(٤) ٤٥٠ — ٤٦٣ — أسرار البلاغة ، فالمجاز عنده خاص بنقل الكلمة عن معناها الأصلي إلى غيره ، وقال السكاكي : رأي أن يقال هو مشبه للمجاز وماحق به لا شترأكما في التمدى عن الأصل ، وقد جعله ابن الأثير من المجاز بمعنى التوسع في الكلام .

تمارين على الجواز المرسل والاستعارة

تمرين ١ -

- (١) بين ما فيه جواز مرسل وما فيه استعارة من هذين البيتين :
- من يزرع الشجر يحصد في عواقبه ندامة ولحصد الزرع إيثان
ولم يبق سوى السدوا في دنائهم كما دأبوا
- (٢) ما نوع الاستعارة وما قرينتها في قول الشاعر :
- إذا ما الدهر جرّ على أناس كلاكسه أناخ بأخرينا

تمرين ٢ -

- (١) وردت - دما - فيما يأتي مجازا مرسلا واستعارة فبينهما :
- فكّلما فاضت عيونُ قبيلةٍ دماً ضحكته عنه الأحاديثُ والذكرُ
أكانت دما إن لم أرُعك بضرةٍ بعيدة مهوى القُسط طيبة الشجر
- (٢) كيف تجرى الاستعارة بالكناية والاستعارة التخيلية في قول الشاعر :
- إذا امتحن الدنيا لبب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

تمرين ٣ -

- (١) كيف جرت الاستعارة في العلم من قول الشاعر :
- لقد حان توديعُ العميد وإنّهُ حقيقٌ بتشيع المحبين والمدا
فلم لا نرى الأهرام يا نيل ميّدا وفرعون عن واديك مرتحل غدا
- (٢) كيف تجرى الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيُّنَ أَنْ يُحْمَلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ ي ٧٢ ص ٣٣

تمرين — ٤

بين الاستمارة المطلقة والمرشعة والمجردة في إلايات الآتية :

- (١) رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر ظواهر جلند وهو للقلب جارج
- (٢) إن التباعد لا يضر إذا تقاربت القلوب
- (٣) إذا انتضل القوم الأحاديث لم يكن عيئاً ولا رباً على من يقاعد

تمرين — ٥

(١) لماذا قبحت الاستمارة في قول الشاعر :

بليتناك أمّا كعب عرضك في العلا فمال وأمّا خدّ مالك أسفل

(٢) لماذا كان المجاز المرسل في هذا البيت غير مفيد :

فبتنا جاروساً لدى مهترنا تنزع من شفّيه الصفارا

(٣) لماذا استحدثت الاستمارة التخيلية في قوله تعالى ﴿ واخفض لهما جناح

الذلل ﴾ آية ٢٤ سورة ١٧ ، واستهجن في قول أبي تمام :

لا تسقى ماء اللام فإننى صب قد استعذبت ماء بكائى

تمرين — ٦

(١) وازن بين الاستمارتين في قول الشاعر :

سألت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

وقول الآخر :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

(٢) ماهى علاقة المجاز المرسل في قول الشاعر :

فهمت الكتاب أبر الكتب فسمعا لأمر أمير العرب

(٣) لماذا عيب على أبي تمام قوله :

يا دهر قنوم من أخدعك فقد أضججت هذا الأنام من خرقك

القول في الكناية

تعريف الكناية : الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حيث^(١) كقولك — فلان طويل النجاد — أى طويل القامة ، و — فلانة نؤوم الضحى — أى مرفهة مخدومة غير محتاجة إلى السعى بنفسها فى إصلاح المهمات ، وذلك أن وقت الضحى وقت سعى نساء العرب فى أمر المعاش وكفاية أسبابه وتحصيل ما يحتاج إليه فى تهينة المتاولات وتدبير إصلاحها ، فلا تنام فيه من نسائهم إلا من تكون لها خدم ينوبون عنها فى السعى لذلك ، ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد والنوم فى الضحى من غير تأويل^(٢) فالفرق بينها وبين المجاز من هذا الوجه ، أى من جهة إرادة المعنى^(٣) مع إرادة لازمة ، فإن المجاز ينافى ذلك ، فلا يصح فى نحو قولك — فى الحمام أسد — أن تريد معنى الأسد من غير تأويل ، لأن المجاز ملزوم قرينة معاندة لإرادة الحقيقة كما عرفت ، وملزوم معاندة الشيء معاندة لذلك الشيء^(٤) ، وفرق السكاكى

(١) لازم المعنى وهو المقصود يقال له معنى كناية ، وملزومة يقال له معنى حقيقى ، وجواز إرادة المعنى الحقيقى فى الكناية بالنظر إلى ذاتها ، وقد تمتنع إرادته فيها لعارض يمنع موت إرادته ، كقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ آية ١١ سورة ٤٢ على القول بأن السكاف أصلية وأنه يفيد نفي المثلية بطريق الكناية ، فلا يصح إرادة المعنى الحقيقى فيه لأنه يفيد ثبوت المثل له تعالى .

(٢) يريد بالتأويل صرف اللفظ عن حقيقته .

(٣) أى جواز إرادته لأنه يجوز عدم إرادته .

(٤) جرى الخطيب فى هذا على المشهور من أن الكناية قسم آخر غير الحقيقة والمجاز ، وقيل : إن الكناية لفظ مستعمل فى معناه الحقيقى لينتقل منه إلى المعنى المجازى ، وعلى هذا تكون الكناية قسما من الحقيقة ، وقيل : إن الكناية تارة يراد بها المعنى المجازى لدلالة المعنى الحقيقى عليه فتكون مجازاً ، =

وغيره بينهما بوجه آخر أيضاً^(١) وهو أن مبني الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم ، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم ، وفيه نظراء لأن اللازم ما لم يكن ملازماً يمتنع أن ينتقل منه إلى الملزوم^(٢) فيكون الانتقال حيثئذ من الملزوم إلى اللازم ولو قيل : الملزوم من الطرفين من خواص الكناية دون المجاز أو شرط لها دونه اندفع هذا الاعتراض ، لكن اتجه منع الاختصاص والاشتراط^(٣) .

أقسام الكناية : ثم الكناية ثلاثة أقسام : لأن المطلوب بها إما غير صفة ولا نسبة أو صفة أو نسبة ، والمراد الصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة وأمثالها لا النعت .
المطلوب بها غير صفة ولا نسبة : الأولى المطلوب بها غير صفة ولا نسبة^(٤) فمنها ما هو معنى واحد ، كقولنا - المضيف - كناية عن زيد ، و منه قوله كناية عن القاب :

== وتارة يراد بها المعنى الحقيقي ليدل به على المعنى المجازي فتكون حقيقة ، والخلاف في مثل هذا لا طائل تحته .

(١) ٢١٣ - المفتاح

(٢) لأن اللازم قد يكون أعم من الملزوم كالزوم الحيوان للإنسان ، ولا دلالة للعام على الخاص .

(٣) أي منع اختصاص الكناية بكون الملزوم فيها من الطرفين واشتراط ذلك فيها دون المجاز ، لأنه لا يشترط ذلك فيها كما لا يشترط فيه ، لأن لازم المعنى الحقيقي فيهما قد يكون أعم منه ، وقد قيل : إنه لا خلاف بين الخطيب والسكاكي إلا في التسمية ، لأنهما متفقان على أن ذهن السامع لقولنا - كثير الرماد - ينتقل من كثرة الرماد إلى الكرم ولكن السكاكي يسمي كثرة الرماد لازماً والخطيب يسميه ملازوماً ، وإنى أرى أن مثل هذا الخلاف لا يصح الاشتغال به في علم البيان .

هذا ومن أغراض الكناية أنها تقدم لك الحقيقة مصحوبة بدليلها ، وأنها تبرز المعقول في صورة المحسوس ، وأنه يحترز بها عما لا يليق التعبير به ، إلى غير هذا من أغراضها
(٤) أي ولا نسبة صفة أو صوف بأن يكون المطلوب بها موصوفاً ، ولولا ذلك لولى المطلوب بها الموصوف لكان أحسن .

الضاربين بين بسكلى أبيض عخدم والطاعنين مجامع الأضنان^(١)
 ونحوه قول البحترى فى قصيدته التى يذكر فيها قتله الذئب :
 فأبتعثها أخرى فأضلت نضلها بحيث يكون اللب والرعب والحقن^(٢)
 فقوله — بحيث يكون اللب والرعب والحقن — ثلاث كنىات لا كناية واحدة ،
 لاستقلال كل واحد منها بإفادة المقصود^(٣) .
 ومنها ما هو مجموع معان ، كقولنا كناية عن الإنسان — حتى مستوى القامة
 عريض الأظفار^(٤) .
 وشرط كل واحدة منهما^(٥) أن تكون مختصة بالسكنى عنه لا تتعداه ، ليحصل

(١) هو لمر بن معدى كرب ، ورواية اللوازنة — والضاربين — والمخدم القاصع
 من السيوف ، والأضنان جمع ضنن وهو الحقن ، ومجامع الأضنان القلوب وبهذا
 تكون كناية عن موصوف ، وقد قيل : إن المجامع جمع جمع وهو اسم مكان مشتق
 من الجمع ، فيكون إطلاقه على القلب حقيقة لا كناية . وأجيب بأن هذا اللفظ لم يرد
 منه الذات الموصوفة بالصفة كسائر المشتقات ، وإنما أريد منه الذات فقط على سبيل
 الكناية ، لأن الطعن لا يكون إلا فيها وحدها .

(٢) قوله — أضلت — بمعنى غيبت ، والنصل حديدة الرمح والسهم .
 (٣) لأن تقدير الكلام بحيث يكون اللب ، وبحيث يكون الرعب ، وبحيث يكون
 الحقن ، والسكنى عنه واحد فيها كلها وهو القلب ، وهو قريب من قول عمرو
 — والطاعنين مجامع الأضنان — ولكن قول عمرو فى غاية الجودة ، لأنهم إنما يطاعنون
 الأعداء من أجل أضنانهم ، فإذا وقع الطعن موضع الضغن فذلك غاية كل مطلوب .
 (٤) لا داعى إلى تقسيم هذا القسم إلى قسمين إلا الرغبة فى تكثير الأقسام .
 (٥) أى من هاتين الكناتين ، ولا وجه لاشتراط ذلك فيما يخصهما لوجوب
 ذلك فى كل كناية ، لأنه لا دلالة للأعم على الأخص ، على أن هذا الشرط مستغنى عنه
 بما سبق فى تعريف الكناية من أن الانتقال فيها من المألوم إلى اللازم لأن المألوم لابد
 أن يكون مختصاً باللازم السكنى عنه .

الانتقال منها إليه ، وجعل السكاكى الأولى قرية والثانية بعيدة (١) وفيه نظر (٢) .
المطلوب بها صفة : الثانية المطلوب بها صفة (٣) وهى ضربان : قرية وبعيدة .
 القرية ما ينسقل منها إلى المطلوب بها لا بواسطة ، وهى إما واضحة ، كقولهم كناية
 عن طويل القامة - طويل نجاد ، وطويل النجاد - والفرق بينهما أن الأول كناية
 ساذجة ، والثانى كناية مشتملة على تصريح ما لتضمن الصفة فيه ضمير الموصوف بخلاف
 الأول (٤) ومنها قول الحماسى :

أبت الروادف والثدى لقمصها مس البطون وأن تمس ظههورا (٥)

(١) ٢١٤ - المفتاح .

(٢) لأن دلالة الوصف الواحد على الشيء ليست أقرب من دلالة مجموع أوصاف
 عليه ، بل ربما يكون الأمر بالعكس لأن التفصيل أوضح من الإجمال .
 ومن الكناية عن الموصوف قوله تعالى ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَاحِدِ وَدَسَّرَ ﴾
 آية ١٣ سورة ٥٤ - وقول الشاعر :

تقول القى من بينها خف تجمل عزيز علينا أن نراك تسير

(٣) بأن تكون نسبة الصفة إلى موصوفها معاومة ، فتكون الصفة نفسها هى
 المطلوبة من صفة أخرى يكى بها عنها للاعتناء بها والمبالغة فيها .
 (٤) لأن - نجاد - فاعل فيه ، أما فاعل طويل فى الثانى فهو ضمير الموصوف ، ولهذا
 تقول - الزيدان طويلان النجاد ، والزيدون طوال النجاد ، وهند طويلة النجاد -
 بالثنائية والجمع والتأنيث لأجل تحمله ذلك الضمير ، ولا شك أن هذا فيه نوع تصريح
 بثبوت الطول له ، وإنما لم يجعل تصريحا خالصا للقطع بأن الصفة فى المعنى صفة للمضاف إليه
 وهو النجاد ، واعتبار الضمير إنما هو لأجل أمر لفظى ، وهو امتناع خلو الصفة عن
 معمول مرفوع بها ، وإنى أرى أنه لا فرق من جهة الكناية بين المثالين ، لأنه لا يصح
 أن يكون لهذا الاعتبار اللفظى تأثير فى معنى الكناية .

(٥) الروادف جمع رادفة وهى الكفل والمعجز ، والثدى جمع ثدى ، وإباء
 الروادف لقمصها مس الظهور كناية عن كبرها وضمور خصرها ، وكذا إباء الثدى
 لها مس البطون .

وإما خفية ، كقولهم كناية عن الأبله - عريض القفا - فإن معرض القفا وعظم الرأس إذا أفرط فيما يقال دليل النبوة^(١) ألا ترى إلى قول طرفة بن العبد :
أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كراس الحية المتوقد^(٢)

والبعيدة ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة ، كقولهم كناية عن الأبله - عريض الوسادة - فإنه ينتقل من عرض الوسادة إلى عرض القفا ، ومنه إلى المقصود ، وقد جملة السكاكي من القرينة على أنه كناية عن عرض القفا ، وفيه نظر^(٣) وكقولهم - كثير الرماد - كناية عن المضيف ، فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدور ، ومنها إلى كثرة الطبايع ، ومنها إلى كثرة الأكل ، ومنها إلى كثرة الضيفان ، ومنها إلى المقصود . وكقوله :

وما بك في من عيب فإني جبان الكلب مهزول الفصيل^(٤)

فإنه ينتقل من جبان الكلب عن الهرير في وجه من يدنو من دار من هو برصد لأن يعسّ دونها مع كون الهرير في وجه من لا يعرفه طبيعياً له إلى استمرار تأديبه ، لأن الأمور الطبيعية لا تتغير بموجب لا يقوى ، ومن ذلك إلى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوها إثر وجوه ، ومن ذلك إلى كونه مقصود أدان وأقاص ،

(١) خفاء الكناية في ذلك بالنظر إلى أول سماعها ، ولا يؤثر في ذلك ظهورها بعده ، ومن ذلك قول بعضهم في الكناية عن العذرة .

أراد أبوك أمك يوم زفت فلم يوجد لأمك بنت سعيد

(٢) الضرب الخفيف اللحم ، والخشاش الصنير الرأس وهو كناية عن ذكائه ، والشاهد في جملة ذلك دليل الذكاء ، فيكون مقابله وهو عرض القفا وعظم الرأس دليل النبوة .

(٣) لأنه لا يقصد من ذلك الكناية عن عرض القفا ، وإنما يقصد منه الكناية عن البله .

(٤) الفصيل ولد الناقة وهزاله بحرمانه من لبنها بنحرها أو بإيثار الضيفان به ، يعني أنه لا عيب فيه إلا ذلك ، فهو من باب تأكيد المدح بما يشبهه . التمس .

ومن ذلك إلى أنه مشهور بحسن قرى الأضياف . وكذلك ينتقل من هزال الفصيل إلى فقد الأم ، ومنه إلى قوة الداعي إلى نحرها لسكال عناية العرب بالنوق لا سيما المستليات ، ومنها إلى صرفها إلى الطبايع ، ومنها إلى أنه مضياف . ومن هذا النوع قول نصيب :

لعبد العزيز على قومه وغيرهم ممن ظاهره (١)

فبأسبك أسهل أبوابهم ودارك مأهولة عامره (٢)

وكلك آنس بالزائرين من الأم بالإبنة الزائرة

فإنه ينتقل من وصف كلبه بما ذكر إلى أن الزائرين معارف عنده ، ومن ذلك إلى اتصال مشاهدته بإيام ليلا ونهارا ، ومنه إلى لزومهم سديته ، ومنه إلى لسنى مبالغهم لديه من غير انقطاع ، ومنه إلى وفور إحسانه إلى الخاص والعام وهو المقصود .

ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر :

يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو أعجم (٣)

ومنه قوله :

لا أمتع العود بالفصال ولا أتباع إلا قريسة الأجل (٤)

فإنه ينتقل من عدم أمتاعها إلى أنه لا يبق لها فصالحا لتأنس بها ويحصل لها الفرح

(١) الآيات لنصيب بن رباح في مدح عبد العزيز بن مروان ، والثمن جمع منة وهي النعمة .

(٢) المأهولة الدار التي فيها أهلها .

(٣) هو لإبراهيم بن هرمة ورواية - البيان والتبيين - تراه إذا ما أبصر الضيف كلبه - والضمير في - يكاد - للكلب ، والأعجم الذي لا يتكلم ، والشاهد في كنيته بحب الكلب للضيف عن جود صاحبه ، وزيادة اللطف فيه ناشئة من البالغة في محاولة الكلب أن يكلمه .

(٤) هو لإبراهيم بن هرمة أيضاً ، والعود جمع عائذ وهي الناقة الحديثة النتاج ، والفصال جمع فصيل وهو ولد الناقة .

الطبيعي بالنظر إليها ، ومن ذلك إلى نحرها ، أو لا يبق العوذ إبقاء على فصالحها^(١) وكذا قرب الأجل ينتقل منه إلى نحرها ، ومن نحرها إلى أنه مضياف .

ومن لطيف هذا القسم^(٢) قوله^(٣) تعالى ﴿ وَلَسَا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾ أي ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل ، لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرتة أن يعضّ يده غمّاً ، فتصير يده مسقوطةً فيها لأن فاه قد وقع فيها .

وكذا قول أبي الطيب كناية عن الكذب :

تشتكى ما اشتكت من ألم الشوق ق إليها والشوق حيث النحول^(٤)

وكذا قوله :

إلى كم تزدُّ الرُّسل عمّا أتوا له حكانهم فيا وهبت ملام^(٥)
فإن أوله كناية عن الشجاعة وآخره كناية عن السباحة .

وكذا قول أبي تمام :

فإن أنا لم بحمدك عنسى صاغراً عدوك فاعلم أننى غير حامد^(٦)

(١) الفرق بين التقديرين أن النحر في الأول للفصال وفي الثاني للنوق .

(٢) قسم الكناية المطلوب بها صفة ، ووجه اللطف فيا سيذكره ما فيه من الدقة والغرابة ، سواء أكان بعيداً أم قريباً .

(٣) آية ١٤٩ سورة ٧

(٤) الضمير في — تشتكى — لمحبوبته ، والنحولة دقة الجسم من مرض ونحوه ، يقول : إنها تشتكى من ألم الشوق مثل شكواه ، ولكنها كاذبة في شكواها لأنه لا نحول فيها . فقوله — والشوق حيث النحول — كناية عن كذبها .

(٥) هو لأبي الطيب أيضاً في مدح سيف الدولة ، والراد بالرسل رسل ملك الروم في طلب الصلح ، يقول : إنه يردم كما يرد الملام عنه بما يهب من ماله ، وقد انتقل من ردم إلى عدم اعتداده بهم ، ومن عدم اعتداده بهم إلى شجاعته ، وهذا من الاستتباع الآتي في علم البدیع ، وقوله — فيا وهبت — متعلق بلام .

(٦) الصاغر اسم فاعل من الصغار وهو الذلة .

يريد بحمده عنه حفظه مدحه فيه وإنشاده، أى إن لم أكن أجيد القول فى مدحك حتى يدعو حسنه عدوك أن يحفظه ويلهج به صاغراً فلا تمدنى حامداً لك بما أقول فيك ، ووصفه بالصغار لأن من يحفظ مدح عدوه وينشده فقد أذل نفسه ، فكفى بحفظ عدو المدوح مدحه له عن إجادته القول فى مدحه (١) .

وكذا قول من يصف راعى إبل أو غنم :

ضعيفُ العصا بآدى العروى ترى لهُ عليها إذا ما أجذب النَّاسُ إصبعها (٢)

وقول الآخر :

صلبُ العصا بالضرب قد دماها (٣)

أى جعلها كالقذى فى الحسن ، والفرس (٤) من قول الأول — ضعيف العصا — وقول الثانى — صلب العصا — وهما وإن كانا فى الظاهر متضادين فإنهما كنايةتان عن شيء واحد ، وهو حسن الرعية والعمل بما يصلحها ويحسن أثره عليها ، فأراد الأول أنه

(١) قد كنى قبل هذا بحمده له عن حفظه لمدحه له ، فالسكناية فيه بواسطة .

(٢) هو لعبيد بن حصين المعروف بالراعى من قصيدة له مطلعها :

بني وابش إنا هويتنا جواركم . وما جمعنا نية قبلها معاً

وبادى العروى ظاهرها لقلة اللحم فى جسمه ، والمراد بالإصبع الأثر الحسن على

سبيل المجاز المرسل .

(٣) هو من قول أبى العلاء بن سليمان فى الإبل :

مصلبُ العصا بالضرب قد دماها توكدُ أن الله قد أنفاها

إذا أرادت رَشداً أغواها محالة من رقبته إناها

والضرب يطلق على الضرب بالعصا وعلى الشير فى الأرض ، وقوله — أنفاها —

بمعنى أهلكتها من شدته عليها ، والرشد نبت تأكله الإبل ، وقوله — أغواها —

بمعنى أطعمها للقوى هو نبات آخر تأكله ، ومحاله فاعل أغوى واحده محالة وهى الخندق

والقدرة فى التصرف .

(٤) مبتدأ بمعنى المقصود وخبره ضعيف العصا ، يعنى أن ذلك محل الشاهد .

رفيق مشفق عليها لا يقصد من حمل العصا أن يوجعها بالضرب من غير فائدة ، فهو يتخير ما لان من العصا ، وأراد الثانى أنه جيد الضبط لما عارف بسياستها فى الرعى ، يزجرها عن المراعى التى لا تحمد ويتوخى بها ما تسمن عليه ، ويتضمن أيضاً أنه يمنعها عن التشردد والتبدد ، وأنها لما عرفت من شدة بشكيمته وقوة عزمته تنساق فى الجهة التى يريد ، وقوله — بالضرب قد دماها — تورية حسنة (١) ويؤكد أمرها قوله — صلب العصا .

المطلوب بها نسبة : الثالثة المطلوب بها نسبة (٢) كقول زياد الأعجم :

إنَّ السَّماحةَ والرَّوعةَ والنَّدَى فى مُقبةٍ مُضربتْ طلى ابن الحشرج (٣)

فإنه حين أراد ألاَّ يُصريح بإثبات هذه الصفات لابن الحشرج جميعها فى قبة تليها بذلك طلى أن عملها ذو قبة ، وجعلها مضروبة عليه لوجود ذوى قباب فى الدنيا كثيرين ، فأفاد إثبات الصفات المذكورة له بطريق السكناية (٤) ونظيره قولهم — المجد بين ثوبيه ، والسكرم بين بُرديه — قال السكاكى (٥) وقد يظن هذا من قسم — زيد طويل

(١) لأنه يحتمل معنى قريباً وهو أن يضربها فيسيل دماها ، ومعنى بعيداً وهو جعلها كالدمى ، والمراد هو المعنى البعيد كما سبق ، والتورية من المحسنات البديعية الآتية فى علم البديع ، وإنما أكد أمرها قوله — صلب العصا — لأنه ينامب المعنى القريب كما سيأتى فى الكلام عليها .

(٢) بأن يصرح بالصفة ويقصد بإثباتها لثوب السكناية عن إثباتها للموصوف بها .

(٣) هو لزياد بن سليمان مولى عبد القيس ، وكان ألسن فلقب بالأعجم ، والسماحة الجود ، والروعة النخوة وكال الرجولة ، والندى الجود والفضل والخير ، والقبة ما كان فوق الحيمة فى العظم والاتساع وهى خاصة بالرؤساء ، وابن الحشرج هو عبد الله بن الحشرج أمير نيسابور .

(٤) لأن هذه الصفات لا تقوم بنفسها ولا بتلك القبة من حيث ذاتها فتعين

أن تقوم به .

(٥) ٢١٦ — الفتح .

تجاده^(١) وليس بذاك ، فطويل تجاده بإسناد الطويل إلى النجاد تُصريح بإثبات الطول للنجاد ، وطول النجاد كما نمُرف قائم مقام طول القامة ، فإذا صُرح من بعدُ بإثبات النجاد لزيد بالإضافة كان ذلك تصريحاً بإثبات الطول لزيد^(٢) فتأمل .

وكقول الآخر :

والمجد يدعو أن يدوم لجيده عقدته مساعى ابن العميد نظامه^(٣)

فإنه شبه المجد بانسان بديع الجمال فى ميل النفوس إليه وأثبت له جيداً على سبيل الاستعارة التخيلية ، ثم أثبت لجيده عقداً ترشيداً للاستعارة ، ثم خص مساعى ابن العميد بأنها نظامه فنبه بذلك على اعتنائه خاصة بترسينه ، وبذلك على محبته وحده له ، وبها على اختصاصه به ونبه بدعاء المجد أن يدوم لجيده ذلك المقدر على طلبه دوام بقاء ابن العميد ، وبذلك على اختصاصه به^(٤) .

وكقول أبي نواس :

فما جازهُ جودُهُ ولا حلُّ دونه ولكن يصير الجود حيث يصير^(٥)

فانه كنى عن جميع الجود بأن نكّره^(٦) ونفى أن يجوز ممدوحه ويحل دونه فيكون متوزعاً يقوم منه شيء بهذا وشيء بهذا ، وعن إثباته له بتخصيصه بجهته بعد

(١) فيكون من الكناية المطلوب بها صفة مثله .

(٢) فتكون الصفة هى المكنى عنها فيه لا النسبة ، أما قولهم — المجد بين ثوبيه — فهو عكسه فى ذلك فلا يكون مثله .

(٣) الجيد المنق ، والمساعى جمع مساعى وهى الكرمه ، ونظام المقدم ما به يكون منتظماً وهو سلكه ، وابن العميد هو محمد بن الحسين .

(٤) فيكون فى البيت كنايةتان والمكنى عنه بهما واحد وهو اختصاص المجد بابن العميد .

(٥) قوله — جازه — بمعنى تمدها ، وقوله — ولا حل دونه — بمعنى أنه لم يستقر فى غير مكانه .

(٦) لأن النكرة فى سياق النفي تدل على العموم .

تعريفه باللام التي تفيد العموم^(١) ونظيره قولهم - مجلس فلان منظمة الجود والكرم - هذا قول السكاكي^(٢) وقيل: كفى بالشر الأول عن اتصافه بالجود ، وبالثاني عن لزوم الجود له ، ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يكون كل منهما كناية عن اختصاصه به ، وعدم الاختصار على أحدهما للتأكيد والتقرير ، وذكرها على الترتيب المذكور لأن الأولى بواسطة^(٣) بخلاف الثانية .

وكقولهم - مثلك لا يبخل - قال الزحشرى : نفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلوكوا به طريق الكناية ، لأنهم إذا نفوه عن من يصدق مسدده وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ، ونظيره قولك للعربي - العرب لا تخفر الدم - فإنه أبلغ من قولك - أنت لا تخفر - ومنه قولهم - أيفت لداته ، وبلغت أثرابه - يريدون إيفاعه وبلوغه ، وعليه قوله تعالى^(٤) (ليس كمثل شيء) على أحد الوجهين وهو ألا تجعل الكاف زائدة ، قيل : وهذا غاية لنفي التشبيه إذ لو كان له مثل لكان كمثل شيء وهو ذاته تعالى ، فلما قال (ليس كمثل) دل على أنه ليس له مثل^(٥) وأورد أنه يلزم منه نفيه تعالى لأنه مثل مثله ، وردّ بمنع أنه تعالى مثل مثله ، لأن صدق ذلك موقوف على ثبوت مثله تعالى عن ذلك .

وكقول الشنفرى الأزدي في وصف امرأة بالعفة :

(١) فيكون صدر البيت كناية عن عدم توزعه وتقسيمه ، وهذه كناية عن صفة ، ويكون عجزه كناية عن إثباته له ، وهذه كناية عن نسبة ، والكناية الثانية كأنها مترتبة على الأولى .

(٢) ٢٢٧ - المفتاح .

(٣) لأن الدهن ينتقل فيها من عدم توزع الجود إلى تجمعه ، ومن ذلك إلى اختصاصه به ، وعلى هذا الوجه والذي قبله يكون كل من السكائيتين كناية عن نسبة .

(٤) آية ١١ سورة ٤٢

(٥) هذه طريقة للتكلمين في تقرير الكناية في الآية ، وتوضيحها أن الله تعالى موجود ، فإذا نفي مثل مثله لم نفي مثله ، لأنه لو كان له مثل لكان هو - أعني الله تعالى - مثل مثله ، فلم يصح نفي مثل مثله لئلا يلزم نفيه تعالى مع ثبوت وجوده ، =

يبيت بمنجاة من اللوم يئسها إذا ما يبيت بالملامة محلث (١)

فإنه نبه بنفى اللوم عن بيتها على انتفاء أنواع الفجور عنه ، وبه على برائها منها ،
وقال — يبيت — دون يظل لمزيد اختصاص الليل بالفواحش ، هذا على ما رواه
الشيخ عبد القاهر والسكاكي (٢) وفي الأغانى الكبير — يحل بمنجاة .

وقد يظن أن هنا قسماً رابعاً وهو أن يكون المطلوب بالكناية الوصف والنسبة
معاً ، كما يقال — يكثر الرماد في ساحة عمرو — في الكناية عن أن عمراً مضياًف ،
وليس بذلك ، إذ ليس ما ذكر بكناية واحدة بل هو كنايةتان : إحداها عن
المضيافية ، والثانية عن إثباتها لعمرو ، وقد ظهر بهذا أن طرف النسبة المثبتة بطريق
الكناية يجوز أن يكون مكنياً عنه أيضاً كما في هذا المثال ، ونحوه بيت الشنفرى
المتقدم ، فإن حاول البيت بمنجاة من اللوم كناية عن نسبة العفة إلى صاحبه ،
والمنجاة من اللوم كناية عن العفة (٣) .

== وهذا كما تقول — ليس لأخ زيد أخ — أى ليس لزيد أخ نفعاً للمازوم
بنفى لازمه وطريقة البناء أن لفظ مثل في الآية كلفظ مثل في قولك — مثلك
لا ييخل — فالمراد منها نفي المثل عن ذاته بطريق نفي المثل عمن يكون مثله في صفاته ،
لأنه إذا نفي المثل عمن يكون مثله في صفاته لزم نفيه عنه لعدم الفرق بينهما ، وتقرير
الكناية على هذا الوجه واضح لا تمقيد فيه كما في طريقة المتكلمين .

(١) هو لعمرو بن مالك المعروف بالشنفرى ، والمنجاة الباعث على النجاة وهي
الخلاص ، واللوم العتاب والذم .

(٢) ٢٠٣ — دلائل الإعجاز ، ٢٠٧ — الفتاح .

(٣) هذا وأهم أقسام الكناية الثلاثة القسم الثانى والثالث ، لأن الكناية تتفاوت
مراتبها فيهما قرباً وبعداً وظهوراً وخفاء ، وقد بين الخطيب ذلك في القسم الثانى لأنه
أظهر منه فى الثالث ، والحق أن الثالث تتفاوت مراتب الكناية فيه أيضاً ، وقد أشار
الخطيب إلى أن الكناية قد تكون بعيدة فيه ، وذلك فى قول الشاعر :
والجد يدعو أن يدوم لجيده عقد مساعى ابن العميد نظامه .

الكناية العرضية: واعلم أن الموصوف في القسم الثاني والثالث^(١) قد يذكرون مذكوراً كما مر، وقد يكون غير مذكور، كما تقول في معرض^(٢) من يؤذى المسلمين — المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده — أى ليس المؤذى مسلماً^(٣) وعليه قوله تعالى^(٤) في معرض المنافقين ﴿ هدى للمتقين ﴾، الذين يؤمنون بالغيب إذا فُسر الغيب بالغيبية، أى يؤمنون مع القيسة عن حضرة النبي ﷺ أو أصحابه رضى الله عنهم، أى هدى للمؤمنين عن إخلاص لا للمؤمنين عن تفاق.

التعريض والتلويح والرمز والإيماء والإشارة: وقال السكاكي^(٥): الكناية تنفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة، فإن كانت عرضية فالمناسب أن تسمى تعريضاً^(٦) وإلا فإن كان بينها وبين المعنى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما في — كثير الرماد — وأشباهه فالمناسب أن تسمى تلويحاً، لأن التلويح

(١) بخلاف القسم الأول لأن التعريض لا يأتي إلا في هذين القسمين

(٢) العرض الناحية والجانب والمراد التعريض به

(٣) فهو كناية عن نفي الإسلام عنه، لأن حصر الإسلام في غير المؤذى يلزمه نفيه عن المؤذى وهو منه، وبهذا تكون الكناية فيه من القسم الثالث

(٤) آية ٢، ٣ سورة ٢

(٥) ٢١٧ — المفتاح

(٦) الحق أن الكناية العرضية غير التعريض وإن سميت به، فالكناية العرضية هي التي يكون الموصوف فيها غير مذكور، والتعريض إمالة الكلام إلى عرض يدل على المقصود، تقول — عرضت لفلان وبه — إذا قلت قولاً لغيره وأنت تعنيه، ولهذا لا يختص التعريض بالكناية بل يأتي أيضاً في الحقيقة والحجاز، ودلالته غير لفظية بخلاف دلالة الثلاثة، فإذا أتى في الكناية كقولك — المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده — فالعنى الكنائى فيه نفي الإسلام عن المؤذى مطلقاً، والمعنى التعريضى نفي الإسلام عن المؤذى المين، وإذا أتى في الحقيقة كقولك تعرض بشخص بمقوت — لست أتكلم بسوء فيمقتى الناس — فالعنى الحقيقي فيه غير التعريضى أيضاً، وكذلك إذا أتى في الحجاز كما سيذكره الخطيب.

هو أن تشير إلى غيرك عن بُعد ، وإلا فإن كان فيها نوع خفاء فالمناسب أن تسمى رمزا ، لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الحفية قال :

رمزت إلى " مخافة " من بعلمها من غير أن تُبدي هناك كلامها (١)

وإلا فالمناسب أن تسمى إيماء وإشارة ، كقول أبي تمام يصف إبلا :

أبين فما يزُرُّنْ سوى كَرِيم وحشَبُك أن يزرن أبا سعيد (٢)

فإنه في إفادة أن أبا سعيد كَرِيم غير خاف .

وكقول البحتري :

أوما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحة ثم لم يتحول (٣)

فإنه في إفادة أن آل طلحة أُمَاجِدُ ظاهر .

وكقول الآخر :

إذا الله لم يُسَقِّ إلا الكرام فسقى وجوه بني حنبل

وسقى ديارهمُ باكرا من الغيث في الزمن المُسَحَّل (٤)

وكقول الآخر :

مقى تخلو تميم من كَرِيم ومسلمة بن عمرو من تميم (٥)

(١) قوله — رمزت — بمعنى أشارت بخفية وهو محل الشاهد ، والبعل الزوج .

(٢) قوله — أبين — بمعنى امتنن ، وأبو سعيد هو محمد بن يوسف الثغري الطائي ولقب بالثغري لعملة بالثغور ، والشاهد في الشطر الثاني بضميمة الشطر الأول .

(٣) الرجل ما يجمل على ظهر البعير كالسرج للفرس ، شبه المجد برجل له رجل على سبيل الاستعارة المسكنية ، ثم جمل إلقاؤه رحله في آل طلحة كناية عن ثبوته لهم .

(٤) هما لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، والباكر البكرة وهي أول النهار ، تقول — أثبتته بكرة — أى باكرا ، والمحل المجدب . والشاهد في قوله — فسقى وجوه بني حنبل — بضميمة ما قبله ، فهو كناية عن ثبوت الكرم لهم .

(٥) الاستفهام في قوله — مقى تخلو — للانكار فيكون معناه النفي ، أى لا تخلو تميم من كَرِيم ومسلمة بن عمرو منهم ، وهذا كناية عن ثبوت الكرم له .

ثم قال (١): والتعريض كما يكون كناية قد يكون مجازاً ، كقولك - آذيتني
فستعرف - وأنت لا تريد المخاطب بل تريد إنساناً معه (٢) وإن أردتهما جميعاً كانت
كناية (٣).

(١) ٢١٨ - المفتاح

(٢) هذا مجاز مرسل علاقته بالزوم، لأنه يلزم من تهديد المخاطب لإيذائه تهديد
كل مؤذ ، وهو يشمل من مع المخاطب، ولا بد له من قرينة مانعة من إرادة المعنى
الحقيقي .

(٣) لا بد لها من قرينة تدل إرادتهما جميعاً ، لأن الكناية لا بد لها من قرينة
أيضاً ، والحق أنهما إذا أريدا جميعاً لا يكون ذلك كناية بل يكون من استعمال اللفظ
في حقيقته ومجازه وذلك ممنوع ، وأنه إذا أريد غير المخاطب يكون تعريضاً لا مجازاً ،
وإنما يجتمع التعريض والمجاز في نحو قولك تعرض بمن كشف عورته في حمام - رأيت
أسوداً في حمام غير كاشفين عوراتهم ، فلم يحب ذلك عليهم .

تمريعات على الكناية

١ - تمرين

وازن بين قول المتبى فى الكناية عن العفة :
 إنى طى شفقى بما فى خمرها لأعف عمّا فى سراويلاتها
 وقول الشريف الرضى فى الكناية عنها :
 أحنّ إلى ما يضمن الخمر والحلى وأصنّف عما فى ضمان الكآزر

٢ - تمرين

(١) بين ما يطلب بالكناية من أقسامها الثلاثة فى قول الشاعر :
 أفاضل الناس أغراضٌ لهذا الزمان يخلو من الهمّ أخلام من الفطن
 (٢) وقفت امرأة على قيس بن سعد فقالت : أشكو إليك قلة الفأر . فقال :
 ما أحسن ما ورت ! املؤوا بيتها خبزاً وسمناً ولحماً - فهل قول هذه المرأة كناية
 أو تعريض أو كناية وتعريض معاً ؟

٣ - تمرين

(١) من أى الكناتين القرينة والبميدة قول الشاعر :
 أريد بسطة كف استعين بها على قضاء حقوقى للسلى قبلى
 (٢) بين الكناية ونوعها فى قوله تعالى ﴿ فإذا تطهروا فأتوهن من حيث
 أمركم الله ﴾ آية ٢٢٢ سورة ٢

٤ - تمرين

(١) من أى أقسام الكناية قوله تعالى ﴿ وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه ﴾

آية ٢٣ سورة ١٢ ، ولماذا أوثرت على التصريح باسمها أو بأمرأة العزيز ؟
(٢) وازن بين الكناية السابقة والكناية في قول الشاعر :
تقول الق من يديها خف مركبي عزيز عليا أف نراك تسير

٥ - تمرين

- (١) ما الكنى عنه وما نوع كنياته في قوله تعالى ﴿أَوْ مِنْ يُنشَأُ فِي الْحُلِيِّهِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ آية ١٨ سورة ٤٣
- (٢) بين الكناية ونوعها في قول الشاعر :
أخو لحم أعارك منه ثوباً هنيئاً بالقميص المستعجد
وقد روى - أخو لحم بالحاء المهملة .
- (٣) بين ما يطلب بالكناية من أقسامها الثلاثة في قول الشاعر :
أيني أفي يميني يديك جعلتني فأفرح أم صيرتني في شبالك

٦ - تمرين

- (١) ما هو المطلوب من الكناية في قول الشاعر :
قوم ترى أرماحهم يوم الوغى مشغوفة بمواطن الكتان
- (٢) ما هو المطلوب من الكناية في قول الشاعر :
ولازال بيئتُ المثلث فوقك عالياً تشيدُ أطناباً له وعمود

٧ - تمرين

- (١) ما هي فائدة تقسيم الكناية إلى ما يطالب بها موصوف وما يطلب بها صفة وما يطلب بها نسبة ؟
- (٢) ما الفرق بين دلالة الحقيقة والمجاز والكناية ودلالة التعريض ؟ وأيهما أطف دلالة التعريض أم دلالة الكناية ؟
- (٣) هل الكناية السُريّة عين التعريض أو غيره ؟ وإذا كانت غيره فما الفرق بينهما مع توضيحه في مثال يجمعهما ؟

تفصيله

الموازنة بين المجاز والحقيقة والسكناية والتصريح : أطبق البلاغ على أن المجاز أبلغ من الحقيقة (١) وأن الاستعارة أبلغ من التصريح بالتشبيه ، وأن التمثيل على سبيل الاستعارة أبلغ من التمثيل لا على سبيل الاستعارة ، وأن السكناية أبلغ من الإفصاح بالذكر (٢) .

(١) أبلغ أفعال تفضيل يجوز أن يكون مأخوذاً من البلاغة بمنها اللغوي أي أفضل وأحسن ، ويجوز أن يكون مأخوذاً من المبالغة على مذهب الأخفش في جواز بناء أفعال التفضيل من الرباعي ، وهو الظاهر من كلام عبد القاهر وقد قيل : إن المجاز المرسل لا مبالغة فيه فلا يكون أبلغ من الحقيقة . والحق أن المجاز المرسل فيه مبالغة أيضاً إلا ما كان منه خالياً عن الفائدة .

(٢) بقيت موازنات أخرى : منها الموازنة بين المجاز والسكناية ، وقد قيل : إن السكناية أبلغ من المجاز المرسل ، ويحتمل أن تكون أبلغ من الاستعارة أيضاً . وقيل : إن الاستعارة أبلغ من السكناية لأنها كالجامعة بين الاستعارة والسكناية . وقيل : إن الاستعارة المكنية أبلغ من السكناية وإن السكناية أبلغ من التصريحية . ومنها الموازنة بين الاستعارة المكنية والتصريحية ، وقد قيل : إن الأولى أبلغ من الثانية ، لأن الأولى كالجامعة بين الاستعارة والسكناية والتصريحية محمولة على التشبيه فهي قريبة ، ورد عليه بأنهم إنما يستحسنون الاستعارة القريبة ، لأنه إذا استعير للشيء ما يقرب منه كان أولى مما ليس منه في شيء ، ولو كان البعيد أحسن لما استهجنوا قول أبي نواس :

بح صوت المال مما منك يشكو ويصيح

ومنها الموازنة بين الاستعارة التمثيلية والمفردة ، وقد قيل : إن الأولى أبلغ من الثانية .

قال الشيخ عبد القاهر (١) : وليس ذلك (٢) لأن الواحد من هذه الأمور يفيد زيادة في المعنى نفسه لا يفيد خلافاً ، بل لأنه يفيد تأكيداً لإثبات المعنى لا يفيد خلافاً ، فليست فضيلة قولنا — رأيت أسداً — على قولنا — رأيت رجلاً هو والأسد سواء في الشجاعة — أن الأول أفاد زيادة في مساواته للأسد في الشجاعة لم يفدها الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات تلك المساواة لم يفده الثاني وليست فضيلة قولنا — كثير الرماد — على قولنا — كثير القرى — أن الأول أفاد زيادة لقراء لم يفدها الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات كثرة القرى له لم يفده الثاني .

والسبب في ذلك أن الانتقال في الجميع (٣) من المألوم إلى اللازم ، فيكون إثبات المعنى به كدعوى الشيء ببيئة ، ولا شك أن دعوى الشيء ببيئة أبلغ في إثباته من دعواه بلا بيئة .

ولتأمل أن يقول : قد تقدم أن الاستمارة أصلها التشبيه ، وأن الأصل في وجه الشبه أن يكون في المشبه به آتم منه في المشبه وأظهر ، فقولنا — رأيت أسداً — يفيد للرئي شجاعة آتم مما يفيد قولنا — رأيت رجلاً كالأسد — لأن الأول يفيد شجاعة الأسد والثاني شجاعة دون شجاعة الأسد . ويمكن أن يجاب عنه بحمل كلام الشيخ على أن السبب في كل صورة ليس هو ذلك ، لا أن ذلك ليس بسبب في شيء من الصور أصلاً (٤) .

هذا آخر الكلام في الفن الثاني .

(١) ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ دلائل الإعجاز .

(٢) أي كون الواحد من هذه الأمور أبلغ من الآخر .

(٣) أي في المجاز بأقسامه والكنائية .

(٤) يعني بهذا أن قول عبد القاهر — ليس ذلك لأن الواحد من هذه الأمور الخ — محمول على رفع الإيجاب السكلي فلا ينافي ثبوت الإيجاب الجزئي ، وحينئذ لا يدخل في دعواه من الاستمارة والتشبيه إلا ما كان نحو — رأيت أسداً — ورأيت رجلاً هو والأسد سواء — ولا يدخل فيها منهما ما كان نحو — رأيت أسداً — ورأيت رجلاً كالأسد — ولكن كلام عبد القاهر في — دلائل الإعجاز — ظاهر في أنه يعني السلب السكلي ،

البلاغة والفصاحة عند السكاكي : وذكر السكاكي (١) بعد الفراغ منه (٢) تفسير البلاغة بما نقلناه عنه في صدر الكتاب (٣) ثم قسم الفصاحة إلى معنوية ولفظية ، وفسر المعنوية بملخص المعنى عن التعميد ، وعنى بالتعميد اللفظي على ما سبق تفسيره (٤) وفسر اللفظية بأن تكون الكلمة عربية أصلية ، وقال : وعلامة ذلك أن تكون على السنة الفصحاء الموثوق بعربيتهم أدور واستعمالها أكثر . لا بما أحدثه السؤلندون ولا بما أخطأت فيه العامة ، وأن تكون أجري على قوانين اللغة ، وأن تكون سليمة عن التنافر . فجعل الفصاحة غير لازمة للبلاغة (٥) وحصر مرجع البلاغة

فيدخل فيه كل صور الاستمارة والتشبيه ، فالأحسن أن يجب أن يكون ذلك أن الاستمارة لم تخرج في المعنى عن كونها تشبيهاً ، فوجه الشبه فيها لا بد أن يكون في الشبه به أم منه في الشبه أيضاً ، وحينئذ لا يكون هناك فرق بينهما إلا فيما ذكره عبد القاهر من تأكيد الإثبات وعدمه ، ولكني أرى مع هذا أن الرجال ليسوا سواء في مشابهة الأسد في الشجاعة ، وأن الاستمارة تستعمل فيمن تكون مشابهته أقوى ، والتشبيه فيمن تكون مشابهته أضعف ، وبهذا يكون الفرق بينهما في الدلالة على زيادة المعنى وضعفه أيضاً .

(١) ٢٢٠ — المفتاح ، وكان الأحسن تقديم هذا في الكلام على الفصاحة والبلاغة في المقدمة من الجزء الأول .

(٢) أي من الفن الثاني ، وقد أحسن الخطيب بتقديم الكلام على الفصاحة والبلاغة في المقدمة من الجزء الأول .

(٣) يعنى كتاب — الإيضاح — وقد نقله عنه في تعريفه علم المعاني .

(٤) أي في المقدمة من الجزء الأول ، أما التعميد المعنوي فالملخص عنه لا يدخل عنده في تعريف الفصاحة ، بل يدخل في قوله في تعريف البلاغة — وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها .

(٥) لأنه لم يقيد تعريف البلاغة بفصاحة الكلام كما قيده الخطيب ، والخلاف في ذلك لا طائل تحته ، لأن كلا منهما مطلوب في الكلام ولو لم يكن أحدهما لازماً للآخر .

في الفنين (١) ولم يحفل الفصاحة مرجعاً لشيء منهما (٢) .

ثم قال : وإذا قد وقفت على البلاغة والفصاحة المعنوية واللفظية فأنا أذكر على سبيل
الأنموذج آية أكشف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين ما عسى يسترها عنك ،
وذكر ما أورده الزخسري في تفسير قوله (٣) تعالى ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ
وَيَا سَمَاءُ اقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ
مُتَبَعاً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ وزاد عليه مُتَكَتّاً لا بأس بها ، فرأيت أن أورد تلخيص
ما ذكره جاريّاً على اصطلاحه في معنى البلاغة والفصاحة :

قال : أما النظر فيها من جهة علم البيان فهو أنه تعالى لما أراد أن يبين معنى —
أردنا أن نرُدَّ ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتد ، وأن تقطع طوفان السماء فانقطع ،
وأن يفيض الماء النازل من السماء ففاض ، وأن يُقضى أمر نوح وهو إنجازه ما كنا
وعدناه من إغراق قومه فقضى ، وأن مُنسى السفينة على الجُودى فاستوت وأبقينا
الظلمة غرقى — في الكلام على تشبيه المراد منه (٤) بالأمور الذي لا يأتي منه لسكال
هيئته المصيات ، وتشبيه تكوين المراد (٥) بالامر الجزم النافذ في تكون المقصود ،
تصويراً لاقتداره تعالى وأن السماوات والأرض وهذه الأجرام العظام تابعة لإرادته
كأنها عقلاء مميّزون قد عرفوه حق معرفته ، وأحاطوا علماً بوجوب الانقياد لأمره ،
وتحتم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده ، ثم بنى على تشبيهه هذا نظم الكلام فقال

(١) يعني فن المعاني وفن البيان .

(٢) إنما لم يرجع فن البيان عنده إلى الفصاحة لأن الخلوص من التشديد
المعنوي لا يدخل عنده في تعريفها ، وفن البيان إنما يقصد منه الاحتراز عن
التعقيد المعنوي .

(٣) آية ٤٤ سورة ١١

(٤) هو الأرض والسماء لأنه أريد منهما بلع الماء والإقلاع عن المطر .

(٥) هو بلع الماء وما بعده .

ثم إلى ﴿نيل﴾ على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها قول القائل^(١) وجعل قرينة
المجاز خطاب الجراد وهو يا أرض ويا سماء ، ثم قال ﴿يا أرض ويا سماء﴾ مخاطباً لهما
على سبيل الاستعارة للشبه المذكور^(٢) ثم استعار لنور الماء في الأرض البلع الذي
هو إعمال الجاذبة في المطعوم بجامع الذهاب إلى مقر خفي^(٣) واستتبع ذلك تشبيه الماء
بالغذاء على طريق الاستعارة بالكناية ، لتقوَّى الأرض بالماء في الإنبات للزرع
والاشجار ، وجعل قرينة الاستعارة لفظ (ابلى)^(٤) لكونه موضوعاً للاستعمال
في الغذاء دون الماء ، ثم أمر على سبيل الاستعارة للشبه المقدم ذكره^(٥) ثم قال
ماءك بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز تشبيهاً لاتصال الماء بالأرض باتصال
الملئك بالمالك ، واستعار لحبس المطر الإقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما
في عدم ما كان ، وخاطب في الأمرين^(٦) ترشيحاً للاستعارة ، ثم قال ﴿وغيض الماء
وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ فلم يصرح بالنائص
والقاضي والمسوى والقائل كما لم يصرح بقائل ﴿يا أرض ويا سماء﴾ سلوكاً في كل واحد
من ذلك سبيل الكناية أن تلك الأمور المظام^(٧) لا تتأني إلا من ذي قدرة
لا تكنته ، قهار لا يغالب ، فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون الفاعل شيء من
ذلك غيره ، ثم ختم الكلام بالتمريض لسالك مسالكهم في تكذيب الرسل^(٨) . ظلماً

-
- (١) فهو مجاز مرسل من إطلاق السبب وإرادة السبب .
(٢) هي استعارة مكنية ، والشبه المذكور هو تشبيه المراد منه بالمأمور .
(٣) هي استعارة تصريحية تبعية اشتق فيها من البالغ — ابلى — بمعنى غورى .
(٤) ففيه استعارة تخيلية من جهة إثبات البلع للماء وهو من لوازم الغذاء ، أو من
جهة استعارة البلع لنور الماء في الأرض على ما سبق من الخلاف في الاستعارة التخيلية
(٥) يريد أمر (ابلى) والشبه هو تشبيه المراد منه بالمأمور .
(٦) أى ﴿ابلى — أقلى﴾ فالخطاب فيهما ترشيح لاستعارة البلع للتفوير
والإقلاع للحبس .
(٧) أن وما بعدها في تأويل مصدر مجرور بحرف محذوف أى سبيل الكناية
عن أن تلك الأمور الخ ، والظاهر أن الكناية هنا لغوية لا اصطلاحية .
(٨) يعني بسالك مسالكهم كقار قريش ومن إليهم .

لأنهم ختم إظهار مكان السخط والجهة استحقاقهم إياه (١) .

وأما النظر فيها من حيث علم المعاني—وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها، وجهة كل تقديم وتأخير بين مجامعها—فذلك أنه اختير—يا—دون سائر أخواتها لكونها أكثر استعمالاً، ولدلائها على بُعد المنادى الذي يستدعيه مقام إظهار العظمة ويؤذن بالتهاون به، ولم يقل—يا أرض—بالكسر تجنباً لإضافة التشريف تأكيداً للتهاون، ولم يقل—يا أيها الأرض—للاختصار مع الاحتراز عما في—أيها—من تكلف التنبيه غير المناسب للمقام، لكون الخطاب غير صالح للتنبيه على الحقيقة (٢) واختير لفظ الأرض دون سائر أسماء لكونه أخف وأدور، واختير لفظ السماء مثل ذلك مع قصد المطابقة (٣) واختير في إبابي على—ابتلى—لكونه أخضر، ولجئ حفظ التجانس بينه وبين في إقامي (٤) وقيل في ماءك في الإفراد دون الجمع للدلالة الجمع على الاستكثار الذي ياباه مقام إظهار الكبرياء، وهو الوجه في إفراد الأرض والسماء، ولم يذف مفعول في إبابي في إثبات فهم ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وغيرها، نظراً إلى مقام ورود الأمر الذي هو مقام عظمة وكبرياء، ثم إذ بين المراد اختصر الكلام على في إقامي فلم يقل—إقامي—عن إرسال الماء—احترازاً عن الخشوشة المستفنى عنه من حيث الظاهر (٥) وهو الوجه في أنه لم يقل—يا أرض إبابي ماءك فبليت وإيا أسماء إقامي فأقلت—واختير في غيض الماء في على—غيض—المشددة لكونه أخضر وأخف وأوفق لقليل (٦) وقيل في الماء في دون أن يقال—ماء طوفان السماء—وكذا في الأمر في دون أن يقال—أمر نوح—للاختصار،

(١) هي جهة ظلمهم أنفسهم بتكذيب الرسل .

(٢) لأن الخطاب هو الأرض وهي لا تعقل حتى تصلح للتنبيه .

(٣) هي من المحسنات الآتية في علم البديع .

(٤) لتشابههما في الوزن العروضي وعدد الحروف .

(٥) أي من حيث ظاهر الكلام لاشتراكه على ما يدل عليه .

(٦) لتشابههما في الوزن .

ولم يقل - سويت - على الجودي - بمعنى أقرت على نجو « قيل وغيض وقضى »
 في البناء للمفعول اعتباراً لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله ﴿ وهى تجرى بهم ﴾
 مع قصد الاختصار (١) ثم قيل ﴿ ببدأ للقوم ﴾ دون أن يقال - ليمد القوم -
 طلباً للتوكيد مع الاختصار ، وهو نزول ببدأ منزلة - ليمدوا ببدأ - مع إنادة أخرى
 وهى استعمال اللام (٢) مع ببدأ الدال على معنى أن البعد حق لهم ، ثم أطلق الظلم
 ليتناول كل نوع حق يدخل فيه ظلمهم لأنفسهم بتكذيب الرسل .

هذا من حيث النظر إلى السكلم (٣) وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل فذلك
 أنه قدّم النداء على الأمر فقيل ﴿ يا أرض ابلعى يا سماء أقلعى ﴾ دون أن يقال
 - ابلعى يا أرض وأقلعى يا سماء - جرياً على مقتضى اللازم فيمن كان مأموراً حقيقة
 من تقديم التنبيه ، ليمكن الأمر الوارد عقبه في نفس المنادى قصداً بذلك بمعنى
 الترشيح (٤) ثم قدم أمر الأرض على أمر السماء لابتداء الطوفان منها ونزولها لذلك
 في القصة منزلة الأصل ، ثم أتبعها قوله ﴿ وغيض الماء ﴾ لاتصاله بقصة الماء ،
 ثم أتبعه ما هو المقصود من القصة وهو قوله ﴿ وقضى الأمر ﴾ أى أنجز الوعد
 من إهلاك الكفرة وإنجاء نوح ومن معه في السفينة ، ثم أتبعه حديث السفينة ،
 ثم ختمت القصة بما ختمت .

هذا كله نظرٌ في الآية من جانب البلاغة ، وأما النظر فيها من جانب الفصاحة
 المعنوية فهى كما ترى نظم للمعاني لطيف ، وتأدية لها مخصصة مبينة ، لا تعقيد يعثر
 الفكر في طلب المراد ، ولا التواء يشيك الطريق إلى المرتاد ، بل ألفاظها تسابق
 معانيها ، ومعانيها تسابق ألفاظها .

(١) لأن همزة - استوت - تسقط في الدرج فتكون أخصر من سويت .

(٢) يعنى لام الجر في قوله ﴿ ببدأ للقوم ﴾ لأنها تسقط إذا قيل ليمد القوم .

(٣) يعنى الكلمات المفردة في الآية .

(٤) يريد بالترشيح النية للأمر ، أو ترشيح الاستعارة على ما سبق .

وأما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية فالنفاظها على ما نرى غريبة مستعملة
جارية على قوانين اللغة ، سليمة عن التنافر ، بعيدة عن البشاعة ، عذبة على المذبات (١)
سلسة على الأسلات (٢) كلٌّ منها كالماء في السلامة ، كالعسل في الحلاوة ، كالنسيج
في الرقة — والله أعلم .

(١) جمع عذبة وهي الطرف من كل شيء والمراد بها هنا رأس اللسان ،
(٢) جمع أسلة وهي رأس اللسان أيضاً ، أو الطرف المنتدق من جانبيه ،

مباحث الجزء الثالث

الموضوع

الصفحة

٢ الفن الثاني علم البيان :

٢ تعريف علم البيان ، ٣ أقسام الدلالة ، ٦ أبواب علم البيان

٦ القول في التشبيه :

٦ تعريف التشبيه ، ٨ تأثير التشبيه ، ١٠ أسباب تأثير التشبيه ، ١٤ أركان التشبيه :
 طرطا التشبيه ، ١٧ وجه التشبيه ، ٢١ الوجه الداخلى فى الطرفين والخارج عنهما
 ٢٢ الوجه الواحد وغيره والحس والعقل ، ٢٣ الواحد الحسى ، الواحد العقلى
 ٢٤ المركب الحسى ، ٣٠ المركب العقلى ، ٣١ دقيقة فى الوجه المركب ، ٣٣ المتعدد
 الحسى ، المتعدد العقلى ، المتعدد المختلف أداة التشبيه ، ٣٦ الفرض من التشبيه :
 ما يعود إلى المشبه من أغراض التشبيه ، ٤٠ ما يعود إلى المشبه به من أغراض التشبيه
 ٤٥ أقسام التشبيه باعتبار طرفيه : تشبيه المفرد بالمفرد ، ٤٧ تشبيه المركب بالمركب ،
 ٤٩ تشبيه المفرد بالمركب ، ٥٠ تشبيه المركب بالمفرد ، التشبيه الملقوف والمهروق ،
 ٥١ تشبيه النسوية والجمع ، ٥٢ أقسام التشبيهية باعتبار وجهه : التمثيل ،
 ٥٣ غير التمثيل ، المجمل ، ٥٥ الفصل ، ٥٧ القريب المبتذل ، ٥٨ البعيد الغريب ،
 ٦٥ التشبيه البعيد هو التشبيه البليغ ، ٦٦ تحول القريب إلى بعيد ، ٦٨ أقسام
 التشبيه باعتبار أدواته : المؤكد ، ٧٠ المرسل ، ٧١ أقسام التشبيهية باعتبار
 الفرض : المقبول الردود ، ٧٢ خاتمة : مراتب التشبيه ، ٧٤ تمرينات على التشبيه .

٧٦ القول فى الحقيقة والمجاز :

٧٦ تعريف الحقيقة . تعريف الوضع ، ٧٨ إنكار الوضع ، تعريف المجاز المفرد .
 أقسام الحقيقة والمجاز المفرد واشتقاقهما ، ٨١ تقسيم المجاز المفرد إلى مرسل
 واستعارة المرسل وعلاقاته : علاقة السببية والمجاورة ، ٨٥ علاقة الجزئية .
 علاقة الكلية ، ٨٦ علاقة السببية أيضا ، ٨٧ علاقة المسيبية ، ٨٩ علاقة اعتبار
 ما كان . علاقة اعتبار ما يكون علاقة الهلية . علاقة الحالية ، ٩٠ علاقة الآلية ،

٩١ المرسل الخالي عن الفائدة والمفيد ، ٩٣ الاستعارة التصريحية ، ٩٦ الفرق بين الاستعارة والتشبيه المؤكد ، ١٠١ التجريد ليس استعارة ولا تشبيها ، ١٠٢ الاستعارة مجاز لغوي لا عقلي ، ١٠٤ التوفيق بين الادعاء في الاستعارة والقرينة المانعة ، ١٠٦ الفرق بين الاستعارة والكذب الاستعارة لا تدخل في الاعلام . قرينة الاستعارة ، ١٠٨ تقسيمات الاستعارة : اقسام الاستعارة باعتبار الطرفين : الوفاقية ، ١٠٩ العنادية التهكمية والتلميعية ، ١١٠ اقسام الاستعارة باعتبار الجامع : ما يدخل جامعا في مفهوم الطرفين ، ١١٢ ما يخرج جامعا عن مفهوم الطرفين . الاستعارة العامة والخاصة ، ١١٦ اقسام الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع : استعارة محسوس محسوس بوجه حسي ، ١١٧ استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي ، ١١٨ استعارة محسوس لمحسوس بوجه مختلف . استعارة معقول لمعقول ، ١١٩ استعارة محسوس لمعقول . استعارة معقول لمحسوس ، ١٢٠ اقسام الاستعارة باعتبار المستعار : الأصلية والتبعية ، ١٢٤ اقسام الاستعارة باعتبار الخارج : المطلقة ، ١٢٥ المجردة ، ١٢٦ المرشحة ، ١٣٠ المجاز المركب أو التمثيل ، ١٢٧ فصل : الاستعارة المسكنية والتخييلية ، ١٤١ فصل : اعتراضات علي السكاكي : الاعتراض عليه في تعريف الحقيقة والمجاز ، ١٤٣ الاعتراض عليه في جعل التمثيل من المجاز المفرد ، ١٤٤ الاعتراض عليه في تعريف التخييلية ، ١٤٦ الاعتراض عليه في تعريف المسكنية ، ١٤٧ الاعتراض عليه في رد التبعية إلى المسكنية ، ١٤٩ فصل : شروط حسن الاستعارة ، ١٥٢ فصل : المجاز بالحذف والزيادة ، ١٥٣ إنكار المجاز بالحذف والزيادة ، ١٥٤ تمرينات علي المجاز المرسل والاستعارة ١٥٦ القول في الكناية :

١٥٦ تعريف الكناية ، ١٥٧ اقسام الكناية : المطلوب بها غير صفة ولا نسبة ، ١٥٩ المطلوب بها صفة ، ١٦٤ المطلوب بها نسبة ، ١٦٨ الكناية العرضية . التعريض والتلويح والرمز والإيحاء والإشارة ، ١٧١ تمرينات علي الكناية .

١٧٢ تلييه :

١٧٣ الموازنة بين المجاز والحقيقة والكناية والتصريح ، ١٧٥ البلاغة والفصاحة عند السكاكي

بُغْيَةُ الْإِيضَاحِ

لتلخيص المفتاح

في علوم البلاغة

تأليف

عبد المتعال الصعيدي

الأستاذ بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

الجزء الرابع

في علم البديع

طبعة جديدة مشكولة مفهرسة

تنبيه : قد وضعنا كتاب الإيضاح بأعلى الصفحة .

ووضعنا شرحه - بغية الإيضاح - بأسفلها

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة الآداب

42 ميدان الأوبرا ت : 3900868

الطبعة السابعة

ذو الحجة ١٤١٠ هـ - يولييه ١٩٩٠ م

ضبطها وأعدّ فهرسها مدير مكتبة الآداب (على حسن)

بسم الله الرحمن الرحيم الفن الثالث | علم البديع

تعريف علم البديع : وهو علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام ^(١) بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة ^(٢) .

(١) يعنى بمعرفتها تصور معانيها والعلم بأعدادها وتفصيلها ومنشأ الحسن فيها ، وهذه الوجوه هي المحسنات المعنوية واللفظية الآتية ، وإنما سميت محسنات لأنها ليست من مقومات البلاغة ولا الفصاحة ، فالحسن الذي تحدته في الكلام عرَضى لا ذاتى .

(٢) قيل إن كل واحد من تطبيق الكلام على مقتضى الحال ووضوح الدلالة ووجوه التحسين قد يوجد دون الآخر ، فلا يكون الأول واجبا فى الثانى ولا كل من الأول والثانى واجبا فى الثالث ، والحق أنهما يجبان فيه لأنه لا قيمة له إلا معهما ، ولهذا لا تستحسن هذه الوجوه إذا تكلفت ، كالمطابقة فى قول الأخطيل :

قلتُ المَقَامُ وناعِبٌ قال النوى
فَعَصَيْتُ قولى والمطاعُ غرابُ

لأن هذا من غَثِّ الكلام وبارده . ولكن هذا لا يقتضى التقييد بذلك فى تعريف علم البديع ، لأنه يبحث عن وجوه الحسن بقطع النظر عن اشتراط ذلك فيها ، كما يبحث علم المعانى عن المطابقة بقطع النظر عن غيرها ، ويبحث علم البيان عن وضوح الدلالة بقطع النظر عن غيره ، فالأولى أن يجعل ذلك شرطا لا ركنا فى التعريف ، وأن يقتصر فى التعريف على أنه علم يعرف به وجوه تحسين الكلام من جهة لفظه ومعناه .

هذا ومن القدماء من ذهب إلى أن علم البديع هو ما تحصل به المطابقة مع الفصاحة ، فالحسن عنده سواء كان عرضيا أم ذاتيا لفظيا أم معنويا من مقومات البلاغة ، وليس هناك شيء يقتضيه الحال وشيء لا يقتضيه الحال ، فيكون علم البديع شاملا للعلوم الثلاثة ، وهذا قول ضعيف ، لأن المحسنات البديعية تحسن فى الكلام ولو لم يكن هناك حال يقتضيه ، ولا تجب فيه كما يجب التأكيد ونحوه مما يرجع إلى النظم لأنه من مقومات البلاغة ، وكما يجب وضوح الدلالة لأنه من مقومات الفصاحة ، ولهذا يجب الفصل بين العلوم الثلاثة ، وقد يكون لبعض وجوه التحسين نكتة كما سيأتى ، ولكنها لا تقتضى وجوبها فى البلاغة ، وإنما تكون شرطا لكونها محسنا بديعيا ، وبهذا يعلم خطأ ما شاع من أن المحسن البديعى إذا كان له نكتة يكون من علم المعانى .

تقسيم المحسنات إلى معنوية ولفظية : وهذه الوجوه ضربان : ضرب يرجع إلى المعنى ^(١) ، وضرب يرجع إلى اللفظ ^(٢) .

أقسام المحسن المعنوي

المطابقة أو الطباق : أما المعنوي فمنه المطابقة ^(٣) وتسمى الطباق والتضاد أيضاً ، وهى الجمع بين المتضادين أى معنيين متقابلين فى الجملة ^(٤) ، ويكون ذلك إما

(١) أى أولاً وبالذات وإن كان بعض أنواعه قد يفيد تحسين اللفظ أيضاً ، كما فى المشكلة لما فيها من إيهام المجانسة اللفظية .

(٢) أى أولاً وبالذات وإن كان بعض أنواعه قد يفيد تحسين المعنى أيضاً ، وقد ذهب عبيد القاهر إلى أن الحسن لا يمكن أن يكون فى اللفظ فى ذاته من غير نظر إلى المعنى ، حتى ما يتوهم فى بدء الفكرة أن الحسن لا يتعدى فيه اللفظ والجرس كالتجنيس ، لأنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً ، ولهذا استقيح فى قول أبى تمام :
 ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ السَّمَاحَةُ فَالْتَوَتْ فِيهِ الظُّنُونُ أَمْ ذَهَبَ أَمْ مُذْهَبٌ

واستحسن فى قول أبى الفتح البُسْتِى :

نَظَرَاهُ فِيمَا جَنَتْ نَظَرَاهُ أَوْ دَعَانِي أُمْتُ بَا أَوْ دَعَانِي

لأنه فى الأول لم يزدك على أن أسمعك حروفاً مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكرة ، وفى الثانى أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ، ويوهمك كأنه لم يزدك ، وقد أحسن الزيادة وَوَقَّاهَا .

وإنما قدم المعنوى على اللفظى لأنه أتم منه حسناً ، وقد رأى بعض مؤلفى عصرنا إلحاقه بعلم المعانى ، والحق أنه لا فرق بينه وبين اللفظى ، لأنهما سواء فى أن الحسن فيهما عرضى لا ذاتى ، وفى أنهما يحسنان فى الكلام ولا يجبان .

(٣) المطابقة فى اللغة الموافقة ، ووجه المناسبة بينه وبين المعنى الاصطلاحي أن المتكلم فيه بوافق بين المعنيين المتقابلين .

(٤) أى سواء أكان التقابل حقيقياً أم اعتبارياً ، كتقابل القدم والحدوث وتقابل الإحياء والإماتة ، وسواء أكان تقابل التضاد أم تقابل غيره ، كتقابل البياض والسواد وتقابل العمى والبصر ، ومثل التقابل بين الاثنين والتقابل بين الجمع ، هذا وقد ذكر التنوخى فى المطابقة أنها تحسن ما لم تكثر ، فتسمج . ولا يخفى أن هذا شأن المحسنات البديعية كلها لا المطابقة وحدها .

بلفظين من نوع واحد : اسمين ، كقوله ^(١) تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾
أو فعلين ، كقوله ^(٢) تعالى : ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعْزِ
مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾ وقول النبي عليه السلام للأَنْصار « إنكم لتكثرون عند
الفرع ، وتقلون عند الطمع » ، وقول أبي صخر الهذلي :

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر ^(٣)
وقول بشار :

إذا أَيْقَظْتَكَ حُرُوبُ الْعِدَى فَنَبَّهَ لَهَا عُمْرًا ثُمَّ نَمَّ ^(٤)
أو حرفين كقوله ^(٥) تعالى : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾
وقول الشاعر :

على أننى راضٍ بأن أحمل الهوى وأخلصُ منه لا على ولا ليا ^(٦)
وإمّا بلفظين من نوعين ، كقوله ^(٧) تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ أى
ضالاً فهديناه ، وقول طفيل :

بِسَاهَمِ الْوَجْهَ لَمْ تُقَطِّعْ أَبَاجِلُهُ يُصَانُ وَهُوَ لِيَوْمِ الرُّوعِ مَبْذُولٌ ^(٨)

(١) الكهف : ١٨

(٢) آل عمران : ٢٦

(٣) قوله « أمره الأمر » بمعنى شأنه الأمر أى حاله أن يكون آمراً وغيره مأموراً ، أو
أمره الأمر النافذ . والشاهد فى قوله « أبكى وأضحك وأمات وأحيا » وجواب القسم
فى قوله بعده :

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منها لا يروعهما الذعر ^(٤)
(٤) يريد عمر بن قواد المهدى ، وفى رواية « إذا دهمتك عظام الأمور » . والشاهد
فى قوله « فنبه ثم نم » وفيه تقابل أيضاً بين قوله « أيقظتك » و « نم » .
(٥) النور : ٢٨٦ ، والمطابقة فيه بين اللام وعلى ، لأن اللام للملك المؤذن بالارتفاع
وعلى للاستعلاء المؤذن بالتحمل والتضرر .

(٦) هو لمجنون ليلى ، والشاهد فى « على » الثانية مع اللام فى قوله « ليا » لأن
على الأولى بمعنى مع ، والمعنى أنه تحمل ما يوجب مدحه ، ولكنه يرضى بأن يخلص منه
وليس عليه ذم ولا له مدح .
(٧) الأنعام : ٢٢

(٨) هو لطفيل بن عوف الغنوى ، وساهم الوجه متغيره من كثرة الجرى صفة لفرس ،
والأباجل جمع أبجل وهو عرق فى الفرس والبعير بمنزلة الأكل من الإنسان ، والروع :
الفرع ، والشاهد فى قوله « يصان ومبذول » .

ومن لطيف الطباق قول ابن رَشِيق :

وَقَدْ أَطْفَؤُوا شَمْسَ النَّهَارِ وَأَوْقَدُوا
وكذا قول القاضي الأرجاني :

ولقد نزلت من الملوك بما جد
وكذا قول الفرزدق :

لعن الإله بنى كَلِيبَ إنهم
يستيقظون إلى نهيق حمارهم
لا يَغْدِرُونَ ولا يَقُونَ لِحَارِ
وتنام أعينهم عن الأوتار (٣)

وفى البيت الأول تكميل حسن (٤) إذ لو اقتصر على قوله « لا يغدرون »
لاحتمل الكلام ضرباً من المدح ، إذ تجنب الغدر قد يكون عن عفة ، فقال « لا يفون »
ليفيد أنه للعجز ، كما أن ترك الوفاء لِلزُّم ، وحصل مع ذلك إيغال حسن (٥) لأنه لو
اقتصر على قوله « لا يغدرون ولا يفون » تم المعنى الذى قصده ، ولكنه لما احتاج
إلى القافية أفاد بها معنى زائداً حيث قال « لِحَارِ » لأن ترك الوفاء للجار أشد
قبحاً من ترك الوفاء لغيره .

الطباق الظاهر والخفى : والطباق قد يكون ظاهراً كما ذكرنا ، وقد يكون

(١) هو لأبى على الحسن بن رشيق القَيْرَوَانِيّ ، والعوالى : جمع عالية وهى أعلى الريح
أو النصف الذى يلي السَّانِ ، والعجاج : الغبار ، والشاهد فى قوله « أطفؤوا وأوقدوا » .

(٢) هو لأبى بكر أحمد بن محمد القاضي الأرجاني من قصيدة له فى مدح على بن
جهير وزير المستظهر بالله ، ومعناه أن أفقرهم إليه مفتاح الغنى لهم بما يعطيهم ، والشاهد
فى التقابل بين الفقر والغنى .

(٣) هما من قصيدة له فى هجاء جرير ، وقوله « لا يغدرون » بمعنى لا يخونون
عدوهم لعجزهم عنه ، وهذا ذم لهم ، والأوتار : هو جمع وتر وهو الثَّار ، يعنى أنهم لا يهمهم
أمر أوتارهم ويهمهم أمر حمارهم ، فيستيقظون عند نهيقه ليعرفوا ما حمله عليه ويدفعوا
المكروه عنه ، والشاهد فى قوله « لا يغدرون ولا يفون » ، ويستيقظون وتنام أعينهم .

(٤) التكميل من أنواع الإطناب ، وقد سبق فى الجزء الثانى .

(٥) الإيغال من أنواع الإطناب ، وقد سبق فى الجزء الثانى .

خفياً نوع خفاء ، كقوله ^(١) تعالى : ﴿ مِمَّا حَطَبَاتِهِمْ أَغْرَقُوا فَأَدْخَلُوا نَاراً ﴾ طابق بين (أغرقوا) و (أدخلوا نارا) . وقول أبي تمام :

مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ قَنَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ تَلَكْ ذَوَابِلُ ^(٢)
طابق بين هاتا وتلك ^(٣) .

طابق الإيجاب وطباق السلب : والطباق ينقسم إلى طباق الإيجاب ، كما تقدم ، وإلى طباق السلب ، وهو الجمع بين فعلين مصدر واحد مُثْبِتٍ وَمُنْفِيٍّ أو أمر ونهي ، كقوله ^(٤) تعالى : ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ، يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وقوله ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَخَشَوْا ﴾ ^(٥) . وقول الشاعر :

وَتُنْكِرُ إِن شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يَنْكُرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ ^(٦)
وقول البحتري :

يُقَيِّضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النَّوَى وَيَسْرِى إِلَى الشَّوْقِ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ ^(٧)
وقول أبي الطيب :

وَلَقَدْ عُرِفْتَ وَمَا عُرِفْتَ حَقِيقَةً وَلَقَدْ جُهِلْتَ وَمَا جُهِلْتَ خُمُولاً ^(٨)

(١) نوح : ٢٥

(٢) المها : واحدة مهاة وهى البقرة الوحشية ، يعنى أنهم كبقر الوحش فى سعة العيون ، قنا : واحدة قناة وهى الرمح ، والخط : بلد تصنع فيها ، يعنى أنهم كقنا الخط فى اعتدال القامة ، والدوابل . الأغصان الجافة ، يعنى أن تلك الرماح ذوابل أما هن فنواضر .
(٣) لأن « هاتا » اسم إشارة للقريب و « تلك » اسم إشارة للبعيد .

(٥) المائة : ٤٤

(٤) الروم ٦ ، ٧

(٦) قد سبق هذا البيت فى آخر الكلام على الإيجاز والاطناب والمساواة من الجزء الثانى ، والشاهد فى قوله « وتنكر ولا ينكرون » .

(٧) قوله « يقيض » بمعنى يهيا ، والنوى : الفراق ، والمراد أنه يقيض له من حيث لا يعلم أسبابه لأن محبوبته تهجره بلا سبب ، أما الشوق فهو يعلم سببه وهو حبه لها ، والشاهد فى قوله « لا أعلم وأعلم » .

(٨) هو من قصيدة له فى مدح ابن عمار مطلعها :

أَمْعَرُ اللَّيْلِ الْهَزْبُ بِسُوطِهِ لَمَنِ ادَّخَرْتَ الصَّارِمَ الْمَصْقُولَا

ومعنى البيت أنه عرف بسخائه وكريم صفاته ، ولكنه لم يعرف حقيقة لعلو قدره ، فلا يمكن الوصول إلى حقيقته ، والشاهد فى قوله « عرفت وما عرفت وجهلت وما جهلت » .

وقول الآخر :

خَلَقُوا وما خَلَقُوا لِمَكْرُمَةٍ
فَكَأَنَّهُمْ خُلِقُوا وما خُلِقُوا
رَزَقُوا وما رَزَقُوا سَمَاحَ يَدٍ
فَكَأَنَّهُمْ رَزَقُوا وما رَزَقُوا ^(١)
قيل : ومنه ^(٢) قوله ^(٣) تعالى : « لَا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ » .

أى لا يعصون الله فى الحال ويفعلون ما يؤمرون فى المستقبل ، وفيه نظر ، لأن العصيان يُضَادُّ فعل المأمور به ، فكيف يكون الجمع بين نفيه وفعل المأمور به تضاداً ^(٤) .

الطباق المسمى تدبيجا :

ومن الطباق ^(٥) قول أبى تمام :

تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْراً فما أتى لها الليلُ إلا وهى من سُندُسٍ خُضْرٍ ^(٦)

وقول ابن حيوس :

طالما قلتُ لِلْمَسَائِلِ عَنْكُمْ واعتمادى هِدَايَةُ الضَّلَالِ
إن تُرِدْ عِلْمَ ما لَهم عن يقين فالتَّهْمُ يوم نائلٍ أو نِزالٍ

(١) لا يعلم قائلهما ، والواو فى قوله « وما خلَقُوا » للحال ، والمعنى أنهم خلَقُوا غير مستعدين لفعل المكارم فكأنهم لم يخلَقُوا ، لأن من يكون مثلهم فوجوده كعدمه ، وكذلك المعنى فى البيت الثانى ، والشاهد فى قوله « خلَقُوا وما خلَقُوا ، ورزَقُوا وما رزَقُوا » .

(٢) أى من طباق الإيجاب والسلب . (٣) التحريم : ٦

(٤) على أنه ليس فيه جمع بين فعلى مصدر واحد كما هو طباق الإيجاب والسلب .

(٥) أى مطلقاً ، وهذا توطئة لقوله فيما سيأتى « ومن الناس من يسمى نحو ما ذكرناه تدبيجا » .

(٦) هو من قصيدته فى رثاء محمد بن حُمَيد ، وقوله « تردى ثياب الموت » بمعنى اتخذها رداءً ، والمراد بثياب الموت ما كان يلبسها وقت الحرب ، وقوله « حمراً » حال مقدرة أى حمراً بعد القتال لا حين لبسها لأنها لم تحمر إلا بدم القتلى ، والسندس : رقيق الحرير ، والأول كناية عن القتل والثانى كناية عن دخول الجنة ، والطباق فى قوله - حمراً وخضر .

تَلَقَّ بَيْضَ الْوُجُوهِ سَوْدَ مِثَارِ النَّقْـ سَعِ خُضَرَ الْأَكْنَافِ حُمْرَ النَّصَالِ (١)
 وقول الحريري : « قَمْدُ اَزْوَرِّ الْمَحْيُوبِ الْأَصْفَرِ (٢) ، وَغَيْرُ الْعَيْشِ الْأَخْضَرِ (٣) ،
 اسْوَدَّ يَوْمِي الْأَبْيَضَ ، وَابْيَضَ قَوْدِي الْأَسْوَدَ ، حَتَّى رَنَى لِي الْعَدُو الْأَزْرَقَ (٤)
 فَيَا حَيْذَا الْمَوْتَ الْأَحْمَرَ (٥) » .

ومن الناس من سَمَّى نحو ما ذكرناه تدبيجاً ، وفسره بأن يُدْكَرَ في معنى من
 المدح أو غيره ألوان بقصد الكناية أو التورية (٦) . أما تدبيج الكناية فكبيت أبي
 تمام وبيتي ابن حيوس ، وأما تدبيج التورية فكلفظ الأصفر في قول الحريري (٧) .

(١) ابن حيوس هو أبو الفتيان محمد بن سلطان ، وقوله « طالما » بمعنى طال وكثر
 وما كافة ، اعتمادى : مصدر بمعنى اسم المفعول مبتدأ وما بعده خبر ، وهى جملة
 معترضة بين القول ومقوله ، والنائل : العطاء ، والنزال : مصدر نازله فى الحرب بمعنى
 نزل فى مقابلته وقاتله ، ومثار النقع : منتشر الغبار يعنى غبار الحرب ، والأكناف : جمع
 كَنَفٍ وهو الجانب ، وخضرتها كناية عن سواد دروعها ، لأن العرب تسمى الضارب إلى
 السواد أخضر ، والنصال : جمع نصل وهو حديدة الرمح والسهم والسكين وربما سمي
 السيف نصلاً ، وحمرتها : كناية عن قتل الأعداء بها ، هذا وقوله « بَيْضُ الْوُجُوهِ »
 يرجع إلى يوم نائلهم ، وما بعده يرجع إلى يوم نزالهم ، والشاهد فى التقابل بين بَيْضِ
 وسود وخضر وحمرة ، والأول كناية عن كرمهم وما بعده كناية عن شجاعتهم .

(٢) تورية بالذهب . (٣) خضرة العيش كناية عن طيبه .

(٤) هو الخالص العداوة . (٥) كناية عن الموت الطرى أى الجديد .

(٦) المراد بالألوان ما فوق الواحد فيشمل الاثنين ، واحترز بذكرها بقصد ذلك عن
 ذكرها بقصد الحقيقة أو المجاز ، لأن ذكرها بقصد الحقيقة ليس من المحسنات البديعية ،
 وذكرها بقصد المجاز المانع من إرادة الألوان من المحسنات اللفظية ، وقيل إن ذكرها بقصد
 الحقيقة لا يمنع من كونها تدبيجاً ، كقول الشاعر :-

وَمَثُورٌ دَمْعِي غَدًا أَحْمَرًا عَلَى آسٍ عَارِضِكَ الْأَخْضَرِ

، وإنما لم يجعل التدبيج قسماً خاصاً من المعنوى لأنه يدخل فى الطباق ، لما بين الألوان
 من التقابل .

(٧) لأن له معنى قريباً وهو محبوب أصفر من البشر ومعنى بعيد وهو الذهب ،
 والبعيد هو المراد هنا ، وفى كلام الحريري تدبيج الكناية أيضاً ، لأن خضرة العيش كناية
 عن طيبه ونعومته ، وأغبراره كناية عن ضيقه ونقصانه ، وسواد يومه كناية عن حزنه ،
 وبياض فوده كناية عن ضعف حاله .

ما يلحق بالطباق : وَيُلْحَقُ بالطباق شيثان :

* أحدهما ^(١) نحو قوله ^(٢) تعالى : ﴿ أَشَدُّ عَلَى الْكَفَّارِ رَحْمَةً بَيْنَهُمْ ﴾ فَإِنَّ الرحمة مسببة عن اللين ^(٣) الذى هو ضد الشدة ، وعليه قوله ^(٤) تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ فَإِنْ ابْتِغَاءُ الْفَضْلِ يَسْتَلْزِمُ الْحَرَكَةَ الْمُضَادَّةَ لِلْسُكُونِ ، والعدول عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل ؛ لأن الحركة ضربان : حركة لمصلحة وحركة لمفسدة ، والمراد الأولى لا الثانية .
ومن فاسد هذا الضرب قول أبى الطيب :

لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا سُرُورَ مُحِبٍّ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِمٍ ^(٥)

فإن ضد المحب هو المبغض ، والمجرم قد لا يكون مبغضاً ، وله وجه بعيد ^(٦) .

* والثانى ما يُسَمَّى إِبْهَامَ التَّضَادِّ ^(٧) كقول دُعَيْل :

لَا تَعْجِبْنِي يَا سَلَمٌ مِنْ رَجُلٍ ضَحَكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى ^(٨)

وقول أبى تمام :

مَا إِنْ تَرَى الْأَحْسَابَ بَيْضاً وَضُحاً إِلَّا بِحَيْثُ تَرَى الْمَنَايَا سُوداً ^(٩)

(١) هو أن يجمع بين معنيين لا يتنافيان فى ذاتهما ولكن يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر بسببه أو لزومه أو نحوهما .

(٢) الفتح : ٢٩

(٣) اعترض عليه بأن اللين هو رقة القلب ورحمته وانعطافه ، فتكون الرحمة داخلية فيه لا مسببة عنه .
(٤) القصص : ٧٣

(٥) يخاطب بهذا كافوراً حين أخر عطاءه عنه ، والاستفهام يراد به النفى .

(٦) هو أن بين الإجمام والبغض تلازماً ادعائياً ، كأنه يشير إلى أن المجرم لا يكون إلا مبغضاً له لمنافاة حاله لحاله .

(٧) هو أن يجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان .

(٨) هو لدعبل بن غلى الخزاعى ، وسلم : ترخيم سلمى ، وقوله « ضحك المشيب » استعارة تبعية لظهوره التام برأسه لأن كلا منهما يشبه الآخر فى لونه ، والشاهد فى أن المراد بالضحك فى البيت لا يضاد البكاء ولكن معنييهما الحقيقيين متضادان . والفرق بينه وبين التدبيح أنه يكون بطريق المجاز ، أما التدبيح فيكون بطريق الكناية أو التورية .

(٩) ببيض : جمع أبيض ، ووضح : جمع واضح ، وهما استعارتان لنقاء الأحساب من =

وقوله أيضاً فى الشيب :

له منظرٌ فى العين أبيضٌ ناصعٌ ولكنه فى القلب أسود أسفع^(١)

وقوله :

وتَنْظُرِي حَبَّ الرِّكَابِ يَنْصُهَا مُحْيِ الْقَرِيضِ إِلَى مُمِيتِ الْمَالِ (٢)
ما يُخَصُّ مِنَ الطَّبَاقِ بِاسْمِ الْمَقَابِلَةِ : ودخل فى المطابقة ما يُخَصُّ بِاسْمِ
المقابلة ، وهو أن يُؤْتَى بِمَعْنِيَيْنِ مُتَوَافِقَيْنِ أَوْ مَعَانَ مُتَوَافِقَةٍ ثُمَّ بِمَا يَقَابِلُهَا عَلَى
الترتيب ، والمراد بالتوافق خلاف التقابل^(٣) . وقد تتركب المقابلة من طباق وملحق به ،
مثال مقابلة اثنين باثنين قوله^(٤) تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً ﴾ وقول
النبي عليه السلام : « إِنْ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِى شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
شَانُهُ » . وقول الذبياني :

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا (٥)

= الدنس ، والمنايا جمع منية وهى الموت ، والمنايا السود كناية عن القتل فى الحرب ،
والشاهد فى أن المراد من الأبيض والمراد من السود فى البيت لا تضاد بينهما ، ولكن
معنييهما الحقيقيين متضادان .

(١) الأبيض : الناصع : هو الشديد البياض ، والأسود الأسفع : هو الأسود إلى
حمرة ، والشاهد فى هذا أنه استعار الأسود الأسفع لما يحدثه منظره فى نفسه من الهم
والحزن ، فمعناه الحقيقى هو الذى يقابل ما قبله لا المجازى .

(٢) هو لأبى تمام أيضاً ، وقوله « تنظرى » بمعنى انتظرى ، الخيب : أن يتراوح
الفرس فى عَدْوِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ بِأَنْ يَقُومَ عَلَى إِحْدَاهُمَا مَرَّةً وَعَلَى الْأُخْرَى مَرَّةً ، والركاب :
الإبل وقوله « يَنْصُهَا » بمعنى يستحثها شديداً ، و« محيى القريض » كناية عن نفسه ،
و« مميت المال » كناية عن ممدوحه ، والشاهد أن المراد من المحيى والمراد من المميت فى
البيت غير متضادين ولكن معنييهما الحقيقيين متضادان ، وقبل البيت :

لَا تَنْكَرِي عَطْلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغَنَى فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالَى

(٣) فلا يشترط فيه أن يكونا متناسبين كما سيأتى فى مراعاة النظير ، فإن كانا

(٤) التوبة : ٨٢

كذلك سُمى مراعاة نظير أيضاً .
(٥) هو للنابغة الذبياني ، وقد نُسِبَ فى الحماسة للنابغة الجعدى ، وروايتها « فتى
كان فيه » وفتى : منصوب بفعل محذوف تقديره اذكر فتى ، والمراد مايسر صديقه من
نفعه له ، وما يسوء أعاديته من إيقاع الضرر بهم ، والشاهد فى قوله « يسر صديقه
ويسوء الأعاديَا » .

وقول الآخر :

فَوَا عَجَباً كَيْفَ اتَّفَقْنَا فَنَاصِحٌ وَفِي وَمَطْوًى عَلَى الْغِلِّ غَادِرٌ (١)

فإن الغل ضد النصح والغدر ضد الوفاء .

ومثال مقابلة ثلاثة بثلاثة قول أبي دلامة :

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا وَأَقْبَحَ الْكُفْرَ وَالْإِفْلَاسَ بِالرَّجُلِ (٢)

وقول أبي الطيب :

فَلَا الْجُودُ يُغْنِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مَقْبِلٌ وَلَا الْبَخْلُ يُبْقِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُدْبِرٌ (٣)

ومثال مقابلة أربعة بأربعة قوله تعالى (٤) : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنِّيْسَرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَخَلَ وَاسْتَغْنَى ، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنِّيْسَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ فإن المراد باستغنى أنه زهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يَتَّقِ ، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتق (٥) .

قيل : وفي قول أبي الطيب :

أُزُورُ هُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْثَى وَبِإِصْبَاحِ الْيَغْرِى بِي (٦)

(١) لا يعلم قائله ، والغل : الحقد ، والفاء فى قوله « فناصر » تعليل للتعجب من اتفاقهما ، وكل من ناصر ومطوى خبر مبتدأ محذوف تقديره فأنا ناصر وفى وأنت مطوى على الغل غادر .

(٢) فأقبح يقابل أحسن ، والكفر يقابل الدين ، والإفلاس يقابل الدنيا ، وأبو دلامة هو زند بن الجون ، وقد سأله المنصور عن أشعر بيت قالت العرب فى المقابلة ، فأشده هذا البيت .

(٣) الجد : الحظ ، والشاهد فى أن كلا من البخل ويبقى ومدبر يقابل كلا من الجود ويفنى ومقبل .

(٤) الليل : ٥ ، ٦

(٥) حينئذ يكون مقابلاً لقوله (اتقى) بما يستلزمه من عدم الاتقاء ، والاستغناء كما يطلق على هذا يطلق على كثرة المال وليس مراداً .

(٦) قوله « يشفع لى » بمعنى يعينه على اجتماعه بهم لأنه يستره عن الرقباء ، وقوله « يغرى بى » بمعنى يحضهم عليه لئلا يراه رقباءهم ، وبهذا قابل يغرى يشفع .

« أُنبت أيها الوزير إسماعيلُ الوعد ، شعبيّ التوفيق ، يُوسُفُ العفو ، محمدُ الخلق (١) » . و قول أسيد بن عنقاء (٢) الفزاري :

كَانَ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي جَبِينِهِ وَفِي خَدِّهِ الشُّعْرَى وَفِي وَجْهِهِ الْبَدْرُ (٣)
وقول الآخر في فرس :

مِنْ جُلْنَارٍ نَاضِرٍ خَدُّهُ وَأُذُنُهُ مِنْ وَرَقِ الْآسِ (٤)
وقول البحترى في صفة الإبل الأنثاء :

كَالْقِسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْآسِ سَهْمٌ مَبْرِيَةٌ بِلِ الْأَوْتَارِ (٥)
وقول ابن رشيقي :

أَصَحُّ وَأَقْوَى مَا سَمِعْنَاهُ فِي النَّدَى مِنْ الْخَبْرِ الْمَأْثُورِ مُنْذُ قَدِيمِ
أَحَادِيثُ تَرْوِيهَا السُّيُولُ عَنِ الْحَيَا عَنِ الْبَحْرِ عَنْ كَفِّ الْأَمِيرِ تَمِيمِ (٦)

(١) التناسب بين إسماعيل وشعيب ومحمد لأنهم أنبياء ، وبين الوعد والتوفيق والعفو والخلق لأنها أخلاق .

(٢) هي أمه وقد اشتهر بنسبته إليها ، واسم أبيه بجرة .

(٣) رواية الحماسة « القمر » بدل « البدر » ، وهي المناسبة لباقي الأبيات . ومطلعها :
رَأْنِي عَلَى مَا بِي عُمَيْلَةُ فَاشْتَكَيْ إِلَى حَالِهِ حَالِي أَسْرَ كَمَا جَهَرُ

والثريا : كواكب في عنق الثور ، والشعري : كوكب في الجوزاء ، والشاهد في جمع الثريا والشعري والقمر لتناسيها في أنها كوكب ، وفي جمع الجبين والخذ والوجه أيضاً .

(٤) هو لإبراهيم بن أبي الفتح المعروف بابن خفاجة في وصف فرس أشقر ، والجلنار : زهر الرمان ، والآس : الريحان ، والمراد تشبيه خده بالجلنار في طراوته ، وأذنه بورق الآس في انتصابها ، والشاهد في تناسب الجلنار والآس وفي تناسب الخد والأذن .

(٥) القسي : جمع قوس ، والمبرية : المنحوتة ، والأوتار : جمع وتر وهو الخيط الجامع بين طرفي القوس ، والإضراب في ذلك للترقي ، لأن السهام أرق من القسي والأوتار أرق من السهام ، والمراد تشبيه الإبل الأنثاء - وهي المهازل جمع نضو - بذلك في الرقة ، والشاهد في تناسب القسي والسهام والأوتار .

(٦) هما لأبي على الحسن بن رشيقي القيرواني ، والندي : الكرم ، وقوله « من الخير » بيان لما في قوله « ما سمعناه » ، والمأثور : المروى ، والحيا : المطر ، والأمير تميم : هو أبو على تميم بن المعز بن باديس .

فإنه ناسب فيه بين الصحة والقوة ، والسماع والخبر المأثور ، والأحاديث والرواية ، ثم بين السيل والحيا ، والبحر وكف تميم ، مع ما فى البيت الثانى من صحة الترتيب فى العنونة ، إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر كما يقع فى سند الأحاديث ، فإن السيول أصلها المطر ، والمطر أصله البحر على ما يقال (١) ؛ ولهذا جعل جعل كف الممدوح أصلا للبحر مبالغة.

ما يُسمى من التناسب تشابه الأطراف : ومن مراعاة النظر ما يسميه بعضهم تشابه الأطراف ، وهو أن يُختم الكلام بما يناسب أوله فى المعنى ، كقوله (٢) تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ فإن اللطف يناسب ما لا يُدرك بالبصر (٣) ، والخبرة تناسب من يُدرك شيئا ، فإن من يدرك شيئا يكون خبيراً به ، وقوله (٤) تعالى : ﴿ لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَإِنِ اللَّهُ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ قال « الغنى الحميد » لينبه على أن ما له ليس بحاجة ، بل هو غنى عنه جواد به ، فإذا جاد به حمده المنعم عليه .

ومن خفى هذا الضرب (٥) قوله (٦) تعالى : ﴿ إِن تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ فإن قوله « وإن تغفر لهم » يوهم أن الفاصلة « الغفور الرحيم » ، ولكن إذا أنعم النظر علم أنه يجب أن تكون ما عليه التلاوة ، لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه ، فهو العزيز لأن العزيز فى صفات الله هو الغالب ، من قولهم « عَزَّ يَعَزُّ عَزًّا » إذا غلبه ، ومنه المثل « مَن عَزُّ بَزَّ » أى مَن غلب سلب (٧) ، ووجب أن يوصف بالحكيم

(١) لأنه يحدث من تكاثف البخار المتصاعد منه بتأثير البرد .

(٢) الأنعام : ١٠٣

(٣) لأن اللطف فى الأصل دقة الشيء ، ولكن المراد باللطف هنا ما لا تدركه الأبصار مطلقاً لاستحالة الأول على الله تعالى ، ويجوز أن يكون من اللطف بمعنى الرأفة فيكون من إيهام التناسب الآتى لا من التناسب .

(٤) الحج : ٦٤

(٥) يعنى هذا الضرب من مراعاة النظر وهو تشابه الأطراف .

(٦) المائدة : ١١٨

(٧) يضرب لمن يتغلب على غيره فلا يقدر على منع شيء منه .

أيضاً ، لأن الحكيم مَنْ يضع الشيء فى محله ، والله تعالى كذلك ، إلا أنه قد يخفى وجه الحكمة فى بعض أفعاله فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة ، فكان فى الوصف بالحكيم احتراس حسن (١) ، أى وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا مُعْتَرَضٌ عليك لأحد فى ذلك ، والحكمة فيما فعلته .

إيهام التناسب : وما يلحق بالتناسب نحو قوله (٢) تعالى : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ ويسمى إيهام التناسب (٣) .

إرجاع التفويف إلى التناسب والمطابقة : وأما ما يسميه بعض الناس التفويف ، وهو أن يُؤْتَى فى الكلام بمعانٍ متلائمة فى جمل مستوية المقادير أو متقاربتها ، كقول من يصف سحاباً :

تَسْرِبَلٌ وَشَيْءٌ مِنْ خُزُوزٍ تَطْرُزَتْ مَطَارِفُهَا طُرُزٌ مِنَ الْبَرْقِ كَالْتَبْرِ
فَوْشَى بَلَا رَقْمٍ وَنَقَشٌ بَلَا يَدٍ وَدَمْعٌ بَلَا عَيْنٍ وَضَحْكٌ بَلَا ثَغْرِ (٤)

وكقول عنتره :

إِنْ يَلْحَقُوا أَكْرُرُ وَإِنْ يَسْتَلِحِقُوا أَشْدُّ وَإِنْ نَزَلُوا بِضْنِكَ أَنْزِلُ (٥)

(١) الاحتراس نوع من الإطناب السابق فى الجزء الثانى .

(٢) الرحمن : ٥ ، ٦

(٣) هو أن يجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان ولكنهما مقصودين ، فالمراد من النجم فى الآية النبات الذى لا ساق له ، ولا مناسبة بينه وبين الشمس والقمر بهذا المعنى ، ولكنه يناسبهما إذا كان بمعنى الكوكب .

(٤) هما لأبى العباس الناشئ كما فى « زهر الآداب » وقيل : إنهما لغيره . والضمير فى « تسربل » للسحاب ، والوشى : نوع من الثياب منقوش ، والخزوز : جمع خَزْ وهو الحرير ، والمطارف : جمع مَطْرَف وهو رداء من خز ذو أعلام ، وطرز : جمع طَرَازٍ وهو عَلمُ الثوب ، والمراد « تَطْرُزَتْ بطرز » فهو من باب الحذف والإيصال ، والرقم : مصدر رقم الثوب بمعنى خَطَطَه ، والدمع : استعارة للمطر ، والضحك : استعارة للبرق . والشاهد فى البيت الثانى لأنه أربع جمل متساوية معانيها متلائمة .

(٥) هو لعنتره بن شداد العيسى . والضمير فى « يلحقوا » لقومه أى يلحقوا عدوهم ، وقوله « أكرر » بمعنى أحمل عليه ، وقوله « يستلحقوا » بمعنى يطلبون لحوقهم لنجدتهم ، وقوله « أشدد » بمعنى أركض ، والشاهد فى اجتماع الجمل الثلاث .

وكقول ابن زيدون :

تَهْ أَحْتَمِلْ وَاحْتَكِمْ أَصْبِرْ وَعِزُّ أَهْنٍ وَدَلُّ أَخْضَعْ وَقُلُّ أَسْمَعْ وَمَرْ أَطَعْ (١)

وكقول ديك الجن :

أَحْلُ وَأَمْرُ وَضَرٌّ وَأَنْفَعُ وَلِنْ وَأَخْ شُنْ وَرِشْ وَأَبْرُ وَانْتَدَبْ لِلْمَعَالَى (٢)

فبعضه من مراعاة النظير (٣) ، وبعضه من المطابقة (٤) .

الإرصاد أو التسهيم : ومنه الإرصاد ، ويُسمى التسهيم أيضاً (٥) . وهو أن يُجْعَلَ قبل العَجْزِ من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عُرِفَ الرُّوْيُ (٦) . كقوله (٧) تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ . وقوله ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِي بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٨) . وقول زهير :

(١) هو لأبى الوليد أحمد بن عبد الله المعروف بابن زيدون . وقوله « ته » بمعنى تكبر ، وقوله « عز » بمعنى صر عزيزاً ، وقوله « دل » أمر من الدلال وهو إظهار المرأة الخلاف في تلتف كأنها تخالف وما بها من خلاف ، والشاهد في اجتماع هذه الجمل الست ولكن اجتماع هذا كله في بيت واحد لا يخلو من تكلف وثقل .

(٢) هو لعبد السلام بن زغبان الحمصي المعروف بديك الجن . وقوله « رش » أمر من راش بمعنى أصلح . والمراد أعِنْ وَأَغْنِ ، وقوله « ابر » أمر من برى السهم نحتته والمراد أفقر ، وقوله « انتدب » أمر من انتدب . يقال « ندبه لأمر فانتدب » أى دعاه فأجاب ، والشاهد في اجتماع هذه الجمل الخمس ، ويرد عليها ما ورد على البيت السابق .

(٣) كما في الشاهد الأول في وصف السحاب .

(٤) كما في الشاهد الرابع ، ولا يخفى ما في الشاهد الثانى والثالث منهما أيضاً .

(٥) يسميه قدامة والعسكري « التوشيح » وهو ما يكسب الشعر حلاوة والنثر طلاوة ، ولهذا افتخر به ابن ثباته السعدى فى قوله :

خذها إذا أنشدت فى القوم من طرب صدورُها عرفتُ منها قوافيها

(٦) المراد بالعجز آخر كلمة من الفقرة أو البيت .

(٧) العنكبوت : ٤٠ . والإرصاد فى هذه الآية قوله « ليظلمهم » لأنه يدل على أن مادة العجز من مادة الظلم ، ويعين كون المادة من الظلم مختومة بنون بعد واو معرفة الروى فى الآية قبلها وهو النون ، والإرصاد فى الآية بعدها قوله « فاختلفوا » .

(٨) يونس : ١٩

سَمِثْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَالِكَ يَسَامُ (١)
وقول الآخر :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ (٢)
وقول البحتري :

أُبَكِيكُمْ دَمْعاً وَلَوْ أَنِّي عَلَى قَدَرِ الْجَوَى أَبْكِي بِكِيتُكُمَا دَمْعاً (٣)
وقوله :

أَحَلَّتْ دَمِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَحُرْمَتِ بَلَا سَبَبٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَلَامِي
فَلَيْسَ الَّذِي حَلَّلْتِهِ بِمُحَلِّلٍ وَلَيْسَ الَّذِي حُرِّمْتِهِ بِحَرَامٍ (٤)
المشاكلة : ومنه المشاكلة ، وهى ذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبتته (٥)
تحقيقاً ، أو تقديراً .
أما الأول فكقوله :

قالوا : اقترح شيئاً نُجِدْ لَكَ طَبِخَهُ قُلْتُ : اطبخوا لى جُبَّةً وقميصاً (٦)

-
- (١) التكاليف : جمع تكليف وهو الأمر الشاق ، وقوله « لا أبالك » جملة دعائية معترضة بين الشرط والجواب ، والإرصاد قوله « سمت » .
(٢) هو لعمر بن معديكرب ، وقوله « دعه » بمعنى اتركه ، والإرصاد قوله « إذا لم تستطع »
(٣) الجوى : الحرقه من عشق أو حزن ، والإرصاد قوله « أبكيكما دمعاً » لأنه لا يبقى عندهم بعده إلا بكاء الدم ، أو قوله « ولو أنى على قدر الجوى أبكى » .
(٤) هما للبحتري أيضاً ، والجرم : الذنب ، والإضافة فى قوله « كلامى » من إضافة المصدر إلى مفعوله ، والمراد كلامها له ، والإرصاد قوله « حرمة » .
(٥) مثل ذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبتته ذكره بلفظ مضاد للمصاحب له أو مناسب له كما سيأتى .
(٦) هو لأبى الرُّقَعمِيق أحمد بن محمد الأنطاكى ، وقوله « اقترح » أمر من « اقترح عليه شيئاً » إذا سأله من غير روية وطلبه على سبيل التكليف ، وقوله « نجد » بمعنى نحسن .

كأنه قال : خيطوا لى . وعليه قوله تعالى (١) : ﴿ تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ﴾ وقوله : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ (٢) . ومنه قول أبى تمام :

مَنْ مَبْلَغُ أَفْنَاءَ يَعْرُبُ كُلِّهَا أنى بنيت الجارَ قبل المنزل (٣)

وشهد رجل عند شريح فقال : « إنك لسبّطُ الشهادة » (٤) فقال الرجل : « إنها لم تُجَعَّدْ عنى » (٥) . فالذى سوَّغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ، ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار ، ولولا سبوط الشهادة لامتنع تجعيدها .

ومنه قول بعض العراقيين فى قاض شهد عنده برؤية هلال الفطر فلم يقبل شهادته :

أثرى القاضى أعمى أم تُراةً يتعمى
سرقَ العيدَ كأنَّ الـ عيدَ أموالِ البتامى (٦)

(١) المائة : ١١٦ ، والحق أن ما فى الآية ليس من المشاكلة ، لأن إطلاق النفس على ذات الله ورد فى قوله تعالى سورة آل عمران الآية : ٣٠ ﴿ وَيَحذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ . فيكون إطلاقه على معناه لا على معنى غيره .

(٢) الشورى : ٤٠ ، والمشاكلة فى إطلاق لفظ سيئة الثانى على جزاء السيئة .

(٣) الأفناء : جمع فنء وهو الجماعة ، والشاهد فى قوله « بنيت الجار » لأنه لا يبنى وإنما شاكل به « قبل المنزل » لأن تقديره : قبل بناء المنزل ، والمقدر كالمذكور ، وقيل : إن هذا من القسم الثانى وهو ظاهر الضعف .

(٤) أى مستمر فى حفظها أو قبولها دائماً ، لأن السبوط فى الأصل انطلاق الشعر وامتداده .

(٥) يعنى أنها لم تقصر عن إدراكه وحفظه ، والتجعد فى الأصل ضد السبوط ، وهذا من المشاكلة بلفظ مضاد للمذكور معه .

ومن المشاكلة بلفظ مناسب للمذكور معه ما ورد أن رجلاً قال لوهب : أليس قد ورد أن « لا إله إلا الله » مفتاح الجنة ؟ فقال له وهب : بلى ، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان ، فإذا جثت بالأسنان ففتح لك ، وإلا لم يفتح لك . فقد عبر عن « لا إله إلا الله » بالمفتاح ، وعبر عن الأعمال بالأسنان مشاكلة بالمناسب .

(٦) هما كما جاء فى « اليتيمة » للصاحب بن عباد . وقوله « ترى » على صورة المبني للمفعول يعنى تظن ، والشاهد فى جعل العيد مسروقاً لوقوعه فى صحبة أموال اليتامى .

وأما الثانى فكقوله (١) تعالى « صَبْغَةُ اللَّهِ » وهو مصدر مؤكّد (٢) منتصب عن قوله « آمنا بالله » والمعنى « تطهيرُ الله » لأن الإيمان يطهر النفوس ، والأصل فيه أن النصرارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماءٍ أصفر يسمونه المَعْمُودِيَّةَ ويقولون: هو تطهير لهم . فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم : قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا ، وطهرنا به تطهيراً لا مثل تطهيرنا . أو يقول المسلمون : صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم يصبغ صبغتك . وجىء بلفظ الصبغة (٣) للمشاكلة وإن لم يكن قد تقدم لفظ الصبغ : لأن قرينة الحال التى هى سبب النزول من غمس النصرارى أولادهم فى الماء الأصفر دلت على ذلك ، كما تقول لمن يغرس الأشجار : « إغرس كما يغرس فلان » تريد رجلاً يصطنع الكرام (٤) .

الاستطراد : ومنه الاستطراد ، وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثانى (٥) كقول الحماسى :

وإنّا لقومٌ ما نرى القتلَ سُبَّةً إذا ما رأته عامراً وسَلُولُ (٦)

(١) البقرة : ١٣٨

(٢) لأنه اسم هيئة على وزن فعلة ، وإنما قال « منتصب عن قوله الخ » لأن ناصبه محذوف دل عليه قوله « آمنا » تقديره صبغنا الله بالإيمان صبغة .

(٣) أى بدل لفظ التطهير .

(٤) يقال « اصطنعه لنفسه اختاره لنفسه » ولكن هذا من القسم الأول كما هو ظاهر ، وإنما يعدّ من الثانى أن ترى إنساناً يغرس شجراً فتقول لآخر : إغرس إلى الكرام . هذا وإنما عدت المشاكلة من المحسنات البديعية لأنها تنقل المعنى إلى لباس له غير مألوف ، فيحدث عجباً أو طرباً . وقد قيل : إن المشاكلة مجاز مرسل علاقته المجاورة ، والحق أنها ليست منه ، لأن علاقة المجاورة تكون بين مدلول اللفظين لا بين اللفظين كما فى المشاكلة ، فهى تصح بمجرد وقوع اللفظ فى صحبة آخر ولو لم توجد علاقة بين مدلوليهما كما فى قوله « قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه » البيت . وقد توجد علاقة بين مدلوليهما كما فى قوله تعالى « وجاء سيئة سيئة مثلها » فإن السيئة الأولى المعصية، والثانية جزاؤها وبينهما علاقة السببية .

(٥) احترز بقوله « لم يقصد الخ » عن إيهام الاستطراد الآتى .

(٦) هو للسّمُوعِل بن عادِيَاء ، والسبة : العيب . والشاهد فى أنه أراد مدح قبيلته فاستطرّد إلى ذم قبيلتى عامر وسلول .

وقول الآخر :

إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه فليس به بأس وإن كان من جرم (١)
وعليه قوله (٢) تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُكَارِي سَوَاتِكُمْ
وَرِيشًا وَكِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ . قال الزمخشري :
هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر السوات وخصف الورق عليها
إظهاراً للمنة فيما خلق الله من اللباس ، ولما فى العرى وكشف العورة من المهانة
والفضيحة ، وإشعاراً بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى .

إيهام الاستطراد : هذا أصله (٣) ، وقد يكون الثانى هو المقصود فيذكر
الأول قبله ليتوصل إليه ، كقول أبى إسحاق الصابى :

إن كنت خنتك فى المودة ساعة فذمت سيف الدولة المحمودا
وزعمت أن له شريكا فى العلى وجحدته فى فضله التوحيد
قسماً لو أنى حالف بغموسها لغريم دين ما أراد مزيداً (٤)
ولا بأس بأن يسمى هذا إيهام الاستطراد (٥) .

(١) هو لزياد الأعجم ، والبأس : الشدة والخوف ، والشاهد فى أنه أراد الوعظ
فاستطرد إلى ذم قبيلة جرم . (٢) الأعراف : ٢٦
(٣) يعنى أن هذا أصل الاستطراد ؛ اسم الإشارة يعود إلى كون الأول لم يقصد بذكره
التوصل إلى ذكر الثانى .

(٤) هى لإبراهيم بن هلال المعروف بأبى إسحاق الصابى . وقوله « ذمت » جملة
دعائية . وقيل إنه يعنى بسيف الدولة السلطان محمود بن سبكتكين ، وكان يلقب بذلك
ثم لقب بيمين الدولة ، والتوحيد : مفعول ثان لقلوله « جحدته » ، يعنى توحيد الناس إياه
فى الفضل . والغموس : اليمين الكاذبة التى يتعمدها صاحبها ، يعنى أنه أقسم له على
عدم خيانتة بيمين لو حلف بها لصاحب دين على براءة ذمته لاكتفى بها ، لأن عظم شأنها
وراثمها يقوم عنده مقام دينه ، والشاهد فى ذكره حديث خيانتة ليتوصل به إلى مدح سيف
الدولة .

(٥) هو حسن التخلص الآتى فى الخاتمة .

المزاوجة : ومنه المزاوجة ، وهى أن يُزَوجَ بين معنيين (١) فى الشرط
والجزء (٢) كقول البحتري :

إذا ما نهى الناهى فلجَّ بى الهوى أصاغت إلى الواشى فلجَّ بها الهجر (٣)
وقوله أيضاً :

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها (٤)
العكس والتبديل : ومنه العكس والتبديل ، وهو أن يُقدَّم فى الكلام جزءٌ ثم
يؤخر (٥) . ويقع على وجوه :

منها أن يقع بين أحد طرفي جملة وما أضيف إليه ، كقوله بعضهم : « عادات
السادات سادات العادات »

(١) أى توقع المزاوجة بينهما على أن الفعل « يزوج » مسند إلى ضمير المصدر أو
إلى « بين » على أنه ظرف متصرف .

(٢) أى معنيين واقعين فى الشرط والجزء ، وظرفية المعنيين فى الشرط والجزء من
ظرفية المدلول فى الدال ، فالمعنيان هما معنى الشرط ومعنى الجزء ، والمزاوجة بينهما
هى أن يرتب على كل منهما معنى مرتب على الآخر .

(٣) قوله « لج » بمعنى ألح عليه واشتد ، وفى العبارة قلب ، والأصل فلججت بالهوى
ولجت بالهجر ، وقوله « أصاغت » بمعنى استمعت ، والواشى : النمام ، والشاهد فى
ترتيبه اللجاج على نهى الناهى وهو الشرط ، وعلى الإصاغة إلى الواشى وهى الجزء .

(٤) هو للبحتري أيضاً ، وقوله « احتربت » بمعنى حاربت ، وقوله فاضت بمعنى سالت .
والشاهد فى ترتيبه فيض ذلك على الاحتراب وهو الشرط ، وعلى تذكر القربى وهو
الجزء . والبيت من قصيدة له فى مدح المتوكل حين أصلح بين بنى تغلب ، والضمير فى
قوله « احتربت » يعود إلى فرسان هيجاء فى قوله قبله :

وفرسان هيجاء تجيش صدورها بأحقادها حتى تضيق دروعها
تقتل من وتر أعز نفوسها عليها بأيد ما تكاد تطيعها

(٥) أى على ما قدم عليه فلا يكون من العكس والتبديل قوله تعالى ﴿ وَتَخْشَى
النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ (الأحزاب : ٣٧) . بل هو من رد العجز على الصدر كما
سيأتى ولا بد أن يكون الجزء كلمة ، فيخرج تقديم الحروف الآتى أيضاً .

ومنها أن يقع بين متعلقيّ فعلين في جملتين ، كقوله ^(١) تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ
مِنَ الْمَيِّتِ وَيَخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . وكقول الحماسي :

فَرَدُّ شَعُورَهُنَّ السَّوْدَ بَيْضاً وَرَدُّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سَوْدَاً ^(٢)

ومنها أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين ، كقوله ^(٣) تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ
وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ . وقوله : ﴿ لَا هُنَّ حُلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ ^(٤) . وقوله :
﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ^(٥) .
وقول الحسن البصري : « إِنْ مَنْ خَوْفِكَ حَتَّى تَلْقَى الْأَمْنَ خَيْرٌ مِنْ أَمْنِكَ حَتَّى تَلْقَى
الْخَوْفَ » . وقول أبي الطيب :

فَلَا مَجْدٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ ^(٦)

وقول الآخر :

إِنَّ اللَّيَالِيَّ لِلْأَنْعَامِ مَتَاهِلٌ تُطَوَّى وَتُنْشَرُ دُونَهَا الْأَعْمَارُ
فَقِصَارُهُنَّ مَعَ الْهَمُومِ طَوِيلَةٌ وَطَوَالُهُنَّ مَعَ السَّرُورِ قِصَارٌ ^(٧)

(١) يونس : ٣١

(٢) قيل : إنه لعبد الله بن الزبير الأسدى أو لفضالة بن شريك في رثاء يزيد بن
معاوية ، والضمير في « شعورهن » لنسوة آل حرب في قوله قبله :

رَمَى الْحَدَثَانُ نِسْوَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارِ سَمْدَنْ لَهُ سُمُودَا

وحرب : جد معاوية بن أبي سفيان ، والحديثان : الدهر ، والمقدار : القدر ، وقوله
« سمدن » بمعنى ذهبن .

(٤) الممتحنة : ١٠

(٣) البقرة : ١٨٧

(٥) الأنعام : ٥٢

(٦) يعنى أن المجد والمال متلازمان ؛ لأن الناس يحتقرون من لا مال له ، ولا مجد لمن
يحتقره الناس ، لأن صاحب المجد هو الذى يمكنه بقوته وأعوانه أن يحصل على المال .

(٧) الأنعام : الخلق ، والمناهل : الموارد ، وقوله « تطوى وتنشر » بمعنى تقصر وتطول
على الاستعارة التبعية . وقد نسب البيتان في « نفحات الأزهار » للمتنبى ، ولم
أجدهما في ديوانه ، وقد نُسبَا في « الأقصى القريب » لعتاب بن ورقاء .

الرجوع : ومنه الرجوع ، وهو العود على الكلام السابق بالنقض لِنكتة (١)
كقول زهير :

قَفَّ بالديار التي لم يَعْفُهَا الْقَدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِّيمُ (٢)
قيل : لَمَّا وَقَفَ عَلَى الدِّيارِ تَسَلَّطَ عَلَيْهِ كَأَبَةٌ أَذْهَلَتْهُ فَأَخْبَرَ بِمَا لَمْ يَتَحَقَّقْ ، فَقَالَ :
« لَمْ يَعْفُهَا الْقَدَمُ » ثُمَّ ثَابَ عَلَيْهِ عَقْلُهُ فَتَدَارَكَ كَلَامَهُ فَقَالَ : « بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ
وَالْدِّيمُ » . وعلى هذا بيت الحماسة :

أَلَيْسَ قَلِيلًا نَظْرَةً إِنَّ نَظَرْتُهَا إِلَيْكَ وَكَلًّا لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلُ (٣)
ونحوه : * فَأَبْ لِهَذَا الدَّهْرَ لَا بَلَّ لِأَهْلِهِ (٤) *

التورية أو الإيهام : ومنه التورية وتسمى الإيهام أيضاً ، وهى أن يُطْلَقَ
لفظ له معنيان (٥) : قريب وبعيد (٦) ، ويردأ به البعيد منهما (٧) .

(١) احترز بهذا عن العود بنقضه لمجرد كونه غلطاً فلا يكون من البديع ، لا حسن
فيه، ونكتة الرجوع إما إظهار التحير أو التحسر أو نحوهما ، ولكن هذه النكتة لا توجيه
فى البلاغة ، وإنما هى شرط فى كونه محسناً ، فيكون من علم البديع لا علم المعانى .
(٢) قوله « لَمْ يَعْفُهَا » بمعنى لَمْ يَبْلُهَا وَلَمْ يَغْيِرْهَا ، وقوله « وَغَيْرَهَا » عطف على
محذوف دل عليه « بَلَى » والتقدير : بَلَى عَفَاها الْقَدَمُ وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ ، وهى جمع ريج
برء ياءها فى الجمع إلى أصلها وهو رُوح بكسر الراء وسكون الواو . والديم : جمع ديمة
وهى السحابة الكثيرة المطر ، والنكتة فى الرجوع هنا إظهار التحير أو التحسر .
(٣) هو ليزيد بن الصمة المعروف بابن الطثيرة . والاستفهام فى قوله « أَلَيْسَ »
للإنكار . المنفى ، ونفى النفى إثبات ، و « كَلَّا » حرف ردح لنفسه عن عد نظرتها قليلاً ،
وهو على تقدير « أَقُولُ كَلَّا » والنكتة هنا إظهار التذلل والتحير .
(٤) لا يعرف قائله . قوله « أَفَ » اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر ، والشاهد فى
أنه جعل التضجر من الدهر ثم رجع عنه وجعله من أهله ، والنكتة هنا إظهار التحير ،
وقوله « لَا بَلَّ لِأَهْلِهِ » على تقدير : لَا أَفَ لِلدَّهْرِ بَلَّ أَفَ لِأَهْلِهِ .
(٥) ليس بقيد ؛ لأنها قد تكون بأكثر من معنيين ، ولا فرق فيهما بين أن يكونا
حقيقيين أو مجازيين أو مختلفين .

(٦) فلو كانا مستويين لم يكن هذا تورية بل يكون إجمالاً .

(٧) لا بد فى التورية من قرينة خفية تدل على إرادة المعنى البعيد ، فإذا كانت
القرينة ظاهرة لم يكن اللفظ تورية ، وبهذا تمتاز عن المجاز والكناية ، كما تمتاز بأن كل
واحد من معنيها يفهم من اللفظ من غير وساطة الآخر أو احتياج إلى علاقة بينهما ، =

وهى ضربان : مُجَرَّدَةٌ وَمُرْشَحَةٌ .

أما المجردة : فهي التى لا تجامع شيئاً مما يلائم المورى به - أعنى المعنى القريب (١) - كقوله (٢) تعالى : ﴿ الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ .

وأما المرشحة : فهي التى قرنَ بها ما يلائم المورى به : إما قبلها : كقوله (٣) تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ أى بِقُوَّةٍ (٤) . ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ . قيل : ومنه قول الحماسي :

فلما نأتُ عَنَّا العشيرةَ كُلُّهَا أَنَحْنَا فَحَالَفْنَا السَّيْفَ عَلَى الدَّهْرِ
فما أَسْلَمْتَنَا عندَ يومِ كَرِهَةٍ ولا نحنُ أَغْضَيْنَا الْجَفُونَ عَلَى وَتَرٍ (٥)

= وهذا هو السبب فى أن التورية ليست من علم البيان كالمجاز والكناية ، وإنى أرى أنها تدخل فى إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة ، فيقال فى معنى الاستيلاء مثلاً : الرحمان استوى على العرش واستولى عليه . وهكذا - وبهذا يمكن إدخالها فى علم البيان كالمجاز والكناية ، ومن عدها من البديع نظر إلى أن المعنى القريب لسرعة إدراكه قبل البعيد يكون له كالحجاب ، فيظهر من ورائه للطفه بصورة الوجه المبرقع الجميل .

(١) أى فقط ، فيدخل فيها ثلاث صور: أن تكون مجردة مما يلائم القريب والبعيد ، وأن تكون مجردة مما يلائم القريب مقترنة بما يلائم البعيد ، وأن تكون مقترنة بما يلائمها معاً . (٢) طه : ٥ ، والمراد من « استوى » استولى ، ومعناه القريب استقر ، ولم يقرن به ما يلائمه ، والتقربة استحالة الاستقرار الحسى على الله تعالى ، وإنما كانت خفية لأنها تتوقف على أدلة نفى الجرمية عنه تعالى ، وهى مما لا يفهمه كل الناس ، وقيل : إن التورية فى ذلك مرشحة ، لأن قوله ﴿ على العرش ﴾ يلائم المعنى القريب . (٣) الذاريات : ٤٧

(٤) هذا ظاهر فى حمل (أيد) على الأفراد ، فيكون مصدر - أد أيدا - بمعنى اشد ، ولكنه على هذا لا يكون من التورية لأنه لا يحتمل إلا هذا المعنى ، وإنما يكون من التورية إذا جعلت (أيد ، جمع يد) ، وحينئذ تفسر بالقوى جمع قوة ، وقيل : إن ذلك لا تورية فيه ، وإنما هو استعارة تمثيلية شُبِّهَتْ فيها هيئة إيجاد الله السماء بقدرته بهيئة البناء الذى هو وضع لبنة على أخرى باليد ، وكذلك قيل فى الآية السابقة .

(٥) هما ليحيى بن منصور الحنفى ، وقيل : إنهما لموسى بن جابر الحنفى ، وقد غلط أبو تمام فى نسبته ليحيى بن منصور إلى بنى حنيفة ، لأنه من بنى ذهل ، وقوله « نأت » بمعنى بعدت ، وقوله « أَنَحْنَا » كناية عن إقامتهم بدارهم واكتفائهم بأنفسهم ، والكريهة : الحرب . والموز : الثأر .

فإن الإغضاء مما يلائم جفن العين لا السيف وإن كان المراد به إغمد السيف ،
لأن السيف إذا أغمد انطبق الجفن عليه ، وإذا جرد انفتح للخلاء الذى بين الدفتين .
وإما بعدها : كلفظ « الغزالة » فى قول القاضى الإمام أبى الفضل عياض فى
صَيْفِيَّةٍ باردة :

كأنَّ كانونَ أهدى من ملايسه لشهر تَمَوَزَ أنواعاً من الحُللِ
أو الغزالة من طول المدى خَرِقَتْ فما تَفَرَّقَ بين الجدى والحمل (١)

(١) البيتان للقاضى أبى الفضل عياض بن موسى السبتي . وكانون : من أشهر السنة
الشمسية يقع فى زمن البرد ، وتموز : شهر منها يقع فى زمن الدفء . والحلل : جمع حلة
هى كل ثوب جديد أو الثوب عموماً ، والغزالة : الشمس معطوف على كانون ، وقوله :
« خرفت » بمعنى قلّ عقلها على المجاز . والجدى : برج ملاصق للدلو ، والحمل : أول
بروج الربيع ، يعنى أنها خرفت فنزلت فى برج الجدى فى وقت الحلول ببرج الحمل ،
والجدى برج البرد ، والحمل برج الدفء . والتورية المرشحة فى « الغزالة » فإن معناها
القريب الطيبة والمراد منها الشمس ، وقد قرنت بما يلائم القريب وهو قوله « خرفت »
وكذلك ذكر الجدى والحمل ، وفى كل من الحمل والجدى ثورية أيضاً ولكنها مجردة ،
وقيل : إنها مرشحة بالتورية السابقة .

هذا وقد تقتزن التورية بما يلائم المعنى البعيد أو بما يلائم المعنيين فتكون مجردة كما
سبق ، ومن الأول قول عماد الدين :

أرى العِقدَ فى ثَغْرِهِ مُحْكَمًا يُرِينَا الصُّحاحَ من الجَوْهَرِ

فالتورية فى « الصُّحاح » لأن معناها القريب كتاب الجوهرى فى اللغة ، والمراد منها أسنان
محبوبه ، وقد قرنت بما يلائم البعيد وهو قوله « فى ثغره » . ومن الثانى قول الشاعر :

وَمُؤَلِّعٍ بِفِيحَاخٍ يَمْدُهَا وَشِبَاكِ

قالت لى العين ماذا يصيد قُلْتُ كَرَاكِي

فالتورية فى « كراكى » لأن معناها القريب أنه جمع كركى وهو طائر رمادى اللون
يأوى إلى الماء ، والمراد منه النوم ، وقوله « يصيد » يلائم القريب ، وكلمة العين تلائم
البعيد .

هذا والتورية التى قرنت بما يلائم المعنى القريب قبله أو بعده تسمى مهيأة ، والتى
قرنت بما يلائم المعنى البعيد قبله أو بعده تسمى مبيئة .

واعلم أن التوهم ^(١١) ضربان : ضرب يستحكم حتى يصير اعتقاداً ^(١٢) ، كما فى قوله :

حَمَلْنَاهُمْ طَرّاً عَلَى الدُّهْمِ بَعْدَ مَا خَلَعْنَا عَلَيْهِم بِالطَّعَانِ مَلَابِساً ^(١٣)
وضرب لا يبلغ ذلك المبلغ ولكنه شىء يجرى فى خاطر وأنت تعرف حاله ^(١٤)
كما فى قول ابن الربيع :

لَوْ لَا التَّطْيِيرُ بِالْخِلَافِ وَأَنْهَمُ قَالُوا : مَرِيضٌ لَا يَعُودُ مَرِيضًا
لَقَضَيْتُ نَحْبِي فِي فَنَائِكَ خِدْمَةً لِأَكُونَ مَنُودِيًا قَضَى مَفْرُوضًا ^(١٥)
ولابد من اعتبار هذا الأصل ^(١٦) فى كل شىء بُنى على التوهم - فاعلم .
وقال السكاكى ^(١٧) : « أكثر متشابهات القرآن ^(١٨) من التورية » .

(١) أي الإيهام وهو التورية .

(٢) فلا يدرك عدم إرادة المعنى القريب منه إلا بتأمل وطول نظر .

(٣) لا يعرف قائله . وقوله « طرا » حال بمعنى جميعاً ، والدهم : جمع أدهم ومعناه القريب الفرس الأسود ، ومعناه البعيد القيد من الحديد ، وهو المراد بقرينة ما ذكره من خلع الدماء عليهم بالطعان حتى صارت لهم كالملايس ، لأنه لا يصح مع هذا أن يكون المراد حملهم على الأفراس ، والشاهد فى أن قوله « حملناهم » يفيد استحكام التوهم فى البيت حتى لا يدرك عدم إرادة القريب إلا بتأمل وطول نظر .

(٤) فلا يحتاج عدم إرادة المعنى القريب فيه إلى تأمل وطول نظر .

(٥) هما لعبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع . والتطير : التشاؤم ، والخلاف : مخالفة العرف والعادة ، والنحب : الأجل . والمندوب : اسم مفعول من الندب ومعناه القريب : المسنون ، ومعناه البعيد : المرثى ، وهو المراد هنا . لأن المعنى لا يكون ميتاً مرثياً قضى مفروضاً عليه وهو الموت حزناً على ذلك المريض ، والشاهد فى أن عدم إرادة المعنى القريب ظاهر لا يحتاج إلى تأمل وطول نظر .

(٦) هو الاكتفاء بمجرد خطور المعنى بالبال وإن لم يكن مستحكماً ، وإنما يجب اعتباره لأن كثيراً من مطالب علوم البلاغة مبنى على الإيهام ، ولو قصر على الضرب الأول تعذر طرده فى جميع هذه المطالب .

(٧) ص ٢٢٦ - المفتاح .

(٨) يريد بها الآيات التى يفيد ظاهرها إثبات شىء لا يليق بالله تعالى ، كاستقرار واليد فى الآيتين السابقتين .

الاستخدام : ومنه الاستخدام ، وهو أن يُرادَ بلفظٍ له معنيان أحدهما ، ثم بضميره معناه الآخر . أو يُرادَ بأحد ضميريه أحدهما وبالأخر الآخر^(١) .

فالأول كقوله :

إذا نزل السماء بأرض قومٍ رعيناه وإن كانوا غضاباً^(٢)

(١) لا فرق في المعنيين بين أن يكونا حقيقيين أو مجازيين أو مختلفين ، وقد يأتي الاستخدام في لفظ له أكثر من معنيين كما في قول ابن الوردى :

وَرُبَّ غَزَالَةٍ طَلَعَتْ	بِقَلْبِي وَهُوَ مَرَعَاهَا
نَصَبَتْ لَهَا شَبَاكًا مِنْ	لُجَيْنٍ ثُمَّ صَدَنَاهَا
فَقَالَتْ لِي وَقَدْ صَرَفْنَا	إِلَى عَيْنٍ قَصَدْنَاهَا
بَذَلْتُ الْعَيْنَ فَاحْكَلَهَا	بَطَلَعْتَهَا وَمَجَرَّاهَا

ففيه استخدامان : أولهما في لفظ ذي معان وهو لفظ « غزالة » ، لأنه قال « ورب غزالة » بمعنى ورب شمس على الاستعارة ، ثم قال « وهو مرعاها الخ » فأعاد الضمير عليها بمعنى الظبية على الاستعارة أيضاً ، ثم قال « فقالت لي » فأعاد عليها الضمير مجردة عن الاستعارة . وثانيهما في لفظ ذي معنيين وهو لفظ « العين » في قوله « بذلت العين » أى اللجين ، ثم أعاد الضمير عليه بمعنى الناطرة في قوله « فاحكلها » .

وقد يكون الاستخدام بالاستثناء ، كقول البهاء زهير :

أبدأ حديثي ليس بآلٍ منسوخٍ إلا في الدفاترِ

فإنه أراد بالنسخ الأول الإزالة ، وفي الاستثناء النقل .

وقد يكون باسم الإشارة ، كما في قوله :

رأى العقيق فأجرى ذاك ناظرةً متيمِّمٌ لُجٍّ في الأشواقِ خاطرةً

فإنه أراد بالعقيق المكان ، ثم عاد اسم الإشارة عليه بمعنى الدم .

وقد يكون بالتمييز ، كما في قوله :

حكى الغزال طلعةً وكفتةً مَنْ ذَا رَأَاهُ مُقْبِلًا وَلَا افْتَتَنَ

فإن قوله « طلعة » يفيد أن المراد بالغزال الشمس ، وقوله « كفتة » يفيد أن المراد به الظبي .

(٢) هو لمعاوية بن مالك بن جعفر معود الحكماء ، أو لجرير وهو المشهور ولكنه لا يوجد في ديوانه ، والمراد منه وصفهم بالغلبة لغيزهم .

أراد بالسما الغيث ، وضميرها التبت (١) .

والثاني كقول البحترى :

فَسَقَى الْغُضَا وَالسَّكِينِيهِ وَإِنْ هُمْ شَبُوهُ بَيْنَ جَوَانِحِ وَضُلُوعِ (٢)

أراد بضمير الغضا فى قوله « والساكينيه » المكان ، وفى قوله « شبوه » الشجر (٣) .

اللف والنشر : ومنه اللف والنشر ، وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال (٤) ، ثم ما لكل واحد من غير تعيين (٥) ثقة بأن السامع يردّه إليه .

فالأول (٦) ضربان : لأن النشر إما على ترتيب اللف ، كقوله (٧) تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ (٨) وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ . وقول ابن حيوس :

فِعْلُ الْمَدَامِ وَلَوْهَا وَمَذَاقُهَا فِى مُقْلَتَيْهِ وَوَجْنَتَيْهِ وَرَيْقِهِ (٩)

(١) كل من المعنيين مجازى كما هو ظاهر .

(٢) الغضا : شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب وجمره يبقى زمناً طويلاً ، وقوله « شبوه » بمعنى أوقدوه أى أوقدوا مثل ناره وهى نار الخطب . والرواية الصحيحة « بين جوانح وقلوب » لأنه من قصيدة له مطلعها :

كَمْ بِالْكَثِيبِ مِنْ اعْتِرَاضِ كَثِيبٍ وَقَوَامِ غُصْنٍ فِى الثِّبَابِ رَطِيبٍ

(٣) أى ناره كما سبق ، فكل من المعنيين مجازى . (٤) هذا هو اللف .

(٥) هذا هو النشر ، فلو عين كان من التقسيم الآتى لا من اللف والنشر .

(٦) هو ذكر متعدد على جهة التفصيل ثم ما لكل واحد الخ ...

(٧) القصص : ٧٣

(٨) قيل : إن ضمير « فيه » عائد إلى الليل بالتعيين ، ومع هذا لا تكون الآية من اللف والنشر ، وأجيب بأنه يحتمل أن يعود إلى كل من الليل والنهار وإن كان ظاهراً فى العود إلى الليل ، وهذا الاحتمال يكفى فى عدم التعيين .

(٩) هو لأبى الفتيان محمد بن سلطان المعروف بابن حيوس . والمدام : الخمر ، وفعلها : سلب العقل ، ولونها : الحمرة المشربة بسواد ، ومذاقها : حلو عند من يعتادها ، وإلى الأول يرجع قوله « فى مقلتيه » وإلى الثانى قوله « وجنتيه » ، وإلى الثالث قوله « وريقه » . وقبل البيت :

ومقرطق يُغْنِي النديمَ بوجهه عن كأسه الملائى وعن إبريقه

وقول ابن الرومي :

أَرَأَيْتُمْ وُجُوهَكُمْ وَسُيُوفَكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَسُونَ نُجُومَ
فِيهَا مَعَالِمٌ لِلْهَدَى وَمَصَابِيحُ تَجْلُو الدُّجَى وَالْأَخْرِيَاتُ رُجُومُ (١)

وإمّا على غير ترتيبه ، كقول ابن حيوس :

كَيْفَ أَسْلَوْ وَأَنْتِ حَقِيفٌ وَغُصْنٌ وَغَزَالٌ لَحْظٌ وَقَدَّاءٌ وَرِدْقَا (٢)

وقول الفرزدق :

لَقَدْ خُنْتُ قَوْمًا لَوْ لَجَأْتُ إِلَيْهِمْ طَرِيدَ دَمٍ أَوْ حَامِلًا ثِقَلٍ مَغْرَمٍ (٣)
لَأَلْفَيْتَ فِيهِمْ مُعْطِيًا أَوْ مُطَاعِنًا وَرَاءَكَ شَزْرًا بِالشَّيْخِ الْمُقْسُومِ (٤)

والثاني (٥) كقوله (٦) تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ فإن الضمير في (قالوا) لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، والمعنى :

(١) هما لعلّى بن العباس المعروف بابن الرومي . وقوله « دجون » بمعنى أظلمن على سبيل الاستعارة ، وضمير « دجون » للحادثات ، والمعالم : جمع معلّم وهو ما يستدل به على الطريق ، وهذا يرجع إلى الآراء ، والمصابيح : جمع مصباح ، والدجى : جمع دُجبة وهى الظلمة ، وهذا يرجع إلى الوجوه ، والرجوم : الشهب ، وهذا يرجع إلى السيوف ، وقيل : إن هذا ليس من اللف والنشر لأنه قال « والأخريات » أى السيوف بالتعيين ، فيكون من التقسيم الآتى ، وقد يجاب بأن التعيين هنا فى بعضها دون بعض .

(٢) الحقف : مجتمع الرمل إذا عظم واستدار ، والردف : العجيزة وهو يرجع إلى تشبيهها بالحقف ، والقَد : يرجع إلى تشبيهها بالغصن ، واللحظ يرجع إلى تشبيهها بالغزال ، وهذا على غير ترتيب اللف . وقد سبق التعريف بابن حيوس فى هذه الصفحة السابقة .

(٣) الخطاب فى قوله « لقد خنت » لهبيرة بن ضمضم ، وهو يهجو لقتله القعقاع ابن عوف بن زرار ، وقوله « طريد دم » كناية عن كونه قاتلا ، والثقل : الحمل الثقيل ، والمغرم : مصدر ميمى ، والمراد أنه يحمل مالا فوق طاقته فى صلح أو نحوه .

(٤) قوله « لألفيت » بمعنى لوجدت ، والشزر : مصدر شَزَرَ بمعنى طعنه عن يمينه وشماله ، والشيوخ : شجر الرماح ، والمقوم : المثقف ، والشاهد فى أن « معطيا » يرجع إلى كونه حاملا ، وأن « مطاعنا » يرجع إلى كونه طريداً ، على غير ترتيب اللف .

(٥) هو ذكر متعدد على جهة الإجمال ثم ما لكل إليه الخ .

(٦) البقرة : ١١١

وقالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، والنصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى ، فُلِّفَ بين القولين ^(١) ثِقَةً بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله ، وأمناً من الإلباس ، لِمَا عَلِمَ من التعادى بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه .
الجمع : ومنه الجمع ، وهو أن يُجْمَعَ بين شيئين أو أشياء فى حكم واحد ^(٢) كقوله ^(٣) تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ .
وقول الشاعر :

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاعَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَىْ مَفْسَدَةٌ ^(٤)
ومنه قول محمد بن وهيب :

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ ^(٥)
التفريق : ومنه التفريق ، وهو إيقاع تَبَايُنٍ ^(٦) بين أمرين من نوع واحد فى المدح أو غيره ، كقوله :

مَا نَوَالَ الْغَمَامَ وَقْتَ رَبِيعٍ كَنَوَالَ الْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ
فَنَوَالَ الْأَمِيرَ بِدَرَّةٍ عَيْنٍ وَنَوَالَ الْغَمَامَ قَطْرَةً مَاءٍ ^(٧)

(١) أى بقوله « وقالوا » والأصل وقالت اليهود وقالت النصارى ، وأما النشر فبقوله « إلا من كان هوداً أو نصارى » .

(٢) لا بد أن يكون فى الجمع بينها لطافة وغرابة ، لأن مجرد الجمع فى ذلك لا حسن فيه .
(٣) الكهف : ٤٧

(٤) هو لأبى العتاهية إسماعيل بن القاسم ، والجدة : الاستغناء يقال فى المال « وجدُّ » بتثنية الواو ، و « جدة » كعدة بحذف الواو وتعويض التاء . وقوله « أى مفسدة » بمعنى كاملة الفساد ، والشاهد فى جمع الثلاثة فى كونها مفسدة أى مفسدة .

(٥) سبق هذا البيت فى الكلام على تقديم المسند فى الجزء الأول ، والشاهد فى جمع شمس الضحى وأبى إسحاق والقمر فى كونها تشرق الدنيا ببهجتها .

(٦) أى : افتراق وعدم تشابه .

(٧) هما لمحمد بن محمد بن عبد الجليل المعروف برشيد الدين الوطواط ، والنوال : العطاء ، والبدر : كيس فيه ألف دينار أو عشرة آلاف درهم ، والمراد من العين المال ، والشاهد فى التفريق بين النوالين .

ونحو قوله :

مَنْ قَاسَ جَدَّوَاكَ بِالْغَمَامِ فَمَا أَنْصَفَ فِي الْحَكَمِ بَيْنَ شَكْلَيْنِ
أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبَدًا وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامِعُ الْعَيْنِ (١)

التقسيم : ومنه التقسيم ، وهو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه علم التعيين (٢) كقول أبي تمام :

فَمَا هُوَ إِلَّا الْوَحَى أَوْ حَدُّ مُرْهَفٍ تُمِيلُ ظَبَاءُ أَخْذَعَى كُلُّ مَائِلٍ (٣)
فهذا دواءُ الداءِ مِنْ كُلِّ عَالَمٍ وهذا دواءُ الداءِ مِنْ كُلِّ جَاهِلٍ (٤)

وقول الآخر :

وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرَادُّ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ غَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ
هَذَا عَلَى الْحَسَفِ مَرْبُوطٌ بِرُمْتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْتَمِي لَهُ أَحَدٌ (٥)

وقال السكاكي (٦) : « هو أن تذكر شيئا ذا جزأين أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك ، كقوله :

(١) هما لمحمد بن أحمد المعروف بالوَأَوَاءِ الدَّمَشْقِيُّ ، والجدوى : العطية ، والشكلان ثنية شكل بمعنى مثل ، وقوله « جدت » بمعنى أعطيت ، والشاهد في التفريق بين الجدوين .

(٢) يخرج بهذا القيد اللف والنشر لوجوب عدم التعيين فيه كما سبق .

(٣) قبله : * وعادات نصر لم تزل تستعبدُها عصابةٌ حق في عصابة باطل * وضمير « هو » يعود إلى حق ، يعني أنه لا يتم أمره إلا بما ذكره ، والمرهف : السيف المرقق الحد ، والظبي : جمع ظبّة وهي حد السيف ، والأخدعان : عرقان في صفحتي العنق ، وقد روى « تقيم ظباء » وهو أصح .

(٤) اسم الإشارة الأول للوحى ، والثاني للسيف ، والحق أن هذا من اللف والنشر لعدم التعيين .

(٥) سبق هذان البيتان في الكلام على تعريف المسند إليه بالإشارة في الجزء الأول والحق أن ما هنا أيضاً من اللف والنشر لعدم التعيين ، وقيل : إن حرف التنبيه في « هذا » فيه إيماء إلى أن القرب فيه أقل فيكون للقريب ، وهو العير ، ويكون « ذا » للأقرب وهو الوتد ، ولا يخفى أن مثل هذا لا يعول عليه في التعيين .

(٦) ٢٢٥ ، ٢٢٦ - المفتاح .

أَدِيْبَانِ فِي بَلَجٍ لَا يَأْكُلَانِ
هَذَا طَوِيلُ كَظْلِ الْفَنَاءِ
إِذَا صَحَبَا الْمَرْءَ غَيْرَ الْكَبِدِ
وهذا قصيرُ كَظْلِ الْوَتْدِ (١)

وهذا يقتضى أن يكون التقسيم أعم من اللف والنشر (٢) .

الجمع مع التفريق : ومنه الجمع مع التفريق ، وهو أن يدخل شيان فى معنى واحد ويفرق بين جهتى الإدخال ، كقوله :

فَوَجْهَكَ كَالنَّارِ فِي ضَوْئِهَا . وَقَلْبِي كَالنَّارِ فِي حَرِّهَا (٣)

شبه وجه الحبيب وقلب نفسه ، وفرق بين وجهى المشابهة . ومنه قوله (٤) تعالى :
« وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً » .

الجمع مع التقسيم : ومنه الجمع مع التقسيم ، وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه ، أو تقسيمه ثم جمعه . فالأول كقول أبى الطيب :

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضٍ خَرْشَنَةٍ تَشْقَى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبَيْعُ (٥)
لِلسَّبِي مَا نَكَحُوا وَالْقَتْلُ مَا وَلَدُوا وَالنَّهْبُ مَا جَمَعُوا وَالنَّارُ مَا زَرَعُوا (٦)

(١) هما لبعض شعراء الفُرس ، والكبد : عضو معروف فى البدن ، والمراد به كبد صاحبهما فيكون كناية عن سوء عشرتهما له ، أو الكبد المأكول فيكون كناية عن خستهما ، والقناة : الرمح ، ويرد على التمثيل بهذا للتقسيم ما سبق فيما قبله .
(٢) ذكر السعد أن قول السكاكى فى التعريف « ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك » يغنى عن ذكر قيد التعيين ، وبهذا يباين التقسيم اللف والنشر عنده أيضاً . ومن التقسيم قول الشاعر :

وَرَأَوْا فَرِيقَ فِي الْإِسَارِ وَمِثْلُهُ قَتِيلٌ وَمِثْلٌ لَأَذَى بِالْبَحْرِ هَارِبُهُ

(٣) هو لمحمد بن محمد بن عبداً الجليل المعروف برشيد الدين الطوطا ، وحرارة قلبه ناشئة من شدة شوقه إلى محبوبه .
(٤) الإسراء : ١٢

(٥) يتعلق « حتى » بقوله قبله :

قَادَ الْمَقَانِبَ أَقْصَى شَرِبَهَا نَهْلُ عَلَى الشَّكِيمِ وَأَذْنَى سِيرَهَا سِرْعُ

والضمير فى « أقام » لسيف الدولة ، والأرباض : جمع رِبَضٍ وهو ما حول المدينة ، وخرشنة : بلد بالروم تسمى أماضية ، والبيع : جمع بَيْعَةٍ وهى معبد النصرارى .

(٦) إنما قال « ما نكحوا وما ولدوا » مع أن « ما » لغير العاقل إهانة لهم وملاءمة

لما بعده .

جمع فى البيت الأول شقاء الروم بالمدوح على سبيل الاجمال حيث قال « تشقى به الروم » ، ثم قسم فى الثانى وفصله .
والثانى كقول حسان :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النِّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ إِنَّ الْخَلَاقَ قَاعَلَمُ شَرُّهَا الْبِدْعُ (١)

قسم فى البيت الأول صفة الممدوحين إلى ضر الأعداء ونفع الأولياء ، ثم جمعها فى البيت الثانى حيث قال « سجية تلك » . ومن لطيف هذا الضرب قول الآخر :

لَوْ أَنَّ مَا أَنتُمْ فِيهِ يَدُومُ لَكُمْ ظَنَنْتُ مَا أَنَا فِيهِ دَائِمًا أَبَدًا
لَكِنْ رَأَيْتُ اللَّيَالَى غَيْرَ تَارِكَةٍ مَا سُرَّ مِنْ حَادِثٍ أَوْ سَاءَ مُطَرِّدَا
فَقَدْ سَكَنْتُ إِلَى أَنَّى وَأَنْتُمْ سَتَسْتَجِدُّ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ غَدًا (٢)

فقوله « خلاف الحالتين » جمع لما قسم لطيف ، وقد ازداد لطفًا بحسن ما بناه عليه من قوله « فقد سكنت إلى أنى وأنكم » .

الجمع مع التفريق والتقسيم : ومنه الجمع مع التفريق والتقسيم (٣) كقوله (٤)
تعالى : « يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ . فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا
فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا

(١) هما لحسان بن ثابت الأنصارى ، و « قوم » خبر مبتدأ محذوف تقديره هم قوم ، والمراد بهم قوم النبی ﷺ ، والأشباع : الأتباع والأنصار ، وسجية : طبيعة وغيرة خير مقدم ، وإسم الإشارة « تلك » مبتدأ مؤخر ، وغير محدثة : صفة سجية ، والخلائق : جمع خليفة وهى الخلق ، والبدع : جمع بدعة وهى الأمر المستحدث ، يعنى أن الخلائق شرها ما كان مستحدثاً فى الأبناء ، ولم يكن موروثاً عن الآباء .

(٢) هى لإبراهيم بن العباس الصولى ، ويريد بما هم فيه حسن حالهم وبما هو فيه سوء حاله ، والمطرود : المستر ، وإنما كان قوله « خلاف الحالتين » جمعاً لطيفاً لحسن اختصاره لهما .

(٣) تأتى الثلاثة فى الكلام على هذا الترتيب ، فيكون أولها الجمع وثانيها التفريق وثالثها التقسيم .

(٤) سورة هود : ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ -

شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٌ ﴿٢﴾ أَمَّا الْجَمْعُ فَفِي قَوْلِهِ ﴿يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ فَإِنَّ قَوْلَهُ (نَفْسٌ) متعددة معنًى لأن النكرة فى سياق النفى تعم ، وأما التفريق فى قَوْلِهِ ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ ، وأما التقسيم فى قَوْلِهِ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ إلى آخر الآية الثانية . وقول ابن شرف الْقَيْرَوَانِي :

لِمُخْتَلَفِي الْحَاجَاتِ جَمْعُ بَيَّاهٍ فِهَذَا لَهُ قَنٌّ وَهَذَا لَهُ قَنٌّ
فَلِلْخَامِلِ الْعَلْيَا وَلِلْمَعْدَمِ الْغَنَى وَلِلْمَذْنَبِ الْعُتْبَى وَلِلْخَائِفِ الْأَمْنُ (١)

التقسيم بمعنيين آخرين : وقد يطلق التقسيم على أمرين : أحدهما أن يُذكر أحوال الشيء مضافاً (٢) إلى كل حال ما يليق بها (٣) كقول أبي الطيب :

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَّا وَمَشَايِخِ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَّثْمُوا مُرْدُ (٤)
ثِقَالٌ إِذَا لَاقُوا خِفَافٌ إِذَا دُعُوا كَثِيرٌ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٌ إِذَا عُدُّوا (٥)
وقوله أيضاً :

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطَ بَانٍ وَقَاحَتْ عَنَبَرًا وَرَنَتْ غَزَالًا (٦)

(*) سورة هود : ١٠٥ - ١٠٨

(١) هما لمحمد بن سعيد بن أحمد بن شرف القيرواني الجذامي ، والفن : النوع والحال ، والمعدم : الفقير ، والعُتْبَى : الإرضاء . والشاهد فى أنه جمع بقوله « لمختلفى الحاجات » ثم فرق بقوله « فهذا له فن وهذا له فن » ثم قسم فى البيت الثانى .
(٢) أى منسوباً .

(٣) هذا يغاير التقسيم السابق بأنه لا يذكر فيه المتعدد أولاً بل يذكر كل واحد من المتعدد معه ما يناسبه .

(٤) القننا : واحدة قناة وهى الرمح ، وقوله « التثموا » بمعنى ليسوا لثام الحرب على عاداتهم فيها ، والمرد : جمع أمرد وهو الشاب الذى لم تثبت لحيته .

(٥) الثقال : الذين تشتد وطأتهم على الأعداء فى الحرب ، وقوله « شدوا » بمعنى حملوا على عدوهم ، والشاهد فى أنه ذكر أحوال المشايخ فى البيت الثانى مضافاً إلى كل حال ما يناسبها .

(٦) سبق هذا البيت فى الكلام على التشبيه من الجزء الثالث ، والشاهد فى أنه ذكر أحوالها مضافاً إلى كل حال ما يناسبه .

ونحوه قول لآخر :

سَفَرْنَ بُدُوراً وَانْتَقَبْنَ أَهْلَةً وَمَسَنَ غُصُوناً وَالتَفَتْنَ جَاذِرًا (١)

والثاني استيفاء أقسام الشيء بالذكر ، كقوله (٢) تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذن الله ﴾ وقوله (٣) ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا ثَاءٌ وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَا ثَاءٌ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً ﴾ .

ومنه ما حكى عن أعرابي وقف على حلقة الحسن (٤) فقال : « رحم الله من تصدق من فضل ، أو آسى من كفاف ، أو أثر من قوت » . فقال الحسن : « ما ترك لأحد عذراً » . ومن الشعر قول زهير :

وَأَعْلَمَ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمِي (٥)
وقول طريح :

إِنْ يَعْلَمُوا الْخَيْرَ يُخَفُّوهُ وَإِنْ عِلْمُوا شَرًّا أَذَاعُوا وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا كَذَّبُوا (٦)
وقول أبي تمام في الأقيسين (٧) لما أحرق :

(١) هو لأبي القاسم على بن إسحاق الزاهي ، وقيل : إنه لأبي هلال العسكري ، وقوله « سفرن » بمعنى كشفن وجوههن ، وقوله « انتقبن » بمعنى لبسن النقاب ، وإنما أشبهن الأهلة عند لبسه لظهور حواجبهن مقوسات فوق مثلها ، وقوله « مسن » بمعنى تبخترن ، والجاذر : جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية أى كعيون جاذر . والشاهد فيه كالبيت قبله .

(٢) فاطر : ٣٢ (٣) الشورى : ٤٢ (٤) يعني الحسن البصري .

(٥) سبق هذا البيت في الكلام على الحشو من الجزء الثاني ، والشاهد في استيفائه أقسام ما يتوجه إليه العلم وهي اليوم والأمس والغد ، ولا يخفى أنه لا قيمة للمحسن البديعي مع عيب الحشو .

(٦) هو لطريح بن إسماعيل الثقفي ، يريد أن أعداءه إن يعلموا خيراً منه يخفوه ، أو شراً يذيعوه ، وإن لم يعلموا منه شراً نسبوه إليه كذباً ، وقد استوفى بهذا أقسام أحوالهم معه .

(٧) كان تركياً من أكبر قواد المعتصم .

صَلَّى لَهَا حَيًّا وَكَانَ وَقُودَهَا مَيِّتًا وَيَدْخُلُهَا مَعَ الْفُجَارِ (١)

وقول نصيب :

فقال فريقُ القوم : لا ، وَفَرِيقُهُمْ نعم ، وفريق : لِيَمْنُ اللَّهُ مَا نَذَرِي (٢)
فإنه ليس في أقسام الإجابة غير ما ذكر .

وقول آخر :

فَهَبْهَا كَشَى لَمْ يَكُنْ أَوْ كَنَازِحَ بِهِ الدَّارُ أَوْ مَنْ غَيَّبَتْهُ الْمَقَابِرُ (٣)
التجريد : ومنه التجريد ، وهو أن يُنْتَزَعَ من أمرٍ ذي صفة أمرٌ آخرٌ مثله في
تلك الصفة مُبَالِغَةً فِي كَمَالِهَا فِيهِ (٤) . وهو أقسام :

(١) الضمير في « لها » للنار ، والوقود : ما توقد النار به ، والفجار : العصاة ،
وكان الأفشين متهما بعبادة النار كالمجوس . والشاهد في استيفائه أقسام أحواله معها .

(٢) هو لنصيب بن رباح ، وقوله « ليمن » حذف في ألف « أيمن » في الدرج ، وهو
مبتدأ خبره محذوف تقديره « قسعى » .

(٣) هو لعمر بن أبي ربيعة ، وقوله « هب » فعل أمر بمعنى احسب ، وقوله « لم
يكن » بمعنى لم يوجد ، والنازح : البعيد . والشاهد في أنه ليس في أقسام الغائب غير
ما ذكره .

(٤) اعترض على هذا التعريف بأنه لا يشمل ما كان من التجريد نحو « لا خيل
عندك تهديها ولا مال » لأنه لم يجرد شيئاً مثل نفسه في صفة من الصفات ، وإنما جرد
من ذاته ذاتاً أخرى من غير اعتبار صفة ، فالأحسن تعريف التجريد بأنه انتزاع أمر من
آخر مطلقاً ، والأحسن أيضاً أن يجعل نكتته العامة التفنن في الأسلوب كالاتفات
لتقاربهما ، وإن كان مبنى الالتفات على اتحاد المعنى ومبنى التجريد على التغاير بينهما
بحسب الاعتبار ، وقد يجتمعان كما في المثال الآتي « فلئن بقيت لأرحلن بغزوة » البيت ،
وقد ينفرد الالتفات كما في قوله تعالى سورة الكوثر : ١ ، ٢ « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ،
فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ » ، وقد ينفرد التجريد كما في قولك « لى من فلان صديق حميم » .

وفى التجريد فائدتان : طلب التوسع في الكلام ، وتقكين المخاطب من إجراء الأوصاف
المقصودة من مدح أو غيره على نفسه ، إذ يكون مخاطباً بها غيره ، فيكون أعذر له .

منها نحو قولهم ^(١) « لى من فلان صديق حميم » أى بلغ من الصداقة مبلغاً
صح معه أن يستخلص منه صديق آخر .

ومنها نحو قولهم ^(٢) « لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر » .
ومنها نحو قول ^(٣) الشاعر :

وَشَوْهَاءَ تَعْدُو بى إِلَى صَارِخِ الْوَعَى بِمُسْتَلْتِمٍ مِثْلِ الْفَنِيْقِ الْمُرْحَلِ ^(٤)
أى تعدو بى ومعى من نفسى لكمال استعدادها للحرب مستلتم أى لايس لأمة .
ومنها نحو قوله ^(٥) تعالى : « لَهُمْ فِيْهَا دَارُ الْخُلْدِ » فَإِنْ جَهَنَّمَ - أَعَاذَنَا اللَّهُ
منها - هى دار الخلد ، لكن انتزع منها مثلها وجعل مُعْداً فِيْهَا للكفار تهويلاً لأمرها .
ومنها نحو قول ^(٦) الحماسى :

فَلَنْ بَقِيَتْ لِأَرْحَلِنُ بَغْزَوَةٍ تَحْوِى الْغَنَائِمَ أَوْ يَمُوتَ كَرِيْمٌ ^(٧)

(١) نحوه كل ما تكون « من » فيه أداة التجريد ، وتفيد فيه معنى الابتداء ، وهذا
القسم لا يقصد منه تشبيه .

(٢) نحوه كل ما تكون باء التجريد فيه داخلة على المنتزع منه ، وتفيد فيه معنى
المصاحبة ، وهذا القسم يدل على التشبيه .

(٣) نحوه كل ما تكون الباء فيه داخلة على المنتزع ، وتفيد معنى المصاحبة ، وهذا
القسم لا يدل على التشبيه .

(٤) لا يعرف قائله . والشوهاء : الفرس القبيحة المنظر لسعة أشداقها أو لتغيرها
بالحرب ، وصارخ الوعى : المستغيث فى الحرب ، والمستلتم : لايس الأمة وهى الدرع ،
والفنيق : الفحل المكرم من الإبل بترك ركوبه ، والمرحل : المرسل غير المربوط ، والمراد
تشبيه الفرس به أو المستلتم ، والباء فى « بى » للتعدية ، وفى « بمستلتم » للمصاحبة
لأنها باء التجريد .

(٥) فصلت : ٢٨ . ونحوه كل ما يكون التجريد فيه بدخول « فى » على المنتزع
منه ، وهذا القسم لا يقصد فيه تشبيه .

(٦) نحوه كل ما يكون التجريد فيه بالقرينة لا بحرف من حروف التجريد ، وهذا
القسم لا يدل على التشبيه .

(٧) هو لقتادة بن مسلمة الحنفى ، و « أو » فى قوله « أو يموت » بمعنى « إلا »
والفعل بعدها منصوب بها ، ويجوز رفعه عطفاً على تحوى ، والتجريد فى قوله « أو يموت »
كريم « بقرينة أنه عادل بين احتوائه على الغنيمة وموت كريم ، والجارى على الألسنة أن
يقال لا بد لى من الغنيمة أو الموت ، فيفهم منه أن المراد من الكريم نفسه .

وعليه قراءة من قرأ ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ (١) بالرفع
بمعنى : فحصلت سماء وردة . وقيل تقدير الأول « أو يموت منى كريم » (٢) ،
والثانى « فكانت منه » (٣) وردة كالدهان ، وفيه نظر (٤) .
ومنها نحو قوله (٥) :

يَا خَيْرٌ مَنْ يَرْكَبُ الْمَطَى وَلَا يَشْرَبُ كَأْسًا يَكْفَى مَنْ بَخَلًا (٦)
ونحوه قول الآخر :

إِنْ تَلَقَّنِي لَا تَرَى غَيْرِي بِنَاطِرَةٍ تَنْسُ السَّلَاحَ وَتَعْرِفُ جِبْهَةَ الْأَسَدِ (٧)
ومنها مخاطبة الإنسان نفسه ، كقول الأعشى :
وَدَّعْ هُرَيْرَةً إِنْ الرِّكْبَ مُرْتَحِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعَا أُيُّهَا الرَّجُلُ (٨)
وقول أبى الطيب :

(١) الرحمن : ٣٧

(٢) فيكون التجريد فيه بحرف « من » لا من هذا القسم .

(٣) أى من الانشفاق ، فيكون التجريد فيه بحرف أيضاً .

(٤) لحصول التجريد من غير تقدير أداة فلا يكون هناك حاجة إليه .

(٥) نحوه كل ما يكون التجريد فيه بطريق الكناية .

(٦) هو لأعشى قيس ، والمطى : جمع مطية وهى المركوب من الإبل ، والشاهد فى
قوله « وَلَا يَشْرَبُ كَأْسًا يَكْفَى مَنْ بَخَلًا » فإنه كناية عن شربه بكف كريم ، والشأن أن
الشخص يشرب بكف نفسه ، ولكنه انتزع من الممدوح شخصاً كريماً يشرب الممدوح من
كفه مبالغة فى كرمه .

(٧) هو لإرطاة بن سهيلة ، وقوله « بِنَاطِرَةٍ » صفة لمحدوف أى بعين ناظرة ، وقوله :
« تَنْسُ السَّلَاحَ » بمعنى تنسى حمله دهشاً ، والشاهد فى قوله « وَتَعْرِفُ جِبْهَةَ الْأَسَدِ »
لأنه كنى بذلك عن معرفة الأسد نفسه ، فكأنه قال « وَتَعْرِفُ الْأَسَدَ » وذلك تجريد لأنه
على تقدير : وتعرفه منى .

(٨) هو لأعشى قيس ، والركب : ركبان الإبل أو الخيل ويجمع على أركب وركوب ،
وهو أيضاً جمع راكب ، والمرتحل : المسافر ، والشاهد فى مخاطبته نفسه فى قوله « وَدَّعْ
وَتُطِيقُ ، وَأَيُّهَا الرَّجُلُ » .

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ يَسْعِدِ الْحَالُ (١)
 المبالغة المقبولة : ومنه المبالغة المقبولة (٢) . والمبالغة أَنْ يُدْعَى لوصف بلوغه
 في الشدة أو الضعف حداً مستحيلاً أو مُسْتَبْعِداً لثلاثي يُظَنُّ أَنَّهُ غَيْرُ مُتَنَاهٍ فِي الشَّدَّةِ
 أو الضعف ، وتنحصر في : التبليغ ، والإغراق ، والغلو . لأنَّ المُدْعَى لِلوصف من
 الشدة أو الضعف إما أَنْ يَكُونَ مُمْكِنًا فِي نَفْسِهِ (٣) أَوْ لَا . الثَّانِي الغلو (٤) .
 والأوَّلُ إما أَنْ يَكُونَ مُمْكِنًا فِي الْعَادَةِ أَيْضاً (٥) أَوْ لَا ، الأوَّلُ التبليغ (٦) والثَّانِي
 الإغراق (٧) .

أما التبليغ فكقول امرئ القيس :

فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعَجَةٍ دِرَاكًا فَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ (٨)

(١) هو من قصيدة له يمدح بها فاتكا حين أهداه ألف دينار وهو بمصر ، ويعنى بالنطق
 نطقه بالشعر في مدحه ، وبالحال حاله من فقد الخيل والمال ، والشاهد في مخاطبته نفسه
 في قوله « عندك » .

(٢) يحتز عن المبالغة غير المقبولة ، وهذا مذهب من مذاهب ثلاثة في المبالغة .
 والثاني أنها مقبولة مطلقاً ، لأن خير الكلام ما بولغ فيه ، وأعذب الحديث أكذبه مع
 إيهام الصحة وظهور المراد ، فلا يدخل في ذلك الكذب المحض الذي قصد ترويح ظاهره
 مع فساده للاتفاق على قبحه . والثالث : أنها مردودة مطلقاً ، لأن خير الكلام ما خرج
 مخرج الحق ، كما قال الشاعر :

وَإِنْ أَشْعَرَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقَا

(٣) الممكن في نفسه هو الممكن عقلاً .

(٤) هو غير الممكن في نفسه أي غير الممكن عقلاً ، وكل ما لا يمكن عقلاً لا يمكن عادة .

(٥) أي كما هو ممكن في نفسه ، فيكون ممكناً عقلاً وعادة .

(٦) هو الممكن عقلاً وعادة . (٧) هو الممكن عقلاً لا عادة .

(٨) قوله « عادى إلخ » بمعنى والى بينهما بأن صرح الثاني إثر الأول في شوط
 واحد ، والثور : ذكر بقر الوحش ، والنعجة : أنثاه . وقوله « دراكاً » بمعنى متتابع
 تأكيداً لقوله « عدا » أو لإفادة التكثير وأن ذلك كان بين ثيران ونعاج لا اثنين فقط .
 وقوله « لم ينضح » بمعنى لم يرشح بعرق فيغسل به جسمه أو يغسل منه جسمه لما يصحبه
 من الوسخ .

وصف هذا الفرس بأنه أدرك ثوراً وبقرة وحشيين فى مضمار واحد ولم يعرق ،
وذلك غير ممتنع عقلا ولا عادة . ومثله قول أبى الطيب :

وَأَصْرَعُ أَى الْوَحْشِ قَفِيَّتُهُ بِهِ وَأَنْزَلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أُرْكَبُ (١)
وأما الإغراق فكقول الآخر :

وَتُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا وَتُتْبِعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَا لَا (٢)
فإذا ادعى أن جاره لا يميل عنه إلى جهة إلا وهو يتبعه الكرامة ، وهذا ممتنع
عادة وإن كان غير ممتنع عقلا . وهما (٣) مقبولان .

وأما الغلو فكقول أبى نُوَاس :
وَأُخِفَّتْ أَهْلُ الشَّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ لَتَخَافُكَ النَّطْفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ (٤)
والمقبول منه أصناف :

أحدها : ما أدخل عليه ما يُقَرَّبُهُ إِلَى الصَّحَةِ ، نحو لفظة « يكاد » فى قوله (٥)

(١) قوله « أَصْرَعُ » بمعنى أطرح علي الأرض ، وقوله « قَفِيَّتُهُ » بمعنى أتبعته ،
والضمير المفعول للوحش ، والضمير فى « بِهِ » للفرس ، والشاهد فى قوله « وَأَنْزَلُ عَنْهُ
مِثْلَهُ حِينَ أُرْكَبُ » يعنى أنه يكون فى مثل نشاطه حين ركبه ، وهذا ممكن عقلاً وعادة .

(٢) هو لعمرى أو عمير بن الأيهم التغلبى ، وقد حَرَفَ « الأيهم » بالأهتم من بعض
النساج ، وهو خطأ ، لأن عمرو بن الأهتم تميمى لا تغلبى ، وقوله « مال » بمعنى رحل
عنهم إلى غيرهم ، والظاهر أن الإغراق فى هذا يكون عند إرادة أنهم يرسلون ذلك إليه
فى مكان ارتحاله لا إرادة أنهم عند ارتحاله يزودونه به .

(٣) أى التبليغ والإغراق .

(٤) هو للحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس ، والنطف : جمع نطفة وهى الماء الذى
يتخلق منه الإنسان فى الرحم ، وقوله « لَمْ تُخْلَقِ » بمعنى لم يخلق منها الإنسان أو بمعنى
لم توجد فيكون أبعد فى الغلو من الأول لأن عدم خلق الإنسان منها يقتضى وجودها ،
وهذا من الغلو غير المقبول .

(٥) النور : ٣٥ ، ونحوها لفظ « لو ، ولولا ، وحرف التشبيه ، ويخيل ، وما أشبه
ذلك :

تعالى : « يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ » . وفى قول الشاعر يصف فرساً :
 وَيَكَادُ يَخْرُجُ سُرْعَةً مِنْ ظِلِّهِ لَوْ كَانَ يُرْغَبُ فِي فِرَاقِ رَفِيقِ (١)
 والثانى : ما تَضَمَّنَ نوعاً حسناً من التخيل (٢) كقول أبى الطيب :
 عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عَثِيرًا لو تَبْتَغَى عَنْقاً عَلَيْهِ لَأُمَكَّنَا (٣)
 وقد جمع القاضى الأَرَجَانِي بينهما فى قوله يصف الليل بالطول :
 يُخَيِّلُ لِي أَنْ سُمْرَ الشَّهْبِ فِي الدُّجَى وَشُدَّتْ بِأَهْدَابِي إِلَيْهِنَّ أَجْفَانِي (٤)
 والثالث : ما أَخْرَجَ مُخْرَجَ الهذل والخلاعة (٥) ، كقول الآخر :
 أَسْكُرُ بِالْأَمْسِ إِنْ عَزَمْتُ عَلَى الْمِ شَرِبَ غَدًا إِنْ ذَا مِنَ الْعَجَبِ (٦)

(١) هو لأبى محمد عبد الجبار بن أبى بكر المعروف بابن حمديس الصقلى ، جعل ظله رفيقاً له لأنه يلزمه ملازمة الرفيق . وقد أخذه من قول المعرى :
 وَلَمَّا لَمْ يَسَابِقْهُنَّ شَيْءٌ مِنَ الْحَيَوَانِ سَابِقْنَ الظَّلَالَ
 (٢) لأن حسن التخيل يقربه من الإمكان .

(٣) السنايك : جمع سنبك وهو طرف الخافر ، والعشير : الغبار ، والعنق : السير السريع ، وقد نشأ التخيل الحسن من ادعاء كثرة الغبار وجعله كالأرض فى الهواء ، ولا يخفى أن وجود « لو » فيه يجعله من الأول أيضاً . وقبله :

أَقْبَلْتُ تَبَسُّمَ وَالْجِيَادِ عَوَابِسُ يَخْبِنُ بِالْحَلْقِ الْمَضَاعَفَ وَالْقَنَا

(٤) هو لأحمد بن محمد المعروف بالقاضى الأَرَجَانِي ، وقوله « سمر النخ » بمعنى أحكمت فيها بالمسامير ، والدجى : جمع دجية وهى الظلمة ، والأهداب : جمع هذب وهو شعر أشفار العينين ، والشاهد فى اجتماع لفظ « يخيل » فيه من الأول مع ذلك التخيل الحسن الناشئ من ادعاء أن هناك مسامير وحبالا كانت سبباً فى وقوف الشهب وشد الأجفان إليها .

(٥) لأن صاحبه لا يعد موصوفاً بنقيصة الكذب كما يعد فى الجِد .

(٦) لا يعرف قائله ، وقبله :

أَمْرٌ بِالْكَرْمِ إِنْ عَبَرْتُ بِهِ تَأْخُذْنِي نَشْوَةٌ مِنَ الطَّرِبِ

واسم الإشارة « ذا » يعود إلى سكره بالأمس عند العزم على الشرب فى الغد ، وامتناعه فى العقل لما فيه من تقدم المعلول على علته ، وأل فى « الأمس » للجنس ، =

المذهب الكلامي : ومنه المذهب الكلامي (١) وهو أن يُورد المتكلم حُجَّةً لما يدَّعيه على طريق أهل الكلام (٢) كقوله (٣) تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ . وقوله ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (٤) . أى والإعادة أهون عليه من البدء ، والأهون من البدء أدخل فى الإمكان من البدء ، وهو المطلوب (٥) . وقوله (٦) تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَفْلَحَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ أى القمر آفلٌ وربى ليس بآفل ؛ فالقمر ليس برى (٧) . وقوله (٨) تعالى : ﴿ قُلْ قَلِمٌ يَعَذِّبُكُمْ يَذْنُوبِكُمْ ﴾ أى أنتم تُعَذِّبُونَ والبنون لا يُعَذِّبُونَ فلستم بينين له (٩) .

ومنه قول النابغة يعتذر إلى النعمان :

حَلَقْتُ قَلَمٌ أَتْرَكَ لِنَفْسِكَ رِبَّةً وليس وراء الله لِمَرَّةً مَطْلَبُ
لَئِنْ كُنْتُ قَدْ بُلَّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لِمُبْلَغِكَ الْوَأَشَى أَغْشَى وَأَكْذَبُ
وَلَكُنْتُ كُنْتُ امْرَأَةً لِسَى جَانِبُ مِنَ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ (١٠)

= فيشمل أفراده المقدرة فى المستقبل ، وكذلك المراد بغد ، وبهذا صح قوله « أسكر بالأمس » بالمضارع مع أمس ، وقوله « إن عزمت » بأن التى تقلب الماضى إلى المستقبل ، والمراد سكره من مروره بالكرم ، ولهذا فصله عنه .

(١) إنما كان محسناً لأنه لا يجب فى المحاورة أن تكون على طريق أهل الكلام وبعضهم يرى أنه تكلف ، والحق أنه لا تكلف فيه .
(٢) بأن تكون على صورة قياس اقترانى أو استثنائى بالفعل أو بالقوة ، ومن الأول الآية الأولى وبيت النابغة ، ومن الثانى ما عداهما من الأمثلة .

(٣) الأنبياء : ٢٢ ، وفيها قياس استثنائى حذف استثنائيته ونتيجته لظهورهما .

(٤) الروم : ٢٧

(٥) هذا قياس اقترانى من الشكل الأول حذف مقدمته الثانية والمطلوب .

(٦) الأنعام : ٧٦

(٧) هذا قياس اقترانى من الشكل الثانى حذف مقدمته الأولى اكتفاء عنها بلازم

الثانية (لا أحب الآفلين) وحذف أيضاً فيه المطلوب . (٨) المائدة : ١٨

(٩) هذا أيضاً قياس اقترانى من الشكل الثانى مثل الآية السابقة .

(١٠) المستتراد : موضع طلب الرزق مأخوذ من « رَاكَ الكَلَأُ » بمعنى طلبه . والمذهب : موضع الذهاب إلى الحاجات ، والمراد منهما فى البيت مجرد طلب الرزق والذهاب إلى الحاجات .

مَلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا مَدَحْتَهُمْ أَحَكَّمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ^(١)
كَفَعَلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَفَيْتَهُمْ قَلَمٌ تَرَهُمْ فِي مَدَحِهِمْ لَكَ أَذْتَبُوا
يقول : أنت أحسنت إلى قوم فمدحوك وأنا أحسن إلى قوم فمدحتهم ، فكما أن
مدح أولئك لك لا يعدُّ ذنباً فكذلك مدحى لمن أحسن إلى لا يعدُّ ذنباً^(٢) .
حسن التعليل : ومنه حسن التعليل ، وهو أن يُدعى لوصف علة مناسبة له
باعتبار لطيف^(٣) غير حقيقى . وهو أربعة أقسام : لأن الوصف إما ثابت قصداً
بيان علته ، أو غير ثابت أريد إثباته ، والأول إما ألا يظهر له فى العادة علة ، أو
يظهر له علة غير المذكورة ، والثانى إما ممكن ، أو غير ممكن .
● أما الأول^(٤) فكقول أبى الطيب :

لَمْ تَحْك نَائِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا حُمْتُ بِهِ فَصَبَّيْهَا الرُّحَضَاءُ^(٥)
فإن نزول المطر لا يظهر له فى العادة علة^(٦) . وكقول أبى تمام :

(١) يعنى بهم آل جفنة من الفساسة الذين قصدهم بعد غضب النعمان بن المنذر عليه
ويشير بقوله « إخوان » إلى تواضعهم . والأبيات لزياد بن معاوية المعروف بالناطقة
الذبيانى .

(٢) هذا من قياس التمثيل ، ويمكن رده إلى قياس استثنائى تقديره : لو كان مدحى
لآل جفنة ذنباً لكان مدح أولئك القوم لك ذنباً ، لكن مدح أولئك القوم لك ليس بذنب ،
فمدحى لآل جفنة ليس بذنب .

(٣) أى دقيق لا يدركه إلا من له تصرف فى دقائق المعانى ، ووجه حسنه إظهار ما
ليس بواقع متخيلاً كالصحيح الواقع ، وهذا شرط لكونه محسناً لا اعتبار موجب له .

(٤) هو حسن التعليل فى الوصف الثابت الذى لا تظهر له فى العادة علة غير المذكورة .

(٥) قوله « لم تحك » يعنى لم تشابه ، والنائل : العطاء ، والسحاب : اسم جنس
جمعى ولهذا أنه فعله ، وهو على حذف مضاف أى مطر السحاب ، وقوله « حمت »
بمعنى أصيبت بالحمى ، والصبيب : ما صب من المطر ، والرحضاء : عرق الحمى ، والبيت
من قصيدة فى مدح هارون بن عبد العزيز مطلعها :

أَمِنْ أَزْدِيَارِكَ فِى الدَّجَى الرُّقْبَاءُ إِذْ حَيْثُ أَنْتَ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ

(٦) قيد بالعادة لأن له فى الحقيقة علة ولكن الناس لا ينظرون عادة إليها ، وقد جعل
أبو الطيب علة نزول المطر من الصحاب ما حصل له من الحمى بسبب عدم محاكاته لعطاء
الممدوح ، وهى علة ناشئة عن لطف فى النظر وليست علة حقيقية .

لا تُنْكِرِي عَطَلَ الكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى فَالَسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِيِ (١)
 عَكَلَ عَدَمَ إصَابَةِ الْغِنَى الْكَرِيمَ بِالْقِيَاسِ عَلَى عَدَمِ إصَابَةِ السَّيْلِ الْمَكَانَ الْعَالِيِ
 كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ، مِنْ جِهَةِ أَنَّ الْكَرِيمَ لَا تَصَافُهُ بَعْلُو الْقَدْرِ كَالْمَكَانِ الْعَالِيِ ، وَالْغِنَى
 لِحَاجَةِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ كَالسَّيْلِ . وَمِنْ لَطِيفِ هَذَا الضَّرْبِ قَوْلُ أَبِي هَلَالٍ الْعَسْكَرِيِّ :
 زَعَمَ الْبَنْفَسِجُ أَنَّهُ كَعِذَارِهِ حُسْنًا فَسَلُّوا مِنْ قَفَاهُ لِسَانَهُ (٢)
 وَقَوْلُ ابْنِ نَبَاتَةَ فِي صِفَةِ فَرَسٍ :
 وَأَدْهَمَ يَسْتَمِدُّ اللَّيْلَ مِنْهُ وَتَطْلُعُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثُّرَيَّا
 سَرَى خَلْفَ الصَّبَاحِ يَطِيرُ مَشْبِيًّا وَيَطْوِي خَلْفَهُ الْأَفْلَاقَ طَيًّا
 فَلَمَّا خَافَ وَشَكَ الْقَوْتَ مِنْهُ تَشَبَّثَ بِالْقَوَائِمِ وَالْمَحْيَا (٣)
 • وَأَمَّا الثَّانِي (٤) فَكَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :

(١) العطل : مصدر « عَطَلَ الرَّجُلُ مِنَ الْمَالِ وَنَحْوَهُ » خَلَا مِنْهُ ، وَقَوْلُهُ « حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِيِ » بِمَعْنَى أَنَّهُ عَدُوٌّ لَهُ لَا يَجَامِعُهُ .
 (٢) هُوَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَمِيدٍ اللَّيْلُ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي هَلَالٍ الْعَسْكَرِيِّ ، وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ « كَعِذَارِهِ » يَعُودُ إِلَى مَغْنَجٍ فِي قَوْلِهِ قَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ :
 وَمَغْنَجٌ قَالَ الْكِمَالُ لَخَلْقِهِ كُنْ مَجْمَعًا لِلطَّيِّبَاتِ فَكَائِنُهُ
 وَالْبَنْفَسِجُ : نَبَاتٌ بَسْتَانِي وَرَقُهُ دُونَ السَّفَرَجَلِ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ وَلَهُ هَنَةٌ تَحْتَ وَرَقِهِ جَعَلَهَا
 الشَّاعِرُ كَلْسَانَ لَهُ سَلٌّ مِنْ قَفَاهُ ، وَالْعِذَارُ : أَوَّلُ مَا يَبْدُو عَلَى الْخَدِّ مِنَ الشَّعْرِ ، وَالشَّاهِدُ
 فِي أَنَّ خُرُوجَ هَنَةِ وَرَقَةِ الْبَنْفَسِجِ إِلَى الْخَلْفِ بِمَا لَا تَظْهَرُ عِلَّتُهُ ، لَكِنَّهُ جَعَلَهَا افْتِرَاءً عَلَى
 مَحْبُوبِهِ أَنَّهُ كَعِذَارِهِ .
 (٣) هِيَ لِأَبِي نَصْرٍ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَمْرِو الْمَعْرُوفِ بِابْنِ نَبَاتَةَ السَّعْدِيِّ . وَالْأَدْهَمُ : الْفَرَسُ
 الْأَسْوَدُ ، وَالثُّرَيَّا : سَبْعَةُ كَوَاكِبَ فِي عُنُقِ الثَّوْرِ ، اسْتَعَارَهَا لَغَرَّتْهُ أَوْ لَمَّا يَكُونُ فَوْقَ الرَّأْسِ
 مِنَ الْخَلِيَةِ ، وَقَوْلُهُ « سَرَى » بِمَعْنَى مَشَى لَيْلًا ، وَالضَّمِيرُ لِلْأَدْهَمِ . وَقَوْلُهُ « يَطْوِي »
 بِمَعْنَى يَقْطَعُ ، وَالْأَفْلَاقُ : جَمْعُ فَلَكٍ وَهُوَ مَدَارُ النُّجُومِ ، وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ « خَافَ »
 لِلصَّبَاحِ ، وَالْوَشْكُ : السَّرْعَةُ وَالْقَرَبُ ، وَالْقَوَائِمُ : جَمْعُ قَائِمَةٍ وَهِيَ الرَّجُلُ أَوْ الْيَدُ ،
 وَالْمَحْيَا : الْوَجْهَ ، يَعْنِي أَنَّهُ تَعَلَّقَ بِذَلِكَ فَأَصَابَهُ أَثَرُ بَيَاضِهِ ، وَهَذِهِ عِلَّةٌ غَيْرُ حَقِيقِيَّةٍ لَهُ .
 (٤) هُوَ حَسَنُ التَّعْلِيلِ فِي الرَّصْفِ الثَّابِتِ الَّذِي تَظْهَرُ لَهُ فِي الْعَادَةِ عِلَّةٌ غَيْرُ الْمَذْكُورَةِ .

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الذَّنَابُ (١)

فإن قتل الملوك أعداءهم في العادة لإرادة هلاكهم ، وأن يدفعوا مضارهم عن أنفسهم ، حتى يصفو لهم ملكهم من منازعتهم ، لا لِمَا ادَّعَاهُ من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ، ومحبه أن يصدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعدائه ، لِمَا علم أنه لِمَا غدا للحرب غدت الذناب تتوقع أن يتسع عليها الرزق من قتلاهم ، وهذا مبالغة في وصفه بالجلود ، ويتضمن المبالغة في وصفه بالشجاعة على وجه تخييلي (٢) ، أى تناهى في الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات العُجُم ، فإذا غدا للحرب رجعت الذناب أن تنال من لحوم أعدائه ، وفيه نوع آخر من المدح وهو أنه ليس ممن يسرف في القتل طاعةً للغبيظ والحنق - وكقول أبي طالب المأموني في بعض الوزراء بُيُخَارَى :

مُغْرَمٌ بِالنَّاءِ صَبٌّ بِكَسْبِ الْمَجْدِ يَهْتَزُّ لِلْسَّمَاكِ ارْتِيَا حَا
لَا يَذُوقُ الْإِغْفَاءَ إِلَّا رَجَاءً أَنْ يَرَى طَيْفَ مُسْتَمِيعٍ رَوَّاحًا (٣)

وكان تقييده بالرواح ليشير إلى أن العفاة إنما يحضره في صدر النهار على عادة الملوك ، فإذا كان الرواح قلوا ، فهو يشق إليهم فينام ليأنس برؤية طيفهم . وأصله من نحو قول الآخر :

وَإِنِّي لَأُسْتَعْشَى وَمَا بِي نَعْسَةٌ لَعَلَّ خِيَالاً مِنْكَ يَلْقَى خِيَالِيَا (٤)

(١) هو من قصيدة له في مدح بدر بن عمار ، وقوله « ما به قتل أعاديه » بمعنى أنه لا يقتل أعداءه خوفاً من أذاهم لعجزهم عنه ، فالباء في « به » للسببية ، والإخلاف : عدم الوفاء .

(٢) ففيه مثال للاستتباع الآتى .

(٣) هما لعبد السلام بن الحسين المأموني ، ينتهى نسبه إلى المأمون بن هارون الرشيد و « المغرم » اسم مفعول من « أَغْرِمَ بِالشَّيْءِ » بمعنى أولع به ، والصب : ذو الولع الشديد ، والسماح : الجود ، والإغفاء : النوم الخفيف ، والمستميع : طالب العطاء ، والرواح : العشى ، والشاهد في تعليله الإغفاء بما علله به مع أن له علة حقيقية غيرها .

(٤) هو لقيس بن الملوح المعروف بالجنون ، وقوله « أستعشى » بمعنى أطلب النعاس ، وقوله « وما بى نعسة » بمعنى : وما بى إرادتها .

وهذا غير بعيد أن يكون أيضا من هذا الضرب ، إلا إنه لا يبلغ فى الغرابة والبعد عن العادة ذلك المبلغ ، فإنه قد يُتَصَوَّرُ أن يريد المُعْرَمُ المَتِّيمُ إذا بعد عهده بحبيبه أن يراه فى المنام ، فيريد النوم لذلك خاصة .

ومن لطيف هذا الضرب قول ابن المعتز :

قالوا : اشتكت عينه ، فقلت لهم : من كثرة القتل نالها الوصبُ
حُمِرَتْهَا مِنْ دِمَاءٍ مَنْ قَتَلْتُ وَالِدُهَا فِي النَّصْلِ شَاهِدٌ عَجَبٌ (١)
وقول الآخر :

أَتَتْنِي تَوْبُنِي بالبكاء
تَقُولُ وَفِي قَوْلِهَا حَشْمَةٌ : أَتَبْكِي بَعِينَ تَرَأْسِي بِهَا
فَقُلْتُ : إِذَا اسْتَحْسَنْتُ غَيْرَكُمْ أَمَرْتُ الدَّمْعَ بِتَأْدِيبِهَا (٢)

وذلك أن العادة فى دمع العين أن يكون السبب فيه إغراض الحبيب أو اعتراض الرقيب ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتئاب ، لا ما جعله من التأديب على الإساءة باستحسان غير الحبيب .

● وأما الثالث (٣) فكقول مسلم بن الوليد :

يَا وَاشِيًا حَسَنْتُ فِينَا إِسَاءَتُهُ نَجَى حِذَارُكَ إِنْسَانِي مِنَ الْغَرَقِ (٤)
فإن استحسان إساءة الواشى ممكن ، لكن لما خالف الناس فيه عقبة بذكر سببه ، وهو أن حذاره من الواشى منعه من البكاء ، فسلم إنسان عينيه من الغرق فى الدموع ، وما حصل ذلك فهو حسن .

(١) هما لعبد الله ابن المعتز ، وقوله « اشتكت » بمعنى مرضت ، والمراد بالقتل قتل منحيها ، والوصب : المرض ، والنصل يطلق على السيف وقد استعير للعين لقتلها مثله ، والشاهد فى أن العلة الحقيقية لحمرة العين الرمد لا دماء من قتلته من العشاق .

(٢) هى لأحمد بن محمد المعروف بابن ثوبة ، وقوله « توبنى » بمعنى تلومنى وتعنفنى ، والحشمة : الغضب أو الاستحياء ، والأول أظهر هنا .

(٣) هو حسن التعليل فى الوصف غير الثابت الذى أريد إثباته وهو ممكن .

(٤) الواشى : الساعى بالفساد ، والحذار : مصدر « حاذَرَ » مضاف إلى مفعوله ، وقوله « إنسانى » يعنى به إنسان عينه وهو ما يرى فى سوادها أو هو سوادها .

● وأما الرابع (١) فكمعنى بيت فارسي ترجمته :

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الْجُوزَاءِ خِدْمَتَهُ لَمَّا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدَ مُنْتَطِقٍ (٢)
فإن نية الجوزاء خدمته ممتنعة (٣) .

ما يلحق بحسن التعليل : وما يُلْحَق بالتعليل وليس به لبناء الأمر فيه على الشك (٤) نحو قول أبي تمام :

رَبِّي شَفَعْتُ رِيحُ الصَّبَا لِرِياضِهَا إِلَى الْمَزْنِ حَتَّى جَادَهَا وَهُوَ هَامِعٌ (٥)
كَأَنَّ السَّحَابَ الْغُرَّ غَيَّنَ تَحْتَهَا حَبِيبًا فَمَا تَرَقَّا لَهْنٌ مَدَامِعٌ (٦)
وقول أبي الطيب :

رَحَلَ الْعَزَاءُ بِرِحْلَتِي فَكَأَنَّنِي أُتْبِعْتُهُ الْأَنْفَاسَ لِلتَّشْيِيعِ (٧)

(١) هو حسن التعليل في الوصف غير الثابت الذي أريد إثباته وهو غير ممكن .

(٢) هو لعبد القاهر الجرجاني ترجم به أصله الفارسي . والجوزاء : برج فلکی حوله نجوم تسمى نطاق الجوزاء ، والمنطق : ذو النطاق وهو ما يُشد في الوسط وقد يكون مرصعاً بالجواهر كالعقد .

(٣) لكنه ادعى ثبوتها بتلك العلة ، وعلى هذا لا تكون « لو » في البيت لامتناع الجواب لامتناع الشرط ، بل للاستدلال بانتفاء الجزاء على انتفاء الشرط ، لأن حملها على الأول يجعل نية خدمته علة لانتطاق الجوزاء ، فيكون من الضرب الأول لا من هذا الضرب .

(٤) أما حسن التعليل ففيه ادعاء وإصرار .

(٥) الربى : جمع روبة وهي التل المرتفع من الأرض ، والصبا : ريح من الشرق ، والمزن : واحده مزنة وهي السحاب الأبيض ، وقوله « جادها » بمعنى أمطرها ، والهامع : السائل بكثرة .

(٦) الغر : جمع غراء وهي السحاب الماطرة الغزيرة الماء ، والضمير في « تحتها » للرعى ، وقوله « ترقا » مخفف ترقا بمعنى تسكن ، والشاهد في تعليل إمطار السحاب بما ذكره مبنياً على الشك المستفاد من « كأن » لأنها هنا للشك .

(٧) العزاء : الصبر ، والتشييع : التوديع . وقبله :

ما زلتُ أحذر من وداعك جاهاً حتى اغتدى أسفى على التوديع

علة تصعيد الأنفاس فى العادة هى التحسر والتأسف لا ما جَوَزُ أن يكون إياه ، والمعنى : رحل عنى العزاء بارتحالى عنك ، أى معه بسببه (١) ، فكأنه لما كان الصدر محل الصبر وكانت الأنفاس تتصعد منه أيضا صار العزاء والنفس الصعداء كأنهما نزيلان ، فلما رحل ذلك كان حقاً على هذا أن يشيعه قضاء لحق الصحبة .
التفريع : ومنه التفريع ، هو أن يُثَبَّتَ لِمَتَعَلَّقٍ أمر حكم بعد إثباته لِمَتَعَلَّقٍ له آخر (٢) كقول الكُمَيْتِ :

أَحْلَامُكُمْ لِسَقَامِ الْجَهْلِ شَافِيَةٌ كَمَا دِمَاؤُكُمْ تَشْفِي مِنَ الْكَلْبِ (٣)
فَرَّعَ مِنْ وَصْفِهِمْ بِشَفَاءِ أَحْلَامِهِمْ لِسَقَامِ الْجَهْلِ وَصَفَهُمْ بِشَفَاءِ دِمَائِهِمْ مِنَ دَاءِ الْكَلْبِ .

تأكيد المدح بما يشبه الذم : منه تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وهو ضربان :
● أفضلهما أن يُسْتَثْنَى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها ، كقول النابغة الذبياني :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوقَهُمْ بِهِنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَائِبِ (٤)
أى إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قبيل العيب ، فأثبت شيئا من العيب على تقدير أن فلول السيف منه ، وذلك محال ، فهو فى المعنى تعليق بالمحال ، كقوله « حَتَّى يَبْيُضَ الْقَارُ » فالتأكيد فيه (١) من وجهين : أحدهما أنا

(١) فالباء فى قوله « برحلتى » للمصاحبة أو للسببية .

(٢) المراد بالتعلق النسبة والارتباط ، ولا بد أن يكون ذلك على وجه يشعر بالتفريع ، ليخرج نحو : غلام زيد راكب وأبوه راكب .

(٣) للكُمَيْتِ بن زيد الأسدى من قصيدة له فى مدح بنى هاشم . والأحلام : العقول ، والكلب : شبه جنون يحدث للشخص من عض الكلب المصاب به ، ولم يكن له دواء فى زعمهم أشفى من شرب دماء الملوك ، فهو كناية عن أنهم ملوك كما أنهم علماء .

(٤) هو لزياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبياني . والفلول : جمع فُلْ وهى الثلثة فى حد السيف ، والقراع : المضاربة ، والكتائب : جمع كتيبة وهى القطعة من الجيش .
(٥) أى فى هذا الضرب مطلقاً .

كدعوى الشيء ببيينة (١) ، والثانى أن الأصل فى الاستثناء أن يكون متصلاً (٢) ، فإذا نطق المتكلم بإلا أو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتى بعدها مخرج مما قبلها ، فيكون شيء من صفة الذم ثابتاً ، وهذا ذم ، فإذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح ، لكونه مدحاً على مدح ، وإن كان فيه نوع من الخلابة (٣) .

● والثانى (٤) أن يثبت لشيء صفة مدح ويُعقَّبَ بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له ، كقوله ﷺ : « أنا أفصح العرب بَيِّنَةٌ أنى من قرش » .
وأصل الاستثناء فى هذا الضرب أيضاً أن يكون منقطعاً ، لكنه باق على حاله لم يُقدَّر متصلاً (٥) فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثانى من الوجهين المذكورين (٦) ولهذا قلنا : الأول أفضل . ومنه قول النابغة الجعدي :

فتى كملت أخلاقه غير أنه جوادٌ فما يُبقى من المال باقياً (٧)
وأما قوله (٨) تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ، إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ فيحتمل الوجهين (٩) . وأما قوله (١٠) تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾ فيحتملها (١١) ، ويحتمل وجهاً ثالثاً وهو أن يكون الاستثناء من

(١) لأنه علق نقيض الدعوى وهو إثبات شيء من العيب بالمحال ، والمعلق بالمحال محال ، فيكون عدم العيب محققاً .
(٢) يعنى أن أصل الاستثناء مطلقاً ذلك ، لا فى هذا الباب ، لأنه فيه منقطع فى كل من ضربه .
(٣) أى خداع الكلام .
(٤) أى الضرب الثانى من تأكيد المدح بما يشبه الذم .
(٥) أى كما قدر فى الضرب الأول ، لأن الاستثناء فيه منقطع ولكنه يقدر متصلاً ، وإنما لم يقدر هنا متصلاً لأنه ليس فيه صفة ذم عامة منفية يمكن تقدير صفة المدح فيها .
(٦) بخلاف الوجه الأول لأنه مبنى على التعليق بالمحال المبنى على تقدير الاستثناء متصلاً .

(٧) نسب فى « الصناعتين » لجندل بن جابر الفزارى ، ونسب فى « الحساسة » لحسان بن قيس المعروف بالنابغة الجعدي ، وروى فيه : « كملت خبراته » .
(٨) الواقعة : ٢٥ ، ٢٦ (٩) لأنه من الضرب الأول لا الثانى .
(١٠) مريم : ٦٢ (١١) لأنه من الضرب الأول أيضاً

أصله متصلاً (١) لأن معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ، وأهل الجنة عن الدعاء بالسلامة أغنياء ، فكان ظاهره من قبيل اللغو وفضول الكلام ، لولا ما فيه من فائدة الإكرام .

● ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم ضربٌ ثالث ، وهو أن يأتي الاستثناء فيه مفرغاً (٢) كقوله (٣) تعالى : ﴿ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ﴾ أى وما تعيب منا إلا أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان بآيات الله ، ونحوه قوله (٤) ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ فإن الاستفهام فيه للإنكار .

واعلم أن الاستدراك فى هذا الباب يجرى مجرى الاستثناء ، كما فى قول أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى :

هو البدر إلا أنه البحر زاخراً سوى أنه الضرغام لكنه الويل (٥)

تأكيد الذم بما يشبه المدح : ومنه تأكيد الذم بما يشبه المدح ، وهو ضربان :

(١) إنما لم تحتمل الآية السابقة هذا الوجه لأنه زيد على المستثنى منه فيها قوله ﴿ ولا تأثيما ﴾ فلا يمكن أن يدخل فيه ﴿ إلا قليلاً سلاماً سلاماً ﴾ وعلى هذا الوجه لا تكون الآية الثانية من تأكيد المدح بما يشبه الذم ، لأن الاستثناء فيه يجب أن يكون منقطعاً ، وقيل : إن هذا الوجه غير محتمل فيها لا ظاهراً ولا حقيقة ، لأن السلام فى الجنة إذا كان لفائدة الإكرام لا يكون لغوا .

(٢) بأن يؤتى بمستثنى فيه معنى المدح معمول لفعل فيه معنى الذم ، فيتفرغ للعمل فيه ويكون الاستثناء مفرغاً ، ولا يرجع هذا إلى الضرب الأول لأن الاستثناء هنا متصل لا منقطع .

(٤) المائدة : ٥٩

(٣) الأعراف : ١٢٦

(٥) هو لأبى الفضل أحمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان الهمذانى يمدح خلف بن أحمد . والزاهر : المرتفع من تلاطم الأمواج ، والضرغام : الأسد ، والويل : المطر الشديد . ووجه الشبه فى الأول : الرفعة ، وفى الثانى : الكرم ، وفى الثالث : الشجاعة ، وفى الرابع : الكرم أيضاً لكنه أتم من الأول . والشاهد فى قوله « لكنه الويل » .

- أحدهما أن يَسْتَتْنِي من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها ، كقولك : فلان لا خَيْرَ فيه إلا أنه يسيء إلى مَنْ يحسن إليه ^(١) .
 - وثانيهما أن يُثَبَّتَ للشيء صفة ذم ويُعَقَّبَ بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له كقولك : فلان فاسق إلا أنه جاهل ^(٢) .
- وتحقيق القول فيهما على قياس ما تقدم ^(٣) .

الاستتباع : ومنه الاستتباع ، وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر ^(٤) كقول أبي الطيب :

نَهَبَتْ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ لَهْنَّتِ الدُّنْيَا بِأَنْكَ خَالِدُ ^(٥)

فإنه مدحه ببلوغه النهاية في الشجاعة إذ كثر قتلاه بحيث لو ورث أعمارهم لَحُلِدَ في الدنيا على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا ونظامها ، حيث جعل الدنيا مُهْنَاءَ بخلوده ، قال على بن عيسى الربعي : وفيه وجهان آخران من المدح : أحدهما أنه نهب الأعمار دون الأموال ^(٦) ، الثاني أنه لم يكن ظالما في قتل أحد من مقتوليه ، لأنه لم يقصد بذلك إلا صلاح الدنيا وأهلها ؛ فهم مسرورون ببقائه .

(١) من ذلك قول الشاعر :

فَإِنْ مَنْ لَمْ يَنْحَرْ خَيْرٌ فِيهِ سِوَى وَصَفَى لَهُ بِأَخْسُ النَّاسِ كُلِّهِمْ

(٢) من ذلك قول الشاعر :

يَا حَبِيبَ الْإِلَهِ جُدْ لِي بِقُرْبٍ مِنْكَ يَا صَفْوَةَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ
يَا رَسُولَ أَعْدَائِهِ أَرَاذِلَ النَّاسِ جَمِيعاً لَكِنَّهُمْ فِي الْجَحِيمِ

(٣) في تأكيد المدح بما يشبه الذم .

(٤) على هذا يكون أخص من الإدماج الآتي . وقيل : هو الوصف بشيء على وجه يستتبع وصفاً آخر ، فلا يختص بالمدح ويكون مساوياً للإدماج ، وإذا كان هذا شأنه مع الإدماج فلا بد أن يُشْتَرَطَ فيه شرطاه الآتيان أيضاً ، سواء كان أخص منه أم كان مساوياً له . (٥) هو من قصيدة في مدح سيف الدولة .

(٦) لتخصيصه الأعمار بالذكر دون الأموال مع أن النهب بها أليق ، والبلغاء يعتبرون مفهوم اللقب في مثل هذا من المحاورات والخطابات .

الإدماج : ومنه الإدماج ، وهو أن يُضْمَنَ كلامٌ سَبَقَ لمعنى معنى آخر (١) ، فهو أعم من الاستتباع (٢) .

ومثاله قول أبى الطيب :

أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي أَعْدُ بِهَا عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا (٣)

فإنه ضَمَّنَ وصفَ الليل بالطول الشكايةَ من الدهر .

وقول ابن المعتز في الخيري :

قَدْ نَفَضَ الْعَاشِقُونَ مَا صَنَعَ الْبَـ هَجَرٌ بِأَلْوَانِهِمْ عَلَى وَرْقِهِ (٤)

فإن الغرض وصف الخيري بالصفرة فأدمج الغزل في الوصف ، وفيه وجه آخر من الحسن وهو إيهام الجمع بين متنافيين : أعنى الإيجاز والإطناب ، أما الإيجاز فمن جهة الإدماج ، وأما الإطناب فلأن أصل المعنى أنه أصفر فاللفظ زائد عليه لفائدة (٥) .

ومنه قول ابن نباتة :

وَلَا بُدَّ لِي مِنْ جَهْلَةٍ فِي وَصَالِهِ فَمَنْ لِي بِخَلِّ أَوْدِغِ الْحَلَمِ عِنْدَهُ (٦)

(١) المراد به ما يشمل المعنى الواحد والاثنتين والأكثر من ذلك ، ويقال لهذا المعنى مُضْمَنٌ ، ويشترط فيه شرطان : ألا يكون مصرحاً به ، وألا يكون في الكلام ما يُشعر بأنه مسوق لأجله ، وسيأتى محترز هذا في بعض الشواهد الآتية .

(٢) لأنه يشمل المذح وغيره ، وقيل : إن الاستتباع مساو له كما سبق .

(٣) الضمير في « فيه » يعود على الليل في قوله قبله :

أَعَزَّمِي طَالَ هَذَا اللَّيْلُ فَأَنْظُرْ أَمْنَكَ الصَّبْحَ يَفْرُقُ أَنْ يُوُوبَا

وقوله « أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي » كناية عن طولِهِ ، وقوله « كَأَنِّي أَعْدُ بِهَا عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا » كناية عن الشكاية منه ، وبهذا تكون هذه الشكاية غير مصرح بها في البيت ، كما أنه ليس مسوقاً لأجلها .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، وقوله « نَفَضَ » بمعنى أسقط ، ويعنى بمصنع الهجر بألوانهم صفرتها ، والضمير في « ورقه » للخيري وهو ورد أصفر ، وقيل : إن البيت لعلی بن محمد التغلبي . (٥) هي الإدماج .

(٦) هو لأبى نصر عبد العزيز بن عمر المعروف بابن نباتة السعدي ، والخل : الصديق والخلع : الصبر والأناة ضد الطيش والجهل والسفه .

فإنه ضمن الغزل الفخر بكونه حليماً المكنى عنه بالاستفهام عن وجود خل صالح لأن يودعه حلمه ، وضمن الفخر بذلك بإخراج الاستفهام مخرج الإنكار شكوى الزمان لتغير الإخوان حتى لم يبق فيهم من يصلح لهذا الشأن ، وثبته بذلك على أنه لم يعزم على مفارقة حلمه جملةً أبداً ، ولكن إذا كان مريداً لوصل هذا المحبوب المستلزم للجهل المنافى للحلم عزم على أنه إن وجد من يصلح لأن يودعه حلمه أودعه إياه ، فإن الودائع تستعاد .

قيل : ومنه قول الآخر يهنئ بعض الوزراء لما استوزر :

أَبَى دَهْرُنَا إِسْعَافُنَا فِي نَفُوسِنَا وَأَسْعَقُنَا فِيمَنْ نَحِبُّ وَتُكْرِمُ
فَقُلْتُ لَهُ : تُعْبَاكَ فِيهِمْ أَتِمَّهَا وَدَعْ أَمْرُنَا إِنَّ الْمُهْمَّ الْمُقَدَّمُ (١)

فإنه أدمج شكوى الزمان وما هو عليه من اختلال الأحوال في التهنته ، وفيه نظر ، لأن شكوى الزمان مُصْرَحٌ بها في صدره فكيف تكون مُدْمَجَةً ، ولو عكس فجعل التهنته مدمجة في الشكوى أصاب (٢) .

التوجيه : ومنه التوجيه ، وهو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين (٣) كقول من قال لأعور يسمي عمرا :

خَاطَ لِي عَمْرُو قَبَاءٌ لَيْتَ عَيْنِيهِ سَوَاءٌ (٤)

(١) هما لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وكان قد اختل حاله ، فكتب بهما إلى عبيد الله ابن سليمان بن وهب لما استوزره المعتضد ، ففطن لمراذه ووصله واستعمله ، وقيل : إن هذا كان مع أبيه سليمان بن وهب ، والإسعاد : المساعدة ، وقوله « دَع » بمعنى أترك .

(٢) لا ينافي هذا أن التهنته هي المقصودة بالذات ، لأن القصد الذاتي لا ينافي إفادة المقصود بطريق الإدماج بأن يؤتى به بعد التصريح بغيره ، وفي البيتين أيضاً إدماج المدح في الشكوى لأنه جعله مستحقاً لالتفات الدهر له وتقديمه على غيره .

(٣) أي متضادين كالمدح والذم ، فلا يكون منه ما يحتمل غير ذلك كاحتمال العين للجارية والجاسوس لجواز اجتماعهما ، كقولك « رأيت عينا » ، ولا بد فيه أيضاً من احتمال المعنيين على السواء ، لأنه إذا كان أحدهما متبادراً يكون تورية لا توجيهاً .

(٤) هو لبشار بن برد من مجزوء الرمل ، وكان قد دفع إلى ذلك الرجل ثوباً ليخيطه له فقال : لأخيطنه بحيث لا يعلم أقباء هو أم غيره ؟ فقال بشار : لئن فعلت ذلك لأقولن فيك شعراً لا يدرى أهجاء أم غيره ؟ ولهذا قال بعد ذلك البيت :

وعليه قوله ^(١) « وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا » قال الزمخشري : غير مسمع حال من المخاطب ، أى اسمع وأنت غير مسمع ، وهو قول ذو وجهين :

يحتمل الظم ، أى اسمع منا مدعوً عليك بلا سمعت ، لأنه لو أجيببت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مُسْمَعٍ ، قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم « لاسمعت » دعوة مستجابة ، أو اسمع غير مجاب ما تدعو إليه ، ومعناه غير مُسْمَعٍ جواباً يوافقك فكأنك لم تسمع شيئاً ، أو اسمع غير مُسْمَعٍ كلاماً ترضاه ، فسمعك عنه ناب ، ويجوز على هذا ^(٢) أن يكون « غير مسمع » مفعول « اسمع » أى اسمع كلاماً غير مسمع إياك لأن أذنك لا تعيه نُبوً عنه .

ويحتمل المدح ، أى اسمع غير مسمع مكروها ، من قولك « أَسْمَعُ فلان فلانا » إذا سبّه .

وكذلك قوله « رَاعِنَا » يحتمل راعنا نكلمك أى ارقبنا وانتظرنا ، ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يَتَسَابَّهون بها وهى « راعينا » ^(٣) فكانوا سخريه بالدين وهزواً برسول الله ﷺ يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون به التوقير والاحترام ^(٤) .

ثم قال : فإن قلت : كيف جاؤا بالقول المحتمل ذى الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا

= قَسَّالَ النَّاسِ جَمِيعاً أَمْدِيحُ أَمْ هِجَاءٌ ؟ .

والقباء ثوب يلبس فوق الثياب ، والشاهد فى أنه يحتمل أن يكون دعاء بصحة العواء فيكون مدحا ، أو بتعوير الصحيحة فيكون هجاء .

ومن التوجيه قول محمد بن حازم فى زواج المأمون ببوران :

بارك الله للحسن ولبوران فى الختن

يا ابن هارون قد ظفر ت ولكن بينت من

فقال المأمون : والله ماندرى خيراً أراد أم شراً ؟

(١) النساء : ٤٦ (٢) أى على التأويل الأخير .

(٣) الحق أنها عربية وهى فعل أمر من المراعاة ، وهى تقتضى المشاركة ، أى ارعنا

نرعى ، وهذا فيه سوء أدب .

(٤) لأنهم كانوا يلون بها لسانهم حتى تشبه فى الظاهر « راعنا » العربية .

سمعنا وعصينا ؟ قلتُ : جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسبِّ ودعاء السوء ، ويجوز أن يقولوه فيما بينهم ، ويجوز ألا ينطقوا بذلك. ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كأنهم نطقوا به .
قال السكاكي (١) : ومنه متشابهات القرآن باعتبار (٢) .

الهَزْلُ الذي يراد به الجِدُّ : ومنه الهزل الذي يراد به الجِدُّ ، فترجمته تغنى عن تفسيره (٣) ومثاله قول الشاعر :

إذا ما تَمِيْمِي أَتَاكَ مُفَاخِرًا فَقُلْ عَدَّ عَنْ ذَا كَيْفِ أَكُلُّكَ لِلضُّبِّ (٤)

ومنه قول امرئ القيس :

وقد علمتُ سَلَمَى وَإِنْ كَانَ بَعْلُهَا بَأْنَ الْفَتَى يَهْدِي وَلَيْسَ بِفَعَّالٍ (٥)

(١) ٢٢٦ - المفتاح .

(٢) لعله بذلك تجويز حملها على ظاهرها على وجه لائق بالله تعالى ، وتأويلها بحملها على ما سبق في التورية ، فتكون محتملة للوجهين على السواء ، ولا تكون من التورية كما سبق بل من التوجيه ، وإنما قال « باعتبار » لأنه من المعتزلة الذين لا يرون حملها على ظاهرها ، وقيل : إنه يريد بذلك أنها من التوجيه بناء على عدم اشتراط استواء الاحتمالين فيه ، وعلى هذا يكون أعم من التورية .

(٣) هو أن يذكر الشيء على سبيل اللعب والمباينة ويقصد به أمر صحيح في الحقيقة ، والفرق بينه وبين التهكم أن التهكم بعكسه ظاهره جد وباطنه هزل ، كما في قوله تعالى : سورة الدخان : ٤٩ ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ .

(٤) هو للحسن بن هانئ المعروف بأبى نواس ، وقوله « عد عن ذا » بمعنى تجاوز عن هذا الافتخار ، والضب حيوان صغير على هيئة فرخ التمساح ذئبه كثير العقْد ، والشاهد في أن هذا القول للتميمي عند افتخاره هزل ظاهر ولكنه يراد به الجِد ، وهو ذمه بأكل الضب ، لأن أشراف الناس يعاقون أكله .

(٥) قوله « وإن كان بعْلها » جملة معترضة بين « علمت » ومفعولها ، والبعل : الزوج ، وقوله « يهذي » بمعنى يقول كلاما غير معقول ، وهو زعمه أنه يقتله كما قال قبل هذا البيت :

أَيَقْتَلُنِي وَالْمُشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمُسْنُونَةُ زَرْقُ كَأَنِّيَابِ أَغْوَالِ

والشاهد في قوله « أن الفتى يهذي وليس بفعال » لأن ظاهره هزل ولكنه يراد به الجِد وهو هجو بعْلها .

تَجَاهُلُ العَارِف : ومنه تجاهل العارف ، وهو كما سمّاه السكاكى ^(١) : « سَوْقُ
المعلوم مَسَاقَ غيرِه لِنَكْتَةٍ » ^(٢) كالتوبيخ فى قول الخارجية :
أيا شجرَ الخَابُورِ مَالَكُ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابنِ طَرِيفٍ ^(٣)
والمبالغة فى المدح فى قول البحتري :
أَلْمَعُ بَرَقَ سَرَى أَمْ ضَوْءُ مُصْبَحٍ أَمْ ابْتِسَامَتُهَا بِالْمَنْظَرِ الضَّاحِي ^(٤)
أَوْ فى الذم فى قول زهير :
وَمَا أَذْرِى وَسَوْفَ إِخَالُ أَذْرِى أَقَوْمُ آلِ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ ^(٥)

(١) ٢٢٦ ، ٢٢٧ - المفتاح ، وإنما عدل عن تسميته « تجاهل العارف » لوروده فى
كلام الله تعالى ، كقوله فى سورة طه : ١٧ ﴿ وَمَا تَلَكَ بَيْنَيْنِكَ يَا مُوسَى ؟ ﴾ .
(٢) فلو عبر عن المعلوم بعبارة المجهول لا لنكتة لم يكن من تجاهل العارف ، كقولك
« أقام زيد أم لم يقم ؟ » وأنت تعلم أنه قام ، فالنكتة فيه شرط لصحته وليست حالا
يقتضى وجوبه فى البلاغة كنكتة علم المعانى .

(٣) هو لليلى بنت طريف فى رثاء أخيها الوليد وكان من الخوارج . والمورق : ما كان
ذا ورق ناضر غير ذابل ، والخابور : نهر بديار بكر ، والشاهد فى قولها « كأنك لم تجزع
الخ » لأنها تعلم أنه لا يجزع ولكنها تجاهلت ذلك وشكت فيه وبوخته عليه ، وإذا كان
مثله يوبخ على عدم جزعه فغيره ممن شأنه الجزع أجدر به ، وقد خرج الوليد فى عهد
هارون الرشيد ، فأرسل إليه يزيد بن مَزِيد الشيباني فقتله ، وقد ذكر الدسوقي أن قاتله
يزيد بن معاوية ، وهو خطأ ظاهر .

(٤) قوله « سرى » بمعنى ظهر ليلا ، والمراد بالمنظر الوجه أو الفم ، والضاحى :
الظاهر ، والشاهد فى أنه يعلم أن الذى ظهر ابتسامتها ، ولكنه تجاهل ذلك للمبالغة فى
مدحها ، وإفادة أنها بلغت فى الحسن مبلغاً يحصل معه ذلك اللبس .

(٥) هو لزهير بن أبى سلمى ، وقوله « وسوف إخال أدرى » جملة معترضة بين
« أدرى » الأولى ومعمولها ، وقوله « إخال » بمعنى أظن معترض بين سوف وأدرى .
القوم : يطلق على الرجال خاصة وعلى ما يعم الرجال والنساء والمراد هنا الأول . والشاهد
فى أنه يعلم أنهم رجال ، ولكنه تجاهل ذلك للمبالغة فى ذمهم وإفادة أنهم بلغوا فى
الضعف مبلغاً يحصل معه ذلك اللبس .

والتَّدْلُهُ فِي الْحَبِّ : فِي قَوْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْغَزِيُّ (١) :
بِاللَّهِ يَا ظَبِيَّاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ (٢)
وقول ذي الرمة :

أَيَا ظَبِيَّةَ الْوَعَسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلِ وَبَيْنَ النَّقَا أَأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمٍ (٣)
والتحقيق : فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (٤) حِكَايَةً عَنِ الْكَفَّارِ فِي حَقِّ النَّبِيِّ ﷺ « هَلْ نَدُّكُمْ
عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ » كَانَ لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَ
مَنْهُ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ مَا .

والتعريض (٥) : فِي قَوْلِهِ (٦) تَعَالَى : « وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ » . وَفِي مَجِيءِ هَذَا اللَّفْظِ عَلَى الْإِبْهَامِ فَائِدَةٌ أُخْرَى ، وَهِيَ أَنَّهُ يَبْعَثُ الْمُشْرِكِينَ
عَلَى الْفِكْرِ فِي حَالِ أَنْفُسِهِمْ وَحَالِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ ، وَإِذَا فَكَّرُوا فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ
مِنْ إِغَارَاتِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ وَسَبَى ذُرَارِيهِمْ وَاسْتِبَاحَةِ أَمْوَالِهِمْ ، وَقَطْعِ الْأَرْحَامِ ،
وَإِتْيَانِ الْفُرُوجِ الْحَرَامِ ، وَقَتْلِ النَّفُوسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ قَتْلَهَا ، وَشَرْبِ الْخَمْرِ الَّتِي تَذْهَبُ
الْعُقُولَ وَتَحْسُنُ ارْتِكَابَ الْفَوَاحِشِ ، وَفَكَّرُوا فِيمَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْمُؤْمِنُونَ عَلَيْهِ
مِنْ صَلََةِ الْأَرْحَامِ وَاجْتِنَابِ الْآثَامِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَإِطْعَامِ الْمَسَاكِينِ
وَبِرِّ الْوَالِدِينَ وَالْمَوَاطَبَةِ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى - عَلِمُوا (٧) أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ « الْغَرِيْبِي » ، وَرَجَحْتُ بِأَنَّ الْغَزِيَّ اسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَثْمَانَ ،
وَلَكِنْ صَاحِبُ « الْخَزَانَةِ » نَسَبَهُ لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَرِينِيِّ ، وَنَسَبَهُ السَّخَاوِيُّ لَعَلَى
بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَرِينِيِّ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ لِلْعَرَجِيِّ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ لَذِي الرُّمَّةِ .
(٢) الْقَاعُ : الْمَسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ . وَالشَّاهِدُ فِي أَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهَا مِنَ الْبَشَرِ ، وَلَكِنَّهُ
تَجَاهَلُ ذَلِكَ إِظْهَاراً لِلتَّدْلِهِ فِي حَبِّهَا .

(٣) هُوَ لَغِيلَانُ بْنُ عَقْبَةَ الْمَعْرُوفُ بِذِي الرَّمَةِ . وَالْوَعَسَاءُ : الرَّابِيعَةُ اللَّيْنَةُ مِنَ الرَّمْلِ
تُنْبِتُ أَحْرَارَ الْبَقُولِ ، وَجُلَاجِلُ وَالنَّقَا : مَوْضِعَانِ ، وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ « أَأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمٍ »
وَالْتَقْدِيرُ أَأَنْتِ الْمَرْثِيَّةُ أَمْ أُمُّ سَالِمٍ ، عَلَى نَحْوِ مَا سَبَقَ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ .
(٤) سَبَأُ : ٧

(٥) هُوَ إِمَالَةُ الْكَلَامِ إِلَى عَرَضٍ يَدُلُّ عَلَى الْمَقْصُودِ كَمَا سَبَقَ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْكِنَايَةِ
فِي الْجُزْءِ الثَّالِثِ .

(٧) جَوَابُ « إِذَا » .

(٦) سَبَأُ : ٢٤

والمسلمين على هدى ، وأنهم على الضلالة ، فبعثهم ذلك على الإسلام ، وهذه فائدة عظيمة .

القول بالموجب : ومنه القول بالموجب (١) . وهو ضربان :

● أحدهما : أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء (٢) أثبت له حكم ، فتثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه ، كقوله (٣) تعالى ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فإنهم كنوا بالأعز عن فريقهم (٤) وبالأذل عن فريق المؤمنين ، وأثبتوا للأعز الإخراج ، فأثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم .

● والثاني : حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه (٥) كقوله :

قُلْتُ : ثَقُلْتُ إِذْ أَتَيْتُ مِرَاراً قال : ثَقُلْتُ كَاهِلِي بِالْأَيَادِي

(١) بكسر الجيم إن أريد به الصفة الموجبة للحكم ، ويفتحها إن أريد به الحكم الذي أوجبه .

(٢) أى عبارة عنه ، فليس المراد بها الكناية الإصطلاحية ، وقيل : إن المراد بها الكناية الإصطلاحية السابقة في علم البيان ، والحق أنها لا تلتزم في القول بالموجب .

(٣) المنافقون : ٨

(٤) إذا كان هذا كناية اصطلاحية يكون من الكناية عن الموصوف .

(٥) هذا الضرب هو الذي يسمى الأسلوب الحكيم ، وقد سبق الكلام عليه في علم المعاني في آخر باب المسند إليه ، والمراد بالمتعلق ما يناسب المعنى الذي يحمل اللفظ عليه وإن لم يكن متعلقاً اصطلاحياً كالمفعول والجار والمجرور ، فيدخل فيه نحو قول الشاعر :

لَقَدْ بُهِتُوا لَمَّا رَأَوْنِي شَاحِباً فقالوا : به عَيْنٌ ، فقلتُ : وَعَارِضٌ

أرادوا بالعين إصابة العائن ، فحمله على إصابة عين المعشوق بذكر مناسبها وهو العارض ، لأنه السنن التي في عرض الفم .

قُلْتُ : طَوَّلْتُ ، قال : لا بَلْ تَطَوَّلْتُ وَأَبْرَمْتُ ، قال : حَبَلٌ وَدَادِي (١)

والاستشهاد بقوله « ثقلت وأبرمت » دون قوله « طولت » (٢)

ومنه قول القاضي الأرجاني :

غَالَطْتَنِي إِذْ كَسَتْ جِسْمِي الضَّنَى كَسَوَةً عَرَّتْ مِنَ اللَّحْمِ الْعِظَامَا

ثم قالت : أنت عندى فى الهوى مثل عيني ، صدقت لكن سقاماً (٣)

وكذا قول ابن دُوَيْدَةَ المغربي من أبيات يخاطب بها رجلاً أودع بعض القضاة مالا فادعى القاضي ضياعه :

إِنْ قَالَ : قَدْ ضَاعَتْ ، فَيَصْدُقُ إِنَّهَا ضَاعَتْ وَلَكِنْ مِنْكَ يَعْنِي لَوْ تَعَى (٤)

أَوْ قَالَ : قَدْ وَقَعْتُ ، فَيَصْدُقُ إِنَّهَا وَقَعَتْ وَلَكِنْ مِنْهُ أَحْسَنَ مَوْقِعٍ (٥)

وقريب من هذا قول الآخر :

وَإِخْوَانٍ حَسِبْتَهُمْ دُرُوعاً فَكَانُواهَا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي

(١) هما للحسن بن أحمد المعروف بابن حجاج أو لمحمد بن إبراهيم الأسدي . والكاهل : ما بين الكتفين ، والأيدى : النعم ، وقوله « تطولت » بمعنى تفضلت ، وقوله « أبرمت » بمعنى أسامت ، والشاهد فى أنه قال « ثقلت » بمعنى حملتك المؤونة ، فحمله على تشقيل كاهله بالنعم ، ثم قال « أبرمت » بمعنى أسامت فحمله على إبرام حبل وداده أى عقد عهده .

(٢) فليس من القول بالموجب لأنه رد عليه بقوله « لا » وأثبت شيئاً غيره وهو التطول .

(٣) هما لأحمد بن محمد بن الحسين المعروف بالقاضى الأرجاني . والضنى : الهزال ، وقوله « عرت » بمعنى نزعت ، وفى العبارة قلب الأصل « عرت اللحم من العظام » والهوى : الحب . والشاهد فى قوله « صدقت لكن سقاماً » لأنه أثبت أنه مثل عينها كما قالت ، ولكن فى ضعفها وفتورها ، وهو صفة ممدوحة فى العين .

(٤) قوله « يعنى » بمعنى يقصد ، وقوله « ولكن منك » على تقدير « ولكن ضاعت منك » وقوله « تعى » بمعنى تفهم ، والشاهد فى قوله « ضاعت ولكن منك » لأن القاضى يقصد أنها ضاعت منه ، فأثبت أنها ضاعت من صاحبها لا منه . وفى رواية « فصدق » فعل أمر وهو الأنسب بالفاء ، لأنه يقرن بها فى جواب الشرط .

(٥) الشاهد فى قوله « ولكن منه أحسن موقع » وتقديره « ولكن وقعت منه أحسن موقع بأخذه لها » ، وهو يقصد فى الأول أنها وقعت أى سقطت منه .

وَخَلَّتُهُمْ سَهَامًا صَائِبَاتٍ فَكَانُوها وَلَكِنْ فِي قُوَادِي
 وَقَالُوا : قَدْ صَفَّتْ مِنَّا قُلُوبٌ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ مِنْ وَدَادِي (١)
 والمراد البيتان الأولان (٢) ولك أن تجعل نحوهما ضرباً ثالثاً (٣) .
 الاطراد : ومنه الاطراد (٤) وهو أن يأتي بأسماء الممدوح أو غيره وآبائه (٥)
 على ترتيب الولادة من غير تكلف في السبك ، حتى تكون الأسماء في تحدرها
 كالماء الجاري في اطراده وسهولة انسجامه ، كقول الشاعر :
 إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَّثْتَ عُرُوشَهُمْ بَعْتِيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ (٦)
 وقول ذُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ :
 قَتَلْنَا بَعْدَ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ ذُوَابُ بْنُ أَسْمَاءَ بْنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبٍ (٧)
 وفيه تَعَرُّضٌ للمقتول به ولشرف المقتول (٨) . قيل : لما سمعه عبد الملك بن
 مروان قال : « لولا القافية لبلغ به آدم » (٩) .
 ومنه قول النبي ﷺ : « الكريم ابن الكريم ابن الكريم يُوسُفُ بْنُ
 يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ » .

(١) هي لعلی بن فضالة القيرواني ، أو لعلی بن العباس المعروف بابن الرومي .
 والدروع : جمع درع وهو قميص من زرد الحديد يلبس في الحرب ، وقوله « خلَّتُهُمْ » بمعنى
 ظننتهم ، وقوله « صفت » بمعنى خلَّتْ مما يكدر الصحة .
 (٢) أما الثالث فهو من القول بالموجب لا قريب منه .
 (٣) أي من القول بالموجب غير الضريين السابقين ، وهذا لأنه لم يحمل فيه أمر وقع
 في كلام الغير على غير مراده ، وإنما ذكر فيه أمر ظن على وجه فإذا هو على خلافه .
 (٤) قيل : إن الاطراد من المحسنات اللفظية ، مرجعه إلى حسن السبك ، والحق أنه
 يرجع إلى حسن السبك في معنى مخصوص هو النسب ، وبهذا يكون من المحسن المعنوي
 (٥) أما ذكر الأمهات والجدات فقبیح عند البلغاء .
 (٦) هو لرُبَيْعَةَ بن سعد من بنی نصر بن قعين في رثاء ابنه ذُوَابُ أو لداود بن ربيعة
 الأسدي . وقوله « ثلثت » بمعنى هدمت ، وهو كناية عن إذهاب عزهم ومجدهم ، وتتابع
 الإضافة مغتفر في البيت لسلامته من الثقل .
 (٧) عبد الله : أخو ذرید ، ولداته : أترابه الذين ولدوا معه جمع لدة .
 (٨) المقتول به : عبد الله ، والمقتول : هو ذُوَابُ ، وتعرضه لشرفه بقوله « خير لداته » .
 (٩) يعني أن البيت لابد أن ينتهي بقافيته ، ولولا هذا لوصل بنسبه إلى هذا الحد ،
 لسهولة سبكه لما أتى به منه ، فيسهل عليه ذلك أيضا .

تمرينات على المحسنات المعنوية

تمرين - ١

بين نوع المحسن المعنوى ووجه حسنه فيما يأتى :

- (١) فلا كَمَدَى يَفْنَى ولا فيك رِقَّةٌ
- (٢) تشابه دَمْعَانَا غداة افتراقنا
- (٣) قَوِجَتُّهَا تكسو المدامع حُمْرَةً
- (٤) أباجت بنو مروان ظلماً دماءنا
- (٥) إذا ما ركبنا قال ولدان بيتنا
- (٦) يقولون : لم يورث ، ولولا ثرائه
- (٧) خُذْهَا إذا أُنْشِدْتَ فى القوم من طرب
- (٨) وَمَنْ لا يَذْدُ عن حوضه بِسلاحه
- (٩) إِنَّ البَخِيلَ مَلُومٌ حيث كان وكـ
- (١٠) وإذا ما بَدَا فَأُخْجِلَ بَدْرًا
- (١١) إذا أمطرت منهم ومنك سحابة
- (١٢) لِحَنِّيَّةٍ أَمْ غَاذَةٌ رُفِعَ السُّجْفُ
- (١٣) وصاحبٍ لَمَّا أَتَاهُ الْغِنَى
- وقيل : هل أبصرت منه يدا
- (١٤) الْعَقْلُ أَنْتَ عَقَلْتَهُ وَسَرَحْتَهُ
- آتَيْتُهُ الْحَجَرَ الْأَصَمَّ وَنَحْتَهُ
- ولا عنك إقْصَارٌ ولا فيك مَطْمَعٌ
- مُشَابَهَةٌ فى قِصَّةٍ دون قِصَّةٍ
- ودمعى يكسو حُمْرَةَ اللون وَجَنَّتِي
- وبين طَرِيفَاتِ المكارم والتلذد
- ويَبِيضَ يوماً بالفضائل والمجد
- وفى الله إن لم يُنْصِفُوا حَكَمٌ عَدْلٌ
- : تَعَالَوْا إِلَى أَنْ يَأْتِيَ الصَّيْدُ نَحْطِبُ
- لقد شَرِكْتَ فِيهِ بِكَيْلٍ وَأَرْحَبُ
- صُدُورُهَا عُرِفَتْ مِنْهَا قَوَافِيهَا
- يُهَدِّمُ وَمَنْ لا يَظْلِمُ النَّاسَ يَظْلَمُ
- كِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمُ
- لمعت كَأَسُوه فَأُخْجِلَ شَمْسًا
- فَوَالِهُمُ طَلٌّ وَطَلُّكَ وَابِلٌ
- لِوَحْشِيَّةٍ لَا مَا لِوَحْشِيَّةٍ شَنْفُ
- تَاهُ وَتَفْسُ الْمَرْءِ طُمَاحَةٌ
- تشكرها ، قلت : ولا راحه
- وَأَجَزْتَ فِيكَ دَلِيلَهُ وَأَرْحَتَهُ
- وَالنَّجْمُ يُعَبِّدُ فَوْقَهُ أَوْ تَحْتَهُ

- (١٥) وَلَحَظْهُ وَمَحْيَاهُ وَقَامَتْهُ
(١٦) حَيَاتِي وَمَوْتِي فِي يَدَيْهِ وَجَنَّتِي
(١٧) رَأَى الْمَزْنَ مَا تُعْطَى فُضْمٌ عَلَى الْأَسَى
(١٨) أَتَوْنِي فَعَابُوا مَنْ أَحَبُّ جِهَالَةً
(١٩) فَمَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرُ أَنْ جَفَوْنَهُ
(٢٠) إِلَى كَمْ تَرُدُّ الرُّسْلَ عَمَّا أَتَوْا بِهِ
(٢١) إِنْ أَكُنْ مُهْدِيًا لَكَ الشَّعْرَ إِنِّي
(٢٢) وَلَكِّه سِرٌّ فِي عِلَاكَ وَإِنَّمَا
(٢٣) تَزْعُمُ يَا ظَبْيُ مُسَاوَاتَهَا
إِنْ كَانَ مَا تَزْعُمُ عَارِضٌ لَنَا
(٢٤) أَتَرَاهَا لِكثْرَةِ الْعُشَّاقِ
(٢٥) تُثْنِي عِطْفَهُ حَظَرَاتٌ دَلَّ
يَمِيلُ مَعَ الْوُشَاةِ وَأَيُّ غُصْنٍ
(٢٦) أَقْبَسُ بْنُ مَسْعُودٍ بْنُ قَيْسٍ بْنُ خَالِدٍ
(٢٧) مَا أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ أَحْسَنَ مَنَظَرٍ
كَالشَّامَةِ الْخَضْرَاءِ فَوْقَ الْوَجْنَةِ الـ
- بَذَرَ الدُّجَى وَقَضِيْبُ الْبَانِ وَالرَّاحُ
وَتَارَى وَرِيَّ فِي الْهَوَى وَأَوَامِي
فَوَادًا كَانَ الْبَرْقَ فِيهِ لَهَيْبُ
وَذَاكَ عَلَى سَمْعِ الْمَحَبِّ خَفِيفُ
مِرَاضُ وَأَنْ الْخَصْرَ مِنْهُ ضَعِيفُ
كَأَنَّهُمْ فِيمَا وَهَبْتَ مَلَامُ
لَابْنُ بَيْتٍ تُهْدِي لَهُ الْأَشْعَارُ
كَلَامُ الْعِدَا ضَرْبٌ مِنَ الْهَدْيَانِ
وَلَسْتُ أَبْدِي لَكَ تَفْنِيدًا
مُقْلَتَهَا وَاحْكُ لَنَا الْجِيْدَا
تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَاقِ
إِذَا لَمْ تُثْنِيهِ نَشَوَاتُ رَاحِ
رَطِيبٍ لَا يَمِيلُ مَعَ الرِّيَّاحِ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ يَرْجُو شَبَابَكَ وَائِلُ
فِيمَا يُسْرَى مِنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ
حَمْرَاءُ تَحْتَ الْمُقْلَةِ السُّودَاءِ

٢ - قمرينات

من أى أقسام الطباق ما يأتى :

- (١) يَجْزُونَ مِنْ ظَلَمِ أَهْلِ الظُّلَمِ مَغْفَرَةً
(٢) ثِقَالَ إِذَا لَاقُوا خَفَافًا إِذَا دُعُوا
(٣) لَهُمْ جُلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غِنَى
(٤) وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لَابَسُ الصَّبْرِ حَازِمًا
- وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ الشَّرِّ إِحْسَانًا
كَثِيرٌ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٌ إِذَا عُدُّوا
وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أَكْلُفْهُمْ رِفْدًا
فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ

تمرين - ٣

بين المحسن المعنوى ووجه حسنه فى قول الشاعر :

تَنْزَهُ طَرْفِي فِى تَعَابِيرِكَ الْغُرِّ وَجَالَ بِهَا فِكْرِي مِنَ السَّطْرِ لِلْسَّطْرِ
فَمَا خَلَّتْهَا إِلَّا حَدَائِقَ بِهِجَةٍ مَكَلَّلَةَ الْأَرْجَاءِ بِالزَّهْرِ وَالزَّهْرِ
وَلَكِنَهَا - أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ - نُسْخَةٌ مَزِينَتُهُ الْأَرْقَامَ بِالْدُرِّ وَالتَّبْرِ
طَرِبْتُ بِهَا لَمَّا فَهَمْتُ نُقُوشَهَا كَمَا يَطْرَبُ النَّشْوَانُ مِنْ لَذَةِ الْخَمْرِ

تمرين - ٤

بين المحسن المعنوى ووجه حسنه فى قوله الشاعر :

قَاسُوكَ بِالْغُصْنِ فِى التَّشْنَى قِيَاسَ جَهْلٍ بِلَا انْتِصَافٍ
فَذَاكَ غُصْنُ الْخِلَافِ يُدْعَى وَأَنْتَ غُصْنٌ بِلَا خِلَافٍ

تمرين - ٥

من أى أقسام المبالغة ما يأتى :

- (١) كَأَنِّى هَلَالُ الشَّكِّ لَوْلَا تَأْوِهُى حَقِيقَتٌ فَلَمْ تُهْدَ الْعَيُّونُ لِرُؤْيَتِى
- (٢) مَنَعْتُ مَهَابَتُكَ الْقُلُوبَ كَلَامَهَا بِالْأَمْرِ تَكْرَهُهُ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمْ
- (٣) كَأَنَّ غِلَامِى إِذَا عَلَا حَالٌ مِثْنَهُ عَلَى ظَهْرِ طَيْرٍ فِى السَّمَاءِ مُحَلَّقٍ

تمرين - ٦

بين المحسن المعنوى فى قول الشاعر :

يَا ذَا الَّذِى بَصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيَّرْنَا هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ
أَمَّا تَرَى الْبَحْرَ تَطْفُو فَوْقَهُ جَيْفُ وَتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ الدُّرُ
وَفِى السَّمَاءِ نَجُومٌ لَا عِدَادَ لَهَا وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

٧ - قرين

من أى أقسام حسن التعليل ما يأتى :

- (١) ما زُلِّلَتْ مِصْرُ مِنْ كَيْدِ أَلْمِ بِهَا لَكُنْهَا رَقِصَتْ مِنْ عَدْلِكُمْ طَرِيبَا
- (٢) عَلِمْتَنِي بِهَجْرِهَا الصَّبْرَ عَنْهَا فَهِيَ مَشْكُورَةٌ عَلَى التَّقْبِيحِ
- (٣) قَدْ طَيْبَ الْأَفْوَاهَ طَيْبُ ثَنَائِهِ مِنْ أَجْلِ ذَا تَجِدُ الثُّغُورَ عِذَابَا

٨ - قرين

(١) من أى ضربى القول بالموجب قول الشاعر :

- شَكِي رَمَدًا فَقُلْتُ : عَسَاءُ كُلُّ لَوَاحِظُهُ مِنَ الْفُتُكَاتِ فِينَا
- وَقَالُوا : سَيْفٌ مُقْلَتِهِ تَصَدَّى فَقُلْتُ : نَعَمْ لِقَتْلِ الْعَاشِقِينََا
- (٢) هَلْ أَحْسَنَ أَبُو نَوَاسٍ أَوْ أَسَاءَ بِذِكْرِ أُمِّ الْأَمِينِ فِي مَدْحِهِ بِقَوْلِهِ :
- أَصْبَحْتَ يَا بَنَ زَيْدَةَ ابْنَةَ جَعْفَرٍ أَمَلًا لِعَقْدِ حِبَالِهِ اسْتِحْكَامُ

* * *

أقسام المحسن اللفظي

الجناس التام وأقسامه : وأما اللفظي فمنه الجناسُ بين اللفظين ، وهو تشابهُهُمَا في اللفظ (١) .

والتامُّ منه أن يتفقا في أنواع الحروف (٢) ، وأعدادها ، وهيناتها (٣) ، وترتيبها ، فإن كانا من نوع واحد كاسمين سُميَ مُمَثِّلًا ، كقوله (٤) تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ وقول الشاعر :

حَدَقُ الْآجَالِ آجَالٌ وَالْهَوَى لِلْمَرْءِ قَتَالٌ (٥)

الأول جمع إجْلٍ بالكسر وهو القطيع من بقر الوحش ، والثاني جمع أَجَلٍ والمراد به مُنْتَهَى الأعمار . وقول أبي تمام :

إِذَا الْخَيْلُ جَابَتْ قَسْطَلُ الْحَرْبِ صَدَعُوا صُدُورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكَتَائِبِ (٦)

وإن كانا من نوعين كاسم وفعلٍ سُميَ مُسْتَوْفِيً ، كقول أبي تمام أيضا :

(١) أى مع الاختلاف في المعنى ، ويجب في الجناس أن يكون سهلا لا كلفة فيه وإلا كان قبيحا ، ومن الجناس القبيح لما فيه من التكلف قول عبد الله بن مالك القرطبي :

حَيِّتْ إِذْ حَيِّتْ حَادِي عَيْسِهِمْ فَكَأَنَّ عَيْسَى مِنْ حُدَاةِ الْعَيْسِ

فحمله تكلف التجنيس على أن يجعل عيسى عليه السلام من حداة عيسهم .

(٢) كل حرف من حروف الهجاء نوع .

(٣) هيناتها حركاتها وسكناتها .

(٤) الروم : ٥٥ . والساعة الأولى : القيامة ، والثانية : الساعة الزمانية .

(٥) هو لأبي سعد عيسى بن خالد المخزومي . وبعده :

والهوى صعبٌ مراكبُهُ وركوبُ الصعبِ أهوالُ

والحدق : واحده حدقة وهي سواد العين ، والمراد أن حدق النساء الشبيهة بحدق الآجال في سعتها وحسنها تقتل من ترميه بسهامها .

(٦) قوله « جابت » بمعنى خرقت ، والقسطل : الغبار الساطع في الحرب ، وقوله « صدعوا » بمعنى أمالوا ، والعوالى : جمع عالية وهي الرمح . والشاهد في صدور العوالى وهي أعاليها وصدور الكتائب وهي نحورها .

مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (١)
ونحوه قول الآخر :

وَسَمَّيْتُهُ يَحْيَى لِيَحْيَا فَلَمْ يَكُنْ إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ سَبِيلٌ (٢)
والتام أيضا إن كان أحد لفظيه مركبا (٣) سمي جناس التركيب ، ثم إن كان
المركب منهما مركبا من كلمة وبعض كلمة سمي مرقوفاً (٤) ، كقول الحريري :
وَلَا تَلُهُ عَنْ تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وَأَبْكَهْ بَدْمَعِ يُحَاكِي الْوَيْلَ خَالَ مَصَابِيهِ
وَمِثْلُ لَعِينِيكَ الْحِمَامَ وَقَعَهُ . وَرَوْعَةُ مَلَقَاهُ وَمَطْعَمُ صَابِيهِ (٥)
وإلا (٦) فَإِنْ اتَّفَقَا فِي الْخَطِّ سُمِّيَ مُتَشَابِهًا ، كقول أبي الفتح البُستِي :

(١) هو من قصيدة له في مدح أبي الغريب يحيى بن عبد الله ، والمراد بكرم الزمان
كرم أهله ، والشاهد في قوله « يحيى لى يحيى » والأول فعل والثانى اسم ، وبين قوله
« مات ويحيا » طباق .

(٢) هو لمحمد بن عبد الله بن كُنَاسة الأسدى فى رثاء ابنه يحيى . والمراد بأمر الله
الموت ، والشاهد فى قوله « يحيى ليحيا » وهو كشاهد البيت السابق .
(٣) أى سواء أكان الآخر مركباً أم لا ، وقد ذكر السعد أن المراد أن يكون أحدهما
مركباً والآخر مفرداً ، لأنه إذا كان كل منهما مركباً كان نوعاً آخر يسمى جناس التلقيق ،
كقول البُستِي .

إلى حَتْفَى سَعَى قَدَمَى أرى قَدَمَى أَرَاقَ دَمَى
والظاهر أن المراد هو الأول ، لأنه سيذكر فى الأمثلة ما يكون فيه كل من المتجانسين
مركباً .

(٤) ذكر ابن حجة أن هذا النوع لا يخلو من تكلف فى التركيب .
(٥) هما لأبى محمد القاسم بن عبد الله المعروف بالحريري . والويل : المطر الشديد ،
والمصاب مصدر « صاب المطر صَوْبًا ومصاباً » أى انصب . والحمام : الموت ، والصاب :
شجر مر واحد صابة ، وإضافته إلى ضمير الحمام من إضافة المشبه به إلى المشبه .
والشاهد فى قوله « مصابه ومطعم صابه » .
(٦) أى وإن لم يكن المركب منهما مركباً من كلمة وبعض أخرى بأن كان مركباً من
كلمتين أو أكثر .

إذا مَلِكٌ لم يكن ذا هبةً فدَعَتْهُ فِدولَتُهُ ذَاهِبَةً (١)
وإن اختلفا سُمى مفروقاً ، كقول أبي الفتح أيضاً :
كُلُّكُمْ قد أخذ الجَا مَ وَلَا جَامَ لَنَا (٢)
ما الذى ضَرَّ مَدِيرَ الجَامِ لَوْ جَامَلْنَا (٣)
وقول الآخر :

لا تَعْرِضَنَّ عَلَى الرُّوَاةِ قَصِيدَةً ما لم تُبَالِغْ قَبْلُ فِى تَهْذِيبِهَا
فَمَتَى عَرَضْتَ الشَّعْرَ غَيْرَ مُهَذَّبٍ عَدُوُّهُ مِنْكَ وَسَاوِسٌ تَهْذِى بِهَا (٤)
ووجه حسن هذا القسم - أعنى التام - حسنُ الإفادة مع أن الصورة صورة
الإعادة (٥) .
الجناس المَحْرُوفُ : وإن اختلفا فى هَيَاتِ الحُرُوفِ (٦) سُمِىَ مُحْرَفًا .

(١) هو لعلى بن محمد المعروف بأبى الفتح البستي ، وقوله « ذا هبة » فى الأول
بمعنى صاحب هبة أى عطاء ، وقوله « ذاهبه » بعده بمعنى فانية ، وهو مفرد ، والأول
مركب مع اتفاقهما فى الخط .
(٢) الجام : الكأس .

(٣) مدير الجام : الساقى ، وقوله « جاملنا » بمعنى عاملنا بالجميل فأداره علينا
أيضاً ، والشاهد فى قوله « جام لنا وجاملنا » فقد تجانسا . وكل منهما مركب مع
اختلافهما فى الخط ، ومن يجعل جناس التركيب خاصاً بما يكون أحد المتجانسين فيه
مركباً والآخر مفرداً يجعل قوله « جاملنا » مفرداً لاتصال الضمير فيه بالفعل ، ولا يخفى
أن هذا تكلف لا داعى إليه .

(٤) هما لأبى حفص عمر بن على المطوعى . والمراد بالرواة حفاظ العشر وثقاده ،
والوساوس : جمع وساوس وهو ما يخطر بالقلب من شر أو مما لا خير فيه ، وقوله
« تهذى » بمعنى تتكلم بما لا يعقل ، والشاهد فى قوله « تهذيبها ، تهذى بها » .

(٥) ذكر عبيد القاهر فى « أسرار البلاغة » هذه الفائدة للتجنيس مطلقاً ، وإن كانت لا
تظهر الظهور التام إلا فى المستوى المتفق الصورة منه .
(٦) أى دون أنواعها وأعدادها وترتيبها .

ثم الاختلاف قد يكون فى الحركة ، كالبرد والبرد فى قولهم : « جَبَّةُ الْبَرْدِ جَنَّةُ الْبَرْدِ » وعليه قوله ^(١) تعالى « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ، فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ » قال السكاكى ^(٢) : وكقولك « الْجَهْلُ إِمَّا مُفْرَطٌ أَوْ مُقْرَطٌ » والمُشَدَّدُ فى هذا الباب يقوم مقام المُخَفَّفِ نظراً إلى الصورة ، فاعلم ^(٣) .
وقد يكون فى الحركة والسكون ، كقوله « الْبَدْعَةُ شَرَكُ الشَّرِكِ » .
وقول أبى العلاء :

وَالْحَسَنُ يَظْهَرُ فِي بَيْتَيْنِ رَوْنَقُهُ بَيَّتَ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ بَيْتٌ مِنَ الشَّعْرِ ^(٤)
الجناس الناقص : وإن اختلفا فى أعداد الحروف فقط ^(٥) سمي ناقصا ،
ويكون ذلك على وجهين :

* أحدهما أن يختلفا بزيادة حرف واحد فى الأول ، كقوله ^(٦) تعالى :
« وَالتَّقَاتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ » أو فى الوسط : كقولهم
« جَدَّى جَهْدَى » ^(٧) أو فى الآخر كقول أبى تمام :

يَمْدُونُ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمَ تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاصٍ قَوَاضِبٍ ^(٨)

(١) الصفات : ٧٢ ، ٧٣ (٢) ٢٢٧ - المفتاح .

(٣) اختلاف الهيئة فى « مفراط ومفراط » نوع آخر غير ما قبله وما بعده ، لأن
اختلاف الهيئة فيه باختلاف الحركة والسكون المقابل لها ، واختلاف الهيئة فيما قبله
باختلاف الحركة فقط ، وفيما بعده باختلاف الحركة والسكون معاً .

(٤) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى ، والرونق : الصفاء . والشاهد
فى تجانس الشعر بمعنى النظم والشعر المقابل للصوف والوبر ، وظهور الحسن فى الأول
بجمال لفظه ومعناه ، وفى الثانى بجمال الساكنين فيه .

(٥) أى دون أنواعها وهيئاتها وترتيبها . (٦) الحديد : ٢٩ ، ٣٠ .

(٧) الجذ : الحظ ، والجهد : المشقة ، والمعنى أن حظه فى الدنيا بمشقة فيها .

(٨) عواص : جمع عاصية اسم فاعل من « عصى » بمعنى لم يطع أو من « عصاه »
إذا ضربه بالعصا ، وعلى الأول يكون المعنى يمدون من أيدٍ عواص على الأعداء ، وعلى
الثانى يكون المراد : ضاربات بالعصى أى السيوف على التجوز ، والعواصم : جمع
عاصمة أى حافظة لأوليائها ، وقوله « تصول » بمعنى تسطو ، والقواضى : القاتلات ،
والقواضب : القواطع ، والشاهد فى قوله « عواص وعواصم » وقواض وقواضب .

وقول البحتري :

لئن صدقت عَنَّا قُرْبَتْ أَنْفُسُ صَوَادٍ إِلَى تِلْكَ الْوُجُوهِ الصَّوَادِ (١)
ومنه ما كتب به بعض ملوك المغرب إلى صاحب له (٢) يدعو إلى مجلس أنس له :
أَيُّهَا الصَّاحِبُ الَّذِي قَارَقَتْ عَيْنُ نِي وَنَفْسِي مِنْهُ السَّنَا وَالسَّنَاءُ (٣)
نحن في المجلس الذي يَهْبُ الرُّاحَةُ وَالْمَسْمَعُ الْغَنَى وَالْغَنَاءُ (٤)
نَتَعَاظِي الَّتِي تُنْسِي مِنَ اللَّذَّةِ وَالرَّفَّةُ الْهَوَى وَالْهَوَاءُ (٥)
فَأَتِيهِ تُلْفٍ رَاحَةً وَمُحَيًّا قَدْ أَغْدَا لَكَ الْخِيَا وَالْخِيَاءُ (٦)

وربما يسمى هذا القسم ، أعني الثالث (٧) ، مُطْرَقًا ، ووجه حسنه أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كالميم من « عواصم » أنها هي التي مضت ، وإنما أتى بها للتأكيد حتى إذا تمكّن آخرها في نفسك ووعاه سمعك انصرف عنك ذلك التوهم ، وفي هذا حصول الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها .
الوجه الثاني أن يختلفا بزيادة أكثر من حرف واحد ، كقول اخنساء :

(١) قوله « صدقت » بمعنى انصرفت ، والصوادي : جمع صادية اسم فاعل من الصدى وهو العطش الشديد ، شبه به شدة الشوق إليهن ثم استعير إليه استعارة تبعية ، والشاهد في قوله « صواد وصوادف » .

(٢) الملك الكاتب هو المعتمد بن عباد ، وصاحبه هو محمد بن الطبيب المصري .
(٣) السنا : النور ، والسناء : الرفعة ، والأول راجع إلى العين والثاني إلى النفس على اللف والنشر المرتب ، والشاهد في قوله « السنا والسناء » .
(٤) الراحة : باطن الكف ، والمسمع : الأذن ، والغنى : راجع إلى الراحة ، والغناء : راجع إلى الأذن على اللف والنشر المرتب أيضاً ، وفي قوله « الغنى والغناء » شاهد ثان
(٥) المراد من التي تنسى الهوى والهواء الخمر ، وفي قوله « الهوى والهواء » شاهد ثالث ، وكذلك لف ونشر مرتب .

(٦) قوله « تلف » بمعنى تجدد ، والراحة : باطن الكف ، والمحيا : الوجه ، والمحيا : المطر والمراد به العطاء على سبيل الاستعارة ، وفي قوله « المحيا والمحيا » شاهد رابع ، وكذلك لف ونشر مرتب .

(٧) هو ما يكون بزيادة حرف الآخر .

إِنَّ الْبِكَاءَ هُوَ الشَّقَا ءُ مِنَ الْجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ (١)

وربما سمي هذا الضرب مذبلاً .

الجناس المضارع واللاحق : وإن اختلفا في أنواع الحروف اشترط ألا يقع الاختلاف بأكثر من حرف .

ثم الحرفان المختلفان إن كانا متقاربين (٢) سمي الجناس مضارعاً ، ويكونان إما في الأول ، كقول الحريري : « بينى وبين كئنى ليل دامس ، وطريق طامس » وإما في الوسط ؛ كقوله (٣) تعالى : « وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ » وقول بعضهم : « البرايا أهداف البلايا » . وإما في الآخر ، كقوله النبي ﷺ : « الخيل معقود بنواصبها الخير إلى يوم القيامة » .

وإن كانا غير متقاربين سمي لاحقاً ، ويكون أيضاً إما في الأول ، كقوله (٤) تعالى : « وَيَلْ لَكُلِّ هَمَزَة لَمَزَة » وقول بعضهم : « رَبُّ وَضِيٌّ غَيْرَ رَضِيٍّ » . وقول الحريري : « لا أعطى زمامى لمن يخفر ذمامى » . وإما في الوسط ، كقوله (٥) تعالى : « ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنَّا كُنْتُمْ مَفْرَحُونَ » وقوله (٦) تعالى : « وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ » وإما في الآخر ، كقوله (٧) تعالى : « وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ » وقول البحتري :

(١) هو لتماضر بنت عمرو بن الشريد المعروفة بالخنساء . والجوى : حرقه القلب ، والجوانح : جمع جانحة وهى الضلوع التى تحت الترائب مما يلى الصدر ، والشاهد فى قولها « الجوى والجوانح » .

(٢) المراد بهما ما يشمل المتحدين فى المخرج كالهزمة والهاء فى قوله « ينهون وينأون » .

(٣) الأنعام : ٢٦ (٤) الهزمة : ١

(٥) غافر : ٧٥ ، والحق أن هذا من المضارع لا من اللاحق لتقارب الفاء والميم لأنهما شفوريان .

(٦) العاديات : ٧ ، ٨

(٧) النساء : ٨٣ ، والحق أن هذا أيضاً من المضارع لأن الراء والنون من حروف الذلاقة التى تخرج من طرف اللسان .

هل لِمَا فَاتَ مِنْ تَلَاقي تَلَاقي أَمْ لِشَاكِ مِنَ الصَّبَابَةِ شَافِي (١)

جناس القلب : وإن اختلفا في ترتيب الحروف سمي جناس القلب ، وهو ضربان : قلب الكل ، كقولهم « حسامه فتح لأوليائه حتف لأعدائه » . وقلب البعض : كما جاء في الخبر « اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا » وقول بعضهم : « رحم الله امرأ أمسك ما بين فكَّيه ، وأطلق ما بين كفَّيه » . وعليه قول أبي الطيب :
مُتَمَنِّعَةٌ مُتَمَنِّعَةٌ رَدَاخٌ يُكَلِّفُ لَفْظَهَا الطَّيْرَ الرُّقُوعَا (٢)

الجناس المقلوب المجنَّح والجناس المزدوج : وإذا وقع أحد المتجانسين جناس القلب في أول البيت والآخر في آخره سمي مقلوباً مجنَّحاً (٣) .

وإذا ولي أحد المتجانسين الآخر سُمي مُزْدَوِجاً وَمُكْرَراً وَمُرْدَداً (٤) كقوله (٥) تعالى : ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ ، وما جاء في الخبر « المؤمنون هيئونَ لَيِّنُونَ » وقولهم : « من طَلَبَ وَجَدَ وَجَدَ » . وقولهم : « من قرع باباً ولَّجَ ولَّجَ » وقولهم : « النبيذ بغير النِّعَمِ غُمٌّ ، وبغير الدَّسَمِ سُمٌّ » . وقوله :

يَمْدُون مِنْ أَيْدٍ عَوَاصِرٍ عَوَاصِمَ تصول بأسياف قواضٍ قواضبٍ (٦)

ما يلحق بالجناس : واعلم أنه يُلْحَقُ بالجناس شيئان :

(١) التلافي : مصدر « تلافى الأمر » بمعنى تداركه ، والصبابة : الشوق والولع الشديد ، والشاهد في قوله « تلاق ، تلافى » .

(٢) المنعة : التي يمنعها أهلها ويحمونها ، والرداح : الضخمة الألية أو الثقيلة الأوراك ، والشاهد في قوله « بمنعة منعمة » .

(٣) كقول الشاعر :

لَا حَ أَنْوَارِ الْهُدَى مِنْ كَفِّهِ فِي كُلِّ حَالٍ

ولا يخفى ما في هذا من التكلف ، ومثله كل جناس مقلوب مجنَّح .

(٤) هذا عام في كل جناس وليس خاصاً بجناس القلب كالمقلوب المجنَّح .

(٥) النمل : ٢٢

(٦) سبق هذا البيت في الجناس الناقص ، والشاهد في « عواص عواصم » وفي « قواض قواضب » .

أحدهما أن يجمع اللفظين الاشتقاق^(١) كقوله^(٢) تعالى : ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قَرُوحٌ وَرِيحَانٌ ﴾^(٣) وقول النبي ﷺ : « الظُّلُمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقول الشافعي رضي الله عنه^(٤) وقد سُئِلَ عن النبيذ : « أجمع أهل الحرمين على تحريمه » . وقول أبي تمام :

* فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْد *^(٥)

وقول البحتري :

يَعِشَى عَنْ الْمَجْدِ الْغَبِيُّ وَلَنْ تَرَى فِي سُوْدُذٍ أَرِيًّا لَغَيْرِ أَرِيْبٍ^(٦)
وقول محمد بن وهيب :

قَسَمْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ بِأَسَا وَتَائِلًا فَمَا لَكَ مَوْتُورٍ وَسَيْفِكَ وَأَتَرُ^(٧)
والثاني أن يجمعهما المشابهة ، وهي ما يُشَبِّهُ الاشتقاق وليس به^(٨) ،

(١) هو أخذ لفظ من آخر لمناسبة بينهما في المعنى ، وإنما لم يكن من الجنس لوجوب اختلاف المعنى فيه كما سبق في تعريفه .

(٢) الروم : ٤٣ (٣) الواقعة : ٨٩

(٤) نسبة ابن المعتز في « البديع » لعبد الله بن إدريس ، وهو غير الشافعي الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس .
(٥) هو من قوله :

وَأَنْجِدْتُمْ مِنْ بَعْدِ إِيْتِهَامٍ دَارِكُمْ فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْد
وقوله « أَنْجِدْتُمْ » بمعنى سَكَنْتُمْ نَجْدًا ، والإِيْتِهَامُ : سَكَنِي تِهَامَةً ، والشاهد في قوله « أَنْجِدْنِي وَنَجْد » . والحق أن هذا ليس من الاشتقاق بل من شبه الاشتقاق الآتي ، وكذلك ما أشبهه من الأمثلة الآتية .

(٦) قوله « يَعِشَى » بمعنى يعمى وأصله أن يسوء البصر بالليل دون النهار أو بهما معاً ، والأَرِبُ : الحاجة ، والأَرِيْبُ : الماهر ، والشاهد في قوله « أَرِيْبًا وَأَرِيْب » .
(٧) هو من قصيدة له في مدح الحسن بن سهل مطلعها :

وَدَائِعُ أَسْرَارِ طَوْتِهَا السَّرَائِرُ وَبَاحَتْ بِمَكْنُونَاتِهَا النُّوَاطِرُ
والبَّاسُ : الشجاعة ، والتَّائِلُ : العطاء . والمَوْتُورُ والوَائِرُ : مأخوذان من « وَتَرَّةٌ » إذا أصابه بظلم أو مكروه ، وفي ذلك لف ونشر غير مرتب ، لأن موتورا يرجع إلى « نائلا » وواير يرجع إلى « بأساً » . والشاهد في قوله « موتور وواير » .

(٨) لاختلاف أصل اللفظين فيما يشبه الاشتقاق دون الاشتقاق ، ولهذا يجعل بعضهم ما يشبه الاشتقاق من الجنس ، ولا يجعله ملحقاً به .

كقوله (١) تعالى : ﴿ اِثْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾
 وقوله (٢) تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي لَعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾ ، وقوله (٣) تعالى : ﴿ وَجَنَى
 الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾
 وقول البحتري :

وَإِذَا مَا رِيَّاحُ جُودِكَ هَبَّتْ صَارَ قَوْلُ الْعَذُولِ فِيهَا هَبَاءً (٤)
 ردُّ العَجْزِ عَلَى الصِّدْرِ : ومنه ردُّ العَجْزِ عَلَى الصِّدْرِ ، وهو فى النثر أن
 يُجْعَلَ أَحَدُ اللَّفْظَيْنِ الْمَكْرُورَيْنِ أَوْ الْمُتَجَانِسَيْنِ أَوْ الْمُلْحَقَيْنِ بِهِمَا فِى أَوَّلِ الْفَقْرَةِ ، وَالْآخَرُ
 فِى آخِرِهَا (٥) ، كقوله (٦) تعالى : ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾
 وقولهم : « الْحِيلَةُ تَرَكُ الْحِيلَةَ » (٧) ، وكقولهم : « سَائِلُ اللَّيْمِ يَرْجِعُ وَدَمْعُهُ
 سَائِلٌ » . وكقوله (٨) تعالى : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴾ ، وكقوله (٩)
 تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي لَعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ » .
 وفى الشعر أن يكون أحدهما (١٠) فى آخر البيت والآخر فى صدر المصراع الأول
 أو حشوه أو آخره أو صدر الثانى ، فالأول كقوله :

(١) التوبة : ٣٨ (٢) الشعراء : ١٦٨ (٣) الرحمن : ٥٤

(٤) هو من قصيدة له فى مدح محمد بن يوسف ، وقيل :

خَلَقَ اللَّهُ يَا مُحَمَّدُ أَخْلَا قَلْبَكَ مَجْدًا فِى طِيءٍ وَسَنَاءٍ

وقوله « هبت » بمعنى ثارت وهاجت ، والهباء : الغبار أو دقائق التراب ساطعة
 ومنثورة على وجه الأرض ، والشاهد فى قوله « هبت وهباء » ، وإنما لم يكونا من
 الاشتقاق لأن الهباء مأخوذ من « هَبَّ يَهْبُو » لا من « هَبَّ يَهَب » .

(٥) المكرران هما المتفقان لفظاً ومعنى بخلاف المتجانسين والملحقين بهما .

(٦) الأحزاب : ٣٧

(٧) هذا المثال وما قبله من رد العجز على الصدر فى المكررين ، والمثال الثالث من
 رد العجز على الصدر فى المتجانسين ، والرابع من رد العجز على الصدر فى الاشتقاق ،
 والخامس من رد العجز على الصدر فيما يشبه الاشتقاق .

(٨) نوح : ١٠ (٩) الشعراء : ١٦٨

(١٠) أى أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما ، وهى أقسام ثلاثة
 فى الأربعة بعدها فيكون المجموع اثنى عشر قسماً .

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه
ونحوه قول الآخر :

سُكْرَانُ سُكْرٌ هَوَى وَسُكْرٌ مُدَامَةٌ
والثاني كقول الحماسي :

تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمٍ عَرَارٍ نَجْدٍ
ونحوه قول أبي تمام :

وَلَمْ يَحْفَظْ مُضَاعَ الْمَجْدِ شَيْءٌ
والثالث كقوله أيضاً :

وَمَنْ كَانَ بِالْبَيْضِ الْكَوَاعِبَ مُغْرَمًا
والرابع كقول الحماسي :

(١) سبق هذا البيت في الكلام على حذف المسند إليه من الجزء الأول ، وهذا الشاهد فيما يكون المكرر الآخر في صدر المصراع الأول .

(٢) هو للخليع الدمشقي ، وقد ذكر الثعالبي في « يتيمة الدهر » أن كنيته أبو عبد الله وأن اسمه ذهب عنه ، وقوله « سكران » مبتدأ خبره محذوف تقديره « بى سكران » والهوى : الحب ، والمدامة : الخمر ، و « أنى » اسم استفهام بمعنى كيف .

(٣) هو للصمة بن عبد الله القشيري ، أو لجعدة بن معاوية بن حزم العقيلي ، وشميم مصدر - شَم - ، والعرار : بهار ناعم أصفر طيب الرائحة ، أو النرجس البري ، وهذا الشاهد فيما يكون المكرر الآخر في حشو المصراع الأول .

(٤) مضاع المجد : إضاعته مصدر ميمي منصوب بتقدير من الخافضة ، أى لم يحفظ من إضاعته المجد ، والمال المضاع : الذاهب في السخاء .

(٥) هو لأبى تمام كما يفيدته قول الخطيب (أيضاً) . والكواعب : جمع كاعب وهى الجارية حين يبدو ثديها للنهود ، والبيض القواضب : هى السيوف القواطع ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما بعد الفاء وتقديره « فلا شأن لى به » . وهذا الشاهد فيما يكون المكرر الآخر في آخر المصراع الأول ، والبيت من قصيدة له مطلعها :
عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو بِهِمْ وَلَعَلَّمَا
وَأَنْ تُعْتَبَ الْأَيَّامُ فِيهِمْ فَرِيحًا

- وإن لم يكن إلا مُعَرِّجَ ساعةٍ قليلاً فإني نافع لى قَلِيلِهَا (١)
والخامس كقول القاضى الأُرْجَانِي :
دَعَانِي مِن مَلَامِكَمَا سَفَاهَا فداعى الشوق قبلكما دَعَانِي (٢)
وقول الآخر :
سَلَّ سَبِيلًا إِلَى رَاحَةِ النَّفْسِ سِ بِرَاحٍ كَأَنَّهَا سَلْسَبِيلُ (٣)
وقول الآخر :
ذَوَاتِبُ سُودٍ كَالْعَنَاقِيدِ أُرْسِلَتْ فَمِنْ أَجْلِهَا مِنْهَا النَّفُوسُ ذَوَاتِبُ (٤)
والسادس كقول آخر :
وَإِذَا الْبَلَابِلُ أَفْصَحَتْ بِلِغَاتِهَا فَانْفِ الْبَلَابِلَ بِاحْتِسَاءٍ بِلَابِلِ (٥)

(١) هو لغيلان بن عقبة المعروف بذي الرمة . واسم « يكن » يعود على الإلام المفهوم من قوله قبله :

أَلَمَّا عَلَى الدَّارِ التِّي لَوْ وَجَدْتُهَا بِهَا أَهْلَهَا مَا كَانَ وَحْشًا مَقِيلَهَا
ومعَرِّج : مصدر ميمي بمعنى الوقوف واللبث ، وقوله « قليلا » صفة له ، وهذا الشاهد فيما يكون المكرر الآخر فى صدر المصراع الثانى .
(٢) هو لأحمد بن محمد بن الحسين المعروف بالقاضى الأُرْجَانِي من قصيدة له مطلعها قبل هذا البيت :

إِذَا لَمْ تَقْدِرَا أَنْ تَسْعِدَانِي عَلَى شَجَنِي فَسِيرَا وَاتْرَكَانِي
وقوله « دعانى » فى صدر البيت بمعنى اتركانى ، فى آخره بمعنى نادانى . والسفاه : الخفة وقلة العقل . وهذا الشاهد فيما يكون المتجانس الآخر فى صدر المصراع الأول .
(٣) لا يعرف قائله . والضمير فى قوله « فيها » لروضة يصفها ، والراح : الخمر ، والسلسبيل : الماء العذب ، والشاهد فى قوله « سل سبيلا وسلسبيل » .

(٤) هو لأبى الحسن نصر المرغينانى . والشاهد فى ذوائب الأولى جمع ذؤابه وهى أعلى شعر الرأس ، وذوائب الثانية جمع ذائبة بمعنى سائلة .

(٥) هو لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل المعروف بأبى منصور الثعالبى . وقد وردت البلابل فيه جمع بلبل وهو طائر يضرب به المثل فى طلاقة اللسان ، ثم جمع بلبال وهو الهم ، ثم جمع بلبل وهو قناة الإبريق التى يصب منها الخمر ونحوه . وقوله « أفصحت بلغاتها » بمعنى أخلصت نغماتها ، والاحتساء : الشرب . وهذا الشاهد فيما يكون المتجانس الآخر فى حشو المصراع الأول .

- والسابع كقوله الحريري :
- فَمَشْغُوفٌ بِآيَاتِ الْمَثَانِي وَمَقْتُونٌ بِرِثَاتِ الْمَثَانِي (١)
- والثامن كقول القاضي الأرجاني :
- أَمَلْتُهُمْ ثُمَّ تَأَمَّلْتُهُمْ فَلَاحَ لِي أَنْ لَيْسَ فِيهِمْ فَلَاحُ (٢)
- والتاسع كقول البحتري :
- ضَرَائِبُ أَبْدَعْتَهَا فِي السَّمَاحِ فَلَسْنَا نَرَى لَكَ فِيهَا ضَرْبًا (٣)
- والعاشر كقول امرئ القيس :
- إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْزَنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ يَخْزَانُ (٤)

- (١) هو للقاسم بن علي المعروف بالحريري ، وقبلة :
بها ما شئت من دين ودنيا وجيرانُ تناقوا في المعاني
والضمير في قوله « بها » للبصرة ، وقوله « تناقوا » بمعنى اختلفوا ، والمشغوف :
المولع ، والمراد بالثاني في الأول : القرآن ، وفي آخر البيت : أوتار المزامير ، ورناتها
نغماتها ، وهذا الشاهد فيما يكون المتجانس الآخر في آخر المصراع الأول .
- (٢) قوله « أملتهم » بمعنى رجوت خيرهم ، وقوله « تأملتهم » بمعنى فكرت في
أحوالهم . وهذا الشاهد فيما يكون المتجانس الآخر في صدر المصراع في الثاني ، وقد
سبق بيان اسم القاضي الأرجاني في شاهد القسم الخامس ، والبيت من قصيدة له في مدح
شمس الملك بن نظام الملك ، وقبلة :
- يفديك قوم حاولوا ضلّة تناوّل المجسد بأيّد شحاح
معاشر أموالهم في حمى وعرضهم من لؤمهم مستباح
- (٣) الملحق أن هذا البيت للسري بن أحمد المعروف بالسري الرقاء في مدح أبي الفوارس
سلامة بن فهد ، وقد أخذه من قول البحتري في مدح الفتح بن خاقان :
- بَلَوْنَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لَفَتْحَ ضَرْبًا
- والضرائب : جمع ضريبة وهي الطبيعة التي ضربت للرجل وطبع عليها ، والضريب :
المثيل ، وهو في الأصل المثل من القداح المضروبة في المنبر ، فهو متفق في الاشتقاق مع
ضرائب ، وهذا الشاهد فيما يكون الملحق الآخر بالمتجانسين في صدر المصراع الأول .
- (٤) قوله « لم يخزن » بمعنى لم يحفظ ، والمراد من اللسان السر على المجاز المرسل ،
والمعنى : أنه إذا لم يحفظ سر نفسه لم يحفظ سر غيره من باب أولى . وهذا الشاهد فيما
يكون فيه الملحق الآخر بالمتجانسين في حشو المصراع الأول ، وهو من الاشتقاق كما هو ظاهر .

وقول أبي العلاء المعري :

لو اختصرتُم من الإحسان زُرْتُكُمْ والعذب يُهَجَّرُ للإفراطِ في الخَصْرِ (١)

والحادى عشر كقول الآخر :

قدَّع الوعيدَ فَمَا وعيدُك ضائري أَطْنِئْ أجنحة الذُّبابِ يَضِيرُ (٢)

والثانى عشر كقول أبى تمام :

وقد كانت البيضُ القواضبُ فى الوغَى بَوَاتَرَ فهِى الآنَ مِن بعده بُتْرُ (٣)

السجع وأقسامه : ومنه السجع ، وهو تواطؤ الفاصلتين (٤) من النثر على

(١) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعري من قصيدة له فى مدح أبى الرضاء المصيصى ، وقوله « اختصرتُم » بمعنى أقللتُم ، والعذب = الطيب المستساغ من الشراب ونحوه والمراد به الماء العذب ، والخصر : البرودة ، والظاهر أنه يمدحهم بذلك ، ويجوز أن يراد ذمهم بالتبذير ، ولهذا يشبه أن يكون من التوجيه ، وفيه أيضاً حسن التعليل ، والشاهد فى قوله « اختصرتُم والخصر » وهو ما يشبه الاشتقاق ، لأن الأول مأخوذ من الاختصار ، والثانى من « خصر » بمعنى برد .

(٢) هو لعبد الله بن محمد بن عيينة المهلبى فى على بن محمد العلوى ، وكان قد دعاه إلى نصرته فلم يجبه فتوعده ، وقيل البيت :

أعلى إنك جاهلٌ مغرور لا ظلمة لك لا ولا لك نورٌ

والوعيد : التهديد بالشر ، والضائر : اسم فاعل من الضير وهو الضرر ، وهذا الشاهد فيما يكون الملحق الآخر بالمتجانسين فى آخر المصراع الأول . وهو من الاشتقاق كما هو ظاهر .

(٣) هو من قصيدته فى رثاء محمد بن حميد ، وضمير « بعده » له ، والبيض القواضب : السيوف القواطع ، والوغى : الحرب ، والبواتر : القواطع ، والبتر : جمع أبتَر وهو المقطوع أو مقطوع الذنب والمراد أنها مقطوعة الفائدة على الاستعارة ، يعنى أنها كانت قواطع فى عهده لحسن استعماله لها ، فلما مات لم تجد من يحسن استعمالها فصارت مقطوعة الفائدة . وهذا الشاهد فيما يكون فيه الملحق الآخر بالمتجانسين فى صدر المصراع الثانى ، وهو من الاشتقاق أيضاً .

(٤) هما الكلمتان الأخيرتان من الفقرتين ، والمراد تواطؤهما على حرف واحد فى آخرهما .

حرف واحد ، وهذا معنى قول السكاكى ^(١) : « الأسجاع فى النثر كالقوافى فى الشعر » وهو ثلاثة أضراب : مُطَرَّفٌ ، وَمُتَوَازٍ ، وترصيع .

* السجع المطرَّف : لأن الفاصلتين إن اختلفتا فى الوزن ^(٢) فهو السجع المطرَّف ^(٣) . كقوله ^(٤) تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً ، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾ .

* الترصيع : وإلا فإن كان ما فى إحدى القرينتين ^(٥) من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى فى الوزن والتقفية فهو الترصيع ، كقول الحريرى : « فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه » وكقول أبى الفضل الهمدانى : « إن بعد الكدر صفواً ، وبعد المطر صحواً » . وقول أبى الفتح البستي : « ليكن إقدامك توكلأ ، وإحجامك تأملاً » .

* السجع المتوازى : وإلا فهو السجع المتوازى ، كقوله ^(٦) تعالى : ﴿ فيها سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ وفى دعاء النبى ﷺ : « اللهم إني أدرأ بك فى نحورهم ، وأعوذ بك من شرورهم » .

شروط حسن السجع : وشرط حسن السجع اختلاف قرينتيه فى المعنى كما مر ^(٧) ، لا كقول ابن عبَّاد فى مهزومين : « طاروا وأقين بظهورهم صدورهم ، وبأصلاهم نحورهم » .

(١) ٢٢٨ - المفتاح ، وما ذكره تعريف بالمثال .

(٢) أى العروضى لا الصرفى .

(٣) سمى بهذا لبلوغه طرف الحسن ونهايته بالنسبة إلى غيره .

(٤) نوح ١٣ ، ١٤ (٥) هما الفقرتان سميتا بذلك لتقارنهما .

(٦) الغاشية : ١٣ ، ١٤

(٧) أى من الأمثلة ، وقيل : إن هذا ليس بشرط ، لأن السجعة الثانية تؤكد الأولى ، والتأكيد عمدة البيان والكتابة ، وقد وقع هذا فى القرآن ، كقوله سورة الناس ١ ، ٢ ، ٣ : ﴿ قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس إله الناس ﴾ لكن التأكيد له مقام يقتضيه ، فلا يصح أن يكون تكرار المعنى لأجل السجع فقط ، ويشترط فيه أيضاً أن تكون ألفاظه فى تركيبها تابعة لمعناها لا عكسه ، وأن يقع فيما يليق به من خطابة ونحوها ، لا كما قال =

قيل : وأحسن السجع ما تساوت قرائنه ^(١) كقوله ^(٢) تعالى : ﴿ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ، وَظَلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ . ثم ما طالت ^(٣) قرينته الثانية ، كقوله : ﴿ وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ ^(٤) ، أو الثالثة ، كقوله ^(٥) تعالى : ﴿ خَذُوهُ ، فَغْلُوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ وقول أبى الفضل الميكالى : له الأمر المطاع ، والشرف اليَقَاع ، والعرضُ المصون ، والمال المضاع . وقد اجتمعا فى قوله ^(٦) تعالى : ﴿ وَالْعَصْرُ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفَىٰ خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ ولا يحسن أن تولى قرينته أقصر منها كثيراً ^(٧) لأن السجع إذا استوفى أمدّه من الأولى لطولها ثم جاءت الثانية أقصر منها كثيراً يكون كالشئء المبتور ، ويبقى السامع كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها ، والذوق يشهد بذلك ويقضى بصحته .

* السجع القصير والطويل والمتوسط : ثم السجع إمّا قصير ، كقوله ^(٨) تعالى : ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴾ .

= صاحب بن عباد للقاضى : « قم أيها القاضى بقم ، قد عزلناك فقم » . فقال القاضى : « واللّه ما عزلنى إلا هذه السجعة » . وقد ورد أن النبى ﷺ قضى فى جنين امرأة ضربتها أخرى - فسقط ميتاً - بغرة ، فقال رجل : « كيف ندى من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل ، ومثله ذمه يطلّ ٤١ » . فقال ﷺ : « إياكم وسجع الكهان » وكانوا يتكهنون ويحكون بالأسجاع ، فيتكلفونها فى موضع لا يليق بها .

(١) أى فى عدد الكلمات وإن كانت إحدى الكلمات أكثر حروفا من كلمة القرينة الأخرى . (٢) الواقعة : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) لكن يجب أن يكون الطول غير فاحش بأن تكون الزيادة ثلثاً فأقل ، فإن كانت أكثر من ذلك كانت قبيحة ، إلا إذا كانت بعد فقرتين فأكثر ، لأن الأوليين يكونان حيثئذ بمنزلة فقرة واحدة . (٤) النجم : ١ ، ٢ .

(٥) الحاقة : ٣٠ ، ٣١ ، والفقرة الأولى فى الآية ﴿ خذوه ﴾ والثانى ﴿ فغلوه ﴾ والثالثة ﴿ ثم الجحيم صلوه ﴾ ولا تأثر الفاء مساواة الثانية للأولى فى كون كل منهما كلمة واحدة . (٦) العصر : ١ ، ٢ ، ٣ .

(٧) بخلاف القصر القليل كقوله تعالى سورة الفيل ١ ، ٢ ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم فى تضليل ﴾ . (٨) المرسلات : ١ ، ٢ .

أو طويل (١) : كقوله (٢) تعالى : ﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَتَنَّازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ، وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ .

أو متوسط : كقوله (٣) تعالى : ﴿ افْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ .

ومن لطيف السجع قول البديع الهمداني من كتاب له إلى ابن فريغون (٤) : « كتابي والبحر وإن لم أره ، فقد سمعت خبره ، والليث وإن لم ألقه ، فقد تصورت خلقه ، والمملك العادل وإن لم أكن لقيته ، فقد لقيني صيته ، ومن رأى من السيف أثره ، فقد رأى أكثره » (٥) .

سكون أعجاز الفواصل (٦) : واعلم أن فواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز ، موقوفاً عليها ، لأن الغرض أن يزاوج بينها ، ولا يتم ذلك في كل صورة إلا بالوقف ، ألا ترى أنك لو وصلت قولهم « ما أبعد ما فات ، وما أقرب ما هو آت » لم يكن بد من إجراء كل من الفاصلتين على ما يقتضيه حكم الإعراب فينفوت الغرض من السجع ، وإذا رأيتهم يخرجون الكلم عن أوضاعها للازدواج في قولهم « إني لآتيه بالغدايا والعشايا » أي بالتعدوات (٧) ، فما ظنك بهم في ذلك ؟

(١) ذهب الباقلاني في « إعجاز القرآن » إلى أن السجع الطويل غير مرضى ولا محمود ، وهذا خطأ لوقوعه في القرآن ، ولعله ممن لا يسمى ما في القرآن سجعاً ، وسيأتي الخلاف في ذلك .

(٣) القمر : ١ ، ٢

(٢) الأنفال : ٤٣ ، ٤٤

(٤) في رسائل بديع الزمان : وله إلى الأمير ابن الحارث محمد مولى أمير المؤمنين .

(٥) لطف هذا السجع من جهة قصره واتفاق أسلوب فقراته في الشرطية .

(٦) هذا السكون واجب عند اختلاف الحركات الإعرابية ، مستحسن عند اتفاقها .

(٧) لأن غدوة تجمع على غدوات لا على غدايا ، فلا يقال « غدايا » إلا مع « عشايا » وهذا على أن غدايا جمع غدوة لا غدوية ، وإلا كان جمعاً صحيحاً وإن لم يكن معه « عشايا » والأقرب حمل قولهم على هذا ، لأنه لا يصح تكلف حلية لفظية إلى هذا الحد .

الخلاف فى إطلاق السجع فى القرآن والشعر :

وقيل : إنه لا يقال « فى القرآن أسجاع » وإنما يقال « فواصل » (١) . وقيل : السجع غير مختص بالنثر ، ومثاله من الشعر (٢) قول أبى تمام :
تجلى به رُشدِي ، وأثرت به يَدِي . وفاض به ثِمْدِي ، وأورى به زندي (٣)
وكذا قول الخنساء :

حامى الحقيقة ، محمود الخليفة ، مهـ
سدى الطريقة ، نفاع وصرار (٤)
وكذا قول الآخر :

ومكارم أوليتها متبرعا وجرائم أغيتها متورعا (٥)
وهو (٦) ظاهر التكلف (٧) . وهذا القائل لا يشترط التقفية فى العروض

(١) الحق أن منع إطلاق ذلك عليه رعاية للأدب فقط ، لأن السجع فى الأصل هذيل الحمائم ونحوه ، وقيل : إنه لا شئ فى أن يقال فى القرآن أسجاع .

(٢) أكثره فى الشعر على ضربين : أن يجعل كل شطر فقرتين لكل فقرة سبعة ، وأن يجعل كل شطر فقرة كما فى البيت الثالث ، ونحوه مزدوجة أبى العتاهية :

حسبك مما تبتغيه القوتُ ما أكثر القوتُ لمن يموتُ
الفقرُ فيما جاوز الكفافا من اتقى الله رجاء وخافا

وقد يأتى على غير هذين الضربين كما فى بيت الخنساء .

(٣) هو من قصيدة له فى مدح نصر بن منصور ، وقوله « تجلى » بمعنى ظهر ، وقوله « أثرت » بمعنى اغتننت ، والشد : فى الأصل الماء القليل والمراد به المال القليل على سبيل الاستعارة ، وقوله « أورى » بمعنى صار ذا ورى أى نار ، والزند : العود الأعلى الذى يقتدح به النار ، وهذا كناية عن الظفر المطلوب ، والشاهد فى اتفاق فواصله فى الدال .

(٤) هو لتماضر بنت عمرو بن الشريد المعروفة بالخنساء فى أخيها صخر ، والحقيقة : ما يجب على الإنسان أن يحميه من عرض ونحوه ، والحقيقة : السجية . والشاهد فى اتفاق فواصله فى القاف .

(٥) لا يعرف قائله . وقوله « أوليتها » بمعنى أعطيتها ، والمتبرع : المعطى من غير طلب ، وقوله « أغيتها » بمعنى أبطلتها ، والمتورع : المتمنع عن الانتقام ، وفى رواية : « فمكارم » . (٦) أى السجع فى الشعر .

(٧) لأن الشعر فيه ضيق الوزن ، فلا يليق أن يضاف إليه ضيق آخر بالتزام السجع .

والضرب (١١) كقولہ :

وَزَنْدٌ نَدَى فَوَاضِلِهِ ، وَرَى
وَرَنْدٌ رَبَّى فَضَائِلِهِ نَضِيرٌ (٢)
التشطير : ومن السجع على هذا القول (٣) ما يُسَمَّى التشطير ، وهو أن يُجعل
كل من شطري البيت سبعة مخالفة لأختها (٤) كقول أبي تمام :
تَدْبِيرٌ مَعْتَصِمٌ ، بِاللَّهِ مَنَّتَقِمٌ لِلَّهِ مَرْتَعِبٌ ، فِي اللَّهِ مَرْتَقِبٌ (٥)
التصريح : ومنه ما يسمى التصريح ، وهو جعل العروض مُقَفَّاةً تقفية الضرب ،
كقول أبي فراس :
بِأَطْرَافِ الْمُثَقَّفَةِ الْعَوَالِي تَفَرَّدَتَا بِأَوْسَاطِ الْمَعَالِي (٦)

(١) العروض : الجزء الأخير من الشطر الأول في البيت ، والضرب : الجزء الأخير من
الشطر الثاني في البيت .

(٢) هو لناصر بن عبد السيد المعروف بأبي الفتح المطرزي ، والزند : العود الأعلى
الذي يقتدح به النار ، وإثباته للندي تخييل ، والفواضل العطايا ، والورى : ذو النار فمن
يقدهه يظفر بمزاده ، والرند : نبات طيب الرائحة ، والربي : جمع ربة وهي ما ارتفع من
الأرض ، والكلام مبني على الاستعارة ، والشاهد في أن التقفية في حشو البيت بين -
فواضله وفضائله - لا في العروض والضرب ، ورواية « بغية الوعاة » للسيوطي :

وزند ندى فواضله ورى ورنند ربي خواضله نضير
ودر خلاله أبدا ثمين ودر نواله أبدا غزير

والظاهر أن « خواضله » تحريف عن فضائله .

(٣) أي القول بأن السجع يأتي في الشعر .

(٤) أي مسجوعا سبعة مخالفة لأختها ، بأن يكون كل شطر فقرتين تخالف الأوليان
منهما الأخرتين في التقفية .

(٥) هو من قصيدة له في مدح المعتصم بن هارون الرشيد ، وقوله « بالله » متعلق
بمعتصم ، وقوله « لله » متعلق بمنتقم ، وقوله « في الله » متعلق بمرتغب أي راغب في
ثوابه ، والمرتقب : الخائف من عقابه ، والشاهد في تركيب الشطر الأول من فقرتين متفتحتين
في الميم ، والشطر الثاني من فقرتين متفتحتين في الباء .

(٦) هو لأبي الحارث بن أبي العلاء المعروف بأبي فراس الحمداني . والمثقفة :
المقومة ، والعوالى : الرماح بدل أو عطف بيان ، والأوساط : جمع وسط الشيء وهو
أفضل شيء فيه . والشاهد في تقفية العروض والضرب في اللام .

وهو مما استُحسنَ حتى إن أكثر الشعر صُرِّعَ البيت الأول منه (١) ؛ ولذلك متى خالفت العروض الضربَ في الوزن جاز أن يجعل مُوازنةً له إذا كان البيت مُصرعاً كقول امرئ القيس :

أَلَا عَمَّ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يَنْعَمَنَّ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي (٢)
أتى بعروض الطويل « مَقَاعِلُنْ » ، وذلك لا يصح إذا لم يكن البيت مصرعاً (٣) ، ولهذا خُطِيءَ أبو الطيب في قوله :

تَفَكَّرَةٌ عِلْمٌ وَمَنْطِقَةٌ حُكْمٌ وَيَاطُنُّهُ دِينٌ وَظَاهِرُهُ ظَرْفٌ (٤)

الموازنة والمماثلة : ومنه الموازنة ، وهي أن تكون الفاصلتان (٥) متساويتين في الوزن دون التقفية ، كقوله (٦) تعالى : ﴿ وَتَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ، وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ . فإن كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ ، أو أكثر ما فيها ، مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن خص باسم المماثلة ، كقوله (٧) تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ، وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ . وقول أبي تمام :

(١) كذلك يستحسن في الانتقال في القصائد من غرض إلى غرض ، كالانتقال من النسيب إلى المدح .

(٢) قوله « عم » أمر من « وَعَمَّ الدِّيار » بمعنى حياها . وفي رواية : « أَلَا أَنْعَمَ » والطلُّ : ما شخص من آثار الديار ، والعُصْرُ : الدهر ضُمَّتْ صاده للوزن ، والخالِي : الماضي .

(٣) لأنه يجب قبضها بحذف الخامس الساكن ، فتصير « مَقَاعِلُنْ » .

(٤) هو من قصيدة له في مدح أحمد بن الحسين القاضي . والحكم : بمعنى الحكمة ، والظرف مصدر « ظَرْفٌ » فهو ظريف أي كيس حسن الهيئة . والشاهد في عدم قبضه عروض الطويل من غير تصريح ، وقد اعتذر له من وجهين ، أن هذا جاء عن العرب ، وأنه الأصل .

(٥) يعني بهما الكلمتين الأخيرتين من الفترتين أو المصراعين ، لأنها تأتي في النثر والشعر .

(٦) الغاشية : ١٥ ، ١٦ ، والفاصلتان في الآيتين « مصفوفة ومبثوثة » والتقفية في الأولى على الفاء وفي الثانية على التاء . ولا ينظر إلى تاء التانيث فيها لأنها لا تعد من حروف القافية لإبدالها هاء في الوقف . (٧) الصفات : ١١٧ ، ١١٨

مَهَا الْوَحْشُ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ قَتْنَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ تَلَكَ ذَوَابِلُ (١)
وقول البحتري :

فَأَحْجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَعًا وَأَقْدَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبًا (٢)
القلب : ومنه القلب (٣) ، كقولك « أرض خضراء » ، وقول عماد الدين
الكاتب للقاضي الفاضل : « سرّ فلا كُبا بكّ الفرس » . وجواب القاضي = « دام
عُلا العماد » . وقول القاضي الأرجاني :
مَوَدَّتُهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوْلٍ وَهَلْ كُلُّ مَوَدَّتِهِ تَدُومُ (٤)

(١) سبق هذا البيت في الكلام على الطباق من هذا الجزء ، والشاهد في تساوى
الفاصلتين « أوانس وذوابل » في الوزن دون التقفية .

(٢) هو من قصيدة له في وصف مبارزة الفتح بن خاقان للأسد . والضمير في قوله :
« أحجم » للأسد الذي بارزه ، والمطمع : محل الطمع ، والمهرب : محل الهرب ، يعنى
أن الأسد أحجم عنه لأنه لم يجد فيه مطمعا لقوته ، فلما عرف أنه لا ينجو منه أقدم
دهشا إليه ، والشاهد في تساوى الفاصلتين « مطمعا ومهربا » في الوزن دون التقفية .

(٣) هو أن يكون الكلام بحيث لو عكس كان الحاصل من عكسه هو ذلك الكلام بعينه
ولا يخفى ما فيه من التكلف . وما جاء منه في القرآن فهو غير مقصود فيه ، فلا يرد
عليه ما يرد على من يتكلفه .

(٤) هو لأحمد بن محمد بن الحسين المعروف بالقاضي الأرجاني . والهول : المخافة من
الأمر ، والاستفهام في قوله « وهل كل ... » للإنكار ، والمراد وصف صاحبه بالوفاء من
بين الأصحاب . وقبل البيت :

أَحَبُّ الْمَرْءِ ظَاهِرُهُ جَمِيلٌ لَصَاحِبِهِ ، وَبَاطِنُهُ سَلِيمٌ

هذا وما ذكره الخطيب كله في قلب الحروف .

وقد يكون القلب في الكلمات كقوله الشاعر :

عَدَلُوا فَمَا ظَلَمْتُ لَهُمْ دَوْلَ سَعَدُوا فَمَا زَالَتْ لَهُمْ نِعَمُ
بَذَلُوا فَمَا شَحَتْ لَهُمْ شَيْمُ رَفَعُوا فَمَا زَلَتْ لَهُمْ قَدَمُ

وهو مدح فإذا قلبت كلماته كان ذما ، وهذا قلبه :

نِعَمٌ لَهُمْ زَالَتْ فَمَا سَعَدُوا دَوْلُ لَهُمْ ظَلَمْتُ فَمَا عَدَلُوا
قَدَمُ لَهُمْ زَلَتْ فَمَا رَفَعُوا شَيْمُ لَهُمْ شَحَتْ فَمَا بَذَلُوا

وفى التنزيل ﴿ كل في فلك ﴾ (١) وفيه ﴿ ورَّيكَ فَكَبَّرُ ﴾ (٢) .

التشريع : ومنه التشريع ، وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى على الوقوف على كل واحدة منهما (٣) كقول الحريري :

يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الرذی وقرارة الأكدار (٤)

الأبيات ...

= وقد يكون القلب فى المفرد ، نحو « سلس وباب » ، ولا يضر فى القلب مد المقصور ولا قصر الممدود ، نحو « أرض خضراء » ، ولا يضر فيه أيضاً تخفيف المشدد أو تشديد المخفف ، نحو ﴿ كل فى فلك ﴾ ، وكذلك جعل الألف همزة أو الهمزة ألفاً أو تبديل بعض الحركات والسكنات .

(٢) المدثر : ٣

(١) الأنبياء : ٣٣

(٣) لا يخفى ما فى التشريع من التكلف ، وإنما يقبل منه القليل الذى لا تكلف فيه ، وقد بنى البيت فيه على أكثر من قافيتين ، كقول الحريري من أول الكامل :

وتعطفى بوصاله وترحمى
ثم اكشفي عن حاله لا تظلمى

جودى على المستهتر الصب الجوى
ذا المبتلى المتفكر القلب الشجى
فإنه يمكن أن يقال فيه من منهوك الرجز :

ذا المبتلى المتفكر

جودى على المستهتر

ويمكن أن يقال فيه من مشطور الرجز الأحد :

ذا المبتلى المتفكر القلب

جودى على المستهتر الصب

ويمكن أن يقال فيه من مجزوء الرجز :

ب الجوى وتعطفى
قلب الشجى ثم اكشفي

جودى على المستهتر الصب
ذا المبتلى المتفكر القلب

ويمكن أن يقال فيه :

وتعطفى بوصاله
ثم اكشفي عن حاله

جودى على المستهتر الصب الجوى
ذا المبتلى المتفكر القلب الشجى

(٤) هو من قصيدة للقاسم بن على المعروف بالحريري فى المقامة الشعرية ، وبعده :

أبكت غد تبا لها من دار
لا يفتدى بجلال الأخطار =

دار متى ما أضحكت فى يومها
غاراتها لا تنقضى وأسيرها

لزوم ما لا يلزم : ومنه لزوم ما لا يلزم ، وهو أن يجيء قبل حرف الروي أو ما
 في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في مذهب السجع ^(١) كقوله ^(٢) تعالى :
 ﴿ فَإِذَا هُمْ مَبْصُرُونَ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَنَى ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ ﴾ وقوله : ﴿ فَأَمَّا
 الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ ^(٣) وقول الشاعر :

سأشكر عُمراً إن تراخت منيتي	أيادي لسم تُمنن وإن هي جلت
فتى غير محبوب الغنى عن صديقه	ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها	فكانت قدى عينيه حتى تجلت ^(٤)

وقول الآخر

يقولون : فى البستان للعين لذة	وفى الخمر والماء الذى غير آسن
إذا شئت أن تلقى المحاسن كلها	ففى وجه من تهوى جميع المحاسن ^(٥)

= والمخاطب : الطالب ، والدنية : الحقيرة ، والردى : الهلاك ، وقرارة الشيء : ماقر فيه
 وسكن ، والشاهد فى أنه يمكن أن يُركب ذلك من مجزوء الكامل ، فيقال :

يا خاطب الدنيا الدنية	إنها شرك الردى
دار متى ما أضحكت	فى يومها أبكت غدا
غاراتها لا تنقضى	وأسيورها لا يفتدى

(١) إنما لم يقل « فى مذهب السجع أو القافية » كما هو مقتضى السياق للإشارة إلى
 أن لزوم ما يلزم ضرب من السجع وإن وقع فى الشعر ، ولا يخفى ما فى لزوم ما لا يلزم
 من التكلف ، وما جاء منه فى القرآن فهو غير مقصود فيه ، فلا يرد عليه ما يرد على
 من يتكلفه .

(٢) الأعراف : ٢٠١ ، ٢٠٢ (٣) الضحى : ٩ ، ١٠

(٤) سبق البيتان الأولان فى الكلام على حذف المسند إليه من الجزء الأول . والخلة :
 فى البيت الثالث الحاجة ، والقذى : الرمد ، وقوله « تجلت » بمعنى انكشفت ، والشاهد
 فى التزامه اللام المشددة والفتحة قبلها فى الأبيات الثلاثة .

(٥) هما لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى ، وقوله « الذى غير آسن »
 تقديره الذى هو غير آسن ، فحذف فيه صدر الصلة ، والآسن : المتغير ، وقوله « تهوى »
 بمعنى تحب ، والشاهد فى التزامه السين والألف قبلها فى البيتين .

وقد يكون ذلك فى غير الفاصلتين أيضاً^(١) ، كقول الحريرى : « وما اشتال العسل ، من اختار الكسل » .

أصل الحسن فى القسم اللفظى : وأصل الحسن فى جميع ذلك - أعنى القسم اللفظى - كما قال الشيخ عبد القاهر^(٢) هو أن تكون الألفاظ تابعة للمعانى^(٣) فإن المعانى إذا أُرسلت على سجيتهما وتُركت وما تريد طلبت لأنفسها الألفاظ ، ولم تكنس إلا بما يليق بها ، فإن كل خلاف ذلك كان كما قال أبو الطيب :
إذا لم تُشاهد غير حُسْنِ شَيَاتِهَا وأعضائها فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبٌ^(٤)

= هذا والتزام ما لا يلزم قد يكون فى الحرف والحركة معاً فى الأمثلة المذكورة. وقد يكون فى الحرف وحده ، كقوله تعالى آية ١ ، ٢ القمر : « اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يُعرضوا ويقولوا سحر مستمر » وقد يكون فى الحركة وحدها ، كقول ابن الرومى :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بُكاءُ الطفل ساعة يولد
وإلا فما يبكيه منها وإنها لأوسع مما كان فيه وأرغد

(١) بأن يكون فى الكلمات التى قبلها ، كما فى « اشتال واختار » فى قول الحريرى .
(٢) ١٥ - أسرار البلاغة .

(٣) بأن يراعى فيها أولاً ما يقتضيه الحال ثم يأتى المحسن اللفظى بعد هذا فيتم به الحسن ، وإنما ذكر هذا هنا مع أنه سبق فى تعريف علم البديع لينبه على غلط بعض المتأخرين فيه ، ومثل المحسن اللفظى فى هذا ما سبق من المحسن المعنوى وإنما نبه عليه فى الأول فقط لأن الغلط فى التعلق به أكثر من الثانى .

(٤) الضمير فى « شياتها » لحيل يصفها فى قوله قبله :

وما الحيلُ إلا كالصديق قليلٌ وإن كثرتْ فى عين مَنْ لا يجربُ

والشيات : جمع شية وهى العلامة الظاهرة من لون ونحوه ، يعنى أن حسنها ليس فى صورتها وحدها وأن حسننها الكامل فى خصالها ، وكذلك الألفاظ والمعانى التى ساق البيت من أجلها .

وقد يقع فى كلام بعض المتأخرين ما حمل صاحبه فرط شغفه بأمر ترجع إلى ما له اسم فى البديع ، على أن ينسى أنه يتكلم ليغفهم ويقول ليئين ، ويخيل إليه أنه إذا جمع عدة من أقسام البديع فى بيت فلا ضير أن يقع ما عناء فى عمياء ، وأن يوقع السامع طلبه فى خبط عشواء (١١) .

* * *

(١) من ذلك تكلف الجناس فى قول أبى تمام :

قرت بقران عين الدين وانشرت بالآخرين عيون الشوك فاصطلما

وقران : علم ، والأشتران : تثنية الأشر علم أيضاً ، وقوله « انشرت » مطاوع - شتر العين : قلب جفنها ، و « شتر الشيء » قطعة ، وقوله « اصطلم » بمعنى استؤصل والبيت مع غثاء لفظه وسوء تجنيسه يؤخذ عليه أن انشتار العين لا يوجب الاصطلام .

تمرينات على المحسنات اللفظية

تمرين - ١

بين نوع المحسن اللفظي ووجه حسنه فيما يأتى :

- | | |
|--|--|
| (١) سَلْسِلْ خطوطك ما غَدَا مُتَسَلْسِلًا | شَاطِي الْجِمَامِ الزُّرْقِ بِالْأَغْصَانِ |
| وَاسْجَعْ بِشِعْرِكَ ما غَدَا مُتَصَلِّصًا | شَادِي الْحَمَامِ الْوُرْقِ بِالْأَلْحَانِ |
| (٢) هَلَالٌ فِى إِضَاءَةٍ حَيَاةٍ | شِهَابٌ فِى سَمَاحَتِهِ اتَّقَادُ |
| (٣) لَمْ يَقْضِ مِنْ حَقِّكَ بَعْضَ الَّذِى يَجِبُ | قَلْبُ مَتَى مَا جَرَى ذِكْرَاكُمْ يَجِبُ |
| (٤) أَسْكُرَتْنِى بِاللَفْظِ وَالْمُقْلَةِ الـ | كَحَلَاءٍ وَالْوَجْنَةِ وَالْكَاسِ |
| سَاقٍ يُرِينِى قَلْبَهُ قَسْوَةً | وَكُلُّ سَاقٍ قَلْبَهُ قَاسِي |

تمرين - ٢

بين نوع الجناس فى الأمثلة الآتية :

- | | |
|--|---|
| (١) تَحَمَّلْتُ خَوْفَ الْمَنِّ كُلَّ رَزِيئَةٍ | وَحَمَلْتُ رَزَايَا الدَّهْرِ أَحْلَى مِنَ الْمَنِّ |
| (٢) سِتْرُ الْمَحَبَةِ يَوْمَ الْبَيْنِ مُنْهَتِكُ | وَتَوْبُ صَبْرِي مِنَ الْأَشْوَاقِ مُنْهَتِكُ |
| (٣) لِعَيْنِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفُ عَبْرَةٍ | تُصَيِّرُنِي لِأَهْلِ الشُّوقِ عَبْرَةٍ |
| (٤) كُنْ كَيْفَ شِئْتَ عَنِ الْهَوَى لَا أَنْتَهَى | حَتَّى تَعُودَ لِي الْحَيَاةَ وَأَنْتَ هِىَ |
| (٥) مِنْ بَحْرٍ جُودِكَ أَغْتَرِفُ | وَيَقْيِضُ عِلْمِكَ أَعْتَرِفُ |
| (٦) عَطَفْتُ كَأَمْثَالِ الْقَسِيِّ حَوَاجِبَا | قَرَمْتُ غَدَاةَ الْبَيْنِ قَلْبَا وَاجِبَا |

تمرين - ٣

بين النوع المحسن اللفظي ووجه حسنه فيما يأتى :

- | | |
|--|---|
| (١) تَمَنَّتْ سُلَيْمَى أَنْ أَمُوتَ صَبَابَةً | وَأَهْوَنُ شَيْءٍ عِنْدَنَا مَا تَمَنَّتْ |
| (٢) اسْلَمْتُ وَدُمْتُ عَلَى الْحَوَادِثِ مَارَسَا | رُكْنَا ثَبِيرٍ أَوْ هَضَابٍ حِرَاءِ |
| وَتَلِ الْمَرَادَ مُمَكَّنَا مِنْهُ عَلَى | رَغْمِ الدَّهْورِ وَقُزْ بِطُولِ بَقَاءِ |

(٣) ضَحِكْنَا وَكَانَ الضَّحْكُ مِنَّا سَفَاهَةً
تَحَطَّمْنَا الْأَيَّامُ حَتَّى كَانَتْ
وَحَقُّ لِسْكَانِ الْبَسِيطَةِ أَنْ يَبْكُوا
زَجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادُ لَنَا سَبْكُ

قمرين - ٤

لماذا حسن الجناس في قول أبي الفتح ؟
نَاطِرَاهُ فِيمَا جَنَّتْ نَاطِرَاهُ
وَلَمْ يَحْسَنْ فِي قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :
ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ السَّمَاحَةُ فَالْتَوَتْ
أَوْ دَعَانِي أُمْتُ بَا أَوْ دَعَانِي
فِيهِ الظُّنُونُ أَمْ ذَهَبَ أَمْ مَذْهَبُ

قمرين - ٥

(١) كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصَوَّبَ الْغَمَامَ
يُعَلُّ بِهِ بَرْدٌ أَنْيَابُهَا
(٢) فَتَحْنُ فِي جَذَلٍ ، وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ
مُوفٍ عَلَى مُهَيِّجٍ ، فِي يَوْمِ ذِي رَهَاجٍ
وَرِيحَ الْخِزَامِيِّ وَنَشَرَ الْفُطْرُ
إِذَا طَرِبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحْجِرُ
وَالْبَرُّ فِي شَغْلٍ ، وَالْبَحْرُ فِي حَجَلٍ
كَأَنَّهُ أَجَلٌ يُسْعَى إِلَى أَمَلٍ

* * *

خاتمة

فى فصلين يُلحَقان بالبديع

هذا ما تيسر بإذن الله تعالى جمعه وتحريره من أصول الفن الثالث ، وبقيت أشياء يذكرها فيه بعض المصنفين :

منها ما يتعين إهماله لعدم دخوله فى فن البلاغة ، نحو ما يرجع فى التحسين إلى الخط دون اللفظ ، مع أنه لا يخلو من التكلف ، ككون الكلمتين متماثلتين فى الخط ، وكون الحروف منقوطة أو غير منقوطة . ونحو ما لا أثر له فى التحسين ، كما يُسمَّى « الترديد » (١) . أو لعدم جدواه ، نحو ما يوجد فى كتب بعض المتأخرين مما هو داخل فيما ذكرناه ، كما سماه : « الإيضاح » فإنه فى الحقيقة راجع إلى الإطناب (٢) أو خلط فيه ، كما سماه : « حسن البيان » (٣) .

ومنها ما لا بأس بذكره لاشتماله على فائدة (٤) وهو شيثان :

أحدهما : القول فى السرقات الشعرية وما يتصل بها .

والثانى : القول فى الابتداء والتخلص والانتهاء .

فعدنا فيهما فصلين ختمنا بهما الكتاب

(١) هو أن تعلق الكلمة بمعنى ثم تعلق بمعنى آخر فى مصراع أو مصراعين ، كقول الشاعر :

هَوَيْتَنى وهويتُ الغانيات إلى أن شبتُ فانصرفتُ عنهن آمالى
علق « هويتنى وهويت » بالغانيات . ومثاله فى المصراعين :

يُريك فى الروع بداراً لاح فى غسق فى ليث عريسة فى صورة الرجل
(٢) فيكون من علم المعانى لا من علم البديع .

(٣) هو كشف المعنى وإبصاله إلى النفس بسهولة ، والخلط فيه أنه من البيان لا البديع .

(٤) هى بيان حسن الأخذ وقبحه فى السرقات الشعرية ، وبيان مواضع حسن الابتداء والتخلص والانتهاء وقبحها ، وقيل : إن هذا ليس من علوم البلاغة ، وإنما يختم الكلام فيها به لاتصاله بها وتوقفه عليها ، والحق أن براعة الاستهلال وحسن التخلص وبراعة المقطع من صميم البديع لا من لواحقه ، فالأولى قصر ما يلحق بالبديع على السرقات الشعرية .

الفصل الأول السرقاا الشعريّة

السرقاا الشعريّة : اعلم أن اتفاق القائلين إنّ كان من الغرض على العموم ^(١) كالوصف بالشجاعة والسخاء والبلادة والذكاء فلا يُعدّ سرقة ولا استعانة ولا نحوهما ، فإن هذه أمور متقررة فى النفوس ، متصورة للعقول ، يشترك فيها الفصيح والأعجم ، والشاعر والمُفحّم .

وإن كان فى وجه الدلالة على الغرض ^(٢) وينقسم إلى أقسام كثيرة : منها التشبيه بما توجّد الصفة فيه ^(٣) على الوجه البليغ كما سبق ^(٤) ، ومنها ذكر هيئات تدل على الصفة لاختصاصها بمن له الصفة ، كوصف الرجل حال الحرب بالابتسام وسكون الجوارح وقلة الفكر ، كقوله :

كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسَمَاتِهِمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوَجُوهُ لِقَاءُ ^(٥)

وكذا وصف الجواد بالتهلل عند ورود العقاة والارتياح لرؤيتهم ، ووصف البخيل بالعبوس وقلة البشر مع سعة ذات اليد ومساعدة الدهر .

فإن كان مما يشترك الناس فى معرفته لاستقراره فى العقول والعادات ، كتشبيه الفتاة الحسنة بالشمس والبدر ، والجواد بالغيث والبحر ، والبليد البطيء بالحجر والحمار ، والشجاع الماضى بالسيف والنار - فالاتفاق فيه كالاتفاق فى عموم الغرض .

(١) الغرض : هو المعنى المقصود ، ومعنى كونه على العموم أنه يقصده كل الناس قلابد من أمرين : أن يكون الاتفاق فى الغرض لا فى الدلالة عليه ، وأن يكون الغرض عاماً ، فإذا كان الاتفاق فى الدلالة فهو مما يمكن أن يدعى فيه السبق والزيادة كما سيأتى ، وإن كان الاتفاق فى غرض خاص فهو مما يمكن أن يدعى هذا فيه أيضاً .

(٢) جواب « إن » سيأتى فى قوله « فإن كان مما يشترك الخ » وما قبله اعتراض ، ووجه الدلالة على الغرض هو طريقها من تشبيه أو حقيقة أو مجاز أو كناية .

(٣) الصفة : هى الغرض السابق .

(٤) أى فى الكلام على التشبيه فى الجزء الثالث .

(٥) هو لمحرز بن المكعب الضبى ، والقسمات : الوجوه ، وقوله « شف » بمعنى غير يعنى أن وجوههم تشرق فى الحرب على حين تتغير وجوه غيرهم فيها لهولها .

وإن كان مما لا يُنال إلا بفكرٍ ، ولا يصل إليه كل أحد ^(١) : فهذا الذى يجوز أن يُدعى فيه الاختصاص والسبق ، وأن يُقضى بين القائلين فيه بالتفاضل ، وأن أحدهما فيه أفضل من الآخر ، وأن الثانى زاد على الأول أو نقص عنه . وهو ضربان : أحدهما ما كان فى أصله خاصاً غريباً ، * والثانى ما كان فى أصله عاماً مبتدلاً ، لكن تُصرّف فيه بما أخرجه من كونه ظاهراً ساذجاً إلى خلاف ذلك ^(٢) ، وقد سبق ذكر أمثلتهما فى التشبيه والاستعارة ^(٣) .

إذا عرفت هذا فنقول :

الأخذ والسرقة نوعان : ظاهر وغير ظاهر .

أقسام السرقة الظاهرة : النسخ والانتحال :

أما الظاهر فهو أن يؤخذ المعنى كله إما مع اللفظ كله أو بعضه ^(٤) وإما وحده ، فإن كان المأخوذ اللفظ كله من غير تغيير لنظمه فهو مذموم ، لأنه سرقة محضة ، ويسمى نسخاً وانتحالا ، كما حكى أن عبد الله بن الزبير دخل على معاوية فأنشده : إذا أنت لم تُنصف أخاك وجدته على طرب الهجران إن كسان يعقل ^(٥) ويركب حد السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل ^(٦) فقال له معاوية « لقد شعرت بعدى يا أبا بكر » . ولم يفارق عبد الله المجلس حتى دخل معن بن أوس المزنى ، فأنشد كلمته التى أولها :

(١) بأن كان مجازاً مخصوصاً أو كناية أو تشبيها على وجه لطيف .

(٢) فإذا لم يتصرف فيه بذلك لم يجز أن يدعى فيه السبق والزيادة كالاتفاق فى عموم الغرض .

(٣) عند الكلام عليهما فى الجزء الثالث .

(٤) مثل أخذ اللفظ أخذ مرادفه كما سيأتى .

(٥) قوله « لم تنصف » بمعنى لم تعدل معه وتوفه حقه ، وطرف الهجران جانبه . والإضافة بيانية .

(٦) المراد بحد السيف ما يتحملة من الشدائد على سبيل الاستعارة ، و « من » فى

قوله « من أن تضيمه » للبدل أو للتعليل ، والضيم : الظلم ، وشفرة السيف : حده ، والمراد به ما يتحملة من الشدائد أيضاً ، والمزحل : المبعد .

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرَى وَإِنِّي لَأَوْجَلُ
عَلَى أَيُّنَا تَغْدُو المنيَّةُ أَوَّلُ (١)
حتى أتى عليها وفيها ما أنشده عبد الله ، فأقبل معاوية على عبد الله وقال له :
« ألم تخبرني أنهما لك ؟ » فقال : « المعنى لى واللفظ له ، وبعدُ فهو أخى من
الرضاعة وأنا أحقُّ بشعره » (٢) .

وقد رُويَ لأوس ولزهير فى قصيدتيهما (٣) هذا البيت :
إذا أنت لم تُعْرِضْ عن الجهل والخَنَا
أصبتَ حليماً أو أصابك جاهِلُ (٤)
وقد رُويَ للأبيردِّ البرُّومِيُّ :
فَتَى يشتري حُسْنَ الثناء بِماله
إذا السَّنةُ الشَّهْبَاءُ أعوزَها القَطْرُ (٥)
ولأبى نواس :

فَتَى يشتري حُسْنَ الثناء بِماله
ويعلم أن الدائِرَاتِ تدور (٦)

(١) لعمرك : قسم وهو مبتدأ وخبره محذوف تقديره قسمي ، وأوجل : أفعل تفضيل
من الوجل وهو الخوف ، وقوله « تغدو » بمعنى تصبح ، أو بالعين المهملة من العدو ،
والجار والمجرور متعلق بأدري ، وما قبله اعتراض .

(٢) هذا اعتذار بارد وإن تظنَّ فيه .

(٣) يعنى قصيدة أوس بن حجر التى مطلعها :

أيا راكباً إما عرضتَ فبلغن
وقصيده زهير بن أبى سلمى التى مطلعها :

لسلمى بشرقى القنانِ منازلُ
ورمَّ بصحراء اللبَّيينِ حائلُ

(٤) قوله « لم تعرض » بمعنى لم تنصرف ، والخنا : الفحش ، والحليم : العاقل ،
والمراد « أصبتَ حليماً بجهلك أو أصابك جاهل بجهله » .

(٥) هو للأبيردِّ بن قيس بن المعذر من مريثة له فى أخيه مطلعها :

تطاوَل ليلى لم أنمهُ تقلبا
كأنَّ فراشى حال من دونه الجمرُ

والشهباء : المجدبة ، وقوله « أعوزها القطر » بمعنى احتاجت إليه . والقطر : المطر ،
وهذا كناية عن انقطاعه فيها .

(٦) هو من قصيدة للحسن بن هانى المعروف بأبى نواس فى مدح الخصيب . والدائرات :
الدواهي ، وقوله « تدور » بمعنى تتقلب ويداولها الله بين الناس ، وقبل البيت :

إذا لم تُزُرْ أرضَ الخصيبِ ركبنا
فأى فتى بعد الخصيبِ تزورُ

- وقد روى لبعض المتقدمين مدح معبدًا :
- أجاد طويسٌ والسريجيُّ بعده
وما قصباتُ السَّبْقِ إلا لمَعْبِدُ (١)
- ولأبى تمام :
- مَحَاسِنُ أَصْنَافِ الْمَعْنَيْنِ جَمَّةٌ
وما قَصَبَاتُ السَّبْقِ إلا لمَعْبِدُ (٢)
- وحكى صاحب الأغاني فى أصوات معبد :
- لهنِّى على فِتْيَةٍ ذَلَّ الزَّمَانُ لَهُمُ
فما يُصِيبُهُمْ إلا بما شَاؤُوا (٣)
- وفى شعر أبى نُوَاس :
- دَارَتْ على فِتْيَةٍ ذَلَّ الزَّمَانُ لَهُمُ
فما تُصِيبُهُمْ إلا بما شَاؤُوا (٤)
- وفى هذا المعنى ما كان التغيير فيه بإبدال كلمة أو أكثر بما يرادفها (٥) ، كقول امرئ القيس :

- (١) لا يُعرف قائله ، وطويسٌ لقب عيسى بن عبد الله ، وقد غنى فى عهد عثمان بن عفان ، والسريجي لقب عبيد الله بن سريج ، وقد أخذ الغناء عن طويس ، ومعبد بن وهب غنى فى أول دولة بنى أمية ، وقصبات السبق هى التى تنصب فى حلبة السباق فمن سبق أقتلها وأخذها ليعرف أنه السابق ، ويقال هذا فى الكناية عن الفوز والغلبة .
- (٢) هو من قصيدة له فى مدح خالد بن يزيد الشيباني . وقبله :
- فمهما تكن من وقعةٍ بَعْدُ لا تَكُنْ
سوى حَسَنِ بما فعلت مرَدُّو
- (٣) لا يعرف قائله . واللفظ التحسر ، وقوله « ذَلَّ » بمعنى خضع ، ورواية الأغاني « فما أصابهم » . وقد غناه معبد للوليد بن يزيد ، ويَعْدُهُ :
- ما زال يَعدُّو عليهم ربُّ دهرهم
حتى تَفَانُوا وربُّ الدهر عَدَاؤُ
- أبكى فراقَهُمْ عيني وأرقها
إنَّ التفرقَ للأحباب بَكاؤُ
- (٤) هو من خمرة للحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس مطلعها :
- دَحْ عَنْكَ لَوْمَى فَإِنَّ اللُّومَ إِغْرَاءُ
وداؤنى بالتي كانت هى الداءُ
- والضمير فى قوله « دارت » للخمر ، وقد كان المعنى فى البيت الأول يراد به التحسر والتعزن ، فجعله أبو نواس فى موضع سرور ومجلس شرب خمر .
- (٥) مثله ما كان التغيير فيه بالضممع رعاية النظم والترتيب ، كقول بعضهم فى الهجاء :

وَقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ (١)
وقول طرفة :

وَقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَّدِ (٢)
وكقول العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه :

وَمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذِينَ عَهَدْتَهُمْ وَلَا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتَ تَعْلَمُ (٣)
وقول الفرزدق :

وَمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذِينَ عَهَدْتَهُمْ وَلَا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتَ تَعْرِفُ
وكقول حاتم :

وَمَنْ يَبْتَدِعْ مَا لَيْسَ مِنْ خِيَمِ نَفْسِهِ يَدْعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمُهَا (٤)

= سودُ الوجوه لثيمةُ أحسابهم فطسُ الأنوفِ من الطراز الآخر
فلم يفعل سوى أن غير ألفاظ بيت حسان في مدح آل جفنة :
بيضُ الوجوه كريمةُ أحسابهم شُمُ الأنوفِ من الطراز الأول
وإنما يذم التغيير بالمراد أو بالضد إذا لم يكن فيه فائدة من حسن سجع أو موازنة أو
زيادة فصاحة أو سلامة للشعر .

(١) قوله « وقوفا » مصدر أو جمع واقف حال من فاعل « نيك » فى قوله قبله :
قفاً نيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحوّمل
ومطيئهم : مفعول به لوقوفاً لأنه متعد من الوقف بمعنى الحبس لا من الوقوف . وقوله
« على » بمعنى لأجل ، والأسى : شدة الحزن ، وقوله « وتحمل » بالخاء أو بالجيم من
التجمل وهو الصبر الجميل .

(٢) هو لطرفة بن العبد ، وقوله « وتجلد » أمر من تجلد بمعنى تكلف الجلد وصبر .
وقيله :

لخولة أطلالٌ ببرقةٍ تهمد تلوحُ كباقي الوشم فى ظاهر اليد
(٣) المراد بالناس ناس معهودون له ، فال فيه للعهد ، وقوله « عهدهم » خطاب
على الالتفات بمعنى عرفتهم ، وأل فى الدار للعهد أيضاً .

(٤) هو لحاتم الطائى ، وقيل : إنه لمالك السلمى ، وقوله « يبتدع » بمعنى يخترع ،
والخيم : السجية ، وقوله « يدعه » بمعنى يتركه .

وقول الأعور :

١. ومن يَقْتَرِفُ خلقاً سوى خلق نفسه يَدَعُهُ وَيَغْلِبُهُ على النفس خِيَمُهَا (١)
الإغارة أو المسخ : وإن كان (٢) مع تغيير لنظمه أو كان المأخوذ بعض اللفظ
سُمي إغارةً ومسخاً .

فإن كان الثانى أبلغ من الأول لاختصاصه بفضيلة كحسن السبك (٣) أو
الاختصار أو الإيضاح أو زيادة معنى فهو ممدوح مقبول ، كقول بشار :
مَنْ راقبَ الناسَ لم يَظْفَرْ بِحاجَتِهِ وفاز بالطيِّباتِ الفاتِكُ اللَهْجُ (٤)
وقول سلم الخاسر :

مَنْ راقبَ الناسَ مات غَمًّا وفاز باللذةِ الجسورُ (٥)

فبيت سلم أجود سبكاً وأخصر (٦) . وكقول الآخر :

حَلَقْنَا لَهُم فِي كُلِّ عَيْنٍ وَحَاجِبٍ يَسْمُرُ الْقَتْلَ وَالْبَيْضَ عَيْنًا وَحَاجِبًا (٧)
وقال ابن نُبَاتَةَ بعده :

(١) هو لبشر بن منقذ المعروف بالأعور الشنى ، وقوله « يقترف » بمعنى يكتسب ،
والخلق : السجية .

(٢) أى أخذ اللفظ كله .

(٣) بالخلو من التعقيد اللفظى والمعنوى ونحوهما .

(٤) هو لبشار بن بُرْدٍ . وقوله « راقب » بمعنى حاذر وخاف . والفاتك : الشجاع
القتال ، واللهج : الملازم لمطلوبه الخريص عليه من غير مبالاة .

(٥) هو لسلم بن عمرو المعروف بسلم الخاسر . والجسور : الجريء .

(٦) أما الاختصار فظاهر ، وأما أنه أجود سبكاً فلأن الفتك فى بيت بشار زائد على
المقصود لتطلبه الجراءة فقط .

(٧) نسبه الخفاجى فى « ريحانة الألبا » لأبى إسحاق إبراهيم الغزى ، وجعله متابعاً
فيه لابن نباتة على عكس ما سيجىء بعده فى « الإيضاح » ، وقوله : خلقنا : بمعنى
أوجدنا ، والقنا : واحده قناة وهى الرمح ، والبيض : السيوف ، وقد جعل أثر الرمح عيناً
لاستدارته ، وأثر السيف فوقه حاجباً لاستطالته على سبيلى الاستعارة .

خَلَقْنَا بِأَطْرَافِ الْقَنَا فِي ظُهُورِهِمْ عَيُونًا لَهَا وَقَعُ السَّيْفُ حَوَاجِبُ^(١)
 فَبَيْتِ ابْنِ نَبَاتَةَ أَبْلَغَ لاختصاصه بزيادة معنى ؛ وهو الإشارة إلى انهزامهم^(٢) .
 ومن الناس من جعلهما متساويين^(٣) .

وإن كان الثانى دون الأول فى البلاغة فهو مذموم مردود ، كقول أبى تمام :
 هَيْهَاتَ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلٌ^(٤)
 وقول أبى الطيب :

أَعْدَى الزَّمَانُ سَخَاؤَهُ فَسَخَا بِهِ وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بُخِيلًا^(٥)
 فَإِنَّ مَصْرَاعَ أَبِي تَمَامٍ أَحْسَنَ سَبْكَاً مِنْ مَصْرَاعِ أَبِي الطَّيِّبِ ، أَرَادَ أَنْ يَقُولَ : كَانَ
 الزَّمَانُ بِهِ بُخِيلًا . فَعَدَلَ عَنِ الْمَاضِي إِلَى الْمَضَارِعِ لِلْوِزْنِ ، فَإِنْ قُلْتَ : الْمَعْنَى أَنَّ
 الزَّمَانَ لَا يَسْمَحُ بِهَلَاكِهِ^(٦) قُلْتَ : السَّخَاءُ بِالشَّيْءِ هُوَ بَذْلُهُ لِلغَيْرِ ، فَإِذَا كَانَ الزَّمَانُ
 سَخَا بِهِ ، فَقَدْ بَذَلَهُ ، فَلَمْ يَبْقَ فِي تَصْرِيفِهِ حَتَّى يَسْمَحَ بِهَلَاكِهِ أَوْ يَبْخُلَ بِهِ^(٧) .

(١) هو لعبد العزيز بن عمر المعروف بابن نباتة السعدى . وتقدير الشطر الثانى :
 عَيُونًا وَقَعَ السَّيْفُ حَوَاجِبَ لَهَا ، وَالْمَرَادُ أَثَرُ وَقَعِهَا ، وَبَعْدَ الْبَيْتِ :
 لَقُوا نَبْلَنَا مُرْدَ الْعَوَارِضِ وَانْتَنُوا لِأَوْجِهِمْ مِنْهَا لَحَى وَشَوَارِبُ
 (٢) لَأَنَّهُ جَعَلَ ذَلِكَ فِي ظُهُورِهِمْ ، وَهَذَا إِلَى إِرْجَاعِهِ الْعَيْنَ لِلرَّمَاحِ وَالْحَوَاجِبِ لِلْسَّيْفِ ،
 وَإِجْمَالُ هَذَا فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ، وَقَدْ يَجَابُ عَنْ هَذَا بِأَنَّ الْإِجْمَالَ مِنْ مَقَاصِدِ الْبَلْغَاءِ .
 (٣) لِأَنَّ بَيْتَ ابْنِ نَبَاتَةَ إِذَا أُشِيرَ إِلَى انْهَزَامِهِمْ فَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُمْ شَجَعَانُ
 يَعْظُمُ الْفَخْرُ بِالْإِتِّصَارِ عَلَيْهِمْ .

(٤) « هَيْهَاتَ » اسْمُ فِعْلٍ مَاضٍ بِمَعْنَى « بَعْدَ » ، وَفَاعِلُهُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ « بَعْدَ إِيْتْيَانِ
 الزَّمَانِ بِمِثْلِهِ » بِدَلِيلِ مَا بَعْدَهُ ، أَوْ « بَعْدَ نَسْيَانِي لَهُ » بِدَلِيلِ قَوْلِهِ قَبْلَهُ :
 أَنَسَى أَبَا نَصْرٍ نَسِيْتُ إِذْنُ يَدِي مِنْ حَيْثُ يَنْتَصِرُ الْفَتَى وَيُنِيلُ
 (٥) هُوَ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ فِي مَدْحِ بَدْرِ بْنِ عَمَارٍ ؛ قَوْلُهُ « أَعْدَى » فِعْلٌ مَاضٍ مِنَ الْإِعْدَاءِ
 وَهُوَ تَجَاوَزُ الشَّيْءِ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَى غَيْرِهِ ، وَالسَّخَاءُ : الْجُودُ ، يَعْنِي أَنَّ الزَّمَانَ كَانَ بُخِيلًا
 بِهِ عَلَيْهِ فَلَمَّا أَعْدَاهُ سَخَاؤُهُ جَادَ عَلَيْهِ بِهِ فَاسْعَدَهُ بِصَحْبَتِهِ .

(٦) فَيَكُونُ الْمَضَارِعُ فِي مَوْضِعِهِ .
 (٧) لَا يَخْفَى أَنَّ جُودَ الزَّمَانِ بِهِ لَا يُخْرِجُهُ عَنْ تَصْرِيفِهِ ، لِلْفَرْقِ فِي هَذَا بَيْنَ الْجُودِ بِهِ
 وَالْجُودِ بِالْمَالِ .

وإن كان مثله فالخطب فيه أهون ، وصاحب الثاني أبعد من المذمة ، والفضل لصاحب الأول ، كقول بشار :

يا قومُ أذني لبعض الحى عاشقةً
وقول ابن الشحنة الموصلى :

وإني امرؤُ أحببتكم لمكارم
وكذا قول القاضى الأرجانى :

لم يُبكِنى إلا حديثُ فراقكم
هو ذلك الدرُّ الذى أودعتم
وقول جابر الله :

وقائلة : ما هذه الدرُّ التى
فقلت : هو الدرُّ الذى قد حشا به
وكقول أبى تمام :

لو حارَ مرتادُ المنية لم يجدْ
إلا الفراقَ على النفوس دليلاً (٥)

(١) هو لبشار بن برد . وبعض الحى : كناية عن محبوبته ، وإنما أسند العشق إلى أذنه لأنه كان أعمى ، والنفوس قد تعشق بالسمع قبل الرؤية ، بأن يسبق وصف ما يعشق رؤيته .

(٢) هو لعمر بن محمد المعروف بابن الشحنة الموصلى ، والشاهد فى قوله : « والأذن كالعين تعشق » لأنه مأخوذ من قول بشار ، ولكنه مثله فى حسن السبك ونحوه .

(٣) هما لأحمد بن محمد المعروف بالقاضى الأرجانى ، والمراد بمودعه من حدثوه بفراقهم على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ، والدر : اللؤلؤ استعارةً لحديثهم ، وأخبر به عن ضميره ، تم استعاره لدمعه .

(٤) هما لمحمود بن عمر الزمخشري المعروف بجابر الله ، والسمط : هو الخيط ما دام الخرز أو اللؤلؤ منتظماً فيه ، وأبو مضر : هو محمود بن جرير الضبى أستاذ الزمخشري . والبيتان من قصيدة له فى رثائه ، وقد ذكر ابن خلكان أن اسمه منصوب وهو خطأ .

(٥) قوله « حار » بمعنى ضلّ فى التوصل إلى مراده ، والمرتاد : الطالب ، والدليل : الطريق منصوب على أنه مفعول أول ليجد ، والمفعول الثانى محذوف تقديره له ، يعنى أنه لا يجد له دليلاً على النفوس إلا الفراق .

وقول أبى الطيب :

لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدْتُ
لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلَا (١)
واعلم أن من هذا الضرب (٢) ما هو قبيح جداً ، وهو ما يدل على السرقة باتفاق
الوزن والقافية أيضاً ، كقول أبى تمام :

مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلَقْتُ رَكَابِي فِي الْبِلَادِ (٣)
وَلَا سَافَرْتُ فِي الْأَفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدْوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي (٤)

وقول أبى الطيب :

وَإِنِّي عَنْكَ بَعْدَ غَدٍ لَغَادِي وَقَلْبِي عَنْ فَنَائِكَ غَيْرَ غَادِي (٥)
مُحِبُّكَ حَيْثُمَا اتَّجَهْتُ رَكَابِي وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِلَادِ
الإمام أو السليخ : وإن كان المأخوذ المعنى وحده سُمي إماماً وسليخاً ، وهو
ثلاثة أقسام كذلك (٦) :
أولها كقول البحتري :

(١) قوله « لها » جار ومجرور مفعول ثان لوجدت ، وسبلا : مفعول أول ، ويجوز أن
يكون « لها » اسم جنس بمعنى واحده لهاة فيكون فاعل « وجدت » : « المنايا »
مضاف إليه ، واللهاة : اللحم المطبقة في أقصى سقف الحلق ، والمراد بها الفم من إطلاق
اسم الجزء على الكل ، وقد أثبتتها للمنايا على سبيل التخيل .
(٢) هو ما كان الثاني فيه مثل الأول .

(٣) الخطاب لممدوحه أحمد بن أبي دؤاد . الأمانى : جمع أمنية وهى البغية ، وقوله
« قلقت » بمعنى اضطربت فى السفر ، والركاب : الإبل ، يعنى أن فكره لا يتجه إلا إليه
(٤) الآفاق : النواحي جمع أفق ، والجدوى : العطية ، والراحلة : القوى من الإبل
على الأحمال والأسفار .

(٥) الخطاب لممدوحه على بن إبراهيم التنوخى . والغادى : المسافر فى الغداة وهى
أول النهار ، والفناء : الساحة أمام البيت .
(٦) أى كالإغارة والمسخ ، وهى أن يكون الثانى أبلى من الأول أو دونه أو مثله .

تَصَدُّ حَيَاءً أَنْ تَرَكَ بِأَوَّجِهِ
أَتَى الذَّنْبَ عَاصِيهَا فَلَيْمَ مُطِيعُهَا (١)
وقول أبي الطيب :

وَجُرْمُ جَرَّةٍ سَقَمَاءُ قَوْمٍ
وَحَلٌّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ (٢)
فإن بيت أبي الطيب أحسن سبكاً (٣) وكأنه اقتبس من قوله تعالى : « أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا » (٤) . وقول الآخر :

ولستُ بنظَّارٍ إلى جانب الغنى
إذا كانتِ العلياءُ في جانبِ الفقرِ (٥)
وقول أبي تمام بعده :

يصدُّ عن الدنيا إذا عن سُودَدُ
ولو برزت في زى عذراء ناهد
فبيت أبي تمام أخصر وأبلغ ، لأن قوله « ولو برزت في زى عذراء ناهد » زيادة
حسنة (٦) . وكقول أبي تمام :

(١) هو من قصيدة له يمدح فيها المتوكل ويذكر صلح بني تغلب ، وقوله « تصد »
يعنى تصرف وفاعله ضمير مستتر جوازاً يعود على تغلب ، وقوله « حياء » مفعول
لأجله ، والخطاب فى « تراك » للمتوكل ، وقوله « ليم » فعل مبنى للمجهول من اللوم
وهو العذل .

(٢) الجرم : الذنب وهو معطوف على قوله قبله :

وكم ذنب مؤلَّده دلالٌ
وكم بُعد مولده اقترابٌ

وقوله « جره » بمعنى ارتكبه ، والجارم : الكاسب .

(٣) لأنه وصف مرتكب الجرم بالسفاهة ، ولم يصف من أُوخذ به بالطاعة للمنافية
للمؤاخاة ، وإنما يؤاخذ غير السفهاء بفعلهم لأنه لم يمنعهم منه .

(٤) الأعراف : ١٥٥ ، وإنما لم يكن اقتباساً صرفاً للاختلاف بينهما .

(٥) سبق هو وبيت أبي تمام فى الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة من الجزء
الثانى .

(٦) هذا علة لكونه أخصر وأبلغ ، لأن كون ذلك زيادة يشير إلى أن الشطر الأول من
بيت أبي تمام يفيد ما أفاده البيت الأولى بشرطه فيكون أخصر ، وأما كونه أبلغ فلهذه
الزيادة ، ولقوله « عن الدنيا » بدل قول الأول : « ولست بنظَّارٍ إلى جانب الغنى » لأن
الصد عن الدنيا أبلغ من عدم النظر إليها .

هو الصنْعُ إن يعجلَ فخيرٌ وإن يَرثَ فكلُّ رِثٍ في بعض المواضع أنفعُ (١)
وقول أبي الطيب :

ومن الخير بطءٌ سيبك عني أسرع السُّحب في المسيرِ الجَهَامِ (٢)
فبيت أبي الطيب أبلغ لاشتماله على زيادة بيان (٣) .
وثانيها كقول بعض الأعراب :

وريحها أطيبُ من طيبها والطيبُ فيه المسكُ والغنبرُ (٤)
وقول بشار :

وإذا أدتيتَ منها بَصلاً غلبَ المسكُ على ريحِ البَصَلِ (٥)
وقول أشجع :

وعى عدوك يا ابن عمِّ مُحَمَّدٍ رصدانِ ضوءُ الصبحِ والإِظْلَامِ
فإذا تنبّه رُعْتَهُ وإذا هَدَا سلّت عليه سيوفُك الأحلامُ (٦)

(١) « هو » ضمير الشأن ، والصنع : بمعنى الإحسان مبتدأ خبره جملة الشرط ، وجملة ذلك خبر ضمير الشأن ، ويجوز أن يكون « هو » عائداً إلى حاضر في الدهن والصنع خبره والشرط استئناف ، وقوله « يرث » بمعنى يبطئ ، والبيت من قصيدة له في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف .

(٢) هو من قصيدة له في مدح علي بن أحمد الخراساني . والسيب : العطاء ، والجَهَام : السحاب الذي لا ماء فيه أو الذي هراق ماءه .

(٣) وجهه أنه ضرب المثلّ بالسحاب ، فكأنه دعوى بدليلها ، بخلاف ما قبله .

(٤) لا يعرف قائله ، ويعنى بقوله « وريحها » ريح فصا أو نحوه ، والواو في قوله « والطيب » للحال .

(٥) هو لبشار بن برد ، وإنما كان هذا دون ما قبله لأنه جعل الفضل في الغلب على ريح البصل للمسك ، لا لرائحتها ، وهذا إلى ما فيه من قبح إدناء البصل منها . وقبل البيت :

إنما عَظُمُ سليمي حبتى قصبِ السكر لا عظمُ الجَمَلِ

وهذا من شعره الضعيف .

(٦) هما لأشجع بن عمرو السلمي في مدح هارون الرشيد ، ورسدان : رقيبان ، وقوله « تنبه » بمعنى تيقظ من نومه ، وقوله « رعته » بمعنى أفزعته . وقوله « هذا » مخفف هداً بمعنى نام ، وقوله « سلّت » بمعنى شهرت ، وفي البيت الأول توشيع ، وفي الثاني لف ونشر مرتب .

وقال أبو الطيب :

يَرَى فِي النِّوْمِ رُمُوحَكَ فِي كَلَامِهِ وَيَخْشَى أَنْ يَرَاهُ فِي السُّهَادِ (١)
فَقَصَّرَ بِذِكْرِ « السُّهَادِ » لِأَنَّهُ أَرَادَ الْيَقِظَةَ لِيُطَابِقَ بِهَا النَّوْمَ فَأَخْطَأَ ، إِذْ لَيْسَ كُلُّ
يَقِظَةٍ سُهَاداً ، وَإِنَّمَا السُّهَادُ امْتِنَاعُ الْكَرَى فِي اللَّيْلِ ، وَأَمَّا الْمُسْتَيْقِظُ بِالنَّهَارِ فَلَا
يُسَمَّى سَاهِداً . وَكَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ :

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِي النَّدَى كَلَامَهُ الْمَصْـ
قَوْلُ خِلَتَ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ (٢)
وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

كَأَنَّ أَلْسِنَهُمْ فِي النَّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ عَلَى رِمَاحِهِمْ فِي الطَّعْنِ خُرُصَانَا (٣)
فَإِنَّ أَبَا الطَّيِّبِ فَاتَهُ مَا أَفَادَهُ الْبَحْتَرِيُّ بِلَفْظِ « تَأَلَّقَ » وَ « الْمَصْقُولِ » مِنْ
الِاسْتِعَارَةِ التَّخْيِيلِيَّةِ (٤) . كَقَوْلِ الْخَنْسَاءِ :
وَمَا بَلَغَ الْمَهْدُونُ لِلنَّاسِ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا وَمَا فِيكَ أَفْضَلَ (٥)

(١) هُوَ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ فِي مَدْحِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّنُوخِيِّ ، وَضَمِيرُ « يَرَى » لِلْجَبَانِ
فِي قَوْلِهِ قَبْلَهُ :

وَكَيفَ يَبِيتُ مَضْطَجِعاً جَبَانُ فُرِشَتْ لَجَنِبِهِ شَوْكُ الْقِتَادِ
وَالْكَلِيَّةُ أَوْ الْكَلْوَةُ : لَحْمَةٌ مَنْتَبِرَةٌ لِأَزْقَةٍ بِعَظْمِ الصَّلْبِ عِنْدَ الْخَاصِرَةِ .

(٢) هُوَ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ فِي مَدْحِ الْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ . وَقَوْلُهُ « تَأَلَّقَ » بِمَعْنَى لَمَعَ ، وَإِثْبَاتُهُ
لِكَلَامِهِ تَخْيِيلٌ ، وَالنَّدَى : مَجْلِسُ أَشْرَافِ الْقَوْمِ ، الْمَصْقُولُ : الْمَجْلُو وَهُوَ تَرْشِيحُ لِاسْتِعَارَةِ
السَّيْفِ لِكَلَامِهِ ، وَالْعَضْبُ : السَّيْفُ الْقَاطِعُ . وَلَا يَخْفَى مَا فِي التَّصْرِيحِ بِالتَّشْبِيهِ بَعْدَ
الِاسْتِعَارَةِ مِنَ الْقَبِيحِ .

(٣) الْخُرُصَانُ : جَمْعُ خُرْصٍ وَهُوَ سِنَانُ الرَّمْحِ أَوْ الرَّمْحُ نَفْسُهُ ، وَالْمَرَادُ هُنَا الْأَوَّلُ ،
يَعْنِي أَنَّ أَلْسِنَتَهُمْ عِنْدَ النَّطْقِ فِي الْمَضَاءِ تَشْبِهُ أَسْنَةَ رِمَاحِهِمْ عِنْدَ الطَّعْنِ ، وَضَمِيرُ
« أَلْسِنَتِهِمْ » يَعُودُ إِلَى بَنِي الْحَسَنِ قَوْمِ مَدُوحِهِ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ قَبْلَ الْبَيْتِ :

جَزَى بَنِي الْحَسَنِ الْحَسَنَى فَإِنَّهُمْ فِي قَوْمِهِمْ مِثْلَهُمْ فِي الْغُرِّ عِدْنَانَا

(٤) الْحَقُّ أَنَّ « تَأَلَّقَ » تَخْيِيلٌ ، وَأَنَّ « الْمَصْقُولَ » تَرْشِيحٌ كَمَا سَبَقَ .

(٥) هُوَ لِمَاضِرِ بِنْتِ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْخَنْسَاءِ ، وَقَوْلُهَا « مِدْحَةٌ » مَفْعُولٌ
« الْمَهْدُونِ » ، وَمَفْعُولٌ « بَلَغَ » هُوَ الْمُسْتَشْنَى مِنْهُ الْمَحْذُوفُ أَيْ : حَالًا مِنَ الْأَحْوَالِ .

وقول أشجع :
وما ترك المُدَّاحُ فيكَ مقالةً ولا قال - إلا دُونَ ما فيكَ - قائل (١)
فإن بيت الخنساء أحسن من بيت أشجع لما في مصراعه الثاني من التعقيد ، إذ
تقديره - ولا قال قائل إلا دون ما فيكَ (٢) .
وثالثها كقول الأعرابي :
ولم يَكْ أَكْثَرَ الْفِتْيَانِ مَالاً ولكنْ كانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعاً (٣)
وقول أشجع :
وليس بأَوْسَعَهُمْ فِي الْغِنَى ولكنْ مَعْرُوفُهُ أَوْسَعُ (٤)
وكذا قول بكر بن النطاح :
كَأَنَّكَ عِنْدَ الْكَرِّ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى تَفِرُّ مِنَ الصَّفِّ الَّذِي مِنْ وَرَائِكَ (٥)
وقول أبي الطيب :
فَكَأَنَّهُ وَالطَّعْنُ مِنْ قُدَامِهِ مُتَخَوِّفٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ يَطْعَنَّا (٦)

(١) هو لأشجع بن عمرو السلمي . ومعناه أن مُدَّاحه لم يتركوا مقالة في مدحه ، ومع
هذا لم يبلغوا ما يستحقه .
(٢) لا يخفى أن هذا لا يعد تعقيداً ، لأنه لا يحصل بمثل تقديم المستثنى وحده ،
والمستثنى منه محذوف ، والتقدير « ولا قال قائل قولاً إلا قولاً دون ما فيكَ » .
(٣) هو لأبى زياد يزيد بن الحر الأعرابي في مدح العباس بن محمد ، وقيل : إنه
لموسى شهوات في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وقوله « أرحبهم ذراعاً » بمعنى
أوسعهم ، وهو كناية عن سخائه .
(٤) هو لأشجع بن عمرو السلمي ، واسم « ليس » يعود على جعفر بن يحيى في قوله :
يروم الملوك مدى جعفر ولا يصنعون كما يصنع
وقيل : إن بيت الأعرابي أجود لدلالته على السخاء بطريق الكناية وهي أبلغ من
الحقيقة .
(٥) الكر : الحمل على العدو في الحرب ، وحومة الشيء : معظمه ، والوعى :
الحرب ، والمراد أنه في سرعة حمله مثل الفار من ذلك الصف .
(٦) هو من قصيدة له في مدح بدر بن عمار ، وقيله :
نَيطَتْ حَمَائِلُهُ بِعَاتِقِ مِجْرَبٍ ما كَرَّ قَطُّ وَهَلْ يَكُرُّ وما انشئ
والواو في قوله « والطعن » للحال ، وقوله « من خلفه » متعلق بقوله « يطعن »
يعنى أنه لشدة إقدامه لا يلتفت خلفه .

وكذا قول الآخر يذكر ابناً له مات :

والصبر يُحمدُ في المواطن كلها
إلا عليك فإنه مذمومٌ (١)

وقول أبي تمام بعده :

وقد كان يُدعى لابسُ الصبرِ حازماً فأصبح يُدعى حازماً حين يجزَعُ (٢)
أقسام السرقة غير الظاهرة : وأما غير الظاهر فمنه أن يتشابه معنى الأول
ومعنى الثاني (٣) كقول الطرمّاح بن حكيم الطائي :
لقد زادني حباً لنفسي أننى بغيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غير طائلٍ (٤)
وقول أبي الطيب :

وإذا أتتك مذمتى من ناقصٍ فهى الشهادة لى بأتى كاملٍ (٥)
فإن ذم الناقص أبا الطيب كبغض من هو غير طائل الطرمّاح ، وشهادة ذم
الناقص أبا الطيب كزيادة حب الطرمّاح لنفسه .
وكذلك قول أبي العلاء المعرى فى مراثية :
وما كُلفَ البدرِ المنير قديمةً ولكنها فى وجهه أثرُ اللطم (٦)

(١) هو لمحمد بن عبيد الله المعروف بالعتبي فى رثاء ابن له . والمواطن : جمع موطن
وهو الموضع ، وقوله « إلا عليك » تقديره إلا فى موطن يصبر فيه عليك .
(٢) الحازم : من يضع الأمور فى مواضعها ، وقد جعل من يجزَع على من يرثيه
حازماً لأنه وضع جزعه فى موضعه ، وفى قوله « لابس الصبر » استعارة بالكناية .
(٣) قيده بعضهم بأن يكون من غير نقل للمعنى إلى محل آخر ، وبهذا يباين القسم
الذى بعده ، ولكن الظاهر مما سيأتى أن الخطيب لا يقيده بهذا القيد ، فيكون أعم مما بعده .
(٤) البغيض : المكروه ، وغير الطائل : الذى لا فائدة فيه .
(٥) مذمتى : من إضافة المصدر لمفعوله ، وقد أخذه قبله أبو تمام ومروان ابن حفصة
فى قولهما :

لقد آسفَ الأعداءَ فضلُ ابن يوسف وذو النقص فى الدنيا بذى الفضل مولى
ما ضررتى حسدُ اللئام ولم يزل ذو الفضل يحسده ذوو التقصير
(٦) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى فى رثاء أبى إبراهيم العلوى .
والكلفة : حمرة يخالطها سواد ، يعنى أن كلفة البدر من لطمه خدّه على من يرثيه لحزنه
عليه . ورواية الديوان « أثر اللدم » واللدم : ضرب المرأة وجهها باليد كاللطم ، ويقال
أيضاً : لدمت النائحة صدرها وعضديها .

وقول القيسراني :

وأهوى الذى أهوى له البدرُ ساجداً ألسنت ترى فى وجهه أثرَ الترابِ (١)

وأوضح من ذلك قول جرير :

فلا يمتنعك من أربٍ لحاهمُ سواءُ ذو العمامةِ والخمارِ (٢)

وقول أبى الطيب :

ومن فى كفِّه منهم قنأةٌ كمن فى كفه منهم خضابُ (٣)

ولا يفرّك من البيتين المتشابهين أن يكون أحدهما نسيباً والآخر مديحاً أو هجاءً أو افتخاراً أو غير ذلك (٤) ؛ فإن الشاعر الحاذق إذا عمد إلى المعنى المختلس لينظمه تحيّل فى إخفائه ، فغيّر لفظه وعدل به عن نوعه ووزنه وقافيته .

ومنه النقل : وهو أن ينقل معنى الأول إلى غير محله ، كقول البحتري :

سلبوا وأشرقَت الدماءُ عليهمُ مُحمرّةٌ فكانهم لم يسلبوا (٥)

(١) هو لأبى عبد الله محمد بن نصر المعروف بابن القيسراني نسبة إلى قيسرية . وقوله « أهوى » مضارع بمعنى أحب ، وقد أعاده ثانياً بمعنى سقط وهو من الجنس التام والتراب : التراب ، والمراد بأثره فى وجه البدر كلفته ، والمراد بوجهه ما يبدو لنا منه . والشاهد فى الشطر الثانى من هذا البيت مع الشطر الثانى من البيت الأول .

(٢) قبله :

إذا ما كنت ملتصقاً نكاحاً فلا تعدلُ بجمع بنى ضرار

والأرب : الحاجة ، واللحى : جمع لحية وهى شعر الخدين والذقن ، وذو العمامة : الرجل ، وذات الخمار : المرأة ، وفى قوله « ذو العمامة والخمار » تغليب ، وهذا من أفحش الهجاء .

(٣) هو من قصيدة له ذكر فيها ما أوقعه سيف الدولة ببنى كلاب . والقناة : الرمح ، والخضاب : صبغ الحناء ، والحق أن السرقة فى هذا ظاهرة ، لأخذ أبى الطيب المعنى بنفسه من غير تصرف فيه ، وتشابه المعنيين إنما يكون مع شئ من التغاير بينهما .

(٤) هذا هو الذى يظهر منه أن الخطيب لا يقيد هذا القسم بما قيده بعضهم به فيما سبق ، والأولى تقييده به ليبين ما بعده .

(٥) هو من قصيدة له فى مدح إسحاق بن إبراهيم يذكر فيها وقعته بالخرمية . وقوله « سلبوا » بمعنى جردوا من ثيابهم ، وقوله « أشرقَت » بمعنى ظهرت أو لمعت .

نقله أبو الطيب إلى السيف فقال :

يَبْسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ وَهُوَ مُجَرَّدٌ
عن غَمْدِهِ فَكَأَنَّا هُوَ مُغَمَّدٌ (١)
ومنه : أن يكون معنى الثانى أشمل من معنى الأول ، كقول جرير :
إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ
وَجَدْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا (٢)
وقول أبى نواس :

ليسَ على اللَّهِ مُسْتَنْكَرٌ
أن يَجْمَعَ الْعَالَمَ فى وَاحِدٍ (٣)
ومنه القلب : وهو أن يكون معنى الثانى نقيض معنى الأول ، سُمى بذلك
لقلب المعنى إلى نقيضه ، كقول أبى الشَّيْص :
أَجِدُ الْمَلَامَةَ فى هَوَاكَ لَذِيذَةً
حُبًّا لَذِكْرِكَ فَلْيَلْمَنِى اللُّومُ (٤)
وقول أبى الطيب :
أُحِبُّهُ وَأَحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً
إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ (٥)

(١) النجيع : الدم المائل إلى سواد ، والغمد : قراب السيف ، وقيله :
وصن الحسام ولا تذله فإنه يشكو يمينك والجماعم تشهد
(٢) يعنى أنهم بمنزلة كل الناس ، فإن غضبوا فكأن كل الناس قد غضبوا .
(٣) هو للحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس . ويعنى بالواحد هارون الرشيد الوارد
فى قوله قبله :

قُولَا لَهَارُونَ إِمَامَ الْهَدَى
عند احتفال المجلس الحاشد
ووجه كون بيت أبى نواس أشمل أن العالم فيه يشمل الإنس والجن والملائكة ولكن
يجوز أن يكون مراد جرير أن الناس تبع لبني تميم فى غضبهم لا أنهم كل الناس ، وهذا
معنى غير معنى بيت أبى نواس .
(٤) هو لمحمد بن رزين الخزاعى المعروف بأبى الشَّيْص . واللوم : جمع لائم ، وفى
استحسانه ملامته فى هواها من أجل ذكرها حسن وطرافة ، وهو فى هذا أرق من بيت
أبى الطيب .
(٥) قبله :

القلب أعلم يا عدولُ بدائمه
فومَن أحبُّ لأعصينك فى الهوى
وأحقُّ منك بجفنه وبمائه
قسماً به ويحسنيه وبهائه

- وكذا قول أبي الطيب أيضاً :
والجراحاتُ عنده نغماتُ
فإنه ناقض به قول أبي تمام :
وَنَغْمَةٌ مُعْتَفٍ جَدَوَاهُ أَحْلَى
وقد تبعه البحتري فقال :
نَشْوَانٌ يَطْرَبُ لِلسُّؤَالِ كَأَمَّا
ومنه : أن يؤخذ بعض المعنى ويضاف إليه زيادة تحسنه ، كقول الأودى :
وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا
وقول أبي تمام :
وقد ظَلَلْتُ عَقْبَانَ أَعْلَامِهِ ضُحًى
أقامت مع الرأيات حتى كأنها
سُبِقَتْ قَبْلَ سَيِّبِهِ بِسُّؤَالِ (١)
على أَذُنَيْهِ مِنْ نَغَمِ السَّمَاعِ (٢)
غَنَاءُ مَالِكُ طَىٍّ أَوْ مَعْبُدُ (٣)
رَأَى عَيْنَ ثِقَّةٍ أَنْ سَتَمَارُ (٤)
بعقبان طيرٍ فى الدَّمَاءِ نَوَاهِلِ
من الجيش إلا أنها لم تُقاتل (٥)

- (١) هو من قصيدة له فى مدح عبد الرحمن بن المبارك . والنغمات : جمع نغمة ، ويقال « ناغمه » كلمه كلاماً رقيقاً أو حسناً ، والسيب : العطاء ، يعنى أن نغمات السؤال تؤثر فى المدح وتؤذيه كالجراحات فيعطى من غير سؤال ، وهذا من التشبيه المقلوب .
(٢) هو من قصيدة له فى مدح ابن أصرم ، والمعتفى : الطالب ، والجدوى : العطية ، يريد بالسماح ما يحسن سماعه كالعود ونحوه .
(٣) هو من قصيدة له فى مدح أبي أيوب ابن أخت أبي الوزير . والنشوان : السكران من شدة الطرب ، ومالك طىء : هو مالك بن أبي السمع المغنى ، ومعبد : هو معبد ابن وهب وقيل ابن قطنى مولى العاص بن وابصة المخزومى ، وهو مغن أيضاً .
(٤) هو لصلاة بن عمرو المعروف بالأفوه الأودى ، وقوله « ثقة » حال أى واثقة أو مفعول لأجله ، وقوله « ستمار » بمعنى ستطعم ؛ يعنى أنها تتبعهم عند خروجهم للحرب واثقة بذلك .
(٥) هما من قصيدة له يمدح فيها المعتصم ويذكر وقعة الأفشين ببابك الخرمى . وعقبان الأعلام : جمع عقاب وهو الراية الضخمة من إضافة العام للخاص ؛ وعقبان الطير : جمع عقاب وهو طائر معروف ؛ وفى اللفظين جناس تام ؛ والنواهل : جمع ناهلة وهو اسم فاعل من « نهل » بمعنى روى .

فإن الأفوه أفاد بقوله « رأى عين » قُرْبَهَا ، لأنها إذا بعدت تُخِيلَتْ ولم تُرَ ، وإنما يكون قريبا توقعا للقرينة ، وهذا يؤكد المعنى المقصود ، ثم قال « ثقة أن ستمار » فجعلها واثقا بالميرة ، وأما أبو تمام فلم يَلَمْ بشيء من ذلك ^(١) لكن زاد على الأفوه بقوله « فى الدماء نواهل » ثم بإقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش ، وبذلك يتم حسن قوله « إلا أنها لم تقاتل » وهذه الزيادات حسنت قوله ، وإن كان قد ترك بعض ما أتى به الأفوه . . .

وهذه الأنواع ^(٢) ونحوها أكثرها مقبولة ، ومنها ما أخرجه حسن التصرف من سبيل الأخذ والاتباع ، إلى حيز الاختراع والابتداع ، وكلما كان أشد خفاء كان أقرب إلى القبول .

هذا كله ^(٣) إذا علم أن الثانى أخذ من الأول ، وهذا لا يعلم إلا أن يعلم أنه كان يحفظ قول الأول حين نظم قوله ، أو بأن يخبر هو عن نفسه أنه أخذه منه ، لجواز أن يكون الاتفاق من قبيل توارد الخواطر ، أى مجيئه على سبيل الاتفاق من غير قصد إلى الأخذ والسرقة ، كما يحكى عن ابن ميادة أنه أنشد لنفسه :

مُفِيدٌ وَمِثْلَافٌ إِذَا مَا أَتَيْتَهُ تَهْلِلُ وَاهْتَزَّ اهْتَازَ الْمُهَنْدُ ^(٤)

فقليل له : أين يذهب بك ؟ هذا للحطيطه ^(٥) . فقال : « الآن علمت أنى شاعر ، إذ وافقته على قوله ولم أسمعه » .

(١) يرد على هذا أن قوله « أقامت مع الرايات » يفيد أيضاً قربها منهم ؛ فالحق أن الذى لم يلم به هو قوله « ثقة أن ستمار » .

(٢) يعنى الأنواع الخمسة لغير الظاهر ؛ ونحوها هو غيرها مما يندرج فيه ؛ والحق أنها مقبولة من جهة الأخذ ؛ فإن اعتراضها رد كان من جهة أخرى غيره .

(٣) يشير إلى ما ذكر فى الأخذ بقسميه من ادعاء السبق وأخذ الثانى من الأول ، وكونه مقبولا أو مردودا .

(٤) هو للرماح بن أبرد المعروف بابن ميادة . والمفيد : الذى يعطى أمواله للناس ، والمثلاف : الذى يتلف أمواله على نفسه ، وقوله « تهلل » بمعنى أشرق وجهه ، والمهند : السيف المصنوع من حديد الهند .

(٥) هو من قصيدة له فى مدح بغيض بن عامر بن شماس مطلعها :

آثرت إدلاجى على ليل حرّة هضيم الحشا حسانة المتجرّد

ولهذا لا ينبغي لأحدٍ بَتُّ الحكم على شاعر بالسرقة ما لم يعلم الحال ، وإلا^(١) فالذى ينبغي أن يقال : قال فلان كذا وقد سبقه إليه فلان فقال كذا . فيغتنم به فضيلة الصدق ، ويسلم من دعوى العلم بالغيب ونسبة النقص إلى الغير .

ما يتصل بالسرقات الشعرية

ومما يتصل بهذا الفن القول فى الاقتباس ، والتضمين ، والعقد ، والحل ، والتلميح .
* أما الاقتباس فهو أن يُضمَّن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه^(٢) كقول الحريري : « فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب^(٣) حتى أنشد أغرب » . وقوله : « أنا أنبئكم بتأويله^(٤) » ، وأميز صحيح القول من عليه .
وقول ابن ثباتة الخطيب : « فبأيها الغفلة المطرقون ، أما أنتم بهذا الحديث مصدقون ، ما لكم لا تشفقون ؟ فربَّ السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون »^(٥) . وقوله أيضاً من خطبة أخرى ذكر فيها القيامة : « هناك يُرْفَعُ الحجاب ، ويوضع الكتاب ، ويُجمع مَنْ وجب له الثواب ، وحقَّ عليه العقاب ، فيُضْرَبُ بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب »^(٦) .
وقول القاضي الفاضل وقد ذكر الإفرنج : « وغضبوا زادهم الله غضباً ، وأوقدوا ناراً للحرب جعلهم الله لها خطباً »^(٧) . وكقول الحماسي :

إذا رُمْتُ عنها سَلْوَةٌ قال شافعٌ من الحب : ميعاد السَّلْوِ المَقَابِرُ
سَتَبَقَى لها فى مُضَمَّرِ القلب والحشا سريرةٌ ودَّ يوم تَبْلَى السَّرَائِرُ^(٨)

(١) أى وإن لم يعلم الحال .

(٢) بأن يكون خالياً من الإشعار بذلك ، والإشعار به كأن يقال : قال الله تعالى كذا ونحوه .
(٣) مقتبس من النمل : ٧٧

(٤) مقتبس من يوسف : ٥٥

(٥) مقتبس من الذاريات : ٢٤

(٦) مقتبس من الحديد : ١٣

(٧) مقتبس من المائدة : ٦٤

(٨) هما للأحوص بن محمد الأنصارى ، وقوله « رمت » بمعنى أردت ، ومضمر القلب : مستوره ، والحشا : ما انضمت عليه الضلوع ، وقوله « تبلى » بمعنى تختبر أو تظهر ، والسرائر : الخبايا ، والشاهد فى قوله « يوم تبلى السرائر » فإنه مقتبس من الطارق ٨ .

وقول أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني :

لآل فريغون في المكرّمات
إذا ما خللت بمغناهم
يَدُ أولاً واعتذار أخيراً
رأيت نعيماً ومُلْكاً كبيراً (١)

وقول الأبيوردى :

وقصائد مثل الرياض أضعتها
فإذا تناشدها الرواة وأبصروا
فى باخل ضاعت به الأحساب
الممدوح قالوا : ساجر كذاب (٢)

وقول الآخر :

لا تُعاشِرْ معشراً ضلّوا الهدى
بدت البغضاء من أفواههم
فسواء أقبلوا أو أدبروا
والذى يخفون منها أكبر (٣)

وقوله :

خلّة الغانيات خلّة سوء
وإذا ما سألتموهن شيئاً
فاتقوا الله يا أولى الألباب
فاسألوهن من وراء حجاب (٤)

(١) هما لأبى الفضل أحمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان الهمذاني ، وقد سبق التعريف بآل فريغون فى الكلام على السجع القصير ، واليد : مجاز عن الأثر الحسن ، والمغنى : محل الإقامة ، والشاهد فى آخر البيت الثانى ، فإنه مقتبس من سورة الإنسان : ٢٠

(٢) هما لأبى المظفر محمد بن أحمد المعروف بالأبيوردى ، والباخل : المانع المسك ، والأحساب : جمع حسب وهو شرف الأصل ، والرواة : حفاظ الشعر ونقاده ، وإنما يرمونه بالسحر لأنه يصور الباطل حقاً كالساجر . والشاهد فى قوله « قالوا ساجر كذاب » فإنه مقتبس من سورة غافر : ٢٤ .

(٣) هما لمحمد الشجاعى ؛ وقوله « ضلوا الهدى » بمعنى لم يهتدوا إليها ؛ وقوله « بدت » بمعنى ظهرت ؛ والشاهد فى قوله « بدت البغضاء من أفواههم » فإنه مقتبس من سورة آل عمران : ١١٨ .

(٤) هما لأبى منصور عبد الرحمن بن سعيد . والخلّة : الخلصة ، والغانيات : النساء الحسنات ، والألباب : العقول الذكية . والشاهد فى قوله : « فاتقوا الله يا أولى الألباب » فاسألوهن من وراء حجاب . والأول مقتبس من سورة المائدة : ١٠٠ ، والثانى مقتبس من سورة الأحزاب : ٥٣

وقول الآخر :

إِنْ كُنْتُ أَزْمَعْتُ عَلَى هَجْرِنَا مِنْ غَيْرِ مَا جِئْتُ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَإِنْ تَبَدَّلَتْ بِنَا غَيْرَنَا فَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١)

وكقول الحريري : « وكتمان الفقر زهادة ، وانتظار الفرج بالصبر عبادة » فإن قوله « انتظار الفرج بالصبر عبادة » لفظ الحديث ، وقوله : « قلنا : شأنت الوجوه وقبح اللكع ومن يروجوه » . فإن قوله « شأنت الوجوه » لفظ الحديث ، فإنه روى أنه لما اشتدت الحرب يوم حنين أخذ النبي ﷺ كفاً من الحصباء فرمى بها في وجوه المشركين وقال « شأنت الوجوه » أى قبحت ، واللكع قيل : هو اللثيم ، وقال أبو عبيد : هو العبد . وكقول ابن عباد :

قَالَ لِي : إِنَّ رَقِيبِي سَيِّءُ الْخُلُقِ قَدَّارُهُ
قُلْتُ : دَعْنِي وَوَجْهَكَ الْجَنَّةُ لَمْ حَقَّتْ بِالْمَكَارِهِ (٢)

اقتبس من لفظ الحديث « حَقَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ، وحقت النار بالشهوات » . والاعتباس منه ما لا يُنْقَلُ فِيهِ اللَّفْظُ الْمُقْتَبَسُ عَنْ مَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ إِلَى مَعْنَى آخَرَ كَمَا تَقْدِمُ ، ومنه ما هو بخلاف ذلك (٣) كقول ابن الرومي :

لَنْ أَخْطَأَ فِي مَدْحِكَ مَا أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِي
لَقَدْ أَنْزَلْتُ حَسَابَاتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ (٤)

(١) هما لأبي القاسم بن الحسن الكاتب . وقوله « أزمعت » بمعنى عزمت ؛ والجرم الذنب ؛ وقوله « حسبنا » بمعنى كافينا . والوكيل : المفوض إليه في الشدائد وغيرها . والشاهد في قوله « فصبر جميل » : « فحسبنا الله ونعم الوكيل » - والأول مقتبس من سورة الرعد : ١٨ ؛ والثاني مقتبس من سورة آل عمران : ١٧٣ .

(٢) هما للصاحب إسماعيل بن عباد ؛ والضمير في « قال » للمحبوب ؛ والرقيب : الحارس . وقوله « داره » بمعنى لطفه . وقوله « حفت » بمعنى أحيطت .

(٣) أى ما ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلي إلى معنى آخر ، وبهذا يكون مجازاً بطريق من طرقه المعروفة .

(٤) هما لعلى بن العباس المعروف بابن الرومي ، وقيل : إنهما لإسماعيل القراطيسي ، وإنما حُطِّأَ نَفْسُهُ فِي مَدْحِهِ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْمَدْحَ ، وَلَمْ يَخْطِئْهُ فِي مَنَعِهِ لِأَنَّهُ مَادِحٌ مِنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْمَدْحَ لَا يَسْتَحِقُّ الْعَطَاءَ ، وَالشَّاهِدُ فِي أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَادِي هُنَا الْجَنَابَ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِعَارَةِ ، وَهُوَ غَيْرُ الْمُرَادِ مِنْهُ فِي سُورَةِ هُودَ : ٣٧ .

ولا بأس بتغيير يسير لأجل الوزن أو غيره ^(١) كقول بعض المغاربة عند وفاة بعض أصحابه :

قد كان ما خِفْتُ أن يَكُونَا إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَ ^(٢)
وقول عمر الخيام :

سَبَقْتُ الْعَالَمِينَ إِلَى الْعَالِي بصائبِ فكرةٍ وَعَلَوْ هِمَّةً ^(٣)
وَلَا حَ بِحِكْمَتِي نُورُ الْهُدَى فِي لَيَالٍ لِلضَّلَالَةِ مَذْهَبُهُ ^(٤)
يريد الجاهلون لِيُطْفِئُوهُ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّهُ ^(٥)
وكقول القاضي منصور الهروي الأزدِي :

فلو كانت الأخلاق تُحَوَّى وَرِائَةً ولو كانت الآراء لا تَتَشَعَّبُ ^(٦)
لأصبح كلُّ الناس قد ضَمُّهُمْ هَوَى كما أن كلَّ الناس قد ضَمُّهُمْ أَبُ ^(٧)
ولكنَّها الأقدارُ كلُّ مُيَسَّرٍ لما هو مخلوقٌ له ومُقَرَّبٌ
اقتبس من لفظ الحديث « اعملوا كلُّ ميسرٍ لما خُلِقَ له » .

(١) يعنى أن هذا لا يضر فى تسميته اقتباساً ، فإذا كثر التغيير كان من العقد الآتى .
(٢) هو للوزير أبى العلاء بن أرق فى رثاء الرئيس أبى عبد الرحمن محمد بن طاهر ،
وظاهر كلام الخطيب أن البيت له ، والحق أنه لأبى تمام فى رثاء ابنه ، ولعل هذا الوزير
استشهد به فى ذلك ، وقوله « كان » بمعنى وجد ، فهى تامة ، والشاهد فى ذلك مقتبس
مع تغيير يسير من سورة البقرة : ١٥٦ .

(٣) العالمون : جمع عالم وهو اسم لذوى العلم أو لكل ما علم الله به ، وقد جمع
جمعاً صحيحاً لما فيه من معنى الصفة وهى العلم .

(٤) المذلهمة : الشديدة السواد وهو ترشيح لاستعارة ظلمة الليالى لخباء الضلالة ،
وذكر الضلالة معها غير حسن لأنه يبنى عن التشبيه المنافى لدعوى الاستعارة .

(٥) الشاهد فى أن هذا مقتبس مع تغيير يسير من سورة التوبة : ٣٢ .

(٦) قوله « تحوى » بمعنى تحرز وتلك ، وقوله « تتشعب » بمعنى تتفرع وتختلف .

(٧) قوله « ضمهم » بمعنى جمعهم ، والهوى : الميل .

التضمين : وأما التضمين فهو أن يُضَمَّنَ الشعر شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء ^(١) كقول بعض المتأخرين (قيل هو ابن التلميذ الطبيب النصراني) :

كانت بلهنية الشبيبة سكرة	فصحوت واستبدلت سيرة مجمل
وقعدت أنتظر الفناء كراكب	عرف المحل فبات دون المنزل ^(٢)

البيت الثاني لمسلم بن الوليد الأنصاري . وقول عبد القاهر بن طاهر التميمي :

إذا ضاق صدري وخفت العدى	تمثلت بيتسا بحالى يلىق
فيا لله أبلغ ما أرتجى	وبالله أدفع ما لا أطيق ^(٣)

وقول ابن العميد :

وصاحب كنت مغبوطاً بصحبته	ذهراً فغادرنى قرذاً بلا سكين
هبت له ريح إقبال قطار بها	نحو السرور والجانى إلى الحزن
كأنه كان مطوياً على إحن	ولم يكن فى ضروب الشعر أنشدنى ^(٤)
إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا	من كان يالفهم فى المنزل الحشن

(١) بهذا التنبيه يتميز التضمين عن الأخذ والسرقة .

(٢) هما لأبى الحسن هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ . والبلهنية : رخاء العيش ، والمجمل : المحسن فى عمله والمترفق ، والفناء : الموت ، ودون : بمعنى قريب .

(٣) البيت الأول لعبد القاهر بن طاهر المعروف بأبى منصور البغدادي وهو من كبار الشافعية ، والبيت الثانى المضمن لا يعرف قائله .

(٤) الأبيات الثلاثة لمحمد بن الحسين المعروف بابن العميد . والرواية الصحيحة « وصاحباً » لأنه معطوف على « زمانا » فى قوله قبله :

أشكو إليك زمانا ظل يعركنى عرك الأديم ومن يعدو على الزمن

والمغبوط : المسرور ، والسكن : ما يسكن إليه ويستأنس به ، والإقبال : قدوم الدنيا بالخير ، وقوله « الجانى » مخفف الجانى ، والإحن : جمع إحنة وهى العداوة ، وقد روى صاحب « معاهد التنصيص » هذه الأبيات للصاحب بن عباد .

البيت لأبى تمام ^(١) . وكقول الحريري :

على أئى سأنشيدُ عند بيئى أضاعونى وأى فتنى أضاعوا ^(٢)

المصراع الأخير قيل : هو للعرجي . وقيل : لأمية بن أبى الصلت ، وقام البيت :

* ليوم كربة سدَادِ ثغر * ^(٣)

ولا حاجة إلى تقديره لتمام المعنى بدونه - ومثله قول الآخر :

قد قلت لما أطلعت وجناته حوّل الشقيق الغض روضة آس

أعدارة السارى العجول ترققاً ما فى وقوفك ساعة من باس ^(٤)

المصراع الأخير لأبى تمام ^(٥) . وكقول الآخر :

كنّا معاً أمس فى بؤس نكابده والعين والقلب منّا فى قذى وأذى

والآن أقبلت الدنيا عليك بما تهوى فلا تنسنى إن الكرام إذا ^(٦)

(١) يعنى البيت الأخير ، وقد نسبته ابن خلكان لإبراهيم بن العباس الصولى ، ولعله أخذه من أبى تمام .

(٢) هو للقاسم بن على المعروف بالحريري على لسان غلامه أبى زيد حين عرضه للبيع و« أى » اسم استفهام أريد به التعظيم مفعول مقدم لأضاعوا ، يعنى : أى فتنى أضاعوا ، أى كاملاً من الفتیان .

(٣) اللام فى قوله « ليوم » بمعنى « فى » متعلقة بأضاعوا ، والكربة : الحرب ، وسداد الثغر : سدّه على الأعداء بالخيّل والرجال . والثغر : موضع المخافة من فروج البلدان .

(٤) هما لأبى العباس أحمد بن إبراهيم المعروف بابن خلكان ، والوجنات : جمع وجنة وهى ما ارتفع من الخدين ، والشقيق : ورد أحمر أريد به الخد على سبيل الاستعارة ، والغض : الطرى ، والآس : الريحان والمراد به العذار على سبيل الاستعارة . والعذار : الشعر الذى يحاذى الأذن ، والسارى : السائر بالليل ، وصفه بذلك لاشتماله على مثل سواده ، والبأس : الحرج مخفف بأس ، وهو مبتدأ مؤخر مجرور بمن الزائدة .

(٥) هو من قوله فى مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن المعتصم :

ما فى وقوفك ساعة من باس نقضى حقوق الأربع الأدراس

(٦) هما من قول بعض التجار للأمير بدر الدين بيلبك الخازندار ، وكان قد أحضره إلى القاهرة فباعه فيها ، فارتفع أمره حتى صار أميراً ، وقوله « نكابده » بمعنى « نقاسيه » ، والقذى : يرجع إلى العين ، والأذى : إلى القلب ، على اللف والنشر المرتب .

أشار إلى بيت أبي تمام (١) ، ولا بد من تقدير الباقي منه لأن المعنى لا يتم بدونه .
وقد عُلِمَ بهذا أن تضمين ما دون البيت ضربان (٢) .
وأحسن وجوه التضمن أن يزيد المُضمَّن في الفرع عليه في الأصل بنكتة ،
كالتورية والتشبيه في قول صاحب التعبير :

إذا الوهم أبدى لي لماها وثغرها تذكرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرني من قدها ومدامعى مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجَرَّى السَّوَابِقِ (٣)
المصراعان الأخيران لأبي الطيب (٤) .

ولا يضر التغيير اليسير ليدخل في معنى الكلام ، كقول بعض المتأخرين في
يهودى به داء الثعلب :

أقول لمعشر غلظوا وغضوا عن الشيخ الرشيد وأُكْرُوهُ

(١) هو قوله :

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا مَنْ كَانَ يَأْلِفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْحُشْنِ
(٢) ضرب لا يحتاج إلى تقدير باقى البيت لأن المعنى لا يتم من غيره ، كما في قول
الحريري ، وضرب يحتاج إلى تقديره لأن المعنى لا يتم إلا به ، كما في قول ذلك التاجر
(٣) هما لابن أبي الإصبع عبد العظيم بن عبد الواحد المصرى صاحب « تحرير
التحبير » فى البديع ، والوهم : الخيال ، اللعى : سمرة الشفتين ، والشعر : مقدم
الأسنان ، والعذيب وبارق : موضعان ، ولكنه أراد بالعذيب الشفة تصغير عذب ،
وبالبارق الشعر لأنه يشبه البرق ، وما بينهما الرق ، على سبيل التورية ، وفى ذلك لف
ونشر مرتب ، وفاعل « يذكرني » يعود إلى الوهم ، والقامة : القامة ، والتقدير ويذكرني
من تبخر قدها وجربان مدامعى ، لأن هذا هو الذى يشبه مَجَرَّ الْعَوَالِي أَي جَرَّهَا وَمَجَرَّى
السَّوَابِقِ أَي جَرَّهَا ، وهو تشبيه ضمني ، وفى هذا لف ونشر مرتب أيضاً ، والعوالى :
الرماح ، والسوابق : الخيل .
(٤) يعنى قوله :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجَرَّى السَّوَابِقِ
والشاهد فى أن أبا الطيب يريد بالعذيب وبارق موضعين فأراد بهما ابن أبي الإصبع
ما سبق على سبيل التورية ، ثم زاد عليه أيضاً تشبيه قدها ومدامعى بمَجَرَّ الْعَوَالِي
ومَجَرَّى السَّوَابِقِ .

مَتَى يَضَعُ الْعِمَامَةُ تَعْرِفُوهُ (١)

هُوَ ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا

البيت لسحيم بن وثيل وأصله :

أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى (٢)

تقسيم التضمين إلى استعانة وإيداع أو رفو : ورُبَّمَا سُمِيَ تضمين البيت فما زاد استعانة ، وتضمين المصراع فما دونه تارة إيداعاً وتارة رفوً (٣) .

العقد : وأما العقد فهو أن يُنظَمَ نثر لا على طريق الاقتباس (٤) .

أما عقد القرآن فكقول الشاعر :

أَنْلِنِي بِالنَّذَى اسْتَقْرَضْتَ خَطَا وَأَشْهَدُ مَعْشَرًا قَدْ شَاهَدُوهُ (٥)

فَإِنَّ اللَّهَ خَسَلَتْكَ الْبَرََايَا عَنَّتْ بِجَلَالِ هَيْبَتِهِ الْوُجُوهُ

يقول : إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتَبِسُوهُ

وأما عقد الحديث فكما روى للشافعى رضى الله عنه :

عُمْدَةُ الْخَيْرِ عِنْدَنَا كَلِمَاتُ أَرْبَعُ قَالَهُنَّ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ

(١) هما لضياء الدين موسى بن ملهم فى الرشيد عمر القَوِيُّ . وقوله « غضوا » بمعنى أعرضوا ، وقوله « جلا » صفة لمحدوف تقديره شعر جلا وانكشف ، لأن داء الثعلب « وهو القراع » يسقط شعر الرأس ، والمراد بالثنايا مقدم أسنانه لأنها كانت بارزة ، والمراد بالعمامة عمامته التى يضعها على رأسه ، وهذا خلاف المراد منهما فى بيت سحيم .

(٢) سبق هذا البيت فى الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة من الجزء الثانى .

(٣) سبق أمثلة لكل منهما فى شواهد التضمين السابقة .

(٤) بأن يُغَيَّرَ فيه تغيير كثير إذا كان قرآناً أو حديثاً ، أو يشار إلى أنه منهما ، ليخالف بهذا طريق الاقتباس فيهما ، أما نظم غيرهما فهو عقد مطلقاً .

(٥) هى للحسين بن الحسن الواسانى الدمشقى ، وقوله ، أَنْلَنِي بمعنى أعطنى ، وقوله استقرضت : بمعنى استدنت ، والبرايا : الخلائق جمع برية ، وقوله « عنت » بمعنى خضعت . والشاهد فى عقده ذلك من سورة البقرة : ٢٨٢ .

إِتَّقِ الشُّبُهَاتِ ، وَأَزْهَدْ ، وَدَعْ مَا لَيْسَ بِعَيْنِكَ ، وَأَعْمَلَنَّ بِنِيَّةٍ (١)
 عقد قوله عليه السلام « الحلال بَيْنَ والحرام بَيْنَ ، وبينهما أمور مشتبّهات » .
 وقوله عليه السلام : « ازهد في الدنيا يحبك الله » وقوله عليه السلام : « من
 حَسَنَ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرَكَهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » وقوله عليه السلام : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » .
 وأما عقد غيرهما فكقول أبي العتاهية :

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلَهُ نُطْفَةٌ وَجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ (٢)

عقد قول على رضى الله عنه : « وما لابن آدم والفخر ، وإنما أوله نطفة ، وآخره
 جيفة ! » :

وقوله أيضاً :

كَفَى حُزْناً بِدَفْنِكَ ثُمَّ أَنَّى نَفَضْتُ تَسْرَابَ قَبْرِكَ عَنِ يَدَيَّ
 وكانت في حياتك لى عِظَاتُ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا (٣)

قيل : عقد قول بعض الحكماء في الإسكندر لما مات : « كَانَ الْمَلِكُ أَمْسَ أَنْطَقَ مِنْهُ
 الْيَوْمَ ، وَهُوَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْهُ أَمْسَ » . وقيل : هو قول المؤيد لما مات قُبَاذُ الْمَلِكِ .
 وقول الآخر :

يَا صَاحِبَ الْبَغْيِ إِنَّ الْبَغْيَ مَصْرَعَةٌ فَارْبِعٌ فَخَيْرُ فَعَالٍ الْمَرْءُ أَعْدَلُهُ
 فلو بغى جبلاً يوماً على جبَلٍ لَأَنْدَكَ مِنْهُ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ (٤)

(١) هما لأبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى . أو قيل : إنهما لأبى الحسن
 ظاهر بن معوذ الأشبيلي . والعمدة : ما يعتمد الشيء ويقوم عليه ، والشبهات : الموقعة
 في الاشتباه بما ليس بحرام بَيْنَ ولا حلال بَيْنَ ، وقوله « يعنيك » بمعنى يهكم .
 (٢) هو لإسماعيل بن القاسم المعروف بأبى العتاهية ، والبال : الحال ، والنطفة : ماء
 الرجل أو المرأة ، وقوله « يفخر » بمعنى يباهى بنفسه ، حال من الموصول المضاف إليه .
 (٣) هما لأبى العتاهية أيضاً في رثاء على بن ثابت ، وإلباء في قوله « بدفنك »
 زائدة لأنه فاعل كفى ، وما بعد « ثم » في تأويل مصدر معطوف عليه .
 (٤) لا يعرف قائلهما ، والبغى : الظلم ، والمصرعة : اسم مكان من « صرعه »
 بمعنى طرحه على الأرض ، وقوله « اربع » . بمعنى توقف وانتظر . والفعال : الفعل
 الحسن ، وقوله « اندك » بمعنى انهدم .

عقد قول ابن عباس رضى الله عنهما : « لو بغى جبل على جبل لَدُكُ الباغى »
وقول الآخر :

الْبَسْ جَدِيدَكَ إِنِّي لَا بَسَّ خَلَقِي وَلَا جَدِيدُ لِمَنْ لَا يَلْبَسُ الْخَلْقَا (١)
عقد المثل « لا جديد لمن لا خلق له » قالت عائشة رضى الله عنها وقد وهبت
مالا كثيرا ، ثم أمرت بثوب لها أن يُرَقَّعَ . يُضْرَبُ فى الحث على استصلاح المال .
الحل : وأما الحل فهو أن يُنْثَرِ نَظْمٌ ، وشرط كونه مقبولا شيئا : أحدهما أن
يكون سبكه مختاراً لا يتقاصر عن سبك أصله ، والثانى أن يكون حسن الموقع
مستقراً في محله غير قلق (٢) ، وذلك كقول بعض المغاربة : « فإنه لما قبحت
فعلاته ، وحفظت نخلاته ، لم يزل سوء الظن يقتاده ، ويصدق توهمه الذى يعتاده »
حل قول أبى الطيب :

إِذَا سَاءَ فَعَلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُمٍ (٣)
وكقول صاحب « الوشى المرقوم فى حل المنظوم » (٤) يصف قلم كاتب : « فلا
تحظى به دولة إلا فخرت على الدول ، وَغَنِيَتْ بِهِ عَنِ الْخَيْلِ وَالْحَوَلِ ، وقالت : أعلى
الممالك ما يبنى على الأقلام لا على الأسل » . حل قول أبى الطيب أيضاً :
* أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الْأَسْلِ * (٥)

وكقول بعض كتاب العصر فى وصف السيف : « أورثه عشقُ الرقاب نحولا ،
فبكى ، والدمع مطر تزيد به الحدودُ مجولا » . حل قول أبى الطيب أيضاً :

(١) وهو لعدي بن زيد العبادى ، والخلق : الثوب البالى يستوى فيه المفرد وغيره .
(٢) الفرق بينهما أن الأول يرجع إلى اللفظ بأن يكون سجعاً ذا فقرات مستحسنة ،
والثانى يرجع إلى المعنى بأن يكون مطابقاً لما تجب مراعاته فى البلاغة .
(٣) قاله فى الشكوى من سيف الدولة وسماعه لقول أعدائه ، وبعده :
وعادى مُحْبِيهِه لِقَوْلِ عِدَاتِهِ وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلَمٌ
(٤) هو ابن الأثير صاحب كتاب - المثل السائر .
(٥) هو من قوله :

أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الْأَسْلِ وَالطَّعْنُ عِنْدَ مُحْبِيهِهِ كَالْقَبْلِ
والأسل : الرماح . والقبل : جمع قبلة وهى اللثمة .

فى الخدَّ إن عَزَمَ الخَلِيطُ رَحِيلاً مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الخُدُودُ مُجُولاً (١)
التلميح : وأما التلميح فهو أن يُشار إلى قصة أو شعر من غير ذكره (٢) .
فالأول كقول ابن المعتز :

أُتْرِىَ الجِيرةَ الذين تَدَاعَوْا عند سَيْرِ الحبيبِ وَقْتَ الزَّوَالِ
عَلِمُوا أَنَّنِي مَقِيمٌ وَقَلْبِي رَاحِلٌ فِيهِمْ أَمَامَ الجِمالِ
مِثْلُ صَاعِ العَزِيزِ فِي أَرْحَلِ القَوِّ م ، ولا يعلمون ما فى الرِّحالِ (٣)

(١) الخليط : المخالط من الأحبة ، والمراد من المطر الدمع على سبيل الاستعارة .
والمنحول : (بالحاء) الجذب استعارة لشحوب الخد ، (وبالجيم) مصدر « مجل » إذا
أصاب جلده نارٌ فتنفط ، وهذا من حرارة الدمع .
هذا وليس فى القرآن شىء من الحل خلافاً لابن أبى الإصبع فى زعمه أن قوله تعالى :
سورة سبأ : ١٣ « يعملون له ما يشاء من محاريب وقنايل وجفان كالجواب وقدور
راسيات » حل لقول امرئ القيس :

وقدور راسيات وجفان كالجواب

والحق أن هذا لا تصح نسبته إلى امرئ القيس ، وإنما هو مما نحل بعد الإسلام له .
(٢) أى ذكر واحد من القصة والشعر ؛ ومثلها الإشارة إلى حديث أو آية أو مثل أو
مسألة علمية ، ومن ذلك قول الشاعر :

خذوا بدمى هذا الغزال فإنه رمانى بسهمى مقلتيه على عمد
ولا تقتلوه إننى أنا عبده ولم أرحا قط يقتل بالعبد
وقول الآخر فى الإشارة إلى المثل :

مَنْ غاب عنكم نسيتموه وقلبه عندكم رهينه
أظنكم فى الوفاء ممن صحبته صحبة السفينة

(٣) هى لعبد الله بن المعتز ، وقوله « تداعوا » بمعنى دعا بعضهم بعضاً للسير معه ،
وصاع العزيز صواعه وهى مشربة كان يسقى بها ثم جعلت صاعاً ، والعزيز عزيز مصر فى
عهد يوسف ، والأرحل والرحال جمع رحل وهو ما يجعل على ظهر البعير كالسرج ، أو ما
يستصحبه المسافر من الأثاث ، والقوم : إخوة يوسف ، فال فيه للعهد ، والشاهد فى
إشارته بصاع العزيز إلى قصته المعروفة فى سورة يوسف : ٧٠

وقول أبى تمام :

لَحَقْنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الْهَوَى قلوباً عهدنا طيرها وهى وُقْعُ (١)
فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بَشْمَسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخَدْرِ تَطْلُعُ (٢)
نَضًا ضَوْءُهَا صَبَغَ الدُّجْنَةَ وَأَنْطَوَى لِبَهْجَتِهَا ثَوْبُ السَّمَاءِ الْمَجْزَعُ (٣)
فَوَالِكِهِ مَا أَدْرِى أَحْلَامُ نَائِمٍ أَلَّتْ بَنَّا أَمْ كَانَ فِى الرُّكْبِ يَوْشَعُ (٤)

أشار إلى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس ، فإنه روى أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم ، فدعا الله فردد له الشمس حتى فرغ من قتالهم .

والثانى كقول الحريرى : « وإنى والله لطالما تلقيت الشتاء بكافاته ، وأعددت له الأهب قبل موافاته » . أشار إلى قول ابن سكرة :

جاء الشتاء وعندى من حوائجه سَبَّحَ إِذَا الْقَطْرُ عَنْ حَاجَاتِنَا حُسْنًا
كِنْ ، وَكِيسٌ ، وَكَاثُونٌ ، وَكَاسُ طِلَآءٍ بَعْدَ الْكِبَابِ ، وَكَسٌ نَاعِمٌ ، وَكِسَا (٥)

(١) ضمير أخراهم للأحبة الراحلين ، وقوله « حوم » بمعنى أدار ، والمراد بطيرها ما يتخالج فيها من الخواطر ، ووقع : جمع واقع يعنى أنها ساكنة غير متحركة ، ومبنى ذلك كله على تشبيه القلوب بالطير على سبيل الاستعارة بالكناية ، وإثبات التحويم لها تخييل وما عداه ترشيح .

(٢) الراغم : الدليل استعير لليل ، والباء فى قوله « بشمس » للتجريد ، والخدر : اليهودج ، جرد بذلك من الشمس شمساً أخرى ظهرت من الخدر وهذا يتضمن تشبيهه محبوبيته بالشمس .

(٣) قوله « نضا » بمعنى أذهب ، والدجنة : الظلمة ، وثوب السماء : ظلمتها على الاستعارة ، وفى رواية « ثوب الظلام » ، والمجزع : كل ما فيه سواد وبياض .

(٤) قوله « ألت » بمعنى نزلت . والركب : المسافرون .

(٥) هما لمحمد بن عبد الله المعروف بابن سكرة ، والقطر : المطر . وقوله « حيس » بمعنى منع ، والكن : البيت ، والكيس : صرة الدراهم ، وطلا : مقصور طلاء وهى الخمر وكسا : مقصور كساء وهو الثوب . والشاهد فى ابتداء كل من السبع بالكاف وإشارة الحريرى إليها بذلك .

وقوله أيضاً : « بت بليلة نابغة » . أوماً به إلى قول النابغة :

فَبِتْ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْلَةٌ مِنْ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السَّمُّ نَاقِعٌ (١)
وقول غيره :

لَعَمْرُوْهُ مَعَ الرَّمْضَاءِ وَالنَّارُ تَلْتَظِي أَرْقُ وَأَحْفَى مِنْكَ فِي سَاعَةِ الْكَرْبِ (٢)

الْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرُو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ (٣)

ومن التلميح ضرب يشبه اللغز ، كما روى أن تميمياً قال لشريك الثميري : « ما في الجوارح أحب إلي من البازي » . فقال : « إذا كان يصيد القطا » . أشار التميمي إلى قول جرير (٤) :

(١) هو لزياد بن عمرو المعروف بالنابغة الذبياني ، وقيله :

وعيد أبي قابوس في غير كنهه أتانى ودونى راكس والضواجع

وقوله « ساورتني » بمعنى أصابتني ، والضئيلة : الحية الدقيقة والأنعى كلما كبرت صغر جسمها ، والرقش : جمع رقشاء وهي الحية المنقطة بسواد وبياض ، والناقع : الشديد خبر عن السم ، وقيل : الصواب نصبه .

(٢) هو لأبي تمام من نسيب له في بعض قصائده ، والرمضاء : الأرض الحارة ، وقوله « تلتظي » بمعنى تتوقد ، والأحفى : الأشفق .

(٣) فيه تلميح أيضاً إلى قصته الآتية .

(٤) ذكر السعد أن عمرا هو جساس بن مرة والحق أنه عمرو بن الحارث ، وكان جساس قد أودقه خلفه لما ركب ليلحق كليباً ، فلما طعنه وبه رمق قال له :

أَغْنِنِي يَا جَسَّاسُ مِنْكَ بِشْرِي تُعَوِّدُهَا فَضْلاً عَلَيَّ وَأَنْعَمَ

فقال له جساس : « تجاوزت الأحص وشبيشا » ، ثم نزل عمرو فطعنه بسيفه ، فلما علم أنه يريد الإجهاز عليه قال « المستجير بعمر ... البيت » وظاهر هذا أن البيت لكليب ، وفي بعض روايات القصة ما يفيد أنه لغيره ، وأنه يلمح به إلى قصته كبيت أبي تمام .

أنا البازي المطلُّ على نُميرٍ أتيحُ مِنَ السماءِ لها انصباباً (١)
وأشار شريك إلى قول الطرمّاح :
تَمِيمٌ بطرق اللؤم أهدى من القَطَا ولو سلكتُ طُرُقَ المكارم ضَلْتُ (٢)

* * *

(١) البازي : طير من الصقور يتصيد ، والمطل : المشرف ، وقوله « أتيح » بمعنى هيء وقدر ، ونُمير « لها » لنمير .
(٢) هو للطرمّاح بن حكيم ، والطرق : جمع طريق ، والقطا : واحده قطة وهي طائر فى حجم الحمام ، وقيل : إنه نوع من الحمام ، وقوله « ضلت » من ضل الطريق وضل عنه إذا لم يهتد إليه ، يعنى أنها لو أرادت سلوكها لم تهتد إليها .

تمرينات على السرقات الشعرية وما يتصل بها

تمرين - ١

بين موضع الأخذ ونوعه وحكمه فى قول عمرو بن معديكرب :

والضَّارِبِينَ بِكُلِّ أبيضٍ مُرْهَفٍ
قَوْمٌ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ يَوْمَ الْوَعْىِ
والطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الْأَضْغَانِ
مَشْغُوفَةٌ بِمَوَاطِنِ الْكُتْمَانِ
وقول مسلم بن الوليد وأبى تمام بعده :

لا يستطيع يَزِيدٌ مِّنْ طَبِيعَتِهِ
تَعَوُّدَ بَسْطِ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ
عَنِ الْمُرُوءَةِ وَالْمَعْرُوفِ إِحْجَاماً
ثَنَّاها لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أَنْامِلُهُ

تمرين - ٢

من أى أقسام الأخذ غير الظاهر ما يأتى :

(١) قول أبى العتاهية :

إِنَّمَا النَّاسُ كَالْبَهَائِمِ فِي الرُّزْ
مَعَ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ بَعْدَهُ :
قِي سَوَاءٌ جَهْلُهُمْ وَالْحَكِيمُ

فَلَوْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ تَجْرَى عَلَى الْحِجَى
(٢) قول مسلم بن الوليد :

يَعْدُو عَدُوُّكَ خَائِفاً فَإِذَا رَأَى
مَعَ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ بَعْدَهُ :
أَنْ قَدْ قَدَّرْتَ عَلَى الْعِقَابِ رَجَاكَ

إِذَا سَيْفُهُ أَضْحَى عَلَى الْهَامِ حَاكِماً
غَدَا الْعَفْوُ مِنْهُ وَهُوَ فِي السَّيْفِ حَاكِمٌ

تمرين - ٣

ميز بين الاقتباس والتضمن والعقد والحل والتلميح فى الأمثلة الآتية :

(١) قوله تعالى سورة العنكبوت : ٤١ : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ
كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .

- (٢) أَشْكُو الْأَقَارِبَ لَا يَغِيبُ جَفَاهُمْ
هُمْ يَعلنون لدى اللِّقَاءِ مَوَدَّتِي
(٣) لَمْ أَنَسْ مَوْقِفَنَا بِكَاطِمَةٍ
وَالدَّمَعُ يُنْشِدُ فِي مَسَايِلِهِ :
- (٤) قول إبراهيم بن العباس الصولي : « فأبدلوه آجالاً من آمال » ، مع قول مسلم
ابن الوليد قبله :

- مَوْفٍ عَلَى مُهَجٍ فِي يَوْمٍ ذِي رَهَجٍ
كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ
(٥) قول أبي الطيب :
- وَلَمْ أَرْ فِي عَيُوبِ النَّاسِ شَيْئاً
كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ
مع قول أرسطو قبله : « أَعْجَزُ الْعَجْزَةِ مَنْ قَدَرَ أَنْ يَزِيلَ الْعَجْزَ عَنْ نَفْسِهِ فَلَمْ
يَفْعَلْ » .

- (٦) قول أبي العلاء :
- أَفِقْ إِنَّمَا الْبَدْرُ الْمُقْنَعُ رَأْسُهُ
ضَلالٌ وَغَنَىٌ مِثْلُ بَدْرِ الْمُقْنَعِ
- (٧) قول أبي نواس :
- بِرُوحِي غَزَالٌ كَانَ لِلنَّاسِ قِبَلُهُ
وَيَقْرَأُ فِي الْمِحْرَابِ وَالنَّاسُ خَلْفُهُ
فَقُلْتُ : تَأْمَلُ مَا تَقُولُ فَإِنَّهَا
وَقَدْ زَرْتُ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي مُصَلَّاهُ
وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ
فِعَالُكَ يَا مَنْ تَقْتُلُ النَّاسَ عَيْنَاهُ

* * *

الفصل الثانى

مواضع التأنق فى الكلام

ينبغى للمتكلم أن يتأنق فى ثلاثة مواضع من كلامه ، حتى تكون أعذبَ لفظاً ، وأحسن سبكاً ، وأصح معنى (١) .

حسن الابتداء : الأول الابتداء ، لأنه أول ما يقرع السمع ، فإن كان كما ذكرنا أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه ، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه ، وإن كان فى غاية الحسن .

فمن الابتداءات المختارة قول امرئ القيس :

* قفا نُبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل (٢) *

وقول النابغة :

كَلِينِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ (٣)

(١) عذوبة اللفظ بسلامته من التناثر ونحوه ، وحسن سبكه بسلامته من التعقيد ، وزيادة صحة المعنى بمطابقتها لمقتضى الحال .

(٢) هو من قوله فى مطلع معلقته :

قفا نُبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل يَسْقُطُ اللَّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمَلٍ

والسقط : منقطع الرمل حيث يدق ، واللوى : الرمل المعوج الملتوى ، والدخول وحومل : موضعان ، وقد روى الأصمعى العطف بينهما بالواو لأن « بين » لا يقع إلا على اثنين فصاعداً ، وعلى رواية الفراء يقدر : « أى ما بين أماكن الدخول فحومل » . وإنما حسن هذا المطلع لأنه وقف فيه واستوقف ، وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل ، بلفظ مسبوك لا تعقيد فيه ولا تناثر .

(٣) هو لزياد بن عمرو المعروف بالنابغة الذبياني ، وقوله « كلىنى » أمر من وكل إليه كذا بمعنى سلمه إياه ، والناصب : المتعب ، وقد قُضِّلَ هذا المطلع على السابق وإن كان أقل منه معانى بأن شطريه متناسبان وألفاظه متلائمة .

وقول أبى الطيب :

أَتَظُنُّنِي مِنْ زَلَّةٍ أَتَعْتَبُ قلبى أرقُّ عليكِ ممَّا تَحْسَبُ (١)

وقوله :

أُرِيكَ أَمْ مَاءُ الْغَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ بِنْيُ بَرُودٍ وَهُوَ فِي كِبْدِي جَمْرُ (٢)

وقوله :

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مُذَمَّمٍ وَأُمٌّ وَمَنْ يَمُمْتُ خَيْرُ مُيَمَّمٍ (٣)

وقوله :

أُتْرَاهَا لِكثْرَةِ الْعُشَاقِ تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَاقِي (٤)

وقول الآخر :

زَمُوا الْجِمَالَ قُلُّ لِلْعَاذِلِ الْجَانِي لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ مِذْرَارِ أَجْفَانِي (٥)

قبح الابتداء : وينبغي أن يُجتنب في المديح ما يُتطير به ، فإنه قد يتفاهل به الممدوح أو بعض الحاضرين ، كما روي أن ذا الرمة أنشد هشام بن عبد الملك قصيدته البائية :

(١) الزلة : الذنب ، وقوله « أتعتب » بمعنى ألوم ، وقوله « تحسب » بمعنى تظن . ينكر أن يلومه على ذنبه إليه بهجره ونحوه لركة قلبه عليه .

(٢) هو لأبى الطيب أيضاً . والغمامة : السحاب ، وبرود : صيغة مبالغة أى شديد البرد ، والاستفهام في البيت من باب تجاهل العارف للتدله في الحب ، ريقك وما عطف عليه خبر مبتدأ محذوف تقديره « هو » أى ما ذقتك ، وقوله « بفي برود » مبتدأ وخبر .

(٣) هو لأبى الطيب أيضاً ، وفراق خبر مبتدأ تقديره « حالي فراق » ، والأُم : القصد يعنى بذلك فراقه لسيف الدولة الحمداني حين غضب عليه وقصده لكافور بمصر .

(٤) هو لأبى الطيب أيضاً ، وقوله « أترها » بمعنى أظنها ، والاستفهام للتقرير ، والخلقة : الفطرة ، والمآقي : جمع موق أو موق وهو مجرى الدمع من العين أى طرفها مما يلي الأنف .

(٥) لا يعرف قائله ، وقوله « زموا الجمال » بمعنى شدوا الرحال عليها للسفر ، والعاذل : اللاتم في حبه ، ومذار الأجفان : دمعها الغزير السيلان .

* ما بال عينك منها الماء ينسكب * (١)

فقال هشام : « بل عينك » .

ويقال : إن ابن مقاتل الضرير أنشد الداعي العلوي قصيدته التي أولها :

* مَوْعِدُ أَحِبَّائِكَ بِالْفَرْقَةِ غَدٌ * (٢)

فقال له الداعي : « موعِدُ أَحِبَّائِكَ ، ولك المثل السوء » .

وروى أيضاً أنه دخل عليه فى يوم مهرجان وأنشد :

لَا تَقْلُ بُشْرَى وَلَكِنْ بُشْرَيَانِ غُرَّةُ الدَّاعِي وَيَوْمُ الْمَهْرَجَانِ (٣)

فتطير به وقال : « أعمى يبتدىء بهذا المهرجان ! » وقيل : بطحه وضربه خمسين عصاً ، وقال : إصلاح أذه أبلغ فى ثوابه .

وقيل : لما بنى المعتصم بالله قصره بالميدان وجلس فيه أنشده إسحاق الموصلى :

يَا دَارُ غَيْرِكَ الْبَلَى وَمَحَاكِ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَهْلَاكَ (٤)

فتطير المعتصم بهذا الابتداء وأمر بهدم القصر .

ومن أراد ذكر الديار والأطلال فى مديح فليقل مثل قول القطامي :

(١) هو من قول غيلان بن عقبة المعروف بنذى الرمة فى مطلع له :

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كُلى مفردة سرب

والكلى جمع كلية أو كلوة وهما كليتان فى الجسم لإفراز البول ، والمفردة : المقطعة ، والسرب : السائل ، وقيل : إنشاده كان لعبد الملك بن مروان .

(٢) هو مطلع أرجوزة لنصر بن نصر الحلوانى ، وكنيته ابن مقاتل كما هنا ، لكن الذى فى « مروج الذهب » و « الصناعتين » أنها أبو المقاتل ، وهو يمدح بها محمد بن زيد الحسينى الداعي صاحب طبرستان ، والفرقة : اسم من الفراق وقيل : إنه اسم موضع ولكنه يومه ذلك فتطير منه .

(٣) الغرة : بياض الجبهة ، ويوم المهرجان : أول يوم من فصل الخريف ، وهو من أعياد الفرس .

(٤) هو لإسحاق بن إبراهيم الموصلى ، والبلَى : مصدر بلى الثوب بمعنى رث ، وقوله « ليت شعري » بمعنى ليت علمى جواب ما بعده من الاستفهام .

* إنا مَحْيُوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلُّ (١) *

أو مثل قول أشجع السلمي :

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَمَالَهَا الْإِيَّامُ (٢)

براعة الاستهلال : وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود ، ويسمى براعة الاستهلال (٣) ، كقول أبي تمام يهنئ المعتصم بالله بفتح عمورية ، وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت :

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ (٤)

بيضُ الصفائح لا سودُ الصفائف في مُتُونِهِنَّ جِلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ (٥)

وقول أبي محمد الخازن يهنئ ابن عباد بمولود لبنته :

بُشْرَى فَقَدْ أَتَجَزَ الْإِقْبَالُ مَا وَعَدَا وَكَوْكَبُ الْمَجْدِ فِي أَفْقِ الْعُلَا صَعَدَا (٦)

وقول الآخر :

(١) هو لعمير بن شبيب المعروف بالقطامي في مطلع له :

إِنَّا مَحْيُوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلُّ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّيْلُ

والطلل : الشاخص من الآثار ، والطيل : مَدَى الدهر .

(٢) هو مطلع قصيدة لأشجع بن عمرو السلمي في مدح الرشيد ، وقوله « خلعت »

بمعنى طرحت . وفي رواية « أَلَقْتُ » .

(٣) هي أن يكون مطلع الكلام دالا على غرض المتكلم من غير تصريح بل بإشارة

لطيفة ، والحق أنها من المحسنات البديعية ، ولهذا يذكرها فيها كثير من العلماء .

(٤) الإنباء مصدر « أنبأ » بمعنى أخبر ، وحد السيف = مقطعه .

(٥) ببيض الصفائح : السيوف ، والصفائح : جمع صفيحة وهي وجه كل شيء محدد

عريض ، وسود الصفائف : الكتب ، والمتون : الظهور ، وإنما نسب ذلك إليها لاعتماد حد السيف في القطع عليها .

(٦) هو لعبد الله بن محمد المعروف بأبي محمد الخازن ، والإقبال : قدوم الدنيا

بالخير ، والأفق : الناحية استعير للعلا ، والمراد بكوكب المجد ذلك المولود على سبيل الاستعارة ، ويصعوده : ظهوره ، وإضافته للمجد على معنى الكلام .

أَبَشِرْ فَقَدْ جَاءَ مَا تُرِيدُ أَبَادَ أَعْدَاءَكَ الْمُبِيدُ (١)
 وكقول أبي الفرج السَّأوى يرثى بعض الملوك من آل بُؤَيْهِ - أَظَنَّهُ (٢) فخر الدولة :
 هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِلَاءٍ فِيهَا : حَذَارِ حَذَارٍ مِنْ بَطْشِي وَقَتْكِ (٣)
 وكذا قول أبي الطيب يرثى أمَّ سيف الدولة :
 نَعْدُ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا الْمُنُونُ بِسَلَا قَتَالِ (٤)
 وَتَرْتَبِطُ السَّوَابِقُ مَقْرِيَاتٍ وَمَا يُنْجِيْنَ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِي (٥)
 حسن التخلص : الثانى : التخلص ، ونعنى به الانتقال مما شَبَّ (٦) الكلام
 به من تشبيب أو غيره (٧) إلى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما (٨) ، لأن السامع
 يكون مترقباً للانتقال من التشبيب إلى المقصود كيف يكون ، فإذا كان حسناً متلائم
 الطرفين حرك من نشاط السامع وأعان على إصغائه إلى ما بعده ، وإن كان بخلاف
 ذلك كان الأمر بالعكس .

-
- (١) لا يعرف قائله . وقوله « أباد » بمعنى أهلك ، والمبید : المهلك وهو الله تعالى ،
 والجملة دعائية .
 (٢) جاء فى « يتيمة الدهر » أنه فخر الدولة على القطع .
 (٣) هى : ضمير القصة ، و « الدنيا » مبتدأ خبره الجملة بعده ، والجملة خبر ضمير
 القصة ، وملاء الشئ : ما يملؤه ، وهذا كناية عن قولها ذلك جهرًا بلا خفاء ، والبطش :
 الأخذ بصولة وشدة ، والفتك : مرادف له .
 (٤) المشرفية : السيوف المصنوعة فى مشارف الشام ، والعوالى : الرماح ، والمنون :
 المنية .
 (٥) السوابق : الخيل ، والمقريات : المدناة من البيوت لفرط الحاجة إليها أو للضن بها
 فلا ترسل إلى المرعى ، والخبيب : ضرب من العدو لا يستفرغ الجهد استعير لليالى .
 (٦) أى أبتدىء ، وأصل التشبيب ابتداء القصيدة بذكر أمور الشباب ، فاستعمل فى
 مطلق الابتداء على سبيل المجاز المرسل .
 (٧) التشبيب : النسب وغيره ، كوصف الخمر ونحوه مما كانت القصيدة تبدأ به .
 (٨) الحق أن حسن التخلص بهذه الملاءمة يكون من المحسنات البديعية كبراعة
 الاستهلال .

- فمن التخلصات المختارة قول أبي تمام :
- يقول في قومس قومي وقد أخذتُ
أمطلع الشمس تبغى أن تؤمّ بنا
وقول مسلم بن الوليد :
- أجذك ما تدرين أن ربّ ليلة
سهرت بها حتى تجلت بغرة
وقول أبي الطيب يدح المغيث العجلى :
- مرّت بنا بين تربيها فقلت لها : من أين جالس هذا الشادن العرتا (٥)
فاستضحكت ثم قالت : كالمغيث يرى
ليث الشرى وهو من عجل إذا انتسبا (٦)
- من السرى وخطأ المهرية القود (١)
فقلت : كلاً ولكن مطلع الجود (٢)
كان دجها من قرونك تُنشر (٣)
كغرة يحيى حين يذكّر جعفر (٤)

(١) قومس : موضع متسع بين خراسان وبلاد الجبل ، وقوله « أخذت » بمعنى أثرت ، والسرى : السير بالليل ، والمهرية : الإبل المنسوبة إلى مهرة ، والقود : الطويلة الظهور ، والأعناق : جمع أقود .

(٢) قوله « تؤم » بمعنى تقصد ، والشاهد في أنه أحسن التخلص بأن انتقل من مطلع الشمس إلى المدوح بعد أن جعله مطلع الجود ، فكان في الانتقال من الأول إلى الثانى مناسبة من جهة أن كلا منهما مطلع لأمر محمود ، والمراد بمطلع الجود عبد الله بن طاهر الذى مدحه بهذه القصيدة .

(٣) قوله « أجذك » بكسر الجيم وفتحها ولا يقال إلا مضافاً ، وهو منصوب على نزع الخافض أى أبجذك ، فإذا كسرت جيمه فهو استحلاف بالحقيقة ، وإذا فتحت فهو استحلاف بالبحت ، والدجى : الظلمة ، والقرون : خصل الشعر ، وقوله « تنشر » بمعنى تبسط وقد ، وهذا من التشبيه المقلوب .

(٤) قوله « تجلت » بمعنى ظهرت وانكشفت ، والغرة : بياض الجبهة ، والشاهد في تخلصه من النسب بالانتقال من غرة الصبح إلى المدوح بعد أن جعل غرة الصبح كغرتة ، فكان في الانتقال من الأول إلى الثانى مناسبة من جهة أن كل غرة تشبه الأخرى والبيتان من قصيدة له في مدح جعفر بن يحيى البرمكى .

(٥) قوله « تربيها » تثنية ترب وهو الصديق أو من وكّد معها ، والشادن : ولد اللظبية استعارة لمحبيته .

(٦) قوله « كالمغيث » خبر مبتدأ محذوف وتقديره أنا ، والشرى : طريق فى جبل سلمى كثيرة الأسد ، وعجل : قبيلة المغيث ، وفيه تورية لأن معناه القريب ولد البقرة ، ولا يخفى أنها تورية باردة لا تليق بمقام المدح ، والشاهد في تخلصه من النسب إلى المدح بذلك الاستفهام وجوابه .

وقوله أيضاً :

خَلِيلِي مَا لِي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ فَكَمْ مِنْهُمْ الدُّعْوَى وَمِنَى الْقَصَائِدُ (١)
فَلَا تَعْجَبَا ، إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ (٢)
الاقتضاب : وقد يَنْتَقِلُ من الفن الذي شَبَّبَ الكلام به إلى ما لا يلائمه ، وَنُسِمَ
ذلك « الاقتضاب » ، وهو مذهب العرب الأول وَمَنْ يَلِيهِمْ من الْمُخَضَّرِمِينَ (٣)
كقول أبي تمام :
لو رأى الله أن في الشَّيْبِ خيراً جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْباً (٤)

(١) المراد بالدعوى ادعاء الشعر وهو في الأصل مصدر « ادعى الشيء » إذا زعم أنه له حقاً أو باطلاً .

(٢) المراد بسيف الدولة بمدوحه ملك حلب ، وفي ذلك تورية لأن معناه القريب السيف الذي يناضل عن الدولة به ، والشاهد في تخلصه إلى المدح يجعل انفراده بالشعر كأنفراد الممدوح بكونه سيف الدولة .

(٣) المخضرمون : الذين قالوا الشعر في الجاهلية والإسلام ، ومن الاقتضاب قولهم في التخلص « دَعْ ذَا أَوْ عُدْ عَنْ ذَا » على أن منهم من كان يسلك مذهب التخلص كالمحدثين ومن ذلك قول زهير :

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَمْ يَكُنْ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمٌ
كما أن من المحدثين من يذهب من الاقتضاب مذهبهم ، كأبي تمام في قوله الآتي « لو رأى الله ... » البيتين .

وقد اختلف في وقوع التخلص في القرآن ، فقليل : لا يقع فيه لأنه يقع في الغالب متكلفاً ، والقرآن لا تكلف فيه ، وقيل : إنه قد وقع فيه ، كقوله تعالى في أول سورة يوسف ﴿ أَلَمْ نَأْتِ الْكِتَابَ الْمُبِينِ ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ ، إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ .
فالسورة موضوعة لقصة يوسف ، وقد افتتحها بذكر القرآن ، ثم تخلص إليها بهذا التخلص . وقيل : إن الاقتضاب وقع في القرآن أيضاً كما سيأتي ، لأن التخلص ليس إلا محسناً بديعياً ، فلا يلزم من حسنه في الانتقال عدم صحة الاقتضاب ، والقرآن لم يتحرك وادياً من أودية البلاغة إلا أخذ منه بنصيب .

(٤) الأبرار : المطيعون ، والخلد : الجنة ، والشيب : جمع أشيب بمعنى شائب .

كل يوم تُبدى صُروف اللَّيالي خُلُقاً من أبى سعيد غريباً (١)
 الاقتضاب القريب من التخلص : ومن الاقتضاب ما يقرب من التخلص (٢)
 كقول القائل بعد حمد الله - أما بعدُ (٣) قيل : وهو (٤) فصل الخطاب ، وكقوله (٥)
 تعالى : ﴿ هَذَا وَإِنْ لِلطَّاغِينَ لَشَرٌّ مَأْبٍ ﴾ أى الأمر هذا أو هذا كما ذكر (٦) .
 وقوله (٧) تعالى : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لِحَسَنَ مَأْبٍ ﴾ ، ونحوه قول الكاتب :
 هذا باب ، هذا فصل .

(١) صروف الليالي : حوادثها ، وأبو سعيد هو محمد بن يوسف الثغرى ، والشاهد
 فى انتقاله إلى المدح اقتضاباً من غير تخلص .
 (٢) فى أنه لا يخلو من شىء من المناسبة والملاءمة .
 (٣) إنما كانت اقتضاباً لأن الانتقال فيها من الحمد أو نحوه إلى غيره من غير ملاءمة ،
 وقد أشبهت التخلص بسبب أنه لم يؤت بما بعدها فجأة من غير قصد إلى ربطه بما قبله
 على نوع من الربط ، لأنها بمعنى « مهما يكن من شىء بعد الحمد أو نحوه فإنه كان كذا
 وكذا » ، وهذا يفيد أن ما بعدها مرتبط بالحمد ، أو نحوه على وجه اللزوم .
 (٤) أى « أما بعد » لأنه يفصل بها بين ما قبلها من حمد الله ونحوه وما بعدها من
 المقصود ، ويعنى فصل الخطاب الوارد فى سورة ص : ٢٠ - فقد حملة عليه بعض
 المفسرين .

(٥) سورة ص : ٥٥

(٦) يعنى أن هذا خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر ، ووجه الربط فى ذلك
 أن الواو للحال ، فتفيد مصاحبة ما بعدها لما قبلها برعاية اسم الإشارة المتضمن لمعنى
 عامل الحال وهو أشير ، فالارتباط حاصل فى ذلك باسم الإشارة والواو معا .
 (٧) سورة ص : ٤٩ ، وقيل : إن الاقتضاب المحض وقع فى القرآن كقوله تعالى
 سورة القيامة : ٣ - ١٧ :

﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ، بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ الآيات
 إلى قوله ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْكَ جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ .

فلا ارتباط بين قوله ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ ... ﴾ وما قبله ، ولكن هذا لا ينافى
 دخوله فى الغرض المقصود من السورة ، كما أن الاقتضاب فى القصيدة لا ينافى دخوله
 ما بعده فى الغرض المقصود منها .

حُسْنُ الانتهاء : الثالث الانتهاء ، لأنه آخر مَا يَعْبِهِ السمع ويرتسم فى النفس ، فإن كان مختاراً كما وصفنا (١) جبر ما عَسَاهُ وقع فيما قبله من التقصير ، وإن كان غير مختار كان بخلاف ذلك ، وربما أنسى محاسن ما قبله .

فمن الانتهاءات المرضية قول أبى نواس :

فَبَقِيتَ لِلْعِلْمِ الَّذِى تَهْدِى لَهُ . وَتَقَاعَسْتَ عَنْ يَوْمِكَ الْآيَّامُ (٢)

وقوله :

وَأَنْتِ جَدِيرٌ إِذْ بَلَغْتُكَ بِالْمَنْسَى وَأَنْتَ بِمَا أُمِلْتُ مِنْكَ جَسَدِيرٌ
فَإِنْ تُؤَلِّنِ مِنْكَ الْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ وَإِلَّا فَإِنِ عَاذَرُ وَشَكُورُ (٣)

وقول أبى تمام فى خاتمة قصيدة فتح عمورية :

إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ مَوْصُولَةٌ أَوْ ذِمَامٌ غَيْرُ مُقْتَضَبٍ (٤)
فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي تُصِرَّتْ بِهَا وَبَيْنَ أَيَّامِ بَدْرِ أَقْرَبُ النَّسَبِ (٥)
أُبْقَيْتَ بَنَى الْأَصْفَرِ الْمِمْرَاضِ كَأَسْمِهِمْ صَفَرُ الْوَجْهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهُ الْعَرَبِ (٦)

(١) فى أول هذا الفصل .

(٢) هو للحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس من قصيدة له فى مدح المأمون ، وقوله « تهدى » بمعنى تدل ، وقوله « تقاعست » بمعنى تأخرت ، والمراد بيومه يوم وفاته ، والشاهد فى حسن الانتهاء فى البيت باشماله على ذلك الدعاء المؤذن بالانتهاء .

(٣) هما لأبى نواس أيضاً فى مدح الخصيب بن عبد الحميد المرادى ، والجدير : المستحق ، والمنى : ما يتمنى ويطلب ، وقوله « تؤلنى » بمعنى تعطينى ، وقوله « فأهله » على تقدير فأنت أهله ، وحسن الختام فى قوله « وإلا فإنى عاذر وشكور » لأن قبول العذر يقتضى انقطاع الكلام ، والمراد شكور لعطاياه الماضية أو لإصغائه إلى مديحه .

(٤) صرُوف الدهر : حوادثه ، والرحم : القرابة ، والذمام : الحق ، والمتضب : المقطوع .

(٥) يعنى بأيام بدر يوم غزوة بدر وما كان قبله وبعده من الأيام المتتمة له .

(٦) بنو الأصفر : الروم ، والممراض : صيغة مبالغة يعنى أن صفرته كانت لمرض لا خلقة فيه ، والعرب : تسمى الروم بنى الأصفر لبياضهم لما كان بين الشعوب من محاولة تنقيص بعضهم لبعض ، وحسن الختام فى هذا البيت لأنه يفيد نهاية الفتح فيؤذن بانتهاء الكلام .

براعة المقطع : وأحسن الانتهات ما آذن بانتهاء الكلام ^(١) كقول الآخر :

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله
وهذا دعاء للبرية شامل ^(٢)

وقوله :

فلا حطت لك الهيجاء سرجاً
ولا ذاق لك الدنيا فراقاً ^(٣)

وجميع فواتح السور وخواتمها واردة على أحسن وجوه البلاغة وأكملها ، يظهر ذلك بالتأمل فيها مع التدبر لما تقدم من الأصول ^(٤) .
والله الموفق للخيرات .

* * *

(١) بأن يكون لفظاً موضوعاً للدلالة على الانتهاء ولو فى مجرى العرف والعادة كالدعاء والسلام ، ويسمى الانتهاء الذى يؤذن بذلك براعة المقطع .

(٢) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى ، أو لأبى الطيب ، وقد ذكر صاحب « معاهد التنصيص » أنه لم يجده فى ديوانهما ، والكهف فى الأصل الغار فى الجبل والمراد به الملجأ على سبيل الاستعارة ، والبرية : الخلق ، وإنما كان هذا دعاء شاملاً لهم لأن بقاءه سبب لصلاح حالهم .

(٣) هو لأبى الطيب ، والخطاب لسيف الدولة . والهيجاء : الحرب ، والسرج : الرجل وقد غلب استعماله للخيول .

(٤) لأن فواتحها تدور بين تحميدات ونداءات يقصد منها إيقاظ السامع لما يلقى إليه ونحو ذلك ، وخواتمها تدور بين أدعية ووصايا ونحوها مما يحسن الانتهاء به ، كقوله تعالى فى ختام سورة المؤمنون ﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ١١٨ .

تقرينات على مواضع التأنق فى الكلام

تقرين - ١

بَيِّنَ المقصود من القصائد المَجْعُول لها ما يأتى براعة استهلال :

- (١) المَجْدُ عُوْفَى إِذْ عُوْفِيَتْ وَالْكَرْمُ وَزَالَ مِنْكَ إِلَى أَعْدَانِكَ السُّقْمُ
- (٢) أَمَّا وَهَوَاهَا عِذْرَةٌ وَتَنْصُلَا لَقَدْ نَقَلَ الْوَأَشَى إِلَيْهَا وَأَمَحَلَا
- (٣) حُكْمُ الْمَنِيَّةِ فِى الْبَرِيَّةِ جَارِى مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارٍ قَرَارِ

تقرين - ٢

مِيزَ بَيْنَ الْاِقْتِضَابِ وَالتَّخْلِصِ فِيمَا يَأْتِى :

- (١) وَبَدَا الصَّبَاحُ كَانَ غُرَّتَهُ وَجَهُ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ
- (٢) كَأَنَّمَا قَوْلُنَا لِلْبَابِلِيِّ أَدْرُ سُلَاقَةً قَوْلُنَا لِلْمَزِيدِيِّ هَبِ
- (٣) هَذَا وَكَمْ لِي بِالْجُنَيْنَةِ سَكْرَةٌ أَنَا مِنْ بَقَايَا شَرِّهَا مَخْمُورُ
- (٤) قَدْ دَعَا وَسَلَّ الْهَمُّ عَنْكَ بِخُسْرَةٍ ذُمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجُرَا
- (٥) لَوْلَا الرِّجَاءُ لَمَتُ مِنَ أَلَمِ النَّوَى لَكِنْ قَلْبِي بِالرِّجَاءِ مُوَكَّلُ
- إِنَّ الرُّعِيَّةَ لَمْ تَزَلْ فِى سِيرَةٍ عُمَرِيَّةٍ مَدَّ سَاسَهَا الْمُتَوَكَّلُ

تقرين - ٣

بَيْنَ لَمْ كَانَتْ الْاِنْتِهَاءَاتِ الْآتِيَةِ بِرَاعَةِ مَقْطَعِ :

- (١) فَمَا مِنْ نَدَى إِلَّا إِلَيْكَ مَحَلُّهُ وَلَا رِفْعَةٍ إِلَّا إِلَيْكَ تَسِيرُ
- (٢) بَقِيَتْ وَلَا أَبْقَى لَكَ الدَّهْرُ كَاشِحاً فَإِنَّكَ فِى هَذَا الزَّمَانِ قَرِيدُ
- (٣) عَلَيْكَ سَلَامٌ نَشْرُهُ كَلِمَا بَدَا بِهِ يَتَغَالَى الطَّيِّبُ وَالْمُسْكُ يُخْتَمُ

* * *

فهارس الكتاب

أولاً فهرس الآيات القرآنية مرتبة على ترتيبها في المصحف الشريف

الآية	سورة	صفحة	الآية	سورة	صفحة
١١١	البقرة	٣٠	٧٦	الأنعام	٤٣
١٥٦	البقرة	١١٤	١٠٣	الأنعام	١٥
١٣٨	البقرة	٢٠	٢٦	الأعراف	٢١
١٨٧	البقرة	٢٣	١٢٦	الأعراف	٥١
٢٨٢	البقرة	١١٨	١٥٥	الأعراف	١٠٢
٢٦	آل عمران	٥	٢٠٢، ٢٠١	الأعراف	٨٧
٣٠	آل عمران	١٩	٤٤، ٤٣	الأنفال	٨١
١١٨	آل عمران	١١٢	٣٢	التوبة	١١٤
١٧٣	آل عمران	١١٣	٣٨	التوبة	٧٤
٤٦	النساء	٥٥	٨٢	التوبة	١١
٨٣	النساء	٧١	١٩	يونس	١٧
١٨	المائدة	٤٣	٣١	يونس	٢٣
٤٤	المائدة	٧	٣٧	هود	١١٣
٥٩	المائدة	٥١	١٠٥	هود	٣٥
٦٤	المائدة	١١١	١٠٧، ١٠٦	هود	٣٤
١٠٠	المائدة	١١٢	١٠٨		
١١٦	المائدة	١٩	٤٠٣، ٢٠١	يوسف	١٣٣
١١٨	المائدة	١٥	٥٥	يوسف	١١١
٢٢	الأنعام	٥	٧٠	يوسف	١٢١
٢٦	الأنعام	٧١	١٨	الرعد	١١٣
٥٢	الأنعام	٢٣	١٢	الإسراء	٣٣
			١٨	الكهف	٥
			٤٧	الكهف	٣١
			٦٢	مريم	٥٠
			١٧	طه	٥٧

الآية	سورة	صفحة	الآية	سورة	صفحة
٥	طه	٢٥	٢٤	سبا	٥٨
٢٢	الأنبياء	٤٣	٣٢	فاطر	٣٦
٣٣	الأنبياء	٨٦	٧٣، ٧٢	الصافات	٦٩
٦٤	الحج	١٥	١١٨، ١١٧	الصافات	٨٤
١١٨	المؤمنون	١٣٦	٢٠	سورة ص	١٣٤
٣٥	النور	٤١	٤٩	سورة ص	١٣٤
١٦٨	الشعراء	٧٤	٥٥	سورة ص	١٣٤
٢٢	النمل	٧٢	٢٤	غافر	١١٢
٧٧	النمل	١١١	٧٥	غافر	٧١
٧٣	القصص	٢٩	٢٨	قصص	٣٨
٧٣	القصص	١٠	٤٠	الشورى	١٩
٤٠	العنكبوت	١٧	٤٢	الشورى	٣٦
٧، ٦	الروم	٧	٢٩	الفتح	١٠
٢٧	الروم	٤٣	٢٤	الذاريات	١١١
٥٥	الروم	٦٦	٤٧	الذاريات	٢٥
٤٣	الروم	٧٣	٢٠، ١	النجم	٨٠
٣٧	الأحزاب	٧٤	٣٠، ٢٩	الحديد	٦٩
٥٣	الأحزاب	١١٢	١٣	الحديد	١١١
٧	سبا	٥٨	١٠	المتحنة	٢٣
١٣	سبا	١٢١	٨	المتنشقون	٥٩
٢٠، ١	القمر	٨١	٦	التحريم	٨
٥	الرحمن	١٣	٣١، ٣٠	الحاقة	٨٠
٦، ٥	الرحمن	١٦	١٠	نوح	٧٤
٣٧	الرحمن	٣٩	١٤، ١٣	نوح	٧٩
٥٤	الرحمن	٧٤	٢٥	نوح	٧
٢٦، ٢٥	الواقعة	٥٠	٣	المدثر	٨٦
٨٩	الواقعة	٧٣	من ٣ إلى ١٧	القيامة	١٣٤
٣٠، ٢٩، ٢٨	الواقعة	٨٠	٢٠	الإنسان	١١٢
			٢٠، ١	المرسلات	٨٠
			٨	الطارق	١١١
			١٤، ١٣	الغاشية	٧٩
			١٦، ١٥	الغاشية	٨٤
			٦، ٥	الليل	١٣
			١٠، ٩	والضحى	٨٧
			٨، ٧	العاديات	٧١
			٣٠، ٢٠، ١	العصر	٨٠
			١	الهمزة	٧١
			٢٠، ١	الفيل	٨٠
			٣٠، ٢٠، ١	الناس	٧٩

ثانيا فهارس الحديث الشريف والآثار

صفحة	
٥	حديث : « إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع » .
١١	حديث : « إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ، ولا ينزع من شىء إلا شانه »
٥٠	« أنا أفصح العرب بيد أنى من قرش »
٦١	الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم .
٧١	« الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة » .
٧٢	جاء فى الخبر : اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا .
٧٢	جاء فى الخبر : « المؤمنون هينون لينون » .
٧٣	« الظلم ظلمات يوم القيامة » .
٧٩	« اللهم إنى أدرأ بك فى نحورهم وأعوذ بك من شرورهم » .
١١٣	« شامت الوجوه » .
١١٣	« حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » .
١١٤	« اعملوا كل ميسر لما خلق له » .
١١٩	« الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات » .
١١٩	« ازهد فى الدنيا يحبك الله » .
١١٩	« من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .
١١٩	« إنما الأعمال بالنيات » .
١٢٠	قول ابن عباس رضى الله عنه « لو بغى جبل على جبل لذك الباغى »
١٢٠	قول عائشة - رضى الله عنها - « لا جديد لمن لا خلق له » .

ثالثا : الأمثال العربية والحكم

صفحة	
١٥	مَنْ عَزَّ بَزَّ
٢٢	عادات السادات سادات العادات .
٤٩	حتى يبيض القار
٧١	البرايا أهداف البلايا .
٧٢	رحم الله امرءاً أمسك ما بين فكيه وأطلق ما بين كفيه .
٧٢	من طلب وجدَّ وجدَّ
٧٢	من قرع الباب وليجَّ وليجَّ
٧٢	النبيذ بغير النغم غمّ ، وبغير الدسم سمّ .
٧٤	الحيلة ترك الحيلة .
٧٤	سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل .
٧٩	إن بعد الكدر صفوا وبعد المطر صحواً .
٧٩	ليكن إقدامك توكلًا وإحجامك تأملًا .
٨١	ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت .
٨٨	ما اشتال العسل من اختار الكسل .
١٢٠	لا جديد لمن لا خلق له

رابعاً - فهرس القوافي

القافية	القائل	ص	القافية	القائل	ص
﴿ أ ﴾					
سواء	بشار بن برد	٥٤	الألباب	أبو منصور عبد الرحمن بن سعيد	١١٢
هباء	البحتري	٧٤	حواحب	ابن نباتة السعدي	٩٩
لقاء	محرز بن المكبر الضبي	٩٣	مغيب	أبو الطيب المتنبي	٨٨
شاؤا	معيد بن أويس	٩٦	الكتاب	أبو تمام	٦٦
شاؤا	أبو نواس	٩٦	غراب	الأخطل	٣
الرمضاء	أبو الطيب المتنبي	٤٤	مذهب	أبو تمام	٤
نساء	زهير بن أبي سلمى	٥٧	كذبوا	طريح بن إسماعيل الثقفي	٣٦
الجباء	المعتمد بن عباد	٧	أركب	أبو الطيب المتنبي	٤١
السماء	المعتمد بن عباد	٧٠	مطلب	النايفة الذبياني	٤٣
العناء	المعتمد بن عباد	٧٠	أكذب	النايفة الذبياني	٤٣
الهواء	المعتمد بن عباد	٧٠	مذهب	النايفة الذبياني	٤٣
الحياء	المعتمد بن عباد	٧٠	أقرب	النايفة الذبياني	٤٤
سخاء	رشيد الدين الرطواط	٣١	أذنبوا	النايفة الذبياني	٤٤
ماء	رشيد الدين الرطواط	٣١	الذئاب	أبو الطيب المتنبي	٤٦
﴿ ب ﴾			حجاب	أبو منصور عبد الرحمن بن سعيد	١١٢
العذاب	أبو الطيب المتنبي	١٠٢	نتشعب	القاضي منصور الهروي الأزدي	١١٤
خضاب	أبو الطيب المتنبي	١٠٧	أب	القاضي منصور الهروي الأزدي	١١٤
يسلبوا	البحتري	١٠٧	مقرب	القاضي منصور الهروي الأزدي	١١٤
الأحساب	الأبيوردي	١١٢	تحسب	أبو الطيب المتنبي	١٢٨
كذاب	الأبيوردي	١١٢	الوصب	ابن المعتز	٤٧
			عجب	ابن المعتز	٤٧

القافية	القائل	ص	القافية	القائل	ص
مرتقبُ	أبو تمام	٨٣	مرتقبُ	أبو تمام	٨٣
ينسكبُ سربُ	ذى الرمة	٢٩	ينسكبُ سربُ	ذى الرمة	٢٩
ذوائبُ	أبو الحسن نصر المرعيتاني	٧٦	ذوائبُ	أبو الحسن نصر المرعيتاني	٧٦
انصباها	جرير	١٢٤	انصباها	جرير	١٢٤
العجبُ	غير معروف	٤٢	العجبُ	غير معروف	٤٢
وحاجبا	أبو إسحاق إبراهيم الغزي	٩٨	وحاجبا	أبو إسحاق إبراهيم الغزي	٩٨
مهريا	البحترى	٨٥	مهريا	البحترى	٨٥
ضريبا	الثرى بن أحمد الرفاء	٧٧	ضريبا	الثرى بن أحمد الرفاء	٧٧
العريا	أبو الطيب المتنبي	١٣٢	العريا	أبو الطيب المتنبي	١٣٢
انتسبا	أبو الطيب المتنبي	١٣٢	انتسبا	أبو الطيب المتنبي	١٣٢
شيبا	أبو تمام	١٣٣	شيبا	أبو تمام	١٣٣
غضاها	جرير	١٠٨	غضاها	جرير	١٠٨
غضاها	معاوية بن مالك بن جعفر أو جرير	٢٨	غضاها	معاوية بن مالك بن جعفر أو جرير	٢٨
غريبا	أبو تمام	١٣٤	غريبا	أبو تمام	١٣٤
الذنوبا	أبو الطيب المتنبي	٥٣	الذنوبا	أبو الطيب المتنبي	٥٣
ذاهبه	أبو الفتح البستي	٦٨	ذاهبه	أبو الفتح البستي	٦٨
الكلبُ	الكميت بن زيد الأسدي	٤٩	الكلبُ	الكميت بن زيد الأسدي	٤٩
التربُ	القيسراني أبو عبد الله محمد بن نصر	١٠٧	التربُ	القيسراني أبو عبد الله محمد بن نصر	١٠٧
اللعبُ	أبو تمام	١٣٠	اللعبُ	أبو تمام	١٣٠
الريبُ	أبو تمام	١٣٠	الريبُ	أبو تمام	١٣٠
قواضبُ	أبو تمام	٦٩	قواضبُ	أبو تمام	٦٩
مقتضبُ	أبو تمام	١٣٥	مقتضبُ	أبو تمام	١٣٥
النسبُ	أبو تمام	١٣٥	النسبُ	أبو تمام	١٣٥
العربُ	أبو تمام	١٣٥	العربُ	أبو تمام	١٣٥
الكواكبُ	الناطقة الذبياني	١٢٧	الكواكبُ	الناطقة الذبياني	١٢٧
الكربُ	أبو تمام	١٢٣	الكربُ	أبو تمام	١٢٣
الكتائبُ	الناطقة الذبياني	٤٩	الكتائبُ	الناطقة الذبياني	٤٩
يُ	أبو الطيب المتنبي	١٢	يُ	أبو الطيب المتنبي	١٢
للضبُ	أبو نواس	٥٦	للضبُ	أبو نواس	٥٦
شهابُ	ربيعة بن سعد	٦١	شهابُ	ربيعة بن سعد	٦١
قاربُ	دريد بن الصمة	٦١	قاربُ	دريد بن الصمة	٦١
قواضبُ	أبو تمام	٧٢	قواضبُ	أبو تمام	٧٢
أريبُ	البحترى	٧٣	أريبُ	البحترى	٧٣
ف			ف		
ضلتُ	الطرماع بن حكيم	١٢٤	ضلتُ	الطرماع بن حكيم	١٢٤
جلتُ	الطرماع بن حكيم	٨٧	جلتُ	الطرماع بن حكيم	٨٧
دلتُ	الطرماع بن حكيم	٨٧	دلتُ	الطرماع بن حكيم	٨٧
تجلتُ	الطرماع بن حكيم	٨٧	تجلتُ	الطرماع بن حكيم	٨٧
ج			ج		
الليحُ	بشار بن برد	٩٨	الليحُ	بشار بن برد	٩٨
عجاجُ	أبو الحسن بن رشيق القيرواني	٦	عجاجُ	أبو الحسن بن رشيق القيرواني	٦
ح			ح		
فلاحُ	القاضي الأرجاني	٧٧	فلاحُ	القاضي الأرجاني	٧٧
ارتياحا	أبو طالب المأموني	٤٦	ارتياحا	أبو طالب المأموني	٤٦
رواحا	أبو طالب المأموني	٤٦	رواحا	أبو طالب المأموني	٤٦
مدحُ	ابن الرومي (على بن العباس)	١١٣	مدحُ	ابن الرومي (على بن العباس)	١١٣
الضاحيُ	البحترى	٥٧	الضاحيُ	البحترى	٥٧

القافية	القائل	ص	القافية	القائل	ص
الجوانح	الخنساء (تماضر بنت عمر)	٧١	غدا	إبراهيم بن العباس الصولى	٣٤
﴿ د ﴾			الأسد	أرطاة بن سهية	٣٩
لمعبد	أبو تمام	٩٦	الوتد	أحد شعراء الفرس	٣٣
مغمد	أبو الطيب المتنبي	١٠٨	الكبد	أحد شعراء الفرس	٣٣
معبد	البحترى	١٠٩	ودادى	ابن فضالة القيروانى أو ابن الرومى	٦١
غذ	مطلع أرجوزة لابن مقاتل	١٢٩	بالأيادى	ابن عجاج الحسن بن أحمد	٥٩
المبيد	غير معروف	١٣١	نجد	أبو تمام	٧٣
الوتد	أبو تمام	٣٢	زندى	أبو تمام	٨٢
السهاد	أبو الطيب المتنبي	١٠٤	لمعبد	غير معروف	٩٦
الفصائد	أبو الطيب المتنبي	١٣٣	تجلد	طرفة	٩٧
واجد	أبو الطيب المتنبي	١٣٣	البلاد	أبو تمام	١٠١
أحد	أبو تمام	٣٢	وزادى	أبو تمام	١٠١
مرد	أبو الطيب المتنبي	٣٥	غادى	أبو الطيب المتنبي	١٠١
عدوا	أبو الطيب المتنبي	٣٥	البلاد	أبو الطيب المتنبي	١٠١
خالد	أبو الطيب المتنبي	٥٢	ناهد	أبو تمام	١٠٢
سودا	أبو تمام	١٠	واحد	أبو نواس	١٠٨
المحمودا	أبو إسحاق الصابى	٢١	المهند	ابن ميادة (الرماح بن أبرد)	١١٠
توحيدنا	أبو إسحاق الصابى	٢١	القود	أبو تمام	١٣٢
مزيدا	أبو إسحاق الصابى	٢١	الجود	أبو تمام	١٣٢
سودا	عبد الله بن الزبير الأسدى	٢٣	فؤادى	ابن فضالة القيروانى أو ابن الرومى	٦١
صعد	أبو محمد الخازن عبد الله بن محمد	١٣٠	للأعداى	ابن فضالة القيروانى أو ابن الرومى	٦٠
مفسدة	أبو العتاهية إساعيل بن القاسم	٣١٠	ودادى	ابن عجاج الحسن بن أحمد	٦٠
أهدا	إبراهيم بن العباس الصولى	٣٤	﴿ ذ ﴾		
مضطردا	إبراهيم بن العباس الصولى	٣٤	أذى	أحد التجار	١١٦
			إذا	أحد التجار	١١٦

القافية	القائل	ص	القافية	القائل	ص
﴿ ر ﴾	مدبر	١٢	أبو الطيب المتنبي	١٢	جدير
اليد	أسيد بن عتقاء الغزاري	١٤	شكور	أبو نواس	١٣٥
الأوتار	البحترى	١٤	القمر	محمد بن وهيب	٣١
الهجر	البحترى	٢٢	جأزرا	أبو القاسم الزاهي	٣٦
الأعمار	أبو الطيب المتنبي	٢٣	أخيرا	أبو الفضل بدیع الزمان الهذلي	١١٢
قصار	أبو الطيب المتنبي	٢٣	كبيرا	أبو الفضل بدیع الزمان الهذلي	١١٢
خضر	أبو تمام	٨	الشعر	أبو العلاء المعري (أحمد بن عبد الله)	٦٩
الأمر	أبو صخر الهذلي	٥	عرار	الصمة بن عبد الله القشيري	٧٥
المقابر	عمرو بن أبي ربيعة	٣٧	الحصر	أبو العلاء المعري	٧٨
غادر	غير معروف	١٢	الفقر	أبو تمام	١٠٢
واتر	محمد بن وهيب	٧٣	الخمار	خزير	١٠٧
يضير	عبد الله بن محمد بن عبيدة المهلبى	٧٨	ثغر	أمية ابن أبي الصلت	١١٦
يدر	أبو تمام	٧٨	بالنار	أبو تمام	١٢٣
ضراكو	الخنساء	٨٢	وتر	يحيى بن منصور الحنفي	٢٥
نضير	أبو الفتح المطرزي	٨٣	الفجار	أبو تمام	٣٧
الاكدار	الحريري القاسم بن علي	٨٦	تدرى	نصيب بن رباح	٣٧
القطر	الأبيرد اليربوعي	٩٥	البشر	الحسين بن عبد الله الغزي	٥٨
تدور	أبو نواس	٩٥	لجار	الغززدق	٦
المجسور	سلم بن عمرو الخاسر	٩٨	الأوتار	الغززدق	٦
العنبر	غير معروف	١٠٣	كالتبر	أبو العباس الناشء	١٦
جمر	أبو الطيب المتنبي	١٢٨	ثغر	أبو العباس الناشء	١٦
ننشر	مسلم بن الوليد	١٣٢	الدهر	يحيى بن منصور الحنفي	٢٥
ستمار	الأقوه الأودي صلاة بن عمرو	١٠٩	﴿ ص ﴾		
المقابر	الحماسي الأحوض بن محمد	١١١	ملابسا	غير معروف	٢٧
السراثر	الحماسي الأحوض بن محمد	١١١	وكسا	ابن سكرة (محمد بن عبد الله)	١٢٢
	الأنصاري		حبسا	ابن سكرة (محمد بن عبد الله)	١٢٢
أدبروا	محمد الشجاعى	١١٢	أس	ابن خلكان (أبو العباس)	١١٦
أكبر	محمد الشجاعى	١١٢	باس	أحمد بن إبراهيم	
يفجر	أبو العتاهيه إسماعيل بن القاسم	١١٩	الأس	ابن خلكان (أبو العباس)	١١٦
جعفر	مسلم بن الوليد	١٣٢	﴿ ص ﴾	أحمد بن إبراهيم	
			قميصا	ابن خفاجة إبراهيم ابن أبي الفتح	١٤
				الرقعق أحمد بن محمد الأنطاكي	١٨

القافية	القائل	ص	القافية	القائل	ص
﴿ض﴾					
مريضاً	ابن الربيع عبد الله بن الفضل	٢٧	مريضاً	ابن الربيع عبد الله بن الفضل	٢٧
مفروضاً	ابن الربيع عبد الله بن الفضل	٢٧	مفروضاً	ابن الربيع عبد الله بن الفضل	٢٧
﴿ع﴾					
زرعوا	أبو الطيب المتنبي	٣٣	زرعوا	أبو الطيب المتنبي	٣٣
أسعفوا	أبو تمام	١١	أسعفوا	أبو تمام	١١
تسطيعُ	عمرو بن معديكرب	١٨	تسطيعُ	عمرو بن معديكرب	١٨
نفعوا	حسان بن ثابت	٣٤	نفعوا	حسان بن ثابت	٣٤
اليدعُ	حسان بن ثابت	٣٤	اليدعُ	حسان بن ثابت	٣٤
البيعُ	أبو الطيب المتنبي	٣٣	البيعُ	أبو الطيب المتنبي	٣٣
ناقعُ	الناطقة الديباني زياد بن عمرو	١٢٣	ناقعُ	الناطقة الديباني زياد بن عمرو	١٢٣
يوشعُ	أبو تمام	١٢٢	يوشعُ	أبو تمام	١٢٢
المجرعُ	أبو تمام	١٢٢	المجرعُ	أبو تمام	١٢٢
أنفعُ	أبو تمام	١٠٣	أنفعُ	أبو تمام	١٠٣
أوسعُ	أشجع بن عمرو السلمي	١٠٥	أوسعُ	أشجع بن عمرو السلمي	١٠٥
يجرعُ	أبو تمام	١٠٦	يجرعُ	أبو تمام	١٠٦
ززعُ	ابن الرومي (علي بن العباس)	١١٣	ززعُ	ابن الرومي (علي بن العباس)	١١٣
أضاعوا	الحريري القاسم بن علي	١١٦	أضاعوا	الحريري القاسم بن علي	١١٦
وقعُ	أبو تمام	١٢٢	وقعُ	أبو تمام	١٢٢
تطلعُ	أبو تمام	١٢٢	تطلعُ	أبو تمام	١٢٢
الوقوعا	أبو الطيب المتنبي	٧٢	الوقوعا	أبو الطيب المتنبي	٧٢
متورعا	غير معروف	٨٢	متورعا	غير معروف	٨٢
ذراعاً	أبو زياد يزيد بن الحر الأعرابي	١٠٥	ذراعاً	أبو زياد يزيد بن الحر الأعرابي	١٠٥
موقع	أبو زياد يزيد بن الحر الأعرابي	٦٠	موقع	أبو زياد يزيد بن الحر الأعرابي	٦٠
تعمي	ابن دريدة المغربي	٦٠	تعمي	ابن دريدة المغربي	٦٠
للتشيع	أبو الطيب المتنبي	٤٨	للتشيع	أبو الطيب المتنبي	٤٨
بسرير	أبو الطيب المتنبي	٧٥	بسرير	أبو الطيب المتنبي	٧٥
المضاع	أبو تمام	٧٥	المضاع	أبو تمام	٧٥
مودعي	القاضي الأرجاني	١٠٠	مودعي	القاضي الأرجاني	١٠٠
مدمعي	القاضي الأرجاني	١٠٠	مدمعي	القاضي الأرجاني	١٠٠
السماع	أبو تمام	١٠٩	السماع	أبو تمام	١٠٩
ضلوع	البحترى	٢٦	ضلوع	البحترى	٢٦
مدامعُ	أبو تمام	٤٨	مدامعُ	أبو تمام	٤٨
هامعُ	أبو تمام	٤٨	هامعُ	أبو تمام	٤٨
أطعُ	ابن زيدون	١٧	أطعُ	ابن زيدون	١٧
﴿ف﴾					
ظرفُ	أبو الطيب المتنبي	٨٤	ظرفُ	أبو الطيب المتنبي	٨٤
تعرفُ	الغزوذي	٩٧	تعرفُ	الغزوذي	٩٧
ردفا	ابن حيوس	٣٠	ردفا	ابن حيوس	٣٠
الصوادف	البحترى	٧٠	الصوادف	البحترى	٧٠
شافئ	البحترى	٧٢	شافئ	البحترى	٧٢
طريف	ليلى بنت طريف الخارجية	٥٧	طريف	ليلى بنت طريف الخارجية	٥٧
﴿ق﴾					
تعشقُ	ابن الشحنة الموصلي عمرو بن محمد	١٠٠	تعشقُ	ابن الشحنة الموصلي عمرو بن محمد	١٠٠
يليقُ	عبد القاهر بن طاهر البغدادي	١١٥	يليقُ	عبد القاهر بن طاهر البغدادي	١١٥
أطيقُ	عبد القاهر بن طاهر البغدادي	١١٥	أطيقُ	عبد القاهر بن طاهر البغدادي	١١٥
خلقتوا	غير معروف	٨	خلقتوا	غير معروف	٨
رزقوا	غير معروف	٨	رزقوا	غير معروف	٨
الخلقا	عدي بن زياد العبادي	١٢٠	الخلقا	عدي بن زياد العبادي	١٢٠
فراقا	أبو الطيب المتنبي	١٣٦	فراقا	أبو الطيب المتنبي	١٣٦

ص	القائل	القافية	ص	القائل	القافية
٩٥	معن بن أوس المزني	أول	٤٨	عبد القاهر الجرجاني	منطق
٩٥	أوس بن حجر أوزهير بن أبي سلمى	جاهل	٤٧	مسلم بن الوليد	الفرق
٩٩	أبو تمام	بخيلا	١١٧	ابن أبي الأصبع عبد العظيم ابن البصري	بارق
١٠٣	بشار بن برد	البصل	١١٧	ابن أبي الأصبع عبد العظيم ابن البصري	السوابق
١٠٤	الخنساء	أفضل	١٢٨	أبو الطيب المتنبي	المآقي
١٠٥	أشجع بن عمرو السلمي	قائل	٤١	أبو نواس الحسن بن هانيء	تخلق
١٠٦	أبو الطيب المتنبي	كامل	٤٢	ابن حمديس الصقلي	رفيق
١٠٩	أبو تمام	نواهل	﴿ ك ﴾		
١٠٩	أبو تمام	تقاتل	١٠	دعبل بن علي الخزاعي	فيكي
١١٣	أبو القاسم بن الحسن الكاهني	جميل	١٠٥	بكر بن النطاح	ورائك
١١٣	أبو القاسم بن الحسن الكاهني	الوكيل	١٢٩	إسحاق بن إبراهيم الموصلي	أهلك
١٣٠	القطامي عمير بن شبيب	الطلل	١٣١	أبو الفرج الساوي	وفتكى
١٣٠	القطامي عمير بن شبيب	الطيل	﴿ ل ﴾		
١٣٦	أبو العلاء المعري	شامل	٤٠	أبو الطيب المتنبي	الحائ
٥١	بديع الزمان الهمداني	الويل	٦٦	أبو سعد عيسى ابن خالد المخزومي	قتال
٣٩	أعشى قيس	الرجل	٧٦	غير معروف	سلسبيل
٥	طفيل بن عوف الفنوي	مهدول	٨٥	أبو تمام	ذوابل
٧	أبو تمام	ذوابل	٩٤	عبد الله بن الزبير	يعقل
٧	غير معروف	تقول	١١	أبو تمام	المال
١٠٠	أبو تمام	دليلا	٢٠	السموأل بن عادياء	سلوئ
١٠١	أبو الطيب المتنبي	سيلا	٢٤	ابن الطثيرة يزيد بن الصمة	قليل
١٢٠	أبو الطيب المتنبي	الأسل	٩٤	عبد الله بن الزبير	مزحل
٩٩	أبو الطيب المتنبي	لهخيل			

ص	القائل	القافية	ص	القائل	القافية
٩٧	امرؤ القيس	تجمل	١٢١	أبو الطيب المتنبي	مجولا
١٠٦	الطرماح بن حكيم الطائي	طائل	٤١	ابن الأيهم التغلبي	مالا
١٠٩	أبو الطيب المتنبي	بسؤال	٣٩	أعشى قيس	بهخلا
١١٥	ابن التلميذ أبو الحسن بن صاعد	محمل	٣٥	أبو الطيب المتنبي	غزالا
١١٥	ابن التلميذ أبو الحسن بن صاعد	المنزل	٣٢	أبو تمام	مائلا
١٢١	عبد الله بن المعتز	الزوال	٣٢	أبو تمام	جاهلا
١٢١	عبد الله بن المعتز	الجمال	٢٦	أبو الفضل عياض بن موسى	الحمل
١٢١	عبد الله بن المعتز	الرجال		البستي	
١٢٧	امرؤ القيس	منزل	٢٦	أبو الفضل عياض بن موسى	الحلل
١٢٧	امرؤ القيس	فحوميل		البستي	
٥٦	امرؤ القيس	بفعال	١٩	أبو تمام	المنزل
٤٥	أبو تمام	العالى	١٧	ديك الجن	للمعالى
		﴿ م ﴾	١٦	عنترة بن شداد	أنزل
٨٥	القاضي الأرجاني	تدوم	١٢	أبو دلامة	بالرجل
٩٧	العباس بن عبد المطلب	تعلم	٩	ابن حيوس	نزال
٣٠	ابن الرومي	نجوم	٨	ابن حيوس	الضلال
١٠٣	أبو الطيب المتنبي	الجهام	٣٨	غير معروف	المرحل
١٠٣	أشفع بن عمرو السلمي	الإظلام	٤٠	امرؤ القيس	فيفسل
١٠٣	أشفع بن عمرو السلمي	الأحلام	١٣١	أبو الطيب المتنبي	الليالى
١٠٦	العتبي (محمد بن عبيد الله)	مذموم	١٣١	أبو الطيب المتنبي	قتال
١٠٨	أبو الشيعة محمد بن رزين الخزاعي	اللوم	٦٧	محمد بن عبد الله بن كناسة الأسدي	سبيل
١٣٠	أشجع بن عمرو السلمي	الأيام	٧٦	أبو منصور الشعالي	بلايل
١٣٥	أبو نواس	الأيام	٨٣	أبو فراس الحمداني	المعالى
			٨٤	امرؤ القيس	الخالى

القافية	القائل	ص	القافية	القائل	ص
رجوم	ابن الرومي	٣٠	أم سالم	ذى الرمة غيلان بن عقبة	٥٨
كريم	الحماسي	٣٨	يسام	زهير بن أبي سلمى	١٨
نكرم	عبد الله بن عبد الله بن طاهر	٥٤	تم	بشار بن برد	٥
المقدم	عبد الله بن عبد الله بن طاهر	٥٤	كلامي	البهتري	١٨
أعلم	البهتري	٧	بحرام	البهتري	١٨
قديم	أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني	١٤	﴿ ن ﴾		
تيم	أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني	١٤	فن	ابن شرف القيرواني	٣٥
الديم	زهير بن أبي سلمى	٢٤	الأمن	ابن شرف القيرواني	٣٥
مغرماً	أبو تمام	٧٥	لأمكنا	أبو الطيب المتنبي	٤٢
سقاما	القاضي الأرجاني	٦٠	العنى	القاضي الأرجاني	٦
همه	عمر الخيام	١١٤	لنا	أبو الفتح البستي عبد الله بن محمد	٦٨
مدلهمة	عمر الخيام	١١٤	جاملنا	أبو الفتح البستي عبد الله بن محمد	٦٨
يتمة	عمر الخيام	١١٤	أحياناً	بشار بن برد	١٠٠
دما	البهتري	١٨	خرصانا	أبو الطيب المتنبي	١٠٤
يتعائى	الصاحب بن عباد	١٩	يطعنا	أبو الطيب المتنبي	١٠٥
اليتامى	الصاحب بن عباد	١٩	راجعونا	الوزير أبو العلاء بن أورو	١١٤
جرنى	زياد الأعجم	٢١	المهرجان	ابن مقاتل الحلواني	١٢٩
اللطم	أبو العلاء المعرى	١٠٦	أجفانى	غير معروف	١٢٨
مجرم	أبو الطيب المتنبي	١٠	تعرفونى	سحيم بن وثيل	١١٧
توهم	أبو الطيب المتنبي	١٢٠	الحشن	أبو تمام	١١٥
ميمم	أبو الطيب المتنبي	١٢٨	سكن	ابن العميد محمد بن الحسين	١١٥
مفرم	الغززدق	٣٠	سكران	الخليع الدمشقي	٧٥
المقوم	الغززدق	٣٠	دعاني	القاضي الأرجاني	٧٦
عمى	زهير بن أبي سلمى	٣٦	المثاني	الحريرى = القاسم بن على	٧٧

ص	القائل	القافية	ص	القائل	القافية
٢٢	البحترى	دموعها	٧٧	امرؤ القيس	بخزان
٣٣	رشيد الدين الوطواط	حرها	٨٧	أبو العلاء المعرى	آسن
٤٦	ابن ثوابة أحمد بن محمد	لتأنيبها	٤	أبو الفتح البستي	أودعاني
٤٦	ابن ثوابة أحمد بن محمد	بها	٣٢	الوأواء الدمشقي	شكليت
٤٧	ابن ثوابة أحمد بن محمد	بتأديبها	٣٢	القاضي الأرجاني	العين
٦٧	أبو تمام	عبد الله	٤٢	أبو العلاء المعرى	أجفاني
٦٧	الحريري أبو القاسم محمد بن عبد الله	مصابه	٨٧	أبو العلاء المعرى	المحاسن
٦٧	الحريري أبو القاسم محمد بن عبد الله	صابه	١٠٠	جار الله الزمخشري	سمطين
١٠٤	البحترى	غضبه	١٠٠	جار الله الزمخشري	عين
١٠٨	أبو الطيب المتنبي	أعدائه	١١٥	ابن العميد محمد بن الحسين	الخرن
١١٣	ابن عبّاد الصاحب بن إسماعيل	مداره	١١٥	جار الله الزمخشري	أنشدني
١١٣	ابن عبّاد الصاحب بن إسماعيل	بالمكاره			﴿ هـ ﴾
٢٤	غير معروف	لأهله	١١٧	ضياء الدين موسى بن ملهم	أنكروه
٢٩	ابن حيوس	ريقه	١١٨	ضياء الدين موسى بن ملهم	تعرفوه
٥٣	عبد الله بن المعتز	ورقه	١١٨	الحسين بن الحسن الواساني	شاهدوه
		﴿ ي ﴾		الدمشقي	
٤٦	قيس بن الملوّح	خياليا	١١٨	الحسين بن الحسن الواساني	الرجوه
١١	النايفة الذبياني	الأعاديا		الدمشقي	
٥	مجنون ليلى	ليا	١١٨	الحسين بن الحسن الواساني	ماكتبوه
٥٠	النايفة الجعدى	باقيا		الدمشقي	
١١٨	الإمام الشافعى	البريه	١١٩	غير معروف	أعدله
١١٩	الإمام الشافعى	بنيه	١١٩	غير معروف	أسفله
١١٩	أبو العتاهية اسماعيل بن القاسم	يديا	٢٣	أبو الطيب المتنبي	مجدّه
١١٩	أبو العتاهية اسماعيل بن القاسم	حيّا	٤٥	أبو هلال العسكري	لسائه
٤٥	ابن نباتة	الثرىّا	٥٣	ابن نباتة السعدى	عنده
٤٥	ابن نباتة	طيا	٦٨	أبو حفص عمرو بن على المطوعى	تهذيبها
٤٥	ابن نباتة	المحيّا	٦٨	أبو حفص عمر بن على المطوعى	تهذى بها
			٧٦	ذو الرمة غيلان بن عقبه	قليلها
			٩٧	حاتم الطائى	خيمها
			٩٨	الأعور الشنى (بشر بن منقذ)	خيمها
			١٠٢	البحترى	نطبعها

علم البديع

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣	تعريف علم البديع	٣٣	الجمع مع التفريق
٤	تقسيم المحسنات إلى معنوية ولفظية	٣٣	الجمع مع التقسيم
٤	أقسام المحسن المعنوي :	٣٤	الجمع مع التفريق والتقسيم
٤	المطابقة أو الطباق	٣٥	التقسيم بمعنيين آخرين
٦	الطباق الظاهر والخفي	٣٧	التجريد
٧	طباق الإيجاب وطباق السلب	٤٠	المبالغة المقبولة
٨	الطباق المسمى تدييجا	٤٣	المذهب الكلامي
١٠	ما يلحق بالطباق	٤٤	حسن التعليل
١١	ما يخص من الطباق باسم المقابلة	٤٨	ما يلحق بحسن التعليل
١٣	مراعاة النظر أو التناسب	٤٩	التفريق
١٥	ما يسمى من التناسب تشابه الأطراف	٤٩	تأكيد المدح بما يشبه الذم
١٦	إيهام التناسب	٥١	تأكيد الذم بما يشبه المدح
١٦	إرجاع التفريق إلى التناسب والمطابقة	٥٢	الاستيعاب
١٧	الإرصاد أو التسهيم	٥٣	الإدماج
١٨	المشاكلة	٥٤	التوجيه
٢٠	الاستطراد	٥٦	الهزل الذي يراد به الجد
٢١	إيهام الاستطراد	٥٧	تجاهل العارف
٢٢	المزاوجة	٥٩	القول بالموجب
٢٢	العكس والتبديل	٦١	الاطراد
٢٤	الرجوع	٦٢	تمرينات على المحسنات المعنوية
٢٤	التورية أو الإيهام	٦٦	أقسام المحسن اللفظي
٢٨	الاستخدام	٦٦	الجناس التام وأقسامه
٢٩	اللف والنشر	٦٨	الجناس المحرف
٣١	الجمع	٦٩	الجناس الناقص
٣١	التفريق	٧١	الجناس المضارع واللاجق
٣٢	التقسيم	٧٢	الجناس المقلوب المجنح والجناس المزدوج

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٧٢	ما يلحق بالجناس	١٠٨	القلب
٧٤	رد العجز على الصدر	١١١	ما يتصل بالسرققات الشعرية
٧٨	السجع وأقسامه	١١١	الاقتباس
٧٩	السجع المطرف	١١٥	التضمين
٧٩	الترصيع	١١٨	تقسيم التضمين إلى استعانة وإبداع
٧٩	السجع المتوازي		أو رفو
٧٩	شروط حسن السجع	١١٨	العقد
٨٠	السجع القصير والطويل والمتوسط	١٢٠	الحل
٨١	سكون أعجاز الفواصل	١٢١	التلميح
٨٢	الحلال في إطلاق السجع في القرآن والشعر	١٢٥	تقريبات على السرققات الشعرية
٨٣	التشطير	١٢٧	الفصل الثاني : مواضع التائق في الكلام
٨٤	التصرير	١٢٧	حسن الابتداء
٨٥	القلب	١٢٨	قبح الابتداء
٨٦	التشريع	١٣٠	براعة الاستهلال
٨٧	لزوم ما لا يلزم	١٣١	حسن التخلص
٨٨	أصل الحسن في القسم اللفظي	١٣٣	الاقتضاب
٩٠	تقريبات على المحسنات اللفظية	١٣٤	الاقتضاب القريب من التخلص
٩٢	خاتمة في فصلين يلحقان بالهديع	١٣٥	حسن الانتهاء
٩٣	الفصل الأول السرققات الشعرية	١٣٦	براعة المقطع
٩٣	السرققات الشعرية	١٣٧	تقريبات على مواضع التائق في الكلام
٩٤	أقسام السرقة الظاهرة	١٣٨	فهرس الآيات القرآنية
٩٤	النسخ والانتحال	١٤١	فهرس الأحاديث الشريفة والآثار
٩٨	الإغارة أو المسخ	١٤٢	فهرس الأمثال والحكم
١٠١	الإلام أو السلخ	١٤٣	فهرس الأشعار
١٠٦	أقسام السرقة غير الظاهرة		
١٠٧	النقل		

رقم الايداع ١٩٩٠/٥٢٦٦

الترقيم الدولي 7 - 008 - 247 - 977 : I . S . B . N .

